المنتقى المقصور
على
مآثر الخليفة المنصور

لأحمد بن القاضي

دراسة وتحقيق

محمد رزوق

الجزء الأول



ص.ب : 239 ـ الرباط .
الهاتف: 265.24

المنتقى المقصور
على
مآثر الخليفة المنصور

لأحمد بن القاضي

دراسة وتحقيق
محمد رزوق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية (1)
الدار البيضاء

الجزء الأول



بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الايداع القانوني

1986 / 228

نوقش هذا العمل يوم 8 فبراير 1980 بكلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط أمام لجنة مكونة من السادة الأساتذة :

الدكتور محمد حجي مشرفا ومقررا
الدكتور محمد بنشريفة رئيسا
الأستاذ محمد المنوني عضوا

ونال صاحبه دبلوم الدراسات العليا في التاريخ بميزة حسن .

شكر وتقدير

أتقدم بكامل الشكر إلى أستاذي: الدكتور محمد حجي الذي أشرف على هذا العمل منذ كان بكرة إلى أن أصبح حقيقة، وإلى الأستاذ: محمد المنوني على توجيهاته وإرشاداته، وإلى الدكتور: محمد بنشريفة على ملاحظاته القيمة حول العمل المنجز، وإلى الأستاذ: محمد إبراهيم الكتاني الذي أمدنا بما احتجنا إليه من وثائق، وإلى صديقي الأستاذ أحمد الشرقاوي إقبال الذي استفدت من خبرته في ميدان اللغة والأدب، وإلى سائر الأصدقاء الذين لم يبخلوا علي بما لديهم من معلومات أو وثائق.

توطئة

لماذا **المنتقى** ؟

تتجاوز الاجابة عن هذا السؤال **المنتقى** لنطرح سؤالا أعم ، وهو : لماذا التراث ؟

ويؤدي بنا هذا إلى سؤال آخر أوضح ، وهو : ما هو موقفنا من التراث ؟

نلاحظ بصفة عامة أن هناك ثلاثة مواقف من التراث :

الموقف الأول : موقف مجدد ينظر إلى التراث بعين الاعجاب والنقد معا ، ويعيد النظر في مفاهيم الماضي على ضوء حاجات الحاضر وهمومه .

الموقف الثاني :موقف محافظ يدافع عن كل ما في التراث لمجرد أنه من التراث ، ويهرب من أرض الحاضر إلى سماء الماضي.

الموقف الثالث :موقف استقصائي موضوعي لا ينطلق من موقف إيديولوجي معين ، بل يجعل كل همه أن ينشر هذا التراث علميا وأن يكشف عن الجوانب التي لا تزال مجهولة منه .

★ ★ ★

بالنسبة للموقف الأول : يرتكز على نقطتين أساسيتين :

1 ــ التراث كعنصر هام من عناصر شخصية الأمة الضرورية لاستمرارها . ذلك أن لكل أمة استمرار في التاريخ لا يتحقق إلا باعتزاز الجيل الحاضر بالتركة التي خلفتها الأجيال السالفة من هذه الأمة ، والالتزام بها باعتبارها من عناصر تكوين شخصية الأمة ، إن لم نقل أهم هذه العناصر على الاطلاق . إن هذه التركة هي التي تربطنا بالسلف ، وعن طريقها نعرف كيف كانوا

يفكرون وينفعلون ، وكيف كانوا يحيون ويتصرفون . فإذا عرفنا عنهم ذلك نزعت بنا نوازع الانتماء والهوية إلى الأخذ عنهم والاقتداء بهم ، فاعتنقنا دينهم ، وتكلمنا لغتهم ، واستمتعنا بأدبهم ، وتمثلنا بمواقفهم ، واتخذنا قراراتنا في ضوء قراراتهم ، وهكذا نصبح وإياهم أمة واحدة مستمرة في التاريخ منذ أن كتب لهم تاريخ .

2 ــ إن تراثنا حافل بالعناصر الصالحة للتطوير لأنها لا تتنافى مع الحقائق العلمية الحديثة وإن بدت في ظاهرها أو في تفسيراتها السابقة بعيدة عن العقلية المعاصرة ، وعلينا أن نقرأه بروح جديدة قوامها الانصاف . ولا يتأتى ذلك إلا إذا وضعناه في إطار من النقد والتمحيص بما يتلاءم والعقلية المعاصرة ، وبالتالي لا يجب أن ننجرف وراء السلبيات الموجودة في التراث لمجرد أنه تراث .

وهكذا يخلص أصحاب هذا الاتجاه إلى نتيجتين أساسيتين :

ــ أن نشارك في الحضارة مشاركة المنتج لنستحق الانتساب لتاريخنا المجيد .

ــ أن تحمل مشاركتنا طابعنا القومي .

* * *

أما بالنسبة للموقف الثاني فإنه يدافع عن التراث لمجرد أنه تراث ، وبالتالي فهو يرفض الموقف التوفيقي السابق ، فالتراث يجب أن يبقى كما هو ، ويؤخذ كما هو لأنه تراث !

فالاختلاف ، إذن ، هنا حاد إذ لم يختلف المثقفون العرب على شيء قدرما اختلفوا في موقفهم من هذا التراث الذي تركه أسلافنا . والسبب الأكبر في هذا الاختلاف يعود إلى أننا انتهينا بنظمنا التعليمية إلى ازدواجية غير محمودة فصلت في التعليم بين التراث والعلوم العصرية ، فجعلت للتراث معاهد خاصة تعزف عن الأخذ بالجديد ، وجعلت للجديد معاهد خاصة تنظر من عل إلى القديم . وهكذا تخرج مثقفون من معاهد التراث وهم يرون الخلاص في العودة إلى هذا التراث وترك ما استحدثته الحضارة من علم ، وتخرج مثقفون من معاهد العلم الحديث فرأوا بأعينهم وسمعوا بآذانهم كيف أصبح الانسان بالعلم قاب قوسين من السيطرة على الطبيعة ، وكيف أصبح العلم هو المصدر الوحيد في عالمنا المعاصر للقوة والتفوق ، وقد جهل هؤلاء ما في التراث من كنوز وما له من قيمة بالنسبة إلى استمرارية شخصية الأمة . وهكذا كان جهل كل من الفريقين بما عند الآخر سببا للخلاف بينهما حول قضية التراث والمعاصرة .

فلو أن كلا من الفريقين حاول أن يتعرف على ما في يد الآخر لكان من الممكن لهما أن يصلا معا إلى فهم مشترك للكيفية التي يتم بها بناء المستقبل . ولكن أصحاب التراث قعد بهم

الشك في نوايا الغربيين عن محاولة الأخذ والتلقي ، لأنهم عرفوا الغرب من خلال ما يقوله طائفة من المستشرقين الطاعنين في الاسلام والمنتقصين للمجتمع الاسلامي ، وهؤلاء المستشرقون كانوا يسعون بدون شك إلى إحدى غايتين : غاية التبشير بالمسيحية ، وغاية الاستعمار .

ومن هنا جاءت كتاباتهم مسمومة حاقدة ، فكان التراثيون الذين عرفوا الغرب من خلال هؤلاء معذورين في إساءة الظن بكل ما هو غربي . وفي نفس الوقت نجد المعاصرين قد وقف بهم الجهل بالتراث وذخائره دون التقرب منه ، وكما تكون العادة دائما حاولوا عند المواجهة والمناظرة أن يهونوا من شأن التراث إما بالطعن في قيمته من حيث هو منطلق ممكن للاحياء ، وإما بالسخرية من حملة التراث الذين يقيمون في متحف هم سدنته وهم رواده وزائروه . ولقد أعانهم على هذا الانتقاص والطعن والسخرية أن المستعمر في كل بلاد العرب والمسلمين كان يكيد للتراث لأنه يعرف أن التراث هو أهم مقومات الأمة ، وأنها لن تكف عن المقاومة ما دام في يدها تراث .

* * *

الموقف الثالث : ويرى أن الاهتمام بالتراث لا يعني آهات الاعجاب والتصفيق والتنويه الجزافي والاطناب في المدح والتغزل بآثار الأجداد ، وإنما يعني ، أولا وقبل كل شيء ، صيانة ذلك التراث من الضياع بتخصيص اعتمادات ومؤسسات وأجهزة كافية لذلك ، ويعني إعادة دراسة ذلك التراث على ضوء العلم الحديث ، وتقييمه تقييما نقديا بإبراز إيجابياته وسلبياته .

* * *

ومهما يكن من اختلاف في هذه المواقف ، فإننا نجدها تلتقي كلها في نقطة واحدة أساسية وهي الاهتمام به ونشره ، على أن هذا الاهتمام لا يعني أننا سنجد فيه العلاج لمشاكلنا الوقتية ، فأجدادنا لم يعيشوا في نفس الاطار ولا في نفس العالم ، ولم يشاهدوا الخطوات الكبيرة التي سارت بها الحضارة في عصرنا ، دافعة بعجلة التطور إلى الاسراع في الدوران . فمشاكلنا جديدة تحتاج إلى حلول جديدة ، وهذا يرجع إلى مسؤولية جيلنا الذي عليه أن يتحملها كاملة فيبحث لنفسه عن الحلول الملائمة .

لكن التراث يبقى له مع ذلك دور روحي ومعنوي ، إنه يربطنا بوطن ، ويكون أساسا من أسس شخصيتنا القومية ، ومنفذا إلى التيارات الحقيقية التي كانت تسري في بواطن الحياة الاجتماعية ببلادنا والتي قد نجد معها نقط التقاء . وهو بالاضافة إلى ذلك ، مستودع قيم وتجارب

منها ما تجاوزه الزمان ، ومنها ما زال محتفظا بجدته وحيويته ، دالا على عبقرية شعب وحصافته . ومن هذا الصنف الأخير **المنتقى** ، فقد ألف في عصر ما زلنا إلى اليوم نستلهم منها ما هو ضروري لتحقيق مطامحنا في التحرر ، فما زلنا إلى اليوم نتذكر معركة وادي المخازن ، بل ونحتفل بها سنويا ، وما زلنا إلى اليوم نعتز بكوننا وصلنا إلى السودان ونشرنا الاسلام هناك قبل أن يصل إليه الغزو المسيحي ، وما زلنا إلى اليوم نؤكد استقلاليتنا بكوننا البلد العربي الوحيد الذي نجا من السيطرة العثمانية ، بل ما زلنا إلى اليوم نتذكر محاولة المنصور استرجاع الأندلس ، وبكون المغرب آنذاك بدأت تظهر فيه بوادر نهضة لا تقل عما ظهر آنذاك بأوروبا ، فقد كان المنصور عالما مفكرا ، مطلعا على الأوضاع الدولية ويعرف خبايا السياسة الأوروبية .

من هذا المنطلق ، إذن ، كان عملنا في **المنتقى** ، والذي أنصب أساسا على تحقيقه وتوضيح غوامضه ، ودراسة جوانب معينة منه ، وذلك في إطار نقدي تحليلي يعتمد الادوات المتوفرة .

★ ★ ★



الدراسة

الفصل الأول

شخصية ابن القاضي

ازدهرت الحياة الاجتماعية والفكرية والاقتصادية في عهد المنصور ازدهارا كبيرا لم تبلغه في أي عصر من عصور الدولة السعدية ، وذلك لما وفره لها من وسائل النمو والبقاء .

وهكذا نلاحظ في المجال الاجتماعي أن المنصور استطاع أن يضمن للمغرب آنذاك الاستقرار الاقتصادي ، والأمن الاجتماعي ، وإن ظهرت بين الفينة والأخرى عناصر تشوش على السلطة وأدت بالتالي إلى حدوث خلل في الأمن واضطراب في الاقتصاد .

وفي المجال الاقتصادي : اتخذ عدة إجراءات كان لها الأثر الفعال في تنشيط الحركة التجارية الداخلية خاصة وأن موارد الدولة ازدادت بشكل ملموس نتيجة الظروف المستحدثة .

وفي المجال الفكري : فإننا لا نبالغ إذ قلنا أن المغرب كان يحتل في عهد المنصور مركز الصدارة في العالم العربي ، وهذا شيء يشهد به المغاربة والمشارقة على السواء ، إذ كان المغرب قبلة المفكرين العرب ، نظرا للجو الفكري الملائم جدا لنشاطهم ، ونظرا كذلك للتشجيعات التي كانوا يحظون بها من طرف المنصور ماديا ومعنويا .

وقد توج كل ذلك في المجال السياسي : صمود المغرب أمام جميع التيارات الخارجية التي كانت تتربص به الدوائر خاصة من جانب الأتراك والاسبان ، إذ فرض المغرب نفسه كدولة تتمتع بالاحترام الدولي اللازم لجميع المعاملات الدولية .

وكل هذه التطورات سجل ابن القاضي جانبا مهما منها في **المنتقى** ، ولا يخفى ما للرجل من قيمة كشاهد للأحداث ، وكناقل لما كان يجري في الشرق العربي الخاضع آنذاك للأتراك العثمانيين .

وهكذا نجد في **المنتقى** صورا رائعة لهذه التطورات الاجتماعية والفكرية والاقتصادية ، وذلك بتفصيل ما كان معمما عن أعمال المنصور في هذا المجال ، وبإزاحة الستار عن كثير من الشخصيات التي إما كنا نجهلها تماما أو معلوماتنا عنها كانت غامضة وغير دقيقة ، بل وخصص لنفسه بابا استعرض فيه لقاءاته ونتائجها مع شخصيات مغربية ومشرقية .

وسوف تكون دراستنا **للمنتقى** مستوحاة من المعطيات السالفة الذكر ، إذ قسمنا الدراسة إلى ثلاثة فصول تتفق وطبيعة الكتاب .

وهذه الفصول هي :

الفصل الأول :شخصية ابن القاضي .

الفصل الثاني : المنتقى المقصور ، على مآثر الخليفة المنصور .

الفصل الثالث : جوانب من الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية في عهد المنصور من خلال المنتقى .

* * * * *

تعتبر شخصية ابن القاضي من الشخصيات البارزة التي شغلت حيزا مهما من الخريطة الفكرية في عهد المنصور ، هذا رغم وجود شخصيات لعبت دورها الكبير في المجالين السياسي والفكري من أمثال :

عبد العزيز الفشتالي ــ المؤرخ الرسمي ــ ومحمد بن علي الفشتالي ــ السفير ــ واحمد بابا السوداني ، إلى غير ذلك من الشخصيات .

لكن ابن القاضي وسط هذا الجو الفكري الزاهر برز بمميزات لابد من تسجيلها له :

ــ تكوينه القوي داخل المغرب وخارجه .

ــ براعته في ميدان الرياضيات .

ــ غزارة تآليفه بالنسبة لمعاصريه ، ومحافظته عليها ، إذ ان جل مؤلفاته معروفة لدينا ونتوفر على نسخ منها .

ــ طريقته في التدريس : إذ كانت له طريقة مفيدة في التدريس ، يقتصر فيها على المهم من المسائل ، ولا يتوغل في التفصيلات المتشعبة العقيمة ، معتنيا باللب والجوهر ، خصوصا في الفقه الذي تكثر فيه عادة الأقوال والاحتمالات فكان يقرأ مختصر الشيخ خليل ويختمه كل أربعة أشهر ، بينما لا ينتهي منه غيره إلا بعد سنوات .

ولا شك أن هناك عواملا لعبت دورها في تواجد هذه الشخصية ، منها : أسرته نفسها التي أمدته بالجاه والمال والكتب ، واتصالاته العديدة بالشخصيات العلمية داخل المغرب وخارجه ، وما حظي به من اهتمام متزايد نتيجة تدخل المنصور لافتدائه من أسره ، وتشجيعه له لتأليف عدد من الكتب للخزانة العلمية . وهي عوامل استقيناها أساسا مما كتبه الرجل عن نفسه ، ومن المصادر التي ترجمت له .

وبناء على ذلك يرتسم أمامنا ، إذن ، منهاج البحث على الشكل الآتي :

أولا :مصادر ترجمته .
ثانيا :أسرتـــــه .
ثالثا :تكوينـــــه .
رابعا :أســـــره .
خامسا :مؤلفاتـــــه .
سادسا :تفاعله مع بيئته .

أولا : مصادر ترجمته .

لأجل الكشف عن هذه الشخصية وتجاوز المعلومات العامة التي نعرفها عنها كان لابد من الرجوع إلى المصادر التي ترجمت لها ، ونستطيع أن نصنفها إلى ثلاثة أصناف :

أولا : ما كتبه الرجل عن نفسه .
ثانيا : ما كتبه عنه معاصـروه .
ثالثا : ما كتبه عنه المتأخرون .

* * *

أولا : ما كتبه الرجل عن نفسه

تعتبر كتابات ابن القاضي أهم مصدر لترجمته على الاطلاق ، خاصة منها ما ورد في **المنتقى** ، وليس في نيتنا الآن أن نقوم بفحص ما تزخر به من معلومات قيمة حول هذا الموضوع ، فهذا عمل سنقوم به في نقطة تالية (1) ، ولكن لاثارة الانتباه إلى أن الرجل كتب عن نفسه جل ما نريد أن نعرف باستثناء نقط قليلة ظلت غامضة (2) ، حاولنا إبراز رأينا فيها انطلاقا من مصادره هو نفسها ومصادر أخرى اهتمت بنفس الموضوع ، على أن هذا لا يعني أننا نؤمن إيمانا مطلقا بما يكتب الرجل ، فالبرغم من أن ترجمة ابن القاضي لحياته ليس من شأنها إلا أن تساعد الباحث مساعدة عظمى في هذا الموضوع ، فإن هذه الترجمة نفسها تفرض علينا أن نتساءل : إلى أي مدى يمكننا الاعتماد على شهادة صاحب **المنتقى** على نفسه ؟ إن المشكلة صعبة

---

(1) أنظر النقطة المتعلقة بمؤلفاته .
(2) خاصة بالنسبة للفترة الأخيرة من حياته .

حقا ، ولكن الذي قد يساعدنا على تذليل هذه الصعوبة ، كلا أو بعضا ، هو الاستعانة ، كلما أمكن ، بشهادة معاصريه ، والاطلاع على الظروف والملابسات التي قد تكون دفعت المؤلف إلى كتابة ترجمة حياته ، أو عملت على توجيهه بشكل من الأشكال .

ثانيا : ما كتبه عنه معاصروه .

رغم أنه قليل إلا أنه مهم جدا ، خاصة بالنسبة للجوانب التي غفل ابن القاضي عن ذكرها ، ونخص بالذكر أربعة مصادر أساسية :

- **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا** لعبد العزيز الفشتالي .
- **روضة الآس** للمقري .
- **نيل الابتهاج** لأحمد بابا السوداني .
- **فهرس** إمام الدين الخليلي .

ثالثا : ما كتبه عنه المتأخرون .

ونقصد بذلك ما كتب عنه انطلاقا من وفاته إلى وقتنا هذا ، وهي كتابات تتفاوت في قيمتها ودرجة دقتها انطلاقا من الوثائق المعتمدة ، وإن كنا نطمئن ، إلى حد ما ، إلى المصادر التي كتبت قريبا من عصر المؤلف فإن الأمر ليس كذلك بالنسبة للمصادر المتأخرة جدا عن عصر المؤلف ، بل يجب النظر إليها دائما بعين الحيطة والحذر .

وقد حاولنا في بداية الأمر أن نقف عند كل ترجمة ونبين أهميتها وأخطاءها ونقصها ، ولكن وجدنا أن العملية طويلة ومملة وتؤدي إلى التكرار ، خاصة وأن نفس القضايا تكرر في كثير من الأحيان . فآثرنا أن ندرج ذلك في شكل ملاحظات عامة تساعد القارىء على أخذ فكرة عامة عن نوعية هذه الكتابات .

الملاحظات العامة :

1 ــ من حيث النوعية نذكر أن جل الكتابات مختصرة لا تتعدى ذكر تاريخ الولادة ، والشيوخ الذين أخذ عنهم ، وأسره ، وبعض مؤلفاته ، وذلك في شكل عرض عام مجمل يكرر فيه اللاحق قول السابق مما يجعل الاستفادة منها ضئيلة إن لم تكن منعدمة .

2 ــ هناك كتابات تحمل أخطاء في جوانب معينة ، نذكر على سبيل المثال :

ــ نسبة بعض المؤلفات لابن القاضي في حين أنها ليست له ، وقد أفضنا القول في هذه النقطة عند تعرضنا لمؤلفاته .

ــ إلحاق بعض الشيوخ ضمن الذين درس عليهم في حين أنه هو نفسه يؤكد أنه لم يأخذ عنهم ولم يلقهم ، نذكر ــ على سبيل المثال ــ ما أورده الأستاذ محمد الأحمدي ابو النور في مقدمة تحقيقه **لدرة الحجال** (3) حين جعل بدر الدين القرافي أحد الشيوخ الذين أخذ عنهم مع أن ابن القاضي ينص صراحة في المخطوط الذي يحققه الأستاذ أنه لم يلقه ولم يأخذ عنه (4) . وقد سار أيضا على نهجه الأستاذ عبد الهادي التازي في الترجمة التي عقدها لابن القاضي (5)...

ــ هناك بعض الكتابات التي ترد فيها قضية عزله من القضاء بعد وفاة المنصور ، ونعتقد أن الأمر لا يتعلق بعزل بقدرما يتعلق برغبة شخصية للتدريس ، خاصة وأن حال المغرب صار إلى ما هو معروف بعد وفاة المنصور ، نضيف إلى ذلك عاملين آخرين :

أ ــ ان القضية لم تروها المصادر المعاصرة أو القريبة من عصر المؤلف .

ب ــ ان العزل يتطلب تبريرا تاريخيا ، خاصة ونحن نعلم علاقة ابن القاضي بالمنصور ، وبالأسرة المالكة بصفة عامة ، فَلِمَ ، إذن ، سيقع العزل ؟ هل لأنه أساء استعمال سلطاته

---

(3) المقدمة ، 1 : 18 .

(4) ذكر ابن القاضي في **درة الحجال** ، 2 : 250 رقم 730 ، ما يأتي : « أدركته (بدر الدين القرافي) بمصر سنة ست وثمانين وتسعمائة ، إلا أنني لم ألقه ، ولم آخذ عنه ، لم يرد الله ذلك » .
وقد أضاف الأستاذ المحقق أيضا شيوخا آخرين لابن القاضي ، نذكر منهم على الخصوص :
أحمد بن جيدة الوهراني المتوفى سنة 1009 هـ ، ويبدو أنه اعتمد في ذلك على محمد مخلوف في **الشجرة** (ص 294) حيث يقول : « ...أخذ عن علماء فاس والشرق ، منهم عبد الرحمان التاجوري ، وعنه جماعة ، منهم : ابن العافية ... » . فكيف استطاع الاستاذ المحقق أن يؤكد على أن المقصود بابن أبي العافية هو أحمد بن القاضي المؤرخ ، وهو الاسم الذي يحمله أكثر من واحد في أسرة ابن القاضي ، ولماذا لم يؤرخ له ابن القاضي ضمن التراجم التي عقدها لعلماء فاس إذا كان شيخه بالفعل ، ونحن نعلم مسبقا مدى اعتناء مؤرخنا بشيوخه وتدوين أخبارهم ، في حين أرخ لأحمد بن جيدة الوهراني المتوفى سنة 951 هـ ؟
وأضاف إلى شيوخه أيضا سعيد بن أحمد المقري التلمساني المتوفى سنة 1012 هـ (المقدمة ص 16) ، ويبدو هنا أيضا أن المحقق اعتمد على **الشجرة** (ص 295) في ترجمة الشيخ المذكور . وصاحب **الشجرة** لا يذكر مصدره في ذلك ، وبرجوعنا إلى الترجمة التي عقدها ابن القاضي للشيخ المذكور في كل من **الدرة** (3 : 300) ، **والجذوة** (2 : 519) ، نلاحظ أنه لم يشر إلى أنه أخذ عنه ، كما لم يشر تلميذه أحمد المقري في **روضة الآس** إلى ذلك .
كما جعل الأستاذ المحقق ضمن شيوخه محمد بن أبي بكر الدلائي ويبدو في ذلك أيضا أنه اعتمد على **الشجرة** (ص 301) ، فانقلب بذلك التلميذ إلى أستاذ ، فالشيخ المذكور هو الذي درس على ابن القاضي ، ونحيله ــ مثلا ــ على سليمان الحوات في **البدور الضاوية** (ص 67) ، وعلى الأستاذ حجي ، **الزاوية الدلائية** ص 76 ــ 77 ...

(5) **جامع القرويين** ، 2 : 517 .

كقاضي فاحتك بالمجتمع السلاوي آنذاك ؟ هذا ما لم تشر إليه المصادر التي أرخت له ، بل على العكس من ذلك تثني عليه وتبرز الأهمية التي كانت تحظى به مدينة سلا في نفسه (6) .

ولنطرح سؤالا أخيرا ، وهو : هل عزل لأنه احتك بالأسرة المالكة بعد وفاة المنصور وتولية ابنه زيدان فانحاز إلى هذا الجانب أوذاك ؟ هذا ، أيضا ، ما لم تشر إليه المصادر ، بل تؤكد جلها ، إن لم نقل كلها ، على أنه عزف عن السياسة وانقطع كلية للتدريس .

3 ـــ هناك تساؤلات تطرحها بعض الدراسات ، نخص بالذكر منها تساؤلات الأستاذ عبد القادر زمامة حول رحلة ابن القاضي وبعض شيوخه ، فمما ذكرهُ الأستاذ في هذا الموضوع : « ...ويلفت نظرنا في قائمة شيوخ ابن القاضي في هذه الرحلة الطويلة علمان اثنان :

الأول : الشيخ شجاع فلقة ...قاضي مدن بلاد الترك ...

والثاني : محمود بن عبد الله الرومي خطيب جامع مدن من بلاد الترك ...

يقول عن الأول : لقيته بها : سنة 989 هـ (**درة** ، 3 : 319 رقم 1423) .

ويقول عن الثاني : لقيته بها سنة 988 هـ (**درة** ، 2 : 325 ، رقم 876) .

والظاهر من كلام ابن القاضي : لقيته بها : إن الضمير يعود على بلاد الترك ...فإذا لم يكن حصل خطأ في كتابة هذه العبارة ...فإننا يمكن أن نتساءل ...هل زار المؤرخ في رحلته هذه بلاد الترك ...؟ وبطبيعة الحال ، فإننا نجد جوابا عن هذا السؤال في المصادر المخطوطة والمطبوعة التي بأيدينا الآن ... » (7) .

ونجيب الأستاذ زمامة بأن ابن القاضي زار ـــ قطعا ـــ بلاد الترك ، والتقى بها مع من ذكرهما ، ونحيله على كتابه الرئيسي **المنتقى** ، حيث يصرح قائلا : « ...ودخلت مدنا من بلاد الترك في رمضان عام ثمانية وثمانين ، واجتمعت بقاضيها سجاع فلقة ، رجل فقيه ، حنفي أديب ...

وممن لقيته بها خطيبها أبو الثناء محمد بن عبد الله الرومي ، أديب لغوي ...أنشدني بلسانه ...وممن لقيته بها محمد بن علي شلبي الرومي ، فقيه نحوي ...فعل معي خيرا كثيرا ،

---

(6) ذكر ابن القاضي ـــ مثلا ـــ في **درة الحجال** ، 3 : 183 ، وهو بصدد الحديث عن أم المنصور مسعودة الوزكيتية ما يأتي « ...وكنت كاتبها ـــ رحمة الله عليها ـــ من مدينة سلا أستنجدها لاصلاح دار الشراط ، إذ هو محل مخوف ، فوالله الذي لا إلاه إلا هو ما مضى للكتاب مقدار وصوله إلا وأمرت ـــ عاملها الله بلطفه وإحسانه ـــ بإنشائها هنالك فجاءت بغاية الرفق بالمسلمين ... »
وقد نقل النص المذكور تلميذه أحمد المقري في **روضة الآس** ، ص 67 .

(7) مقال بمجلة **البحث العلمي** بعنوان « أبو العباس ابن القاضي مؤرخ فاس » ، ص 204 ـــ 205 . عدد مثنى : 14 و 15 ، السنة السادسة ، يناير/دجنبر ـــ 1969 .

أعارني جملة من الكتب مدة إقامتي بها ، ويوم وداعي له ، زودني بزاد طيب ، وأوصى علي صاحب السفينة ، ولم يزل الرئيس يلاحظني حتى بلغنا طرابلس الغرب في ربيع النبوي عام ثمانية وثمانين ... » [8].

وقد تساءل الاستاذ ثانية (نفس المقال ص 210)، فقال : « ... وقد اطلعت على ترجمة لابن القاضي كتبها السوداني بقلمه ولا أدري أين أودعها في كتبه المتعددة ... واحتفظ بهذه الترجمة المؤرخ الأديب الاستاذ محمد بن محمد بن العربي الزعري المباركي الذي كان حيا سنة 1249 هـ. وكتبها بخطه على آخر ورقة من كتابه **مختصر جذوة الاقتباس** ... » . وقد عثرنا على هذه الترجمة في النسخة المخطوطة من نيل الابتهاج بالمكتبة الملكية بالرباط، عدد 1896، وهي بخط المؤلف، كتبت بمراكش سنة 1005 هـ، غير مرقمة.

★ ★ ★

وبعد هذه الملاحظات العامة ننقل القارىء إلى استعراض المصادر والمراجع التي ترجمت لابن القاضي ليقف بنفسه على حقيقة هذه الملاحظات[9] .

أ ــ باللغة العربية .

★ ــ ابن ابراهيم عباس المراكشي .
ــ **الاعلام ، بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام** ، 2 :295 ــ 299 ، رقم 221 .

★ ــ ابن أبي محلي أحمد.
ــ **أصليت الخريت ، في قطع بلعوم العفريت النفريت** ، ورقة 59 ظ .

---

(8) أنظر **المنتقى**، ص 751.

(9) نثير انتباه القاريء إلى الملاحظات الآتية :
أ ــ المصادر والمراجع مرتبة حسب الحروف الأبجدية المغربية .
ب ــ لم نذكر تاريخ الطبعة ولا مكانها ، واكتفينا بما سيرد في لائحة المصادر والمراجع .
ج ــ بالنسبة للمصادر المخطوطة لم نذكر رقمها ولا مكانها ، مكتفين كذلك بما سيرد في لائحة المصادر والمراجع .
د ــ في سائر مراحل الدراسة والتحقيق سوف نرمز إلى مكتبتي الرباط بالرمزين الآتيين : (م.ع) بالنسبة للمكتبة العامة ، و (م.م) بالنسبة للمكتبة الملكية .

★ — ابن زيدان عبد الرحمان .
— **اتحاف أعلام الناس ، بجمال أخبار حاضرة مكناس** : 1 :326—328 .
★ — ابن منصور عبد الوهاب .
— مقدمة تحقيق **جذوة الاقتباس ، في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس** ، ص 5 — 7 .
— مقدمة تحقيق **جني زهرة الآس ، في بناء مدينة فاس** ، ص : د .
— مقدمة تحقيق **روضة الآس ، العاطرة الأنفاس ، في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس** ، ص : م .
★ — ابن عجيبة أحمد .
— ازهار البستان ، في طبقات الأعيان ، ص 234 .
★ — ابن العربي الصديق.
— **فهرس مخطوطات مكتبة ابن يوسف بمراكش** ، ص 25 .
★ — ابن سودة عبد السلام .
— **دليل مؤرخ المغرب الأقصى** ، 1 : 44 رقم 75 ، 162 رقم 603 ، 259 رقم 1028 ، 268 رقم 1088 ، 278 رقم 1134 ، 2 : 298 رقم 1209 ، 385 رقم 1688 .
★ — ابو النور محمد الأحمدي .
— مقدمة تحقيق **درة الحجال** ، 1 : 3 — 28 .
★ — الأخضر محمد .
— **الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية** ، ص ، 57 ، 84 (ضمن ترجمة عبد الرحمان بن القاضي) .
★ — الادريسي ادريس بن الماحي .
— **قائمة المطبوعات المغربية** ، ص 51 .
★ — الازهري محمد .
— **اليواقيت الثمينة ، في أعيان مذهب عالم المدينة** ، 1 : 24 .
★ — الالغي ابراهيم .
تاريخ الشعر والشعراء بفاس ، ص 66 .
★ — الافراني محمد .
— **نزهة الحادي ، في أخبار ملوك القرن الحادي** ، 73 ، 77 ، 79 ، 96 ، 126 ، 169 .
★ — **صفوة من انتشر ، من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر** ، ص ،77 .

ـــ بنعبد الله عبد العزيز .
ـــ **الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية** ، 2 : 86ـــ87 .
ـــ « الفكر الصوفي والانتحالية بالمغرب » مقال بمجلة **البينة** المغربية ، السنة الأولى ، العدد الرابع ، غشت 1962 ، ص 51 .
★ ـــ البستاني فؤاد .
ـــ **دائرة المعارف** ، 3 : 444 .

★ ★ ★

★ ـــ التازي عبد الهادي .
ـــ **جامع القرويين** ، 2 : 517 .
★ ـــ التواتي عبد الكريم .
ـــ **التاريخ المفترى عليه** ، ص : 49 ، 50 ، 51 ، 52 ، 86 ، 133 ، 137 .

★ ★ ★

ـــ حجي محمد .
ـــ **الحركة الفكرية في عهد السعديين** ، 2 : 368 ، 448 .
ـــ **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي** ، 86ـــ93 .
ـــ « المنتقى المقصور ، على مآثر الخليفة المنصور » مقال بمجلة **دعوة الحق** ، السنة 10 نوفمبر 1966 ، العدد الأول، : ص : 100 وما بعدها .
ـــ مقدمة تحقيق كتاب **لقط الفرائد ، من لفاظة حقق الفوائد** ، ص 5 ـــ 7 .
ـــ المؤسسات الدينية بالمغرب في القرنين السادس عشر والسابع عشر مقال بمجلة **المناهل** ، العدد 18 ، السنة السابعة ، يوليوز 1980 ، ص :125 .
ـــ « عبد السلام بن سودة مؤلف أكبر موسوعة تراجم في العصر العلوي » ، مقال بمجلة **دعوة الحق** ، السنة 22 / يونيو ـــ يوليوز 1981 العدد 4 ، ص 30 .
★ ـــ حركات ابراهيم .
ـــ **المغرب عبر التاريخ** ، الجزء الثاني ، مواضع متفرقة .
★ ـــ الحضيكي محمد .
ـــ **طبقات** ، 1 : 57 ـــ 58 .

★ ـــ الحفناوي محمد .
ـــ **تعريف الخلف ، برجال السلف** ، القسم الأول ، ص 198 ـــ 199 .
★ ـــ الحوات سليمان .
ـــ **البدور الضاوية ، في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية** ، ص 67 .
ـــ **الروضة المقصودة ، والحلل الممدودة ، في مآثر بني سودة** ، ص 13 .

★ ★ ★

★ ـــ داود محمد .
تاريخ تطوان ، 1 : 129 ـــ 132 .

★ ★ ★

★ ـــ الزجالي محمد بن قاسم (ت 1072 هـ / 1662 م) .
ـــ **كناشة** ، ميكر فيلم م.ع بالرباط عدد 67 ، (عن مخطوطة الأستاذ محمد الفاسي) ، غير مرقم .
★ ـــ الزركلي خير الدين .
الاعلام ، 1 : 225 .
★ ـــ زمامة عبد القادر .
ـــ « أبو العباس بن القاضي » ، مقال بمجلة **البحث العلمي** ، عدد مثنى ، 14 ـــ 15 ، السنة السادسة ، يناير/دجنبر 1969 ، ص 201 ـــ 213 .
ـــ أبو العباس بن القاضي ، مقال بمجلة **اللقاء** ، العدد 18 أكتوبر 1969 ، ص 66 ـــ 68 ، وهو ملخص للمقال السابق.
ـــ « أبو العباس بن القاضي مؤرخ دولة المنصور الذهبي » مقال **بمجلة كلية الآداب بفاس** ،العددان الثاني والثالث ، لسنتي 1979 ـــ 1980 ، ص : 7 ـــ 22 ـــ .
ـــ **أبو الوليد ابن الأحمر** ، مواضع متفرقة .

★ ★ ★

★ ـــ طربين أحمد .
ـــ **التاريخ والمؤرخون العرب في العصر الحديث** ، ص 185 ـــ 187 .

★ ـــ **الكتاب الذهبي لجامع القرويين** ، ص 122 .
★ ـــ الكتاني محمد .
ـــ **سلوة الانفاس ، ومحادثة الاكياس ، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس** ، 3 : 133 ـــ 135 .
★ ـــ الكتاني محمد ابراهيم .
ـــ « جولة في المخطوطات العربية باسبانيا » ، مقال بمجلة **دعوة الحق** ، العددان 9 ـــ 10 ، يوليوز 1966 ، ص 82 ـــ 87 .
ـــ « جولة في المخطوطات العربية باسبانيا » ، مقال بمجلة **البحث العلمي** ، العدد العاشر ، السنة الرابعة ، يناير/أبريل 1967 ، ص : 30 ـــ 32 (نفس المقال السابق) .
★ ـــ الكتاني محمد بن علي .
ـــ دور العمل الفاسي في تطور الفقه واستمراره ، مجلة **كلية الشريعة** بفاس ، العدد 6 ، شوال 1400 ـــ غشت 1980 ، ص 69 .
★ ـــ الكتاني عبد الحي .
ـــ **فهرس الفهارس والاثبات ، ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات** ، 1 : 177 .
★ ـــ كحالة رضا .
ـــ **معجم المؤلفين** ، 2 : 147 ـــ 148 .
★ ـــ كريم عبد الكريم .
ـــ **المغرب في عهد الدولة السعدية** ، مواضع متفرقة .
★ ـــ كنون عبد الله .
النبوغ المغربي ، في الادب العربي ، ص 253 ـــ 254 .

★ ★ ★

★ ـــ لطفي عبد البديع .
فهرس المخطوطات المصورة ، 2 : 224 ـــ 225 .
★ ـــ ـــ ليفي ـــ بروفنسال ، أ .
مؤرخو الشرفا ، ص 83 ـــ 88 ، 174 ـــ 176 ، (الترجمة العربية) .

★ ★ ★

مجلة الرسالة المصرية 11 مارس 1935، العدد 88.

★ _ محفوظ محمد (التونسي).

_ « نظرات في **كتاب درة الحجال ، في أسماء الرجال** » ، جريدة الصباح (التونسية) .

الحلقة الأولى : 25 مارس 1971 ، السنة 21 ، العدد 6677.

الحلقة الثانية : 1 أبريل 1971 ، السنة 21 ، العدد 6683.

الحلقة الثالثة : 8 أبريل 1971 ، السنة 21 ، العدد 6689.

الحلقة الرابعة : 15 أبريل 1971، السنة 21 ، العدد 6695.

_ مقدمة تحقيق **برنامج الوادي آشي** ،ص 17 _ 18 .

★ _ مخلوف محمد .

_ **شجرة النور الزكية ، في طبقات المالكية** ، ص 297 ، رقم 1150 .

★ _ مزين محمد .

_ **فاس وباديتها من 1549 إلى 1637** ، مواضع متفرقة .

★ _ المكلاتي محمد .

_ **تكميل وفيات الفشتالي** ، البيت 24 .

★ _ المكناسي أحمد .

_ **أهم مصادر التاريخ والترجمة في المغرب** ، ص 58 _ 59 .

_ **فهرس المؤلفين والعناوين للكتب الموجودة بالمكتبة العامة للحماية بتطوان** ، ص 426 .

★ _ المنوني محمد .

_ **محاضرات حول مصادر التاريخ المغربي** ، ألقيت على طلبة السلك الثالث بكلية الآداب بالرباط ، مطبوعة على الآلة المكررة ، المحاضرة الثانية عشرة ، ص : 2 ، 3 ، 5 .

_ « الوراقة المغربية » مقال بمجلة **البحث العلمي** ، العدد 18 ، السنة الثامنة ، أكتوبر 1971 ، ص : 17 ، 19 .

★ _ المقري أحمد التلمساني .

_ **روضة الآس ، العاطرة الانفاس ، في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس** ، ص : 239 _ 299 ، وهي أهم ترجمة على الاطلاق ، لكونه كان تلميذه .

★ _ المهماه مصطفى عبد السلام .

_ **المرأة المغربية والتصوف في القرن الحادي عشر الهجري** ، ص 90 .

★ ـــ ميارة محمد .
ـــ **الدر الثمين ، والمورد المعين ، في شرح المرشد المعين ، على الضروري من علوم الدين** ، مواضع متفرقة .

★ ★ ★

★ ـــ الناصري أحمد .
ـــ **الاستقصا ، لأخبار دول المغرب الأقصى** ، 5 : 6 ، 8 ، 14 ، 17 ، 19 ، 20 ، 29 ، 25 ، 58 ، 69 ، 86 ، 118 ، 119 ، 146 ، 190 .
★ ـــ نجمي عبد الله .
ـــ « العكاكزة » مقال بمجلة **كلية الآداب** بالرباط ، العددان الخامس والسادس لسنة 1979 ، ص : 91 ـــ 92 .
★ ـــ النميشي أحمد .
ـــ **تاريخ الشعر والشعراء بفاس** ، ص 66 .

★ ★ ★

★ ـــ علوش ، ي ، س .
ـــ مقدمة تحقيق **درة الحجال** ، بالفرنسية .
★ ـــ علوش ، ي ، س ، وعبد الله الرجراجي .
ـــ **فهرس المخطوطات العربية بالرباط** ، 2 : 125 .
★ ـــ العلوي القاسمي هاشم بن المهدي .
ـــ مقدمة تحقيق **التقاط الدرر ، ومستفاد المواعظ والعبر** ، للقادري ، مواضع متفرقة .
★ ـــ عنان محمد عبد الله .
ـــ **فهارس الخزانة الملكية** ، المجلد الأول ، فهرس قسم التاريخ وكتب الرحلات ، ص : 126 ، 127 ، 128 ، 166 ، 167 ، 303 ، 304 .

★ ★ ★

★ ـــ الفاطمي محمد الصقلي .
ـــ مقدمة تحقيق **جذوة الاقتباس** ، الطبعة الفاسية .

★ ـــ الفاسي محمد .

ـــ « الخزانة السلطانية وبعض نفائسها » مقال بمجلة **البحث العلمي** ، العددان الرابع والخامس ، السنة الثانية ، يناير/غشت 1965 ، ص : 76 .

★ ـــ الفاسي محمد العربي .

ـــ **مرآة المحاسن ، من أخبار الشيخ أبي المحاسن** ،الفصل السابع .

★ ـــ الفاسي عبد الرحمان .

ـــ **ابتهاج القلوب ، بخبر الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب** (عند ذكره للفقهاء الذين حضروا مجالس الشيخ أبي المحاسن) .

★ ـــ الفاسي عبد الله .

ـــ **الاعلام بمن غبر ، من أهل القرن الحادي عشر ،**
ص 364 ـــ 368 .

★ ـــ الفضيلي ادريس .

ـــ **الدرر البهية ، والجواهر النبوية ، في الفروع الحسنية والحسينية** ، 2 : 352 .

★ ـــ الفشتالي عبد العزيز .

ـــ **مناهل الصفا ، في أخبار الملوك الشرفا** ، طبعة تطوان ، ص 153 ـــ 155 .
مناهل الصفا ، في مآثر موالينا الشرفا ، طبعة الرباط ، ص 230 ـــ 231 .

★ ـــ **فهرس دار الكتب المصرية** ، 5 : 318 .

★ ـــ **فهرس الخزانة التيمورية** ، 3 : 188 ، 2 : 51 رقم 171 مصطلح حديث .

★ ـــ **فهرس المخطوطات العربية بمكتبة الأكاديمية الملكية التاريخية بمدريد** (عند تعرضها لفهرسة ابن القاضي **رائد الفلاح**) .

★ ★ ★

★ ـــ القادري محمد .

ـــ **الاكليل والتاج ، في تذييل كفاية** ، ص 9 ظ .

ـــ **التقاط الدرر ، ومستفاد المواعظ والعبر ، من أخبار أعيان المائة الحادية عشر والثانية عشر** ، القسم الأول ، ص 57 ـــ 58 .

ـــ **نشر المثاني ، لأهل القرن الحادي عشر والثاني** ، طبعة فاس ، 1 : 128 .

ـــ **نشر المثاني ، لأهل القرن الحادي عشر والثاني** ، طبعة الرباط ، 1 : 213 ـــ 216 .

★ ــ السائح حسن .

ــ **مقدمة تحقيق كتاب تاج المفرق ، في تحلية علماء المشرق** للبلوي ، 1 : 75 ، 77 .

★ ــ السائح محمد .

ــ **المنتخبات العبقرية ، لطلبة المدارس الثانوية** ، ص 28 .

★ ــ سركيس يوسف .

ــ **معجم المطبوعات العربية والمعربة** ، ص 28 .

★ ــ السوداني أحمد بابا .

ــ **كفاية المحتاج ، لمعرفة من ليس في الديباج** (ذكره في القسم المتعلق بترجمته هو) .

ــ **نيل الابتهاج ، بتطريز الديباج** ، مخطوط م .م عدد 1896 ، غير مرقم .

★ ★ ★

★ ــ شحاتة ابراهيم حسن .

ــ **وقعة وادي المخازن في تاريخ المغرب** ، 57 ، 64 ، 116 ، 149 ، 214 ، 233 ، 270 .

ب ـ باللغات الأجنبية .

* — **Allouche, I. S .**

  Introduction à l'Ouvrage d'Ibn AL Kadi

  Durrat Al-Higal

** ** ** **

* — **Basset, R .**

  Recherches Bibliographiques sur les Sources de la Salwat El-Anfas, P. 21 .

* — **Benchekroun, M .**

  La vie Intellectuelle Marocaine Sous les Mérinides et les Wattassides, P : 250, 244, 310, 332, 364 .

* — **Ben Cheneb, M .**

  Ibn Al Kadi, in Encyclopédie de l'Islam, 2 : 414-415, 1 ére édition .

  Etude sur les personnages mentionnés dans l'Idjaza du Cheikh Abdel-Quadir El Fassi, étude 307, pp. 489-490.

* — **Ben Cheneb, M. et L. Provençal.**

  Essai de Répertoire Chronologique des Editions de Fes, Revue Africaine, 1922, n°81, p. 17.

* — **'Boigues, p.**

  Ensayo Bio-Bibligrafico Sobre Historiadores y Geografos Arabigo-Espanoles, P. 417.

* — **Brockelman, C .**

  Suppléments. 2 : 678-679.

** ** ** **

* — **Deverdun, C .**

  Marrakech, des origines à 1912, I : 433.

« Ibn Al Kadi » In Encyclopédie de l'Islam, 3 : 837-838, (nouvelle edition)

** ** ** **

* — **Hajji. M .**

L'activité Intellectuelle au Maroc à l'Epoque Saadide, 2 : 421-422.

* — **Huart, C.**

Littérature arabe, p. 383.

** ** ** **

— **Lakhder, M.** *

La vie littéraire au Maroc sous la Dynastie Alawide, p. 38.

* — Le Tourneaux, R.

Fes avant le Protectorat, Etude Economique et Sociale d'une ville de l'Occident Musulman, p. 28, 475.

* — **Lévi - Provençal, E .**

Les Historiens des chorfa, p. 100./

Les Manuscrits Arabes de Rabat, (Bibliothéque Générale du Protectorat Français au Maroc), p. 127, 268.

« Un nouveau texte d'Histoire Mérinide : le Musnad d'Ibn Marzuk » , in Hespéris, 1925, 1 trimestre, p. 10-12.

** ** ** **

* — **Pérés, H. et Sempéré, A .**

Répertoire Analphabétique des auteurs publiés à Fes de 1126 H = 1714 à 1337 H = 1919 , P.4

Imprimerie Latypo-litho et Jules Garponel réunies, Alger .

ثانيا : أسرته

ينتمي أحمد بن القاضي إلى أسرة ابن أبي العافية ، الزناتية المكناسية ، نسبة إلى مكناسة القبيلة البربرية لا إلى مدينة مكناس ، ويقول في هذا الصدد ـــ أثناء ترجمة ابن عمه قاسم ـــ : « ...فمنهم ابن عمنا قاسم بن قاسم بن محمد بن محمد بن قاسم بن علي بن العافية ، الشهير بابن القاضي المكناسي ، نسبة إلى قبيلة مكناسة .

وأما مكناسة الزيتون فبشرذمة من أجدادنا سميت مكناسة ، من باب تسمية المحل بالحال ، لأنها لما أن نزله طائفة منا ، وهم من مكناسة ، سميت مكناسة ... »[10] . فهو

---

(10) أنظر **المنتقى** 790 .

وقد قامت بأدوار مهمة أيام الفتح الاسلامي والقرون الخمسة التي تليه . وقد انقسمت هذه القبيلة إلى عمارتين ظلت إحداهما مقيمة بمواطنها الأصلية قرب تازة ولا تزال بها إلى اليوم ، وانتقلت الأخرى إلى هضبة واقعة بغرب السايس وجنوب جبل زرهون فبنت بها قرى عديدة قريبة من بعضها سميت بمكناسة الزيتون وهي أصل مكناسة الحالية ، والمرابطون هم الذين جمعوا أشتات هذه القرى ومصروها وحصنوها وأنشأوا بها (تكرارت)أي مقر الحكومة بلغتهم ، ولما دخلها المهدي بن تومرت سنة 514 هـ صحبة تلميذه عبد المومن في طريق رجوعه من المشرق ونهى بها عن بعض المنكرات ثار إليه غوغاؤها وأشبعوه ضربا ، ثم افتتحها الموحدون سنة 545 هـ بعدما حاصرها عبد المومن بنفسه حصارا طويلا ، وعاملوا أهلها بشدة . ولكنها لم تلبث أن انتعشت وأصبحت مركزا تجاريا وفلاحيا مهما ، وبنى مسجدها الجامع وجلب إليها الماء من الخارج ، ثم تحضرت في عهد بني مرين ، ومن أشهر من اعتنى بها السلطان أبو يوسف بن عبد الحق الذي بنى بها قصبة ومسجدا، والسلطان أبو الحسن المريني الذي شيد بها أسواقا وحمامات وفنادق وسقايات وابنه أبو عنان الذي بنى مدرسة العطارين.

وقد عرفت مكناس عصرها الذهبي في عهد السلطان مولاي اسماعيل الذي اتخذها عاصمة ملكه وشيد بها القصور والمساجد والقلاع والمخازن وأدارها بأسوار يبلغ طولها 40 كلم، ويقال أنه حاول أن يضاهي بها مدينة فيرساي قرب باريس لما سمع بضخامتها وفخامتها وأناقتها، ولكن مكناس أخذت تفقد أهميتها السياسية بعده بسبب اتخاذ ابنائه وحفدته الملوك من بعده فاس أو مراكش عاصمة للمملكة. بيد أنها لم تفقد قط أهميتها الحربية والاقتصادية إذ هي الآن من أهم حواضر المغرب وأكثرها حركة وأكبرها سكانا. وقد انتشرت القبيلة خارج المغرب الأقصى، إذ توجد قبيلة منها تحمل نفس الاسم قرب مدينة عمي موسى بعمالة وهران، كما توجد أوزاعها وقبائلها الفرعية بسائر أقطار المغرب العربي، ودخلت منها فرق إلى الأندلس نبه منها بعض البيوت كبيت بني وانسوس رهط الوزير سليمان بن وانسوس.

هذا وقد ذكر القادري في **النشر**، 1 : 213، إنه رآى في بعض المقيدات نسبة ابن القاضي هكذا : الجالوتي.

أنظر :

ابن خلدون، **العبر**، 6 : 134.

ابن حزم، **جمهرة**، 2 : 495 ـــ 499

ابن غازي، مقدمة **الروض الهتون**.

ابن زيدان، مقدمة الجزء الأول من **الأتحاف**.

ابن منصور، **قبائل المغرب**، 1 : 312

ينحدر من موسى بن العافية المكناسي ، الذي حارب الأدارسة في مستهل القرن الرابع الهجري ، وأمعن في قتلهم وتشريدهم حتى كاد يفنيهم ، ويقول علي بن أبي زرع الفاسي في هذا الصدد : « ...واستولى ابن أبي العافية على جميع بلاد المغرب ، وبايعته القبائل والأشياخ ، فأجلى جميع الأدارسة عن بلادهم وأخرجهم من ديارهم ، وملك مدينة أصيلا ومدينة شالة وغيرهما من بلادهم وساروا بأجمعهم إلى قلعة حجر النسر مقهورين مغلوبين ، فانحصروا بها ، وهي حصن منيع بناه محمد بن ابراهيم بن محمد بن القاسم بن ادريس — رضي الله عنه — طلع في عنان السماء ، فنزل عليهم ابن أبي العافية واشتد عليهم الحصار ، وأراد استئصالهم وقطع دابرهم ، فعذله على ذلك رؤساء المغرب وأكابر أهل دولته ، وقالوا له : أتريد أن تقطع دابر أهل البيت من المغرب وتقتلهم أجمعين ، هذا شيء لا نوافقك عليه ولا نتركك له ، فاستحيا لذلك وارتحل إلى مدينة فاس وخلف عليهم قائده أبا الفتح التسولي في ألف فارس يمنعهم من التصرف ، وذلك في سنة سبع عشرة وثلاثمائة ... »(11) .

وقد أثار هذا العمل ابن القاضي حيث يقول :« ...ونسبتنا نحن إلى هذا الرجل أعني موسى بن أبي العافية ، والله أعلم ، لكن فعله الذي كان منه لأهل البيت لا أرضاه ، لأني يشهد الله علي وملائكته أني عبد أهل البيت ومن محبيهم — أماتني الله على حبهم في عافية آمين يا رب العالمين — » (12) . كما سبق أن أثار ابن السكاك حيث قال : « ...وكان موسى بن أبي العافية المكناسي ملك أكثر المغرب ، فضيق على الأدارسة ، وعزم على استيصالهم وإجلائهم إلى قلعة النسر ، فسلط الله عليه قواد الشماعين ، فلم يزل شريدا في الصحراء وأطراف البلاد إلى أن قتل ببعض بلاد ملوية ، وبقي لأولاده ملك بأجر سيف إلى أن قتل واستأصل الله شافتهم على يد الملك اللمتوني . فالحمد لله مهلك المجتري على حرمة أحفاد حبيبه —ﷺ القاطع لدابر ذريته . تعريف شريف : إني لمن هذا القبيل المكناسي غير أني سمعت بفعل هذا الملعون منهم في آل البيت رأيت هذا نقصا عظيما عاد على هذا القبيل بحيث وددت أن أكون من سواه من القبائل كائنا من كان ، ثم إني غلبت الرجاء وقلت لعلي من عرب حصين الواردين عليهم الداخلين عليهم في حلف أوجب انتسابا حتى غلبت النسبة المكناسية على الجميع ، وأكد عندي هذا التغليب صحة الخبر بأن أكثر المنتسبين إليه اليوم إنما هم حصين كما تقدم ... » (13) .

وقد ظلت هذه الاثارة سارية المفعول بعد وفاة ابن القاضي ، وهكذا فقد ذكر أحمد الحلبي

---

(11) روض القرطاس، 83 — 84.
(12) جذوة الاقتباس، 1 : 343
(13) نصح ملوك الاسلام، الطبعة الحجرية.

في كتابه **الدر النفيس ، والنور الأنيس ، في مناقب مولانا ادريس بن ادريس** [14] : (إن موسى بن أبي العافية المذكور استأصل شافة ذريته يوسف بن تاشفين اللمتوني وقطع نسله من المغرب ، ولم يبق أحد منهم) ، وقد اعتمد في تصريحه هذا على نص ابن السكاك السابق ، وعلى نص ابن أبي زرع الذي يقول : « ...فلم يزل ابن أبي العافية شريدا في الصحراء وأطراف البلاد التي بقيت بيده ، وذلك من مدينة كرسيف إلى مدينة نكور إلى أن قتل ببعض بلاد ملوية ، وذلك في سنة واحد وأربعين وثلاثمائة ، وقيل قتل سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ؛ قاله البرنسي . فولي بعده ولده عبد الله بن ابراهيم بن موسى بن أبي العافية إلى أن توفي في سنة ستين وثلاثمائة ، فولي بعده ولده محمد ، وعليه انقرضت أيام بني أبي العافية المكناسيين سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وذكر بعض المؤرخين لأيامهم أنه لما توفي محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن موسى بن أبي العافية ولي بعده القاسم بن محمد المحارب للمتونة ، فكانت بينه وبينهم حروب كثيرة إلى أن غلب عليه يوسف بن تاشفين فقتله واستأصل بلاده حتى قطع شافة ذرية موسى بن أبي العافية من المغرب ، وكانت أيامهم فيه من سنة خمس وثلاثمائة إلى سنة خمس وأربعين وأربعمائة ، فذلك مائة وأربعون سنة من أول دولة عبد الرحمان الناصر لدين الله إلى قيام لمتونة » [15] . وواضح أن قول الحلبي فيه كثير من المبالغة وهي مبالغة مقصودة [16] ، إذ يظهر أن المقصود هو قتل عدد كبير من آل ابن أبي العافية لا استئصالهم ، إذ يصعب القضاء على جميع النسل بعد نحو قرن ونصف ، خصوصا وأن آل ابن أبي العافية كانت لهم مجالات واسعة للانتشار في المغربين الأقصى والأوسط ، زيادة على بلاد الأندلس التي كانت تربطهم بعرشها روابط متينة .

---

(14) طبع على الحجر بفاس عام 1300 هـ /1314 هـ ومخطوطاته متعددة منها مخطوطات م.ع : 493، 649 د، 45 د. وم. م : 866، 1062.
وقد توفي الحلبي سنة 1120 هـ/1708.
أنظر ترجمته عند القادري، **نشر**، 2 : 130، **السلوة**، 2 : 164، **الاعلام** للمراكشي، 2 : 332 — 352، عدد 250، م. راغب ابطباخ، **تاريخ حلب**، 4 : 429، عبد العزيز بنعبد الله، **الموسوعة المغربية**، 3 : 104، René BASSET, Recherches, p. 28.

(15) أنظر **روض القرطاس**، 86.
ملاحظة : قوله : قاله البرنسي :
ذكر ماسينيون في كتابه **السنوات الأولى من القرن السادس عشر**، ص 224 رقم 239، أن هناك نسخة مخطوطة من كتاب أحمد البرنسي موجودة بالخزانة الوطنية بباريس، قسم المخطوطات العربية رقم 1892. وأشار إلى أن BASSET ذكر أن المخطوط هو عبارة عن نسخة ناقصة لما نقله صاحب **روض القرطاس**.
كما ذكره الأستاذ عبد السلام بن سودة في **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، 1 : 134 رقم 473، بما يأتي : « **تاريخ البرنسي** في دولة الأدارسة، ينقل عنه صاحب **القرطاس** ولعله محمد بن حمادة ».

(16) سندرس هذه النقطة عندما نعقد مقارنة بين ابن القاضي وابن السكاك في نقطة تالية.

وقد ذهب الحلبي بعيدا حينما قال في نفس الكتاب : « ...وما قيل من أن أولاد ابن القاضي منهم (أي من ذرية موسى بن أبي العافية) لا يصح ، ولم يثبت ، فهو دعوى كاذبة ، والذي صح عندي عن بعض الأخيار أنهم من برابرة تازة ... » . وهذا قول مرفوض أساسا لأن ابن القاضي أكد بنفسه في النص السابق أنه ينتمي إلى موسى بن أبي العافية. ولم ينته الأمر عند الحلبي بل ظل الأمر مستنكرا من طرف الشرفاء إلى وقتنا هذا ، ولننظر إلى أحد شرفاء جبل العلم وهو يستعرض أعمال موسى بن أبي العافية في فقرة عنونها بعنوان يحمل أكثر من دلالة ، وهو : موسى بن أبي العافية عدو الأدارسة : « من هو هذا الطاغية العتيد ؟ واللدود الحسود الذي لقي جزاء فعله بموته شريدا طريدا عن ملك المغرب بوادي ملوية ، بعد انتقامه من أهل البيت الكرام ، لم يمكث بعد محنتهم على ولاية المغرب إلا 11 سنة كلها حرب عليه حتى قتل بعد رجوعه من الصحراء بوادي ملوية شريدا طريدا حقيرا ذليلا بعد العز والسلطان ، هذا هو موسى بن أبي العافية بن أبي تاسل بن أبي الضحاك المجدولي المكناسي التسولي ، وفي سنة 313 هـ تم استيلاؤه على فاس وأخذ البيعة لنفسه ، فبايعته القبائل والأشياخ ، ولم يكن مستقلا بنفسه بل كان داعيا عميلا لاسياده مصالة ولي نعمته وعبيد الله الشيعي أمير القيروان وحاضرته المهدية التونسية ، وسماها المهدية لادعائه أنه المهدي الفاطمي المنتظر ، وكان هدفه توحيد المغرب مع افريقيا لان المغرب في عصر الأدارسة لم يكن تابعا لأحد من الشرق والغرب بل كان مستقلا بنفوذه إلى عهد يحيى بن ادريس المتقدم ، فبعث عبيد الله الشيعي قائده مصالة بن حبوس المكناسي في تحقيق مراده ، وبعد سقوط يحيى جمع الأمر لابن عمه وتركه في يد موسى بن أبي العافية ، وبعد أن تمكن من النفوذ شرع في تصفية الادارسة من المغرب فجعل يطاردهم ويقتلهم ويخرجهم من ديارهم في جميع نواحي المغرب وخصوصا مدينة فاس وشالة وأصيلا والبصرة ، ولما اشتد الخناق عليهم والجيش يطاردهم من ورائهم ويقتلهم لجأوا بأجمعهم إلى قلعة حجر النسر...ثم نزل عليهم وحاصرهم بها كي يستأصلهم من المغرب ، وبعد أن اشتد الحصار عليهم وضاق بهم الأمر الى أن يئسوا من الحياة، وقد كان ذلك على مرآى ومسمع من بني أخوالهم البرابرة ، فرقوا لهم وأشفقوا عليهم ، وكان إلى بعضهم الكلمة والرأي في سياسة المغرب مع ابن أبي العافية ، فعذلوه على سوء فعله ، وقبح نيته معهم ، وقالوا له : أتريد أن تقطع دابر أهل البيت من المغرب وتقتلهم أجمعين ؟ فهذا أمر لا نوافقك عليه ولا نتركك له ، فخاف وارتحل عنهم إلى مدينة فاس ... »[17]. ويقول في آخر هذه الفقرة :...« وبذلك انتهى أمر طاغية أهل البيت الادريسي بعد أن مر عليهم معه ما يقرب من 20 سنة ، ذاقوا فيها أعظم بلاء من القتل والتعذيب ، والنفي والتشريد ، والجوع

(17) الطاهر بن عبد السلام اللهيوي الوهاب العلمي الحسني، **حصن السلام بين يدي أولاد مولاي عبد السلام**، ص 281.

والتقييد ، وكانت نيته في التصفية النهائية تهدف إلى الابادة الكلية ، لولا العقلاء من وجوه رجاله ، الذين تداركوا الأمر فوقفوا في وجهه ، ومنعوه من تنفيذ مراده ، في أهل البيت النبوي الشريف ، وإليهم يرجع الفضل في بقاء هذه الذرية الطاهرة المباركة في المغرب إلى اليوم ، والحمد لله على فضله وإحسانه »[18] .

غير أنه إن كان الأمر بالنسبة للاستاذ الطاهر بن عبد السلام العلمي واضحا فإن الأمر ليس كذلك بالنسبة لابن القاضي ولابن السكاك مما يستدعينا إلقاء الضوء على موقفيهما وحقيقة دفاعهما عن الاشراف .

بين ابن السكاك وابن القاضي :

يمكننا أن نقارن بين الرجلين من خلال النصين اللذين تعرضنا لهما سابقا، خاصة وأنه تأكد لنا أن ابن القاضي يعرف الرجل جيدا كما يعرف كتابه ، إذ قال في ترجمته : « محمد بن أبي غالب بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي المكناسي ثم العياضي القاضي الامام المفسر المعروف بابن السكاك ، قاضي الجماعة بفاس ، من تصانيفه نصح ملوك الاسلام ، بالتعريف لما يجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام . توفي بفاس سنة ثماني عشر وثمانمائة »[19] .

ولنركز منذ البداية على نقطة أساسية وهي ان استنكار الرجلين لعمل موسى بن أبي العافية وفي فترة معينة بالضبط لم تكن تحركه نفس الدوافع، فالظروف والملابسات التي ألف فيها ابن السكاك كتابه ليست هي نفس ظروف ابن القاضي رغم التقائها معا في نفس الهدف .
ولنبدأ بابن السكاك لنجد أن الكتاب يدخل في إطار التجربة الطويلة والمعقدة التي خاضها المرينيون مع سائر أشراف المغرب في عصرهم ، وهي تجربة انتهت في المدى القريب بوصول الأدارسة إلى الحكم لمدة قصيرة سنة 1465/869 [20] ثم آلت في المدى البعيد إلى استقرار الحكم في أشراف الجنوب بفضل معطيات داخلية وخارجية في كلتا الحالتين .

---

(18) نفس المصدر، ص 283.
(19) انظر **الجذوة**، 1 : 238، **لقط**، 239، **درة**، 2 : 284 عدد 800.
وانظر تحليلا لكتاب ابن السكاك عند :
—Mohamed BENCHEKROUN, la vie intellectuelle, PP. 368-372.
ملاحظة :
هناك من النصح : **المختصر والأوسط والكبير**، أما **المختصر** فمخطوطاته متعددة وقد طبع على الحجر بفاس، وتوجد نسخة من **الأوسط** بالمكتبة الملكية بالرباط عدد 1256 ك، ويعد **الكبير** — حاليا — مفقودا.

نعم ، كان « الشرفاء معظمين بفاس أكثر من غيرها من البلدان » على حد تعبير ابن السكاك نفسه ، لكن حدث وضع طارىء أدى بهم إلى فقد كثير من امتيازاتهم ، والكتاب كان لاثارة الانتباه إلى هذا الوضع الطارىء ، وهذا بطلب من الشرفاء أنفسهم ، وهكذا يقول في المقدمة : « ...وبعد فإن بعض آل البيت الكريم ممن قطع باتصال نسبه إلى سيدي ولد آدم ﷺ أمرني ، وامتثال أمره لوسيلته واجب ، أن أملي في نصح ملوك المسلمين مختصرا يعم نفعا بفضل الله ، وتشمل فائدته ببركة رسول الله ﷺ » .

فالنص ، إذن ، واضح ويطرح قضايا معينة منذ البداية .

1 ـــ قوله : « فإن بعض آل البيت الكريم ممن قطع باتصال نسبه إلى سيدي ولد آدم ﷺ » يدل على أنه يوجد (ممن لم يقطع باتصال نسبه إلى الرسول ﷺ) وبالتالي أصبح من الضروري التمييز بين الطائفتين ، خاصة وأن تكاثر المدعين للشرف طرح مسألة الشك بالنسبة للسلطة والعامة معا .

2 ـــ الحاح الشرفاء : (أمرني ، وامتثال أمره لوسيلته واجب ، أن أملي في نصح ملوك المسلمين مختصرا ...) ، وتأكيد ابن السكاك على أنه سيقوم بهذا العمل بالفعل يدل على أن الأمر لم يعد يحتمل بالنسبة للشرفاء .

3 ـــ إن اختيار الشرفاء لابن السكاك لم يكن عفويا بل لخصائص معينة تميزه عن غيره ، فقد اشتهر بالزهد والورع وألف في الذكر والتصوف ، فهو اختيار ، إذن ، يحمل دلالات عميقة .

وبالفعل ، فإن الأشراف ، بصفة عامة ، إلى غاية عصر أبي سعيد المريني ، كان لهم وزن كبير على الصعيدين الرسمي والشعبي ، بحيث أصبحوا « منظمين » تنظيما داخليا اقليميا يشرف عليه المزوار بفاس كما يشرف عليه رؤساء مقربون معترف بهم في الشمال والجنوب . كان هذا التنظيم يقوم أساسا على الامتيازات المادية والاعفاءات الجبائية . إلا أنه لم يكن يخلو أيضا من

---

(20) نشرت أخيرا دراسة نقدية هامة حول مختلف المصادر المتعلقة بهذه الحركة،
أنظر :

— Mercedes Garcia-Arenal : The revolution of fas in 869/1465 and of Sultan Abd-al-Haqq al Marrini, in bulletin of the school of Oriental and African Studies, Vol.XLI, part 1, 1978, PP. 43-66.

أسس معنوية . وأكثر المجموعات استفادة من هذه الامتيازات المعنوية مجموعة أدارسة فاس والجوطيين العمرانيين منهم خاصة حسب ما وصلنا . ذلك أن الأدارسة قد أصبح لهم شبه استقلال مدني قضائي معترف به هو أيضا منذ منتصف القرن الرابع عشر فيما يبدو : فمن حق النقيب ومن واجبه أن يحمي الأدارسة حتى « لا يدخل فيهم من ليس منهم أو يخرج عنهم »وله أيضا وقبل كل شيء أن « ينظر في أمورهم وكافة شؤونهم » وأن « يفصل بينهم في الخصومات »(21) .وهكذا فإن مجموعات الأشراف الموزعة التي لم تكن تتمتع في نهاية القرن الثالث عشر إلا بوجود غامض على الصعيد العاطفي قد أصبحت تكون في منتصف القرن التالي فئة اجتماعية أو « عصبية — دينية — اجتماعية » توحد بينها المصالح والمكتسبات المادية والمعنوية وتدين للحكم المريني المتوثب المتطلع بسائر امتيازاتها المادية وببعض امتيازاتها المعنوية أيضا ، ومعلوم أن هذه الفئة لم تكن لتستفيد من الحكم دون أن يستفيد الحكم بدوره منها ، فيجعلها تزكية بحكم ظروفها المادية والاجتماعية كما يجعلها مؤهلة لتزكي استمراريته ومشروعيته .

لكن مع نهاية النصف الثاني للقرن الرابع عشر ، وبداية القرن الخامس عشر ظهرت علامات تنذر بتغييرات لغير صالحها ، ويبدو أن السلطان أبا سعيد الثالث (800 — 1398/823 — 1420) قد شمر على ساعد الجد منذ مطلع عهده للاضطلاع بمهمة تعديل سياسة أجداده إزاء الأشراف ، فبدأ بإزالة مراسيم الاحتفال بعيد المولد النبوي على الصعيد الرسمي كما يفهم من سياق ما أورده الوزان في معرض حديثه عن الأمداح النبوية (22) ، والراجح أيضا أنه ضيق على هذه الفئة كلها من الناحية المادية ولم يراع امتيازاتها كما كان يفعل أغلبية ملوك المرينيين ، والغالب أيضا أنه أصبح يتذرع لسلوكه بذريعة الشك في الشرف ونسب الشرفاء جميعا وبدون استثناء . وكيفما كان الأمر ، فمن الجائز جدا أن يكون أبو سعيد قد تبنى نظرية « ضعف الشرف » ليبرر سياسة لم يكن له في الواقع عنها من محيد : فالدولة المرينية لم تعد تفكر في الخلافة ولا في الزعامة الاسلامية بجد منذ وفاة أبي عنان ، فما الداعي إذن للتشبث ببعض جوانب سياسة هذا السلطان ؟ والبلاد نفسها أصبحت مقسمة إلى جنوب خارج عن السلطة المركزية وشمال تهدد شواطئه الأطماع البرتغالية بينما تقتسم أراضيه الداخلية أهواء الزعماء والثوار . فالحد من النفقات أصبح يفرض نفسه نظرا للحصار الاقتصادي القائم على الشواطيء وضعف المداخيل بحكم ضعف السلطة وكثرة المستفدين . وأي خطر يتمثل في الاحتفاظ لبيت المال بما

---

(21) الجزنائي، **زهرة الآس**، 30، ابن السكاك، **نصح**، ص 18 — 19. ويمكن المقارنة بين صلاحيات مزوار الادارسة بفاس كما أوردها الجزنائي وبين صلاحيات نقيب الطالبيين ونقيب العباسيين كما وصفها في القرن الخامس / الحادي عشر في **أحكامه السلطانية**، فسوف يلاحظ أن أوجه الشبه كثيرة جدا.
انظر الماوردي : كتاب **الأحكام السلطانية**، ص 82 — 86.

(22) Léon l'Africain, Description, 1 : 216.

كان موقوفا حتى الآن أو قبل الآن على فئة أثبتت التجربة عدم خطورتها وقلة فعاليتها وأخذ كبرائها بمبدأ الحياد والهدنة ؟

وهكذا نخلص ،إذن ، في النهاية إلى أن ابن السكاك في كتابه هذا يحذر وينبه السلطان بصفة غير مباشرة — إلى أن جميع التجارب التي تحاول تهميش هذه الفئة وتجريدها من امتيازاتها يكون مآلها الفشل ، وسرد أمثلة عديدة لذلك ، أبرزها مثال موسى بن أبي العافية مع الأدارسة ، وهو بالتالي يتخذ نقد الماضي ستارا لنقد الحاضر .

أما ابن القاضي وإن كان يلتقي مع ابن السكاك في استنكاره لعمل موسى بن أبي العافية من أجل تأدية نفس الغرض ، فإن الظروف والملابسات التي أحاطت بكتابة كلا النصين تختلف تماما ، فما قلناه بالنسبة لابن السكاك لا يمكن أن ينطبق إلا جزئيا بالنسبة لابن القاضي(23) ، فابن القاضي كتب نصه والاشراف بالفعل في السلطة ، ولا ينازعهم في ذلك أحد ، بل كانوا يتطلعون إلى بسط زعامتهم على العالم الاسلامي عن طريق الخلافة ، وابن السكاك كان ينتمي إلى نفس القبيلة التي ينتمي إليها المرينيون (قبيلة زناتة) ، وهو بالتالي كان يرى نفسه في صف واحد معهم ، فهو يقدم « النصح » إليهم لأجل العمل معا على حماية الأشراف ، في حين أن ابن القاضي لم يكن يرى نفسه إلا مجرد « خديم » للأشراف فهو لا يقدم نصحا ، ولكن يكتفي فقط بإظهار الطاعة والاخلاص لهم .

وعلى كل فالنص يدعونا لتقديم الملاحظتين التاليتين :

1 — إن ابن القاضي لم يتبرأ من قبيلته كما فعل ابن السكاك ، بل حاول التخلص من هذه القضية بسهولة عندما استخدم لفظة : « والله أعلم » ، وهي توحي بما توحي به .

2 — أدمج المؤلف هذا النص في كتابه **جذوة الاقتباس ، في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس** ،وفي تقديرنا فإن هذا الادماج لم يكن تلقائيا ولا عفويا ، وذلك بناء على معطيات تاريخية محددة تمكننا من إعطاء نظرة تركيبية عن هذه النقطة . وهكذا نستطيع أن نطرح

---

(23) من الجزئيات التي يتطابق فيها عصر ابن السكاك مع عصر ابن القاضي مناقشة مسألة الشرف، وهكذا فقد نوقشت في عصر المنصور صحة نسبة بعض الأسر القادرية بفاس والوافدة عليها من غرناطة، وكان القاضي علي بن عمران يخالف رأي الشيخ الامام القصار والقاضي الحميدي بحيث كان يطعن في أدلة نسبهم إلى الشيخ عبد القادر الجيلالي.
أنظر :
ع. الرحمان الفاسي ، **ابتهاج القلوب** ، مخطوط م.م عدد 2627 ، ورقة 276 .
م . القادري ، **التقاط الدرر** ، القسم الأول ، ص 38 رقم 75 .

التساؤلات الآتية :

لماذا تخصيص مدينة فاس في هذا الوقت بالضبط بكتاب ، واهداؤه للمنصور ؟

— لماذا إدماج نص مثل هذا داخله ؟

— هل حدث ما استوجب ذلك ؟ أم انه من قبيل الاعتزاز بالموطن كما فعل غيره ، خاصة ونحن نعرف أن ابن القاضي لم يكن أول ولا آخر من ألف في مدينة فاس ؟ بالنسبة للشق الثاني من التساؤل الأخير فإننا نستبعده ، لاننا نعتقد أن الأمر لا يتعلق بنزوة شخصية بقدرما يتعلق بشروط موضوعية جعلت الرجل يتجرد للدفاع عن مدينة فاس ، وهو من خلال ذلك — بالطبع — يدافع عن نفسه ، ونوضح ذلك في التحليل التالي :

لقد ظلت فاس منذ أواخر العصر المريني ، بل وقبله بقليل ، تعرف نوعا من التدهور إلى أن وصلت إلى حد معين في عهد المنصور ، وابن القاضي (الفاسي الدار) لم تكن — بطبيعة الحال — تروق له هذه الوضعية ، ولكنه كان — أيضا — يدرك عدة حقائق كان لابد له من تقديم أوراقه للتخفيف من حدتها ، ويمكن تقسيم هذه الحقائق إلى صنفين : صنف شخصي يتعلق به هو ، وصنف عام يتعلق بالمدينة ككل .

— الصنف الشخصي : ويرتكز على نقطتين :

1 — كان ابن القاضي يدرك جيدا أنه ينتمي إلى قبيلة زناتة ، أي نفس قبيلة الدولة المرينية ، العدوة اللدودة للدولة السعدية .

2 — كان يعلم — أيضا — مدى التأثير الذي تركه عمل موسى بن أبي العافية في نفوس الأشراف والعامة إلى غاية عصر المنصور . أما الصنف العام — وهو المهم — فهو يرتكز على جملة معطيات تحدد في مجموعها العلاقة التي كانت سائدة بين المنصور ومدينة فاس ، وهي علاقة تظل رهينة ظروف تاريخية معينة ، حتى أن الأفراني يذكر أن المنصور لم يزر فاس إلا مرتين(24) .

وعلى كل فابن القاضي يريد أن يدافع عن فاس من واجهتين : واجهة سياسية وواجهة علمية .

1 — **الواجهة السياسية** : حاول المؤلف جهده لابراز إخلاص المدينة للمنصور ، ومحاولة إزالة الضباب الكثيف الذي خيم على علاقة السعديين بها ، وذلك من خلال سلسلة التراجم

(24) النزهة ، 120 .

التي عقدها لعلمائها وصلحائها .

فلا ننسى أن المدينة حاربتهم طويلا قبل استسلامها ، وانهم فقدوا عددا من الجنود في المعارك التي خاضوها ضدها ، كما لا ننسى أن محمد الشيخ ــ المؤسس الحقيقي للدولة ــ فتح فاس مرتين ، وأنه قتل أشهر علمائها (الزقاق ، حرزوز ، الونشريسي) . وقد اعتبرهم ابن عسكر « شهداء »(25) .

وهكذا فقد كان السعديون دائما ينتهجون تجاه فاس سياسة الحذر ، واهتمام السعديين بالعمران العسكري بالمدينة أكثره من غيره يدخل في نطاق هذه السياسة ، إذ أن المؤسسات العسكرية كثيرة بالمقارنة إلى ما شيدته الدولة من مؤسسات اجتماعية واقتصادية ، كما نلاحظ في هذا المجال أيضا أن ما قاله الشعراء المعاصرون في شأن تضخيم المنجزات السعدية بفاس يجب دائما أخذه بعين الحيطة والحذر ، فما بناه السعديون من قناطر وسدود وغير ذلك قليل جدا إذا ما قورن بما أنشأته الدولة المرينية . وقد حاول الفاسيون أن يقوموا بنوع من التجاوز للسلطة عندما عوضوا ذلك النقص بما شيدوه من مؤسسات للتأكيد على أن الفاسيين يستطيعون الكثير حتى بدون مساعدة السلطة المركزية .

إننا لا نقصد بهذا أن المنصور أهمل فاسا تماما أو كان ينقص من قيمتها ، بل على العكس من ذلك كان يدرك بالفعل قيمتها وخطورتها ، فقد كان يعلم جيدا دور جامع القرويين وقوة مركزه فأبدى مزيدا من الاهتمام به لا سيما وهو يعلم تصرف أبيه تجاه أحد علمائه (الونشريسي قتل أمام أبواب القرويين) ، ولكن هذا أيضا يدخل في إطار السياسة السالفة الذكر ، فقد كان يرمي إلى تأطير المدينة بمجموعة من العلماء والشيوخ التي من الممكن أن تكون سندا له .

وقد كان ابن القاضي أحد هؤلاء العلماء فحاول أن يبرز إخلاص العلماء له ومن خلالهم إخلاص عامة فاس واعتزازهم بأسرته الشريفة ، ولكنه حاول في نفس الوقت أن يثبت أن المدينة مدينة علم ، وأن المغرب كان يتقرر مصيره من خلال هذه المدينة عندما كانت عاصمة لبني مرين ، وإنما وجدت بهذا الشكل نتيجة ظروف طارئة ، وذلك ما سنحاول أن نوضحه من خلال الواجهة الثانية وهي الواجهة العلمية .

2 ــ الواجهة العلمية :

نلاحظ في المنتقى أن ابن القاضي يعرض عن مدينة فاس في مناسبات كثيرة ، وعندما يذكرها فإنه يردفها بعبارة : « عمرها الله » . ورغم أنه يبدو لأول وهلة أن الدعاء عادي ولا يحتاج

(25) أنظر الدوحة ، 52 ، 55 .

إلى تأويل ، فإننا نعتقد مع ذلك أنه مقصود ويحمل دلالات عميقة ، خاصة إذا ما قارناه بالدعاء الذي يردفه بالنسبة لمدينة مراكش عندما يقول :« حرسها الله » .

فقد كانت فاس بالفعل في حاجة إلى من « يعمرها » خاصة إذ علمنا أن بلاط أحمد المنصور بمراكش وذهبه الوهاج كانا يستهويان الأفئدة ، فغدت العاصمة السعدية بذلك مقصد العلماء والادباء يشدون إليها الرحال من المغرب والمشرق ، مما أثر سلبيا على المدينة الفاسية ، وتجلت هذه السلبية بالخصوص في قلة عدد المدرسين بفاس بالنسبة لما كانوا عليه في المرحلة السابقة ، ذلك أن طائفة من العلماء هجروا مدينتهم نهائيا للتدريس في مساجد مراكش أو للعمل في مقاصير قصر البديع ، وطائفة أخرى ألفوا الرحلة إلى الجنوب ملتقى العلماء ومفرق الأرزاق والوظائف. ونورد هنا نصا لعالم بارز كان له وزنه في الوسط العلمي آنذاك ، وقد أبدى رأيه بمناسبة استعراض رأي عالم آخر لا يقل قيمة عنه ، وهو : محمد بن ابراهيم بن أحمد الآبلي المتوفى سنة 757 هـ بفاس[26] ، وهكذا ينقل أحمد بابا عن المقري الجد قول الآبلي : « إنما أفسد العلم كثرة التواليف ، وإنما أذهبه بنيان المدارس ، وكان ينتصف له من المؤلفين والبانين وإنه لكما قال ، غير أن في شرح ذلك طولا ، وذلك أن التأليف نسخ الرحلة التي هي أصل جمع العلم ، فكان الرجل ينفق فيها مالا كثيرا ، وقد لا يحصل له من العلم إلا النزر اليسير ، لأن عنايته على قدر مشقته في طلبه ، ثم صار يشتري أكبر ديوان بأبخس ثمن ، فلا يقع منه أكثر من موقع ما عرض عنه ، فلم يزل الأمر كذلك حتى نسي الأول بالآخر ، وأفضى الأمر إلى ما يسخر منه الساخر ، وأما البناء فلأنه يجذب الطلبة لما فيه من مرتب الجرايات ، فيقبل بها على ما يعينه أهل الرياسة للاجراء والاقراء منهم أو ممن يرضى لنفسه الدخول في حكمهم ، ويصرفونها عن أهل العلم حقيقة الذين لا يدعون إلى ذلك ، وإن دعوا لم يجيبوا ، وإن أجابوا لم يوفوا لهم بما يطلبون من غيرهم » [27] ، ثم يخلص المؤرخ السوداني إلى ابداء رأيه قائلا : « قلت : ولعمري لقد صدق في ذلك وبر ، فلقد أدى ذلك لذهاب العلم بهذه المدن الغربية التي هي من بلاد العلم من قديم الزمان كفاس وغيرها ، حتى صار يتعاطى الاقراء على كراسيها من لا يعرف الرسالة أصلا فضلا عن غيرها ، بل من لم يفتح كتابا للقراءة قط ، فصار ذلك ضحكة ، وسبب ذلك أنها صارت بالتوارث والرئاسات — أعاذنا الله — حتى خلت هذه الساعة عمن يعتمد عليه في علمه مصداق قوله ما ورد في ذلك »[28] فالنص خطير ، إذن ، ويبرز إلى أي حد وصلت

---

(26) ويكفي أن نذكر أيضا من بين تلامذته : ابن خلدون والمقري الجد . أنظر ترجمته عن أ. بن القاضي ، **لقط** ، 208 ، **جذوة** ، 1 : 231 رقم 202 ، **درة** ، 2 : 265 رقم 765 ، أ. المقري ، **نفح** ، 5 : 244 — 248 .

(27) أنظر **نيل الابتهاج** ، ص : 246 ، أ . المقري ، **نفح** ، 5 : 275 — 276 .

(28) أنظر **نيل الابتهاج** ، ص : 246 — 247 .

الحالة الفكرية بمدينة فاس ، وأحمد بابا يثير انتباهنا ليس فقط إلى الفراغ الذي كانت تعيش فيه مدينة فاس نتيجة ما حل بها ، بل إلى انعدام القدرة العلمية لكثير من علمائها ، ولكننا لا نميل إلى تأييد رأيه فيما ذهب إليه من أن السبب هو : (التوارث والرئاسات) باعتباره عاملا وحيدا ، بل نميل إلى الاعتقاد بأن هناك عاملا آخر على الاقل لعب دوره في هذه الفترة ألا وهو هجرة العلماء وبشكل كبير إلى مراكش ومنها إلى مختلف المدن المغربية كما قلنا ذلك سابقا .

نلخص من كل هذا في الأخير إلى أن نص الاستنكار كتب قصدا في **الجذوة** ، وأن هذه الأخيرة كتبت لظروف معينة ، فهي تذكير للسلطان بأنها المدينة التي نشأ فيها ودرس على علمائها ، وبأنها مدينة العلماء والصلحاء ، وأن مكانتها يجب أن تعود لها وذلك بإزالة عوامل الظروف الطارئة التي تسببت في وضعيتها .

هذا ، إذن ، ما أردنا أن نقوله عن انتساب أسرة ابن القاضي إلى موسى بن أبي العافية وأثر ذلك على الصعيدين الشخصي والرسمي ، غير أن الصورة لن تكتمل عن هذه الأسرة إلا إذا استعرضنا الجذور المجتمعية لها ، لوضعها في إطار النسق المجتمعي الذي كان المغرب يعرفه آنذاك .

* * *

الجذور المجتمعية لأسرة ابن القاضي :

إن الأصل الارستقراطي للاسرة واضح جدا ، وذلك منذ استقرارها بمدينة مكناس ، يقول ابن غازي في هذا الصدد ـــ أثناء استعراضه لشيوخ مدينة مكناس ـــ : « ومنهم شيخ شيوخنا الفقيه الخير الناصح : أبو عبد الله محمد بن العافية المعروف بالأحول ، كان عيبة نصح لشيخنا القوري ، انتفع به كثيرا ، وله موضوع في المسائل الواقعة في المدونة في غير مواضعها ، وقد كان أبوه : أبو العباس أحمد قاضيا بالمدينة المذكورة ، فلما عرضت عليه الخطة بعد أبيه زهد فيها وهو أخو أبي العز ويحيى المذكورين فوق هذا »(29) ، ويقول ابن القاضي في هذا الصدد أيضا : « ...وخطة القضاء كان في أسلافنا منذ القديم إلى دولة الوطاسيين من بني مرين ، وأما في دولة سادتنا الشرفاء فإن أول من ولي ذلك في دولتهم السعيدة من بني العافية في أيام مولانا ـــ أبقى الله وجوده وأدام سعوده بمحمد وآله ـــ »(30) ، وهكذا فقد تسلسل القضاء في هذه الأسرة لمدة

(29) الروض المتون، ص 25.
(30) أنظر المنتقى، 710.

طويلة حتى التصقت بها تسمية (ابن القاضي) ، والقاضي المقصود هنا هو القاضي أبو العز ، وفيه يقول كتاب **بيوتات فاس الكبرى** : « ...ومنهم بيت بني أبي العافية المكناسيين من البربر ، وقد شهروا لهذا العهد ببني القاضي لكون جدهم أبي العز ابن أبي العافية كان قاضيا بمكناسة ، وفيهم عدة فقهاء »(31) . وترتبط شخصية أبي العز هذا بحدث آخر مهم بالنسبة للأسرة وهو انتقالها من مكناس إلى فاس ، فيذكر إبن عيشون الشراط في هذا الصدد أن آمنة بنت القاضي السالف الذكر كانت تهيم بخدمة الشيخ الشهير أبي الحسن علي بن أحمد الدوار الصنهاجي (32) وتأبى إلا أن تلازمه ، وقد حاول أهلها بكل الوسائل لكفها عن ذلك ، لكن دون جدوى ، ثم زاد المؤرخ ابن عيشون الشراط قائلا : « ...وما جاء بأولاد ابن القاضي كلهم من مدينة مكناس إلا من أجلها ... »(33). وعملية الانتقال هاته سيكون لها تأثير كبير في شخصية مؤرخنا ، وسنتناول ذلك عندما نتناول الجانب الصوفي من هذه الشخصية .

وعلى كل ، فقد انتقلت الاسرة إلى فاس وسكنت بحي « سبع لويات »(34) ، وهو اختيار يحمل أكثر من معنى، ويؤكد ما قلناه عن الاصل الارستقراطي للاسرة ، ذلك أن التوزيع التسكاني بفاس كان مرتبطا بوجود تفاوت اجتماعي بين السكان ، فالفئة الغنية والعلماء والموظفون وكل العناصر المقربة إلى الجهاز الحاكم كانت تتمتع بنوع من الحصانة ، وكانت تنزع باستمرار إلى سكنى الأحياء الأقل إزدحاما وكثافة مثل حي« سبع لويات » حول القرويين ، وكذلك « الدوح » الذي كان يسكنه الموظفون مثل القضاة ، فهؤلاء هم الذين كانوا يكونون الفئة الارستقراطية بالمدينة في ذلك العصر ، وأما العناصر الأخرى فظلت في المناطق الحرفية القريبة منها .

وقد استمدت هذه الأسرة ارستقراطيتها من عناصر عدة أهمها : الجاه والمال والمنصب ، وهذا ما يستنتج من المصادر التي أرخت لها ، فيذكر سليمان الحوات في هذا الصدد في ترجمة مؤرخنا أحمد بن القاضي ـــ : « هو من بيت عريق في الحضارة ، بل ليس في بطون زناتة في المغرب : فاس ومكناس وغيرهما ، مثل أولاد ابن القاضي من بني موسى بن أبي العافية في تقدم

---

(31) أنظر **بيوتات فاس الكبرى** ، ص 69 رقم 77 .
أما أبو العز هذا فهو أحمد بن علي بن عبد الرحمان ، تلميذ ابن غازي ، وجد مؤرخنا أحمد بن القاضي ، وتوفي بمدينة فاس سنة 955 هـ .
أنظر ترجمته عند أ. بن القاضي ، **درة** ، 1 : 106 ، رقم 147 ،
جذوة 1 : 158 رقم 147، **لقط**، 301.
(32) أنظر ترجمته عند م. بن عسكر ، **دوحة** ، 81 رقم 66 .
(33) أنظر **الروض المعطار** ،ورقة 25 .
(34) أنظر عبد الله الفاسي ، الاعلام بمن غبر ، ص 366 .

الرياسة وتعدد الأئمة الاعلام ، وتنوع الخطط واَلتمكن في العروة إلى قرب هذا العهد ... »[35]، وقال في مصدر آخر : « هو من أولاد ابن القاضي الزناتيين المكناسيين ، وبيتهم بيت كبير في العلم والحسب ... »[36] ، وقال ابن أبي محلي في نفس الموضوع :« وأولاد ابن القاضي هؤلاء بيتهم بحضرة فاس مشهور ، بيت علم »[37] ، وعلينا أن نؤكد هنا أن عناصر الأرستقراطية التي ذكرناها بالنسبة لهذه الأسرة لم تكن هامشية بالنسبة لمؤرخنا ، بل هي التي ستتحكم في مسار حياته .

وقد رآى النور صاحب **المنتقى** وسط هذه الأسرة في جمادى الأولى سنة ستين وتسعمائة [38] بعد أربع سنوات فقط مرت على انهيار دولة بني وطاس، وما صاحب هذا الانهيار من أحداث ذهب ضحيتها عدد من علماء فاس، وانتهت بالقضاء على انتفاضة أبي حسون الوطاسي، واستيلاء محمد الشيخ على فاس [39] .

غير أنه بالرغم من توتر الأوضاع الداخلية بمدينة فاس وركود الحركة العلمية بها ، نتيجة الصراع الدامي بين السعديين والوطاسيين ، فإن المدينة — مع ذلك — ظلت تحتفظ بنوع من الحيوية العلمية التي تمكنها من استقطاب عدد من الطلاب المغاربة والجزائريين والتونسيين والأندلسيين ، فوجدوا في مدارسها وأحباسها وخزائنها العلمية — وكانت لا تزال ماثلة منذ العصر المريني — ما أعانهم على التحصيل وتوسيع أفق الدراسة والمعرفة .

وقد كان ابن القاضي من بين هؤلاء الذين استقطبوا وانكبوا على التحصيل لتكوين أنفسهم ، فكيف إذن تم هذا التكوين ؟

---

(35) أنظر **الروضة المقصودة** ، 13 .
(36) أنظر **البدور الضاوية** ، ص 67 .
(37) أنظر **الاصليت** ، ورقة 59 ظ .
(38) أنظر **المنتقى**، 790.
ملاحظة :
يؤكد ابن القاضي في كل مصادره على أنه ولد سنة 960 هـ ، كما يؤكد ذلك معاصروه أو الذين أتوا بعده ، لكن نلاحظ انفراد النسخة المطبوعة من **اللقط** بسنة 962 هـ (ص : 305) ، ونعتقد أن هذا تحريف واضح من الناسخ ، وأن هذه الترجمة وضعت في غير مكانها ، وقد أحسن صنعا أستاذنا الدكتور محمد حجي عندما وضع الترجمة بين قوسين ، كما أكد في الهامش أن هذه الترجمة لا توجد في مخطوطتي م.ع بالرباط وفاس ، فالصواب هنا إذن مع نسختي م.و.ع .
(39) كما صادفت هذه السنة أيضا (سنة 956 هـ) ميلاد السلطان أحمد المنصور بفاس بعد دخول والده إليها .
أنظر أ. بن القاضي ، **لقط** ، 301 .

ثالثا : تكوينه .

مر تكوين ابن القاضي عبر مراحل فصلها تفصيلا دقيقا في **المنتقى** (40) ، إذ خصص لذلك بابا خاصا ، وهو الباب 24 الذي سماه : ذكر فقهاء العصر ، وقبل استعراض مراحل هذا التكوين علينا أن نسجل ملاحظات أساسية تساعدنا على وضع إطار عام لهذا المبحث :

الملاحظة الأولى : وهي تتعلق بهذا الباب نفسه ، لماذا أدمجه في صلب الكتاب ولم يتركه إلى الأخير كما فعل معاصره أحمد بابا في **كفاية المحتاج** أو كما فعل السيوطي قبله في **حسن المحاضرة** ؟ ولماذا كل هذا التدقيق في وصف الشيوخ الذين أخذ عنهم سواء بالشرق العربي أو المغرب العربي إلى الدرجة التي يثبت فيها أحيانا إجازات هؤلاء الشيوخ ، ونستطيع أن نلاحظ في هذا الصدد أيضا أن **فهرسه** — والذي كان من المنتظر أن يتوسع فيه في هذا الموضوع — لم يذكر فيه إلا 11 شيخا ، 6 من المشرق العربي و 5 من المغرب ، في حين تعدد هؤلاء وتشعبوا بشكل ملحوظ في **المنتقى** . فلماذا إذن كل هذا ، خاصة وأن الكتاب — كما يذكر هو نفسه — ليس إلا مجرد اعتراف بالجميل للمنصور ؟

لعل السبب في ذلك — فيما يبدو — يرجع إلى أن ابن القاضي أراد أن يقدم « بطاقة تعريف » علمية للمنصور ، وذلك لكي يحتل المكان الذي كان يتمناه بين علماء القصر ، خاصة وأنه يعلم مستوياتهم وطموحاتهم . إننا لا نقصد بهذا أن مكانة ابن القاضي قبل المنتقى كانت هامشية ، أو أنه أراد أن يثير انتباه السلطان لمكانته العلمية ، بل نستطيع أن نجزم — ومنذ البداية — أن مكانته داخل القصر — كما يتجلى ذلك من خلال سلسلة الأحداث التي جرت له مع المنصور — كانت مكانة مهمة ، وإنه لهذا السبب أوفده للشرق لنشر مآثر الدولة السعدية (41) ولاستكمال تكوينه العلمي، ولكنه كان فقط يريد أن يثبت للمنصور أنه وإن لم

---

(40) لا يعني ذلك أننا سوف نكتفي **بالمنتقى** لاستعراض مراحل تكوينه ، بل سنعمد إلى سائر كتبه وإلى من كتبوا عنه من تلامذته أو من غيرهم ، وذلك لأخذ صورة متكاملة وواضحة عن هذا التكوين ، مع التدقيق في نوعية العلاقة التي كانت تربطه بهؤلاء الشيوخ .

(41) كان المنصور حريصا إلى حد كبير على نشر مآثر الدولة السعدية وذلك في إطار السياسة العامة التي كان ينتهجها ، ونذكر في هذا الصدد أن تكليف مؤرخه الفشتالي بتأليف **المناهل** يدخل في هذا الاطار ، وذلك عندما توصل بكتاب **البحر الزخار** ، **والعيلم التيار** للقاضي : مصطفى بن حسن بن سنان بن أحمد الحسيني الهاشمي الجناني (ت 999 هـ/1590) قاضي حلب ، ووجد فيه أخطاء ومغالطات كثيرة ، كما يتجلى ذلك من رسالة بعثها المنصور إلى هذا القاضي : « ...ولما وقف بنا رائد التأمل على ما فيه من أخبار هذه الدولة الكريمة التي اجتلبتم منها حصاة من ثبير ، ونفحة من عبير ، وأجلنا النظر في النبذة التي ألممتم بها إلمام طيف الخيال ، وأطلعتم من سوادها على الصفحات البيض نقطة خال ، عثرنا لكم في ذلك — أكرمكم الله — على غلط واضح وضوح النهار ، وألفينا طرف التعريف قد كبا بقلمكم لفيه في ذلك المضمار ، إذ سلك شعبا وقد سلكت الدولة واديا ، وجرى على غير سمتها فلم يجد هاديا ،

يذهب إلى الشرق ، وإن لم يحمل إجازات جديدة معينة ، فإن تكوينه مع ذلك كامل أو قريب من الكمال وأنه يستطيع أن يفيد إلى حد كبير ، وأن هذه الافادة لا تقف عند حد الافادة العلمية ، بل يمكن أن تستغل خبرته وتجاربه لتسيير مرفق مهم من مرافق الدولة ألا وهو القضاء .

نعم ، لقد كان قبل إتمام **المنتقى** قاضيا على القصر ، لكنه بعد إتمامه « سيرق » إلى قضاء مدينة سلا .

= فكم من خبر قد زحزح عن محله ، ونسب إلى غير أهله ، وآخر مجهول الأصل والمبنى ، زائد اللفظ والمعنى ، وعلمنا لذلك أن هذه الدولة الكريمة قد غابت عنكم رأسا حقائقها ، واشتبهت على علمكم طرائقها ، وعذركم في ذلك واضح لتنائي الديار ، وبعد الآفاق والأقطار ، وشط الوصول وشحط المزار ، وإلا فانتماؤكم للجانب النبوي الكريم ، والمحتد العلوي الصميم ، يأبى الرضى بتلك الصبابة المصبوبة في حق هذه الدولة الكريمة التي هي نور الفلق ، وتاج المفرق ، ولما أنفنا أن يبقى ذلك الخيال ، والغلط المبت الحبال ، فيكون في تأليفكم وصمة ، وفي جانب الدولة العلية ثلمة ، توجهت إشارتنا الامامية المشرفة إلى أحد كتابنا ، وعميد أبادينا ، وفرسان الانشاء بعلي بابنا وكريم نادينا ، والحلبة المثقفة بتربيتنا وأدبنا ، بتلخيص موضوع يكون لاخبار هذه الدولة الكريمة إن شاء الله الشامل المستوعب ، والموجز المسهب ، يعتمد الفضلاء أمثالكم المعنيون بهذا الشأن عليه ، ويتخذون إن شاء الله قبلة يصلون إليه ، وقد رجي بحول الله عن قريب تمامه ، وأوشك زهرة أن تفتح أكمامه ، ويفوح بمسك الختام ختامه ، وعرفناكم لتمسكوا إن شاء الله عن نشر ما لفقتموه في تاريخكم هذا من تلك الشذور ، وتصرفوا عنان القلم عن بثها إلى أحد من الخاصة والجمهور ، حتى تاتيكم إن شاء الله من قبلنا مرتبة في أسلاكها ، باهية بالطلوع في ابراجها السامية الذوائب وأفلاكها ، بحول الله وقوته » .

أنظر : **رسائل سعدية**، ص 239 — 240.

أما تاريخ الجنابي نفسه فقد ذكر عنه حاجي خليفة في **كشف الظنون** ، 1 : 224 : « وهو كتاب كبير في مجلدين جمعه من كتب كثيرة ، ورتب على مقدمة واثنين وثمانين بابا ، كل باب في دولة ، وهو اجمع ما جمع في دول الملوك . قيل : اسمه العيلم الزاخر ، والصحيح ما ذكرناه . وله مختصره وترجمته التركية » . وقال عنه جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية ، المجلد الثاني ، 319 — 320 : « **كتاب الحافل الوسيط والعيلم الزاخر المحيط في أحوال الأوائل والأواخر** : ويعرف بتاريخ الجنابي . يشتمل على تاريخ 23 دولة إسلامية في مجلدين إلى سنة 997 ، منه نسخة في إكسفورد وبطرسبورج وكوبرلي وبنى جامع ونور عثمانية. وله مختصر لابن المنلا (1003) في برنين . وترجمه المؤلف إلى التركية . منه نسخة في فيينا . وقد طبعت منه قطعة في فيينا سنة 1680 تتعلق بتيمورلنك مع ترجمتها إلى التركية والفارسية واللاتينية » .

وتوجد بالخزانة الملكية بالرباط نسخة مخطوطة منه تحت عدد 1507 في مجلد من تاريخ عام مبتور الأول، به 541 ص بخط شرقي نسخي (وهو منسوب خطأً في النسبة المذكورة إلى ابن حجر الهيثمي).

ويتناول — ضمن مجموعة من الدول الاسلامية — تاريخ الغرب الاسلامي من الفتح حتى أواخر القرن 10 هـ ، حيث ينتهي آخر الباب 30 الذي يحمل عنوان : « ذكر أحوال شرفاء فاس وسوس ومراكش وغيرها » .

ومن وصف الكتاب ومقارنة فقرات منه بالترجمة الفرنسية **(Fagnan Extraits inédits, Alger, 1924)**

يتبين أن مخطوط المغرب هو المجلد الأول من تاريخ الجنابي وأهم محتوياته هي المعلومات التي يقدمها عن الوطاسيين والسعديين ، ويستند في أخبار الدولة الأولى إلى مغربي من سكان حي الطالعة بفاس : يسميه الشيخ أحمد بن عبد الرحمان الفاسي الطالعي .

الملاحظة الثانية :

إن ابن القاضي حين يستعرض شيوخه أو الطلبة الذين درس معهم فإنه غالبا ما يعطي رأيه بصراحة في الشيخ أو الطالب الذي درس معه ، وسنعرض فيما بعد لنماذج من هذه الوضعية ، ونكتفي الآن بطرح تساؤلات علنا نلامس حقيقة هذه الصراحة الغير المعتادة ، فنقول بهذا الصدد : كيف وجد ابن القاضي الجرأة على أن يصدع برأيه في شخصيات علمية كان لها وزنها آنذاك ، سواء لدى السلطة أو لدى العامة ؟ هل لأنه كان يجد نفسه في مركز قوة ، أم إن ما كان يصفها به من أوصاف كانت معروفة بالفعل لدى أوساط العامة والسلطة على السواء وأنه اكتفى هو فقط بتسجيلها ؟(42) هل هناك دوافع خاصة كانت تحركه سواء من جانب السلطة أو من جانب شخصيات علمية أخرى ؟ لماذا لم تشمل هذه الصراحة كل الشيوخ الذين درس عليهم أو الطلبة الذين درس معهم ؟ هل فعلا سلك هذا السبيل لأنه لم تكن لهم أوصاف استثنائية تميزهم عن غيرهم ؟ لماذا أعرض عن ذكر بعض الشخصيات (43) ونخص بالذكر منها شخصية أحمد بابا السوداني ، وهي شخصية لم تكن هامشية ، بل كان لها وزنها وسط الجو العلمي السائد آنذاك ، وزاد الأمر غموضا أن الرجل يعرف ابن القاضي جيدا فهو يقول : « أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي العافية الشهير بابن القاضي ، من ذرية العلماء ، المكناسي الأصل ، الفاسي الدار ، صاحبنا الحاج الرحالة ، ذو الاخلاق المرضية ، والأحوال المليحة ،

---

(42) قال — مثلا — في ترجمة أحمد اللمطي ، درة ، 1 : 93 :
« به عرف اللمطي ، ناظر أحباس القرويين ، ولم يكن من أهل العلم ، وإنما كان عارفا بأحوال الدفاتر فقط .
توفي سنة 928 هـ » .
فابن القاضي يؤكد إذن أن الرجل كان يتقن وظيفته فقط ، ولا نرى فائدة في التشكك فيما قاله ، خاصة إذا علمنا أن ناظر أحباس القرويين لم يكن من المفروض فيه أن يكون ذا مستوى علمي رفيع .
وقد قال في ترجمة أحمد بن محمد الطرون ، درة ، 1 : 167 : « الفاسي الدار ، القصري النجار ، الاموي . كان قاضيا بفاس ، ولم يكن من أهل العلم ، وإنما ولي القضاء لأنهم كانوا يولون القضاء من يكون مليا وإن لم يكن ذا علم ، لينكف بماله عن أموال الناس وعن الرشا » .
وهنا أيضا يقر وضعية لم يكن ابن القاضي أول ولا آخر من انتبه إليها وأقرها مما يجعلنا نتقبل ملاحظته باطمئنان . ويقول أيضا في ترجمة أبي عبد الله الشامي ، **درة** ، 2 : 237 : « شيخ من العامة ، له سند صحيح . أخذ عن أبي زيد : عبد الرحمان سقين ، إلا أنه ليس من أهل العلم » .
وهو هنا يؤكد بالنسبة لهذا الشيخ أنه من (العامة) وأن إيجابيته الوحيدة هي (السند الصحيح) ، ولولا ذلك لما ذكره نظرا لأنه (ليس من أهل العلم) . وهكذا ، فيما أنه من العامة فلا ننتظر أن تكون منافسة بين الرجلين ، أو أن يكون مدفوعا من السلطة ضد هذا الرجل ، خاصة وأن المصادر التي بين أيدينا لا تشير لأي دور سياسي أو علمي لهذا الرجل ، فهو إذن اكتفى بتسجيل وضعية قائمة .

(43) لا نقصد هنا **المنتقى** بالضبط ، بل نقصد سائر كتب التراجم التي ألفها .

الفقيه الفرضي الحيسوبي ، المحصل المؤلف ، التقيت معه بمراكش أواخر عام أربعة وألف واختبرت منه الأخلاق الحسنة والآداب السنية ، وحضرت إقراءه لفرائض الحوفي ، وكان قد انفرد بمعرفتها ، بحيث لا يعرف له نظير في ذلك شرقا وغربا ، وكان يطير فيها طيران الباز في جو السماء ويتصرف فيها تصرف الحوت في البحر ، إلى المشاركة في الفقه والتاريخ والحديث ومعرفة الحساب وغيره مع الكرم الوافر والتواضع ولين الجانب ، مطبوعا على ذلك . أخذ عن الشيخ فرضي زمانه سيدي : يعقوب اليدري ، قرأ عليه الحوفية عدة مراة حتى اتقنها ، وقرأ على أحمد المنجور وغيرهما . ثم رحل إلى المشرق ، فأسره العدو ، وبقي عندهم نحو سنة في عذاب وامتحان [44] ـــ آجره الله تعالى عليه ـــ ثم فكه الله على يد مولانا أبي العباس المنصور ـــ أدام الله نصره ـــ ثم رحل وحج وأقرأ الفرائض في مكة وجاور ، ثم رجع [45] . وله تواليف منها تعليق على **الحوفية** كمل به الجداول التي فاتت الشيخ ابن غازي ، **وجذوة الاقتباس ، فيمن حل من الاعيان مدينة فاس** ، وذيل على **تاريخ ابن خلكان في وفيات الأعيان** ، وذيل على **وفيات ابن الخطيب القسنطيني** ، وله نظم حسن مليح منها قوله :

فمن السحت عندنا ما روينا ... ثمن السحت ثم مهر البغي
ثمن الجاه والرشا والكهانة ... وذو وصف ما فاز منه بشي

مولده على ما أخبرني به سنة ستين وتسعمائة ـــ أحله الله تعالى ـــ وقد استجارني وقرأ علي شيئا من البخاري وشيئا من تواليفي فأجزته ـــ نفعه الله تعالى بنيته الصالحة وأدام عافيته ـــ » [46] ، كما ذكره في **كفاية المحتاج** واعتمد عليه في كثير من الأحيان في جمع أخباره فهو كثيرا ما يستعمل عبارة : « كذا أخبرني به صاحبنا الفقيه أحمد بن القاضي » . في حين نجد أن مؤرخنا لم يترجم له في أي مصدر من مصادره ، بل اكتفى بالاشارة إليه إشارة عابرة عند تعرضه لوفاة عبد الله بن محمود أقيت : « وتوفي الفقيه الحافظ أبو محمد عبد الله بن محمود التنبكتي بمراكش . ولما توفي رآه صاحبنا الفقيه أبو العباس سيدي أحمد بن أحمد الملقب بابا السوداني ابن أخيه في النوم ، فقال له : ما فعل الله بك ؟ وكان معه في النوم أبو زيد المذكور أولا ، فقالا له نحن في خير والحمد لله تعالى بمنه . وقال له : ما حال عمي عمر

(44) واضح هنا أن أحمد بابا أخطأ حينما جعل أسره في المرة الأولى من ذهابه إلى الشرق ، في حين أنه أسر في المرة الثانية كما هو معروف .
(45) وهذا أيضا خطأ آخر لأحمد بابا فابن القاضي في المرة الثانية لم يصل إلى المشرق بل ظل مأسورا كما هو معروف بجزيرة مالطا إلى أن افتدي .
(46) **نيل الابتهاج** ، مخطوط م.م بالرباط عدد 1896 ، غير مرقم .

ابن الحاج أحمد ؟ فقال له : هو في خير فرش له وحده . كاتبني بهذه الحكاية الفقيه المذكور » (47) .

وهكذا ففيما يتعلق بنص أحمد بابا نلاحظ أن الرجل يقر بعلم ابن القاضي على الأقل في علم واحد إلى الدرجة التي تجعله يأخذ هذا العلم وهو علم الفرائض ، كما يقر بأخلاقه الفاضلة ، وهو حكم يصدر عن رجل لم يعرف التملق ولا المحاباة (48) ، وقد رأينا كيف ينتقد علماء فاس وغيرها في عصره ، فكأنه يستثني الرجل إذن ويقر له بالعلم والأخلاق . ولكنه أيضا — وهذه ملاحظة ثانية — لا يذكر من بين مؤلفاته **المنتقى** مع أنه سابق على التي ذكرها ، فكأنه هنا لا يتفق مع ابن القاضي في اطرائه ومدحه المبالغ فيه للمنصور وفضل لهذا السبب السكوت عنه ، ولكن مع ذلك لم يكن عمل ابن القاضي هذا — في رأي أحمد بابا — ليزيله من قائمة القلة القليلة التي وصفها بالفضل والصلاح ، وذلك لأنه بدون شك كان يعلم الظروف التي كتب فيها مؤرخنا هذا الكتاب .

أما **الملاحظة الثالثة** فتتعلق بكون أحمد بابا يذكر أن ابن القاضي استجازه في الحديث ، وقد سبق للمؤرخ السوداني أن حضر دروس ابن القاضي في الفرائض ، فهذا إذن من قبيل (التدبيج الغير المعلن) ، وهذه عملية تحمل أكثر من معنى أهمها اقتناع الرجلين بالآخر أخلاقيا وعلميا ، وهذا يؤدي بنا إلى نتيجة مهمة أيضا وهي استبعاد أي احتمال لاحتكاك وقع بين الرجلين كسبب وحيد ورئيسي لاغفال ابن القاضي ترجمة أحمد بابا ، فلابد إذن من البحث عن احتمالات هذا الاغفال في مجالات أخرى .

هناك احتمالات :

الاحتمال الأول : وهو يلغي مسؤولية عدم ترجمة أحمد بابا عن ابن القاضي . ذلك أنه لم يكن قد اتصل به بعد . فأحمد بابا اقتيد إلى المغرب عام 1002 هـ وظل تحت الاقامة الاجبارية إلى غاية 1004 هـ ، ولم يتصل به ابن القاضي إلا في أواخر هذه السنة الأخيرة ، في حين كان مؤرخنا آنذاك قد انتهى من تأليف أهم كتبه(49) ، وهكذا إذا استعملنا العامل الزمني فسنجد

---

(47) أنظر **لقط الفرائد** ، ص 329 — 330 .

(48) نذكر بالمناسبة أن أحمد بابا كان من بين الذين رفضوا بيعة المنصور ، أو على الأقل كان من الذين يعلم المنصور أنهم سوف لا ينقادون له ، لذلك حمله قائده محمود بن زرقون إليه .
أنظر مزيدا من الايضاح عند :
شوقي عطا الله الجمل ، « أحمد بابا التمبكتي السوداني في ضوء بعض مخطوطاته بدار الوثائق بالرباط » ، مقال بمجلة **المناهل** ، العدد 6 ، السنة الثالثة ، يوليوز 1976 ، ص 153 وما بعدها .

(49) انتهى من تأليف **المنتقى** سنة 998 ه ، وألف **درة الحجال** حوالي 999 هـ ليكون كتكملة **للمنتقى** ،
=

تبريرا واضحا لعدم ذكره ولا نحتاج بالتالي إلى البحث عن الجواب في إطار تساؤلات أخرى(50) .

الاحتمال الثاني :

من المعلوم لدينا أن كثيرا من الكتاب في مختلف العصور كانوا يقومون (بتنقيح) كتبهم ، فيلحقون ويشطبون ، ويصل أحيانا البعض منهم إلى تأليف (كبير) و (أوسط) و (صغير أو مختصر) ، فإذا لم يقم ابن القاضي بهذا التنقيح فإن الاحتمال الأول يبقى ساري المفعول ، وبالتالي فإننا لن نناقشه . أما إذا ثبت أن ابن القاضي قام فعلا بهذا التنقيح ، فإن الأمر إذ ذاك يتطلب تحليلا ، خاصة إذا علمنا أن ابن القاضي امتد به العمر إلى غاية 1025 هـ ، أي إلى ما بعد ذهاب أحمد بابا إلى السودان سنة 1014 هـ ، وبعد انتهاء جميع الحساسيات التي يمكن أن تؤثر على تسجيل هذه الشخصية ضمن إطار الشخصيات المترجمة .

فما هي ، إذن ، هذه الحساسيات التي من الممكن أن تؤثر على ابن القاضي في عدم تسجيله لهذه الشخصية ؟

لم تكن علاقة أحمد بابا ودية تماما على الأقل من الجانب السياسي(51) نتيجة ما حل

= وألف **درة السلوك** وشرحها **الدر الحلوك** حوالي 1000 هـ ، وألف **الجذوة** حوالي 1004 هـ ، وانتهى في وفياته في **لقط الفرائد** إلى سنة 1009 هـ في حين أن أحمد بابا لم يتوف إلا سنة 1036 هـ . أما **فهرسه رائد الفلاح** الذي ألفه سنة 1010 هـ فإن الاهمال كان عاما فيه بحيث لم يتعرض فيه إلا لأحد عشر شيخا ، 5 مغاربة و 6 مشارقة .

(50) هذا على اعتبار أن شخصية أحمد بابا لم تكن مشهورة بالسودان بالقدر الذي كانت مشهورة به بمراكش ، وبالتالي لم ير ابن القاضي آنذاك فائدة في تسجيلها .

(51) أنظر م . الأفراني ، **نزهة الحادي** ، 97 — 98 ، م . القادري ، **نشر** ، 1 : 274 — 275 .
أما من حيث الجانب العلمي فإن علاقة الرجلين كانت ودية تماما ، فقد حاول المنصور أن يخلق الجو العلمي الملائم للرجل ، واستفاد فعلا أحمد بابا من هذا الجو ، فلا ننسى أن أهم كتبه ألفت بمراكش ، ولا ننسى أيضا أن شهرته القوية اكتسبها وهو بمراكش ، ولننظر كيف يحدثنا عما وصله في هذا الميدان : في كتابه **كفاية المحتاج** : « ...وافتيت فيها بحيث لا تتوجه الفتوى إلا إلي وعينت لها مرارا ...واشتهر إسمي في البلاد من سوس الأقصى إلى بجاية والجزائر وغيرها ، وقد قال بعض طلبة الجزائر وقد قدم علينا من مراكش : نسمع في بلادنا إلا باسمك فقط وانك وانك ... » .
وقد اعترف أحمد بابا بالفعل للمنصور بجميله وذلك بتسهيل مهمته كعالم ، وهكذا يقول في مقدمة **نيل الابتهاج** (مخطوط م.م بالرباط عدد 1896) : « ...فما زالت نفسي تحدثني منذ قديم الزمان ، وفي برهة من الأوان ، باستدراك بعض من فاته ومن جاء بعده من الأعيان ، فقيدت فيه بحسب المنة والامكان ، وذلك حيث كنت ببلدنا البعيدة عن نيل المقصد من ذلك لبعدها من مدن العلم والاوطان ، فقصرني الحال مع قلة الكتب هناك وعدم مساعدة الزمان ، حتى تفضل إلى من له الفضل واحسن إلي من له الطول سبحانه بوصولي إلى منبع العلم في الديار الغربية ، حضرة الامامة العلية ، المولوية الهاشمية ، الاحمدية المنصورية ... فرأيت فيها أسباب السعادة متيسرة ، وأزمة الأماني فيها مبذولة غير متعسرة ،

بالرجل من نكبات ، بل وفرض الاقامة الاجبارية عليه بمراكش لمدة سنتين ، خاصة وأن انتقاده للمنصور كان مباشرا ويعرفه الجميع ، فيكون من الطبيعي إذن أن لا يضيف ابن القاضي ترجمته إلى التراجم التي ضمتها كتبه ، تجنبا لاغضاب المنصور ، وهي الكتب التي أهديت لهذا الأخير .

ويبدو أنه كان هناك تعاطف كبير مع أحمد بابا سواء من لدن العامة أو الخاصة داخل المغرب وخارجه[52] ، مما يضعه — تلقائيا — في مكان بارز لدى هذه الأوساط كعالم (لا تاخذه في قول الحق لومة لائم) ، ويخرجه ضمنيا من طائفة « علماء الدولة » أو المستفيدين من أموالها ، ويكون بالتالي لصوته صدى أكثر من باقي العلماء ، وهذا ما كان يدركه المنصور بالفعل[53] .

= ونشدت الضالة فوجدتها أقرب إلي من ظلي ، وظفرت بما يكمل مرادي ونلت أملي ، فبادرت حينئذ إلى كتب ذلك الذيل ، مستنيرا بالطول والنيل ، وقلت لنفسي ياسعد جدي ، قد ظفرت بمقصدي ، وذلك لأمرين : أحدهما : ان المال ما شرع فيه من الخير سنة مأثورة . والثاني وهو المقصد السني : إني رأيت حضرة من تسمو الآمال لسدة بابه ، وتسعى لخدمة ركابه ، مالك المغربين بالأسل والنصال ، ما بين قطر الجنوب إلى الشمال ، عالم الملوك وملك العلماء ، فخر السلاطين : أبو العباس مولانا أحمد المنصور بن أمراء المؤمنين ، الحسني — أيده الله تعالى — ، معمورة بالعلم مأهولة بذويه ، وسوق المعارف نافقة عند متعاطيه ، وذلك لهمته العلية ، وطويته الحسنة السرية ، فأردت أن أخدم خزانته على الطم والرم ، من كتب العلم ، بهديته ، وإن كنت في صنيعي كجالب تمر إلى هجر ، أو قارض شعر لدى آل مضر ... » .

(52) يقول محمد بن يعقوب الايسي (توفي قبل 1010 هـ/1601) في **فهرسه** في ترجمة أحمد بابا (وقد نقل هذا الأخير هذه الترجمة في **كفاية المحتاج**) : « ...ثم امتحن في طائفة من أهل بيته بثقافهم في بلادهم في محرم اثنين وألف على يد زرقون لما استولى على بلادهم ، وجاء بهم أسرى في القيود ، فوصلوا مراكش أول رمضان من العام ، واستقروا مع عيالهم في حكم الثقاف إلى أن انصرم أمد المحنة فسرحوا يوم الأحد الحادي والعشرين من رمضان أربعة وألف ، ففرحت قلوب المؤمنين ، جعلها الله لهم كفارة ذنوبهم » .
ويقول أحمد البوسعيدي الذي ألف كتابه **بذل المناصحة** سنة 1047 هـ/1637 : « سمعته يقول أنا أقل عشيرتي كتبا ، نهبت لي ستة عشر مائة مجلد . وكان القبض عليهم أواخر المحرم عام اثنين وألف ، ووصلوا مراكش في رمضان من العام بعده ، واستقروا مع عيالهم في حكم الثقاف إلى وقت انصراف المحنة عنهم ، فسرحوا في يوم الأحد الحادي والعشرين من رمضان عام أربعة وألف فخرجت لذلك قلوب المؤمنين » .

أنظر م . الافراني ، **نزهة** ، ص 97 .
واستمر هذا التعاطف إلى ما بعد وفاة أحمد بابا بوقت طويل .
أنظر مثلا كيف يتعاطف معه م . القادري في **نشر المثاني** ، 1 : 275 — 276 .
بل واستمر إلى وقتنا هذا .
أنظر — مثلا — العباس بن ابراهيم ، **الاعلام** ، 2 : 305 — 307 .

(53) يتجلى ذلك بالخصوص في عبارة واردة أثناء حواره المشهور مع أحمد بابا ، وهو بصدد الحديث عن تبرير الاتيان به من السودان إلى المغرب : « ...أردنا كي تجتمع الكلمة وانتم في بلادكم من أعيانها ، فإن أذعنتم أذعن غيركم ... » ، انظر م . الافراني ، **نزهة** ، 97 .
وقد ظل له هذا النفوذ العلمي بالمغرب ، فمن الطبيعي أن يتخوف منه .

على أننا نكرر في الأخير أن هذا الاحتمال يظل في إطار الافتراضات السابقة ، وإلا فإن الأمر يظل دائما في إطار الاحتمال الأول .

الملاحظة الرابعة :

يوضح ابن القاضي أثناء استعراضه لشيوخه أو الطلبة الذين درس معهم نوعية الثقافة السائدة آنذاك في أوساط معينة ، فمثلا كثيرا ما يستعمل عبارة : (ولا خلطة له بالأدب أصلا) أو (لا يقدر على تلفيق بيت واحد) ، إلى غير ذلك من الأوصاف . وهي إشارة لها خطورتها وتدل بالفعل على شيوع فكر جامد يحاول الابتعاد عن الاجتهاد والابتكار ، وعن كل الميادين التي من شأنها أن تجعل الانسان يعرض طاقته الفكرية للنقد والتمحيص ، والاكتفاء بحفظ المتون اللغوية والدينية واستعراضها أمام الشيوخ . فالطالب يجد أمامه علما جاهزا وهو لا يحتاج — في نظره — إلى أي اجتهاد (لانه ما ترك الأول للآخر شيء) ، ووظيفته إذن تقتصر على الحفظ والتبليغ فيما بعد لكي يصير « عالما » . وهذه وضعية سبق لابن خلدون أن سجلها :« ...وبقيت فاس وسائر أقطار المغرب خلوا من حسن التعليم ، من لدن انقراض قرطبة والقيروان ولم يتصل سند التعليم فيهم ، فعسر عليهم حصول الملكة والحذق في العلوم ، إذ أيسر طرقها إنما هو بالمحاورة والمناظرة ، فهو الذي يقرب شأنها . وطالب العلم منهم — تجده بعد ذهاب الكثير من عمره في ملازمة المجالس العلمية — ساكتا لا ينطق ، ولا يفاوض . وعنايته بالحفظ أكثر من الحاجة ، فلا جرم لا يحصل على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم . ومن ير منهم أنه قد حصل تجد ملكته قاصرة ، إن فاوض أو ناظر أو علم . وما أتاهم القصور إلا من قبل التعليم وانقطاع تمهيده ،وإلا فحفظهم أبلغ من حفظ سواهم ، لشدة عنايتهم به ، وظنهم أنه المقصود من الملكة »(54) .

إننا لا نقصد بهذا أن الفكر المغربي بصفة عامة كان طابعه الجمود في عصر المنصور ، فهذا ما تضحده المصادر التاريخية آنذاك ، ولكن نقصد بهذا فقط أنه كانت هناك أوساط معينة لها نظرة خاصة لمفهوم « العلم » وظلت متشبثة به ولا ترى ضرورة لتنقيحه والاجتهاد فيه . أما العصر بصفة عامة فقد عرف ازدهارا في مختلف الفنون الادبية بشهادة المعاصرين آنذاك خاصة منهم المشارقة ، وكان الجمود فقط ساريا في العلوم البحتة رغم محاولات المنصور لتطوير هذه العلوم (55) ، فقد ظهرت فعلا شخصيات تهتم بهذه العلوم انطلاقا من ابن القاضي نفسه

(54) المقدمة، ص 773 — 774.

(55) نذكر من بين هذه المحاولات تكليف المنصور لسفيره لدى الملكة إليزابيث الأولى عام 1008 هـ/ 1600 للقيام بمهمة ثقافية ، إذ كلف عبد الواحد عنون — السفير — بالاتصال بالعالم الانجليزي (إدوارد وريغت) وهو رياضي مهندس اشتهر بتآليفه العلمية وبحوثه التطبيقية في ميدان الملاحة ، ليحصل منه على كرات

والحسن المسفيوي والمنصور ، ولكن كانت دائما تسير في إطار القديم مما فوت على المغرب فرصة اللحاق بركب النهضة الأوروبية .

الملاحظة الخامسة :

من خلال ذلك أيضا يتبين لنا مدى مساهمة العلماء في تسيير دواليب الدولة ، ومدى رعاية المنصور لهم وحرصه على الاستفادة منهم أو إفادتهم ، وذلك بما يقدمه لهم من مساعدات مادية ومعنوية (56) . ونثير هذه المسألة لنؤكد على أن الملاحظة التي سبق أن لاحظها ابن خلدون حول تهميش فئة العلماء في عصر الانحطاط ، وبأن السلطان لا يستشيرهم إلا مجاملة لهم ، هذه الملاحظة اختفت عمليا في عصر المنصور . فالعلماء أصبحوا قادة جيوش (57) ، وكتابا للدولة وقضاة ، وسفراء . هذا بالاضافة إلى دورهم العلمي والاجتماعي المنصب أساسا على تأطير العامة .

غير أنه مع ذلك يثار هنا تساؤل مهم لا تخفى نتائجه حول حقيقة العلاقة التي كانت سائدة بين المنصور والعلماء . هل سكوت العلماء كان نتيجة قمع مسلط عليهم من فوق بحيث خنق فيهم حرية التعبير ، خاصة ونحن نعلم أن هناك قضايا عديدة طرحت في عصره كان من الممكن أن تكون مثار مناقشة أم أن الظروف كانت عادية وكانت تسير بموافقة العلماء ؟

من حق الدارس أن يتسائل ، فمن المعلوم أنه خلال عصور التاريخ المغربي ـــ سواء قبل عصر المنصور أو بعده ـــ كان العلماء دائما رأس حربة موجهة للحكم المركزي ، فقد كانوا يستشارون في كل كبيرة وصغيرة ، فهم ممثلو العامة ، والسلطة تنصت إلى العامة فقط عن طريق العلماء (58) لأن العامة ـفي نظرهاـــ من « الرعاع والأوباش وسفلة القوم » كما يقول ابن

= فلكية ، وساعات ، ومزاول ، واسطرلابات ، وآلات مغناطيسية ، وأخرى لقياس ارتفاع الأجرام السماوية ولتحديد اتجاه القوافل في الصحراء ...وقد طلب من (وريفت) أن يطلع السفير على كل ما لديه من رسوم وآلات ، وأن يصنع له ما يطلب من آلات النحاس والفضة ، على أن يترك موضع الكتابة والأرقام فارغا لينقش بالعربية في المغرب أو في انجلترا .

أنظر : H. de Castries, Sources inéd.,1ére série anglaise, 2 :168-170.

(56) أنظر ـــ مثلاـــ المنتقى ، ص

(57) نذكر على سبيل المثال علي بن منصور بن المرابط الشيظمي ، فقد ذكر ابن القاضي عنه في **الدرة** ، 3 : 258 ، ما يأتي :

« الفقيه ، الأديب ، المتفنن المشارك ، أبو الحسن . أحد قواد المخدوم ...له نظم رائق ، ونثر فائق ، وله تآليف حسنة منها جمع المشكلات التي أوردها المخدوم على **الكشاف** وفوائد حديثية للمخدوم أيضا وغير ذلك . وله قصائد في مدح المخدم ... » .

(58) كان من بين العلماء من كان يدرك بالفعل ثقل هذه المسؤولية فيؤدي واجبه كمعبر أمين عن طموح العامة متجاوزا بذلك جميع أساليب الاستلاب الممارسة من طرف السلطة ، لكن كانت هناك أيضا طائفة تشترك معها في تخذير العامة ، وتوجيههم الوجهة الملائمة لها .

الأثير . وقد لاحظنا أنه في كثير من الأحيان كان يقع احتكاك بين العلماء والسلطة بمناسبة قضية معينة [59] . أما بالنسبة للمنصور فنلاحظ أن علاقته بالعلماء كانت حسنة إلى حد كبير[60] والأسباب واضحة جدا :

ـــ نشير أولا إلى أن المنصور نفسه كان « عالما » فهو نفسه كان يعطي دروسا لتلامذته ، ويحضر مجالسه عدد من العلماء ، فهو واحد منهم إذن ، وهو بالتالي لا يقل قدرة علمية عنهم ، فهو يحظى بنفس الحصانة التي يحظى بها العلماء بالاضافة إلى حصانة الملك .

ـــ كما أنه لم تحدث في عصره أحداث سياسية واقتصادية عنيفة تستدعي احتكاكا بين السلطة والعلماء ، فسياسيا نلاحظ أنه كان مؤيدا من طرف العلماء :

ـــ كان مؤيدا عند فتح السودان (لجمع كلمة المسلمين) .

ـــ داخليا كان مؤيدا أيضا عندما قضى على الثورات التي وقعت في عهده ، بحيث لم تذكر المصادر التاريخية أن أحدا من العلماء المشهورين آنذاك أيد هذه الثورة أو تلك ، ويرجع هذا ـــ بالطبع ـــ إلى قوته وحنكته السياسية .

ـــ واقتصاديا : حاول المنصور توفير جميع الضروريات الاقتصادية لرفاهية شعبه ومن ضمنهم العلماء الذين كانوا يحظون برعاية خاصة [61] .

الملاحظة السادسة :

أثناء استعراضه لشيوخه من الشرق العربي يسجل لنا صورا واضحة لنوعية العلاقة السائدة بين الأتراك والبلدان الخاضعة آنذاك لهم :« ...ولأهل المشرق ، لا سيما الترك ، ازدراء بالناس لا يرون العرب شيئا ، فمن ذلك ما اتفق لي ذات يوم بباب جامع السلطان حسن بالرميلة من مصر مع بعض الشيب من الترك لما اردت دخول المسجد المذكور ، فوافيتهم بالباب ولم أعظم قدرهم كما هي عادة أهل مصر معهم ازدراء بهم . فلما رأوا جفوتي ، وعدم مبالاتي ، ونخوتي ، قام إلي أحدهم وقال لي : يا كلب ، إلى أين تريد ؟ المسجد معد لأمثالك ؟ اذهب من هنا فما هذا محلك ! فلم ألتفت إلى قوله لغربتي وعدم ناصري هناك ... »[62] . وهو رأي وإن كان لا يخلو

---

(59) نشير ـــ مثلا ـــ إلى رسالة الامام ابن عباد إلى السلطان المريني عبد العزيز الأول وذلك بمناسبة استنكار « مظالم الرتب » التي أحدثت بطرف المسافرين ، وأعمال السلب والنهب التي تصاحب ذلك ، مخطوط م.م عدد 255 .
ويكفي أن نذكر بعد عصر المنصور ، الشيخ اليوسي ورسائله إلى السلطان مولاي اسماعيل .

(60) نستثني من هذا ما قيل عن علاقته بأحمد بابا ، وهي علاقة طبعتها ظروف سياسية معينة.

(61) أنظر الفصل الثالث من الدراسة .

(62) أنظر **المنتقى**، ص 359.

من جانب من الصحة فإنه مع ذلك تحركة عوامل معينة من أهمها طموح السعديين إلى خلافة العالم الاسلامي عوض الأتراك ، وهذا ما عبر عنه بكل وضوح محمد التمجروتي ــ سفير المنصور لدى الأتراك ــ إذ قال : « ...والعثمانيون من جملة المماليك والموالي ، الذين دافع الله بهم عن المسلمين ، وجعلهم حصنا وسورا للاسلام ، وإن كان أكثرهم وأكثر اتباعهم ممن يصدق عليهم قوله ﷺ : (إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر) . وإن كانوا حملوا الامارة وقلدوا الأمر في الحقيقة نيابة ، وأمانة يؤدونها إلى من هو أحق بها ، وأهلها هم موالينا وساداتنا الشرفا ملوك بلادنا المغرب ، الذين شرفت بهم الامامة والخلافة ، وكل مسلم لا يقول عكس هذا ولا خلافه ... »[63] .

وقد سار ابن القاضي أيضا في نفس الخط عندما نقل الأصداء التي تركتها معركة وادي المخازن في الشرق العربي ، وكيف كان العرب يتوقون إلى دولة عربية إسلامية بالمغرب ، وهكذا يقول : « ...ولقد حضرت مجالس ذكر فيها (أي المنصور) ، من مصر ، والاسكندرية ، والصعيد ، وجدة ، ومكة ، والمدينة ــ على ساكنها الصلاة والسلام ــ لما طنت في آفاق العالم حصاته ، وتعبت عن حمل حسناته بغزوته حفظة القول وحصاته ، فكادت قلوب الناس أن تنفطر إليه شوقا وودا ، أن يكونوا تحت رايته ، ومن الذين دخلوا في سلك بيعته . وكثير من أهل المشرق الذين عليهم الحل والربط حلف لي بالايمان المغلظة التي لا يمكن نقضها أنه لو رآى جارية من جواري مولانا اقبلت بالدعاء لطاعته والانقياد إليه لكان أول مطيع لها هو وأهله في لحظة ، ولأتاها بجيش عظيم كسبعة آلاف فارس أو ما يقرب من ذلك لشدة وطئته على عرب مصر والصعيد وبعض عرب افريقية ، وما هذا إلا لمحبتهم فيه ، واشتياقهم لطلعته السنية ، وإمامته العلوية . وحدثني بعض من أثق به أنه جلس ذات يوم بجرجة من بلاد الصعيد قاعدة امارة بني عمر مع أميرها يونس بن عمر ، وتفاوضا في غزوة مولانا وما له من العدل والمآثر الحسنة ، والسير المستحسنة ، فتأوه لذلك وتاقت نفسه للدخول في سلك بيعته . وأعلمه يونس المذكور أن خبر الغزوة دخل عليه وهو مسجون برودس ، وأعلمه والحاضرين أن أمرها عظم على الترك جدا ، غيرة منهم أن يكون مثلها على يد أمير عربي ، فامتلأوا منها غيظا ، وامتلأ العرب منها سرورا .

ومما شاهدته من مبرة أهل المشرق بأهل قطرنا حينئذ لما انتهى إليهم أمر غزوته العظيمة ، ما يكل عن وصفه اللسان ، ولا يحيط به بنان ، وترى الواحد منا بينهم كأنه أعجوبة عظيمة يشار إليه قائلين : هذا من أهل الغزوة المشهورة ! مما لا يدركه إلا من شاهد ذلك ، وصار لنا بذلك بينهم حظا عظيما ، ووقارا جسيما ، وصار العرب من كل مملكة يفخرون بذلك على الترك بهذا الملك العظيم ... »[64] ، وحتى في وصفه للمعركة نفسها فإنه لم يغفل الدور (السلبي) للاتراك

(63) أنظر النفحة المسكية ، 147 .
(64) أنظر المنتقى، ص 846.

فيها عند ما يقول : « ...فلما بلغ (المتوكل) لوادي المخازن ، وقد بلغه عبد الملك إليه بجيشه — ومعه أخوه أبو العباس أحمد المنصور — تواقعا واشتبكت الحروب بينهما ، وكان عبد الملك ضعيفا من سم كان به ، سمه رمضان العلج (القائد التركي) حيث أتى معه للمغرب غدرا له ... »[65] .

وعلى كل ، فابن القاضي تكون عبر ثلاث مراحل ، ابتدأت بتكوينه داخل المغرب وانتهت باتصاله بالمنصور ، وعلى هذا سوف نقسم هذا المبحث إلى الأقسام الآتية :

أولا : تكوينه داخل المغرب

ثانيا : تكوينه بالخارج

ثالثا : اتصاله بالمنصور .

★ ★ ★

أولا : تكوينه داخل المغرب :

تم تكوين ابن القاضي بالمغرب على يد جماعة من علماء فاس ومراكش ، تعرض لهم بالتفصيل في **المنتقى** ، وسنحاول أن نتتبع هذا التكوين بإيجاز كبير نظرا لطوله وتشعبه .

انطلق تكوينه من البيت على يد أبيه محمد بن القاضي المتوفى سنة 981 هـ ، وقد كان حيسوبيا فرضيا . ولعل صفة والده هذه كانت عاملا من عوامل نبوغه في الرياضيات[66] .

وبعد هذه المرحلة توالت اتصالاته بالشخصيات العلمية في كل من فاس ومراكش ، وسنورد هنا طائفة من هؤلاء الذين أخذ عنهم ولازمهم :

1 — أبو راشد يعقوب بن يحيى اليدري :

قال عنه : « الأستاذ الراوية ، إمام الفرائض ، والحساب.. »[67] ، وقد كان أول من أخذ عنه بفاس الحساب والفرائض والعروض [68] ، ويقول بهذا الصدد : « وقرأت عليه نحو

---

(65) أنظر **درة الحجال** ، 2 : 224 .
ويؤكد نفس الأمر في **درة السلوك** حيث يذكر « إن قائد الاتراك الذين كانوا معه — أي مع المعتصم — بعث لبعض قواده أن يلقاهم بكعك مسموم هدية لعبد الملك المذكور ... » .
(66) أنظر **لقط الفرائد** ، 312 .
(67) أنظر ، **درة الحجال** ، 3 : 360 — 361 .
(68) أنظر **المنتقى**، 685.

الثمان ختمات في **كتاب الحوفي** ، **وتلخيص ابن البنا** عددا لا أحصيه ، وسردت عليه جل **الموطأ** ، **وربع البخاري** ، وأجاز لي عن سقين ... »(69) ، وقد أشهد على ذلك الفقيه أبا مالك عبد الواحد السجلماسي ، والفقيه أبا سالم ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الشاوي الزيادي (70) . ولا يخفى ما سيكون لهذه الشخصية من تأثير على ابن القاضي ، فسيصبح هو الآخر بعد مدة « إماما في الفرائض والحساب » .

2 ــ أبو العباس أحمد بن علي المنجور :

يذكر ابن القاضي أنه لازمه من 975 هـ (71) إلى 995 هـ ، أي 20 سنة ، ويقول عن ذلك : « ...وما فارقته إلا زمن رحلتي إلى المشرق ، وزمن أسري فقط ، أو مدة أقمتها بمراكش في حياته ... »(72) ، وملازمة المنجور 20 سنة كان لها الأثر الفعال في ثقافة مؤرخنا وعقليته ، ومنهاجه العلمي ، إذ كان المنجور في عصره علما من أعلام المعرفة الواسعة ، عالما مشاركا ، مبرزا في الفلسفة والرياضيات والقراءات، فضلا عن التفسير والحديث والفقه والعقائد ، بالاضافة لأخلاقه الفاضلة ، إذ أنه لم يتول وظيفا رسميا قط غير الكراسي العلمية . وكانت له مهارة عجيبة في فن التدريس ، وقدرة فائقة على التعبير تحدث عنها باندهاش كبير جميع تلامذته .

ويحدد ابن القاضي ما أخذه عنه فيقول : «... ولقد أجازني فيها كلها ، وفي كل ما له من نظم ونثر بشرطه المعتبر عند أهله ، وبه انتفعت في العقائد ، والمنطق ، والبيان ، وعلم اصطلاح الحديث **كالماع** عياض **وكتاب أبي عمرو عثمان بن الصلاح** ... »(73) ، وأورد نص إجازة المنجوز له في جمادى الأولى عام 986 هـ (74) ، وأتبعها بنص إجازة أخرى له في رجب عام 993 هـ (75) . وقد تألم ابن القاضي كثيرا لموت أستاذه ، خاصة وأنه أتى مباشرة بعد فكه من الأسر ، وما عاناه من ألم الغربة والتعذيب والتجويع ، فقال عن ذلك : « ...ولما خرجت من الأسر وجدته في مرضه الذي مات منه ليلة النصف من ذي القعدة عام خمسمائة وتسعين وتسعمائة ، ودفن خارج باب الفتوح بازاء شيخه اليستني ، ورحت لثغر تطاون أؤدي ما علي من دين الكفرة ــ دمرهم الله تعالى ــ فاختطفته المنية ورزئت [فيه] ، فيالها من رزية !

---

(69) أنظر **درة الحجال** ، 3 : 361 .
(70) أنظر **المنتقى**، 685.
(71) يلاحظ هنا النبوغ المبكر لابن القاضي بحيث سيبتدأ في الأخذ عن أستاذه المنجور وهو ابن 15 سنة .
(72) أنظر **درة الحجال** ، 1 : 163 .
(73) أنظر **المنتقى**، 769.
(74) أنظر المصدر السابق، 777 ــ 778 .
(75) أنظر المصدر السابق، 773.

ورثيته بقطعة مطلعها :

يا عيـــن جودي بالدمــــوع السكب إن الدمـــوع بغيــــر ذا لم تطلــــب
أهمي دموعك دون غيض بعــــد أن قد حل بالأحداث قطب المـغــــرب
شيخ الجماعة أحمد المنجــور من شهــدت له عليـــاؤه بالمنصــــــب
بحـــر تدفـــق بالعلــــوم بأسرهــــا مبدي المسائل كالضيا في الغيهب
ناحت عليـــه مساجـــد ومـــــدارس وحسائل من معضلات المذهـــــــب
سكب الاله علـــى ضريحـــه صيبــــا من رحمة أو نفحـــة من يثـــرب (76)

3 ـــ أبو زكريا يحيى بن محمد السراج :

وهو شخصية علمية بارزة ، شغل لمدة منصب الخطابة بالقرويين والفتيا بفاس ، وهنا نجد المثال العملي للملاحظة الثالثة التي صدرنا بها هذا المبحث ، إذ يقول : « ...وممن أخذت عنه بعض شيء بفاس أبو زكريا يحيى بن محمد السراج الحميري النفزي بعض أبواب من **مختصر خليل بن اسحاق المالكي** ، وشيئا من **ألفية ابن مالك** ، وشيئا من **مغني اللبيب** ، وما لازمته تلك الملازمة ، وإنما كانت ملازمتي للشيخين السابقين (اليدري والمنجور) . ولد أبو زكريا هذا بعد نيف وعشرين ، ولا مدخل له في الادب أصلا ، سمعت منه غير مرة يقول : لا أقدر على تلفيق بيت واحد ، غير أنه فقيه صرف ، يعرف الفقه معرفة تامة ، والنحو ، وألفاظ **خليل** يحكها حكا جيدا . أخذ عن أبي مالك الونشريسي والزقاق وغيرهما . وهو أكبر أصحابنا الفاسيين غير أبي راشد المذكور ، فإنه أسن منه ، وهو رجل دين فاضل ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، إلا أنه معه بعض طيش فقط مع شيء من ضيق الخلق ، وتصحبه غفلة في بعض الأوقات. تولى الخطابة بالقرويين والفتيا بفاس ـــ عمرها الله تعالى بمنه ـــ » (77) .

4 ـــ أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الحميدي قاضي الجماعة بفاس : وهذا مثال للملاحظة الأولى ، مع فارق واحد وهو أن ابن القاضي سوف يشارك في رأيه مؤرخون آخرون .

قال عنه : « ...وممن أخذت عنهم أيضا بعض بويبات من مختصر خليل القاضي أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الحميدي ، قاضي الجماعة بفاس ـــ أمنها الله تعالى ـــ .

---

(76) أنظر المصدر السابق، 774 .
(77) أنظر المصدر السابق، 779.

ولد سنة سبع عشرة وتسعمائة .

وهو مطبوع ، يقرض الشعر ، ويحفظ مقطعات وغيرها ، حافظ لمسائل المذهب ... »[78] .

وقال عنه أيضا : « ...كان حافظا لمذهب مالك ، إلا أنه نبذ الشريعة المحمدية وراء ظهره ، وكان يحكم بموافقة شهوته مع علمه بالفقه ، ولا يبالي بما فعل فيها ، حتى اكتسب هو ومن والاه أموالا جليلة لا حصر لها . ولما توفي قال فيه صاحبنا الوزير عبد الرحمان بن ابراهيم المشترائي :

تولي الحميدي وأحزابه — وأيام دولته الغاوية
ومات وخفت موازنه — وصار إلى أمه الهاوية[79]

وقد أورد تلميذ آخر من تلامذة الحميدي ، وهو ابراهيم الكلالي ، إشارات خفية عن أستاذه لنفس الغرض[80] .

وقال الافراني في **الصفوة** : « كانت بنته — أي بنت الحميدي — تلبس خلاخل ذهب لا تحملها إلا بسلسلة في حزامها ، ولها اماء يتبعنها يحملن ما تخرج من حللها »[81] .

ومهما يكن من أمر عبد الواحد الحميدي فإنه لا يشكل في الواقع إلا حالة من حالات عديدة سبق أن نبه عليها أحمد بابا ، غير أننا نستطيع أن نتساءل عن السبب الحقيقي الذي أدى بابن القاضي إلى « تعرية » هذه الشخصية المرموقة بهذا الشكل ؟ .

هل صدر منه تجاه العلماء أو السلطة ما جعل (القدح) فيه جائزا ؟ الواقع أنه نال من

---

(78) أنظر المصدر السابق، 779.
(79) نقلا عن م. الأفراني ، في **النزهة** ، ص 172 .

ملاحظة :

ذكر .م. الافراني أنه رآى هذا القول في جذوة الاقتباس ، كما ذكر أنه شطب عليه بالحمرة . ويبدو من خلال ذلك أن ابن القاضي تراجع من باب عدم ذكر الأموات بالسوء . ولكن التسجيل يبقى مع ذلك قائما .
(80) انظر **التنبيه**، 251 — 255
(81) أنظر **الصفوة** ، 97 .

الطرفين ! فتذكر المصادر المعاصرة التي كتبها تلامذته ، أنه كانت بينه وبين بعض علماء وقته « منافسة دنيوية » على حد تعبير هؤلاء ، مثل ما وقع له مع أحمد بن علي الزموري الذي وصفه بالجهل القاتل هو وشيخه [82] . كما تذكر له المصادر التاريخية أيضا بعض الاحتكاك مع المنصور على الأقل مرتين ، وهكذا (فقد أظهر مرة الشكاية) من عنف المنصور ، كما أنه في المرة الأخرى وجه انتقادا لاذعا للمنصور عندما اتهم عصره بأنه أصبحت فيه (صنعة العلم كاسدة) ، وقد نقل كلامه هذا بالفعل للمنصور[83] .

وفي تقديرنا فإنه من المحتمل أن يكون قد وقع الكثير من هذا القبيل ، لكن المؤرخين اللاحقين أغفلوا عنه ، من باب (الاغضاء عن ذكر الفضائح) .

وعلى كل فإن كان بامكان ابن القاضي أن يتغاضى عن علاقة الحميدي بعلماء عصره ، فان لم يكن بالامكان أن يتغاضى عن رجل كان ينال من ملك يحاول كسب وده .

5 — أبو العباس أحمد بن علي الزموري :

قال عنه : « وممن لقيته وأخذت عنه بعض شيء الفقيه النحوي الاديب أبو العباس أحمد بن علي الزموري ، أخذت عنه بعض بوييات **خليل وابن الحاجب** ، وهو فقيه حافظ ، مطبوع ، يقرض الشعر ... »[84] .

6 — أبو العباس أحمد بن قاسم القدومي :

وهو نموذج آخر من نماذج الملاحظة الثالثة إذ قال عنه في **المنتقى** : « وممن اجتمعت به

---

(82) أنظر ابراهيم الكلالي ، **تنبيه** ، 253 .
كما أشار الافارني في **النزهة** ، ص 173 ، إلى المنافسة التي كانت بينه وبين المنجور قائلا : « كانت بينه (الحميدي) وبين المنجور منافسة حتى أن السلطان المنصور قدم المنجور مرة للصلاة ، فلما أراد المنجور أن يدخل المحراب منعه الحميدي ، فقال له السلطان : دعه ، فقد قدمه علمه . فقال الحميدي : إن قدمه علمه فقد أخره نسبه » .
ملاحظة :
يقصد الحميدي بذلك أن المنجور كان من الاسلاميين ، ذوي الأصل اليهودي .

(83) أنظر م. الافراني ، نزهة ، 158 — 159 .
كما كان له احتكاك مع المعتصم ، فقد ذكر الافراني في هذا الصدد : « ...وكان السلطان المعتصم نقم مرة عليه (على الحميدي) شيئا ، فسجنه مدة ، فبعث بأولاده للشيخ سيدي رضوان يطلب منه أن يشفع له عند السلطان المعتصم ، فكتب له سيدي رضوان بخط يده يحضه على الاستشفاع (خلافا للأصل) بالنبي ﷺ والاستمساك بحبله الأعصم ...فقبل القاضي إشارته وتوجه إلى ربه بكلمته فأتاه الفرج » ، أنظر **النزهة** ، 172 .

(84) أنظر **المنتقى**، 779.

أيضا وأخذت عنه : أبو العباس أحمد بن قاسم القدومي ، أخذت عنه بعض **ألفية ابن مالك** ، وشيئا من **مختصر خليل** ، وكان لا يقرض الشعر ، وإنما كان نحويا حافظا له ولعلله ، وله من تقاييده تأليف حسن هو الآن بخزانة مولانا — عمرها الله — ، وهو في غاية الحسن سماه **بالهادي** ، **في حل الفاظ المرادي** ، اشتمل على مجلدات نحو الأربعة . وتوفي — رحمه الله — في يوم الأربعاء الخامس عشر من شعبان المعظم من عام اثنين وتسعين وتسعمائة ، ودفن خارج باب الفتوح ، أحد أبواب فاس المحروسة . وكانت له نية صالحة في تعليم العلم — نفعه الله بنيته — (85) .

7 — أبو العباس أحمد بن عثمان بن عبد الواحد اللمطي المكناسي :

وهو من العلماء الذين أخذ عنهم بفاس .

قال عنه :« ...أخذت عنه **ألفية ابن مالك** ، وهو رجل زاهد خاشع ، فقيه ، أستاذ ، يقرض الشعر ، نقي الجانب والشيبة ، عظيم الهيبة ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، لا يبالي بأحد في الحق ، وله نية صالحة في التعليم — نفعه الله بنيته — » (86) .

8 — مبارك بن علي بن ابراهيم الجزولي :

وهذا شارك ابن القاضي في أشياخه مثل أحمد المنجور ، والحميدي ، والزموري وغيرهم ، لأن هؤلاء أيضا درسوا عليه ، ومنهم من أخذوا منه وأخذ منهم مثل أحمد المنجور الذي يقول : « وممن لقيته الفقيه سيدي مبارك المصمودي كان نافذا في تدريس **مختصر خليل** يحل اللفظ ، قليل الزيادة عليه . وقرأت عليه وقرأ علي ، فقرأت عليه ما ينيف على أربع ختمات من **المختصر** ، وقرأ علي **فرائض الحوفي** ختمة وجل أخرى ، **وتلخيص ابن البنا** . وكان أول قراءته على شيوخ المصامدة . ولزم أيضا جماعة من أهل فاس كشيخنا الامام وغيره 87) .

9 — أبو سالم ابراهيم بن الأكحل السويدي :

وهو من الشخصيات البارزة التي أخذ عنها الحساب والفلك بمدينة مكناس . قال عنه : « ...داهية الانسان ، وفيلسوفي الزمان ، له عقل لفهم المسائل ثاقب ، وعلى الحق والصواب ناقب ، له قدم راسخ في التعديل والهيئة ، ما أظن أن أحدا في زماننا اليوم يصله . حدثني شيخنا أبو العباس المنجور أنه أخذ عنه علمه ، وقال لي : كانت المسائل في فنه تشكل على محمد

---

(85) أنظر المصدر السابق، 781.

(86) أنظر المصدر السابق، 781.

(87) أنظر **فهرس** أحمد المنجور ، 78 — 79 .

الصغير بن الحاج ، ويوجهها له ويقول : السويدي لها أو كلاما يقرب من هذا . وهو في غاية التقشف والزهد ، حتى أن الناس من كثرة زهده نسبوه إلى صنعة الكيمياء ولا أصل لما نسبوه إليه »[88] .

10 ــ أبو عبد الله محمد يوسف الترغي [89] (ت 1009 هـ / 1600 ــ 1601) :

وقد تأثر به ابن القاضي كثيرا ، إذ خصص له 23 صفحة من كتابه **درة الحجال** ، كما ذكره من بين الشيوخ المغاربة الخمسة في **الفهرسة** . وقد أدرك الترغي شأوا بعيدا في علوم القرآن ، كما كان يعقد مجالس للتفسير والحديث والفقه والنحو على كرسيه في جامع الاشراف بمراكش . قال عنه ابن القاضي : « الفقيه الأستاذ النحوي أبو عبد الله . فقيه مشارك نحوي ، له سند . أخذ عن أبي القاسم بن ابراهيم المشترائي ، وأجاز له في القراءات السبع ، وفي كل ما يجوز له ، وروى عن أبي النعيم : رضوان بن عبد الله الجنوي ، وعن أبي عبد الله الخروبي . وله حفظ غزير ، ذاكر للمسائل . أجاز لي جميع مروياته .

وما رويته عنه وأخذته فهو في جزء مسموعاتي عنه الذي كتب فيه خطه لنا بذلك ... »[90] .

وهنا لا نترك هذا الشيخ قبل أن نشير إلى أنه :« كان أولا يخص بالتعليم الأشراف وذوي الجاه ويستنكف عن الضعفاء والمساكين ... »[91] وهذا ما يؤكد أن ارستقراطية ابن القاضي أفادته كثيرا في تعليمه ، ولولا ذلك لما قبله هذا الشيخ كأحد تلامذته .

11 ــ أبو عبد الله محمد بن قاسم القصار [92] (ت 1012 هـ / 1604 م) :

حدد ابن القاضي ما أخذ عنه قائلا : « ...قرأت عليه **جامع البخاري** ، وأجازه لي ، وعدة كتب مذكورة في برنامج روايتي عليه في أول يوم ابتدأت القراءة عليه . سمعت منه الحديث المسلسل بالأولية وهو حديث الرحمة ... »[93] .

12 ــ أبو المحاسن يوسف بن محمد الفاسي [94] (1013 هـ / 1604 م) :

---

(88) أنظر **المنتقى**، 794.
(89) أنظر ترجمته ومصادرها عند م. حجي ، **الحركة الفكرية** ، 2 : 380 .
(90) أنظر **درة الحجال** ، 2 : 165 .
(91) أنظر ع. الرحمان التمنارتي ، **الفوائد** ، 32 .
(92) أنظر ترجمته ومصادرها عند م. حجي ، المصدر السابق ، 2 : 363 .
(93) أنظر **درة الحجال** ، 2 : 154 .
(94) أنظر ترجمته ومصادرها عند م. حجي ، المصدر السابق ، 2 : 364 ــ 365 .

وتنطبق على هذا الشيخ الملاحظة الثانية حول سكوته عن ذكر بعض الشيوخ . فهو لم يترجم له مع أن ولده محمد العربي الفاسي في **المرآة** يؤكد على أن ابن القاضي حضر مجالس الشيخ المذكور ، كما أن حفيده عبد الرحمان الفاسي ذكره في **ابتهاج القلوب** ـــ عند ذكره للفقهاء الذين حضروا مجالس الشيخ أبي المحاسن ـــ : « ...ومنهم الفقيه المحدث الرحلة أبو العباس أحمد بن القاضي المؤرخ ممن قرأ عليه الفقه والأصول وسمع منه وحضر مجالسه ... » .

فما هو سر هذا السكوت إذن ؟

13 ـــ أبو عبد الله محمد بن أحمد الحضري الزروالي :

وهو من بين الشيوخ المغاربة الخمسة الذين ذكرهم في **الفهرسة** . قال عنه : « القاضي ، فقيه محدث ، له سند صحيح ، وقلم فصيح ...أجاز لي كل ما يحمله عن أشياخه وتواليفهم ، ووضع خط يده بالاجازة سنة 999 هـ في أواسط شوال منها »(95) .

14 ـــ أبو عبد الله محمد بن محمد المشاط ، المعروف بالهزاز :

قال عنه : « أخذ عن أبي عبد الله : محمد بن أحمد بن غازي **القرآن** . وقرأت عليه فاتحة الكتاب بسنده ما روى عن ابن غازي بواسطته ج وأجاز لي سنة 993 هـ »(96) .

15 ـــ محمد بن علي الدادسي :

قال عنه : « له سند صحيح وأخذ وسماع . إلا أنه ليس من أهل العلم . وله حفظ **بالقرآن** العظيم ...وأخذت عنه ، وأجاز لي .

ولد سنة 922 وكانت إجازته لنا في منزله بمراكش المحروسة . وتوفي سنة 999 هـ »(97) .

16 ـــ إمام الدين بن محمد الخليلي المقدسي :

من علماء الشام المستوطنين بمراكش ، وقد أجاز لابن القاضي في 5 محرم سنة 999 هـ بمدينة مراكش ، جميع مصنفات الحديث التي يرويها عن شيوخه المشارقة ، العرب والعجم ، وتعتبر هذه الاجازة من أهم الوثائق التي تعطينا معلومات دقيقة عن هذا العالم ، إذ ذكر في صلب الاجازة أسانيده في الحديث ، ومن أخذ عنهم ، أو أجازوه من محدثي القدس ، ومصر ، والحرمين الشريفين ، وحمص ، وحماة ، وحلب ، وانطاكية ، وطرابلس الشام ، والقسطنطينية ثم طرابلس

(95) أنظر **درة الحجال** ، 2 : 34 .
(96) أنظر المصدر السابق ، 2 : 34 ـــ 35 .
(97) أنظر المصدر السابق ، 2 : 150 .

الغرب ، وتونس ، والجزائر . وتعتبر هذه الاجازة بمثابة موسوعة لعلم الحديث في القرن العاشر الهجري ، وهذا نموذج منها :

« وبعد ، فيقول العبد الفقير ، الراجي فضل ربه القدير ، الواضع اسمه عقب تاريخه أدناه — أصلح الله له دنياه وأخراه — لما دخلت في المرة الثالثة أرض المغرب — حماها الله — قاصدا حمى مولانا أمير المؤمنين ابن الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين ، الليث الهصور ، والملك المنصور ، مولانا أبو العباس أحمد المنصور ، وحصل من احسانه ما أعجز لساني عن أداء شكره ، وكنت اتخلل مجالس العلماء والادباء وأخبرهم بمن لقيت من علماء الاسلام بمصر ، والشام ، وأن لي سندا امتد بواسطتهم إلى ابن حجر العسقلاني وغيره ، فرغب إلي من له الفضل علي مفيدنا وبركتنا ، الامام الفاضل ، وليي : أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن أبي العافية الشهير بابن القاضي ، والاديب الفاضل ، العلامة الاحد المتقن ، المفيد ، الرحلة : سيدي الحسين بن أبي القاسم بن أحمد الدرعي ثم الجوزي الملولي — خار الله لهما ونفعهما باعتقادهما — أن أخبرهما بمن أجازني من العلماء المشهورين والأئمة المهديين ، وأن أصل سندهما بهؤلاء السادة الآتي ذكرهم ، لا سيما في كتب الحديث ، كما جرت بذلك العادة في القديم والحديث ... » .

17 — أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن جلال (98) :

لم يذكر ابن القاضي أنه أخذ عنه غير أن تلميذه أحمد المقري جزم بهذا الأخذ فهو يقول : « ومن أشياخ صاحب الترجمة (أحمد بن القاضي) أيضا الفقيه الامام بلدينا أبو عبد الله محمد بن جلال — رحمه الله — ... »(99) .

* * *

وهكذا تتعدد قائمة شيوخ ابن القاضي تعددا كبيرا معقدا ومتشعبا إلى الدرجة التي يصعب معها حصر كل شيوخه ، نظرا لأن ابن القاضي لم يقتصر على طائفة من الشيوخ دون أخرى ، أو مدينة دون أخرى ، بل نجده يشد الرحال إلى كل مكان يسمع بوجود من يفيده به ، وقد أدرجنا هذه الأمثلة لتكون كنماذج لما قلناه من ملاحظات سابقة ، ولنؤكد أن ابن القاضي أثناء استعراضه لشيوخه لا يورد لنا تراجم جافة لهم كما يفعل الكثير من المؤرخين وأصحاب كتب التراجم ، بل يستطيع القارىء النبيه أن يلتقط بسرعة المعلومات الضرورية لرسم خريطة الازدهار

---

(98) أنظر ترجمته ومصادرها عند م. حجي ، المصدر السابق ، 2 : 357 .
(99) أنظر روضة الآس ، 287 .

الفكري في المغرب في عهد المنصور وقبله بقليل ، سواء من حيث المحتوى أو التوزيع الجغرافي .

يضاف إلى ذلك أن ابن القاضي لم يكتف فقط بذكر شيوخه ، بل استعرض مجموعة من الطلبة الذين كانوا يدرسون معه ، وهذا عمل يشكر عليه ، لأنه قلما اهتم المؤرخون وأصحاب كتب التراجم بالذين كانوا يدرسون معهم ، أو الذين هم أقل منهم مستوى.

يقول ابن القاضي في **المنتقى** : « ...وأما من شاركنا فيهم فجماعة من طلبة العلم ، فمنهم ابن عمنا : قاسم بن محمد بن محمد بن قاسم بن علي بن العافية الشهير بابن القاضي المكناسي ... وقاسم هذا نحوي ، فرضي ، حيسوبي ، فقيه استاذ...له شرح مفيد على **ألفية ابن مالك** انتفع به كثير من الطلبة ، وآخر على **الجرومية**، ما في أصحابنا الفاسيين اليوم أحفظ منه لعلل النحو والتصريف ، آخذ فيما يعينه ، ومقبل عليه ، معروف بقول الحق ... »[100] . ويقول عن طالب آخر ، وهو : أبو عبد الله محمد بن أحمد الجنان الأندلسي ــ الذي شاركه في أبي العباس المنجور ــ : « طالب مطبوع ، له فهم جيد في المسائل ، معقولي ، نحوي، فرضي ، عددي ، ولا له نظم ، حدثني أنه لا يقدر على عقد بيت واحد ، عاقل لبيب ، متعفف ، مقبل على ما يعنيه ومنكب على أشغاله »[101] .

ويقول عن آخر ، وهو أبو زيد عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن ابراهيم الدكالي المشترائي : « فقيه مطبوع ، معقولي ، بياني أديب ، ناظم ، ناثر »[102] .

ومعلوم أن هؤلاء كانوا ينشدون ابن القاضي مقطعات احتفظ لنا بها ــ لحسن الحظ ــ وهي اماليهم ، أو لشعراء آخرين ، معروفين وغير معروفين .

وهناك طائفة أخرى يذكر ابن القاضي أنه التقى معهم ، ولكن لم يذكر أنه أخذ عنهم أو أخذوا عنه ، بل يذكر فقط مناصبهم ــ إن كانت لهم مناصب ــ وما يتقنون من علوم ، وأحيانا يذكر إنشاداتهم ، إن كانت لهم إنشادات[103] .

والطائفة الأخيرة ، وهي الطائفة التي أخذ عنها وأخذت عنه ، نذكر ــ على سبيل المثال ــ عبد الواحد السجلماسي الذي تدبج معه في 28 شوال سنة 998 هـ ، حيث قرأ ابن القاضي بلفظه فهرس السجلماسي ، إذ يقول : « وقد أجازني **بفهرسته** ، وناولني منها نسخة

---

(100) أنظر **المنتقى**، 790.
(101) أنظر المصدر السابق، 791.
(102) أنظر المصدر السابق، 791.
(103) أنظر طائفة من هؤلاء في المصدر السابق، ص 755 وما بعدها

ضاعت في محنتي »[104]، وقرأ عبد الواحد السجلماسي على ابن القاضي فاتحة الكتاب بما به فيها من سند وإجازة مشرقية ، فأجازها له مع جميع ما يجوز له وعنه روايته [105] . ومن الذين تدبج معهم أيضا محمد بن أبي بكر التواتي (14 شوال عام 998 هـ) ، إذ أجاز التواتي لابن القاضي **صحيح البخاري** بعد أن قرأ عليه بعضه بسنده المتصل بالحافظ ابن حجر فالبخاري ، وحضر التواتي دروس ابن القاضي في الحساب والفرائض ، ونال منه اجازة في ذلك[106] . وتدبج مع الأمير زيدان بن أحمد المنصور (أواخر عام 1010 هـ) ، أجاز ابن القاضي للأمير جميع ما تحتوي عليه **فهرسته رائد الفلاح** ، وأدمج الاجازة في صلب **الفهرسة** على نحو ما فعل المنجور مع أحمد المنصور ، وروى ابن القاضي عن زيدان أشعاره وأخباره ، وقال : « وأجاز لي كل ما له من نظم ونثر ، ووضع لي خطه الكريم بذلك »[107] ، كما تدبج مع يحيى بن علي بن يحيى المالكي الخصيبي [108] .

* * *

وهكذا نلاحظ من خلال هذه العناصر أن ثقافة ابن القاضي في المغرب كانت متينة بفعل هذه الاتصالات المكثفة ، وأنه في ثقافته هذه لم يقتصر على علم من العلوم أو فن من الفنون ، بل تعددت مشاغله واهتماماته ففي الوقت الذي يهتم فيه بالرياضيات ويبحث عن أساتذتها ، يبحث أيضا في ميدان الادب واللغة والفقه ، مما جعل شخصيته تكون مرآة صادقة لثقافة عصره في بلده .

ولا شك أن هذه الشخصية اكتسبت عناصر جديدة في رحلتها إلى الخارج وتفتحت إلى الدرجة التي وصلت فيها إلى هذا المستوى الرفيع فكيف تمت إذن هذه الرحلة ؟ وما هي الشخصيات التي اتصل بها ؟ وما هي نتائج هذه الاتصالات ؟ وما هي نوعية الثقافة المحصلة هناك ؟

كل هذه الأسئلة سنحاول الاجابة عنها في المبحث التالي .

---

(104) أنظر المصدر السابق، 755.

(105) أنظر عبد الواحد السجلماسي ، ذيل **الفهرس** ، 94 — 95 .
ودرة الحجال ، 3 : 140 — 141 .

(106) أنظر المصدر السابق ، 96 .
ودرة الحجال ، 2 : 162

(107) أنظر **فهرس** أ. بن القاضي **رائد الفلاح** ، مخطوط غير مرقم .

(108) أنظر **درة الحجال** ، 3 : 342 .

ثانيا : تكوينه بالخارج

ونقسمه إلى ثلاثة أقسام :

أ ــ المشرق العربي ، ب ــ تركيا ، ج ــ المغرب العربي .

أ ــ المشرق العربي :

يقول ابن خلدون : « فأهل المشرق ــ على الجملة ــ أرسخ في صناعة تعليم العلم ، بل في سائر الصنائع ، حتى إنهم ليظن أن عقولهم على الجملة ونفوسهم الناطقة ، أكمل من عقول أهل المغرب ونفوسهم ، وأن حقيقة الانسانية بيننا وبينهم متفاوتة ، لما يرى من حذقهم في العلوم والصنائع ... »(109) بهذه النظرة سوف ينطلق ابن القاضي إلى المشرق العربي لربط سند العلم والرواية بالأساتذة الاعلام هناك . وقد قام برحلته هذه سنة 986 هـ ، إذ يقول : « ...وقد اتصل بنا خبر هذه الواقعة العظيمة ونحن بفزان بموضع يقال له المخاتن في الخامس عشر من شعبان سنة ست وثمانين وتسعمائة »(110) ، إذن فقد قام برحلته هذه وهو في السادسة والعشرين من عمره ، أي بعد أن أخذ قدرا لا بأس به من العلم بالمغرب ، وبعد أن لازم عددا من الشيوخ مثل احمد المنجور الذي يكون قد لازمه في سفره هذا 11 سنة (579 هـ إلى 689 هـ) ، نضيف إلى هذا توفر الأسباب المادية والمعنوية من شباب ومال وطموح .

وقد تجول ابن القاضي كثيرا انطلاقا من فاس فالجزائر فتونس فليبيا فمصر ، واتصل بعلماء العصر ، وتبادل معهم الآراء ، ونعيد التأكيد هنا على أن هذه الاتصالات حملت معها صورا واضحة من الحياة الاجتماعية والاقتصادية للبلاد التي وقعت فيها ، كما حملت معها أيضا الأصداء الواسعة التي تركتها معركة وادي المخازن هناك ، وكيف كان ينظر عرب الشرق الرازخين تحت نير السيطرة العثمانية إلى الدولة العربية الوحيدة التي لم تصلها يد الأتراك .

1 ــ في مصر :

★ ــ ابراهيم بن عبد الرحمان بن علي بن أبي بكر العلقمي : قال عنه : « فقيه ، شافعي المذهب ، أعلى راوية سندا في زماننا اليوم ، وأضبط حافظ للحديث في وقتنا ، أديب مطبوع ، عالم تحرير ، أصولي. أجازني في **البخاري** والحديث ، و**ألفية العراقي** وغير ذلك في الحديث. ما رأيت مثله في حل أشكال معارضات الحديث ، ولا أحفظ منه باللغة. ولقد ضاعت مني اجازته ــ التي أجازني بها

---

(109) أنظر المقدمة ، ص : 989 ، 990 .

(110) أنظر **المنتقى**، 246.

بخطه ـــ في حال محنتي ، وهي اليوم بيد الكفرة ـــ دمرهم الله تعالى وأخزاهم ـــ وهو يأخذ عن الشيخ عبد المجيد السامولي ، وعن الشيخ عبد الحق السنباطي ، عن ابن حجر ، ويروي عن أخيه محمد بن عبد الرحمان الذي شرح **الجامع الصغير** للاسيوطي وغيره ... »[111].

★ ـــ **سالم بن عبد الله السنهوري** :

قال عنه : « الفقيه المالكي. أخذت عنه **ألفية العراقي** في علم الحديث. وهو فقيه أصولي ، معقولي ، نحوي ، يروي الحديث عن نجم الدين الغيطي ، عن زكريا الأنصاري ، عن ابن حجر ، والفقه عن الشيخ الصالح الصوفي الزاهد الناسك ، بركة الناس : سيدي أبي عبد الله محمد البنوفري »[112].

★ ـــ **منصور المنوفي** :

قال عنه : « أخذت عنه شيئا من **ألفية العراقي** ، **والتصريف للعزي** وغير ذلك من الحديث والسير »[113] .

★ ـــ **أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي الخير الشريف الميقاتي المعروف بالطحان** :

قال عنه : « أخذت عنه **كتاب المجسطي** في الهندسة ، **والجغميني في الهيئة** ، فقيه مالكي ، منطقي ، له كيس ونباهة ، يصنع بيده الربع المجيب وغيره من آلات الميقات »[114] .

★ ـــ **أبو الحسن نور الدين علي بن أحمد بن علي الأنصاري القرافي الشافعي** :

قال عنه : « ...وأجازني بفاتحة **الكتاب** سند قريب من طريق الجان ، عنه ، عن التتائي ، عن برهان الدين اللقاني ، عن سليمان معلم أولاد الجان ، عن القاضي شمهروس الأحمر ، عن النبي ﷺ برواية أبي عمرو بن العلاء بمد مالك »[115] .

وقد أجاز نور الدين القرافي ابن القاضي في شهر ذي القعدة الحرام سنة ست

---

(111) أنظر المصدر السابق، 794 ـــ 796.
ودرة الحجال ، 1 : 203 ـــ 204 رقم 281.

(112) أنظر المصدر السابق، 796 .
ودرة الحجال ، 3 : 214 رقم 1413 .

(113) أنظر المصدر السابق، 796.
ودرة الحجال ، 3 : 10 رقم 894 .

(114) أنظر المصدر السابق، 797.
ودرة الحجال ، 2 : 104 رقم 538 .

(115) أنظر المصدر السابق، 799 ـــ 800.

وثمانين وتسعمائة بمصر [116] .

ونور الدين القرافي هذا غير بدر الدين القرافي صاحب **ذيل الديباج** الذي أجاز المنصور وجماعة من العلماء المغاربة ، فبدر الدين لم يلقه ابن القاضي رغم أنه أدركه ، إذ يقول : « أدركته بمصر سنة ست وثمانين وتسعمائة ، إلا أني لم ألقه ، ولم آخذ عنه ، لم يرد الله ذلك »[117] .

★ **ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد الرملي :**

لم يذكر أنه أخذ عنه ، ولكن أورد له إجازة فيما بعد في **فهرسة** ، مؤرخة بسنة 1003 هـ ، ويبدو من خلال ذلك أنه استجازه عندما رجع إلى المغرب .

★ **ـ أبو عبد الله محمد البهنسي المصري :**

قال عنه :« الفقيه الراوية المحدث المفسر . له تفسير في نحو الأربعين مجلدا ، وله شرح على **البخاري** في نحو الثلاثين مجلدا وغير ذلك من التصانيف .

لقيته بمصر سنة 986 هـ وأخذت عنه ، وأجاز لي كل ما يحمله لفظا لا كتابة »[118] .

★ **ـ أبو عبد الله محمد المحلي :**

قال عنه : « الفقيه الشافعي ، فقيه ، نحوي ، وله مشاركة في الأصلين ، والبيان ، والمنطق .أخذ عن أبي عبد الله الرملي وأبي اسحاق : ابراهيم بن عبد الرحمان بن أبي بكر العلقمي وغيرهم .

لقيته بمصر سنة 986 هـ » [119] .

★ **ـ أبو الحسن علي بن محمد بن غانم المقدسي [120] :**

أورد نص اجازته في فهرسه .

★ ـ راشد بن عبد الله البغدادي :

قال عنه : « فقيه نحوي ، أخذ عن جماعة من أهل بغداد وعن الامام الرملي والعلقمي ، وأحمد بن قاسم ، ويوسف النحوي ، وجماعة . لقيته بمصر سنة 986 هـ وله معرفة بالمنطق أخذت عنه المنطق بالقاهرة في السنة المذكورة »[121] .

---

(116) أنظر المصدر السابق، 800.

(117) أنظر **درة الحجال** ، 2 : 250 رقم 730 .

(118) أنظر المصدر السابق ، 2 : 239 رقم 700

(119) أنظر المصدر السابق ، 2 : 239 ، رقم 701 .

(120) أنظر ترجمته ومصادرها عند خ. الدين الزركلي ، **الاعلام** ، 5 : 166 .

(121) أنظر **درة الحجال** ، 1 : 227 رقم 427 .

★ ــ **أحمد بن أحمد بن عبد الحق السنباطي :**
قال عنه :« الفقيه المؤلف الشافعي . له نظم ونثر ، وله تآليف حسنة ، من ذلك **نظمه** الذي جمع فيه سبعة عشر علما .
أخذ عن جماعة : كالمرصفي وغيره ، لقيته بمصر سنة 986 ، وقرأت عليه شيئا من **منظومته** المذكورة ، وأجاز لي كل ما يحمله »(122) .

★ ــ **داود بن عبد الله البغدادي :**
قال عنه : « الطبيب الماهر ، وكان ضريرا أعمى ، لقيته بمصر سنة 986 هـ وكتب الطب تسرد عليه ، ومعرفته في الطب عظيمة »(123) .

★ ــ **عبد الله الشنشوري المصري** (124) :
قال عنه : « الفقيه الفرضي الحيسوبي ، وهو فرضي مصر المحروسة ، اجتمعت معه بها سنة 986 »(125) .

★ ــ **محمد النجراوي الحنفي :**
قال عنه :« وممن أخذ عنه شيئا من **المحادي** على **ألفية لابن هشام** : الشيخ محمد النجراوي الحنفي ، فقيه ، نحوي ، لغوي ، استاذ »(126) .

★ ــ **أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن غانم المقدسي (ت 1004 هـ / 1596) :**
أورد ابن القاضي إجازة له في فهرسه . ولم يترجم له .

وقد أثنى عليه المحبي كثيرا ، إذ قال في جملة ما قال : « ...العالم الكبير الحجة ، الرحلة القدوة ، رأس الحنفية في عصره ، وإمام أئمة الدهر على الاطلاق ، وأحد أفراد العلم المجمع على جلالته وبراعته وتفوقه في كل فن من الفنون ، وبالجملة والتفصيل فهو أعلم علماء هذا التاريخ وأكثرهم تبحرا وأجمعهم للفنون مع الولاية والورع والزهد والشهرة الطنانة التي سلم لها أهل عصره وأذعنوا لها مع أن العصريين يجحدون فضل بعضهم بعضا ولا يذعنون كل الاذعان . وقد وقفت على أخباره كثيرا في التواريخ وكتب الآداب المؤلفة فانتقيت ما يحصل المراد من ترجمته ... »(127) .

---

(122)أنظر المصدر السابق ، 1 : 168 رقم 201 .
(123)أنظر المصدر السابق ، 1 : 167 رقم 406 .
(124)أنظر ترجمته ومصادرها عند خ. الدين الزركلي ، **الاعلام** ، 4 : 273 .
(125)أنظر **درة الحجال** ، 3 : 63 رقم 981.
(126) أنظر **المنتقى**، 799 .
(127)أنظر **خلاصة الاثر** ، 3 : 180.

وقد ذكر بعد ذلك جماعة من طلبة العلم وغيرهم ممن التقى معهم مثل :

★ ـــ **أبو يعقوب يوسف بن محمد الزرقاني:**

قال عنه : « وممن لقيته بها من طلبة العلم : الشريف أبو يعقوب يوسف بن محمد الزرقاني ، طالب مطبوع »(128) .

★ ـــ **أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عبد القادر الدمياطي الحنفي المفتي :**

وهو ممن التقى بهم ابن القاضي وقال عنه أنه : (طالب مطبوع)(129) . وقد وصفه المحبي بما يأتي : « الامام المقدم على أقرانه ، البارع في أهل زمانه ، مفتي مذهب النعمان بالقاهرة ، والمبدي من تحريراته التحقيقات الباهرة ، فاق في الفضائل جميعها ، وبهر في تأصيل المسائل وتفريعها ، وتكلم في المجالس ، واظهر من درر بحره النفائس ، وجمع وألف وكتب وأفاد ، وأرسل فتاويه طائرة بأجنحة ورقها إلى سائر البلاد ، ولازم شيوخ الحنفية من المصريين كالشيخ الامام زين بن نجيم وأخيه الشيخ عمر وشيخ الفقهاء في وقته الشيخ علي بن غانم المقدسي وغيرهم وأجازوه ، وتصدر للتدريس ونفع الناس ... »(130) .

ويتجلى من خلال هذا النص نوعية الطلبة الذين التقى معهم والشأو الذي وصلوه فيما بعد .

★ ـــ **أبو التقى صالح بن أحمد البلقيني الشافعي :**

قال عنه : « إمام معقولي ، منطقي ، مقبل على ما يعنيه »(131) ، وقال عنه في **درة الحجال** :« عارف بالأصلين والمنطق والبيان والنحو وغير ذلك . لقيته بالقاهرة سنة ست وثمانين وتسعمائة ... »(132) . وقد أصبح البلقيني فيما بعد شخصية بارزة كما يتجلى من نص المحبي : « ...كان من كبار العلماء والزهاد وله القدم الراسخة في التصوف وفقه الشافعي والمعقولات بأسرها . أخذ عن أبيه وغيره . وشاع أمره وقصده الناس للتلقي عنه ... »(133) .

★ ـــ **أبو عبد الله محمد البنوفري :**

تحدث عنه بإعجاب المؤرخ المغربي المجهول في **طبقات المالكية** ، وكان قد قام

---

(128) أنظر المصدر السابق ، ص
ودرة الحجال ، 3 : 353 رقم 1499 .
(129) أنظر المصدر السابق ، ص
(130) أنظر **خلاصة الأثر** ، 4 : 270 .
(131) أنظر **المنتقى**، 797.
(132) أنظر **درة الحجال** ، 3 : 32 رقم 929 .
(133) أنظر **خلاصة الأثر** ، 2 : 237 .

برحلة قريبة زمنيا (981 هـ) من رحلة ابن القاضي ، وحضر مجالسه ، وهكذا يقول عنه : « ...كان فقيها صالحا زاهدا . انتصب للتدريس في المختصر بالجامع الأزهر ، وحضرت مجالسه ، واجتمعت معه في طريق الحجاز... »[134] .

وقال عنه نجم الدين الغزي : « ...الامام العلامة شيخ الاسلام ، الورع الزاهد الخاشع ، الناسك العابد : الشيخ شمس الدين البنوفري المالكي شيخ المالكية بمصر.أخذ العلم عن جماعة ... »[135].

★ — **أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن البكري الصديقي** [136] .

★ — **أبو عبد الله محمد بن الطبلاوي** :

قال عنه :« الفقيه الشافعي بمصر ، كان فقيها أستاذا محققا ، وله رواية وسند عال » [137] .

★ — **محمد الماموني المالكي المصري** :

قال عنه : « وممن لقيته بها الشيخ محمد الماموني ، منطقي ، مالكي ، نحوي ، تصريفي » [138] .

★ — **أبو عبد الله محمد بن عبد الله الغزي** :

قال عنه : « بياني ، نحوي ، أديب »[139] .

★ — **أبو عبد الله محمد بن عبد الحق السنباطي** [140] .

2 — في الديار المقدسة :

دخل ابن القاضي جدة في أوائل ربيع الثاني عام سبعة وثمانين وتسعمائة ودخل مكة في جمادى من نفس السنة ، ودخل المدينة المنورة في الثامن من رجب من العام نفسه [141] ، وسيبقى هناك إلى أن يؤدي مناسك الحج في سنة 987 هـ [142] .

---

134) أنظر **طبقات المالكية** ، مخطوط م.ع. بالرباط عدد 3928 د ، ص 461 — 462 .

135) أنظر **الكواكب السائرة** ، 3 : 82 .

136) أنظر ا. بن القاضي، **المنتقى**، 799، درة، 2 : 227 — 229 رقم 677، ونجم الدين الغزي، **الكواكب**، 3 : 67.

137) أنظر **درة الحجال** ، 2 : 229 رقم 678 .

138) أنظر **المنتقى**، 799.
ودرة الحجال ، 2 : 74 رقم 516 .

139) أنظر المصدر السابق، 799 .

140) أنظر المصدر السابق، 799.

141) أنظر المصدر السابق، 799.

142) أنظر **لقط الفرائد** ، ص 316 .

ولقي في الحرمين الشريفين جماعة من الشيوخ ذكر بعضهم ، وهم :

1 ــ أبو زكريا يحيى بن محمد بن عبد الرحمان الحطاب :

ذكر أنه أخذ عنه **كتاب خليل بن اسحاق** من باب العيدين إلى باب الايمان والنذور ، ومن باب البيوع إلى الفرائض ، وأضاف قائلا : « وسمعت عليه شيئا من **الموطأ** رواية يحيى بن يحيى الليثي ، **ومناسك الشيخ خليل** بأجمعها مع **شرح** والده عليها ، **والخزرجية بشرحه** عليها الذي سماه **بالعيون الغامزة على القصيدة الرامزة** (143) ، وأجازني في كل ذلك وفي الحديث ، ووصل لي اسناده في الفقه إلى مالك ــ رضي الله عنه ــ فيه ، وأجازني بخطه ، وقد ضاع مني في محنتي ، وهو الآن بيد الكفرة ــ دمرهم الله تعالى ــ . توفي رحمه الله في شهر ربيع النبوي عام خمسة وتسعين »(144) .

★ ــ أبو زيد عبد الرحمان بن عبد القادر بن فهد الهاشمي :

قال عنه : « العارف المحدث ، عالية الزمان . أخذت عنه **البخاري** ، **ومشكاة المصابيح** للتبريزي ، وشيئا من **مقدمة ابن حجر** ، **وألفية العراقي** ، وأخذت عنه المسلسلات بأسانيدها ، كالمسلسل بالأولية ، وأجازني بخطه وضاعت مني في محنتي ، توفي سنة خمس وتسعين أيضا »(145) .

وتأتي بعد ذلك قائمة بأسماء من التقى معهم هناك مثل :

★ ــ القاضي محمد بن عبد الحق المالكي .

---

(143) أخطأ ابن القاضي في نسبة هذا الشرح ليحيى الحطاب ، فلم يذكر أحد من الذين ترجموا لع أنه له ، نذكر على الخصوص المؤرخ المغربي المجهول الذي زار الشيخ الحطاب في الديار المقدسة حيث قال : « ...شيخنا ، أجل عيان المالكية بمكة ، لقيته بمكة سنة احدى وثمانين وتسعمائة ، وأجازني ... » (أنظر **طبقات المالكية** ، ص 460) .
كما لم يذكره حاجي خليفة (**كشف الظنون** ، 2 : 1135 ــ 1136) من ضمن الذين شرحوا **الخزرجية**. فالشرح مشهور إنه لمحمد بن أبي بكر الدماميني المتوفى سنة 828 هـ .
وقد استمر ابن القاضي في خطئه في **الدرة** (3 : 341) ، ولكنه لم يذكره له في الترجمة التي عقدها له في **لقط الفرائد** (ص 321) ، في حين ذكر شرح والده على **مناسك الشيخ خليل** (299) .
ويبدو من خلال ذلك أن إبن القاضي تراجع عن خطئه .

(144) أنظر **المنتقى**، 746.

(145) أنظر **المنتقى**، 747.

* ــ **القاضي قطب الدين العجمي** [146] .

* ــ **القاضي حسين المكي** [147] .

* ــ **حسن الشريف** .

* * *

ب ــ في تركيا :

دخل تركيا في رمضان عام ثمانية وثمانين ، وقبل استعراض الشيوخ الذين اجتمع بهم نحاول أن نبدي ملاحظات عامة حول هذا الدخول :

الملاحظة الأولى : إن ابن القاضي لم يحدد أسماء المدن التي دخلها من بلاد الترك بل اكتفى بقوله : (مدنا من بلاد الترك)[148] .

الملاحظة الثانية :استعمل ثلاث مرات عبارة (وأنشدني بلسانه)[149] ، فهل كان يعرف اللسان (العجمي) ؟

الملاحظة الثالثة : نلاحظ حسن الاستقبال الذي لقيه من بعض (الشيوخ) وهو سلوك لعبت فيه سمعة المغرب (أرض معركة وادي المخازن) دورا كبيرا .

الملاحظة الرابعة :إن الوصف الذي قام به ابن القاضي حين كان بمصر قد اختفى الآن ، فلم يتعرض لوضعية عامة الاتراك بكلمة واحدة ، فهل وجد الأوضاع هناك ملائمة ، وبالتالي لم يجد شيئا ينتقد به الأتراك في عقر دارهم ؟

الملاحظة الخامسة :إن الشخصيات التي اجتمع بها ابن القاضي لا نعرف عنها الشيء الكثير ، في حين كانت شخصياته في المشرق العربي مشهورة جدا .

وهذه الشخصيات التي اجتمع بها هي :

---

(146) أنظر ترجمته عند ن. الدين الغزي ، **الكواكب** ، 3 : 207 ، وابن العماد الحنبلي ، **شذرات** ، 8 : 437 .

(147) أنظر ترجمته عند ن. الدين الغزي ، **الكواكب** ، 3 : 146 ــ 147 ، وابن العماد الحنبلي ، **شذرات** ، 8 : 419 .

(148) أنظر **المنتقى**، 749 .

(149) أنظر المصدر السابق، 750 ــ 751.

1 ـ سجاع فلقة :

قال عنه : « رجل فقيه ، حنفي ، أديب مطالع ، متضلع بالعلوم كالمنطق والنحو والتصريف وغيره ، وجرت بيني وبينه مباحثات في التفسير والمنطق والنحو »(150) .

2 ـ أبو الثناء محمود بن عبد الله الرومي :

قال عنه : « أديب ، لغوي ، منطقي ، نحوي ، تصريفي »(151) وأكد أنه « خطيب جامع من بلاد الترك »(152) .

3 ـ محمد بن علي شلبي :

قال عنه :« فقيه ، نحوي ، معقولي ، أديب ...فعل معي خيرا كثيرا ، أعارني جملة من الكتب مدة إقامتي بها ، ويوم وداعي له زودني بزاد طيب ، وأوصى علي صاحب السفينة ، ولم يزل الرئيس يلاحظني لوصيته حتى بلغنا طرابلس الغرب في ربيع النبوي عام ثمانية وثمانين »(153) .

* * *

ج ـ المغرب العربي

نلاحظ هنا أيضا أنه لم يتعرض للأوضاع السائدة بالاقطار التي مر بها ، ولم يكشف اتصالاته كما فعل في مصر ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أنه لم يكن لديه الوقت الكافي لذلك .

وعلى كل فقد مر بعدة مناطق منها :

طرابلس الغرب :

وقد التقى فيها بجماعة نذكر منهم :

ـ محمد بن ابراهيم الأنصاري الأندلسي الثغري تلميذ أبي عبد الله العيسي .

ـ ويوسف الاربضي(154) .

---

(150) أنظر المصدر السابق، 749.
(151) أنظر المصدر السابق، 750.
(152) أنظر درة الحجال 2 : 325 رقم 876 .
(153) أنظر المنتقى، 751.
(154) أنظر المصدر السابق، 751.

تونس :

في جربة : ذكر أنه اجتمع بها بأبي بكر بن محمد بن محمد بن أبي بكر الأموي ، من تلامذة العيسي . كما اجتمع في تونس بأبي الغيث : غالب بن القشاش إذ قال عنه : « الولي الصالح ، المحقق ، الزاهد ، الورع ، التونسي ، له مكاشفات وكرامات لا تحصى .

وهو منشيء المدارس اليوم بتونس المحروسة ، بنى مدارس كثيرة لا يقدر على بنائها على تلك الصفة إلا أكابر الملوك ، وزوايا بتونس وغيرها ونواحيها ، واستخلص جمعا غفيرا من أسارى المسلمين من يد العدو الكافر ... اجتمعت به بتونس المحروسة سنة 988 هـ في زاويته قرب جامع الزيتونة وشاهدت منه العجب العجاب ، ودعا لي »[155] .

أما في صفاقس : فقد ذكر أنه لقي بها جماعة من الفضلاء ، وزار قبر أبي الحسن اللخمي ، ووصفها بأنها مدينة قليلة الماء جدا ، ولم يذكر أسماء من التقى بهم بمدينة صفاقس ، وذكر بعد ذلك أنه تابع السفر إلى أن وصل مدينة فاس حيث أقام بها مدة راح بعدها إلى مراكش [156] .

هكذا انتهت هذه الرحلة التي كانت عاملا أساسيا في تكوينه ، هذا التكوين الذي سيكتمل باتصاله بالمنصور ورجال بلاطه.

★ ★ ★

اتصاله بالمنصور :

عاد ابن القاضي إذن إلى وطنه ، واتصل من جديد بأستاذه المنجور وغيره من أساتذة فاس ومراكش ، وجلس للتدريس وإفادة الطلاب ، واشتهر بين معاصريه بطريقته في تدريس العلوم : شرعية ، وأدبية ، ورياضية ، المبنية على التركيز والتحصيل والابتعاد عن المباحث اللفظية ، وما لا تدعو الضرورة إليه من شروح وحواش وتعاليق ، كما اشتهر باتقانه وتبصره في العلوم الرياضية من حساب وهندسة وميقات .

وكانت محافل مراكش — عاصمة السعديين — تزخر بالعلماء الذين توافدوا على المنصور من كل حدب وصوب ، ووجدوا فيه ملكا لا تشغله شواغل السياسة وأعباء الحكم عن مجالس العلم ، ومحافل الأدب ، والمشاركة فيها مشاركة فعالة ، هذه المشاركة التي نجد أصداءها في

---

(155) أنظر **درة الحجال** ، 3 : 261 — 262 رقم 1311.
(156) أنظر **المنتقى**، 752.

المصادر المعاصرة . فيكون من الطبيعي إذن أن يقصد ابن القاضي مدينة مراكش لينضم إلى هؤلاء العلماء ، ويكون من الطبيعي أن يحاول المنصور الاستفادة من علم ابن القاضي وتجربته ، لا سيما وقد اشتهر بالعلوم الرياضية والمنصور شغوف بهذه العلوم يدرسها ويبحث عن رجالها ، وله فيها جولات يرويها المؤرخون بإعجاب .

وقد تحدث ابن القاضي عن سبب اتصاله بالمنصور والوساطة التي قام بها شيخه يحيى الحطاب قائلا : « ...ولما أردت القفول من مكة إلى المغرب ، استكتبت شيخنا أبا زكرياء يحيى بن محمد الحطاب ليوصي مولانا بنا وبأهلنا ، فأجابني إلى ذلك في لحظة ، شوقا منه لمخاطبته — أيده الله — فلاحظني — أيده الله — لذلك ملاحظة شديدة ، فلما حصل لي منه حظ كاتبت شيخنا — برد الله ضريحه ، وأسكنه من الجنان فسيحه — بما حصل لي منه — أيده الله تعالى — لمكة المشرفة — رحمه الله ورضي عنه — وكتابه — رحمه الله — هو سبب معرفتي به — أيده الله تعالى — » (157) .

غير أن عبد العزيز الفشتالي يتحدث عن وساطة أخرى قام بها لفائدة صاحب **المنتقى** : « أقام بمصر وروى عن علمائها وحمل إجازاتهم ، وقفل إلى المغرب ، ولحق بمستقره من فاس ، ثم وفد من بعد ذلك على حضرة مراكش — صانها الله — وتلطف حتى وصل إلى أمير المؤمنين — أيده الله — بمداخلة أهل بساطه من العلماء والكتاب ، وكان يمحضني الود من بينهم فكنت سفير وسائله حتى نجحت وحصل على الأمنية من أمير المؤمنين بانتظام في سلك أولى المراتب المرعية ... »(158) .

ونعتقد أن وساطة الفشتالي لم تكن وحدها التي بوأت ابن القاضي الانتظام في (سلك أولي المراتب) ، بل نضيف إليها عوامل أخرى منها :

— وساطة يحيى الحطاب ، وقد أقر الرجل بنفسه بذلك .

— مكانة شيخه المنجور عند المنصور .

— مؤهلات ابن القاضي نفسها .

وقد أراد المنصور أن يستغل خبرة ابن القاضي ببلاد الشرق ، ويجعل منه داعية لاظهار عظمة الدولة السعدية وما لها من قوة ونفوذ أمام المشارقة ، لأنهم كانوا لا يعرفون إلا الدولة العثمانية صاحبة النفوذ المطلق هناك ، وفي نفس الوقت يستكمل صاحب **المنتقى** تكوينه . يقول صديقه

---

(157) أنظر المصدر السابق، 846.

(158) أنظر **مناهل الصفا** ، 153 .

الفشتالي في هذا الصدد : « ثم ثاب له رأي في معاودة السفر إلى البلاد المشرقية بقصد التطوع بحجة أخرى ، واستزادة العلم والتحصيل ، وكانت له نية بالغة في نشر مآثر أمير المؤمنين — أيده الله — في الآفاق ، فجمع من مفاخر الدولة ومآثرها وأمداحها وفتوحها ما أمل بثه في الأقطار ، ونشره في المشارق لو ساعدته الأقدار ، واستأذن أمير المؤمنين — أيده الله — في ذلك ، فأذن له ووصله »(159) ، إذن فالرحلة كانت علمية سياسية وطنية في آن واحد ، يجمع الوثائق الضرورية ويسافر إلى الشرق ليذيع محاسن الخليفة المنصور ، وينشر مآثر الدولة السعدية فيما يعقده من مجالس للتدريس أو يؤلفه من كتب . لكن كانت له الأقدار بالمرصاد ووقع بين أيدي القراصنة ، يقول الفشتالي عن هذه العملية : « ...وتوخى الطريق على البحر فركب السفينة من ثغر تيطاون ، فاعترضتهم أساطيل العدو في بحر الزقاق ، فأسرتهم وحصل في ورطة عظيمة لولا تداركه من ألطاف الله تعالى ... »(160) .

وتحدث ابن القاضي عن نفسه في هذه العملية فقال : « ...حيث أسرت في حال رحلتي بمصر لأجل طلب العلم الشريف ، بعد أن استشرته — أيده الله تعالى — في ذلك ، وأذن لي ، فسافرت في البحر متوجها للمقصود ، فكان ما كان من أمر الله المعبود ، في يوم الخميس الرابع عشر من شعبان سنة أربع وتسعين ... » (161) .

هكذا حطم بسرعة أمل ابن القاضي في الذهاب إلى الشرق ، للقيام بهذه المهمة العلمية السياسية ، وقد تأثر ابن القاضي كثيرا بما لاقاه من ظروف غير انسانية بفعل التعصب الكاثوليكي الأعمى ، فهو في كل كتبه التي أهداها للمنصور لا يفتأ يذكرنا بما كان فيه (من بلاء عظيم من الجوع والضرب والتعذيب) وبما عمله المنصور من أجله ، ولعل إلقاء بعض الضوء عن القرصنة في القرن 16 يمكنه أن يفسر لنا عملية أسره هذه.

* * *

رابعا : أسره :

ظل ابن القاضي في الأسر من يوم الخميس الرابع عشر من شعبان سنة أربع وتسعين إلى غاية السابع عشر من رجب سنة خمس وتسعين وتسعمائة (162) عانى خلالها (البلاء العظيم من

(159) أنظر **مناهل الصفا** ، 153 .
(160) نفس المصدر والصفحة .
(161) أنظر **المنتقى**، 347.
(162) أنظر **المنتقى**، 347.

الجوع والبرد والتكليف بما لا يطاق والضرب وغير ذلك مما لا يمكن وصفه من عذابهم)(163) ، وكان الاسبان في ذلك مدفوعين بالتعصب الكاثوليكي الأعمى ، وبالرغبة في الحصول على الفداء والثراء .

لكن ابن القاضي لم يكن وحده الذي تعرض لعملية الأسر ، بل سبقه إلى ذلك الحسن بن محمد الوزان المعروف عند الأوروبيين باسم ليون الافريقي (164) ، كما سبق أن تعرض لها كذلك محمد بن أبي الفضل خروف التونسي (توفي سنة 966 هـ) شيخ الجماعة بفاس (165) ، وقد قارن ابن القاضي بين أسره وأسر محمد بن أبي الفضل الخروف التونسي قائلا : « امتحن بالأسر ، فأخرجه أبو العباس أحمد المريني بواسطة أبي عبد الله محمد اليسيتني ، لمكاتبة جرت بينهما ، وكان يكتب في كتبه للمريني : معتق ايالتكم فلان .

قلت : واتفق لي مع عالم الأمراء ، وأمير العلماء : أبي العباس أحمد بن أمير المؤمنين الشريف الحسني المنصور مثل ما اتفق لهذا : أخرجني من الأسر لما أسرت مذ كنت قافلا للديار

---

(163) أنظر المصدر السابق، 251.

(164) أسر الحسن بن محمد الوزان أثناء عودته من القسطنطينية مارا بتونس عام 926 هـ /1519 م ، قاصدا المغرب ، لكنه وقع في أيدي قرصان صقيلية الذين كانوا يجوبون في البحر المتوسط قرب جزيرة جربة ، ويبدو أن هؤلاء القرصان أدركوا أنه شاب ليس كباقي الأسرى الذين يقعون في أيديهم فلم يبعوه في أسواق النخاسة بل حملوه إلى نابولي ثم إلى روما حيث قدموه هدية إلى البابا ليون العاشر ، وكان هذا البابا من أسرة أثرت من التجارة لكنها أيضا اشتهرت بتشجيعها للعلم والعلماء ، فعرف له مكانته وأضفى عليه رعايته وأطلق سراحه كما أطلق عليه إسمه ، وأتاح له فرصة الاجتماع بالعلماء والادباء الذين كان البابا يحتضنهم وتثير المراجع التي تعرضت لهذه الفترة الحاسمة من حياة ليون جدلا حول اعتناقه المسيحية من عدمه وهل تم هذا مجاملة للبابا الذي احتضنه أو للوسط الذي وجد فيه أم عن اقتناع ويقين كما يدعي (جون بوري) John Pory الذي نقل مؤلفه إلى الانجليزية عام 1600م.
أنظر :
كتابه ، وصف افريقيا ، مواضع متفرقة ،
محمد المهدي الحجوي ، حياة الوزان الفاسي وآثاره .
شوقي الجمل ، أضواء على حياة الحسن بن محمد الوزان وانتاجه الفكري والمؤثرات التي تأثر بها ، مجلة **المناهل** ، العدد الثاني ، السنة الثانية ، صفر الخير 1395 مارس 1975 ، 236 — 286.
محمد عبد الله عنان ، **تراجم إسلامية شرقية وأندلسية** ، 354 — 362 .
محمد حجي ، **الحركة** ، 2 : 348 — 349 مع المصادر المذكورة في الهامش 15 .

(165) أسر محمد بن أبي الفضل خروف من طرف أحد المطارنة الاسبان إثر احتلال شرلكان لتونس ، وقد ظل أسيرا سنوات في إسبانيا إلى أن افتداه أمير فاس أحمد الوطاسي حوالي سنة 947 هـ / 1540 م بألف أوقية ذهبا بواسطة الشيخ محمد اليسيتني الذي كان قد لقيه بتونس أثناء رحلته إلى الشرق . وقد صحب معه المطران الذي أسره إلى فاس نظرا لرغبة هذا الأخير في تعلم **مفصل الزمخشري** الذي كان قد ابتدأ في دراسته في غرناطة ، لكن حال دون ذلك معارضة العلماء آنذاك — ومن بينهم محمد اليسيتني — تعليم اللغة العربية لغير المسلمين .

المصرية لأجل أخذ العلم عمن فاتني لقيه في المرة الأولى ، فأخرجني وبذل للعداة من المال ما يكون له وقاية وجنة من غضب الله تعالى » (166) .

والجدير بالذكر أنه كانت للقرصنة آنذاك مكانتها في الحياة الدولية مما يستدعينا لالقاء الضوء على بعض جوانب القرصنة خلال القرن السادس عشر.

* * *

1 — جوانب من عمليات القرصنة في البحر الأبيض المتوسط خلال القرن 16

قبل الدخول في تفاصيل الموضوع لابد من إبداء ملاحظتين تتعلقان بمنهجية التحليل .

الملاحظة الأولى : حول استخدام لفظ قرصنة (167) ، فإن كان المفهوم الأوروبي معروفا ، فإن المفهوم العربي الاسلامي يختلف تماما عن هذا المفهوم ، إنه يعني ببساطة عملية حماية التراب الوطني من الغارات البحرية الأجنبية ، كما يعني حماية الوافدين على الديار الاسلامية من المورسكيين الذين طردوا من اسبانيا .

---

(166) أنظر **درة الحجال** ، 2 : 209 .

(167) هناك نوعان من جوابي البحار ، أحدهما هو المعروف في الفرنسية (بالبيرات) Pirates ، وينتمون إلى مختلف الأقطار الأوروبية ، برزوا للصوصية البحرية جهارا ولا يحترمون حتى سفن بلدانهم الأصلية ، وينظر إليها الناس بما ينظرون به إلى اللصوص البريين .
أما النوع الثاني فهم المعروفون بالقراصنة Corsaires ، ولم يكونوا في بداية أمرهم لصوصا وإنما كانوا أرباب بواخر تجارية يسلحونها بإذن حكوماتهم لتستطيع حماية نفسها من أولئك اللصوص ، فكان الناس ينظرون إليهم نظرة احترام لاشتغالهم بالتكسب المشروع وأن السفن الغير المسلحة تأمن جانبهم وترجوا حمايتهم ضد Pirates اللصوص الصرحاء .
لكن مع طول المدة أصبح هؤلاء القراصنة Corsaires أنفسهم ينتحلون الأسباب للسطو على السفن التي تضعها الأقدار في متناولهم ، ولكنهم مع ذلك يحترمون سفن بلدانهم الأصلية ، وحيث أنهم أروبيون مسيحيون فمن العبث أن ينتظر منهم الانسان شيئا آخر غير مهاجمة سفن البلاد الإسلامية .
ثم بعد ذلك اكتشاف أميريكا سنة 1492 أصبح الطريق بينها وبين إسبانيا مطروقا وصار مغامرو القراصنة الذين كان معظمهم من الهولنديين والأنجليز يغيرون على السفن الاسبانية وتمكنوا من السطو على عدد ضخم منها .
وبعد مدة انضم هؤلاء إلى جماعة من اللصوص يعرفون في الفرنسية باسم Les Flibustiers وكانوا يجوبون جزر الآنتي طوال القرن 17 وأوائل القرن 18 ، ثم انضمت إليهم طائفة أخرى من اللصوص كانوا يطاردون الثيران الوحشية في أميريكا للحصول على جلودها التي كانت لها قيمة عالية ، فكانت الحكومة الاسبانية تطاردهم ، واتخذوا مقرا خاصا في جزيرة La tortue قرب هايتي ، فأصبحوا لصوصا أقوياء وربما هاجموا حتى بعض السفن الحربية ، ثم صار رؤساء الدول يستغلونهم للهجوم على خصومهم فلا يكاد سوء التفاهم ينشأ بين دولتين حتى توجه احداهما رسائل الكفالة والضمانة إلى بعض جريئي
=

الملاحظة الثانية : سوف نقتصر في بحثنا هذا على علاقة القرصنة الاسبانية بالجهاد البحري في البحر الابيض المتوسط خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر ما دام ما يتناوله المخطوط يدخل في هذا الاطار .

★ ★ ★

تعتبر عمليات القرصنة الاسبانية ضد المغاربة والمسلمين بصفة عامة في البحر الأبيض المتوسط كرد فعل مباشر للعلاقات التاريخية التي سادت بين الموريسكيين والاسبان إذ إن طرد الأوائل من اسبانيا واستصراخهم بالمسلمين في شمال افريقيا أدى إلى الاحتكاك المباشر بين الاسبان وسكان شمال افريقيا المسلمين وقد تطور الأمر فيما بعد انطلاقا من بداية القرن 16 إلى الهجمة الاستعمارية الكبيرة التي شنتها اسبانيا على الجزائر وتونس وليبيا .

وهكذا فقد غدت غارات المجاهدين من مجاهدي البحر المسلمين على الثغور والشواطىء الاسبانية تشكل خطرا حقيقيا عليها .

وتملأ سير هذه الغارات فراغا كبيرا في الرواية الاسبانية وتسبغ عليها الرواية العربية صفة الانتقام للأندلس الشهيدة .

أ ــ تطور عمليات الجهاد البحري بالبحر الأبيض المتوسط :

لم تكن مياه البحر الأبيض المتوسط خالية من نشاط المغامرين المسلمين ، ولكنهم لم يظهروا في هذا الميدان إلا منذ القرن الخامس عشر ، حينما ضعف أمر الأندلس والدولة المغربية وسادت الفوضى ، واضطربت العلاقات البحرية والتجارية بين دول المغرب والدول المسيحية . ولما

= القراصنة تحرضهم على مهاجمة سفن أعدائه ويتيح لهم بيع أسلابها علانية كغنيمة حربية مشروعة ، وحيث أن أولئك القراصنة يعرفون نذالة حرفتهم اللصوصية في نظر الناس ، فقد كانوا يعتزون بهذه الرسائل الملوكية التي تستدل عليهم سترا ولو رقيقا من النظام والمشروعية ، وقد تكون في أحضان هؤلاء القراصنة رجال بحريون عظماء استفادت أوطانهم الأصلية من مواهبهم فاستدت لهم المهام الكبيرة في أساطيلها ، نخص بالذكر — على سبيل المثال — Jean Bart الفرنسي (1651 — 1707) و Claude de Forbin (1656 — 1735) الذي كان له شفوف عظيم فيما خاضته فرنسا في عصره من حروب حول أميركا ، و Surcouf (1773 — 1827) الذي اقتنص لبلاده كثيرا من السفن الإنجليزية وأصبح من كبار أصحاب معامل صنع السفن بفرنسا ولما استفحل أمر القراصنة وأصبحوا يزاحمون الدول انعقد في سنة 1856 مؤتمر دولي في باريس تقرر فيه بأغلبية نسبية إلغاء القرصنة ، ولم يشذ فيه عن هذا الالتزام إلا الولايات المتحدة الأميركية وإسبانيا والمكسيك ، فاضمحلت بذلك القرصنة بمعناها الحقيقي قانونيا .

اشتد ساعد البحرية التركية بعد استيلاء الترك على القسطنطينية زاد نشاط المغامرين المسلمين في البحر ، كما كان سقوط غرناطة واضطهاد الاسبان للمسلمين ايذانا بتطور هذه المغامرات البحرية التي اتخذت شكل هجمات متوالية على الشواطيء الاسبانية ، وكانت الجزائر وبجاية وتونس أفضل القواعد للرسو والاقلاع ، وكانت هذه الغارات البحرية تعتمد على عنصر المفاجأة وتنجح في معظم الأحيان في تحقيق غاياتها ، إذ استطاعت أن تنقل أعدادا هائلة من المورسكيين الراغبين في الهجرة إلى شمال افريقيا وقد ظهر منذ أوائل القرن السادس عشر في الميدان عنصر جديد أذكى موجة الغارات البحرية في هذه المياه ، ذلك أن البحارة الترك وعلى رأسهم الاخوان : عروج وخير الدين سوف يتسلمون زمام القيادة في هذه العمليات ، ففي سنة 1517 سار عروج في قوة برية وبحرية إلى الجزائر واستولى عليها ، ولما قتل في العام التالي في معركة بينه وبين الاسبان خلفه أخوه ، وعينه السلطان العثماني بعد ذلك على هذه المناطق وأمده بالسفن والجند ، وتألق نجم خير الدين منذ ذلك الحين ، وأضحى اسمه يقرن بذكر أعظم أمراء البحر في هذا العصر ، يساعده نخبة من أمهر الربابنة الأتراك الذين اشتهروا بالجرأة والبراعة ، وبسطوا سلطانهم على معظم جنبات البحر المتوسط ، وفي سنة 1559 استطاع أمير البحر التركي درغوث ، الذي خلف جير الدين في الرياسة، أن يخطو خطوات أخرى تمثلت في قيامه بعدة عمليات كان القصد منها تهجير عدد من المورسكيين وبالفعل فقد نجح في هذه العمليات ، فقد استطاع في إحدى غاراته أن يحمل معه 2500 من المورسكيين ، وتواصلت بعد ذلك عمليات الاغارة على الشواطيء الاسبانية ففي سنة 1570 استطاعت السفن المغيرة أن تحمل معها جميع المورسكيين في بالميرا وفي سنة 1584 سار اسطول من الجزائر إلى ثغر بلنسية وحمل معه 2300 مورسكي ، وفي العام التالي استطاعت السفن المغيرة أن تحمل جميع سكان مدينة كالوا ، وعلى العموم فقد بلغت الغارات البحرية التي وقعت على الشواطيء الاسبانية فما بين سنتي 1528 و 1584 ثلاثا وثلاثين غارة ، هذا عدا الغارات المحلية التي تقوم بها سفن صغيرة لجماعات من المهاجرين المورسكيين (168) ، وقد أفزعت الحكومة الاسبانية هذه الحملات وكان من المنتظر أن تقوم برد فعل قوي .

ب ــ رد الفعل الاسباني :

إن رد الفعل الاسباني لا يمكن فهمه إلا من خلال عنصرين أساسين هما :

ــ عمليات إعادة الغزو التي قامت بها اسبانيا داخل اسبانيا نفسها ، وانعكاسات عمليات الجهاد البحري . فمع وجود المشاكل الداخلية التي صاحبت عمليات إعادة الغزو لما اشتملت عليه من ضغوط إدارية وأزمات اقتصادية نتيجة سيطرة الدولة على الموارد الاقتصادية

(168) أنظر محمد عبد الله عنان ، **نهاية الأندلس** ، 388 .

حتى تتمكن من القيام بعملياتها اضطرت القيادة الاسبانية الجديدة الناشئة والمتحالفة مع الكنيسة إلى توجيه أنظار سكان شبه الجزيرة نحو الخارج ، وترفع من درجة حماسهم حتى ينسوا بؤسهم (169) .

ــ أما العنصر الثاني فيتلخص في كون الاسبان أمام الهجمات العنيفة والمتكررة التي كانوا يتلقونها من المسلمين سخروا كل إمكانياتهم لوضع حد نهائي لها ، خاصة وأن الأطماع الاستعمارية لاسبانيا كانت واضحة للغاية ، إذ أن الهدف لم يكن فقط تعقب المسلمين في البحر المتوسط ولكن أيضا احتلال شواطيء المغرب العربي الكبير ، خاصة وأنها تتوفر على قواعد قوية بالبحر المتوسط مثل مالطا التي كانت تحت نفوذ فرسان القديس يوحنا .

وهكذا اشتدت عمليات القرصنة من طرف الاسبان وواجهها المسلمون بعنف ، ونشير إلى أن عمليات القرصنة هذه لم تكن مجرد عمليات هامشية ، بل كانت تخفي وراءها دوافع دينية وسياسية واقتصادية . وفي الأخير نقول مع أحد المؤرخين : بأن عاصمة الحروب الجديدة لم تعد القسطنطينية ، ولكن الجزائر (بفعل الجهاد البحري) ، ولم تعد مدريد ولكن مالطا(بفعل القرصنة) (170) .

* * *

2 ــ أسر ابن القاضي وافتداؤه

أ ــ أسره بمالطا :يذكر ابن القاضي أنه أسر بعد خروجه من تطوان قرب هنين في 14 شعبان سنة 994 هـ (171) بالشمال الغربي للجزائر ، أي في المنطقة التي اشتدت فيها عمليات الجهاد البحري ضد السفن الاسبانية وغيرها من السفن المسيحية .

وقد اقتيد من هناك إلى جزيرة مالطا (172) التي وصف ما كان يعاني فيها من التعذيب والتجويع والتكليف بما لا يطاق ، إذ يقول : « ...إذ كنت مع العدو الكافر في بلاء عظيم من الجوع ، والبرد ، والتكليف بما لا يطاق والضرب ، وغير ذلك مما لا يمكن وصفه من عذابهم ــ أذلهم الله تعالى ــ »(173) ، وتردد صدى هذا الألم عبر صفحات عديدة من **المنتقى** .

---

(169) أنظر جلال يحيى ، **تاريخ المغرب الكبير** ، 3 : 18 .
(170) أنظر : F. Braudel, la Méditerranée, 2 :190—212.
(171) أنظر أ. بن القاضي ، **لقط الفرائد** ، 320 .
(172) أنظر **المنتقى**، 347.
(173) أنظر المصدر السابق، 251.

ولعل الأمر يتضح أكثر إذا حاولنا إلقاء الضوء على جزيرة مالطا وحكامها .

★ ★ ★

نتوفر في هذا الصدد على وثائق هامة معاصرة نشرها المستشرق الايطالي (ايتوري روسي) ETTORE ROSSI [174] في كتابه **طرابلس تحت حكم الاسبان وفرسان مالطا** [175] ، والوثائق المنشورة مأخوذة من محفوظات مالطا بلغتها الأصلية وعلى أساس هذه الوثائق وغيرها وضع الكاتب دراسته تلك .

كانت مالطا مقرا لفرسان القديس يوحنا ، وقد انتقلوا إليها بعد مراحل ، إذ استقروا أول الأمر بالقدس حيث ساهموا في الدفاع عن الأماكن المسيحية المقدسة ضد المسلمين ، وكانت لهم أملاك كثيرة واسعة في فلسطين وسوريا وغيرها ، وعندما طردهم صلاح الدين سنة 1187 م من القدس مع بقية الصليبيين استقروا في عكا حتى عام 1291 م حيث طردوا منها ، فاتجهوا إلى قبرص ، واحتلوا حوالي سنة 1306 جزيرة رودس ، والجزر المجاورة لها ، وأقاموا دولة حقيقية تحت حماية البابا وأمراء المسيحيين ، وبعد قرنين ، أي في 26 دجنبر سنة 1522 دخل العثمانيون إلى رودس التي دافع عنها الفرسان ببسالة بعد حصار عنيف دام ستة أشهر ، وترك الفرسان هذه الجزيرة في 2 يناير سنة 1523 ، والتجأوا إلى (شيفتافكيا) وتم تعيين مركز دير المنظمة في (فيتيربو) VITERBOالتي تنازل عنها البابا للمنظمة وظلت فرقة الأسطول في (شيفتا فكيا) حيث كانت تقوم بعمليات جريئة في ملاحقة مجاهدي البحر المسلمين .

ولم يكن هذا الركود الذي اتسمت به أعمال المنظمة أثناء إقامتها في ايطاليا مما يتلاءم مع تاريخها الطويل الحافل بالصراع ضد أعداء الصليب .

وكان الفرسان يرغبون في استعادة رودس أو الاستقرار في أية جزيرة من جزر البحر الأبيض المتوسط حيث يمكنهم أن يستأنفوا نشاطهم الصليبي .

وفي أكتوبر سنة 1523 أرسل المرشد الأكبر إلى شارل الخامس وفدا يطلب منحهم جزيرة

---

(174) الأستاذ (ايتوري روسي) من اعلام المستشرقين الايطاليين ، ولد سنة 1894 وتوفي سنة 1955 ، عرف باطلاعه الواسع على تراث اللغتين العربية والتركية ودراسته للأدب العربي ، وقد عمل استاذا للأدب العربي في جامعة روما ، ثم مديرا للمعهد الشرقي ومشرفا على مجلته المعروفة باسم **الشرق الحديث** (Oriento Moderno)

(175) ترجم الكتاب إلى اللغة العربية الباحث الليبي خليفة محمد التليسي مؤسسة الثقافة الليبية للتأليف والترجمة والنشر ، طرابلس ليبيا الطبعة الأولى سنة 1969 .

مالطا وقد أرسل ثمانية من الفرسان لزيارة جزيرة مالطا وجوزو وطرابلس وقدموا تقريرا عن أحوال القلعة والسور وميناء طرابلس [176] .

وقد ترددت المنظمة في قبول العرض بإلحاق طرابلس إلى سيطرتها ، الأمر الذي كان شرطا ثقيلا مقرونا بمنح مالطا . وقد نصح المبعوثون الذين زاروا طرابلس سنة 1524 ، المرشد الأكبر ، بعدم قبول هذه المهمة الباهضة ، ومع ذلك ، كان لابد من الاذعان لارادة الأمبراطور ، وعدم إضاعة الفرصة السانحة التي تهيىء للمنظمة تنظيما يتلاءم مع تقاليدها وأهدافها .

وقد استغرقت المفاوضات للوصول إلى اتفاق نهائي مدة طويلة لتوالي بعض الأحداث التي أذهلت شارل الخامس وصرفته عنها (حرب ايطاليا وروما سنة 1527) وأخيرا وقع الأمبراطور في 24 مارس سنة 1530 المرسوم في (كاستل فرانكو مينيتو)[177] وفي يونيو سنة 1530 كان مندوبو المرشد الأكبر الذي انتقل في هذا الوقت إلى (نيس) ثم إلى (سيراكوز) ، قد استلموا السيطرة على مالطا واتجهوا إلى طرابلس ، حيث استلموا من (فرانسيسكو فلاسكيز Francesco Velasquez) نائب الحاكم كشفا بالمدفعية التي كانوا ملزمين بإرجاعها إلى الأمبراطور ، وسرعان ما وصلت إلى طرابلس سفينتان تحملان العتاد والمئونة من الفرسان ، وفرقة من الجنود تحت قيادة (جاسباري دي سانجو Gaspare di Sanguessa) أول حاكم يوفد من المنظمة إلى طرابلس .

وهكذا أنهي بهذه الطريقة الحكم المباشر للاسبان الذي دام عشرين عاما فقط طرابلس [178] .

★ ★ ★

ومن استعراضنا لهذه الأحداث إذن يتبين لنا أن المعاملة القاسية لم تكن شيئا غريبا بالنسبة لهؤلاء الفرسان الذين لهم تاريخ طويل مع المسلمين انطلاقا من الحروب الصليبية ، ولا يمكن لأي أحد أن ينتظر منهم غير هذا ، خاصة وأن عملية افتداء الأسرى كانت عملية رابحة إلى حد كبير وتستهوي العديد من المغامرين .

---

(176) أنظر :

—Bosio, Istoria Della s. Religione, Gersolimitana III

عـــن

طرابلس تحت حكم الاسبان وفرسان مالطا ، 50 .

(177) أنظر نص المرسوم عند (ايتورى روسي) ، **طرابلس تحت حكم الاسبان وفرسان مالطا** ، 52 — 53 .

(178) أنظر المزيد من الايضاح عند (ايتوري روسي) ، المصدر السابق ، 53 .

—F. Braudel, la Méditerranée, 2 : 319-329.

ب ــ افتداؤه :

كاتب ابن القاضي المنصور ليفتديه ، وفي هذا الصدد يقول : « ...وعلمت أن سبب خلاصي لا يكون إلا على يده لما تحصل عندي من عظيم فضله وكريم أصله فكاتبته بأبيات حضرتني :

تجلت عن العني الأسير المكبل — هموم سرت في الجسم في كل مفصل
بذكر الامام الهاشمي الذي سما — بسيمة خير الخلق في كل محفل
امام العلا المنصور فخر أئمة — به قد تحلى كل جيد معطل
به راق وجه الأرض وافتر ثغره — وحلي جيد منه بالدر والحلي
امام همام همه طول همة — ظبي ما له غير المعالي بصقيل
فكم تضحك الخيرات في بطن كفه — ويبكي دماء كل رمح ومنصل
وكم جاوز الغايات حتى لوانه — أراد الثريا أمها في التنزل
فغر الليالي من سناه توقدت — ضياء بنور للخلافة مشعل
زكي زهي للسماح سماؤه — جناح لنسر النصر في كل جحفل
إمام الهدى بحر الندى قسور الردى — إلى المعتفي والفاجر المتضلل
بحق الذي أولاك ملكا فنجني — من الملك يا قصد الأسير المكبل
وكن يا إمام العدل في عون خائر — أسير كسير ذي جناح مذلل
لقد قرفت أيدي الزمان وريده — دارت عليه الدائرات كجلجل
وأخنى عليه الدهر من كل وجهة — وداست عليه النائبات بأرجل
فعافاك رب العرش يا ملك العلا — ودمت إماما في علاء مزمل
ولا زلت حج المعتفين وكعبة — مطافا لأهل الفضل في كل محفل

فما بلغت ليده إلا بعد تكفل همته العلية بإخراجي ، لأنه ــ أيده الله تعالى ــ كان قد كتب في شأني لقواد الثغور أن يبحثوا عني وفيأي موضع مستقري من بلاد الكفرة ــ أذلهم الله تعالى ــ »(179) .

كما اتصل بالمنصور أخوه محمد شقرون الذي وعده المنصور بخلاص أخيه ، وقد

(179) أنظر المنتقى، 347.

كتب بالفعل إلى قائد ثغر تطوان والي الأمين بها التاجر احمد المفضل يأمرهما بصرف العناية لاستخلاص ابن القاضي ، لكن العملية لم تكن سهلة لأسباب تتعلق بشخصية ابن القاضي نفسه ، إذ يقول الفشتالي عن ذلك : « ...وكان الكفرة قد توسموا فيه مخائل السراوة ، وتنسموا منه رائحة الحسب والأصالة ، فانبعثت مطامعهم إليه وشططوا في الفداء عليه ... »(180) ، وتواصلت بعد ذلك محاولات تخليصه إلى أن خلص أخيرا بعد جهد جهيد : « ...فلم يتخلص منها إلا بعد عصب الريق ... »(181) .

وقال ابن القاضي عن هذا الافتداء : « ...وقد أخرج من بلاد الكفرة من الأسارى مالا يحصى كثرة بالأموال الطائلة التي لم يسبق إلى بذل مثلها ملك قبل ، وقد افتكني بما يعادل عشرين ألف أوقية ، وقام بمسألتي معهم أتم قيام ـــ عامله الله بأحسن مما عاملني به »(182) .

وعملية الافتداء هذه تجعل الدارس يخرج بنتيجتين أساسيتين :

النتيجة الأولى :اشتهار المنصور بافتدائه للأسرى ، وذلك لتوفر الامكانيات المادية لديه ، وتتجلى هذه الامكانيات بالخصوص في كونه كان يحتفظ بعدد ضخم من أسرى معركة وادي المخازن فكانت المبادلة تتم على أساس افتداء مسلم بأسير مسيحي ، يقول ابن القاضي في هذا الصدد : « ...وما جاء معتف من المسلمين أو من اليهود الذين تحت ذمته قط يطلب أسيرا نصرانيا عوضا عن المسلم الأسير إلا ويبدله عن طيب نفس ، باسم الثغر ، قاصدا به الأجر ، وكثيرا ما أبدل من الأسارى والأموال في هذا المعنى قصدا به الدار الآخرة ، والقربات الفاخرة ، وكثيرا ما يقول في مجالسه : أيما عان تعذرت عليه حاجة في أسير أو غيره فليأتنا لنقضيها له (183) .

النتيجة الثانية :إن عملية الافتداء هذه لم تشمل طائفة من المجتمع دون أخرى ، بل شملت حتى اليهود الذين تحت ذمته خاصة وأن عملية الطرد والاضطهاد في اسبانيا لم تشمل المسلمين فقط ، ولكن وصلت أيضا إلى اليهود ، وقد وجدوا في المغرب ملاذا أمينا ومعاملة حسنة لا تقل عن معاملة المغاربة إلى الدرجة التي كان المنصور يفتدي فيها أسراهم :

« ...ولقد أخرج يهوديا من الأسر من جزيرة مالطا بمال ، إذ طلب منه ـــ أيده الله

---

(180) أنظر **مناهل الصفا** ، 154 ،
(181) أنظر عبد العزيز الفشتالي ، المصدر السابق ، 155
(182) أنظر **المنتقى**، 251.
(183) أنظر المصدر السابق، 347.

تعالى ـــ ذلك »[184] .

3 ـــ تأثير عملية الأسر في شخصية ابن القاضي

أ ـــ الجانب السلبي :

يتجلى بالخصوص فيما أورده في **المنتقى** من عبارات تدل بالفعل على عناصر سلبية بقيت بارزة في شخصيته وملاصقة له طوال حياته ، وذلك ناتج عن :

ـــ فقدانه لعدد كبير من الوثائق إبان أسره ، ونذكر على سبيل المثال أنه عندما كان يتحدث عن معركة وادي المخازن ذكر أنه ضاعت منه قصائد تلك المعركة وقد كان ذاهبا بها إلى الشرق : « ...وكثيرا ما ضاع مني في محنتي من قصائد هذا المعنى وغرائب هذا المبنى ... »[185] ، ولعلنا ندرك أهمية هذا الحدث إذا علمنا أن هذه المعركة رغم ضخامتها وصداها لم تخلد إلا في قصائد تعد على رؤوس الأصابع .

ويتحدث عن ضياع **فهرس** أحمد المنجور قائلا : « ...وقد ألف شيخنا **فهرسة** جمع فيها كل ما اتفق له معه ، وناولنيها بخطه وأجازني فيها بعد قراءتها عليه مرتين...وقد ضاعت مني هذه النسخة في حال محنتي ، وهي الآن عند الكفرة ـــ أذلهم الله تعالى ـــ »[186] . وقال أيضا عن ضياع قصائد المولد النبوي « ...وقصائد هذا الفن كثيرة جدا ، وما كان منها بيدي ضاع مني مع مقيداتي في محنتي ... »[187] . .

وإن الأثر ليكون عميقا عندما يذكر بأنه كان يتوفر على قصائد كاملة لأدباء كانوا مشهورين جدا في العصر السعدي ، ولا نتوفر اليوم إلا على النزر اليسير مما كتبوا ، بل إن بعضهم لا نعرف إلا أسماءهم ، يقول ابن القاضي : « ...وقد ضاع مني قصائد هذا الوادي ، أعني القصائد الميلاديات ، كقصائد الفقيه ، الناظم الناثر ، الصوفي المحب في أهل الله تعالى : أبي مالك عبد الواحد بن أحمد الشريف الحسني ، وكقصائد الفقيه الكاتب ، الناظم الناثر : أبي عبد الله محمد بن علي الفشتالي ، نخبة الاعلام ، وحسنة الليالي والأيام ، وكقصائد أبي عبد الله محمد بن علي الهوزالي ، وأبي العباس أحمد بن يحيى الهوزالي وغير هؤلاء ممن يطول ذكرهم ، ولو تتبعناهم واحدا واحدا لخرجنا عن المقصود ، وطالت هذه العجالة »[188] .

---

(184) أنظر المصدر السابق، 347.
(185) أنظر المصدر السابق، 246.
(186) أنظر المصدر السابق، 307.
(187) أنظر المصدر السابق، 375.
(188) أنظر المصدر السابق، 376.

ـ عدم تحقيق رغبته في الذهاب إلى الشرق لاستكمال تكوينه ، وتلك أمنية طالما سعى ابن القاضي لتحقيقها ، خاصة وأنها هذه المرة أتت بأمر من المنصور لتصبح مهمة علمية سياسية . غير أنه رغم هذا كله فإن الحدث لا يخلو من جانب ايجابي .

ب ـ الجانب الايجابي :

لعل المرء يستغرب لأول وهلة عندما يحاول الباحث استخراج جانب ايجابي من عملية كهذه ، هذه العملية التي قلنا عنها وقفت في وجه استكمال ابن القاضي لتكوينه ، وأضاعت ثروة أدبية طائلة يصعب تعويضها ، فنقول بأنه رغم كل ذلك فإن العملية أتاحت لابن القاضي أن ينتج كثيرا للمنصور كاعتراف له بالجميل ، ومن خلال ذلك سجل لنا مظاهر فكرية واقتصادية وسياسة نقلها عنه مؤرخون لاحقون كالافراني والقادري والناصري ، وما زالت تحظى مؤلفاته إلى اليوم بتقدير الباحثين ، والدليل على ذلك أن جل كتبه في التاريخ والتراجم قد طبعت ، وهذا ما لم يحظ به مؤرخ آخر في عصره ، فما هي إذن هذه المؤلفات ؟

ذلك ما سنراه في المبحث الخامس من هذا الفصل .

★ ★ ★

خامسا : مؤلفاته :

تعكس مؤلفات ابن القاضي المتنوعة مشاركته الواسعة في العلوم العقلية والنقلية ، إذ كان في نفس الوقت رياضيا ولغويا ، وفقيها ، ومحدثا ، وأديبا ، وشاعرا .

وقبل الدخول في التفاصيل علينا أن نسجل ملاحظات أساسية تساعدنا على وضع إطار عام لهذا المبحث .

الملاحظة الأولى :

يقع أحيانا الكثير من الخطأ في نسبة العديد من المؤلفات لأحمد بن القاضي ، ويرجع ذلك ـ في نظرنا ـ إلى سبب أساسي وهو : تعدد أفراد أسرة ابن القاضي الذين يتسمون بهذا الاسم ، وجلهم ألف في نفس الميادين التي ألف فيها ابن القاضي (189) .

---

(189) مثل هذا الخطأ وقع فيه الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله ، في **الموسوعة المغربية** ، 2 : 87 ، حيث نسب لأحمد بن القاضي عدة كتب ليست له . فقد نسب له كتاب **تنوير الزمان** ، بقدوم مولانا زيدان ، في حين أنه لابن عمه قاسم بن القاضي ، ويوجد ضمن مجموع بالمكتبة الملكية عدد 255 . ونسب له أيضا كتاب **نصح ملوك المسلمين** الموجود بنفس المكتبة عدد 1258 ، وقد تأكدنا بعد

الملاحظة الثانية :

وجود أغلب مؤلفاته وتعدد نسخها ، إذ من مزايا مؤلفات ابن القاضي ، وجود أغلبها ، وهذا ما لا نجده عند أي مؤلف آخر معاصر له في العصر السعدي .

الملاحظة الثالثة :

تنوع مؤلفاته ، فهو لم يقتصر على علم واحد من علوم عصره ، بل شملت مؤلفاته جل علوم عصره .

الملاحظة الرابعة :

إن المؤلفات التي أخذت المقام الأول عند الباحثين هي مؤلفاته التاريخية التي دون فيها

= التحريات الدقيقة التي قمنا بها أن الكتاب ليس لابن القاضي ، وإنما هو لابن السكاك .
ونسب له كذلك **تقاييد في التعريف بصلحاء فاس وأضرحتهم** ، في حين أنه لعبد الرحمان بن القاضي المتوفى سنة 1082 هـ/ 1672 م (أنظر عبد الله الفاسي ، **الاعلام بمن غبر**) .
ونسب له كتابا سماه (في الرواية) وذكر أنه يوجد بمكتبة القرويين بفاس عدد 228 . وبعد التحريات التي قمنا بها هناك لم نعثر على كتاب لابن القاضي بهذا الرقم . كما ذكر أيضا أن (ألفريد بيل) نشر وترجم **جذوة الاقتباس** بالجزائر سنة 1922 ، والواقع أن المستشرق المذكور لم ينشر ولم يترجم **جذوة الاقتباس** ، وإنما نشر وترجم **جني زهرة الآس** للجزنائي . كما ينسب له **تقييد** في ترجمة أبي جيدة عالم فاس المشهور ، ويوجد بالمكتبة العامة بالرباط عدد 1242 ك ضمن مجموع . والتقييد يتكون من صفحتين ونصف (387 ــ 389) ، وجاء في مقدمته ما يأتي : « الحمد لله ومن تأليف المرابط ، الخير الدين الناسك سيدي : أحمد بن محمد بن القاضي ــ رحمه الله ــ ما نصه : فصل : اعلم وفقني الله وإياك أنني لما فرغت من ذكر تاريخ الاقطاب الشرفاء أردت ــ إن شاء الله ــ أن أذكر وفيات المشايخ الذين منهم الشيخ الشهير ، والقطب العالم الكبير : أبو جيدة بن الامام أحمد اليزغيثني ، دفين خارج باب بني مسافر أحد أبواب مدينة فاس ، توفي ــ رحمه الله ورضي عنه ــ سنة بضع وستين وثلاثمائة ... ولم تزل تظهر له الكرامات ، وخوارق العادات ، حسبما سمعناه غير ما مرة من الشيخ الفقيه الاستاذ أبي زيد سيدي عبد الرحمان بن القاضي ــ رحمه الله ... » .
ولنا عدة ملاحظات حول هذا النص تجعلنا نشك في نسبته إليه :
أولا : وصفه بالمرابط الناسك ، هذا وصف لم نعهد أحدا من المؤرخين وصفه به ، فأوصافه معروفة مثل : المؤرخ ، الرحلة ، الفقيه ،الفرضي إلى غير ذلك ...
ثانيا : لا نعلم تاريخا لابن القاضي خاصا بالاقطاب الشرفاء ، ثم إن وفيات ابن القاضي تبدأ من سنة 700 هـ وابن جيدة توفي قبل هذا التاريخ بكثير.
ثالثا : يذكر المؤلف أنه سمع من أبي زيد عبد الرحمان بن القاضي المتوفى سنة 1082 هـ (ولعله يقصد كتابه **تقاييد في التعريف بصلحاء فاس وأضرحتهم**) ، ونحن نعلم أن مؤرخنا توفي سنة 1025 هـ ، إذن فالفرق واضح جدا .
رابعا : بالرجوع إلى الترجمة التي عقدها أحمد بن القاضي لأبي جيدة في **جذوة الاقتباس** (1 : 107 عدد 30) نلاحظ أنه لا يذكر أنه سيفرده بتأليف خاص ، ويختلف مع مؤلف التقييد حتى في تاريخ الوفاة إذ جعلها 563 هـ بدل 363 هـ .

عصر المنصور وأخبار دولته . واهمية هذه المؤلفات ترجع إلى ما اشتهر به ابن القاضي من اتقان وضبط ، وما اطلع عليه من نفائس المخطوطات التي كانت تزخر بها خزائن السعديين في مراكش ، وخزائن البيوتات العلمية بفاس، بالاضافة إلى ما كان محفوظاً بالزوايا والمساجد الكبرى ، وقد اعتمد ابن القاضي في مؤلفاته على عدد من المصادر منها ما هو موجود حاليا ومنها ما فقد .

الملاحظة الخامسة :

يذكر ابن القاضي مصادره أحيانا وأحيانا أخرى لا يذكرها ، وهذه هي الحالة الغالبة .

ونستطيع أن نقسم مؤلفات ابن القاضي إلى أربع مجموعات :

- المجموعة الأولى : في التاريخ والتراجم
- المجموعة الثانية : في الفقه والفرائض
- المجموعة الثالثة : في الحساب والهندسة
- المجموعة الرابعة : في المنطق

* * *

المجموعة الأولى
التاريخ والتراجم

1 ـــ المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور (190) .

2 ـــ درة الحجال ، في غرة أسماء الرجال (191)

ألف ابن القاضي هذا الكتاب في أوائل رجب سنة 999 هـ وأهداه لمخدومه أحمد المنصور ، وقد أوضح الهدف من التأليف قائلا : « ولما كنت قبل وضعت تأليفا وسميته **بالمنتقى المقصور ، على مآثر الخليفة أبي العباس المنصور** ، الشريف الحسني ، واستطردت فيه ذكر بعض الفضلاء ، ومحاسن بعض النبلاء ، وضاق عن استيفائهم تعيينا ، وعن حصرهم تبيينا ، فاحتجت لجمع هذا لأذكر من حضرني من الأعيان ، الذين لهم فضل قد شهد به العيان .

ولم أقتصر فيه على العلماء والأدباء ، بل كل من له شهرة واستطار على الألسنة ذكره من أولي الفضل والأعلام ، والصدور من ذوي السبق والأحلام . وذكرت من وفاة ابن خلكان ، إلى آخر العاشرة وأول الحادية عشرة مما حفظته من الأعيان .

وإنما ابتدأته من ابن خلكان ليكون كالذيل لوفيات الأعيان له ، والله الموفق ورتبته على

---

(190) أنظر الفصل الثاني من هذه الدراسة .

(191) طبعت **درة الحجال** أولا بالمطبعة الجديدة بالرباط (1934 ـــ 1936) بعناية أ.س. علوش في جزءين ، 618 صفحة ، وأعيد طبعها بالقاهرة بعناية الدكتور محمد الأحمدي في ثلاثة أجزاء ، 1970 ـــ 1970 ، في 322 ص 349 ص 561 ص .
والتحقيق الأخير مليء بالتحريف كسابقة ، وقد تتبع سقطات الجزء الأول الأستاذ التونسي محمد محفوظ في سلسلة مقالات له بعنوان : « نظرات في كتاب درة الحجال في أسماء الرجال » ، وذلك بجريدة **الصباح** التونسية على الشكل الآتي :
الحلقة الأولى : 25 مارس 1971 ، السنة 21 ، العدد 6677 .
الحلقة الثانية : 1 أبريل 1971 ، السنة 21 ، العدد 6683 .
الحلقة الثالثة :8 أبريل 1971 ، السنة 21 ، العدد 6689 .
الحلقة الرابعة : 15 أبريل 1971 ، السنة 21 ، العدد 6695 .
وفي تقديرنا فإن الكتاب في حاجة إلى إعادة تحقيق ، يعتمد المصادر التي اعتمدها ابن القاضي .

ترتيب حروف المغاربة كعياض ونحوه في المشارق لا على ترتيب أهل الشرق ، وكان أول ابتدائي لهذا التأليف في أوائل رجب عام 999 هـ ، سميته : **درة الحجال ، في غرة أسماء الرجال**[192] .

3 — جذوة الاقتباس ، في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس[193] :

ألف ابن القاضي **الجذوة** عام 1004 هـ ، وأهداها أيضا للمنصور ، إذ يقول : « ...وكنت جمعت لايالته الكريمة تآليف تنوب عن شكري لأياديه ونعمته ، وتكون كالاقرار بمنته...فأردت إنشاء هذا أيضا تجديدا لشكره اللازم ، ولأستَدْرِكَ به ما فاتني من بعض الواجب اللازم ، فوضعته وسميته **جذوة الاقتباس ، في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس** ، وانتقيت أن أذكر أولا المدينة ومحاسنها وما اختصت به ، ثم بعد ذلك أذكر على ترتيب حروف المعجم ملوكها ، وعلماءها وأعلامها وما لهم من نظم وتأليف ومن أخذ عنهم ، سواء كانوا من الغرباء القادمين عليها أو من أهلها ، إلا أني أفرد — إن شاء الله تعالى — في كل حرف ترجمة للغرباء الوافدين عليها ... »[194] .

وقد لقيت **الجذوة** قبولا واستحسانا من لدن أهل فاس ، ومن هؤلاء معاصره الأديب محمد الوجدي الغماد الذي مدحها قائلاً :

إن التـآليـف لا تحصى لكثرتهـا ... في جملـة العلـم منظـوم ومنثـور
ومـا رأت مقلتي في كل ما لحظت ... كجذوة قد أنـارت كل ديجـور
أتى (الشهـاب) بها تولى مطالعهـا ... علمـا بمـا قد مضى من كل مشهور
لأحمـد بمراقـي العلـم مرتبـة ... عليـاء يقصر عنهـا كل تحريـر[195]

---

(192) أنظر **درة الحجال** ، 1 : 4 — 5 .
(193) طبعت **الجذوة** على الحجر بفاس عام 1309 في 355 صفحة بعناية الأديب محمد الفاطمي بن الحسين الصقلي (ت 1313 هـ) الذي بذل جهدا لا يستهان به في تحقيق نصه ، ثم أعيد طبعها بالرباط سنة 1973 — 1974 ، وقد اعتمدنا هذه الطبعة الأخيرة .
وقد ذكر أبو جندار الرباطي في كتابه **الاغتباط** في ترجمة أبي اسحاق ابراهيم بن محمد التادلي الرباطي المتوفى سنة 1311 هـ /1893 ، أن هذا الأخير اختصر **جذوة الاقتباس**. كما ذكر الأستاذ عبد القادر زمامة أن هناك مختصرا للجذوة قام بها الأديب المؤرخ محمد بن محمد العربي الزعري المباركي الذي كان حيا سنة 1249 هـ (المقال السابق ، ص 210) .
(194) أنظر **الجذوة** ، 1 : 10 .
(195) أنظر أ. المقري ، **روضة** ، 83 — 84 .

4 ـــ درة السلوك ، فيمن حوى الملك من الملوك (196) :

وهي عبارة عن أرجوزة تاريخية ، جعلها كذيل **لرقم الحلل** لابن الخطيب (197) وتقع الأرجوزة في أربعمائة بيت ، بدأها بالسير النبوية أَوْجَزَهَا في عدة أبيات ، ثم انتقل إلى الأمويين ، فالعباسيين ، فالفاطميين ، ثم الأيوبيين ، وينهي القسم الأول من الأرجوزة بذكر سلاطين آل عثمان ، ثم خصص القسم الثاني للمغرب وقد أعرض عن الأندلس والموحدين لكنه ذكر الأدارسة وذكر معهم جده موسى بن أبي العافية ، ثم مغراوة ولمتونة وبني مرين ، وأشار في أربعة أبيات إلى أمير فاس مزوار الشرفاء محمد بن علي بن عمران الجوطي (869 هـ ـــ 876 هـ) ثم بني وطاس ليصل إلى السعديين .

والملاحظ أن الأربعمائة بيت التي تشتمل عليها الأرجوزة لا إلا يمكن أن تكون عرضا لأسماء وتواريخ جافة لا يزيدها ما يقتضيه النظم من حشو إلا غموضا وتعقيدا . وينطبق الأمر حتى بالنسبة للقسم الذي خصصه للسعديين ، إذ إن 59 بيتا التي خصصها لهم لا تفيد الباحث إلا بمقدار ضئيل جدا.

وعلى كل فهذا مطلع الارجوزة :

الحمد لله الذي أبدى العبر — في دول الملوك للذي عبر
ثم صلاتنا على محمد — العربي الهاشمي الأمجد
وبعد فالغرض من ذا النظم — ذكر أناس من ملوك القوم
ووفياتهم على الترتيب — تبصرة للعاقل الأريب
كالذيل صغته لرقم الحلل — مستدركا ما فاته من دول
رمت به مبرة المنصور — نجل الرسول المجتبى المبرور
من قد أزاح الضيم والفسادا — ونصر الاسلام والعبادا

---

(196) توجد منه عدة نسخ منها : نسخة م.ع بالرباط عدد 763 د ، ضمن مجموع من ورقة 1/أ إلى الورقة 91/ب ، مسطرته 19 ، مقياسه 145/185 ، خط مغربي رديء ، متلاش ، وبه أكل أرضة . ونسخة أخرى بنفس المكتبة عدد 1428 د ، بها القسم الخاص بالدولة السعدية فقط . ونسخة ثالثة بنفس المكتبة كذلك عدد 487 د .

(197) هو عبارة عن تاريخ منظوم للدول الاسلامية : الخلفاء الأوائل وبني أمية ، وبني العباس ، وبني الأغلب ، والعبيديين ، والمرابطين والموحدين ، وبني مرين ، وقام بشرحها هو نفسه . وتوجد منه عدة نسخ منها : نسخة الاسكوريال عدد 1776 (الغزيري) تحمل تاريخ الفراغ من كتابتها وهو 765 هـ أي في حياة المؤلف . وتوجد منها نسخة بخزانة القرويين بفاس ، وثلاث نسخ بالمكتبة الملكية بالرباط ، وقد نشر جزء من هذا الكتاب بتونس سنة 1898/1316 .

سميتـــــه بدرة السلـــــــوك فيمـــن حوى الملك من الملـــوك
مبتديـــا بالمصطفـــى المختـــار تاج الهدى وسيـــد الأبـــرار

5 ـــ الدر الحلوك ، المشرق بدرة السلوك(198) :

وهو شرح للمنظومة السابقة ، كان الفراغ منه بمراكش يوم الجمعة 19 رجب الفرد عام 1000للهجرة ، كما أكد هو نفسه ذلك في آخر الشرح . والشرح ألف بناء على طلب المنصور لشرح ما غمض من درة السلوك ، ورغم أنه مفصل شيئا ما إلا أنه لا يفي بالمطلوب ، حيث إنه لا يتضمن أكثر من أسماء الملوك ونسبهم وتواريخ وصولهم للحكم ووفياتهم ، وأحيانا لوائح فيها أسماء وزراء وكتاب وحجاب وقضاة الخ ...وحتى القسم الذي خصصه لشرح الأبيات المتعلقة بالدولة السعدية في المنظومة ضئيل جدا لا يتعدى ست صفحات ، ولا يفيد الباحث إلا بمقدار ضئيل كسابقة وكثيرا ما يحيله على كتابيه **المنتقى ودرة الحجال** .

6 ـــ لقط الفرائد ، من لفاظة حقق الفوائد (199) :

انتهى منه أول الأمر سنة 1000 هـ ، وأضاف إليه بعد ذلك وفيات جديدة وصلت إلى سنة 1009 هـ . وقد جعله كذيل **لوفيات ابن قنفذ** (200) .

والكتاب رغم صغر حجمه يدل على تلك الحاسة التاريخية عند الرجل ، فتجد عنده بنفس الايجاز أحداث العالم الاسلامي في أخبار العباسيين ، والمماليك والعثمانيين ، والحفصيين ، والزيانيين ، والمرينيين ، والوطاسيين ، والسعديين ، وسقوط مدن الاندلس إلى نهاية الاسلام هناك ، وغزو المسيحيين لثغور المغرب العربي الكبير من طرابلس إلى أقصى سوس وما واجهه من مقاومة شعبية ورسمية .

---

(198) توجد منها عدة نسخ منها : نسخة م.ع. الرباط عدد 763 د ، وأخرى بنفس المكتبة عدد 1428 د ، وأيضا 372 د (أول مجموع) .

(199) توجد منها عدة نسخ في المكتبة العامة بالرباط منها : نسخة عدد 270 ، وبالمكتبة الملكية بالرباط عدد 3829 ز ، وهي تامة حديثة ، جيدة الخط إلا أنها تقف عام 1000 هـ وأخرى عدد 5958 ، عتيقة مبتورة الأولى تبتدىء من عام 802 هـ إلى 1009 هـ ، وثالثة عدد 6328 ز ، عتيقة رائقة الخط ، تبتدىء من عام 825 هـ إلى 1009 هـ ، وقد طبع الكتاب أخيرا بتحقيق الأستاذ محمد حجي بالرباط عام 1976/1396 .

(200) توجد عدة نسخ منه بالمغرب منها : مخطوطة م.ع. بالرباط عدد 1428 د ومخطوطة م.م بالرباط عدد 2938 . وقد نشر هذا الكتاب بكلكتا في الهند سنة 1911 بعناية مولوي محمد هداية حسين ، ثم نشره (هنري بيريس) سنة 1939 ، وبعد ذلك عادل نويهض ببيروت وأخيرا الأستاذ محمد حجي سنة 1976/1396 .

7 ــ زهرة البستان ، المتضوعة بمحاسن أبناء الزمان :

لا نعرف عنه الا ما ذكره في المنتقى وهو بصدد الحديث عن بيتين للمنصور : « ... وكنت أثبتهما في زهرة البستان، المتضوعة بمحاسن أبناء الزمان، مع كثير من قصائده الشعرية، وملحمه النثرية، وضاع ذلك مني في حال محنتي ... » (201).

8 ــ رائد الفلاح، بعوالي الاسانيد الصحاح (202) :

كتب ابن القاضي هذا الفهرس عام 1010 هـ مجيزا به الأمير زيدان بن أحمد المنصور الذهبي ، وقد كتب بخط يده على أول صفحة من الفهرس :

هذا كتابـــي رائـــد الفـــلاح ... بشر بالمـــلك المتيـــن المتـــاح
كمـــا لكـــم روى حديث علا ... فقـد روى عنكـم حديث السمـــاح
ومـــا روى من سحركـم ختمـــه ... ما يعجـــز الضليـــل يوم الكفـــاح
لا زلت في عز وفـــي رفعـــة ... ما قد روى عنكـم عطـــا عن ربـــاح

وهو يذكر أسانيده في 314 كتاب بأسمائها ، وفي عموم مؤلفات 243 مؤلف آخر ، ويبدأ بكتب القراءات والتجويد ، ثم التفسير ، ثم الحديث وشروحه ، والسيرة النبوية ، والأجزاء والمسلسلات ، وعلوم الحديث ، ثم كتب العقائد ، وأصول الفقه ، والتصوف والاذكار ، والمواعظ ، والمناقب ، والرحلات ، والفهارس ، والمشيخات ، والمعاجم ، ثم الفقه ، ثم النحو ، والبلاغة ، واللغة ، والتراجم ، ويؤخر كتب الادب والشعر إلى الخاتمة ، فاصلا بينهما بذكر أسانيده في تآليف المؤلفين . ثم يروي بعد ذلك ثماني قطع شعرية لزيدان : سبع قطع منها أنشدها زيدان نفسه لابن القاضي وأجازه كل ما له من نظم ونثر ، ووضع له خطه بذلك ، وواحدة منها رواها عنه بواسطة . ثم روى عنه بيتين لوالده أحمد المنصور في وصف نهر المسرة .

وابن القاضي في فهرسته هذه يروي عن أحد عشر شيخا ، خمسة منهم مغاربة ، وستة مشارقة . ومن المشارقة الذين أجازوه أبو عبد الله محمد بن أحمد الرملي الأنصاري الذي أورد إجازته له مؤرخة بسنة ثلاث وألف . وأبو الحسن علي بن محمد بن علي الشهير بابن

---

(201) أنظر المنتقى، 627.

(202) ربما كانت المخطوطة الوحيدة لرائد الفلاح هي التي بمكتبة الأكاديمية الملكية للتاريخ بمدريد عدد 17 . بخط ابن القاضي نفسه في 156 ورقة ، وبها شطب وإلحاق .

غانم [203] ، المقدسي النجار ، المصري الدار ، وأورد نص إجازته له . وأغلبية مروياته عن أبي عبد الله محمد بن يوسف الترغي إلى المنتوري ، وكثيرا ما يقول : وبالسند قبله إلى المنتوري ، وتليها روايته عن أبي راشد اليدري .

المجموعة الثانية
في الفقه والفرائض

1 ــ نيل الأمل ، فيما به بين المالكية جرى العمل [204] :

وهو في الفقه .

2 ــ القانون الوفي ، بجداول الحوفي [205] :

وهو في الفرائض قال عنه المقري : « وهو كتاب عجيب في بابه ، ولما رفعه إلى أمير المؤمنين ــ نصره الله ــ كتب على أول ورقة منه بيتين من نظمه ، وهما :

لما رأيت مقامك السامي الذي ... ملك العلا والنصر صار مطيعا
أيقنت أنك وارث الدنيا لذا ... أهديت علم الارث فيه جميعا [206]

(203) ذكر الأستاذ محمد ابراهيم الكتاني (في مقال له عن **الفهرسة** بمجلة **دعوة الحق** ، العددان 9 ــ 10 ، يوليوز 1966 ، 82 ــ 87) أن هناك شيخين مذكورين في **الفهرسة** ضمن شيوخ ابن القاضي :
الأول : على الشكل الآتي :
أبو الحسن علي بن محمد بن علي الشهير بابن غاغ (كذا) ، المقدسي النجار ، المصري الدار ، الخزرجي .
وقد ذكر الأستاذ أن ابن القاضي أورد إجازة شيخه وفيها أنه ولد سنة 920 هـ .
الثاني : وقد جعله هو الشيخ الرابع ضمن شيوخ ابن القاضي المشارقة ، وهو أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن غانم الخزرجي المقدسي .
والواقع أنه لا يوجد هناك شيخ لابن القاضي باسم (ابن غاغ) ، فالشيخ المذكور بهذا الاسم ليس في الحقيقة إلا ابن غانم المقدسي المشهور ، خاصة وأن الأستاذ نفسه يذكر أنه ولد سنة 920 هـ (أنظر ترجمته عند المحبي ، **خلاصة الأثر** ، 4 : 270) ، وعليه لا داعي لذكر نفس الشيخ مرتين .
ونرى في الأخير أن ابن غاغ مصحفه عن ابن غانم ، خاصة وأن تلميذه المقري لا يذكر إلا هذا الأخير (**روضة** ، 288) .

(204) ذكره أ. المقري في **روضة الآس** ، 299 .

(205) المصدر السابق ، 298 .

(206) نفس المصدر والصفحة .

3 ـــ الرائض لطالبي فهم الناهض ، بأعباء علم الفرائض (207) :

جاء في مقدمته :

« ...وبعد فلما وقفت على أرجوزة بديعة في علم الفرائض بعمل الكسور للشيخ الفقيه المشارك المتفنن النبيه : أبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد البلوي ، الشهير بابن داود التلمساني ، الأندلسي النجار ، جامعة لما اشتملت عليه من ذلك الفن ، رأيت أن أضع عليها شرحا يبين ألفاظها ويوضح أغراضها ـــ بحول الله تعالى وقوته ـــ . وسميته بالرائض لطالبي فهم الناهض ، بأعباء علم الفرائض ... » .

4 ـــ مختصر المعيار :

ذكره عبد الله الفاسي وهو بصدد الحديث عن مؤلفاته : « اختصاره **للمعيار** ، إلا أنه لم يكمل ، لفقده نسخة أصله ، لكون من كان يملكه ضن به عليه لشحناء وبعض حسبما هو معلوم في أهل هذا الحين ... »(208) .

المجموعة الثالثة
في الحساب والهندسة

1 ـــ فتح الخبير ، بحسن التدبير ، لفك رموز الاكسير ، في صناعة التكسير (209) :

يبدو أن هذا التأليف اقترح عليه ، إذ يقول في المقدمة : « ...وبعد فقد سألني بعض الاخوان ، من المتضلعين ...وصناعة البرهان ، أن أضع له شرحا مختصرا على أرجوزة العالم الاستاذ : أبي عثمان سعيد بن أبي جعفر بن ليون المسماة **بالاكسير ، في صناعة التكسير** ،

(207) مخطوط م.م بالرباط عدد 8840 .
كتب في آخرها : « فرغ من نسخه من نسخة المؤلف ـــ رحمه الله تعالى ـــ بعد عشاء ليلة الثلاثاء السادسة والعشرين من جمادى الأولى عام أربعين وألف ...دنا...الله...القاسم ... » .

(208) أنظر **الاعلام بمن غبر** ، ص 366 .
ملاحظة :
المقصود هنا **معيار الونشريسي**.

(209) مخطوطة م.م. بالرباط عدد 5455 ، في 36 ورقة ، خط مغربي دقيق ، ابتدأ فيه في 10 شوال عام 1017 هـ ، وانتهى منه في 5 ربيع النبوي عام 1018 هـ بمدينة فاس .

لحل ألفاظها ، وتبيين مراميها وأغراضها ، وليكون تبصرة للمبتدي ، وتذكرة للمنتهي ، فأجبته إلى ذلك بعد الاستخارة ... سائلا من الله — تعالي — التوفيق والارشاد إلى عين الصواب ...وسميته **فتح الخبير** ، **بحسن التدبير** ، **لفك رموز الاكسير** ، **في صناعة التكسير** ، ورأيت قبل الشروع في المقصود أن أعرف بمؤلفه ... » . واستمر بعد ذلك في ذكر شيوخ ابن ليون التجيبي المتوفى سنة 750 هـ ، والكتاب يحتوي على أشكال هندسية كثيرة رسمت بعناية فائقة .

2 — الفتح النبيل ، بما تضمنه من العدد ومعنى الحساب والتنزيل (210) :

جاء في مقدمته : « ...وبعد فالقصد بهذا الكتاب ذكر بعض ما وجد في آي التنزيل من أسماء العدد ومعنى الحساب ، ليكون نافعا للطلاب ، وغنية لذوي العقول والألباب ، قصدت به خدمة سدة باب الامام الأعظم ، الخليفة كهف الملوك والانام الأفخم ، مولانا أبي العباس المنصور الشريف الحسني ... مقابلة لبعض إحسانه ، إذ خفف أصرى ، وأطلق من ربقة العدو الكافر أسرى ... وسميته **بالفتح النبيل ، بما تضمنه من العدد ومعنى الحساب والتنزيل** ...وكان الفتح المذكور في يوم الاثنين ثالث وعشرون شعبان عام خمسة وألف وانتقيت حصره في أربعة أقسام :

الأول في الصحيح ، والثاني في الكسور ، والثالث في الجذور ، والرابع قوانين استخراج المجهول ... » .

3 — مدخل في الهندسة (211) .

4 — نظم تلخيص ابن البنا :

ذكر المقري أنه ضاع في أسره (212) .

---

(210) مخطوط م.ع بمراكش عدد 472 ، خطه مغربي ، مسطرته 21 ، مقياسه : 230 160 .
كتب بآخره ما يأتي : « ...قال مؤلفه أحمد بن محمد بن العافية المكناسي — خار الله له بمنه — : كان الفراغ من تأليفه وجمعه بسلا المحروسة بالله تعالى يوم الاثنين سادس عشر رجب عام ستة وألف ، وتم تحريره في يوم السبت ثامن عشر ربيع النبوي عام ثمانية وألف ... »

(211) ذكره أ. المقري في **روضة الآس** ، 298 .

(212) نفس المصدر والصفحة .

المجموعة الرابعة :
في المنطق

نظم منطق السعد :

ذكر المقري أنه ضاع في أسره (213) .

★ ★ ★

هذا وقد حرر ابن القاضي العديد من الاجازات لتلامذته ، ولكنها ضاعت ، ولا نتوفر اليوم منها إلا على النزر اليسير (214) . كما نظم العديد من الأشعار (215) ، ولكنها أشعار عادية ولا تصل حتى إلى مستوى بعض معاصريه مثل عبد العزيز الفشتالي والحسين المسفيوي ، وبالتالي فشعره لا يعدو إلا أن يكون شعر فقيه ، وهو بهذا المفهوم ناظم وليس بشاعر . ولعل السبب في ذلك يعود إلى تشتت اهتمامات ابن القاضي ، في حين أن معاصريه اختصوا في ميدان واحد اتقنوه ، نذكر على سبيل المثال عبد العزيز الفشتالي الذي استهواه الادب فبرع فيه حتى قال فيه المنصور : (إننا نباهي به لسان الدين ابن الخطيب) .

وقد ذكر كذلك عزمه على وضع تأليف في قصر البديع : « ...إن فسح الله في أجلي أضع — إن شاء الله — تأليفا على ما اشتمل عليه من أنواع البناءات ، وما سطر فيه من النظم ، ومساحة قببه ، وقصوره ، وجداول مائه وصهاريجه ، وأشجاره ، وما فيه من أنواع الطير والوحوش وغير ذلك من العجائب ، لأن إفراده بالذكر في تأليف أشمل وأبلغ في استقصائه جملة لا تفصيلا »(216) .

وقد فسح الله فعلا في أجله ، فهل وفى بوعده وضاع الكتاب من جملة ما ضاع من كتبه ، أم أنه لم يوف بوعده ، وشغلته شواغل أخرى عن ذلك ؟

وعلى كل فمؤلفات الرجل تعكس إيجابياته وسلبياته ، وتفاعله مع بيئته ، هذا التفاعل

---

(213) نفس المصدر والصفحة .
(214) نذكر على الخصوص إجازته لتلميذه أحمد المقري ، أنظرها في **روضة الآس** ، ص 295 — 297.
(215) توجد هذه الأشعار بالخصوص في كتابه **المنتقى**، و**روضة الآس** للمقري، و**كناشة** الزجالي.
(216) أنظر **المنتقى**، 836.

هو الذي سنحاول أن نلقي عليه الضوء في المبحث التالي .

سادسا : تفاعله مع بيئته :

سندرس هذا التفاعل من خلال نقطتين أتيحت له الفرصة فيهما ليتفاعل مع بيئته ، وليبدي آراءه في كثير من قضايا مجتمعه . وهكذا فقد أتيحت له الفرصة ليعبر عن آراءه فيما يخص بعض القضاة ، وهو في هذا الموضوع يتخذ نقد الماضي ستارا لنقد الحاضر ، وأتيحت له الفرصة كذلك ليبرز الجانب الصوفي من شخصيته ، فنراه يجري وراء الأولياء والصالحين يستشفع بهم للخلاص الدنيوي والأخروي ، لأن (الدعاء عند قبرهم مستجاب) على حد تعبيره . كما أتيحت له الفرصة ليبرز موقفه من (البدع الضالة) والتي استنكرها بشدة وحذر قومه منها .

1 ــ ابن القاضي والقضاء :

سبق أن قلنا أن أسرة ابن القاضي تسلسل فيها القضاء منذ وقت بعيد ، فالحدث ليس طارئا إذن ولكنه استمرار لوضعية كانت قائمة بالفعل . ويخبرنا ابن القاضي أنه تولى أول الأمر القضاء والخطابة بالقصر ، ونراه بعد ذلك قاضيا في سلا ، ثم في مكناسة(217) .

والواقع أن ابن القاضي كان يتوفر على قدر كبير من الشجاعة الأدبية جعلته يقبل هذا المنصب (الخطير) بدون تردد ، خاصة إذا علمنا أن الانتقاد كان لاذعا للقضاة في عصره حتى إن شيخه المنجور يذكر أن خطة القضاء أفلست ومنذ أواخر الوطاسيين عندما أسندت إلى من لا تتوفر فيه الكفاية العلمية والنزاهة الأخلاقية (218) .

أما كيف مارس ابن القاضي القضاء ، وكيف واجه الناس في المدن التي مارسه فيها ، فإننا لا نتوفر على وثائق توضح ذلك ، مما يدل على أن الأمور كانت عادية ، خاصة وأن أي أحد لم يشر إليه بأصبع الاتهام . غير أننا نستطيع أن تستخلص مع ذلك موقفه من القضاء ورجاله من خلال سلسلة التراجم التي عقدها لبعض القضاة .

فبالنسبة للعصر المريني يذكر في ترجمة محمد بن أبي حاج الجزولي ــ قاضي فاس في عهد السلطان أبي سعيد عثمان المريني وابنه أبي الحسن ــ ما يأتي :« ...ويذكر عنه أن ابنه كان يأخذ الرشا في أحكام القضاء ولا يغير عليه ويتم عليه العقود ، ولذلك هجاه محمد بن يحيى أبي طالب بن أبي القاسم العزفي ، وورى ببابين من أبواب المدينة فقال :

---

(217) أنظر عبد الله الفاسي ، **الاعلام بمن غبر** ، ص 367 .
(218) أنظر **فهرس** أحمد المنجور ، ص 53 .

أقـــاضي فاس لقـــد شنتهـــا فأحـــدثت فيهـــا أمـــورا شنيعـــة
ظلـــمت العبـــاد ورمت العنـــاد وخـادعت في الديـــن كل الخديعـة
فتـــحت لنجـــلك باب الفتـــوح وأغلـــقت للنـــاس باب الشريعـــة
فبـــادر مولـــى الـــورى فارس بعـــز لك عنهـــا لسد الذريعـــة(219)

أما في العصر السعدي فقد ذكر في ترجمة أحمد بن محمد الطرون ما يأتي : « الفاسي الدار ، القصري النجار ، الأموي . كان قاضيا بفاس ، ولم يكن من أهل العلم ، وإنما ولي القضاء لأنهم كانوا يولون القضاء من يكون مليا وإن لم يكن ذا علم ، لينكف بماله عن أموال الناس وعن الرشا .

توفي ذبيحا سنة 961 هـ (220) .

ويمكننا تلخيص موقفه من خلال هذين النصين وغيرهما على الشكل الآتي :

ــ ضرورة توفر القاضي على قدر مهم من العلم ، إذ لا قضاء بدونه . وفعلا فقد كان بعض القضاة في العصر السعدي علماء يمارسون مهنة التدريس بالاضافة إلى مهنتهم كقضاة .

ــ ضرورة أن يكون (من أهل الورع) ، وقد كرر ذلك بالنسبة لعديد من القضاة الذين ترجم لهم . فالعلم وحده لا يكفي ، لأن العالم أحيانا قد يستغل علمه لتحقيق مآربه .

ــ ضرورة توفير الامكانيات المادية للقضاة (لينكفوا عن أموال الناس) ، وهذا البديل الذي يطرحه ابن القاضي في شأن تولية الأغنياء الغير العلماء

وفعلا فإننا نلاحظ أن أجور القضاة والمفتين لهذا العهد ــ وإن كانت غير معروفة لدينا ــ فإن هناك ظواهر كثيرة تدل على مدى رخاء عيشهم وسعة رزقهم ، حتى إنهم كانوا يبنون الدور الفخمة ، ويمتلكون الأجنة والحقول ، ويستطيعون تقديم الهبات السنية العديدة للطلبة والفقراء (221) .

ــ ضرورة تدخل السلطان لصد القضاة الغير الأكفاء عن الأعمال المشينة التي يقومون بها مهما كانت مكانة هؤلاء.

---

(219) أنظر **الجذوة** 1 : 230 .
(220) أنظر **درة الحجال** ، 1 : 167 رقم 199 .
(221) أنظر ما يقوله عن قضاة هذا العصر أحمد المنجور في **فهرسه** والكلالي في **التنبيه** ، والقادري في **النشر**.

ـــ يشير ابن القاضي في الأخير إلى أن الردع وإن لم يأت من السلطان ، فإن العامة لن تغفر له ، وكلمة (توفي ذبيحا) في الأخير يحتمل أن نفسرها في هذا الاتجاه .

ونثير الانتباه إلى أن هذه المباديء بالنسبة لابن القاضي لم تكن نظرية بحتة أو بقصد المباهاة والظهور بمظهر المدافع عن العدالة ، بل على العكس من ذلك فقد تصدى لكثير من القضاة في التراجم التي عقدها لهم واستنكر أعمالهم ، وهكذا استنكر أعمال شيخه عبد الواحد الحميدي ـــ قاضي الجماعة بفاس ـــ قائلا : « ...نبذ الشريعة المحمدية وراء ظهره ، وكان يحكم بموافقة شهوته مع علمه بالفقه ، ولا يبالي بما فعل فيها حتى اكتسب هو ومن ولاه أموالا جليلة لا حصر لها ... »(222) .

ونشير في الأخير إلى أنه وإن لم يرق إلى درجة مفتي (223) فإنه مع ذلك كان يتمتع باحترام كبير سواء من لدن السلطة أو العامة ، وكان دائما يسعى للمحافظة على اسم أسرته التي تسلسل فيها القضاء ، وقد برهن على أنه أهل لذلك بالفعل .

2 ـــ الجانب الصوفي من شخصية ابن القاضي :

نشأ ابن القاضي في بيئة صوفية سواء على مستوى أسرته أو ضمن إطار مجتمعه من قمته إلى قاعدته ، ويكفي أن نذكر ان انتقال أسرة ابن القاضي نفسها من مكناس إلى فاس كان بسبب خدمة أحد المتصوفة ، وهكذا فقد ذكر ابن عيشون الشراط ، في معرض حديثه عن آمنة بنت الفقيه أحمد بن القاضي (جد مؤرخنا) المتوفى سنة 955 هـ ، ما يأتي : « كانت من الأولياء ، الخاصة الأصفياء . أخذت عن الشيخ أبي الحسن علي الصنهاجي ... وكانت تخدمه وتتبعه ، وكان أولا أهلها ينكرون ذلك عنها ، فسجنوها مرة في غرفة وجعلوا على رجليها قيدا من حديد ، فجاء شيخها سيدي ووقف وسط الدار وناداها يا آمنة ! فقالت نعم يا سيدي ، فقال : اهبطي ، فسقط القيد من رجليها وخرجت وهم ينظرون إليها والغرفة على حالها مسدودة ، فمن يومئذ سلموا لها حالها . وطبخ أهلها يوما دجاجا فأعطوها سهمها منه فقالت : لو أن كليبة سيدي هنا أو أية كليبة كانت له لأعطيتها سهمها هذا ، فإذا هي معها مادة يدها فناولتها إياها ...وقد شهد لها الشيخ سيدي عبد الرحمان المجذوب ـــ رضي الله عنه ـــ بالخصوصية ...وكانت ربما تصبح في فراشها جريحة من أثر حضور الجهاد...وكان شيخها يقول

---

(222) أنظر م. الافراني ، **نزهة،** 172 .

(223) هناك من شيوخ الجماعة من ولي الفتوى مباشرة دون سابق ولاية القضاء ، كعلي السكتاني وعبد الواحد السجلماسي بمراكش ، ويحيى السراج ومحمد القصار في فاس . كما أن هناك من ولي القضاء والفتوى معا كعبد الرحمان التمنارتي في مدينة المحمدية (تارودانت) .

إنه ما أتى بأولاد ابن القاضي من مكناس إلى فاس إلا من أجلها ... »(224) .

والشيخ الصوفي المذكور ترجم له ابن عسكر بما يأتي : « ولايته عند أهل فاس قطعية كفلق الصبح . وكان بهلولا مجذوبا على طريق الملامتية ، تعتريه أحوال الجذب في كل حين ، وليس له أهل ولا قرار ، يخبر بالمغيبات ويكاشف به من لقاه (كذا) ، لا يلتفت إلى مدح ولا إلى ذم ، يدخل ديار ملوك بني مرين فيتلقاه النساء والأولاد فيقبلون يديه وقدميه فلا يلتفت إلى أحد ويدفعون إليه الحوائج الرفيعة والذخائر النفيسة ، ويلبسه السلطان من أشرف لباسه ، فإذا خرج تصدق بجميع ذلك . ويمر على حوانيت الزياتين فيغمس أكام الحلة التي تكون عليه ويبرقعها بالزيت والسمن ، ولا يزال يدور في بعض الأماكن ويصرخ باسم الجلالة ، ولا يعرف له أحد مأوى ، وشأنه عظيم عند أهل فاس لما رأوا له من الكرامات التي لا تخطر على بال . ولما توفي تساقط الناس على جنازته وتقاسموا أعواد نعشه وسجادته ولباسه ... »(225) .

أما على مستوى السلطة فيذكر ابن القاضي نفسه عن المنصور ما يأتي : « ...فمن ذلك زيارته لأهل الله الأئمة المشاهير ، والعلماء الجماهير ، ومحبته فيهم ، فغير ما مرة راح لزيارة أهل الله تعالى ، كالولي الصالح : دراس بن اسماعيل بن ميمونة . حكى أنه — ايده الله — مرض مرضا شديدا ، فرأت أمه — رضي الله عنها — شخصا في النوم يقول لها : زوريه دراسا ، فإنما أصابته عين ، فقصت عليه رؤيتها ، ثم زاره فعوفي . وقد زار أيضا قبر الولي الصالح : أبي الحسن علي بن حرزهم ، وكقبر أبي بكر بن العربي ، وغير هؤلاء الذين بمدينة فاس — رحمة الله عليهم — ، وكان هذا منه حين إقامته بفاس . وقد راح — أيده الله — لأغمات غير مرة لزيارة أبي عبد الله الهزميري وأمثاله .

وبمراكش يتعاهد كثيرا زيارة الأولياء كزيارة الولي : أبي العباس السبتي ، وضريح القاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي ، وأبي القاسم السهيلي ، وغير هؤلاء ممن بحضرته العلية . وهذا فعله في غيرها من البلدان إن مر بها ، ولا يسمع بشيخ يزار إلا يقصد زيارته . وحدثني بعضهم أنه كان يتعاهد كثيرا ضريح الولي الصالح سيدي أبي مدين ، حيث كان بتلمسان (226) .

ومؤرخنا لم يخرج عن هذا الاطار فقد كان خلية من خلايا مجتمعه ، فحافظ في التصوف على نظرية تقديس وتعظيم الأولياء والصالحين ، فاستشفع بهم للخلاص الدنيوي والأخروي .

---

(224) أنظر **الروض المعطار** ، 301 .
(225) أنظر **الدوحة** ، 81 رقم 66 .
(226) أنظر **المنتقى**، ص 387.

وهكذا فقد قال في ترجمة أبي جيدة بن أحمد ما يأتي « ...وكانت له كرامات ، والدعاء عند قبره مستجاب ... »(227) . وقال في ترجمة أحمد بن محمد بن عاشر : « ...كان منقطع القرين في الزهد ، وله كرامات ظاهرة ...وقصده يوما أسير من المسلمين فنظر إليه ثم أخرج له سكين البقل لكونه لم يكن عنده ما يدفعه إليه من المال فباعها الأسير بالمزايدة في السوق بسبعة عشر دينارا ذهبا ...وقبره مزار ، والدعاء عند قبره مستجاب ... »(228) .

وقال في ترجمة أبي الغيث غالب بن القشاش : « الولي الصالح المحقق ، الزاهد ، الورع ، التونسي ، له مكاشفات وكرامات لا تحصى ...واستخلص جمعا غفيرا من أسارى المسلمين من يد العدو الكافر — دمره الله — وله في ذلك كرامات مأثورة : من جملتها أنه استخلص أسيرًا من أهل البيت شريفا أيضا فلما بلغ بلده قال هذا الشريف والله لا يخلص إلا بذهب شريفي يعني من سكة ساداتنا الشرفاء الذين عمدتهم مخدومنا أبو العباس المنصور ، وكان عدد المال ينيف على ثلاثة آلاف أوقية فصار يدخل يده تحت سجادته ويخرج الذهب الشريفي حتى أكمل عدد الفدية ولم يعهد قبل ذلك تحتها شيء بالكلية . وكراماته أكثر من هذا ، لو تتبعتها لطال الكتاب جدا .

اللهم بحرمته عندك اغفر لنا وللوالدين وسائر المسلمين أجمعين يا رب العالمين ...اجتمعت به بتونس المحروسة سنة 988 هـ في زاويته قرب جامع الزيتونة ، وشاهدت منه العجب ، العجاب ودعا لي ... »(229) .

وهكذا فقد كان ابن القاضي يجري وراء الأحياء والأموات من الصلحاء والزهاد ويستشفع بهم ، ويؤمن بكراماتهم ومكاشفاتهم ، ويذكر أنه رآى منهم (العجب العجاب) ، وهو في هذا لم يقتصر على منطقة معينة ، بل زار جل المناطق التي كان يسمع فيها بوجود ولي صالح ، فكأنه كان يعيش إذن في (غيبوبة مطلقة) ، وهو في انجرافه هذا وصل إلى حد المبالغة عندما جعل (الدعاء عند قبرهم مستجاب) لأنه يلغي بذلك أي اتصال روحي مباشر مع ربه .

غير أنه من الانصاف أن نذكر أن ابن القاضي لم يكن حالة انفرادية في عصره ، بل سار على نهجه الكثير من العلماء نذكر على سبيل المثال أحمد بابا الذي يقول في ترجمة أبي العباس السبتي : « الولي الزاهد العالم العارف بالله القطب ذو الكرامات الشهيرة ، والمناقب الكثيرة ، والأحوال الباهرة ، والفضائل الظاهرة ، نزيل مراكش وبها توفي ، وقبره بها معروف مزار مزاحم عليه مجرب الاجابة زرته مرارا لا تحصى وجربت بركته مرة ...قلت : وإلى الآن ما زال الحال على ما كان

(227) أنظر الجذوة ، 1 : 107 .
(228) المصدر السابق ، 1 : 153 .
(229) أنظر درة الحجال ، 3 : 261 — 262 ، رقم 1311 .

عليه في روضته من ازدحام الخلق عليها وقضاء حوائجهم ، ولكن قل ذلك العطاء لفساد الزمان وتقاصر أهله وبخلهم ومع ذلك فما زالت بركته تعم قاصديه من الفقراء والقاصدين فالله الحمد ، وقد زرته ما يزيد على نحو خمسمائة مرة وبت هناك ما ينيف على ثلاثين ليلة وشاهدت بركته في الأمور ...(230) .

فالأمر إذن كان عاما ، إذ كان التصوف يغلف البيئة المغربية بهذا الشكل ، مما يستدعينا إلى التساؤل عن حقيقة هذه الوضعية : هل هي وليدة عصر ابن القاضي فقط أم أنها استمرار لوضعية سابقة ؟ ما هي الأسباب التي جعلت وضعية التصوف المغربي بهذا الشكل ؟ وهل وجد بالفعل من انتقد هذه الوضعية ؟ وهل كان الأمر كذلك بالنسبة للمناطق التي زارها ابن القاضي خاصة مصر ؟

ذلك ما سنحاول الاجابة عنه في المباحث التالية .

أ ــ ملامح من تطور الحركة الصوفية بالمغرب إلى غاية عصر ابن القاضي :

إن تاريخ الحركة الصوفية جزء من تاريخنا العام الذي لا يشمل الجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي فحسب بل يتجاوزه إلى الجانب الثقافي والروحي . على أن التصوف في المغرب كان له كبير أثر في توجيه وتلوين جميع مرافق الحياة بحيث انتشرت شذراته في مصنفات لم يكن من المنتظر أن تحفل به فإنك تجد أخبار الصوفية وحياة الزهاد ووصف الحركات الطرقية ــ التي قامت في المغرب في وقت مبكر ــ مبعثرة في كتب التاريخ والتراجم والمناقب والفهارس والرحلات ، بل حتى كتب الفقه مثل شرح ميارة على **المرشد** و**معيار** الونشريسي .

أما كتب التاريخ المغربي فيغلب على الظن أنها تضم من الصوفيات أكثر مما تضم مصنفات الشرق لأن الدور الذي لعبه التصوف المغربي في الميدان السياسي لا يكاد يضاهى ويكفي أن نعلم أن أسرا مالكة لم تتمكن من مسك زمام الحكم بالمغرب إلا بفضل روابطها مع الصوفية الذين بلغت سلطتهم الروحية على الشعب مبلغا أصبحوا يوجهونه الوجهة التي يرتضونها . وقد بدأت الحركة الصوفية بافريقيا الشمالية في شكل مزارات مقدسة لأحداث الصحابة والتابعين الذين رافقوا عقبة بن نافع في فتوحاته ، وهم زهاء ثلاثمائة ، والذين استشهدوا في الحرب ضد كسيلة ، وأول مزارة من هذا النوع في الشمال الافريقي قبور هؤلاء الشهداء التي جصصت واتخذ عليها مسجد عرف باسم عقبة ، أما في المغرب فلعل أول رباط من هذا النوع وقع تأسيسه هو رباط شاكر (المعروف اليوم بسيدي شكير على ضفة وادي نفيس بحوز مراكش) . وقد وصفه ابن الزيات بأنه : « كان مجمعا للصالحين من قديم ولا سيما في رمضان يفدون إليه من

(230) أنظر **نيل الابتهاج** ، ص 59 ــ 62 .

كل حدب [231] .

وقد ظل المغرب خلال العصور الاسلامية الأولى بعيدا عن الطوائف الضالة وعن النظريات الشاذة التي كانت تعصف إذ ذاك بالشرق ، وقد شهد أبو بكر الطرطوشي [232] في رسالة وجهها من الاسكندرية إلى سلطان المغرب بأن أهل المغرب هم المشار إليهم في الحديث الشريف : (لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق) (لما نم عليه من التمسك بالسنة والجماعة وطهارتهم من البدع والاحداث في الدين)[233] .

ونحن لا نكاد نجد آثار بدعة جافية في ربوع المغرب قبل القرن السادس ، لأن التصوف كان إذ ذاك مطبوعا بالبساطة ولم يكن الصوفية يختلفون عن بقية الناس إلا بكثرة العبادة وتلاوة القرآن وسرد المأثور من الأدعية وكانت الأذكار نفسها مقتبسة من الآثار الواردة أو من القرآن من ذلك بعض الاحزاب لا سيما أحزاب الشاذلي ، التي تتألف مطالعها من سلسلة آيات ، ولم يكن لبس الخرقة والمرقعة صفة لازمة للصوفي في المغرب إلا إذا جاء عفوا عن طريق الزهادة في متع الدنيا وكانت الرباطات عبارة عن مجامع لقراء العلم وتلاوة القرآن والجهاد فإذا طالعت **تشوف** ابن الزيات وجدت أن كثيرا من رجاله كانوا « معلمين » يعلمون القرآن للصبيان [234] .

وكان الأمر على خلاف ذلك في الشرق حيث ترجع معظم المستحدثات الشاذة إلى القرن الثالث كوحدة الوجود والحلول والتحدث بلسان الحقيقة المحمدية والايغال في لبس المرقعات واندساس الأدعياء في صفوف النزهاء حتى كان القشيري ينشد إذا جلس إليه الصوفية وعليهم الهيآت والمرقعات ابياتا منها :

---

(231) أنظر **التشوف** ، ص 26 .
ورباط شاكر هذا هو مدفن المجاهد العربي شاكر من أصحاب عقبة بن نافع .
والذي بنى هذا الرباط هو يعلى بن مصلين أحد رجال رجراجة السبعة الذين يقال أنهم وفدوا على رسول الله ﷺ بمكة ، فأسلموا ورجعوا إلى المغرب دعاة للدين الحنيف .
وقد كان يعلى يقيم في هذا الرباط لقتال كفار برغواطة ، وهذا يدلنا على أن هذا الرباط كان مأوى للمجاهدين بقدر ما كان موئلا للزهاد .

(232) هو : محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي ، أديب ، من فقهاء المالكية الحفاظ . من أهل طرطوشة شرق الأندلس ، تفقه ببلاده ، ورحل إلى المشرق سنة 476 هـ فحج وزار العراق ومصر وفلسطين ولبنان ، وأقام مدة في الشام . وسكن الأسكندرية ، فتولى التدريس واستمر فيها إلى أن توفي سنة 520 هـ /1126 م . وكان زاهدا لم يتشبث من الدنيا بشيء . من كتبه : **سراج الملوك** ، **والحوادث والبدع**.

(233) أنظر عبد العزيز بتعبد الله ، « الفكر الصوفي والانتحالية بالمغرب » ، مقال بمجلة **البينة** ، السنة الأولى ، العدد السادس ، أكتوبر 1962 ، ص 63 .

(234) نفس المقال والصفحة .

أمـا الخيـام فإنهـا كخيامهـم　　وأرى نساء الحـي غيـر نسائهـا

إننا لا نقصد بهذا أن المغرب لم يعرف إلى غاية القرن السادس أي بدعة أو طائفة ضالة بل على العكس من ذلك فقد عرف بعضها ، لكن ملوك المغرب آنذاك معززين برجال الدين كانوا يقفون ضد المبتدعين والمتمهدين (235) .

وتعدى الأمر الملوك إلى الفقهاء حيث قاموا بدورهم ضد غلاة التصوف ، وهكذا فقد ذكر أبو عبد الله محمد ابن القاضي عياض ما يأتي : « أخبرني أبي — رضي الله عنه — فيما كتب لي بخطه ومنه نقلت ، قال : حدثني صاحبنا أبو حفص عمار بن مسلم ، قال ذكرت للفقيه أبي يوسف حجاج الماموني (236) يوما خبرا كنت سمعته من كرامات الأولياء فيه غلاء وإفراط ، من أن رجلا من الصالحين ، خرج إلى البادية وبه جوع مفرط ، فإذا بخبز سخن قد وضع ، وشبه هذا ، فصاح علي وأنكر قولي كا الانكار ، وقال لي : لا تصدق بمثل هذه الحالات ، هذا محمد رسول الله وخيرة خلقه قد بلغ منه ومن آله غير مرة الجهد والجوع إلى كيت وكيت واحتاج إلى العمل والنصب ، ولو كان الله تعالى مكرما أحدا من خلقه بمثل هذا دون نصب ولا تعب ، لكان محمد أحق بذلك ، وهكذا فضلاء الصحابة وأئمة الدين لا يوثر عن أحد منهم مثل هذا (237) .

لكن الفكرة الصوفية ما لبثت أن تشعبت ، فتسرب إليها الانحراف والشذوذ بعد القرن الثامن الهجري على إثر انتشار الطرقية ، واندساس الأدعياء في الزوايا والرباطات ، فانتحل

---

(235) نذكر على سبيل المثال ما وقع بالأندلس أيام المرابطين حيث ذكر صاحب **لسان الميزان** (1 : 247) أن أحمد بن قسي ابتنى مسجدا في بعض قرى شلب (بالبرتغال) ، وتحدث بالاباطيل ، وتبعه كثير من الاعيان ، وكاتب أهل المرية يدعوهم إلى خلع الملثمين ، وقد تمكن منه عبد المومن فعفا عنه بعدما سجنه ، وقد ادعى النبوة كذلك في الأندلس كما ورد في **الاحاطة والدرر الكامنة** : ابراهيم الفزاري الساحر فقام بالرد عليه أبو جعفر أحمد بن الزبير صاحب **صلة الصلة** حتى قتل على يديه في غرناطة .

(236) هو حجاج بن قاسم المعروف بابن الماموني . أصله من سبتة وعاش في المرية حيث كان مشاورا بها ثم انتقل إلى سبتة وسكنها إلى أن توفي سنة 481 هـ (نظر **الصلة** ، 1 : 150) ، **وذكر القاضي عياض في المدارك** أثناء ترجمة والده قاسم أن بيتهم شهير بسبتة . **المدارك**3 — 4 : 784 (ط. بيروت) .

ملاحظة :

تصدى طائفة من المدافعين عن الكرامات وعلى رأسها أبو الربيع سليمان بن سبع ، للذين ينكرون **الكرامات ، وقد ألف** كتابا في ذلك سماه : **الحجة في أثبات كرامات الأولياء** . ومنه نسخة بالمكتبة **العامة بالرباط** عدد 35 ق .

(237) **أنظر التعريف** ، 45 — 46 .

الكثير المذهب الصوفي لأغراض لا تمت إلى الروح بصلة وأصبح وسيلة للتوصل لأغراض الدنيا عن طريق الشعوذة والتدليس على العوام . وبدأت الفكرة الصوفية المغربية تتبلور منذ القرن الثامن محاطة بهالة من الشكليات المستحدثة . وفي هذا في القرن نفسه ظهر كتاب **شفاء السائل** [238] فرد الطرقية إلى أصولها وحلل خصائص الصوفية الحقيقيين ليتميزوا عن الأدعياء .

وفي القرن التاسع برز (محتسب الصوفية) الامام النقاد، الشيخ زروق بكتابه : **عدة المريد الصادق من أسباب المقت ، في بيان الطريق وذكر حوادث الوقت** ، [239] وقد علل انتشار المبتدعة والادعياء بانتقاص الايمان والجهل بأصول الطريقة ، واعتقاد أن الشريعة خلاف الحقيقة ، وحب الرياسة مع الضعف عن أسبابها ، ثم أكد أن الصوفية الحقيقيين أنفسهم عرضة للخطأ وأن مقالاتهم يجب أن تعرض على الكتاب والسنة ، وأن الفقه والأصول شرطان في التصوف فلا تصوف إلا بفقه وهذا نص ما قاله : « (فصل) في أصل ظهور مدعي التصوف في هذا الزمن بالبدع واتباع الناس لهم عليها . فأما ظهورهم بالبدع فله أصول ثلاثة ، أولها نقص الايمان لعدم العلم بحرمة الشارع وفقد نور الايمان الهادي إلى اتباع الرسول عليه السلام . قال الله تعالى : ﴿ وإن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ . وقال أحمد بن حضرويه — رضي الله عنه — : الله الدليل لائح ، والطريق واضح ، والداعي قد اسمع فما التحير بعد هذا إلا من العمى . وقال ابن عطاء الله — رضي الله عنه — : في حكمه لا يخاف عليك ، إن تلتبس الطرق عليك ، وإنما يخاف عليك ، من غلبة الهوى عليك ، وقال أيضا : تمكن حلاوة الهوى من القلب هو الداء العضال ...

الثاني : الجهل بأصول الطريقة ، واعتقاد أن الشريعة خلاف الحقيقة وهذا هو الأصل الكبير في ذلك وهو من نباديء الزندقة، ومنه خرجت الطوائف كلها وصار الفروعي الجامد لا يتوقف في سب الصوفية ، والمتصوف لا يتوقف في النفور من العلم وأهله ، ويخالف ظاهر الشريعة في أمره ويرى ذلك كمالا في محله ، حتى لقد سمعت من بعض من تفقر من طلبة الوقت

---

(238) نسب الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله هذا الكتاب لابن خلدون وذلك في سلسلة أبحاث نشرتها له مجلة **رسالة المغرب** (1952).
وينسب الكتاب أيضا لأب ابن خلدون ، وقد طبع باسطنبول بتحقيق الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي كما نشر ببيروت سنة 1959 .

(239) مخطوط م.ع بالرباط عدد 1657 د وقد قال الأستاذ عبد الله كنون عن هذا الكتاب — وهو بصدد الحديث عن مؤلفاته — ما يأتي : « ...ويزاد عليها كتاب عدة المريد الذي لا نظير له في النضج عن التصوف والدفع في وجوه أدعياء بالحجة والبرهان . وهو في نظرنا عديل كتاب تلبيس ابليس لابن الجوزي وربما فاقه لاختصاصه بهذا العلم ولمكانة صاحبه عند المتصوفة أنفسهم فلا يمكن أن يقدحوا فيه بما يقدحون به في تلبيس ابليس ... »أنظر كتيبه **أحمد زروق** ، ذكريات مشاهير المغرب ، العدد 23 ، 24 .

أنه سمع حكاية من حكايات الخارجين أوجبت أثرا في الوجود فنطق ناطق زندقته وجهله بأن قال ظاهر الشريعة حرمان ، وهذا ــ والعياذ بالله ــ كفر وضلال انجر له من جهله بالطريق واعتقاده الفرق بين الشريعة والحقيقة ، وهذا هو الأصل الذي بنى عليه المارقون أصولهم ، واستظهرت الطوائف بأعمال خارجة عن الدين ، وأحوال موافقة للمارقين ، فحمل الصادق على الكاذب والمصيب على الخائب ، ووقع الكل في جهالات لا يمكن تفصيلها ، ولا ينضبط تأصيلها ، ودفع ذلك لا يكون إلا بتقرير أصول القوم ...

الثالث : حب الرئاسة والظهور ، مع الضعف عن أسبابها والقصور ، فيضطرهم ذلك لاحداث أمور تستميل القلوب لكونها مجبولة على استحسان الغريب ، مع جهلها بما يشين ويريب ، وحرصها على الخير ، وظهور هذا الشخص بصورة ذلك وحقائق منه مع ما يجري على يديه من خوارق شيطانية أو يبدو لتابعيه من لذة نفسانية ، أو يدركه من أذواق طبيعية ، يظنها فتوحات وأسباب وصول ، فينبذ لها الفروع والأصول ، مع ما يعينه على ذلك من احتقار الأمور المألوفة واعتقاده أن المقام العجيب ، لا يدرك إلا بالأمر الغريب ، وأن العبادة في صورها ووجوهها لا تفيد المقصود إلا بإضافة أمر إليها فينقاد لذلك عند ظهوره ويعمل به ، فيجتهد الأمر له بذلك ويتقوى عليه بما ظهر له من ذلك وما هو إلا الجهل والانقياد للموهم ، وعدم التثبت والفهم ... » .

كما احتوى كتابه **قواعد التصوف** (240) الذي يعد حجة في هذا الباب على كثير من هذه الآراء التي نظن أنه جردها من كتابه الأول وأودعها في القواعد ، كما احتوى على حقائق أخرى لها أهمية كبيرة في الموضوع . وقد علق الاستاذ عبد الله كنون على آراء الشيخ زروق قائلا : « ...هي آراء موزونة بميزان الشرع ترد إلى التصوف الاسلامي اعتباره وتعود به سيرته الأولى التي كان عليها في عهد الجنيد وطبقته من الصوفية الأخيار »(241) .

هكذا إذن انقلب التصوف من تجربة وذوق ومشاهدة ، إلى شعوذة وتضليل . لقد وصل المتصوفة في هذا القرن إلى أسوأ حال ، حتى قال فيهم فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس :

ما شروط الصوفي في عصرنا اليـــو م سوى ستـــة بغيـــر زيـــــادة
وهي نيك العلوق والسكـر والســـط لة والـــرقص والغنـــاء والقيـــادة
وإذا ما هذى وأبـــدى اتحــــــادا وحلـــولا من جهلـــه أو اعـــــادة
وأتـــى بالمنكـــرات عقـــلا وشرعـــا فهو شيخ الشيـوخ ذو السجـادة(242)

(240) مخطوط م.ع بالرباط عدد 1148 د
(241) **أحمد زروق** ، سلسلة ذكريات شاهير رجال المغرب ، العدد 23 ، ص 32 ــ 33 .
(242) أنظر عبد المتعال الصعيدي ، **المجددون في الاسلام** ، ص 287 .

وبلغ استحواذ هؤلاء المتصوفة المتشعوذين على العامة إلى درجة أصبحوا معها يشكلون قوة يحسب لها حسابها في الميدان السياسي والديني . وأصبح الملوك ، وكذا رجال الدين من الفقهاء ، يخضعون لمدعي التصوف ويبالغون في تعظيمهم وإرضائهم ويخضعون لنزواتهم وشهواتهم . لقد كان لهم من السلطة والنفوذ في بعض الأوساط ما كان لزعماء القبائل وشيوخها من سمو الكلمة بين قبائلهم ، وكما كان الولاء المباشر لشيخ القبيلة هنا ، كان لشيخ الصوفية هناك . إن انتشار الشعوذة الصوفية جعل التفكير الخرافي يسيطر على روح العصر : فمن إيمان أعمى بالسحر ، إلى اعتقاد جازم في الخوارق ، إلى تسليم مطلق بسيطرة القوى الخفية وتأثيرها في سلوك الانسان وفاعليته ، بل وتحكمها في مصيره . كل ذلك جعل من القرن والقرون التي تليه عصر الانحطاط المفجع ، عصرا طابعه العام سيطرة التفكير الخرافي والاعراض عن كل نشاط فكري سليم . وقد حاول الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله أن يفسر أسباب هذا التدهور قائلا : « والحقيقة أن التصوف بدأ يتدهور منذ أصبح في متناول العوام تلوكه ألسنتهم في غير هدى ولا اتزان ولن أضرب لك سوى مثل واحد وهو : طريقة (أبي محمد صالح) دفين آسفي ، وتلميذ أبي مدين الغوث ، فقد كان إماما ذائع الصيت يرد عليه الصوفية حتى من مصر للأخذ عنه ، وانتشرت طريقته خلال القرن السابع ، فكثر تلاميذته في الشام وبلاد الكنانة حتى مدحه البصيري بقصيدة طويلة مطلعها :

قفا بي على الجرفاء من جانب الغرب ففيها حبيب لي يهيم به قلبي

غير أن طريقته هذه التي كانت سنية المعالم ما لبثت أن انحرفت بما دسه فيها الدخلاء والأدعياء وأصحاب الأغراض من الدجاجلة والملبسين . وقد صنف أحمد الماجري **المنهاج الواضح** لا لشيء سوى صون طريقة جده أبي محمد صالح عن (تأويل الجهلة ومتعسفي العصر) . وقد أكد في هذا الكتاب أن طريق التصوف أفلت في معظم بلاد المغرب (ص 14) وإنما سوقها بار ، وانصاره قد ولت الأدبار ، فظهر من الفتن التي ابدعت في مواسم الخير ومواضع العبادة والبدع التي احدثت بالجهل من أهل الشر ، ومدعي الارادة كلهم توسموا بزي الفقر ولكنهم حجبوا عنه في الحقيقة بالغشاوة والوقر (ص 18 — 19) وقد انطوى بين الناس بساط الورع ...فالتبس الطريق على سالكيه (ص 389) وثارت ثائرة طلبة العصر ، وفقهاء المصر ، على المتصوفة الذين يلبسون المرقعات ، ويتطوقون السبحات (ص 159)... »[243] .

(243) الفكر الصوفي والانتحالية بالمغرب ، مقال مجلة **البينة** ، السنة الأولى ، العدد السابع ، نونبر 1962 ، 90 — 91 .

أما في القرن العاشر فقد استمرت الشعوذة والتضليل ، واستمر ظهور الطوائف الضالة التي كانت تنخر جسم المجتمع المغربي وتشيع فيه الفوضى والفساد ، وتبعده عن الاستقامة والفكر السليم ، وقد تعرض ابن القاضي لبعض هذه الطوائف وحذر منها ، وهذا ما سنحاول أن نبينه في النقطة التالية .

ب ــ ابن القاضي والبدع الضالة :

إن كان ابن القاضي يؤمن (بكرامات الأولياء ومكاشفاتهم وبعجبهم العجاب) فإنه مع ذلك وقف موقفا صلبا أمام الطوائف الضالة ، غير أننا يمكننا أن نتساءل كيف استطاع الرجل أن يوفق بين الاثنين ، خاصة وأن شيوخ الطوائف الضالة كانت تنسب لهم أيضا (الكرامات والمكاشفات والعجب العجاب) ؟

إن الجواب هنا واضح ، وهو أن هذه الطوائف الضالة بالغت في بدعها إلى الدرجة التي انحرفت فيها تماما عن الاسلام ، وأصبح انحرافها واضحا ليس فقط بالنسبة للعلماء ، بل حتى بالنسبة للعامة الذين ثاروا في الأخير عليها بعد أن عاينوا ما عاينوا من الزيغ والفساد . ونقرر منذ البداية حقيقة أساسية وهي أن جريه المستمر وراء تقديس الأولياء كان يخفي عليه منطلق هذه البدع ، ألم يكن منطلق هذه البدع هو تقديس الأولياء والغلو في ذلك إلى درجة نسبة هؤلاء أو بعض أتباعهم إلى النبوة ؟

1 ــ موقفه من الطائفة اليوسفية

ابرز ابن القاضي موقفه من هذه الطائفة في ترجمة أحمد بن يوسف الملياني ــ الذي انتحلت هذه الطائفة اسمه ــ إذ قال عنه : « الولي الصالح المقطوع بولايته ، يكنى أبا العباس . أخذ عن أعلام تلمسان وعن أبي العباس : أحمد زروق ، وأخذ عنه أحمد بن موسى الجزولي الرجل الصالح المشهور بالسوس الأقصى .

واليه ــ رحمة الله عليه ــ تنسب الطائفة اليوسفية بالمغرب الملعونة ، وحاشاه أن يقول بمقالتهم ، إذ هم أحلوا ما حرم الله تعالى ، وقد اختلقوا بدعتهم من ترك الصلاة ، والصوم ، واستباحة الزنا ، والدياثة ، والقيادة ــ أذلهم الله وأخزاهم ، وغير هذا مما الشيخ منزه عنه ــ رحمة الله عليه ــ .

وهي طائفة من الطوائف المعدودة بالمغرب التي خرجت عن الحق إلى الزيغ ــ والعياذ بالله تعالى ــ من مخالفة السنة والجماعة . أماتنا الله على اتباع السنة والجماعة الصالحة بمحدو آله .

توفي رحمه الله سنة 927 [244] .

وقال ابن عسكر في ترجمته : « ومنهم الشيخ العالم ولي الله تعالى أحمد بن يوسف الملياني ، نزيل مليانة بين الجزائر وتلمسان ، من أصحاب الشيخ زروق ، جليل القدر كبير الشان ، من أكابر مشايخ الصوفية ...كانت عجائب الكرامات وأنواع الانفعالات تظهر على يده . فبعد صيته وكثر أتباعه ، فتوغلوا في محبته وافرطوا فيها حتى ربما نسبه بعضهم إلى النبوة ، وفشا ذلك التوغل على يد رجل ممن صحب أصحابه يقال له ابن عبد الله ، فإنه تزندق وذهب مذهب الاباضية ...واعتقد هذا المذهب الخسيس كثير من الغوغاء وأجلاف العرب وأهل الشهوات من الحواضر ، وتعرف هذه الطائفة باليوسفية ... »[245] .

والمشار إليه هو مؤسس الطريقة أحمد بن عبد الله المنزولي ـــ تلميذ الشيخ السالف الذكر ـــ ، ووصل بطريقته إلى حد أصبح معه التذمر عاما ويكفي أن نلقي نظرة على مبادئهم ـــ من خلال نص ابن القاضي وغيره ـــ لنتأكد من ذلك :

ـــ إنكار نبوة محمد ـــ عليه السلام ـــ والتصريح ببغضه وتفضيل المنزولي عليه ، فكانوا يقولون للمسلمين أنتم أصحاب محمد ونحن أصحاب أحمد ، وينشدون في مجالسهم : « آمنا بك ياسيدي أحمد ! وصدقنا بك يا العلوفي » .

ـــ ادعاؤهم أن لهم كتابا يسمى (ابن رباش) بديلا للقرآن ، فيه مناجاة المنزولي ويعتبرونها أوثق من الوحي المحمدي .

ـــ تركهم الصلاة والصيام إلا عند الضرورة للتستر من المسلمين .

ـــ اعتقادهم حلية أكل الميتة والخنزير ، وحرمة أكل أضحية العيد ، وقولهم : « إن الميتة ذبيحة الله ، وهي خير من ذبيحة الآدمي » .

ـــ اعتقادهم فاحشة الزنى .

ـــ اعتقادهم حلية دماء وأموال غيرهم من المسلمين [246] .

وهنا نجد المثال العملي للملاحظة التي سبق أن لاحظناها حول منطلق هذه الطوائف الضالة ، فقد كان المنطلق هو تقديس الأولياء والمبالغة في ذلك إلى درجة الانحراف ، وهذا مما

---

(244) أنظر **درة الحجال** ، 1 : 164 ـــ 165 رقم 190 .
(245) أنظر **دوحة الناشر** ، 124 ـــ 125 رقم 123 .
(246) أنظر م. حجي ، **الحركة الفكرية** ، 1 : 238 .

يفهم من كلام ابن عسكر السالف الذكر : « فتوغلوا في محبته وافرطوا فيها حتى ربما نسبه بعضهم إلى النبوة ... » .

2 ــ موقفه من الطائفة الأندلسية :

يقول ابن القاضي في ترجمة محمد الأندلسي رئيس هذه الطائفة : « رئيس الطائفة الأندلسية ، ومخترع البدعة العظيمة المضرة بالسنة السمحة الحنفية ...وزيد هذه الطائفة اليوم بالمغرب على من كان به من اليوسفية والعكازية ، فليحذرهم المسلم ، ولا يغتر بخزعبلاتهم ، وما أحدثوه في الدين ... ومن أراد الوقوف على شناعاتهم جملة وتفصيلا ، وما قبل في هذه الطائفة الملعونة ، فليطالع تأليف الفقيه الخطيب أبي القاسم بن سلطان القسنطيني نزيل تطوان ، فقد ابدع فيهم ، وزيف أقوالهم ، وبين فسادها ، وهو في نحو مجلدين . وصنف أيضا في الرد عليهم في وريقات أبو العباس : أحمد الصغير ، أحد تلامذة المنجور ، وكان يؤذيهم كثيرا ، فغضبوا لذلك ، وعظم الأمر لديهم ، فقتلوه ... وإنما أطلنا في ذكر هذا الخبيث وأشياعه ليتحفظ منه ، لانطماس بصيرته ، وإعماء عيني قلبه ... »(247) .

ويقول في ترجمة عبد الخالق الومغاري ــ الذي خلف محمد الأندلسي على رأس هذه الطائفة ــ ما يأتي : « ...وهو رأس الطائفة الأندلسية الملعونة ، ولقد شاهدت بمدينة مكناسة ثلمة عظيمة في الدين : أجلسوه على كرسي بجامعهم الأعظم ، وهو يتكلم في التصوف بزعمه ! ويضل العامة بمذهبهم الشنيع ...وهو حي من أهل العصر . وله نظم لم أذكره ، بغضا في جانبه وطريقته وغيرة على أهل السنة : أهل الله . وإنما ذكرته لأحذر منه ، أبعده الله تعالى بمنه »(248) .

ومن تعاليم هذه الطائفة :

ــ الاجتهاد في الأحكام الشرعية جريا على مظاهر الكتاب والسنة ، وعدم تقليد مالك أو غيره من الفقهاء .

ــ إنكار أحكام جزائية مشهورة عند جمهور المسلمين ، فقالوا بعدم مشروعية الدعاء دبر الصلوات ، وعدم وجوب إعادة الصلاة إذا خرج وقتها الخ ...

ــ استنكار ذكر النبي عليه السلام مع الله تعالى في الشهادة وغيرها لأن ذكر المحدث لا يفيد ، ولا يفيد إلا ذكر الله القديم سبحانه) ، بل قالوا : إن الاكثار من ذكر النبي عليه

---

(247) أنظر **درة الحجال** ، 2 : 35 ــ 36 رقم 480 .
(248) أنظر المصدر السابق ، 3 : 168 رقم 1138 .

السلام حجاب عن الله [249].

3 — موقفه من الطائفة العكازية :

ذكر ابن القاضي هذه الطائفة واستنكرها ، وذلك في معرض حديثه عن الطائفة الاندلسية . وقد درج بعض الباحثين على اعتبار أن الطائفة العكازية هي نفسها الطائفة اليوسفية ، ونعتقد أن الأمر ليس كذلك للعوامل الآتية :

العامل الأول : إن الطريقة التي أسسها المنزولي لم تعرف طوال القرن العاشر إلا باسم الطائفة اليوسفية ، ونصا ابن عسكر وابن القاضي واضحان في هذا المجال .

العامل الثاني : لو كانت الطائفة العكازية هي نفسها الطائفة اليوسفية أو على الأقل فرقة متفرعة عنها لما توانى ابن القاضي عن ذكرها ، خاصة وأنه هنا يحذر قومه ، وهذا التحذير لن يكون له مفعول إلا بإعطاء المعلومات الدقيقة عن هذه الطوائف البدعية .

العامل الثالث : وهو عامل رئيسي ، ذلك أنه عندما يحدثنا عن هذه الطوائف البدعية فهو يحدثنا عن وجود ثلاث طوائف : الأندلسية ، واليوسفية ، والعكازية . فلا مجال إذن للشك في كون الطائفة العكازية هي اليوسفية . وبناء على ذلك فمن تكون هذه الطائفة التي يتحدث عنها ابن القاضي ؟

إن بعض المؤرخين يرجعون العكازية إلى أصل أقدم من هذا عند قبيلة مصمودة السوسية ، إذ كان منهم المهدي ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين في مستهل القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي لا يأخذ معه من متاع الدنيا في سياحته الكبرى سوى عكاز وركوة ، واعتقد قومه وأنصاره عصمته ورأوا تكفير غيرهم من المسلمين الذين لا يتمذهبون بمذهبهم [250] .

وقد تحدث الأستاذ محمد المنوني عن هذه الطائفة في العصر المريني قائلا : (وقد كانوا موجودين في هذه الفترة ، وجاء تفسيرهم عن أبي يعقوب المحساني بأنهم يكفرون من لا يومن بالمهدي ابن تومرت (أنظر **نوازل المجاطي** ص 91 ، 95 ، 111 ، 125 ، مع **المعيار** للونشريسي ، 2 : 423) ، وفي آخر نوازل التعزيرات من **المعيار المعرب** (2 : 352) يوجد سؤال يفسر نحلة هؤلاء ، وكان المخاطب به وهو فقيه تازي ومفتيها محمد بن عبد المومن ، من أهل القرن الثامن للهجرة ، وجاء في هذا السؤال :

---

(249) أنظر م. حجي ، المصدر السابق ، 1 : 242 .
(250) أنظر المصدر السابق ، 1 : 237 .

ـــ جوابكم في قوم فارقوا الجماعة .

ـــ ويكفرون المسلمين .

ـــ ويأكلون ذبائحهم .

ـــ ولا يصلون خلفهم .

ـــ ويقولون من لم يومن بالمهدي ابن تومرت فهو كافر .

ـــ ويفضلونه على أبي بكر وعمر ـــ رضي الله عنهما ـــ .

ـــ ويقولون من لم يعلم اثني عشر بابا من التوحيد فهو كافر .

ـــ وينقضون الوضوء بلمس ذوات المحارم .

ـــ ويقولون من حلق ما تحت اللحية فهو مجوسي .

ـــ فهي تسع مسائل ينبني عليها مذهبهم .

ـــ ثم جاء في أواخر جواب المستفتي في شأنهم (**المعيار** ، 2 : 358) : « وقد كان ورد عليهم ظهير من السلطان ـــ رحمه الله ـــ في مدة الترجالي أن يبحث عن أمرهم ، فاجتمع الناس عليهم في مسجد السبتاني وبحثوا فلم يوجد عندهم شيء من العلم ، واتفق الناس حينئذ على أنهم قوم جهلة ، وأنهم يستتابون ، فإن تابوا وإلا قتلوا ، وكنت أنا حاضرا لذلك فتابوا وانصرفوا ، وما أفلتهم من القتل حينئذ إلا توبتهم على يد سيدي أبي عبد الله ابن عطية ـــ رحمه الله تعالى ـــ ، فإذا ظهر عليهم بعد ذلك أنهم لم يزالوا على بدعتهم يخاف عليهم ألا تقبل لهم توبة ويقتلون من غير استتابة ، لأنهم يصيرون حينئذ بمنزلة الزنديق الذي لا تقبل له توبة ، لكونه يخفي حاله ، فكذلك هؤلاء » .

ومما يؤكد أن هؤلاء هم العكازون ان المجاصي لما نقل في نوازله بعض هذا الجواب عقب عليه بقوله (ص 95 ، 111) : « وأصحاب ابن تومرت المذكورون هم المسمون بالعكازين حسبما نقله التتائي في شرحه **للرسالة** عن الحساني ... »[251] .

فهل يمكن اعتبار الطائفة العكازية التي يتحدث عنها ابن القاضي استمرارا لطائفة العكازين التي كانت موجودة أيام بني مرين ؟

لا بد وأن ذكرى أمجاد المهدي بن تومرت والنجاحات الهائلة التي حققها أتباعه قد دامت

(251) انظر التيارات الفكرية ، 45 ـــ 47

بأودية جبل درن مدة طويلة ...وطوال أجيال عديدة « لازم الأمل القلوب في تجديد العز البائد سرا ، كما قامت ثورات ضد المرينيين وحتى في عهد السعديين ، وامتنعت قبائل نفيس من المصامدة ــ إخلاصا منها لهذه الذكرى ــ على الحركة الصوفية في القرن 10 هـ / 16 م وأغلقت أبوابها في وجهها ... »(252) . فنرى بأن ذكرى المهدي لم تنمح بعد من عقول وقلوب المصامدة على الرغم من مرور أربعة قرون على قيام دعوته ، كما نلاحظ في نفس الوقت النشاط الملحوظ الذي عرفته فكرة (المهدوية) في العصر السعدي الذي راجت أثناءه غير ما مرة : فالسعديون أنفسهم استعملوها في بداية أمرهم مع محمد الشيخ المهدي ، وقد عرف القرن 11 هـ /17 م قيام عدة حركات سياسية اعتمدت المهدوية وأشهرها حركة أبي محلي (253) ، والأكثر من هذا فاليوسي يعثر بالصدفة بإحدى قرى شمال البلاد على مؤلف عنوانه : **المقصد الأسنى ، في المهدي الأقنى** ، فيكشف وهو يتصفحه بأن صاحبه العالم الصوفي ينتمي إلى الطائفة التومرتية ، (254) فلا يستبعد إذن أن تكون الطائفة العكازية التي ساق ابن القاضي ذكرها مع طائفتي الأندلسية واليوسفية تهم أتباع المهدي بن تومرت (255) .

ونتساءل في الأخير هل هذه الوضعية كانت تهم المغرب فقط أم أنها كانت تهم أيضا المناطق التي زارها ابن القاضي خاصة مصر التي حاول أن يعطينا صورا عن حياتها الاجتماعية .

ج ــ ملامح من الحركة الصوفية بمصر خلال القرن العاشر الهجري :

الملاحظة الأساسية بالنسبة لابن القاضي أنه عندما ذهب إلى مصر قدم لنا صورا عن الحياة الاجتماعية وعن علاقة المصريين بالاتراك، كما بينا ذلك سابقا، ولكنه أعرض عن ذكر رجال التصوف هناك، خاصة الشخصية التي طبعت البيئة الصوفية المصرية خلال هذا القرن بطابع خاص ألا وهي شخصية عبد الوهاب الشعراني (ت 973هـ / 1565 م)(256). يقول الأستاذ زكي مبارك عن هذه الشخصية : « هي إحدى الشخصيات المصرية التي أثرت أبلغ التأثير في

---

(252) أنظر :. R. Montagne, les Berbères, P. 70
(253) أنظر : م. حجي ، المصدر السابق ، 1 : 227 ــ 236 .
(253) أنظر : م. حجي ، المصدر السابق ، 1 : 227 ــ 236 .
(254) أنظر :
الحسن اليوسي ، **المحاضرات** ، 108 .
(255) أنظر مزيدا من الايضاح عند :
عبد الله نجمي ، « العكاكزة » ، مقال بمجلة **كلية الآداب** بالرباط ، العدد الخامس والسادس ، 1979 ، 92 ــ 94 .
(256) ترجم الشعراني لنفسه ترجمة وافية في مقدمة كتابه **لطائف المنن** ، فذكر أنه من ذرية الامام محمد بن الحنفية وأن جده السابع كان سلطان تلمسان ، وأنه حفظ القرآن وهو في سن التمييز ، وأنه واظب على =

ذيوع الثقافة الصوفية بين المصريين، فالشعراني أكبر شخصية أثرت في الأذواق المصرية، وسيطرت على الجماهير زمنا غير قليل »[257]. فلم يكن إذن من المنتظر بالنسبة لابن القاضي أن يغفل عن شخصية في هذا المستوى، مما يدعونا للتساؤل حول حقيقة هذا الاغفال ؟

ما دام ابن القاضي له رأي خاص في أتراك مصر، فإن تساؤلنا سوف يتجه منذ البداية إلى علاقة هذا الشيخ بالولاة الأتراك. فهو يوصي بمداراة الحكام ويقول : « أخذ علينا العهد بأن نأمر إخواننا أن يدوروا مع الزمان وأهله كيف داروا، ولا يزدرون قط من رفعة الله عليهم ولو في أمور الدنيا وولايتها، كل ذلك أدبا مع الله عز وجل الذي رفعهم، فإنه ما يرفع أحدا إلا لحكمه . ثم أي فائدة لازدرائهم من ارتفع عليهم، مع أن أحدا لا يسمع لهم ؟ وهذا العهد قل من يعمل به من الناس فيقولون عن المحتسب أو الوزير أو غيرهما : من أين لهؤلاء السفل الضخامة علينا ونحن نعرف آباءهم، وفلان كان أبوه زبالا، وفلان كان أبوه نوتيا، وفلان كان أبوه فلاحا . ونحو ذلك من الهذيانات، ومن أقام هذا الميزان اليوم على الناس حرم بركة أهل زمانه »[258] .

والشعراني يكرر هذا المعنى كلما لاحت فرصة ومن رأيه انه ينبغي لمن اجتمع بسلطان أو أمير أو كبير في قومه أن يسأله أن يدعو له . ولو كان غير صالح، فإن الله تعالى يستحيي أن يرد دعاء هؤلاء الأكابر بين قومهم ورعيتهم ويخجلهم . ويضرب المثل بما وقع لفرعون حين طلب منه قومه أن يطلع لهم نيل مصر لما توقف، فإنه قال : يا رب لا تخجلني بين عبادك فأجابه. ثم يضيف الشعراوي قائلا : « وهذا سر قل من يتنبه له من الناس ...ولما طلعت للباشا داود نائب مصر في هذا الزمان في قضية أوجبت ذلك في سنة خمس وأربعين وتسعمائة سألته الدعاء بأمور كانت متوقفة علي شهور فنزلت من القلعة فوجدتها كلها قد قضيت، فاعلم ذلك واعمل عليه »[259] .

ويضيف الشعراوي سببا آخر لطاعة الحكام ومدارتهم : « أخذ علينا أن نتصدر لازالة

= الصلاة منذ كان عمره ثماني سنين ، وأن الله عصمه من الآفات مع أنه نشأ الابوين ، وأنه حفظ متن أبي شجاع ومتن الأجرومية ودرسها على أخيه في الريف قبل أن يهاجر إلى القاهرة . فلما هاجر إلى القاهرة حفظ من المتون ما لم يحفظه أحد من أهل عصره ، ثم صحب الأشياخ وكان له من علومهم أوفى نصيب . وفي نهاية كتاب **البحر المورود** رسالة صغيرة كتبها الشعراني عن المؤلفات التي قرأها ، وهي تمثل مراجع الثقافة في ذلك العصر ، وكذلك صنع في **لطائف المنن** ، فذكر طائفة عظيمة من المؤلفات التي درسها وقدم لنا أمتع صورة عن أساتذة القاهرة في القرن العاشر .
وانظر أيضا ن. الدين الغزي ، الكواكب ، 3 : 176 — 177 وابن العماد الحنبلي ، **شذرات** ، 8 : 372 .

(257) **التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق** ، 2 : 200.

(258) **البحر المورود** ، 292

(259) المصدر السابق ، ص 293

منكرات الولاة إلا أن كان معنا تصريف فيهم، وإلا آذونا ونفونا من بلادنا وأحوجونا إلى الاستخفاء زمانا طويلا »(260) .

وقد سار الشعراوي في هذا الطريق لسبب واضح جدا، فقد كانت له ارتباطات مع حكام عصره، وزاد ذلك في جاهه فكان أكثر الناس لا يصلون إلى الوظيفة إلا عن طريقه، وكان الحكام بدورهم يزورونه في زاويته فيلقاهم بالترحيب ويخلو بهم خلوات خاصة يدبر فيها معهم ما يشاء، فهذا هو السر إذن في كونه كان ينهي عن مقاومة الحكام ويسأل الله مع فقرائه أن يرفع عنهم « الحملات » (261) .

وبسلوكه هذا الطريق فقد أوقع الشعراوي نفسه في تناقض لا مبرر له . فقد ألح في كتبه (262) على رفع الظلم .ومقاومة الطغيان ونشر العدل بين الناس، فكيف يسمح بظلم الولاة وطغيانهم ولأسباب واهية ؟

إن سياسته الموالية للولاة الأتراك توضح كل شيء . وبناء على ذلك فالاحتمال المطروح بالنسبة لاغفال ابن القاضي ذكر الشعراوي يسير في هذا الاتجاه . فمن المحتمل جدا أن يكون ابن القاضي قد اطلع على مؤلفاته عندما كان بمصر وسمع من أتباعه الشيء الكثير لكن أعرض عن ذكره لسببين :

— تجنب إغضاب المنصور بذكر شخصية كانت تؤيد علنا الأتراك بمصر .

— إن نزعة ابن القاضي الصوفية كانت تمنعه من أن يذكر صوفيا شهيرا بسوء، خاصة وأن الرجل آنذاك كان قد توفي (سنة 973 هـ) وفقهه يمنعه من أن يذكر ميتا بسوء .

أما بالنسبة لصوفية الشيخ فإنه يتفق مع ابن القاضي في كثير من المسائل فهو : « رجل يؤمن بالكرامات إيمانا مطلقا ويرى الأولياء يقدرون على كل شيء . وليس من المستبعد عنده أن يعرف الولي أخبار البيوت، ومن الممكن في رأيه أن يبيع الرجل الحشيش وهو في حقيقة أمره من الأولياء، ويجوز في تصوره أن ينقل الرجل من مكة إلى مصر في مثل لمح البصر إذا دفعه أحد الواصلين . وحدثنا أن أستاذه الخواص كان يرسل أصحاب الحوائج إلى رجل كان يبيع الفجل على باب الأزهر فيقضيها لهم في الحال، وأن هذا الرجل كان لا يأكل أحد من فجله ويبدنه مرض من جذام أو برص أو غيرهما إلا شفي لساعته ، وحدث عن الشوني أحد الحمارين في قنطرة الموسكي كان معروف البركة فلا تركب حماره مومس إلا تابت ، ولا تعود للزنى أبدا ، وإن أحد

(260) المصدر السابق ، 271

(261) أنظر زكي مبارك ، المصدر السابق ، 2 : 219 ، هامش 1 .

(262) نذكر بالخصوص ثلاثة كتب وهي : **لواقح الانوار** ، **ولطائف المنن** ، **والبحر المورود** .

باعة الحشيش كان لا يشتري أحد منه قطعة إلا تاب عن الحشيش (لواقح الانوار، 99 — 101) وحدثنا أنه اجتمع بإبليس على ساحل النيل وجادله وسمع منه أن الانسان ككفتي الميزان وقلبه كلسان الميزان (المصدر السابق ، 206)... »[263] .

ويظهر من النقول المبثوثة في كتب الشعراني أن الصوفية المصريين لعهده كانوا جميعا يقولون بالكرامات ، ويظهر كذلك أنه كان في مصر لذلك العهد طوائف من الفقهاء تنكر الكرامات ، لأنه شغل نفسه بمحاجة من ينكرون ما اختص به الأولياء [264] .

ويقول الأستاذ زكي مبارك في هذا الصدد أيضا : « وما ادعي أن الاعتقاد في الكرامات خاص بأهل مصر : فقد عقد لها الغزالي بابا في الاحياء . وإنما احكم بأن الشعراني كان أكبر ممن غرسوا هذه العقيدة في البيئات المصرية ، وإليه يرجع الفضل في توجيه الناس إلى ما في الكرامات من حدائق الخيال !

والاعتقاد في الكرامات عزاء كبير (للفقراء) : فهم يخلقون لأنفسهم دنيا من المجد الموهوم يعوضون بها ما ضاع عليهم من حظوظ الحياة .

ومن المؤكد أن هذه الوساوس لا تسود إلا في عصور الضعف السياسي والاقتصادي : حين تصبح الأمة وهي فارغة الأيدي من سلطان الجاه والمال . ومن ذلك رأينا المسلمين في عصور قوتهم لا يعرفون غير الواقع ، مع أن الصلاح كان أغلب الصفات عليهم ، ثم رأيناهم في عصور الانحطاط يصدقون كل شيء ، ويلقون زمامهم إلى كل مخلوق عساهم ينسون ما هم فيه من شظف العيش ونكد الشقاء...وخلاصة القول إن الشعراني وأصحابه وجدوا في مصر تربة خصبة فأنبتوا فيها ما شاءوا من صنوف الخيال ، وكان شيوع الشعوذة الصوفية في هذه البلاد يسير جنبا لجنب مع ما اصطفاه نصارى مصر من النحلة الارثوذكسية ، فإن اصطفاء نصارى مصر للمذهب الأرثوذكسي لم يقع إلا بفضل ما هم عليه من الضعف : لأنه مذهب مشبع بالخرافات ، والخرافات هي السند لكل مخلوق ضعيف » [265] .

---

(263) أنظر زكي مبارك ، المصدر السابق ، 2 : 204

(264) المصدر السابق ، 2 : 205 .

(265) المصدر السابق ، 2 : 206 — 207 .

تقويم عام لشخصية
ابن القاضي

1 ــ ابن القاضي المؤرخ :

إن ابن القاضي باعتباره فقيها ومحدثا كان عليه أن يستعمل التاريخ إلى حد كبير ، يقول محمد السخاوي في هذا الصدد : « ...فعلم التاريخ فن من فنون الحديث النبوي ، وزين تقربه العيون ، حيث سلك فيه المنهج القويم المستوي ، بل وقعه من الدين عظيم ، ونفعه متين في الشرع ، بشهرته غنى عن مزيد البيان والتفهيم ، إذ به يظهر تزييف مدعي اللقا ، وبيان ما صدر منه من التحريف في الارتقا ، إذ كان اختل عقله أو اختلط ، ولم يجاوز بلدته التي لم يدخلها الطالب قط ، وتحفظ به الأنساب المترتب عليها صلة الرحم ، والمتسبب عنها الميراث والكفاءة حسبما قرر في محله وفهم . وكذا تعلم منه آجال الحيوف ، واختلاف النقود والأوقاف ، التي ينشأ عنها من الاستحقاق ما هو معهود ، وينتفع به في الاطلاع على أخبار العلماء والزهاد والفضلاء والملوك والأمراء والنبلاء وسيرهم ومآثرهم ، في حربهم وسلمهم ، وما أبقى الدهر من فضائلهم أو رذائلهم ، ولا يسمع أن أبادهم الحدثان ، وأبلى جديدهم الأوان ، حيث تتبع الأمور الحسنة من آثارهم ، ولا يسمع منهم فيما تنفر عنهم العقول المستحسنة من أخبارهم . ويعتبر بما فيه من المواعظ النافعة واللطائف المفيدة ... »(266) .

ومن موقعه أيضا كفقيه ومحدث استعمل أساليب علوم الحديث ومصطلحه للتثبت من الخبر (267) ، وهذا هو الطابع الذي نجده في أغلبية التراجم التي عقدها لاعلام عصره ، فهو كثيرا ما يستعمل عبارة (رجل ثقة) ، (حدثني بعض من أثق به) ، (رجل لا يخاف في الله لومة لائم) ، (رجل من أهل الورع) ، مما يدل بالفعل على أنه يتحرى قبل أن يسجل ، وهذا بالفعل ما شهد له به عدد من المؤرخين ، نذكر على سبيل المثال سليمان الحوات الذي يقول : « ...كان حافظا ضابطا ، مؤرخا اخباريا ثقة ... »(268) ، وادريس الفضيلي الذي

---

(266) أنظر م. السخاوي ، **التبر المسبوك** ، ص 2 .
(267) أنظر المزيد من الايضاح عند ع. الله العروي ، **العرب والفكر التاريخي** ، ص 46 ، و م. زنيبر ، « ابن الخطيب والتجديد في المنهج التاريخي « مقال بمجلة **كلية الآداب** بالرباط ، العدد الثاني ، لسنة 1977 ، ص 85 ــ 87 .
(268) **البدور الضاوية** ، 67 .

يقول : « ...الضابط المتقن ، المؤرخ النسابة...كان صاحب الترجمة أوحد دهره وفريد عصره ... »[269] ، ومحمد الكتاني الذي يقول : « ...وكان حافظا ضابطا محققا مؤرخا اخباريا ثقة ... »[270] .

غير أن القادري ينفرد برأي خاص ، فهو من جهة يقر ما قاله الآخرون : « ... وكان صاحب الترجمة إماما مؤرخا ضابطا واعية متحريا معبرا علامة دراكة مشاركا ... »[271] ، ومن جهة أخرى يأخذ على ابن القاضي غلوه واطراءه في مدح المنصور إذ يقول — وهو بصدد الحديث عن درة الحجال — : « له غلو واطراء في صاحب الترجمة (المنصور) ، فلذلك تركنا من كلامه ما الاولى تركه ... »[272] .

ونضيف إلى ملاحظة القادري ملاحظات أخرى منها :

— عدم العناية بالناحية التنظيمية فهو في درة الحجال — مثلا — لم يلتزم بترتيب المترجمين ترتيبا دقيقا لا بالسنوات ولا بالاسماء ، وإنما أورد الاعلام تحت عنوان الحرف الواحد كيفما اتفق ، فلم يصنع صنيع ابن حجر في الدرر الكامنة ، ولا صنيع السخاوي في الضوء اللامع ، حيث رتبا الاعلام بحسب الحروف والآباء والأجداد ترتيبا دقيقا يسهل على الباحثين العثور على ما يحتاجونه بسهولة . ولم يفعل كما فعل الذهبي في العبر وابن العماد في الشذرات حيث رتبا التراجم في كتابيها بحسب سنوات الوفاة . وقد اعترف هو بذلك ثم اعتذر لنفسه حيث قال : « ...ولم أرتبه على ترتيب السنين ، بل كيفما اتفق في الحرف ، لأني جمعته من مقيداتي ، وعسر علي جمع ذلك على السنين ... »[273] .

— عدم التوسع في ذكر أخبار بعض الشخصيات المهمة التي ترجم لها ، فهو لا يذكر لها أحيانا إلا سنة الولادة والوفاة ، والمناصب إن كانت لها مناصب .

— عدم إبداء الرأي فيما يكتب ، فهو يسرد الحدث كما هو ، ويترك للقاريء مهمة استخلاص ما يريد أن يستخلصه عن طريق اجتهاده .

— عدم ذكر مصادره ، ومن المعلوم أن المصادر التي اعتمدها نوعان : إما موجودة أو مفقودة ، فبالنسبة للمصادر الموجودة فلا يطرح هناك مشكل ما دام يسهل الرجوع إليها ، أما

---

(269) **الدرر البهية** ، 2 : 352 .
(270) **سلوة الانفاس** ، 3 : 134 .
(271) **نشر المثاني** ، 1 : 214
(272) المصدر السابق ، 1 : 104 .
(273) **درة الحجال** ، 1 : 6 .

بالنسبة للمصادر المفقودة فعدم ذكرها يطرح معه مشكلا خطيرا ، ذلك أن عدم ذكرها يضيع علينا حتى فرصة معرفتها كمصدر تاريخي استفاد منه مؤرخنا ، وعلى كل فإن النصوص التي نقلها من هذه المصادر المفقودة ما زالت تفيد الباحثين إلى يومنا هذا في سد كثير من الثغرات .

ــ إن التراجم المهمة التي عقدها للاعلام هي التراجم التي عقدها لعلماء عصره ، فهو يعتبر حجة في هذا الميدان .

وعلى كل ومهما قدمنا من ملاحظات حول ما كتبه الرجل ، فإننا لا يجب أن نحمل الرجل ما لا يستطيع تحمله ، فلا ننسى أن ابن القاضي لا يعدو إلا أن يكون فقيها محدثا في المقام الأول ، وبالتالي فهو ليس بالمؤرخ الذي يستطيع أن يغوص إلى أعماق الحدث التاريخي لاستخراج كنوزه ، ولا بالاديب البارع الذي يستطيع أن يصوغ هذا الحدث في شكل يجذب إليه القارىء بقوة ، وإن حق لنا أن نقر له بالبراعة فإننا نقرها له في ميدان واحد هو ميدان الفقه والفرائض ، وهذا ما جعله يحتل مكانا بارزا بين علماء عصره .

2 ــ ابن القاضي العالم :

أجمع معاصره على أنه كان بالفعل شخصية علمية بارزة لها مكانتها في الوسط العلمي إبان عصر المنصور ، رغم تواجد عدد مهم من ألمع الشخصيات التي لم يكن أبدا من السهل منافستها ولا حتى التفكير في محاولة تجاوزها .

وقد عبر عن هذا الرأي من المعاصرين له عبد العزيز الفشتالي في **المناهل** (274) ، وأحمد المقري الذي خصص له 60 صفحة من كتابه **روضة الآس** ، إذ قال في جملة ما قال : « الشيخ الفقيه القاضي ، إمام أهل الفرائض والحساب ، ذو الأدب المنساب، الذي قضته غرماء العلوم ديونها حق التقاضي ، أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي العافية الشهير بابن القاضي ، الملقب شهاب الدين . من أهل فاس ، لا يجاري في علم افرائض والحساب والهندسة ، إن بنى جدارا من ذلك لم يقدر أحد أن يهدم ما أسسه ، إلى ما انضاف إلى ذلك من الفقه والنحو والأصلين والعروض والادب ... وصاحب الترجمة ــ أسماه الله ــ من ذرية علماء أعلام مشهورين بالمغرب ... لقيته ــ حفظه الله ــ بفاس ، واستفدت من علومه ، واختبرت منه خير رجل ، وله ــ حفظه الله ــ في الكرم والتواضع ولين الجانب محل مشهور ... » (275) ، ومن المؤرخين اللاحقين محمد الافراني الذي يقول : « ...وكان ــ رحمه الله ــ إماما في جميع الفنون خصوصا علم الحساب والفرائض ، فإنه كما قال سيدي أحمد بابا السوداني : انفرد بمعرفتها شرقا

(274) ص 153 ــ 154 .
(275) ص 240 .

وغربا ، يتصرف فيها تصرف الحوت في البحر ... » .

والملاحظة الاساسية في هذه الشخصية هي الرغبة اللامتناهية في العلم ، فنراه يسافر من منطقة إلى أخرى داخل المغرب وخارجه ، يحاور ويناظر عددا من الشيوخ . والشيخ في نظره ليس مجرد أستاذ يلقن مجموعة من المعارف للطلاب ، بل هو الملجأ الأخير في عالم يسود فيه كثير من الضلال والفساد ، فتتجاوز العلاقة هنا إذن علاقة استاذ بطالب ولكنها تصبح بمثابة علاقة مريد بصوفي ، ومن هنا نفهم سر ذكره لعدد من الشيوخ في **المنتقى** ، بل وتأليفه **فهرسا** في ذلك . وقد أخذ ابن القاضي بالفعل عددا من المعارف وأتقن بعضها اتقانا كبيرا ، نذكر — على سبيل المثال — الفقه الذي حاول أن يخرجه من أطار التعقيد والغموض إلى إطار الوضوح بالتخلي عن كل ما من شأنه أن يعوق عملية الفهم . كما أنه برع في الرياضيات ، وهي مبادرة ايجابية من فقيه وكان بالامكان أن تتطور ، لكن كان دائما يقف في النقطة التي وقف فيها من سبقوه ، فقد ظل دائما يعتمد كتب الرياضيات القديمة من أمثال : كتاب المجسطي في الهندسة[277] والجغميني في الهيئة[278] وكتاب اقليدس [279] الخ ... والواقع أن الأمر لا يتعلق بالرياضيات فقط بل يتعلق بسائر العلوم التي أخذها ومن ضمنها الفقه ، وهكذا إذا طرح تساؤل هنا فيجب أن يكون تساؤلا عاما على الشكل الآتي : لماذا لم يحاول ابن القاضي تطوير معارفه ؟

لا شك أنه إطلع في سفره عما وصله الاتراك ، ولا شك أنه خبر قوة المسيحيين عندما أسر بمالطا ، كما أنه لا شك أنه سمع بقوة الاسبان وغيرهم من الأوروبيين عن طريق المورسكيين الموجودين آنذاك بكثرة في المغرب ، فَلِمَ لم يبحث ابن القاضي إذن عن موطن الضعف فيقويه وعن موطن الاعوجاج فيقومه ؟

---

(276) الصفوة ، 77 .

(277) **المجسطي** Almageste ، ومعناها الأكبر ، أقدم كتاب في الفلك وصل إلينا للمفكر والجغرافي اليوناني المشهور بطليمس Ptolémé . وقد عربه عن اليونانية حنين بن اسحاق المترجم المشهور ، المتوفى سنة 620 هـ .
أنظر :
أ. بن خلكان ، **وفيات الاعيان** ، 2 : 217 — 218 ، وخ. الدين الزركلي ، **الاعلام** ، 2 : 325 ، وحاجي خليفة ، **كشف الظنون** ، 2 : 1594 .

(278) أنظر ترجمة الجغميني عند :
حاجي خليفة ، **كشف الظنون** ، 2 : 1819 — 1820 ، واسماعيل البغدادي ، **هدية العارفين** ، 2 : 410 ، وخ. الدين الزركلي ، **الاعلام** ، 8 : 59 — 60 .
وقد ترجم كتاب الجغميني في الهيئة إلى الألمانية ، ونشر في مجلة جمعيتها الشرقية .

(279) اقليدس (القرن الثالث قبل الميلاد) : رياضي يوناني ، علم الهندسة في الاسكندرية على أيام بطليموس الأول ، ووضع مبادىء الهندسة المسطحة .

إن ابن القاضي (الفاسي الدار) كان يعاني نوعين من الضغوط ، فقد كان يعاني ضغط الاجيال السابقة عن طريق التربية والتكوين العلمي ، كما كان يعاني ضغط المجتمع المعاصر من جهات متعددة .

أ ــ تربيته وتكوينه العلمي :

إن ابن القاضي عندما صار طالبا وجد أمامه علما محفوظا ، مثبتا منذ عدة قرون في جملة من الكتب القديمة معظمها من المختصرات والانظام والشروح والحواشي المؤلفة فيما بين القرنين الهجريين السادس والتاسع مما ألفه الأندلسيون والمغاربة ، أمثال أبي محمد الشاطبي ، والكلاعي البلنسي ، وابن عاصم الغرناطي ، وابن عرفة التونسي ، ومحمد السنوسي التلمساني ، وابن بري التازي وابن البناء المراكشي ، أو مما دخل إلى المغرب الاسلامي من مؤلفات المشارقة ، أمثال ابن الحاجب الاسكندري ، وابن مالك الدمشقي ، وابن هشام المصري ، وخليل الجندي ، وابن حجر العسقلاني ، وجلال الدين السيوطي [280] ، ووجد أمامه مشايخ يؤكدون له باستمرار أن العلم هو معرفة ما في هذه الكتب المختلفة بدون زيادة ولا نقصان وأن دوره ينحصر في حفظها وتبليغها للغير حينما يصبح بدوره عالما . إن التربية التي ترباها ابن القاضي وغيره كونت فيهم طبيعة ثانوية وهي التخلي تلقائيا ونهائيا عن كل ما يتجاوز الحدود المرسومة والوعي بكل المحظورات ، فهي تربية تبنى على مقاومة النزعات النفسية العميقة وتقوية الشعور بالذنب والخطيئة [281] .

ب ــ مجتمعه :

كان ابن القاضي يعاني ضغط مجتمعه من ثلاثة محاور :

المحور الأول : أسرته بصورتها القديمة التي لا تنحصر في وحدة محدودة ، بل هو مسؤول عن الأسرة بأوسع معناها ومسؤول عن إسمها . يمثلها في كل حركاته وسكناته ومن دون شك أن الأسرة بفاس كانت لها تقاليد والتزامات قد لا توجد إلا في أماكن معدودة من المغرب كما أن المجتمع الفاسي بتركيبه وعقليته ونوع حياته أذكى في النفوس الشعور بالأسرة كما تدل على ذلك التآليف الخاصة بالموضوع [282] .

المحور الثاني : مجتمعه الفاسي : الذي كان يمثل بتنظيماته المهنية واعتزازه بماضيه وقيمه

---

(280) أنظر المزيد من الايضاح عند م. حجي ، **الحركة الفكرية** ، 1 : 136 ــ 137 ، و ل . بروفنسال ، **مؤرخو الشرفاء** ، 30 ــ 32 .

(281) أنظر م. زنيبر ، الصورة التاريخية للمثقف التقليدي المغربي ، مقال بمجلة **كلية الآداب** بالرباط ، العدد الثالث والرابع لسنة 1978 ، ص 100 .

(282) نفس المصدر والصفحة .

وحدة اجتماعية متماسكة ، فقد كان يعيش في ظل الملحمة الادريسية ويعظم الأشراف ويقدس الأولياء ويحترم العلماء الذين تحفل بهم أروقة القرويين ، وفي نفس الوقت يقبل على الدنيا بصدر سليم فيغامر في كل صنوف التكسب من تجارة وصناعة ومناصب قضائية وعلمية وسياسية . مجتمع يشخص حضارة بلغت حدها من الرقة والتأنق في كل شيء مما يدفعه إلى نوع من الاعتداد بشخصيته ، ولكنه مع ذلك مجتمع محافظ في عمقه يمارس ضغطا لا متناهيا على كل الذين يعيشون بين أحضانه (283) .

ج ــ **الوسط العلمي** : الذي يكون طائفة رئيسية في هذا المجتمع لها امتيازاتها العريقة ، ومن جملتها حق تنصيب الملوك والفتوى في كل النوازل العارضة في حياة البلاد وتوجيه الرأي العام في المسائل الدينية والدنيوية في بعض الأحيان ، وهذه الطائفة هي التي تكون مستقبل الطالب ، وتحكم له أو عليه . ولهذا فإن المشايخ يلعبون فيها دور الزعامة ويظل الطالب في قبضتهم حتى ترسخ قدمه في العلم . ولكن هذا التنظيم الهرمي ليس من شأنه أن يسير دائما مع مقاييس الاستحقاق . بل إن أول علم يتعين على الطالب أن يتحلى به كان هو علم السلوك للمحافظة على أحسن العلاقات مع أولئك المشايخ الذين يسلمون الاجازة المنمقة لتلامذتهم (284) .

وعلى كل فقد انقطع ابن القاضي عن الوظيف بعد وفاة المنصور سنة 1012 هـ ، واتجه إلى الزاوية الدلائية بالأطلس المتوسط ، وأقام هناك ثماني سنوات قضاها في التدريس ملحوظا بعين الاجلال عند الدلائيين ، وأخذ عنه في هذه الفترة محمد بن أبي بكر الدلائي واخوته الأدب والحساب والتوقيت وغيرها ، وفي ذلك يقول سليمان الحوات : « ...وكان سافر لزاوية الشيخ العارف الكبير سيدي أبي بكر الدلائي ــ رضي الله عنه ــ فأقام عنده مكرما يقرىء بنيه مدة ، فانتفعوا به غاية الانتفاع ولا سيما أكبرهم سيدي محمد ... »(285) ، ولا نعرف المدة التي قضاها في الزاوية الدلائية ولا تاريخ رجوعه نهائيا إلى فاس . وقد قضى ابن القاضي سنوات عمره الأخيرة مدرسا **لصحيح** الامام البخاري بجامع الابارين بفاس أو القرويين ، إلى أن أدركته الوفاة بمدينته يوم الجمعة سادس شعبان عام 1025 هـ /19 غشت عام 1616، ودفن بباب عجيسة بعد أن صلى عليه إمام القرويين آنذاك أبو العباس المقري صاحب نفح الطيب (286).

هذه إذن ملامح بارزة من شخصية ابن القاضي تناولت مقوماته الذاتية ومؤلفاته ، وحاولنا أن نبرز من خلالها مدى الاشعاع الذي انطلق منها ليملأ الساحة الفكرية في عصر المنصور ،

(283) نفس المصدر والصفحة .
(284) نفس المصدر والصفحة .
(285) **البدور الضاوية** ، 67 .
(286) أنظر م. الكتاني ، **سلوة الانفاس** ، 3 : 135 .

فكانت بحق نموذجا من نماذج الفكر المغربي الأصيل ، وسوف ندرك هذه الحقيقة بصفة أكثر عندما نتناول بالدراسة والتحليل أهم مؤلفاته على الاطلاق : **المنتقى المقصور ، على مآثر الخليفة المنصور** .

الفصل الثاني :

المنتقى المقصور
على
مآثر الخليفة المنصور

اعتمدنا على ثلاث نسخ في تحقيق المنتقى ، وهي النسخ التي استطعنا العثور عليها [1] بعد عملية بحث دقيقة في مختلف مكتبات المغرب العامة والخاصة ، وعند بعض الشخصيات العلمية التي تعتني بجمع المخطوطات ، وقمنا أيضا بجولة في اسبانيا في أهم مكتباتها العامة ، لكن لم نعثر على أي شيء في هذا الميدان .

أما النسخ التي اعتمدنا عليها في التحقيق فهي :

---

(1) هناك نسخة أخرى بالمكتبة العامة بالرباط عدد 764 د ، ولكن بها تشويه كبير مع أكل أرضة في جميع صفحاتها ، بحيث إنه يتعذر قراءتها تعذرا مطلقا ، وبالتالي يمكن اعتبارها في حكم المفقود ما دام الموجود منها مجرد أوراق لا غير .

ونرى من الفائدة العلمية إيراد بعض المعلومات عنها من خلال ما كتبه عنها الباحثون الذين اطلعوا عليها (عندما كانت في حالة جيدة) في **فهرس المخطوطات العربية** بالرباط ، لعلوش وعبد الله الرجراجي ، 2 : 125 ، ما يلي : « بها 157 ورقة ، مسطرتها 16 ، مقياسها 157/215 ، كمل من نسخها يوم الأربعاء 6 شعبان عام 1167 هـ على يد أحمد بن أبي القاسم بن عبد الرحمان بن القاضي ، خط مغربي لا بأس به » .

وكتب عنها الأستاذ محمد حجي الذي اطلع عليها سنة 1966 في مقال له بمجلة **دعوة الحق** ، السنة العاشرة ، نونبر 1966 العدد الأول ، ص 100 وما بعدها : « ...تتفق مخطوطات الرباط الثلاث (ز 3197 ، 1153 ، 764 د) في محتوى المقدمة والخاتمة...وتقف المخطوطة رقم 764 د في الباب الخامس عشر ، وليس فيها بعده إلا الخاتمة » .

وهناك نسخة أخرى مسجلة في نفس الفهرس ، 2 : 125 ، تحت رقم 48 د ، وهي من المخطوطات التي ضاعت من المكتبة العامة بالرباط أثناء فترة الحماية الفرنسية بالمغرب .

ــ وقد ذكر ليفي بروفنسال في **فهرس المخطوطات العربية بالرباط** الصادر سنة 1921 ، ص 127 ، أنها تتكون من عشرين بابا على الشكل الآتي :

المقدمة : في نسبه الزاهر ، وحسبه الشريف الظاهر . =

ـــ نسخة المكتبة الملكية بالرباط عدد 3197 ز ، وهي التي اعتمدناها أساسا للتحقيق [2] .

ـــ نسخة ثانية بنفس المكتبة عدد 1153 .

= الباب الأول : في حسن خلقه وعقله ، وكمال خلقه وفضله .
الباب الثاني : في محافظته على التكاليف الشرعية ، والأعمال البدنية ، والاعتقادات الأشعرية .
الباب الثالث : في عدله في رعيته وقيامه (كذا) .
الباب الرابع : في تعظيم الميلاد النبوي ، وأبناء عمه من النسب العلوي .
الباب الخامس : في رعايته لأهل العلم ، ومجاورته لأهل الحلم .
الباب السادس : في حسن ظنه بالله الكريم ، وقوة رجائه في فضله الجسيم .
الباب السابع : في نظره في أمور رعيته وأحوالها .
الباب الثامن : في علمه وحلمه وسخائه ، وكرمه وبذله المال في طاعة ربه وحسن ثنائه .
الباب التاسع : في صبره الجميل ومقابلته (كذا) .
الباب العاشر : في شدة حيائه ، الذي هو من صفات ذاته وبهائه .
الباب الحادي عشر : في بره بوالدته .
الباب الثاني عشر : في عظيم فوائده .
الباب الثالث عشر : في ملاحظته لأهل العلم وذويه .
الباب الرابع عشر : فيما يؤثره من العلوم النافعة .
الباب الخامس عشر : في طهارة مجالسه العظيمة .
الباب السادس عشر : في قبوله المعذرة ، وعفوه بعد المعذرة (كذا) .
الباب السابع عشر :
الباب الثامن عشر :
الباب التاسع عشر : فيما صرفت فيه همته العلية .
الباب العشرون : في عظيم سطوته .

وكتب في آخرها أنها نسخت في 9رجب سنة 23/1333 ماي 1915 من نسخة أخرى كتبت في 6 شعبان لسنة 2/1167 ماي 1754 .

(2) كانت هذه النسخة في ملك نقيب الشرفاء العلويين بمكناس المؤرخ عبد الرحمان بن زيدان (ت 1946/1365) . وقد نقلت إلى المكتبة الملكية بالرباط عندما انتقلت مكتبته إلى هناك ضمن إطار المجموعة الزيدانية لذلك سوف نرمز لها بحرف « ز » .

ـــ والنسخة الثالثة توجد بالمكتبة العامة بالرباط عدد 1059 ج [3] . وسنتعرض خلال بحثنا في هذا الفصل ، المتعلق **بالمنتقى** ، الى عدة نقط تساعدنا على أخذ فكرة واضحة ودقيقة عن المخطوط ، شكلا ومحتوى ، وتتناول هذه النقط المباحث الاتية :

ـــ المبحث الاول : محاولات نشر الكتاب
ـــ المبحث الثاني : الباعث على التأليف
ـــ المبحث الثالث : تاريخ التأليف
ـــ المبحث الرابع : اصالة المخطوط
ـــ المبحث الخامس : اختلاف النسخ
ـــ المبحث السادس : مصادر **المنتقى**
ـــ المبحث السابع : المشاكل التي يطرحها النص
ـــ المبحث الثامن : قيمة **المنتقى** الأدبية
ـــ المبحث التاسع : قيمة المنتقى التاريخية
ـــ المبحث العاشر : النقد التاريخي .

أولا : محاولات نشر الكتـــاب :

ان الباحث ليبدي دهشته حقا لعدم نشر **المنتقى** منذ وقت بعيد ، ولو على الطباعة الحجرية ، خاصة وان كتبا اقل قيمة بكثير منه طبعت طباعة حجرية ثم أعيد طبعها طباعة عصرية في حين ظل كتابنا هذا في طي النسيان ، فما هي أسباب ذلك ياترى ؟ .

---

(3) كانت من جملة الكتب التي حجزت من خزانة الكلاوي بمراكش إذ إنه بعد استقلال المغرب صدر الحكم بمصادرة أملاك بعض المتعاونين مع الاستعمار الذين تآمروا ضد المغفور له محمد الخامس وعندما استولت مصلحة الأملاك المخزنية على ممتلكاتهم تبرعت بما استولت عليه من كتبهم إلى الخزانة العامة ، وهكذا انتقلت إليها مخطوطات كل من الباشا التهامي الكلاوي (ولذلك سوف نرمز له بحرف ج) والشيخ عبد الحي الكتاني ، والفقيه محمد الحجري ، والمصدر الأعظم محمد المقري .

وقد كانت هذه النسخة في الأصل في ملك الأستاذ محمد بن عثمان المسفيوي (ت 1364 هـ) الرئيس السابق لكلية ابن يوسف بمراكش ، وقد انتسخها هو بدوره من نسخة من خزانة الشيخ أحمد الناصري (مؤلف **الاستقصا**) . وقد اتصلنا في شأن هذه النسخة بالاستاذ جعفر الناصري (ابن مؤلف **الاستقصا**)فأخبرنا أن أخاه محمد الناصري كان قد أعارها لمحمد بن عثمان المسفيوي ، وعند وفاته حاول استرجاعها من ذويه لكن بدون جدوى .

لقد أدرك المهتمون بالدراسات التاريخية بالفعل قيمة **المنتقى** العلمية وحرصوا على طبعة منذ أواخر القرن 19 ، وشرع بالفعل في طبعه طباعة حجرية وانجز منه 16 ورقة (4) ، ولكن الطبع توقف . ولعل عدم نشره يرجع الى الأسباب الآتية :

السبب الاول : يعود **للمنتقى** نفسه ، ذلك أنه مليء بالبياض والبتر والتصحيف ، مما يجعل الاستفادة منه ضئيلة أو متعذرة ان لم تكن مدعاة لتشويش الافكار ، وقلب الحقائق وهذا ما واجهنا نحن بالفعل في تحقيقنا .

السبب الثاني : ان اغلبية المخطوط لا توجد الا في نسخة واحدة هي نسخة « ز » ، ولا يخفى ما في تحقيق الكتاب على نسخة واحدة من أخطار قد تؤدي احيانا الى نتائج هي غير النتائج التي هدف اليها المؤلف .

السبب الثالث : ان **المنتقى** مليء بالطرف الادبية والقواعد اللغوية والاحاديث النبوية بالاضافة الى الحوادث التاريخية التي تغطي فترة تاريخية طويلة من تاريخ المغرب ، بل وتتجاوز ذلك الى المشرق العربي وتركيا ، ولا شك أن مثل هذا النوع يفرض على المحقق ان يكون على اطلاع واسع على مختلف المصادر الادبية واللغوية والدينية بالاضافة الى خبرته التاريخية والالمام بجوانبها الخفية .

وفي الاخير نشير الى أن محمد بن عثمان ، الرئيس السابق لكلية ابن يوسف بمراكش ، كان يعتزم نشر هذا الكتاب ــ وهو الذي كانت بحوزته نسخته « خ » قبل أن تصير الى خزانة الكلاوي ــ اذ كتب النسخة كتابة واضحة اعدادا للنشر ولكنها نسخة بعيدة كل البعد أن تعطي لنا صورة حقيقية عن **المنتقى** ، بل يكفي ما فيها من الحذف ، والتقديم والتأخير ، والاخطاء ، والنقص الكبير في أبوابها أن نستبعدها كأساس لتحقيق المخطوط ، وعن هذه النسخة قال الاستاذ محمد حجي وهو بصدد الحديث عنها : « ... ولعل من حسن الحظ أن لم ير النور هذا المشروع الذي لم يعد اعدادا مناسبا ... ان ذلك لا يعني أني أعارض في نشر هذا الكتاب أو أحاول التنقيص من أهميته أو تتبيط الهمم ، بل بالعكس أرجوا صادقا أن يتيسر نشره وسائر ما تزخر به خزائننا العلمية من تراث خالد . لكن أرى من الضروري قبل كل شيء أن يصرف مجهود

---

(4) أنظر ع . السلام بن سودة ، **دليل** ، 1 : 162 .

وقد ذكر ادريس بن الماحي في **قائمة المطبوعات المغربية** ، 51 ، أن **المنتقى** طبعت منه 12 ورقة .

ملاحظة :

لم نقف على هذا القسم المطبوع لنتأكد من عدد الصفحات المطبوع بالضبط هل هو 16 أم 12 ؟

جدي في التنقيب عن نسخ اخرى منه في بعض الخزائن الخاصة او المكتبات العامة بالخارج وتبذل العناية اللازمة للمقابلة والتصحيح والتلفيق والى الرجوع الى المظان من الكتب المعاصرة او القريبة من عهد المؤلف للاستعانة بما فيها من ارشارات أو اعتراضات او نقول لمحاولة اخراج نسخة كاملة او قريبة من الكمال ....» (5) .

ثانيا : الباعث على التأليف :

من الواضح ان الكتاب ألف كاعتراف بالجميل للمنصور على تخليصه من الاسر .

ونجد هذا في كل صفحات الكتاب تقريبا ، فلا حاجة اذن الى تأكيده . ولم يقتصر الأمر على **المنتقى** ، بل انه اهدى أغلب كتبه التي ألفها فيما بعد للمنصور . ولصفة الاهداء هذه اثر كبير على **المنتقى** لما امتاز به من الدقة والجودة ، اذ من المعلوم أن المنصور لم يكن فقط راعيا للعلماء بل كان مشاركا لهم ، بل متفوقا عليهم أحيانا ، فمن الطبيعي اذن أن يؤلف ابن القاضي كتابا في مستوى هذا الملك العالم .

ثالثا : تاريخ التأليف

لا نعرف بالضبط الوقت الذي بدأ فيه كتابة **المنتقى** غير اننا نستطيع أن نقول انه انتهى منه سنة 998 هـ ، اذ انها آخر سنة يذكرها فيه ، ثم انه ذكر في **درة الحجال** ما يأتي : «ولما كنت قبل وضعت تأليفا وسميته **بالمنتقى المقصور ، على مآثر الخليفة أبي العباس المنصور** ، الشريف الحسني ، واستطردت فيه ذكر بعض الفضلاء ، ومحاسن بعض النبلاء ، وضاق عن استيفائهم تعيينا ، وعن حصرهم تبيينا ، فاحتجت لجمع هذا لأذكر من حضرني من الأعيان ، الذين لهم فضل قد شهد به العيان ... وكان أول ابتدائي لهذا التأليف في أوائل رجب عام 999 هـ» (6) .

وهكذا يتضح أن التأليف كان خلال الثلاث سنوات التي اعقبت افتكاكه من الاسر ، أي ما بين سنتي 995 هـ 998 هـ .

رابعا : أصالة المخطوط :

لا نتوفر على النسخة الاصلية أو على الاقل على نسخة اطلع عليها ابن القاضي ، لخلو النسخ المتوفرة من أية اشارة الى ذلك ، ونظرا للبياض ، والبتر ، والتصحيف ، والتحريف ، بل

---

(5) مقال بمجلة **دعوة الحق** ، السنة العاشرة العدد الأول ، نونبر 1966 ، ص 101 .

(6) أنظر **درة الحجال** ، 1 : 4 — 5 .

وفقدان ثلاثة أبواب كاملة ، مما يؤكد على أنها منقولة عن نسخ ثم ان بعضها مسجل عليه ما يعتقد انه اسم الناسخ وتاريخ النسخ .

خامسا : اختلاف النسخ :

تتفق كل من نسختي « ز » و « م » اتفاقا يكاد يكون كليا في المقدمة والخاتمة ومحتوى الابواب ، والاختلاف الموجود بينهما يتعلق فقط بتغيير بسيط في بعض كلمات العناوين ، وأرقام الابواب وعددها ، بحيث لا يوجد في « م » الا 19 باب ، بالاضافة الى زيادات مهمة تمتاز بها « ز » عن « م » .

أما بالنسبة لنسخة « ج » فهي تختلف اختلافا يكاد يكون كليا من حيث المقدمة والخاتمة ، كما تختلف عن « ز » بالحذف الكبير الموجود في الأبواب الا 18 بابا .

ولكي يتسنى لنا الوقوف على حقيقة اختلاف هذه النسخ سوف نتعرض لكل نسخة على حدة لنتمكن من أخذ فكرة واضحة ودقيقة عن هذا الاختلاف .

1 ــ نسخة «ز» :

سبق ان قلنا انها النسخة التي اعتمدناها أساس للتحقيق لانها الأقرب الى الكمال ، رغم أنها تفتقد ثلاثة أبواب كما سنلاحظ فيما بعد .

أ ــ وصف النسخة :

ــ مقياسها : 22 سنتم طولا ، و 17 سنتم عرضا .

ــ مسطرتها : 26 سطرا في الصفحة في المتوسط .

ــ عدد كلمات السطر : تسع كلمات في المتوسط .

ــ خطها : خط مغربي دقيق .

ــ صفحاتها : 359 صفحة .

اسم الناسخ وتاريخ النسخ :

كتب في آخرها ما يأتي : « الحمد لله زادت لنا صبية هي فاطمة بنت السيد عبد الله بن أحمد بن ناصر عمر في يوم الاحد الثاني والعشرين من شهر الله المبارك رمضان المعظم عام احدى وتسعين ومائة وألف .

ولعلنا نستطيع أن نستخلص من هذا اسم الناسخ وتاريخ النسخ

ب ــ تصميم النسخة :

المقدمة : في ذكر نسبه الطاهر ، وحسبه الشريف الظاهر .

الفصل الاول : في حقيقة الخلاف وشروطها .

الفصل الثاني : في فضل الامانة .

الفصل الثالث : في وجوب طاعته .

الفصل الرابع : في حكم غريبة ونكت عجيبة .

تشتمل على آداب الرعية مع الملك .

الفصل الخامس : فيما يجب على الخليفة

والابواب ستة وعشرون :

الباب الأول : في حسن خلقه ، وعقله ، وكال خلقه .

الباب الثاني : في محافظته على التكاليف الشرعية ، والاعمال البدنية ، والاعتقادات الاشعرية .

الباب الثالث : في عدله في رعيته ، وقيامه بشريعة جده محمد وسنته .

الباب الرابع : في تعظيمه الميلاد النبوي ، وأبناء عمه من النسب العلوي .

الباب الخامس : في رعايته لاهل الصلاح .

الباب السادس : في حسن ظنه بالله تعالى .

الباب السابع : في نظره في أمور رعيته .

الباب الثامن : في حلمه وكرمه .

الباب التاسع : في صبره ، ومقابلة الاساءة بالاحسان .

الباب العاشر : في حيائه .

الباب الحادي عشر : في بره بوالدته .

الباب الثاني عشر : في مراعاته لاهل ود والده .

الباب الثالث عشر : في تعظيمه العلم الشريف ، النافع المنيف .

الباب الرابع عشر : فيما يؤثره من العلوم .

الباب الخامس عشر : في طهارة مجالسه من الغيبة والنميمة .

الباب السادس عشر : في اقالته العثرات .

الباب السابع عشر : في قبوله المعذرة .

الباب االثامن عشر : في قبوله الشفاعات .

الباب التاسع عشر : في مجازاته على الهدية [7] .

الباب العشرون : في توفيقه للاستخارة [8] .

الباب الحادي والعشرون : في ذكر كتبه [9] .

الباب الثاني والعشرون : في ذكر نظمه .

الباب الثالث والعشرون : في غزوته .

الباب الرابع والعشرون : في ذكر فقهاء عصره .

الباب الخامس والعشرون : في تمهيد الطرق .

الباب السادس والعشرون : في عظيم سلطنته .

الخاتمة : في ذكر نكت غريبة ، وطرف بديعة عجيبة .

2 ـــ نسخـــة « م »

أ ـــ وصف النسخة :

مقياسها : 26 سنتم طولا ، و20 سنتم عرضا .

مسطرتها : 24 سطرا في كل صفحة في المتوسط .

عدد كلمات السطر : تسع كلمات في المتوسط .

(7) مفقود من « ز » و « م » و « ج » والنسخ الثلاث المذكورة هي النسخ المتوفرة لدينا لحد الساعة .
(8) مفقود من « ز » و « م » و « ج » ، والنسخ الثلاث المذكورة هي النسخ المتوفر لدينا لحد الساعة .
(9) مفقود من « ز » و « م » و « ج » والنسخ الثلاث المذكورة هي النسخ المتوفرة لدينا لحد الساعة .

عدد صفحاتها : 202 صفحة

اسم الناسخ وتاريخ النسخ :

كتب في آخر النسخة ما يأتي :« كمل المنتقى المقصور ، على مآثر الخليفة المنصور ، بحمد الله تعالى وحسن عونه ، وتوفيقه الجميل ويمنه ، وذلك صبيحة يوم الأحد الحادي والعشرين من المحرم الحرام فاتح ثلاثين ومائة وألف ، اللهم اغفر لكتابه ولقرائه وللداعي لهم بالرحمة ، آمين يارب العالمين » .

اذن فنحن نتوفر على تاريخ النسخ ولكن لا نتوفر على اسم الناسخ ولا مكان النسخ.

ب ــ تصميم النسخة :

المقدمــة : في ذكر نسبه الطاهر ، وحسبه الشريف الظاهر .

الفصل الاول : اختلاف العلماء في الخلافة .

الفصل الثاني : في فضل الامامة :

الفصل الثالث : في وجوب طاعته .

الفصل الرابع : فيما يجب على الخليفة .

الفصل الخامس : في حكم غريبة ، ونكت عجيبة .

الباب الاول : في حسن خلقه وعقله ، وكمال خلقه وفضله .

الباب الثاني : في محافظته على التكاليف الشرعية ، والاعمال البدنية ، والاعتقادات الاشعرية .

الباب الثالث : في عدله في رعيته ، وقيامه بشريعة جده محمد وسنته .

الباب الرابع : في تعظيمه الميلاد النبوي ، وأبناء عمه من النسب العلوي ، وفي احسانه للشرفاء من أبناء عمه .

الباب االخامس : في تعظيمه الميلاد النبوي ، وأبناء عمه .

الباب السادس : في حسن ظنه بالله الكريم ، وقوة رجائه في فضله الجسيم.

الباب السابع : في نظره في أمور رعيته وأحوالها ، وملاحظته لشؤونها وأفعالها.

الباب الثامن : في علمه وحلمه وسخائه ، وكرمه وبذله المال في طاعة ربه وحسن ثنائه .

الباب التاسع : في صبره الجميل ، ومقابلته الاساءة بالاحسان الأثيل .

الباب العاشر : في شدة حيائه ، الذي هو من صفات ذاته وبهائه .

الباب الحادي عشر : في بره بوالدته ، واقتداؤه فيه بمآثر جده وسنته .

الباب الثاني عشر : في عظيم فوائده ، ومراعاة لأهل ود والده .

الباب الثالث عشر : في ملاحظته لأهل العلم وذويه ، وايثاره لمن اتصف به من اوليه .

الباب الرابع عشر : فيما يؤثره من العلوم النافعة ، ويهتم به من فوائدها اللامعة .

الباب الرابع عشر (10) : في طهارة مجالسه العظيمة ، مما هو مذموم من الغيبة والنميمية.

الباب الخامس عشر : في اقالته العثرات ، وعفوه عن كبائر السيئات .

الباب السادس عشر : في قبوله المعذرة ، وعفوه بعد المقدرة .

الباب السابع عشر : فيما صرفت فيه همته العلية ، وتمهيد الطرق بسيرته المرضية .

الباب الثامن عشر : في عظيم سطوته ، وما شوهد من جميل شيمه وعلو همته .

الخاتمة : في ذكر نكت غريبة ، وطرف بديعة عجيبة .

3 ــ نسخة «ج»

أ ــ وصف النسخة :

مقياسهـــــا : 23 سنتم طولا و18 سنتم عرضا

مسطرتهـــــا : 23 سطرا في المتوسط

عدد كلمات السطر : عشر كلمات في المتوسط

خطهـــــا : خط مغربي واضح

تاريخ النسخ واسم الناسخ :

خالية من اسم الناسخ وتاريخ النسخ .

---

(10) يلاحظ أن رقم 14 كرر مرتين ، وهو خطأ واضح ، صوابه أن يكون رقم الباب 15 ، كما هو مقرر في نسخة « ز » ، وسينتج عن ذلك أن أرقام الأبواب التالية ستكون غير صحيحة ، بحيث يجب أن يكون الباب 15 هو الباب 16 والباب 16 هو الباب 17 وهكذا ...

ب ــ تصميم النسخة :

ب ــ تصميم النسخـــة :

المقدمة : في ذكر نسبه الطاهر ، وحسبه الواضح الظاهر .

الباب الأول : في حسن خلقه وعقله ، وكمال أوصاف خلقه وفضله .

الباب الثاني : في محافظته على التكاليف الشرعية ، والاعمال البدنية ، من المصالح : الدينية والدنيوية .

الباب الثالث : في عدله في رعيته ، وقيامه بأوامر شريعة جده ــ ﷺ ــ وسنته .

الباب الرابع : في تعظيمه للميلاد النبوي ، ولأبناء عمه من أهل النسب العلوي .

الباب الخامس: في رعايته حق أهل العلم ، ومجاوزته عن هفواتهم بالاغضاء والحلم .

الباب السادس: في حسن ظنه بالله تعالى المولى الكريم ، وقوة رجائه في فضله الجسيم .

الباب السابع : في نظره في أمور رعيته وملاحظته لجميع شؤونها وأفعالها .

الباب الثامن : في طيب نفسه وسخائه ، وبذله الاموال في طاعة ربه وكرمه وحسن خيمه وثنائه.

الباب التاسع : في صبره الجميل ، ومقابلته الاساءة بالاحسان الاثيل.

الباب العاشر : في شدة حيائه ، التي هي في صفات ذاته الجليلة وبهائه .

الباب الحادي عشر : في بره بوالدته .

الباب الثاني عشر : في بره بوالده ، وأهل مودته ، واقتداؤه في ذلك بسيرة جده وسنته .

الباب الثالث عشر : في ملاحظته لأهل العلم وذويه ، وايثاره لمن يتصف به ويقتنيه .

الباب الرابع عشر : فيما يؤثره من العلوم النافعة ، ويهتم به من فوائده اللامعة.

الباب الخامس عشر : في طهارة مجالسه العظيمة ، مما هو مذموم كالغيبة والسعاية والنميمة (11).

الباب الثامن عشر : في قبوله المعذرة ، وعفوه بعد المقدرة.

الباب التاسع عشر : فيما صرف فيه همته العلية ، من تمهيد الطرق بسيرته المرضية .

الباب الموفى عشرين : في عظيم سطوته ، وما شوهد من جميل شيمه وعلو همته .

الخاتمـــة :

فصـل : في ذكر حقيقة الخلافة .

فصـل : في فضل الامامة .

فصـل : في وجوب طاعته ، وتحريم مخالفته .

---

(11) هناك بياض في هذا الباب بمقدار 4/3 الصفحة ، وقد كتب فيه : ها هنا سقط في النسخة المنسوخ عنها ، ولا يحتوي هذا الباب في « ج » إلا على خمسة أسطر .

فصـل : ويجب على الخليفة الامام الرفق برعيته والشفقة عليهم ، وعدم اهماله مصالحهم .

فصـل : في ذكر نكت وحكم بديعة غريبة ، وطرف جيدة رفيعة عجيبة ، تشمل على بعض آداب الرعية مع الملوك .

فصـل : أردت أن أذكر فيه شيئا من النوادر الحسنة ، والملح المستحسنة ، واضيف الى ذلك من افادات الانشادات والحكايات المستفادة، انشادات كنت أنشدتها ، وحكايات كنت استفدتها ليكون ذلك أعون لمطالعة الكتاب ، والله الموفق .

وهذا الفصل هو خليط من الابواب السابقة ، من اشعار وحكايات وملح .

وتنتهي نسخة « ج » بالابيات الاتية :

لك في القلـوب منـازلٌ ومقـام لا العقـل يدركها ولا الافهـام
ولقبـى المشتـاق فيك صبابـة لا الدهـر ينفدهـا ولا الأيـام
وسرت الـى الارواح منك نسيمـة سكروا بهـا العشـاق فيـك وهامـوا
من أصبحت خطرات ذكـرك قوتـه وفـؤاده مـأواك كيـف ينـام
ومـن التجـا بجنـاب عزك ذلـة واستمسك بعـراك كيـف يضـام
ما الوجد وجد ان عداك ولا الهـوى الا هـواك ولا الغـرام غـرام
واذ خلت منك الخيـام وأصبـحت مأوى سواك فما الخيام خيـام (12)

يتضح من هذا اذن ان الناسخ تصرف الى حد كبير في المقدمة والخاتمة ، وأقحم فصولا في الخاتمة مما لا علاقة له بها ، والا فما معنى أن يدخل فصلا يقول فيه : « أردت أن اذكر فيه شيئا من النوادر الحسنة ليكون ذلك أعون لمطالعة الكتاب » ، أي عندما يكون القارىء قد انتهى من قراءة المخطوط ، وهذا عكس ما هدف اليه ابن القاضي ، فقد أورد الملح والطرف اثناء قراءة الكتاب لتكون بالفعل (أعون على مطالعة الكتاب) لا عندما ينتهي القارىء من قراءته . خاصة وانه حدد المنهج منذ البداية تحديدا واضحا لا غموض فيه ، ولكن هذا المنهج سقط من « ج » و« م » ويوجد فقط في « ز » .

وما معنى أن يدمج فصولا في الخاتمة كان الاجدر أن تكون في المقدمة مثل : ذكر حقيقة الخلافة ، وفضل الامامة ، ووجوب طاعة الامام الخ... اذ جرت عادة المؤلفين آنذاك أن تكون مثل هذه الفصول في المقدمة لا في الخاتمة (13) . ثم تنتهي هذه الخاتمة بأشعار ،

(12) توجد هذه الأبيات في نسختي « ز » و « م » في الباب السادس .
(13) أنظر ـــ مثلا ـــ المسند لابن مرزوق ، وهو الكتاب الذي سار على نهجه ابن القاضي .

وليس هناك أية اشارة الى انتهاء الكتاب ، وهذا مخالف لما جرت عليه عادة المؤلفين آنذاك .

ولعل سقوط المقدمة المنهجية من نسخة « ج » هو السبب في هذا الخلط ، اذ ان الناسخ اختلط عليه الأمر فجمع ما ورد من نكت وطرف في الخاتمة بعد أن حذفها من بعض الابواب .

وسنعود الى ذلك في الملاحظات التالية بشيء من التفصيل .

الملاحظات العامة حول النسخ الثلاث :

الملاحظة الأولى :

ان أول ما يثير الانتباه هو أن المقدمة في « ج » تختلف عن مقدمتي « ز » و « م »، ذلك أن ناسخ « ج » أورد فصيلا واحدا فقط من المقدمة وهو الفصل المتعلق : « بذكر نسبه الطاهر ، وحسبه الواضح الظاهر » ، وترك بقية الفصول للخاتمة ، وأضاف اليها فصلا آخر قال عنه : « فصل أردت أن أذكر فيه شيئا من النوادر الحسنة ، والملح المستحسنة... ليكون ذلك أعون لمطالعة الكتاب » وهذا تصحيف واضح اوضحناه فيما سبق .
سبق .

الملاحظة الثانية :

تتفق النسخ الثلاث الى غاية الباب الرابع عشر ترتيباً ومحتوى الا ما كان من اضافات توجد في « ز » وسقطت في كل من « ج » و « م » أو اضافات توجد في « م » ولا توجد في « ز » و « ج » وقد اثبتنا ذلك في محله من التحقيق .

الملاحظة الثالثة :

هناك خطأ في ترتيب الابواب انطلاقا من الباب الرابع عشر في « م » وانطلاقا من الباب الثامن عشر في « ج » ويرجع ذلك بالنسبة لنسخة « م » الى :

1 — تكرار رقم 14 مرتين ، بحيث استخدام نفس الرقم للباب المتعلق بـ : « طهارة مجالسه العظيمة ، مما هوة مذموم من الغيبة والنميمة » في حين كان سيكون هو الباب 15 كما هو مقرر في نسختي « ز » و « ج » ، ونتج عن ذلك أن الابواب التالية ستحمل أرقاما ليست هي أرقامها الحقيقية .

2 — يرجع هذا الخطأ في الترقيم أيضا الى سقوط 7 أبواب وهي الابواب : 18 — 19 — 20 — 21 — 22 — 23 — 24 .

أما بالنسبة لنسخة « ج » فيرجع ذلك الى سبب واحد وهو افتقادها للأبواب السبعة السالفة الذكر .

الملاحظة الرابعة :

تمتاز نسخة « ز » بزيادات كبيرة داخل الأبواب ، وقد أثبتنا ذلك في محله .

الملاحظة الخامسة :

تفتقد كل من نسختي « م » و « ج » الابواب السبعة الاتية :

الباب الثامن عشر : في قبول الشفاعات
الباب التاسع عشر : في مجازاته على الهدية
الباب العشـــرون : في توفيقه للاستخارة
الباب الحادي والعشرون : في ذكر كتبه
الباب الثاني والعشرون : في ذكر نظمه
الباب الثالث والعشرون : في غزوته
الباب الرابع والعشرون : في ذكر فقهاء العصر

الملاحظة السادسة :

تشترك النسخ الثلاث في فقدان الابواب الثلاثة الآتية :

الباب التاسع عشر : في مجازاته على الهدية
الباب العشـــــرون : في توفيقه للاستخارة
الباب الحادي والعشرون : في ذكر كتبه

يتضح من هذا اذن ان نسخة « ز » هي الأقرب الى الكمال ، ولولا فقدانها لثلاثة لكانت كاملة تماما ، خاصة وانها قد أزالت كل غموض وليس فيما يتعلق بعدد الابواب وترتيبها ومنهجية المقدمة والخاتمة .

ونشير في الأخير الى ان ابن القاضي أورد اشارات عديدة تتعلق **بالمنتقى** في **درة الحجال** (14) والذي اعتبره كتكملة له . فقد أورد أبياتا للمنصور ذكر انه أوردها في **المنتقى** وهي من جملة ما فقد منه ، كما أنه ذكر بمناسبة ترجمة مالك بن المرحل انه أورد قصيدته حول

(14) 1 : 109 ــ 119 .

مدينة سبتة كاملة [15] ، ولا نجد منها في **المنتقى** الا بيتا وشطرا من بيت [16] .

سادسا : مصادر المنتقى

نسجل أولا في البداية ان ابن القاضي في كثير من الأحيان لا يذكر مصادره ، وهذا مأخذ أساسي يؤاخذه به ، اذ يضطر الدارس الى الرجوع الى عدد كبير من المظان الادبية واللغوية والدينية عله يحظى بالمصدر الذي استقى منه ابن القاضي الخبر ، وهذا عمل شاق وطويل كان من الممكن أن يتجنبه الدارس لو وثق ابن القاضي خبره . ولعلنا ندرك قيمة توثيق الخبر اذا علمنا أننا في كثير من الاحيان كنا نشتغل على نسخة واحدة ، ولا يخفى ما في الاعتماد على نسخة واحدة من مخاطر . واسلوبه هذا في ايراد الخبر لم يسلكه فقط في **المنتقى** بل سلكه أيضا في سائر كتب التراجم التي ألفها **كجذوة الاقتباس** ، **ودرة الحجال** .

★ ★ ★
★ ★

ويمكننا تقسيم مصادره المذكورة في **المنتقى** الى قسمين : مصادر مباشرة ، ومصادر غير مباشرة .

أ ــ المصادر المباشرة :

ونقصد بها المصادر التي عاينها بنفسه وتشمل :

1 ــ ما أطلعه عليه رجال الدولة : « ... أطلعني على هذه النسبة أبو العباس أحمد بن يحيى الهوزالي قائد قواد ولي عهده مولانا أبي عبد الله محمد المامون بداره سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة ... » [17] ؛

2 ــ ما رواه عن شيوخه : « ... وبمثل هذا حدثني شيخنا ابو العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمان المنجور... » [18] ، « ...وحدثني شيخنا أبوا راشد يعقوب بن يحيى اليدرى... » [19] .

3 ــ ما نقله عن معاصريه من عُلماء وأدباء أثناء رحلته للشرق الاسلامي : « ... ولما رحلت

---

(15) 3 : 26 .
(16) ــ ص. 708.
(17) المصدر السابق، 243 .
(18) المصدر السابق، 243.
(19) المصدر السابق، 244.

من مصر وقصدت مكة المشرفة والمدينة ــ على ساكنها الصلاة والسلام ــ على الصعيد ، ودخلت مدن الصعيد كجرجة ونحوها واجتمعت بمنى مع أبي العباس أحمد القلفاط ، فأنشدني... » [20] ، « ... وممن لقيته بها خطيبها أبو الثناء محمود بن عبد الله الرومى أديب ، لغوي ، منطقي ، نحوي ، تصريفي ، أنشدني للشافعي ... » [21].

4 ــ ما وقع له مع المنصور : « ... ومن تواضعه ما اتفق لي معه ــ أيده الله وسدده ــ ذات يوم في محلته المنصورية بفسطاط الجماعة منها المعدة للديوان ، وقد كنت حاضرا به من جملة عبيده وخدمه ... » [22] .

5 ــ ما شاهده ، ووقع له أثناء مقامه بالشرق الاسلامي : « ... فمن ذلك أن كل وافد على الاسكندرية يعطي عشر ما بيده وعشر عشره من السلع وكذلك أيضا كل خارج منها ، ومثله في مرسى جدة ، وسائر البلاد المشرقية وغيرها ، فمن وقف على ذلك يعلم صحة ما قلنا ... » [23] .

ب ـــ المصادر الغير المباشرة :

ونقصد بها مصادره المكتوبة والتي أخذ منها بعض اخباره ، وقبل استعراض هذه المصادر نبدي ملاحضتين أساسيتين :

الملاحظة الاولـــى :

هناك نوعان من الاخبار ، أخبار ذكر ابن القاضي مصادرها ، وأخبار أخرى لم يصرح بمصادرها ، وفي سبيل توثيق هذه الاخيرة رجعنا الى عدد من المصادر وعثرنا عليها بأشكال مختلفة ، ولكن لا نتوفر على دليل قطعي من أن ابن القاضي استخدم أحدها بعينه ، لهذا أشرنا في الهامش عند التحقيق الى كل هذه المصادر ، ولا نرى فائدة في إعادة ذكرها هنا .

الملاحظة الثانية :

لم نحلل المصادر المصرح بها ما دام معظمها معروفا ، أما القسم الغير المعروف فاننا حللناه في الهامش وبينا أماكن تواجده ، ولا نرى كذلك فائدة في اعادة ذكره هنا .

* * *

(20) المصدر السابق، 745.
(21) المصدر السابق، 750.
(22) المصدر السابق، 315.
(23) المصدر السابق، 357.

ــ **أبكار الأفكار** لسيف الدين الآمدي .
ــ **أحكام النساء** لابي الفرج بن الجوزي .
ــ **ألفية ابن مالك** .
ــ **ألفية العراقي** .
ــ **انتهاز الفرصة ، في محادثة عالم قفصة** ، لابن مرزوق (الحفيد) .
ــ **انوار البروق ، في انواء الفروق** ، لشهاب الدين القرافي .
ــ **أنوار التجلي ، على ما تضمنته قصيدة الحلي** ، للثعالبي .
ــ **بغية الطلاب ، على منية الحساب** ، للامام ابن غازي .
ــ **التبصرة** ، لابي الحسن اللخمي .
ــ **حياة الحيوان الكبرى** ، لكمال الدين الدميري .
ــ **الخزرجيــة** .
ــ **الرسائل** ، لأبي بكر الخوارزمي .
ــ **الرسالة** ، لابن زيد القيرواني .
ــ **الرسالة القشيريــة** .
ــ **زهرة البستان ، المتضوعة بمحاسن أبناء الزمان** ، لابن القاضي .
ــ **الكامل** للمبرد .
ــ **كتاب الروضتين ، في أخبار الدولتين** لابي شامة المقدسي .
ــ **مختصر ابن الحاجب**
ــ **مختصر خليل** .
ــ **مدونة** الامام سحنون .
ــ **منية الحساب** ، للامام ابن غازي .
ــ **معالم السنن** للخطابي .
ــ **المغني** ، لابن هشام .
ــ **مفتاح العلوم** ، للسكاكي .
ــ **مقامات الحريري** .
ــ **مقدمة** ابن الصلاح في علوم الحديث .
ــ **المسند الصحيح** ، لابن مرزوق .
ــ **المستطرف** ، للابشيهي .
ــ **نزهة النفوس ، ومضحك العبوس** ، لابن سودون .
ــ **صحيح البخاري** .
ــ **صحيح مسلم** .

- **صلة السمط** ، لابن الشباط .
- **عنوان الدراية** ، لمحمد بن صالح الكناني .
- **فرائض الحوفي** .
- **الغيث المسجم ، في شرح لامية العجم** ، لخليل بن أبيك الصفدي .
- **فهرسة ابن رشيد** .
- **فهرسة ابن غازي** .
- **فهرسة احمد المنجور** .
- **شروط الرواية** ، للحازمي .
- **الشفا** ، للقاضي عياض .
- **شفاء الصدور** ، لابن سبع .
- **الشافي ، في تحرير ما وقع من الخلاف بين التبصرة والكافي** ، لابن سلمون .
- **الوافي ، في نظم القوافي** ، لصالح بن شريف الرندي .

سابعا : المشاكل التي يطرحها النص

يطرح النص عدة مشاكل منها ما يرجع الى الشكل ومنها ما يرجع الى المضمون .

أ ـ من الناحية الشكلية :

- ان اهم ما يجب اثارة الانتباه اليه هو أن أغلبية المخطوط توجد في نسخة واحدة هي نسخة « ز » فبالاضافة الى فقدان نسختي « م » و « ج » لعدد من الابواب هناك كثيرة من الحذف والبتر والتصحيف في الابواب الموجودة ، والتحقيق في مثل هذه الوضعية يتطلب الحذر الشديد قبل الاقدام على اي عمل من شأنه تشويه الحقائق التي اتى بها النص .
- ما يوجد مصحافي « ز » يوجد ايضا مصحفا في « م » و « ج » وأحيانا اسوأ مما هو موجود في « ز » .

ب ـ من حيث المضمون :

- تعدد المعلومات التي اتى بها النص من تاريخ وأدب ودين ولغة مما يطرح معه مشكل توثيق هذه المعلومات المتعددة مع العلم أنها لا تنحصر في فترة معينة ، بل تشمل فترة واسعة من التاريخ .
- هناك مشكل ادبي يتلخص في كون ابن القاضي ينسب الابيات الشعرية لغير اصحابها ، أو يرويها بصفة مشوهة بحيث يقدم ويؤخر ويضيف ابياتا ليست لنفس

الشاعر ، وقد نبهنا على ذلك في محله .

— ومشكل لغوي يتلخص في كثرة الأخطاء اللغوية ، بل واستخدام ألفاظ عامية ، وقد نبهنا على ذلك في محله ، ونعتقد ان الناسخ له دور أيضا في هذا .
— كما نسب ابن القاضي عددا من الكتب لغير أصحابها ، وقد أبدينا رأينا في الموضوع .
— كثرة الشخصيات التي تعرض لها في **المنتقى** ، وقد عرفنا كل شخصية على حدة ، لكن لم نستطع في بعض الاحيان أن نعثر على ترجمة بعض الشخصيات التي التقى بها ابن القاضي أو سمع بها في الشرق الاسلامي والمغرب العربي .

ثامنا : قيمة المنتقى الادبية

يغلب الطابع الادبي على **المنتقى** الى حد بعيد انطلاقا من عنوانه المسجوع (ولعله أخذه من **منتقى** الباجي) الى أبوابه ، إذ لا يخلوا باب من أبوابه من طرف واخبار أدبية وأشعار ، إما لمعاصريه أو لأدباء وشعراء سبقوه مغاربة ومشارقة ، وهو لهذا السبب يعتبر — بحق — ثروة أدبية هائلة تعطينا نظرة واضحة عن وضعية الثقافة المغربية آنذاك ، كما يبرز لنا الدور الذي قام به المغاربة للحفاظ على التراث العربي الاسلامي ، هذا التراث الذي عرف ركودا كبيرا انطلاقا من القرن السادس عشر نتيجة الاحتلال التركي للعالم العربي .

ويمتاز ابن القاضي في **المنتقى** بالاسلوب السلس المنطلق الذي لا تكلف فيه ولا سجع الا ما دعت الحاجة اليه عند الوصف او الدعاء ، كما يمتاز بملكة الاختيار التي تجعله يرقى بالنص الى مستوى عال من الذوق الفني ، وتجعل القاريء يشد الى النص ، وهي مهمة أفصح عنها المؤلف أثناء تحديده لمنهجية الكتاب ، ويمكننا أن نقول أنه نجح الى حد كبير فيها ، خاصة إذا علمنا أن الكتاب كله مدح وإطراء للمنصور ، ومن شأن مثل هذه الموضوعات أن تدخل الملل والسآمة على القاريء وتجعله ينفر من قراءته .

لكن هناك مآخذ تفرض نفسها على الدارس يمكن أن نلخصها فيما يلي :

— المبالغة في الاستطرادات الادبية التي تكاد تنسينا الموضوع الاصلي الذي يتحدث عنه المؤلف حتى انه هو نفسه يشعر بهذا فيحاول أن يستدرك الامر بالقول : « ولنرجع الى ما كنا بصدده » .
— تخونه أحيانا ملكة الاختيار فيختار ابياتا رديئة تنزل به الى مستوى ليس هو المستوى المعهود .
— قصر في حق بعض الأدباء المغاربة المعاصرين له في حين أطال جدا بالنسبة للبعض

الأخر .

ورغم هذا كله فان **المنتقى** يبقى نموذجا للتأليف الادبي التاريخي في العصر السعدي ، ويكفى ان نذكر انه احتفظ لنا باسماء شخصيات ادبية مغربية مع أشعارهم ، هذه الشخصيات التي لا نجد لها ذكرا في أي مصدر آخر .

تاسعا : القيمة التاريخية للمنتقى

سنحاول أن نبرز القيمة التاريخية **للمنتقى** من خلال مقارنته بمصدرين أساسين ، أحدها ألف في عصر المرينيين وهو الذي سار ابن القاضي على نهجه ، والآخر معاصر له تناول نفس موضوعه ، وهي مقارنة تبين ايجابياته وسلبياته .

1 — بين المنتقى والمسند [24] :

سبق أن قلنا ان **المسند** يعتبر أحد مصادر **المنتقى** ، وقد لاحظ ليفي بروفانسال — وهو بصدد الحديث عن المصدر المريني وأهميته — وانه ظل مصدر الهام لكثير من المؤرخين وخص بالذكر ابن القاضي في **المنتقى**[25] ، والباحث لا يسعه الا أن يؤكد هذه الملاحظة ، لكن نؤكد في نفس الوقت ان **المنتقى** لم يكن صورة مكررة للمسند لسبب أساسي وهو ان شخصية ابن القاضي تختلف في كثير من الجوانب عن شخصية ابن مرزوق نظرا للتجارب القاسية التي مر منها هذا الأخير وانعكاس ذلك على كتاباته .

أ — المسند خلاصة تجربة قاسية :

لقد حاول الرجل أن يعرض نفسه وتجاربه تماما كما فعل ابن القاضي في **المنتقى** ، لكن ظروف الرجلين تختلف تماما . فابن القاضي كتب مصدره والطريق ممهد له الى القصر ، أما ابن مرزوق فقد كتب كتابه وهو مثقل بالتجارب لا يدري أن ستسقربه الاقدار : « ....وعرضت بين وفاته (أبي الحسن المريني) — رضوان الله عليه — وزمني الآن ، عوارض امتحان ، وتقلبات

---

(24) سنعتمد النسخة التي تحمل رقم 111 ق بالمكتبة العامة بالرباط .
وقد نشر منه ليفي برفنسال في مجلة **هسبريس** ، المجلد الخامس ، سنة 1925 ، ص 1 — 43 ، الأبواب الآتية : 34 ، الفصل الثاني من الباب 36 ، الفصل الثالث من الباب 36 الباب 39 ، 40 ، 41 ، 42 ، 43 ، 44 ، 50 .

كما قامت الباحثة الاسبانية (ماريا فيفراس) بترجمته إلى الاسبانية ، ونشرت الترجمة بإسبانيا سنة 1978 .

(25) مجلة **هسبريس** ، المجلد الخامس ، 1925 ، ص 10 .

أزمان ، واختلاف احوال ، وظعن وترحال ، وكابدت فقدان الاقران ، وقلة الاخوان ، وجفوة الاوطان ، وهجرة السلطان ، وكان من الامر ما كان ... » [26] .

وعلى كل ، فابن مرزوق ينتمي الى عائلة عريقة في العلم تماما كعائلة ابن القاضي ، وتعددت فيها الاسماء اللامعة التي تحمل نفس الاسم أيضا كعائلة ابن القاضي ، فهناك ابن مرزوق الخطيب ، وابن مرزوق الكفيف ، وابن مرزوق الحفيد الخ... وواضح اننا نقصد هنا ابن مرزوق الخطيب (أو الجد) . وقد ولد مؤرخنا بتلمسان سنة 701 هـ / 1310 م ، ونشأ بها الى أن رافق أباه الى المشرق حيث أدى هذا الاخير فريضة الحج وبقي معتكفا هناك . أما الابن فقد رجع الى المغرب بعد أن أخذ عن عدد كبير من علماء المشرق ، وكان رجوعه الى وطنه سنة 733 هـ فصادف رجوعه هذا وجود السلطان أبي الحسن المريني (731 هـ ـــ 752 هـ / 1331 م ـــ 1351 م)الذي كان محاصرا لتلمسان [27] فاغتنم مؤرخنا هذه الفرصة واستغلها لتحقيق مآربه فتقرب من السلطان المريني الذي أولاه عطفه وتقديره نظرا لما كانت عليه أسرته من علم وثقافة ونبل ، فأسند اليه ـــ بعد وفاة عمه ـــ امامة المسجد الذي بناه بالعباد. فأخذ ابن مرزوق يمدح مخدومه ويشيد بذكره ، فزاده ذلك تقربا من أبي الحسن ، وارتفعت مكانته لديه وحظي بكبير ثقته ، فكانت النتيجة أن أصبح من ملازميه ومن خواصه الاقربين . فقام ابن مرزوق بمهامه هذه أحسن قيام ، وأخلص لرئيسه ايما اخلاص حيث رافقه في وقعة طريف [28]وترأس السفارة التي تفاوضت مع ملك قشتالة القونس الحادي عشر لابرام معاهدة صلح فوفق سفيرنا في مهمته [29] .

ولما توفي السلطان أبو الحسن المريني قدم ابن مرزوق إلى المغرب عله يسترجع لدى الملك الجديد أبي عنان مقامه السابق ، لكن الظروف لم تكن مواتية ، فقفل راجعا إلى تلمسان حيث أقام بالعباد . إلا أن الطموح السياسي وحب المغامرة والسيطرة على مناصب الدولة الرئيسية ، كل ذلك دفعه إلى استغلال ظروف أخرى حيث اتصل ببني عبد الواد وصار في خدمتهم إلى أن زجوا به في السجن ، لخذلانه وتآمره على سلطانهم . فلبث في السجن إلى أن التحق بالعدوة الأندلسية حيث عين خطيبا بمسجد غرناطة الأعظم . ونظرا للشهرة التي اكتسبها ولدهائه وثقافته الواسعة ،

---

(26) ص ، 2 .

(27) حول فتح تلمسان أنظر : ابن خلدون، **العبر**، 7 : 109 ، م. الزركشي ، **تاريخ الدولتين** ، ص 72 ـــ 73 ، ابراهيم حركات ، **المغرب عبر التاريخ** ، 2 : 44 ـــ 45.

(28) ـــ أنظر أحمد الناصري ، **الاستقصا** ، 3 : 134 ـــ 137 ، وابراهيم حركات ، المصدر السابق ، 2 : 49 ـــ 50 .

(29) أنظر ابن خلدون ، **التعريف** ، ص 48 .

ومهارته في خدمة الملوك ، استدعاه أبو عنان المريني سنة 754 هـ/ 1353 م بعد استرجاعه تلمسان وقربه منه ، حتى أصبح من خواصه ومن كبار أعضاء مجلسه . وبعد مدة بلغت أربع سنوات ، كلفه بمهمة شخصية عالية وهي الاتصال بالسلطان الحفصي أبي يحيى ليخطب منه ابنته التي كان أبو عنان يرغب في التزوج بها . لكنه لم يوفق في هذه المهمة ، فرجع خائبا . وقد قيل لأبي عنان أن السبب في هذا الفشل هو ابن مرزوق نفسه الذي قصر في الأمر ولم يستغل نفوذه ولا الوسائل التي كان في استطاعته أن يستعملها لانجاح المهمة . فثار أبو عنان وقبض على السفير وألقى به في السجن عقابا له وانتقاما منه ، فمكث فيه مدة تقرب من سنتين أطلق سراحه بعد انصرامها [30] .

ومع ذلك ، كعادته ، وكعادة معاصريه ابن خلدون وابن الخطيب لم يعتزل السياسة ، ولم يتعظ بهذه الأحداث التي نكبته وألحقت أضرارا خطيرة به . فعاود الكرة ، واستعمل حيله ونفوذه ودهاءه ، فتقرب من أبي سالم المريني بمجرد استيلائه على عرش أجداده ، فاسترجع سابق عهده وما كان له من نفوذ أيام أبي الحسن المريني ، لكن الأحداث السياسية والفتن الداخلية وتلاعب الوزراء بالسلطة واستبدادهم بشؤون الدولة ، كل ذلك عكر الجو الصافي الذي كان يعيش فيه ، ونغص حياته ، وأصابه في الصميم ، حينما قبض عليه ورمي به في السجن مرة أخرى ، وبقي إلى غاية سنة 764 هـ/ 1363 م ، وذهب إلى تونس حيث نزل على السلطان أبي اسحاق ابراهيم الذي عينه أولا خطيبا لجامع الموحدين ، إلى أنه عزل عنها سنة 773 هـ/ 1372 م ، فقرر مغادرة البلاد إلى مصر ، وظل هناك إلى أن توفي سنة 781 هـ/1379[31] .

هذه إذن هي تجربة ابن مرزوق ، تجربة قاسية مليئة بالأخطار ، ويتضح منها بكل جلاء الفرق بينها وبين تجربة ابن القاضي ، فبقدر ما كانت الأولى معقدة متشبعة تتداخل فيها عدة عوامل لتصوغها في قالب خاص ، بقدر ما كانت الثانية واضحة تعبر عن صاحبها باطمئنان ، ونخلص في الأخير إلى أن التجربتين سوف تنعكسان بقوة على المؤلفين ، فإذا كان **المنتقى** طابعه الوضوح والاختصار فإن **المسند** طابعه التشعب والتوسع .

ب ــ منهجيته في المسند :

لقد سبق أن قلنا ان ابن القاضي في **المنتقى** سار على منهج ابن مرزوق في **المسند** ، ونرى من الفائدة العلمية ابراز هذا المنهج ـباختصار كبيرـــ لنتمكن في الأخير من مقارنة الكتابين بعد أن قارنا الشخصيتين . يتضمن **المسند** زيادة على الديباجة والخاتمة خمسة وخمسين بابا كلها تدور

---

(30) نفس المصدر والصفحة .
(31) نفس المصدر والصفحة .

حول أصل وتاريخ الدولة المرينية ، ورغم كون الكتاب ألف من أجل الرجل الذي أحسن إليه فإنه مع ذلك شمل الدولة المرينية كلها بالعطف والتقدير وأثنى عليها بمزيد الاعجاب والاحترام ، كما أبرز من خلال ذلك صورا رائعة للحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية السائدة في عصره ، ولن ندخل في التفاصيل فذلك ما سنتركه للمقارنة ، ونكتفي الآن باعطاء الكلمة للرجل نفسه ليبرز منهجه من خلال استعراض أبواب وفصول كتابه :

المقدمـــة :

الفصـــل الأول : في حقيقة الخلافة لغة وشرعا

الفصل الثاني : اختلاف العلماء في الخلافة

الفصل الثالث : في فضل الخلافة

الفصل الرابع : في وجوب طاعة السلطان وتحريم عصيانه

الفصل الخامس : في تفصيل الحكام ، على المفتين والأئمة على الحكام

البـــاب الأول : في نسب بني مرين

الباب الأول (كذا) : في حسن خلقه واعتدال مزاجه

الباب الثاني : في تربيته

الباب الثالث : في الخصال المحمودة المتعلقة بذاته

وفيه فصول :

الفصل الأول : فيما كان عليه من حسن الشارة وكمال الهيئة

الفصل الثاني : في سلاحه الحربي

الفصل الثالث : في مطعمه

الفصل الرابع : فيما هو دليل الكمال من صحة الذكورية

الفصل الخامس : في تواضعه

الباب الرابع : في محافظته على الأعمال التكليفية

وفيه فصول :

الفصل الأول : في محافظته على أصول الاعتقاد

الفصل الثاني : في محافظته على الطهارة والصلاة

الفصل الثالث : في صيامه

الفصل الرابع : في صدقته وإيثاره

الفصل الخامس : في عمله اليومي والليلي

الباب الخامس : في إقامته العدل ومحافظته على الحدود

وفيه فصول :

الفصل الأول : في إقامته الحدود على من وجبت عليه

الفصل الثاني : عدله في القضايا على من ترفع عليه باطلا

الفصل الثالث : لما شرع في زيادة جامع العباد

الباب السادس : في رعايته آل البيت والقيام في ليلة المولد

وفيه فصول :

الفصل الأول : في محافظته على النسب الشريف

الفصل الثاني : تعرض رجل له في طلب شيء مدعيا الشرف

الفصل الثالث : في بذله الأموال الطائلة في فك من أسر من آل البيت وقضاء الدين عنه

الفصل الرابع : في مجاوزته عن أهل الشرف

الفصل الخامس : فيما يعطيه لهم

الفصل السادس : في عادته الجارية ليلة المولد الشريف

الباب السابع : في رعايته لأهل الله وجميل اعتقاده

وفيه فصول :

الفصل الأول : في حسن لقائه لهم ، وسيرته معهم

الفصل الثاني : في مذهبه زيارة الصلحاء الأحياء والأموات

الباب الثامن : في شدة خوفه ومراقبته ووقوفه مع الحق

الباب التاسع : في حسن ظنه بالله وقوة رجائه فيه

الباب العاشر : في ملاحظته لأحوال رعيته

الباب الحادي عشر : في حلمه

وفيه فصلان :

الباب السابع عشر : في بره بأبويه

وفيه فصول :

الفصل الأول : في فضل البرور

الفصل الثاني : في بره بأمه

الفصل الثالث : في بره بأبيه

الباب الثامن عشر : في رعايته لأهل ود أبيه

وفيه فصول :

الفصل الأول : في فضيلة هذه الخصلة الكريمة

الفصل الثاني : في قيامه بذلك ومحافظته عليه

الفصل الثالث : فيما يلحق بهذا الباب في رعيته وبره

الباب التاسع عشر : في رعيه لمن له سلف صالح

وفيه فصول :

الفصل الأول : في هذه الخصلة الكريمة

الفصل الثاني : فيما يحكى عن جدهم الملك أبي يوسف

الفصل الثالث : فيما حفظته من محافظة إمامنا على هذا الوصف

الباب العشرون : في محبته في العلم وأهله وإيثاره لمن اتصف به

وفيه فصول :

الفصل الأول : في فضل العلم

الفصل الثاني : فيما جاء في رعاية أهل العلم والبرور بهم

الفصل الثالث : في اختصاصه بهذه المنقبة

الباب الحادي والعشرون : فيما يؤثره من العلوم

وفيه فصلان :

الفصل الأول : فيما ورد في فضل الاشتغال بالحديث

الفصل الثاني : فيما شاهدناه من لحظه لهذا المعنى
الباب الثالث والثلاثون : في سؤله في الاستخار والرأي والمشورة

وفيه فصول :

الفصل الأول : فيما يدل على فضيلتها وطلبها شرعا

الفصل الثاني : في الآثار الواردة في هذا الباب والحكم والاناشيد

الفصل الثالث : في سيرة إمامنا في الاستخارة والمشورة
الباب الرابع والثلاثون : في ذكره وزرائه

وفيه فصلان :

الفصل الأول : روينا في **الصحيح**...

الفصل الثاني : كان لامامنا وزراء على سنته وطريقته
الباب الخامس والثلاثون : في جلسائه
الباب السادس والثلاثون : في كتابه

وفيه فصول :

الفصل الأول : في فضل خطة الكتابة

الفصل الثاني : في كتاب إمامنا ، كتابة الرسائل والبطائق

الفصل الثالث : كتاب الخراج والديوان وأهل الحساب والمساحة
الباب السابع والثلاثون : في تمهيد طريق الحج والعمرة

وفيه فصول :

الفصل الأول : في فضل هذين النسكين

الفصل الثاني : في فضل الزيارة

الفصل الثالث : في تمهيد سبيل الحج وبذله المعونة على ذلك
الباب الثامن والثلاثون : في أعماله في الجهاد والغزو

وفيه فصول :

الفصل الأول : اما الآيات الواردة في الباب الخ ...

الفصل الثاني : اعلم أن إمامنا كان أشد ملوك الأرض قياما بهذا الغرض بنفسه وماله

الفصل الثالث : في عمله في حربه وسلمه مع المجاور له صاحب قشتالة

الفصل الرابع : وأما ما يتعاهد به سلطان الأندلس ويمده به من الأموال الخ...

الفصل الخامس : وهو عنوان ضخامة ملكه وكبر قدره وقدر أعماله الجهادية

الباب التاسع والثلاثون : في إنشاء المحارس والمناظر في جميع بلاد السواحل

وفيه فصول :

الفصل الأول : في فضل الرباط والحراسة

الفصل الثاني : في إنشائه المحارس والمناظر

الفصل الثالث : في إنشائه الابراج

الباب الأربعون : في بنائه الجوامع والصوامع

وفيه فصلان :

الفصل الأول : فيما ورد في فضل بناء المساجد وعمارتها

الفصل الثاني : في اهتمامه ببناء ذلك وانفاقه فيه الأموال الجسيمة

الباب الحادي والأربعون : في إنشائه المدارس

وفيه فصلان :

الفصل الأول : في فضيلة نشر العلم وبثه

الفصل الثاني : في إنشاء المدارس في المغرب غير معروف

الباب الثاني والأربعون : في إنشائه الزوايا

وفيه فصول :

الفصل الأول : في ثواب هذه الأعمال

الفصل الثاني : اما تخاذه الزوايا

الفصل الثالث : وهذه الزوايا هي التي يطلق عليها في المشرق الربط والخوانق

الفصل الرابع : في وجه مشابهة أهل الزوايا أهل الصفة

الباب الثالث والأربعون : في بناء المارستانات
الباب الرابع والأربعون : في إنشائه القناطر والجسور

وفيه فصلان :

الفصل الأول : لا تمر في بلاد المغرب بسقاية ولا مصنع إلا من إنشاء أبي الحسن

الفصل الثاني : وأما القناطر ...

الباب الخامس والأربعون : في حنوه على الايتام وشفقته عليهم

وفيه فصلان :

الفصل الأول : قال الله : ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾

الفصل الثاني : ما أجراه من الجرايات لسائر الايتام مما يغنيهم عن التكفف والعالة
الباب السادس والأربعون : في رعايته الشيوخ ومن غلب سنه

وفيه فصول :

الفصل الأول : فيما يدل على ذلك

الفصل الثاني : فيما جاء ما يدل على الاستعاذة من الكبر والهرم

الفصل الثالث : كان مولانا أشفق خلق الله على من علت سنه
الباب السابع والأربعون : في تمهيد طرق المسافرين

وفيه فصلان :

الفصل الأول : تأمين السبيل

الفصل الثاني : كان العمل عند إمامنا من أهم الأعمال ...
الباب الثامن والأربعون : في توكله على الله عز وجل

وفيه فصول :

الفصل الأول : التوكل مقام الأولياء ، وشعار الانبياء

الفصل الثاني : في اعتماده على الله قولا وفعلا

الفصل الثالث : في عدم استكثاره ما يخرج من خزائنه وينفقه في العطاء والبذل

الفصل الثالث : فيما أولاني من المبرة والكرامة

الفصل الرابع : فيما قابلني به مما دلني على منزلتي لديه

الفصل الخامس : فيما تحمله من جهالتي

الفصل السادس : في جميل ظنه

الفصل السابع : في ذكر فراقي له

الفصل الثامن : في تمهيد اعذار عن أمور وقعت في هذا التأليف

ج ـ الملاحظات العامة حول المصدرين :

ــ لقد كتب ابن القاضي المنتقى والمنصور بالفعل في السلطة ، فهو إذن مجرد اعتراف بالجميل ، أما ابن مرزوق فقد كتب مسنده في سلطان كان قد توفي وتلاحق بعد وفاته عدد من السلاطين ووقع له ما وقع له أثناء هذه الفترة : « ...وعرضت بين وفاته (أبي الحسن) ــ رضوان الله عليه ــ وزمني الآن ، عوارض امتحان ، وتقلبات أزمان ، واختلاف أحوال ، وظعن وترحال ، وكابدت فقد الاقران ، وقلة الاخوان ، وجفوة الأوطان ، وجهر السلطان ، وكان من الأمر ما كان ... »(32) ، فهو إذن يثير الانتباه إلى هذه الوضعية .

ــ يمتاز ابن مرزوق في المسند عن ابن القاضي في المنتقى برصانة أسلوبه وقوته ، فقد برهن المؤلف عن مقدرة كبيرة في التنظيم والتنسيق وربط الأحداث وحسن التخلص من باب إلى باب . لا تعقيد في ذلك ولا تكليف ، ولا صناعة لفظية طاغية على الأفكار والمعني كما هو الشأن بالنسبة لمعاصره ابن الخطيب . فقد جاءت تراكيبه وجمله سهلة ممتنعة ، خالية من الزخرف والتمنيق والسجع المقيت المتكلف .

ــ التزام ابن مرزوق بالموضوع أكثر من ابن القاضي ، فاستطرادات ابن مرزوق قليلة إذا ما قورنت باستطرادات ابن القاضي الذي ينصب نفسه أستاذا موسوعيا يعطي دروبا في جميع العلوم .

ــ استعرض ابن مرزوق جل أفراد الأسرة المرينية في حين اقتصر ابن القاضي على المنصور وأبيه .

ــ كلاهما أورد لائحة بأسماء شيوخه والمعارف التي أخذها عنهم في إطار تثبيت الشخصية .

(32) ص : 2 .

ــ غزارة معارف ابن مرزوق ، ويكفي أن نقارن بين بعض فصول **المسند والمنتقى** لنتأكد من ذلك .

ــ كلاهما بالغ في وصف دولته والافراط في مدحها .

ــ كلاهما تعمد عدم ذكر بعض الشخصيات من ملوك وعلماء ، فقد رأينا أن ابن القاضي أعرض عن ذكر كثير من الشخصيات ووضحنا أسباب ذلك ، أما ابن مرزوق فيكفي أن نذكر أنه تعرض لأبي عنان بقدر كبير من الايجاز رغم أنه يعتبر من أعظم ملوك الدولة المرينية ولعل السبب يرجع إلى ما لقيه مؤرخنا على يده من محن .

ــ كلاهما كان متعاليا في نظرته فلم يهتما بلفئات الدنيا من المجتمع .

ــ إن الخبرة السياسية الطويلة التي اكتسبها ابن مرزوق جعلته يصوغ كتابه في شكل يجذب إليه بسرعة السلطة والعامة على السواء ، فالسلطة ترى فيه خبيرا ومحنكا سياسيا يمكن أن تستغله ، والعامة ترى فيه عالما يجب الاستفادة من علمه ، وهو بهذا الشكل أحاط نفسه بهالة من الاحترام والتقدير جعلته يستغلها لتحقيق مآربه . أما ابن القاضي فهو مجرد فقيه يكتب كما يكتب الفقهاء يعظ العامة ، ويشكر الخاصة ، ويبقى عند هذا الحد ، وحتى إن طمع في منصب ما فان هذا المنصب لا يتجاوز منصب قاضي مدينة صغيرة أو متوسطة .

ــ كلاهما استخدم نفس المحاور للدفاع عن دولته : الشرف ، الجهاد ، القدرة والكفاءة .

فإبن القاضي يؤكد كلما أتاحت له الفرصة شرف السعديين وبأحقيتهم بالخلافة على جميع العالم الاسلامي ، وابن مرزوق يؤكد هنا أيضا شرف بني مرين إذ يقول : « ...لا نزاع في أنهم أشرف قبائل المغرب وفاقا بين المؤرخين وأنهم وارثو ملك المغرب الأقصى وقد ورثوا ملك المغرب الأوسط ، وقد وقع بين النسابين من المؤرخين من الاختلاف في نسب زناتة ما لا يخفى عن ذي مشاركة ... مما وقفت عليه أن زناتة من ذرية قيس غيلان من غير نزاع في ذلك ولا خلاف ممن يعتمد عليه ...وقد ذكر الكلبي صنهاجة وزناتة أو كتامة في العرب ... » (33) وابن القاضي يؤكد جهاد المنصور ويذكر بهذا الصدد معركة وادي المخازن وفتح السودان ، وابن مرزوق يذكر جهاد ابي الحسن خاصة في الأندلس .

ــ يلاحظ من خلال **المسند** كثرة المدارس التي شيدها المرينيون في حين نلاحظ فراغا مهولا بالنسبة **لمنتقى** السعديين ، ويرجع هذا إلى أن السعديين لم يشيدوا مدارس بل اكتفوا بتجديد

---

(33) ص : 15 .

المدارس التي كانت ماثلة منذ أيام بني مرين .

ــ كلاهما توسع في ذكر حاشية السلطان ووزرائه وكتابه وقواده ، كما توسع في ذكر الشعراء والفقهاء والمتصوفة ، وذلك كله يدخل في إطار واحد وهو إبراز حركية الدولتين من الناحية العلمية ، وإبراز دور السلطان في هذه الحركية العلمية .

ــ أورد ابن مرزوق فصلا خاصا يتعلق بتربية أبي الحسن في حين نجد أن ابن القاضي أعرض عن ذلك بالنسبة للمنصور فما هو السبب إذن ؟ لعل السبب يرجع إلى أن تربية المنصور لم تكن فيها خصائص معينة تميزه ، بل إن التاريخ يسجل له هفوات قبل توليه السلطة وهذه رسالة من أخيه عبد المالك ، عندما كان خليفة له في فاس ، توضح ذلك : « ...أما بعد فاعلم أني لا أحب أحدا بعد نفسي كمحبتي لك ، ورغبتي في انتقال هذا الأمر بعدي إليك لا لغيرك ، غير أني اعتاد منك التراخي في الأمور حتى إنك لا تبالي بعظيم الأمر ولا تعتبره ، إلى أن يتطرق إلى ما لا يتلافى جبره ، من الأمور التي تكاد ــ لولا لطف الله ــ تذهب بهذا الملك وتهد أركانه ، ويبلغ العدو معها مناه ومراده ، من ذلك التراخي اهمالك أمر الجند الذي بالعرائش ، واغفالك له مع ما يترادف عليك في كل ساعة من تلقائه من استدعاء ما دعت الحاجة اليه من المئونة والبارود والرصاص الذي لا يستقيم لهم أمر في مقاومة العدو دون ذلك ، وجعلت تقابل خطابهم بالاهمال وعدم المبالاة ، والآن ساعة يرد عليك كتابنا هذا قبل وضعه من يدك ابعث اليهم مؤنة عشرة أيام بينما نصل إن شاء الله فيقع التدبير فيما يحتاجون اليه زائدا على ذلك مع ما عندكم هنالك من البارود والرصاص من غير عطلة ولا تراخ بحيث لا نقبل منك عذرا في هذه المسألة التي لا تحتاج إلى الاهمال ، ولا بد ولا بد ، فقد بلغنا أن صاحب النصارى بقرب أصيلا في خمس عشر مائة من النصارى ، وتمنيت أن لو حركتك الهمة للاقتحام عليه في مكانه بجيش تكسوه أردية الصغار ، ويرجع ساعة رؤيته إلى عادته من الذل والفرار ، فانتبه من الغفلة وافتح عين الانتباه واليقظة ، فإن الساعة لا تقتضي إلا الحزم ، والتشمير عن ساعد الاجتهاد والعزم» (34) فالرسالة تدل إذن على تراخي المنصور في فترة من أخطر فترات تاريخ المغرب وهي الفترة التي سبقت وقوع معركة وادي المخازن ، فهو تنبيه صارم . ولا شك أن ابن القاضي كان يعرف الكثير من هذا القبيل عن المنصور ، فمن المحتمل أن نفسر عدم تخصيصه لفصل يتعلق بتربيته بمحاولة تجنبه التعرض لمثل هذه الهفوات .

ــ **الملاحظة الأخيرة :**

كلاهما كفر عن اطرائه ومدحه لدولته بالانقطاع الى التدريس الى حين وفاته .

(34) أنظر أحمد الناصري ، المصدر السابق ، 5 : 66 ــ 67 .

2 — بين المنتقى والمناهل :

قبل التطرق إلى المقارنة بين **المنتقى والمناهل** نبدي ملاحظتين أساسيتين :

الملاحظة الأولى : نشير إلى أن المقارنة ستنصب أساسا على الجزء المعثور عليه من **المناهل والمنتقى** ، على أنه ان كنا نتوفر على الجزء الأكبر من **المنتقى** فإن العكس تماما بالنسبة **للمناهل** ، إذ يبدو أننا لا نتوفر إلا على جزء يسير منه (35).

الملاحظة الثانية :

إن وضعية الرجلين تختلف تماما ، فالفشتالي مؤرخ رسمي للدولة مطلع على أسرارها ، فهو مطالب إذن بأن يكون الكتاب في مستوى إمكانياته أما تأليف ابن القاضي فهو مجرد اعتراف بالجميل للمنصور ، ويجب أن يدخل في هذا الاطار ، فهو لم يقصد به تاريخ الدولة لأن صديقه الفشتالي كان يقوم بهذه المهمة . وما دام الجزء المعثور عليه من المناهل يتعلق أساسا بحياة المنصور فقد كان من المنتظر أن يسير الرجلان في نفس الطريقة والاتجاه بحكم المعاصرة والاتصال بالبلاط ، وبالتالي فقد كان من المنتظر أن يكرر أحدهما قول الآخر . لكن الواقع يثبت غير هذا ، فكلاهما ينفرد بأشياء لا توجد في الآخر إلى الدرجة التي نستطيع معها أن نقول إن أحدهما لا يمكن أن يعوض الآخر .

ولنبدأ **بالمناهل** لنخلص بعد ذلك إلى **المنتقى** .

ما يمتاز به المناهل عن المنتقى ؟

— قوة أسلوب الفشتالي ورصانته ولا غرابة في ذلك فالرجل شاعر أديب اعترف له بالسبق معاصروه ، ومنهم المنصور الذي قال فيه : « إن الفشتالي نفتخر به على ملوك الأرض ونباري به لسان الدين ابن الخطيب » ، وهو بهذا يفوق **منتقى** ابن القاضي الفقيه .

توسعه في المعلومات التاريخية بحكم وظيفته ، وقد أبدع في ذلك أيما إبداع . أما ابن القاضي فإن الهدف كان بالنسبة له دائما هو إبراز عظمة المنصور بدون الدخول في التفاصيل .

— اهتمامه بأحداث أوروبا الغربية ، في حين أعرض عنها ابن القاضي رغم أنه سافر

---

(35) ذكر المقري في **النفح** ، 7 : 82 ، إنه يتكون من 8 مجلدات ، كما ذكر في **الروضة** ، ص 162 ، وهو بصدد الحديث عن مؤلفاته : « ...**مناهل الصفا** المشتمل على عدة أسفار ، أجاد فيها غاية الاجادة ، وذكر ما اشتملت عليه الدولة الأحمدية من الاعلام ، وكذا ما يسر الله لها من الفتوحات التي لم يوجد مثلها في ملوك الاسلام ، أخبرني أنه ذكر في فتح السودان فقط ما تحمله سفر ضخم ، فما ظنك بغيره... » .

وتجول ، بل وأسر من طرف الأوروبيين .

ما يلتقي فيه المناهل والمنتقى :

أ ـــ نفس محاور الدفاع عن الدولة السعدية الموجودة في **المناهل** توجد كذلك في **المنتقى** وتتلخص في :

1 ـــ التأكيد على أحقية السعديين في الخلافة لشرفهم .

2 ـــ التأكيد على دورهم القيادي في الجهاد ، وذلك بفتح السودان ، وتهيىء الاستعدادات لاسترجاع الأندلس .

3 ـــ قوة المنصور وكفاءته في القضاء على الثورات .

ب ـــ الاعتناء بالناحية الفكرية : كلاهما أثبت نصوص إجازات معينة ، وتعرض للعلوم التي أخذها المنصور ومدى اعتنائه بالعلماء ، واعتنى بتسجيل قصائد عدد من الشعراء السعديين .

ج ـــ الغلو في مدح المنصور ومحاولة تبرير أعماله .

د ـــ عدم الاهتمام بالطبقات الشعبية .

ما يمتاز به المنتقى عن المناهل :

ليس غرضنا في هذه النقطة استعراض جميع الجوانب المهمة في **المنتقى** ، فهذا الشيء يستطيع القارىء أن يلمسه من خلال الدراسة والتحقيق ، ولكن المقصود فقط هو إثارة الانتباه إلى بعض هذه الجوانب المهمة ، وهكذا نجد في **المنتقى** :

ـــ نص وثيقة الوقف المشتمل على عقارات كثيرة أوقفتها أم المنصور عودة بنت أحمد الوزكيتي على المسجد الذي أنشأته بباب دكالة وفيها أنها أوقفت : « جميع السبعين حانوتا غير نصف حانوت الواجبة لها في نصفها من القيسارية المشتركة بينها وبين مساكين المارستان المخترعة لها وسط سوق الحضرة المراكشية دون البقعة المتصلة بقبلتها وجميع بيت الأرحى الجديدة المخترعة لها على وادي تسلطانت القريبة من أرحى أولاد الامين محمد بن قاسم القسطلي وأولاد التاجر عبد الله التناجرفي ، المشتمل على أربع مدارات مع جميع داره المبنية له ... » (36) .

وأهمية هذه الوثيقة تكمن من جهة في تبيين الاملاك الوقفية في المنطقة والجهات التي

---

(36) ص : 258.

حبست عليها ، وتكمن من جهة أخرى فيما تزودنا به بصفة غير مباشرة من معلومات عن اقتصاد حي من أحياء مراكش ومورفولوجيته حين ورد عند الوصف ذكر أسماء عدد من الأماكن ومن التجار ، وهي وثيقة ، رغم صغر حجمها ، مثال على ما لمثل هذه الوثائق الوقفية من أهمية في تاريخ البنية الحضرية لحواضر المغرب .

ــ ونجد في الباب الرابع وصفا لمهرجان ليلة المولد النبوي بحضرة الخليفة ، وما يقرأ فيها على التوالي من آي القرآن الكريم ، وكلام ابن عباد وقصائد المدح ، والمقطعات الشعرية ، ويفيدنا ابن القاضي ــ تاريخيا ــ ان عادة إحياء ليلة المولد النبوي بالقراءة والانشاد كانت قد انقطعت من المغرب منذ عهد بن مرين إلى أن أحياها المنصور (37) ، ويحدد المبالغ التي كان يعطيها المنصور للشعراء آخر الحفل : « ...حتى أنه ينفق في ذلك اليوم من الأموال مالا يحصى كثرة ويعطى كلا على قدره من ثلاثمائة إلى خمس آلاف أوقية ، وقد أنال الفقيه النحوي أبا العباس أحمد الزموري ذات سنة نحو من خمس آلاف أوقية ، وأنا له جنانا بمراكش وأرض حرث وغير ذلك ... »(38) ، وعندما يتحدث ابن القاضي عن اهتمام المنصور بالعدل للنظر في المظالم فيذكر أنه كان : « إذا صلى الجمعة تارة يجلس بمقصورة المسجد وتارة عند ضريح والده ــ قدس الله روحه ، وأسكنه فسيح جناته ــ وتارة بقبته الخمسينية التي شادها في بديع أنسه للشكاية ، فتعرض عليه في المواضع المذكورة القضايا ، وترفع له هناك الشكايا ، فيقضي بعدله وقسطه ، ولا يخرج عنه في حالتي قبضه وبسطه ، وربما يعرض عليه شيء منها في أيام الديوان : السبت والاثنين والأربعاء ، بل لابد وأن يعرض عليه منها في كل يوم (39) .

ــ ثم يقدم بعد ذلك أسماء بعض العلماء والكتاب والوزراء الذين كانوا محل ثقة الخليفة ليتولوا عنه النظر في شؤون المظالم مثل المفتي عبد الواحد السجلماسي ، وقاضي القضاة بمراكش قاسم الشاطبي والفقيه علي بن سليمان التاملي ، والكاتب عبد العزيز الفشتالي ، والشاعر محمد بن عمر والقائد ابراهيم السفياني .

---

(37) أول من جعل من عيد المولد النبوي عيدا رسميا بالمغرب يحتفل به في سائر البلاد هو أبو يعقوب يوسف سنة 1291/691 ، وكان هذا الاحتفال يدخل في إطار سياسة المرينيين تجاه الأشراف ، وقد ظلت هذه السياسة بين مد وجزر إلى حين تولي السلطان أبي سعيد الثالث (800 ــ 1398/823 ــ 1420) الذي أزال مراسيم الاحتفال بعيد المولد النبوي على الصعيد الرسمي .

وقد أحيا المنصور الاحتفال بهذا العيد كما يذكر ابن القاضي هنا . والجدير بالذكر أن التقاليد التي نحتفظ بها إلى يومنا هذا فيما يتعلق بهذا الاحتفال ترجع إلى أيامه ، فقد أعطى له روعة ومظهرا فنيا حيث تعرض الشموع الضخمة المزخرفة والتي تقتصر في الوقت الراهن على مدينة سلا .

(38) ص : 375 ــ 376.

(39) ص : 409

ـ مقارنة الأحوال الاقتصادية بالمغرب بالأحوال الاقتصادية بالمشرق العربي فيذكر بصدد أعمال المنصور في هذا الميدان : « وقد رفع ايضا في اقطار ملكه عن رعيته الامكاس كلها كأعشار السلع في المراسي والأبواب وغير ذلك من الوظائف السلطانية التي عمت سائر البرايا ، وعظمت بها البلايا ، مما هو في سائر البلاد ، فمن ذلك أن كل وافد على الاسكندرية يعطي عشر ما بيده وعشر عشره من السلع ، وكذلك أيضا كل خارج منها . ومثله في مرسى جدة وسائر البلاد المشرقية وغيرها . فمن وقف على ذلك يعلم صحة ما قلنا [40] .

ـ نجد في الباب الرابع والعشرون صورا دقيقة للعلوم التي أخذها اثناء رحلته للشرق ، وكيفية معاملة الأتراك للعرب ، ونصوص إجازات مثل إجازة نصر الدين القرافي [41] و إجازة احمد المنجور بفاس [42] .

ـ ونجد في الباب الخامس والعشرون صورا من الاستقرارالاجتماعي السائد في عهد المنصور : «اعلم ان مخدومنا اولى ما صرفت اليه همته العلية تمهيد الطرق على المسافرين بمنازل وخيام امر بسكانها على الطريق ، بين المنزلة و المنزلة ما يقرب من اربعة وعشرين ميلا ، يسكنها اهل البادية ، فقد اجرى لهم على ذلك من اقطاع الأرض ما يكفيهم ثوابا لهم على سكناهم هناك وامرهم ببيع الشعير ، والطعام ، واللحم ، والعسل وغير ذلك مما يحتاج اليه المسافر ودوابه ... » [43] .

نستنتج من هذا إذن أن **المنتقى** يحتل مكانة هامة من بين المصادر التاريخية المغربية ، وأن لا غنى للدارس عنه ، لما يبرزه من تطورات سياسية وحضارية واجتماعية خاصة وأن وجوده أغنانا عن الرجوع إلى المصادر الأخرى التي نقلت عنه ، كالمقر في **روضة الآس** ، والأفراني في **النزهة** ، والزياني في **الترجمان المعرب** ، واكنسوس في **الجيش العرمرم** ، والناصري في **الاستقصا** .

* * * *

عاشرا : النقد التاريخي

هناك مسألتان جوهريتان تستوقفان الدارس وهو بصدد استغلال تلك المجموعة الضخمة من الأخبار التي يحتوي عليها **المنتقى** .

---

(40) ص : 357.
(41) ص : 799.
(42) ص : 777.
(43) ص : 827.

المسألة الأولى :تتعلق بالمحتوى التاريخي .

المسألة الثانية : تتعلق بالتحقيق التاريخي .

فيما يتعلق بالمسألة الأولى : نطرح السؤال الآتي :

ما وزن ما يقدمه المنتقى من معلومات بالقياس الى ما يتركه ؟

إن أهم نقد يوجه إلى المؤرخين المغاربة والعرب بصفة عامة يوجه إلى الكيفية التي يتصورون بها التاريخ ، فهم لا يهمهم في كتاباتهم إلا شيء واحد هو مصدر السلطة في البلاد أي السلطة الملكية والمبالغة في وصفها بالمدح ، وفي هذا الصدد يقول ليفي بروفنسال : « ... ولا حاجة الى القول أن هذا القسم من المؤرخين المتمتعين برضى الحكام يجافون النزاهة والصدق ، ولذا ينبغي أن نقرأ مؤلفاتهم بحذر شديد لأنها مليئة بالتحريف ، وتكيل التملق بالمكيال الأوفى بحيث قد تجعل من أشد السلاطين فجورا وبطشا ، سلطانا مثاليا » (44) ، ويقول في مكان آخر : « وفي الختام يجدر أن نلاحظ أن أصحاب المدونات التاريخية يقتصرون على الاهتمام بالسلطة الملكية وما يحيط بها فحسب ، وأنهم يهملون عن قصد تاريخ البلاد الداخلي الشعبي الذي يدور حول زوايا المرابطين والطرق الدينية ، وقد يكون ذلك اعتبارا للرعاية والاكرام الواجبين لذوي الحكم ، ومراعاة للصراع الخفي والصريح بين السلطة المركزية الملكية وبين الرؤساء الدينيين ذوي النفوذ الواسع لدى عامة الناس » (45) .

وغير خاف ما في هذا النقد من خطورة ، إذ أنه يضع في ميزان الشك القيمة الاخبارية لكتبنا التاريخية التي هي من صنف المنتقى .

وتتوالى الانتقادات من هذا الجانب أو ذاك وتدور كلها حول نفس النقطة ويمكن للدارس أن يبرز صحة بعض هذه الانتقادات شريطة أن يوضح مدى خطورتها وان يعين موقعها بالنسبة للمجموع .

وهكذا فأول ما يقال بصدد النقد والاعتراض : إن التواريخ من هذا الصنف ـــ صنف المنتقى ـــ هو تاريخ الملوك والوزراء والولاة فأين هو تاريخ الشعب ؟ لا شك أن مثل هذا القول يترجم رد فعل مشكور من حيث المبادىء ، ولكن المقام يقتضي الانصاف عند الحكم به ، كما يقتضي ألا نستعمل مقاييس عصرنا الذي صار التطور فيه حثيثا في جميع المستويات ، لنطبقها على عصر كعصر المنصور ، فقد يغيب أحيانا عنا أهمية عامل التطور في تعاقب العصور ،

(44) مؤرخو الشرفاء ، ص 49 .
(45) المصدر السابق ، ص 53 .

فنتخيل بكل سهولة أن الأموز كانت تسير كما لو كان هناك من جهة حكم قائم ، ومن جهة أخرى شعب يتحرك ويتتبع يوميا القرارات التي يتخذها أهل الحل والعقد والتي ستؤثر على مصيره ، ورأي عام منتبه للأحداث يعبر عن شعور السكان بأجمعهم .

إن الانتقادات الموجهة إلى كتب من صنف **المنتقى** بدعوى أنها لا تقدم لنا التاريخ السياسي للشعب بما ينبغي من التوسع والتفصيل إنما هي انتقادات مبنية على افتراضات وهمية ومسلمات غير صحيحة ، خاصة وأن مؤرخينا لم يهملوا بتاتا الاشارة إلى ردود الفعل الشعبية التي كانت تحدث في النطاق المحلي في شكل ثورات أو حركات عصيانية ، كما فعل المؤرخ الفشتالي في **المناهل** (46) .

وينتج عن هذا إذن أن فكرة تعادل القوى بين الحاكم والمحكوم ، التي يمكن أن نطبقها بكل سهولة على مجتمعاتنا الحالية دون أن نخشى أي شطط في حكمنا قد يؤدي بنا إلى الخطأ والبعد عن الحقيقة التاريخية إذا نحن أردنا أن نستعملها بدون تمحيص لتصوير العلاقات التي كانت قائمة آنذاك بين الدولة المسيطرة وجماهير الشعب .

نعم هناك انتقاد يمكن أن نوجهه لابن القاضي في **المنتقى** ، فهو حينما يقوم بعرضه التاريخي لا يعطينا أدلة كافية تجعلنا نجزم بأنه يتوفر على ملكة التفسير التاريخي ، فهو لا يدرك دائما الصورة المناسبة للربط بين الأحداث ، ولا يدرس دائما بكامل الوضوح عناصر كل حالة مع تقديم المعلومات الضرورية عنها ، كما أنه لا يتتبع دائما حسب منهاج مسطور تطور مشكلة من المشاكل من بدايتها إلى نهايتها ، وهكذا يسدل ستار النسيان على عناصر مهمة جدا أو يكتفي في شأنها بتلميحات موجزة إن لم تكن غامضة(47) .

---

(46) نضيف إلى ذلك أن ابن القاضي نفسه وإن ألف **المنتقى** في المنصور فإن كتب التراجم التي ألفها فيما بعد (**درة الحجال ــ جذوة الاقتباس ــ لقط الفرائد**) قد اهتمت بأخبار العلماء والصلحاء والمجاهدين والكتاب والشعراء والمؤلفين ، وحتى الموظفين من قضاة ومتحتسبين ونظار وقواد وكذلك الفنانين من موسيقيين ووراقين .

(47) نذكر على سبيل المثال ما ذكره عن ابن الخطيب ، : « توفي ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب السلماني بسجن فاس مخنوقا... » بدون إعطاء أية إيضاحات تتعلق بالموضوع ولا إبداء الرأي في ذلك .

وعند تعرضه لقضية المعتمد بن عباد : « ...وتوفي في سجن يوسف بن تاشفين بأغمات... » لم يحاول أن يضع القضية في إطارها التاريخي ، وكان من الممكن أن يفيدنا في ذلك .

وكذلك فعل عند تعرضه لقضية القاضي عياض : « ...وحدثني شيخنا أبو العباس أحمد بن علي المنجور أن عياضا لما جيء به مغلولا من سبتة إلى مراكش... » .
=
ملاحظة :

المسألة الثانية : التحقيق التاريخي ، أي ما مدى صحة المعلومات التي أتى بها ابن القاضي ؟ في هذا المجال نسجل ملاحظتين أساسيتين :

أ ــ سجل ابن القاضي نوعين من الأحداث : أحداث شاهدها وعاصرها ، وأحداث أخرى استقاها من مصادر مكتوبة أو عن طريق السماع ، إذن فمن هذه الناحية يمكن الاطمئنان إلى هذه المعلومات بحكم المعاصرة والسماع المباشر .

ب ــ يجب مراعاة الظروف التي كتب فيها ابن القاضي **المنتقى** ، إذ أنه كتبه في غمرة الاعتراف بالجميل للمنصور مما يجعله لا يبقى باستمرار في المستوى المطلوب من الموضوعية والتجرد .

إنه رغم كل ما قيل لا يجب أن نتسرع في الحكم على ابن القاضي في **المنتقى** ولا على الفشتالي في **المناهل** ، ويجب قبل كل شيء أن نحاول تفهم الوضعية التي كان يوجد عليها المؤرخ آنذاك ، هل كانت لديه كامل الحرية لينقل إلينا الحقيقة التاريخية كما كان يكتشفها ؟ ألم يكن يشعر بأنه تحت رقابة الحكام الذين لن يتوانوا في معاقبته أشد العقاب إذا ما لاح منه أي انحراف بالنسبة إليهم ؟ بل وأكثر من هذا : هل كان في مستطاعه أن يكون رجلا مستقلا ليس له أي ارتباط ولا يخضع لأي ضغط أو أي تأثير ؟

إن المثقف كان مرتبطا بالدولة من الناحية المادية ، إذ هي التي كانت تضمن له مركزه في المجتمع وتشجعه ، وتمكنه من أسباب الشهرة ، وتفسح له المجال للاتصال بالجمهور ، لذلك فليس من النادر أن يكون المؤرخ من أولئك المحظوظين الذين لهم ارتباط بالبلاط .

وفي بعض الأحيان كانت المبادرة تأتي من الملك نفسه ، والمؤرخ إنما يكون منفذا لارادته وهو يعلم أن كتابه سيجلب له جائزة ولربما فسح له الطريق للتوصل إلى إحدى المناصب السامية في البلاط ، وكيف يمكنه في مثل هذه الظروف أن يوفق بين رغبته في الكتابة الموضوعية وبين الهوى الذي يتولد في نفسه عن المصلحة الشخصية والطموح ؟

ولننظر إلى المسألة من جانب آخر ، فنتساءل :

لو لم توجد في تلك العهود تشجيعات الملوك ومبادراتهم ، هل كان يقدر لهذه الكتب التاريخية أن تؤلف ؟

= حاولنا أثناء التحقيق إعطاء الايضاحات المتعلقة بجل القضايا التي تعرض لها ابن القاضي ، وأبدينا رأينا في بعضها .

وهذا التساؤل لا يجوز التهاون بشأنه ، فنحن نعلم الأثر الذي كان لتشجيعات أولى الأمر وجوائزهم في العالم الاسلامي لبروز عدد مهم من المؤلفات القيمة ، سواء في التاريخ أو الأدب أو الطب أو غير ذلك ، بحيث يمكن القول أن السلطة الحاكمة كان لها بوجه من الوجوه نصيب من الفضل في المحافظة على تاريخ بلادنا مهما ظهر لنا فيه اليوم من نقص .

نستخلص من هذا أخيرا أن **المنتقى** رغم ما يوصف به من الغلو في المدح والافراط في الوصف بالنسبة للمنصور فإنه مع ذلك يحتوي على معلومات قيمة وأساسية لدراسة تاريخ المغرب في العصر السعدي ، وأنه إنما وجد بهذا الشكل لأسباب تتعلق بالظروف التي ألف فيها فالكتاب إذن صورة صادقة للاستقرار الاجتماعي والازدهار الفكري في عهد المنصور ، وهذا ما سنبينه في الفصل الثالث من هذه الدراسة .

★ ★ ★

★ ★

★

الفصل الثالث

جوانب من الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية في عهد المنصور من خلال المنتقى

منهج البحث :

المبحث الأول : جوانب من الحياة الاجتماعية في عهد المنصور.

ويقسم إلى مطلبين :

المطلب الأول : حفظ الأمن الداخلي.

ويضم :

أ ـــ **مميزات الثوارات في عهد المنصور .**

ب ـــ **وسائل المنصور للحفاظ على الأمن الداخلي .**

ج ـــ **آثار الاستقرار الاجتماعي على الحياة الاقتصادية .**

د ـــ **مقارنة الاستقرار الاجتماعي في عهد المنصور بالاستقرار الاجتماعي في كل من الامبراطورية التركية واسبانيا .**

المطلب الثاني : فئات المجتمع المغربي في عهد المنصور .

المبحث الثاني : جوانب من الحياة السياسية والفكرية في عهد المنصور .

المبحث الأول
جوانب من الحياة الاجتماعية في عهد المنصور

المطلب الأول
حفظ الأمن الداخلي

جابه المنصور أثناء حكمه مشاكل تتعلق بالأمن الداخلي وصل بعضها إلى درجة الخطورة ، لكن على العموم كان جهاز الأمن في عهده حازما ومضبوطا إلى القدر الذي يجعله يتصرف دائما من مركز قوة ، وذلك لاستخدامه وسائل كانت في مجملها ناجعة .

أ ــ مميزات الثورات في عهد المنصور :

الميزة الأولى
تدخل الأجانب في بعض هذه الثورات

من الملاحظ أن العديد من الثورات كانت هناك للأجانب يد فيها ، خاصة الاتراك والاسبان ، مما جعلها تكتسي شأنا خطيرا ، نظرا لأنها تستهدف السلطة الرسمية نفسها ، أي أنها كانت تريد تعويض حاكم بحاكم آخر .

وفي هذا الصدد نذكر :

ــ ثورة داود عبد المومن بسوس ضد عمه المنصور في شعبان 987 هـ / اكتوبر 1579 م : (ساء ظنه بعمه ، واتصلت به العصابة التي كانت من أصحاب عمه المعتصم بالله ، فأظهروا له الميل إلى جانبه وجعلوا يوسوسون إليه ويقلون إليه الأقاويل ويبثون في آذانه الالاق ، فتمكنت منه وساوسهم وانطوى على النكث والغدر ، وجعل يرتقب في ذلك فرصة ينتهزها ، وفلته يجدها فيغتنمها ... »[1] . وتؤكد الوثائق التاريخية المعاصرة أن داود بن عبد المومن كان يسعى إلى

(1) انظر ع . العزيز الفشتالي، **مناهل**، 30 .

الوصول إلى درعة والصحراء المغربية الشرقية من أجل الاتصال بالأتراك في الجزائر [2] ، وقد استطاع المنصور القضاء على هذه الثورة في 998 هـ /1580 م بواسطة قائديه محمد بن ابراهيم بن بجة ومنصور بن عبد الرحمان : « ...وزحفت إليه الاجناد من كل جانب ، فطلب منجاته وانجفل إلى القفر ، فنزل على عرب الوداية وبقي يتقلب في أحيائهم حتى أتاه الحين ، وهلك في الغابرين ، فلم تبكه عين ، فجالت العساكر في قطر السوس وانبسطت في جهاته وأركانه ، ومرت في جباله وأوطانه ، ارضا ارضا ، وقطرا قطرا ، حتى دوخت القصى... وجاء الخبر بذلك إلى السلطان ــ أيده الله ــ بمعسكره بفم تانوت » [3] .

ثورة ابن قراقوش في منتصف صفر سنة 996 هـ/ يناير 1588 م :

لا نملك وثائق معاصرة تؤكد بأن لفليب الثاني يدا في قيام الثورة، الا أن القرائن المتعددة تجعلنا نعتقد بوجود هذه اليد، ومن هذه القرائن :

1 ــ قيام ابن قراقوش بجبال غمارة « ... واغترب عن بلده وذهب يتقلب في الأرض منتحلا للمشيخة وطالبا للتلميذ، ولم يزل ينتقل في البادية من حي إلى حي، وكلما اقام بمكان واستوضح اهله خبثه، وفضحه العجب فيما ادعاه ومقتوه انتقل منه إلى مكان آخر غيره حتى وصل إلى جبال غمارة » [4]، والجبال المذكورة قريبة من مراكز الاحتلال الاسباني : سبتة وطنجة وأصيلا.

2 ــ العدد العظيم من الأنصار الذين تبعوه : « ... وسار خبره في سائر بلاد الهبط وجبالها، فانثالوا عليه من كل فج وطافوا به وانفعلوا لقوله، فركبوا سنن الخلاف واتبعوه ... » [5] وقد صارت ثورته لذلك خطيرة، خاصة بعد أن ادعى أنه من أبناء المولى عبد الله الغالب : « ... ولبس شارة الملك، واتخذ الالة، وتسمى في كتبه بأمير المؤمنين فاضطرمت به سائر بلاد الهبط وغيرها من النواحي نارا... » [6].

---

(2) هناك رسالة موجهة من رمضان باشا حاكم الجزائر الى داود بتاريخ أواخر ربيع الأول 988ــــماي 1580، وقد جاء فيها : « ولما عزمنا الآن على قدومنا الى مدينة تلمسان، فأول ما سألنا عن أحوالكم، وأين استقر مقامكم، لكي ننشئوا معكم تقادم لنا مع أسلافكم، فبعثنا لكم هذا المكتوب لعلكم تعلموننا في جوابكم لنا بما عندكم من مأمول ومرغوب ... فلا تغيبوا عنا شيئا من مقاصدكم السنية » .
ويوجد نص الرسالة بسيمانكاس باسبانيا تحت رقم L-E 114 .

(3) انظر مناهل الصفا، 31.

(4) انظر المصدر السابق ، 46 .

(5) انظر المصدر السابق، 46 .

(6) انظر المصدر السابق، 46 .

3 ــ عدد القوات المحاربة التي أرسلها المنصور ضد الثائر وما كانت تحمل من أسلحة نارية فتاكة : « ...فجهز إليه ــ أيده الله ــ العساكر من فاس في جمادى الثاني من العام على يد ولي عهده ولده الشيخ المامون ــ أصلحه الله ــ يقتادها القائد الشهم أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن بجة ، وكانت زهاء ستة آلاف من الأسل والنار ... » (7) .

4 ــ محاولة ابن قراقوش بعد انهزامه أمام قوات المنصور الفرار نحو إحدى المراكز الاسبانية القريبة : « ...وزحفت إليه هذه العساكر فجمع إليها الدعي من أحزابه جموعا فصمدت نحوهم العساكر وصممت لحربهم ، والناس كل يوم يستوضحون خبء الدعي ، إلى أن اختل بزحف العساكر إليه نظام أحزابه ، فتفرقوا عنه وأسلموه ، فلاذ بالاختفاء ، وغاص في لجج الجبال مدلجا بالليل وكامنا بالنهار ، طالبا منجاته إلى بعض ثغور المشركين بسيف البحر... » (8) .

5 ــ بعد القضاء على ثورة ابن قراقوش شنت القوات المحاربة حملات متواصلة ضد قبائل جبال غمارة وكل جبال الريف ، أي إن المنصور وطد دعائم سلطانه على كل الشمال المغربي حيث توجد قواعد الاحتلال الاسباني (9) .

6 ــ نشير إلى أن المنصور وهو لم يقض بعد على ثورة ابن قراقوش ، بعث إلى الملكة إليزابيث ودون انطونيو بتاريخ 28 ابريل سنة 1588 يعرب لهما عن حرصه الأكيد واستعداده التام لمساعدة دون انطونيو إلى أن يسترد عرشه مما يدل على أن المنصور لم يشك قط في مساعدة الاسبان لثورة ابن قراقوش .

ثورة الناصر بن عبد الله الغالب :

تعتبر هذه الثورة من أخطر الثورات التي واجهت المنصور نظرا للدعم الكبير الذي حظي به الناصر من الاسبان . وهكذا فقد أبحر من مالقا يوم 7 ماي 1595 ومعه قوات جرارة معظمها من المورسكيين الذين كانوا يقاسون سوء العذاب باسبانيا للتعصب الديني ، والذين وجدوا في المشاركة في هذه الثورة فرصة للفرار من جحيم الاضطهاد ، كما وجد فليب الثاني بالمقابل في ذلك وسيلة للتخلص منهم ، ونزل الجميع بمدينة مليلية ، إحدى قواعد الاحتلال الاسباني بشمالي المغرب ، يوم الثلاثاء 17 شعبان عام 1003 هـ الموافق 9 ماي 1595 وأعلن منها الثورة ضد عمه المنصور ، وقد تخوف منها هذا الأخير كثيرا وواجهها بحزم ، ولذلك أسباب منها :

---

(7) انظر المصدر السابق، 46 .
(8) انظر المصدر السابق، 46 ــ 47 .
(9) انظر المصدر السابق، 48 .

1 ــ العدد الكبير من قبائل المغرب الشرقي التي استجابت لدعوة الناصر للأموال الطائلة التي وزعها على رؤساء هذه القبائل ، علاوة على الوعود والأماني التي مناهم بها بعد تحقيق الفوز ، وقد تجمع للناصر من مجموع ذلك قوات جرارة : « ...ثم لحق به سائر الاحلاف فاجتمعوا عليه والتفوا به واعلنوا بدعوته وخرجوا به إلى أحيائهم ففشا أمره بتلك الناحية من أهل الجبال ، فصاروا له من كل أوب ، وتسايلوا إليه من كل صوب ، وتسارعوا نحوه من كل فج ومكان ، قاص ودان ، فاجتمعت لديه جموع لا تحصى ... » (10) .

خرج بها من مليلية نحو تازة التي لم يجد صعوبة كبيرة في فتحها لانضمام عدد من قوات المنصور المسلحة إليه : « ...فتخاذلت منهم فئة ومالت... » (11) وبالاستيلاء على تازة باب المغرب الشرقي أصبح طريق مدينة فاس مفتوحا أمام القوات الثائرة ، كما أن هذا النصر الأولي زاد من حماس الناصر ودفع بالكثير من زعماء القبائل إلى الانضمام إلى الثورة وإعلان تأييدهم لها : « ...فدخلها وأقام بها يومين ، فتسامع به عامة تلك الجهات من قبائلها وأهل جبالها وتسايلوا إليه من كل حدب ، فتكاثرت جموعه وحشوده ، وأتباعه وجنوده ، والتف عليه منهم عالم كثير من العرب والبربر ، يغص به الفضاء ويكاثر عد الرمل والحصى ، واجتمعت إليه من عساكر النازعين إليه عن أعراص بالخزائن والاقوات والنازلين عن حكمه على تازا جيوش وافرة... » (12) .

2 ــ السبب الثاني الذي جعل المنصور يتخوف هو مركز الثورة نفسه . إذ اختيرت جبال الريف بالشمال الشرقي من المغرب كمركز للثورة لقربها من قاعدة الاحتلال الاسباني مليلية حيث يسهل مد الناصر بمختلف المساعدات العسكرية ، ولصعوبة تضاريسها مما يساعد على محاربة قوات المنصور ، ثم لاستراتيجية هذه المنطقة التي يمكن الانطلاق منها نحو مناطق المغرب الشمالية والشرقية، وقد كلف المنصور ابنه محمد الشيخ نائبه على فاس بتوجيه حملة عسكرية ضد الناصر وظل هو معسكرا على نهر تانسيفت وعلى أهبة الاستعداد للتدخل : « ...وتلوم ــ أيده الله ــ بعسكره ببابه أغمات أياما ، ريثما استكملت العساكر أهبة السفر ، فارتحل لنهر تانسيفت... » (13) ، ودخل الناصر في حروب دامية مع قوات المنصور وأحرز في الاصطدامات الأولى انتصارا بسبب تراجع بعض القبائل عن محمد الشيخ ، إلا أن هذا الأخير سرعان ما أعاد الكرة ضد الناصر للامدادات التي وصلته من مراكش ، وجرت معارك حاسمة دارت فيها الدائرة على الثائر الذي حاول الفرار ، لكن القي عليه القبض وصحبه ، وسيق الجميع

---

(10) انظر المصدر السابق، 95 ــ 96 .
(11) انظر المصدر السابق، 96 .
(12) انظر المصدر السابق، 96 ــ 97 .
(13) انظر المصدر السابق، 98 .

إلى فاس [14] .

وتم بذلك القضاء على هذه الثورة التي دامت سنة كاملة « 9 ماي 1595 حتى 21 ماي 1596 » .

الميزة الثانية
الانضمام السريع من طرف القبائل لهذه الثورات .

بمجرد إعلان الثورة تتلقى التأييد من الكثير من القبائل ، وهذا نظرا لما يغدقه عليها الثائرون من أموال ، والوعود التي يعدونهم بها ، بالاضافة إلى أن بعض القبائل لم تكن على ما يرام مع السلطة ، إما لماضيها أو لاحتكاكها المباشر مع السلطة في فترة ما .

الميزة الثالثة
هناك ثورات ذات طابع محلي صرف .

كان لهذه الثورات أيضا وزنها فيما يتعلق بخلق الاضطراب والتشويش على السلطة ، لكنها على أي حال لم تصل إلى خطورة الثورات السابقة ، مثال ذلك ما أوقعة المنصور بعرب الخلط الذين أسكنهم في ازغار فعاثوا فيه وأكثروا الفساد ومدوا أيديهم إلى أولاد مطاع بالسلب والنهب فكثرت الشكاية منهم ، ثم إنهم تمردوا على المنصور عندما طلب فئة منهم لتكوراريين فتصدى لهم ، وفي ذلك يقول عبد العزيز الفشتالي : « ...فشبت لذلك نار الحرب بين الفريقين وجمع عرب الخلط وسائر قبائل ازغار لأولاد مطاع من عرب مراكش فأوقعوا بهم وكنسوا حللهم ولم يفلتوا إلا برؤوس الخيل فامتعض لهم أمير المؤمنين ــ أيده الله ــ وأجمع على الانتقام من الخلط وقبائلهم ففرض عليهم الوضائع الثقيلة وكانت تسعين ألفا عوضا عما نهبوه لأولاد مطاع وغيرهم وسرح لاقتضائها منهم فأعطوها عن يد ردعا وعقوبة ، وأبعد عنهم أولاد مطاع وأقطعهم بلاد تالماغت . ثم كانت حركة السلطان ــ أيده الله ــ لفاس عام تسعة وثمانين وتسعمائة فرهب الخلط من سطوته بهم فتجافى عنهم وأقرهم على أحوالهم فازدادوا بذلك استفسادا وإغراء بالعيث والنهب والاجلاب على من يليهم من الأعراب بالنهب تارة مجاهرة وبالسرقة أخرى وألحوا بذلك على عرب مراكش وسوس حتى شردوهم من مواطنهم كارهين ثم تخطوا إلى نهب الأسواق وإضرام نار الفتنة ومصادمة الاحكام ونبذ الأوامر وراء ظهورهم ثم حدث شأن الحركة وتجهيز البعوث إلى تيكورارين

(14) انظر المصدر السابق، 103.

من فاس ونواحيها ففرض أمير المؤمنين — أيده الله — على الخلط حصة قليلة من الخيل ينهضون بها صحبة البعوث المعدة إلى تيكورارين فلم يستجيبوا لذلك وتثاقلوا عليه فحق عليهم القول حينئذ... » [15] .

ب — وسائل المنصور للحفاظ على الأمن الداخلي :

ان اهم مظهر يمكن ان نلاحظه ، ونحن بصدد الحديث عن وسائل المنصور في حفظ الامن الداخلي ، هو ان عملياته كانت دائما تتسم بالعنف ، وذلك لحرصه الشديد على استقرار الاوضاع ، خاصة وان المغاربة عانوا طوال تاريخهم ما عانوه من الشدائد والمحن نتيجة الاضطرابات المروعة التي حلت بالمغاربة والتي كانت لها آثار سيئة على الصعيدين الداخلي والخارجي ، نذكر من بينها بالخصوص سقوط عدد من المدن المغربية بأيدي الأجانب .

وقد لاحظ ابن القاضي ذلك حينما قال : « ... هذا وان أهل المغرب لا يقدر على مجابرتهم ومقاومتهم ملك ، ومع هذا كله أحكم سياسته ، واتفق رياسته ، فينزل الناس منازلهم ، ولا ينقص مقدار أنازلهم ، وقد اشتهر هذا وظهر ، لأهل البادية والحضر ... » [16] وقال ايضا : « ... ومن اعتناء الله تعالى به ، اعانته على الباغين من الثوار ، فإن المغرب كثير الثوار لضعف عقول البرابر الذين بشواهق الجبال فكثيرا ما يصدر ذلك منهم ، فيكسر شوكتهم ، قبل ان تصل الى الرعية شوكتهم ، ولقد قتل من الثوار عددا كثيرا ، لأني ما رأيت اصعب من قبائل المغرب ليسوا كقبائل المشرق في الطاعة وعدم الثوران ، لكن مولانا — ايده الله — درياقهم بيده — اعانه الله على كل فضيلة ، وأذل له كل قبيلة ، بمحمد وآله — [17] .

وقد وجد من بين العلماء من انتقد بالفعل هذا العنف ، ولكن تعليل المنصور لهذا العنف كان أقوى ، اذ ذكر الأفراني : « أن قاضي الجماعة بفاس ابا مالك عبد الواحد الحميدي — رحمه الله — مر ذات يوم مع فقهاء فاس واعيانها لمراكش بقصد العيد مع المنصور كما هي العادة ، فمروا في طريقهم على سلسلة فيها رجال ونساء وفيهم امرأة أخذها الطلق وهي في كرب المخاض ، فرأوا من ذلك أمرا يحزن رائيه ويهم ناظره ، فبقى ذلك في خاطر القاضي ، فلما جلس مع المنصور ألقى له ذلك واظهر منه الشكاية فسكت عن جوابه المنصور وهجره على ذلك أياما ، فلما فهم القاضي غضب المنصور تلطف له في القول واظهر التوبة مما صدر منه وعده بادرة فقال له المنصور : لولا ما رأيت ما أمكنك أن تجيء مع اصحابك عشرة أيام في أمن

---

(15) انظر المصدر السابق، 112 — 113 .
(16) انظر المنتقى. 307 .
(17) انظر المصدر السابق. 849.

ودعة ، فإن اهل المغرب مجانين مارستانهم هي المحن من السلاسل والأغلال ... » [18] .

وقد انتقد الأفراني نفسه هذا العنف وهو بصدد الحديث عن المنصور قائلا : « ... وكان غير متوقف في الدماء ولا هياب للوقيعة في ذلك ، وتتبع ما وقع في ذلك يناقض غرضنا في هذا الكتاب من الأغضاء عن العورات والستر على الفضائح ... » [19] وإذا ما حولنا تفسير هذا العنف نجد أنه يرجع الى سببين اساسيين : أولهما حرص المنصور على ضمان الأمن وعلى ان تسود سلطته في جميع أقطار مملكته ، وثانيهما عناد الثائرين ، وكمثال على هذا السبب الثاني نذكر ما أورده عبد العزيز الفشتالي عند التعرض لعملية فتح تيكورارين : « ... ونهضوا جميعا وضربوا موعدا للقاء بسجلماسة ، فتوافوا بها جميعا وزحفوا الى البلاد وواصلوا الترحال اليها ، ويمموا تيكورارين قبل توات لما كانت احد شوكة واعتمدوا تينميمون منها قاعدة قصورها فنزلوا عليها لسبعين مرحلة من مراكش ، وكانوا قدموا الى اهلها كتاب أمير المؤمنين — أيده الله — بالاعذار والطاعة ، والدخول في حزب الجماعة ، فأساءوا الرد ، ولاذوا بالمنع ، واستعدوا للحصار ، وسولت لهم انفسهم القدرة على الدفاع ، وجعلوا أكبر معولهم على تين ميمون مقر الملوك من قطرها ، ومحل أولي الأمر من ولاتها ، والرؤساء من اهلها ، فارتحل اليها كل من يليها من القصور والقرى ، وشحنوها بالمقاتلة ، وكان نزول الأجناد والعساكر عليها عند الزوال ، ولم يكونوا عولوا يومئذ على الزحف الى حربها ، فتفرقت الأجناد لحاجاتها بعد ضرب الأبنية ، ومر بعض الرماة بساحة البلد فكان اهلها بالمرصاد ، لانتهاز الفرصة فيمن ينفرد من العساكر والأجناد ، فانقضوا عليهم من مكانهم فأستلحموهم ، وجاء النذير بذلك الى الأجناد ، فزحفوا اليهم حينئذ من ساعتهم واحدقوا بهم في معتصمهم ، ونصبوا عليهم مدافع النار ... وضجت الأرض من صواعق النار ... وامتنعوا من القاء اليد ، فأذاقهم العساكر نكال الحرب ، وأرسلوا الصواعق عليهم عامة يومهم ، ووصلوه بالليل ، ولم تمض منه طائفة حتى اقتحموا عليهم البلد غلابا ، وتناولتهم السيوف وانطلقت أيدي العساكر بالنهب في المنازل ، حتى ارتفع النداء بالأمان ... » [20] . وبعد هذا يبقى لنا أن نتعرف على وسائل المنصور في حفظ الأمن الداخلي وهي وسائل متعددة يمكن حصرها فيما يلي :

اولا : القوات المسلحة :

وهي أداة فعالة لاقرار دعائم الطمأنينة بالبلاد ولضبط شؤون الادارة والدولة وقد كان المنصور يولي اهتماما كبيرا لتسليحها ، اذ زودها بالمدفعية الحديثة كما جعلها رهن اشارته باعتباره /

(18) انظر **نزهة الحادي**، 158 .
(19) انظر المصدر السابق، 153 .
(20) انظر **مناهل الصفا**، 37 — 38 .

القائد الاعلى وبيده مقاليد الامور .

وكان الجيش المغربي — حسب بعض المصادر الانجليزية — في مجمله ، من نظاميين ومتطوعين ، يتكون من 40 الف جندي (21) ويعزز هذا الجيش كرديف ما يسمى بعرب الدولة ، وهم القبائل الموالية للدولة وحسب تقدير السفير الانجليزي (هنري روبير) فان هذه القبائل كانت على اهبة الاستعداد دوما لانجاد المنصور بقوات من الفرسان والمشاة يصل تعدادها الى 200 الف جندي (22).

وقد تعددت المجموعات السلالية لأفراد الجيش السعدي ، فهناك العرب والبربر والسود والأتراك ، والأوروبيون من اصل إسباني وبرتغالي الذين دخلوا الى الاسلام حديثا ويرجع هذا الاقبال على الجيش السعدي الى ما كان يعطي من ارزاق لأفراده ، ونذكر بهذا الصدد كمثال أن الجنود النظاميين كانوا يتقاضون راتبا كل أربعة اشهر من خزينة الدولة يتراوح بين 50 و 200 دينار ويمكن أن يصل الى 300 دينار ، هذا مع العلم ان القنطار من القمح مثلا كان يساوي 4 دنانير (23).

ثانيا : الحصـــون.

كانت القوات المغربية موزعة في حصون ذات مواقع استراتيجية ، منها :

— في الشرق وعند الحدود الجزائرية حصن تازة : « وليس الحصن الذي اختطه — ايده الله تعالى — على بلاد تازة ببعيد من هذه الآثار الضخمة ، والحصون الفخمة ، تشييدا وتوطيدا ومنعة وتحصينا (24) .

— بفاس : « اما المدينة القديمة من عمل آل ادريس التي خلل عمرانها المتراصف جلمني الوادي فيكتنفها شرقا وغربا المعقلان الضخمان أناما سر بهما تحت كفالتهما الموطد بالجانب الشرقي منهما الربوة المنيفة ذات الصخر الململم الثقيل بحجرة قطران تجاه المصلى القديم العيدي من باب الفتوح وبمقابله بالجانب الغربي من المدينة تجاه القبلة من بني مرين وبمصلاهم العيدي قريعة لا بل كبيره الذي يلفه على عظمته في زاوية من زواياه المثلثة الشكل والبناء الرائق البالغ أقصى

---

(21) انظـــــر :

H. de Castries, Sources inéd., 1ere série anglaise, 2 : 222

(22) Loc . Cit.

(23) انظر :

Hespéris-Tamuda, Vol. XIII, Fascicule unique, 1972. P.85.

(24) انظر عبد العزيز الفشتالي، **مناهل**، 185 .

مبلغ الجفوة قد اغرى بهما — ايده الله — عنايته ووكل بشأنهما كفايته فجاء بها آية الاعجاز توطيدا وتحصينا وتشييدا متممي المآرب والمرافق مستكملي التحصين الموافق مسكن الحامية المنتقاة من جيش النار ودار قائدهم وخزائن البارود والرصاص وجباب المياه الرخوة الاجواف وآبار منحوته في الصخر الى قعر البحر من الماء العذب الفرات مستكثرا فيها من الانفاض القاذفة بمارج البارود وشواظ النار والاكوار المعادنية والصخرية التي تذر الجبال كثيبا مهيلا وتلقي من صواعقها على الاسماع قولا ثقيلا ، فعوذ — ايده الله — بهما المدينة من كل طارق يطرق بقهر ، بعزة الله وعنايته الى عابر الدهر » [25] .

وقد بلغ عدد الحصون — حسب المصادر المعاصرة — 30 حصنا ، ولا يعرف بالضبط عدد الجنود في كل حصن [26] .

ثالثا : صاحب الشرطة :

وهو الذي يترأس جماعة من الجند تناط بهم مسؤولية المحافظة على الأمن والسهر على سلامة العامة ، ثم القبض على الجناة والمجرمين وتنفذ العقوبات الصادرة في حقهم : « وعقد على الشرطة لمولاه القائد محمد بن سالم ... »[27] .

رابعا : العامل .

وهو الذي يتولى حكم عمالة خاصة باسم الخليفة في المجالين السياسي والاداري ، ولم يكن المنصور يتوانى عن معاقبتهم اذا ما حادوا عن الطريق القويم وظلموا الرعية : « ... ومن مشهور مآثره في العدل غلظته — ايده الله — على جبابرة العمال المشهورين بالحيف وارتكاب الجور وموالاة نكايته عليهم بانواع الانتقام وقذفهم في السجون والمضايق مقرنين في الاصفاد وغلق ابواب الشفاعة دونهم ... »[28] .

خامسا : شيخ القبيلة

وهناك نترك الكلمة لابن القاضي لأنه فصل المسألة تفصيلا دقيقا : «اعلم ان مخدومنا

---

(25) انظر المصدر السابق، 183 — 184 .
(26) انظـــر :
Hespéris-Tomuda, Vol. XIII, Fascicule unique, 1972, P. 66.
(27) انظر عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، 22 .
(28) انظر المصدر السابق، 134 .

أولى ما صرفت إليه همته العلية تمهيد الطرق على المسافرين بمنازل وخيام أمر بسكناها على الطريق بين المنزلة والمنزلة ما يقرب من أربعة وعشرين ميلا ، يسكنها أهل البادية ، فقد أجرى لهم على ذلك من أقطاع الأرض ما يكفيهم ثوابا لهم على سكناهم هنالك وامرهم ببيع الشعير ، والطعام ، واللحم ، والعسل ، وغير ذلك مما يحتاج اليه المسافر ودوابه ، وفي بعض المنازل من يصنع أطعمة جيدة ويبيعها ممن يستحقها ، وإن باتت لديهم قافلة يحرسونهم طول الليل ويحوطون امتعتهم ، وان ضاع شيء فيما بينهم ضمنوه لربه حتى لم يبق له درهم واحد وإن كان ضياعه فيما بين المنزلتين ضمنه أقربهما منه ، أي من كان ذلك في حدوده الملزوم ، فتجد المسافر في حال ذهابه وإيابه كأنه في بيته وبين أهله ... وليست بلاده كبلاد المشرق التي لا يقدر أحد أن يسافر فيها في البر إلا مع قافلة عظيمة محتوية على آلاف من الناس الحاملين للأسلحة ، وقد يعرض لهم من العرب من يقاومهم فينهب أموالهم ويستبيح دماءهم ... « (29) .

سادسا : استخدامه لنوع معين من القبائل .

في رسالة بعثها المنصور الى ابنه المامون سنة1011هـ نجده يوصيه بعدم استخدام أولاد طلحة : « ... فالذي نؤكد به عليك أن تنقضهم من الخدمة ولا تستخدم منهم ولو فارسا واحدا أصلا ومن الذين ذكرنا لك ومن غيرهم كافة أولاد طلحة وأمرناك أن تنصل منهم وتقول لهم : أن السلطان منعني من استخدامكم ... » (30) .

ويقول في مكان آخر من الرسالة : « ... واعلم أن من جملة ما بلغنا أيضا أن الخلط كلهم رجعوا رماة على يد مصطفى مع حديث عهدهم بالفساد والخلاف وكنا انتشبنا معهم بالعودات فإذا بهم اليوم بالمدافع وعدة النار وهل هذا مما يجوز عليكم حتى تسمحوا فيه مع أن هذه المسائل ليست بغائبة عنكم حتى تسمعها بالسماع فقط ، ولا طويلة العهد حتى تنساها بل بالأمس شاهدت وباشرت ورأيت فما الذي أنساك فعلهم وما زال جرحهم الان لم يبر ... »(31)، ويقول المنصور ايضا في نفس الرسالة : «... ومن جملة من نحذرك من استخدامه في الرماة اهل الجبال من اهل الصحفة والدينار فلا تستخدم منهم أحدا وإلا فاعلموا أنكم ما اردتم أن يعطوا لكم حينئذ ولا أن يغرموا لكم بعد شيئا وإذا أردتم الخدمة فهاهم أهل هذه البلاد مثل أهل سوس وأهل درعة وأهل مراكش فكل ما تستخدمون من هؤلاء فلا عليكم وإذا لم يكن هؤلاء وكان ولابد من غيرهم فمن اهل فاس سكان الحاضرة وأما من عداهم

---

(29) أنظر المنتقى، 827.
(30) انظر م. الافراني، **نزهة**، 175 .
(31) انظر م. الافراني، المصدر السابق، 177 .

فلا ... » (32) .

ج ــ آثار الاستقرار الاجتماعي على الحياة الاقتصادية :

إن الاستقرار الاجتماعي قد هيأ الاطار الضروري للرفاهية الاقتصادية التي عاشها المغرب في عهد المنصور ، إذ أن توفر الأمن من جهة وتنوع أقاليم الامبراطورية المغربية وتعدد منتجاتها من جهة أخرى ساعدا الى حد كبير على خلق رواج تجاري عظيم في الداخل ، وزادا من تمتين الروابط بين أجزاء الامبراطورية واحكام الصلات بين مناطقها ودفعا بالتالي التجار الأجانب على الاقبال على المغرب للمتاجرة معه .

وكذلك الأمر بالنسبة للناحية الزراعية ، فقد سهر على توزيع الأراضي الزراعية على القبائل لزراعتها والاهتمام بها الى الحد الذي كان يجبر معه أحيانا بعض القبائل الرحل في البادية على الاستقرار بالأرض والاشتغال بالزراعة (33) .

كما وزعت الأراضي على المهاجرين الأندلسيين أيضا : « ... وأقطعتهم الدولة أراضي بالجانب الغربي من فحصها الافيح ، فاغترسوا بها جنات وحصلوا من استغلالها ما أنساهم وطنهم واعتاضهم ما فاتهم ... » (34) .

وقد لمس العديد من المعاصرين الأجانب الذين زاروا المغرب في عهد المنصور ما بلغته البوادي المغربية من ازدهار وانتعاش نتيجة هذا الاستقرار الاجتماعي (35) .

ودعم المنصور هذا الاستقرار الاجتماعي بما وفره له من وسائل الرفاه الاقتصادي ، وتتجلى هذه الوسائل فيما يلي :

ــ تشجيعه للبادية المغربية بحذفه لضرائب كانت تثقل كاهل الفلاح ، ومن أهمها النائبة ، حيث يقول : «... وإن مما أوقفنا الشرع على إنكار أصله ، وفلول حده ونصله ، وفساد جنسه وفصله ، اسم النائبة التي ثقل لمخالفتها للشرع على الآذان سماعها ، وخرجت عن حد السنة وأضاعها ، وأننا مذ صرف الله لطاعتنا عباده ، وحملنا هذه القلادة ، لم نزل نهتم بمحو إسمها وإعفاء رسمها ... »(36) .

---

(32) انظر م. الافراني، المصدر السابق، 178 ــ 179 .

(33) أنظر المنتقى، 827.

(34) انظر عبد العزيز الفشتالي، **مناهل**، **20**.

(35) انظر :
H. de Castries, sources inéd. 1ere série anglaise, 2 : 222.

(36) انظر **رسائل سعدية**، 147 ــ 148 .

ـــ التخفيف من الضرائب على التجار : « ... وأما ما جرت به عادة أهل المشرق من توظيف الأمكاس على اموال التجار عند الوصول الى كل مدينة ، وشبه ذلك من المسمى بالغفر عند العرب ، فليس في بلاده ـــ أيده الله تعالى ـــ شيء من هذا القبيل أصلا حتى أن الانسان يكون في أحماله من التبر والياقوت ولا يخشى عليهما في الطريق شيئا ، ولا يعطي على ذلك كله إلا ربع درهم على كل حمل في باب المدينة ، فهذا مما تشرف به المغرب على كل الأقطار لا كما هو معهود في الاسكندرية و مصر والشام وجدة وغيرها من البلاد ، فقد طهر إمامنا ومخدومنا مملكته من هذه النقيصة العظيمة التي عمت بها البلوى ، وحصل بها في الاسلام دهية دهيا ... » (37) .

ويقول ابن القاضي ايضا في **المنتقى** : « ... هذا وقد رفع أيضا في أقطار ملكه عن رعيته الامساك كلها ، كأعشار السلع في المراسي و الأبواب و غير ذلك من الوظائف السلطانية التي عمت سائر البرايا ، وعظمت بها البلايا ، كما هو في سائر البلاد ، فمن ذلك أن كل وافد على الاسكندرية يعطي عشر ما بيده وعشر عشره من السلع ، وكذلك أيضا كل خارج منها ، ومثله في مرسى جدة ، وسائر البلاد المشرقية وغيرها ، فمن وقف على ذلك يعلم صحة ما قلنا » (38) .

ـــ تسهيل المعاملات بالتخفيف من أعبائها : « ... وبالجملة فالرعية مع مولانا ـــ أيده الله ـــ في أهنى عيش وأرغده ـــ أبقى الله للمسلمين أيامه ، وسدد ألويته وأعلامه ـــ . وأما الأحكام الشرعية فلم يقع فيها تبديل ولا تغيير ، كما هو معهود في البلاد المشرقية . فمن ذلك أن القاضي يوظف مالا على الخصمين يقل ويكثر على حسب النوازل ، فمن كان له مال حاضر دفعه، ومن لم يكن له مال ذهب في المجلس الى بعض خدمة القاضي المعتادين للسلف لكل محتاج اليه ، فيتسلف منه ما وظف عليه ويعطي زيادة على كل مثقال ربع عشره عن كل عام مادام في ذمته ، ويكتب الدين بزيادته في سجلات القاضي من غير مبالاة بأمر الدين و الشرائع أصلا . وخطة القضاء هناك تكون من جملة الامساك بمال عظيم مقدم على العقد يدفع للسلطان وجيبة السنة قبل مرورها » (39) .

هكذا إذن نمت التجارة الداخلية بفضل الأمن والاستقرار ، وليس من شيء يهيب بالتجارة إلى توسيع نشاطهم التجاري كاستقرار دعائم الأمن والطمأنينة . وقد تكونت بفضل هذه الظروف فئة تجارية غنية كان لها الدور الفعال في المجالين السياسي والاقتصادي ولا يخفى ما كان لهذه الفئة

---

(37) أنظر ابن القاضي، **المنتقى**، 828.
(38) أنظر ابن القاضي، المصدر السابق، 357.
(39) أنظر ابن القاضي، المصدر السابق، 358.

من دور عملية فتح السودان ، وفي الاجراءات الكثيرة التي اتخذها المنصور لصالح تنمية التجارة المغربية بالداخل .

د ــ الأوضاع الاجتماعية السائدة زمن المنصور في كل من الامبراطورية العثمانية وإسبانيا .

أولا : في الامبراطورية العثمانية :

تدهورت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في تركيا في الربع الاخير من القرن السادس عشر ، حيث توقف التوسع العثماني في مختلف الجهات لأسباب عسكرية وجغرافية ، ولا يخفى ما لهذا التوقف من آثار سلبية على الامبراطورية العثمانية التي اعتمدت منذ نشأتها على الغزو ، وظهر الضعف أيضا في شخصيات بعض السلاطين الذين انسحبوا بالتدريج من المساهمة الفعلية في قيادة الجيش والادارة ، وانقطعوا الى حياة القصر الخاصة ومؤامراته .

وقد انعكس كل ذلك على أجزاء الامبراطورية حيث ازدادت الاضطرابات وتعددت الاصطدامات بين الأهالي والحكام الأتراك بسبب تصرف الحاميات الانكشارية ، عماد التركي في الباشوية ، والمضاعفات الخطيرة التي أوجدها نظام الالتزام ولاستبداد العناصر التركية بالمناصب الرئيسية في مجموع الامبراطورية .

وزاد من خطورة هذه الأوضاع التحول التدريجي لطريق التجارة العالمية من البحر المتوسط الى المحيط الأطلسي منذ اكتشاف أروبا للعالم الجديد والطريق البحرية المؤدية الى الهند والشرق الأقصى ، فقد أخذت تظهر مع السنين مضاعفات هذا التحول تظهر في مختلف نواحي الحياة بالامبراطورية العثمانية ولا سيما في العالم العربي لامتداده على الضفاف الشرقية والجنوبية للبحر المتوسط الذي دخل في مرحلة جديدة من تاريخه تتسم بنوع من الضعف والركود وتتصف باضطراب الأمن وانتشار القرصنة ، مما زاد أحوال البحر المتوسط سوءا وتسبب في انفصام عرى الاتصال بين شعوبه بما في ذلك المناطق العربية الخاضعة للأتراك .

ونتج عن العوامل الاقتصادية السابقة ضغط على النقد العثماني ، ولم تستطع موارد الدولة من المعادن تلبية الحاجة المتزايدة للنقد ، وحدث في النصف الثاني من القرن السادس عشر ، والأزمة النقدية العثمانية في أوجها أن تدفقت الفضة والذهب الى بلاد البحر الأبيض المتوسط من العالم الجديد ، وذلك بواسطة المستعمرين الاسبان ، فارتبك النقد العثماني تبعا لذلك وانهارت قيمة وحدته الفضية ، وهي الأقجة « تسمى أيضا أسبر » وارتفع سعر الذهب وقل وجوده

بسبب ازدياد قيمته بالنسبة للفضة [40] .

وهكذا أخذت مظاهر الأمن والاستقرار في الامبراطورية العثمانية خلال أواخر القرن السادس عشر تضعف وبدأت بالتالي نواحي الحياة الاقتصادية تعرف نوعا من التدهور ومع الأيام أخذ الاستياء والتذمر في البلاد العربية يشمل سائر الطبقات وينمو تدريجيا الى اصطدام وثورة مسلحة ضد الحاكم التركي والحامية التركية التي لم تكن تتوزع عن القيام بجميع أنواع القسوة والتنكيل ، كما أخذت بعض الحركات الاستقلالية تبرز بين الآونة و الأخرى وكانت تسعى الى الخروج عن الأتراك ، وقد حاول المنصور الاستفادة من هذه الأوضاع المضطربة في أجزاء الامبراطورية للدعوة له وذلك باحكام الصلات مع كبار العلماء والفقهاء بالعالم الاسلامي شعورا منه بالدور الذي يقوم به هؤلاء لدى عامة الناس ، وبارسال الدعاة الى الشرق الاسلامي ، وبالفعل فقد تمكنوا من استمالة عدد كبير من عرب المشرق : « ... ولقد حضرت مجالس ذكر فيها من مصر ، والاسكندرية ، والصعيد ، وجدة ، ومكة ، والمدينة — على ساكنها الصلاة والسلام — لما طنت في آفاق العالم حصاته ، وتعيت عن حمل حسناته بغزوته حفظة القول وحصاته ، فكادت قلوب الناس أن تنفطرإليه شوقا وودا ، أن يكونوا تحت رايته ، ومن الذين دخلوا في سلك بيعته ، وكثيرا من أهل المشرق الذين عليهم الحل والربط حلف لي بالايمان المغلظة التي لا يمكن نقضها أنه لو رآى جارية من جواري مولانا اقبلت بالدعاء لطاعته للانقياد إليه لكان أول مطيع لها هو وأهله من ذلك لشدة وطئته على عرب مصر والصعيد وبعض عرب إفريقية ، وما هذا إلا لمحبتهم فيه ، واشتياقهم لطلعته السنية ، وإمامته العلوية ، وحدثني بعض من أثق به أنه جلس ذات يوم بجرجة من بلاد الصعيد قاعدة إمارة بني عمر مع أميرها يونس بن عمر وتفاوضا في غزوة مولانا وماله من العدل والمآثر الحسنة ، والسير المستحسنة ، فتأوه لذلك وتاقت نفسه للدخول في سلك بيعته ، واعلمه يونس المذكور أن خبر الغزوة دخل عليه وهو مسجون برودس ، وأعلمه والحاضرين أن أمرها عظم على الترك جدا غيرة منهم أن يكون مثلها على يد أمير عربي فامتلأوا منها غيظا وامتلأ العرب منها سرورا ... »[41] .

— **المغرب العربي :**

كانت المنطقة منذ الفتح العثماني تخضع لحاكم تركي برتبة « بيلرباي » أي أمير الأمراء ، وكان مقره بالجزائر باعتبارها الحدود الغربية للامبراطورية العثمانية كما كان نفوذه المطلق يشمل المنطقة الممتدة بين الجزائر ومصر .

---

(40) انظر عبد الكريم رافق، **بلاد الشام ومصر**، 182 .

(41) انظر ابن القاضي، **المنتقى**، 846.

وفي سنة 1587 توفي علوج علي [42] أمير البحر ، فاستدعى السلطان العثماني حسن البندقي [43] إلى إسطنبول وولاه أميرا على البحر ، أما المغرب العربي فقد قسم إلى ثلاث ولايات ، وهي : الجزائر ، تونس طرابلس على أساس أن يولى على رأس كل ولاية والي لرتبة باشا لمدة ثلاث سنوات ، وهذا التغيير يدل من جهة على أن السلطان العثماني كان يسعى إلى تقوية نفوذه بالمغرب العربي عن طريق تجزئته ويدل من جهة أخرى على أن الباب العالي قد سلم بالوضع القائم بالمغرب ، ولم يعد السلطان كالسابق يسعى إلى بسط نفوذه على الجزء الغربي من المغرب العربي لما أبداه السعديون والمولى أحمد المنصور من حرص شديد على استقلالهم مستغلين الظروف الدولية لابعاد التهديد التركي عن بلادهم .

وكنتيجة لتجزئة الادارة العثمانية بالمغرب دخلت هذه الولايات في مرحلة جديدة من تاريخها تتسم بانتشار الفتن والاضرابات [44] . وترجع اسباب هذه الفوضى إلى الصراعات الدامية التي كانت تجري بين الأتراك والأهالي وإلى استبداد قادة الانكشارية بالسلطة والذين أصبحوا يقومون بتعيين الحكام من بينهم مع ما يصاحب ذلك من التعسف وسوء استعمال السلطة .

الوضع السياسي والفكري بالجزائر :

ــ الوضع السياسي :

بدأ الحكم التركي بالجزائر انطلاقا من سنة 921هـ / 1515م واستمر حتى سنة 1246هـ / 1830م ، وقد قسم بعض المؤرخين الأوروبيين فترة هذا العصر الرئيسي إلى أربعة

---

(42) علوج علي : من اسرى نصارى (كلا بر) بصقيلية، تربى في احضان القراصنة ووصل اعلى مراكز البحرية عند الاتراك، وولاه السلطان بكلربك شمال افريقية ورحل الى الجزائر يوم 3 غشت 1568، وقد عرف ببطولته وشدة حروبه في البر والبحر، كما شارك في معركة (ليبانتو) الشهيرة سنة 1571، وفي فتح تونس سنة 1574، عين أخيرا قائدا عاما للاسطول العثماني .

(43) حسن البندقي : من الاسرى الايطاليين، تولى بكلربك شمال افريقيا في يونيو عام 1577، عرف بجده وحزمه، وقد دعاه السلطان مراد الثالث الى اسطنبول للاحداث الداخلية التي عرفها الشرق الاسلامي سنة 1580، الا انه اعيد الى الجزائر سنة 1583، وقام بدور هام في اخماد اضطرابات داخلية بشمالي افريقية، ومما عرف به اعمال القرصنة الواسعة التي قام بها في غربي البحر الابيض المتوسط، ومساعدة المورسكيين المضطهدين باسبانيا على الانتقال نحو شمال افريقيا، وبعد وفاة علوج علي سنة 1587 عينه السلطان مراد الثالث اميرا عاما للبحرية العثمانية .

(44) خير من يحدثنا عن اضطرابات افريقيا شمال افريقيا بعد تجزئتها سفير المنصور الى مراد الثالث، علي التمجروتي، الذي دون رحلته من تطوان الى استطنبول في كتابه **النفحة المسكية، في السفارة التركية**، فهو يقول ــ مثلا في الصفحة 70 من كتابه : « ... هكذا اهل افريقية كلهم من الذل والاهانة، فوجب ذلك استياءهم لكل ناعق، واتباعهم لكل قائم، رجاء أن يجدوا الفرج معه » .

عصور فرعية ، منذ بداية التنظيم الاداري التركي بالجزائر .

أولها : عصر باي لارباي (باي البايات) 940هـ — 993هـ / 1534 — 1585م .

ثانيهما : عصر الباشوات (ذوي ثلاث سنوات) 993هـ — 1069هـ — 1585 — 1659م .

ثالثها : عصر الآغوات 1069 — 1082هـ / 1659 — 1671م .

رابعها : عصر الدايات 1082 — 1246هـ / 1671 — 1830م [45] .

وعلى ضوء هذا التقسيم يتضح لنا أن الفترة التي تهمنا تشمل العصرين الأول والثاني .

وقد كانت الحكومة الجزائرية التركية في هذه الفترة تموج في بحور من دماء الثورات الداخلية ، التي اندلع أوارها في أعراش القبائل ، وانفجر بركانها في أحضان البدو ، وربما امتدت ألسنة لهيبها إلى عواصم المدن [46] . والسبب في ذلك يعود إلى سوء معاملة الحكام للرعية وإغفالهم لشؤونهم الضرورية واشتغالهم بالركض وراء السلطة وحب الانفراد بالرئاسة . وقد أدى ذلك بهم لقتل جلهم في مناصبهم ، شنقا مرة ، وخنقا تارة وذبحا تارة أخرى [47] .

ونكتفي في هذه العجالة بذكر بعض الثورات التي قامت في هذه الفترة ، منها :

— ثورة أحمد مقران سيد بجاية في نواحي حمزة والساحل الجزائري [48] .

— ثورة قبائل زواوة ضد الأتراك ، ولم يتمكن أي أحد من الباشوات إخمادها [49]

— ثورة إمارة كوكو في مجاجة [50] ، ولا يستبعد أن تكون للمنصور صلات بهذه الامارة خاصة وأنها غير بعيدة عن الحدود الشمالية الشرقية لمنطقة تيكورارين المغربية وإلا فما الداعي لاطلاع سليمان باشا — والي الجزائر — المولى أحمد على انتصاراته على الأمير عمر بن عمر بن

---

(45) انظـــر :

L'Encyclopédie Turque, Tome 10, p 324.

(46) انظر محمد بن عبد الكريم، مقدمة تحقيق **التحفة المرضية، في الدولة البكداشية**، ص 15 .

(47) نفس الصفحة والمصدر .

(48) انظر عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، 2 : 361 .

(49) انظر عبد الرحمان الجيلالي، المصدر السابق، 2 : 359 .

(50) امارة مجاجة قرب الاصنام، وهي منطقة جبلية وعرة، فضل تأسيسها الى قاضي بجاية الشيخ احمد بن القاضي، احد المجاهدين ضد الغزو الاسباني، ومن الذين مهدوا لنشر النفوذ التركي بالجزائر وعندما اغتاله الاتراك عام 933 هـ /1527 تزعم ابناؤه المقاومة ضد الحكم التركي، وربطوا لأجل ذلك صلات مع الاسبان .

القاضي في رسالة يؤكد له فيها تعاون الثائر مع الاسبان ؟

وكان جواب المنصور : « ... وأما ما عرفتم به من حال ابن القاضي صاحب كوك وصلة يده بيد الطاغية ، صاحب إسبانية ـــ دمره الله وقذف به وبطواغيت الشرك في بحبوحة الهاوية ، وما كان من إرساله إليه بالهدية ، فيحيط بعلمكم أن هذا الخبر كان قرع أسماعنا الكريمة على ألسنة العوام ، فلم نصدقه لاستغرابنا أن يرضي أحد الانتصار بالكفر على الاسلام إلى أن جاءنا كتابكم فزال الشك والريب واتضح مازر عليه منه الجيب ، وكل من له سعي في خذلان الاسلام وتفريق كلمته ، فالله تعالى بفضله خاذله ، ومنزل به عاجل انتقامه وآجله ، ثم اعلموا أنه أن آنستم من جانب الكفرة ـــ دمرهم الله ـــ عمارة تنشأ أو أسطولا يؤم ناحيتكم ويغشى ، واحتجتم إلينا فنحن ـــ بحمد الله ـــ بأنفسنا وأموالنا وأجنادنا موجودون لنصرتكم على أتم أهبة واستعداد ، واحتفال لا يزال لنكاية الكفر بحول الله بالمرصاد ، وآذاننا صاغية لداعيكم ، وهبوب صوت مناديكم ، ومتى ناديتكم وأفيناكم بحول الله بعساكرنا المظفرة بالله خيلا ونارا ، وأسود بجهاد تزأر في ذات الله نهارا ، فإن كلمة الله الاسلام في النصرة على أعداء الدين واحدة وعلى أرغام أنوف المشركين بحول الله متعاضدة » (51) .

ورغم التعاطف الذي أبداه المنصور في رسالته الجوابية فإنه في واقع الأمر لم يكن مطمئنا إلى الأتراك في الجزائر ، بل كان دائما ينتظر الفرصة الملائمة لنشر دعوته . وهكذا فقد كان يأوي عددا من أمراء بني زيان ومنهم محمد الواثق الذي كان يجد في المنصور كل عون ومساعدة على مهاجمة خصومه الأتراك بالجزائر « السلطان الأجل ... فيليب ... كتبها محمد الواثق الشريف الزياني ابن صاحب إمارة المغرب الأوسط ... وتولى مولاي أحمد ... ومات أبي فخلفت أنا الحروب التي كانوا يحاربوا أهلنا مع الترك وجهزت لهم محلة في حياة مولاي أحمد وأخذت لهم ناحية من البلاد وكانت الحرب مرة علينا ومرة عليهم كعادة الأيام وكنت مع مولاي أحمد كأحد أولاده على وجه الضيافة وكان لي نصيب في طاعة المغرب من بلاد وإقامة وغير ذلك » (52) .

ـــ الوضـــع الفكـــري :

ولم يكن الوضع الفكري بالجزائر باحسن حال من الوضع السياسي ، فالأتراك لم يكونوا في يوم ما دعاة ثقافة وإنما كانوا رجال حرب ، وهكذا فقد ظل الوضع الثقافي بالجزائر يعرف تدهورا مستمرا إلى أن وصل إلى الوضعية التي سجلها أبو سالم العياشي حيث يقول : « ...

---

(51) انظر رسائل سعدية، 143 ـــ 144 .

(52) نص الوثيقة في **المجلة التاريخية المغربية** (تونس)، عدد 2، 125 .

ملاحظة : البيان والأخطاء موجودان بالاصل.

وكان دخولنا لمدينة (ورقلا) عشية الخميس ، وأقمنا يوم الجمعة ، وصلينا بجامع المالكية ، وخطب الخطيب بخطبة أكثر فيها اللحن والخطأ والتحريف والتقديم والتأخير مع إدغام أكثر حروفها ، حتى كأنها همهمة ، فكنت أتخوف أن لا تصلح لنا معه الجمعة — إن كانت صلاته كخطبته — ، فنجى الله فأحسن في قراءة الفاتحة ، فما ظننا أن صلاتنا معه مجزئة ، ودعا في خطبته للامام المهدي ثم للسلطان الأعظم الخاقان الأفخم : محمد بن إبراهيم بن مراد ...فلما فرغ من الصلاة بعثت بعض أصحابنا ليسأله عن المهدي المدعو له في الخطبة ، أهو المنتظر ؟ أم أحد المنتحلين ذلك لمن مضى ؟ فسأله عن ذلك فإذا هو لا يفقه شيئا من ذلك ، وقال : أظنه النبي — صلى الله عليه وسلم — . فعلمت أنه وجد الخطبة مكتوبة في صحيفة عنده وحفظها كما وجدها ، إلا أنه لم يحرر حفظها ونقلها ، ولعلها من خطب بعض من كان أيام المهدي بن تومرت ، زاد فيها هو الدعاء للامامين اللذين في عصره ... » (53) .

واستمر مسلسل التدهور بشكل مروع سجله الحسين الورثلاني (54) حيث يقول : « ... ولما دخلت مسجدها (بسكرة) لم أجد قارئا ولا مدرسا ، سوى رجل واحد متى يقرأ لوحه — وهو ملقى أمامه — يقرؤه على غير أدب ولا استقامة . وأخبرني بعض أصحابنا أنه وجد رجلا واحدا يسرد **البخاري** وحده ، ووقف عنده وقال له : رح ياحاج ، ووجد آخر كذلك . ولعمري أن هذا أدل دليل على الخراب وأقرب الأسباب له ، بدليل ما روي عن النبي ﷺ أنه قال : إذا أراد الله عمارة قوم بدأ بما فيهم ، وإذا أراد خرابهم بدأ بما له فيهم ، أو كما قال : قال ﷺ . ولقد بدأ الله هذه البلدة بخراب بيته ، فهو أقوى الدلائل على خراب البلد وموته . ولقد مرضت من ذلك الأحشاء، والله تعالى يفعل في ملكه ما يشاء ... ويعذب من يشاء ويرحم من يشاء... »(55)

وهكذا فقد كان طابع الحركة العلمية آنذاك هو الجمود والانحراف ، يقول الباحث الجزائري محمد بن عبد الكريم في هذا الصدد : « ... وقد كانت الحركة العلمية — آنذاك — دينية تمت إلى العلم الظاهر وصوفية في آن واحد ، بيد أنهما ضئيلتان ، فالدين الظاهر قد أصبح تقليدا أعمى ، معتمده الحفظ الجاف لنصوص الحديث واجترار الأراجيز الفقهية والاذكار الصوفية ، وضبط ست وستين عقيدة ليخرج المكلف من ربقه التقليد :

إذ كل من قلـــد في التوحيـــد إيمانـــه لم يخـــل من ترديـــد

---

(53) ماء الموائد، 1 : 46.
(54) انظر ترجمته عند بن محمد بن عبد الكريم، المصدر السابق، أص 78 — 79.
(55) نزهة الانظار، في علم التاريخ والاخبار، ص 92 .

وقد كان جل علماء ذلك العصر لا يحكمون العقل ، بل ينحون نحو التسليم إلى من سبقهم من رجال التقليد ، ويرون في الأخذ بالمنقول أصوب منهج لمن اتبع سنة الله ورسوله ، حتى أنشد بعض علماء العصر :

خبرا عنـــــي المريـــــد بأني كافـــر بالـــذي قضتـــه العقـــول
ما قضتـــه العقـــول ليس من الـــد ين بل الديـــن ما حوتـــه النقـــول

أما التصوف فقد تحول إلى دروشة ، تتبلور في التوسلات بالأضرحة والقبور ، والتسلي ببسط الأكف عند المزارات في الحل والترحال ، والركون إلى الخرافات الخيالية ، وكل من يتصفح مؤلفات ذلك العصر الخامل ومصنفاته الباكية يجد نفسه يعيش في عالم الأموات ، فهذا يرقب خروج الدجال من المشرق ، وذاك ينتظر ظهور الدابة ، وذاك يتوقع انقضاء الدين وفناء المادة ، والنفخة الأولى في الصور ، ومن ظفر **بكتاب ابن سيرين** لتأويل رؤياه ، فقد فاز بكل ما يتمناه ... » (56) .

الوضع السياسي والفكري بتونس :

نورد في البداية نصا مهما للمؤرخ التونسي حسين خوجة (57) يلخص بدقة الوضع السياسي والاداري بتونس في هذه الفترة إذ يقول : « ... وقد تقدم ذكر فتح حلق الوادي ، لست مضين من جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وتسعمائة ، على يدي الوزير الأعظم والسردار الأكرم سنان باشا — رحمه الله — . وقبل عوده ورجوعه ، إلى جانب السلطنة العلية ، خلف في مدينة تونس لمحافظتها ، أربعة آلاف عسكري ، وهي دار معينة من ديار عسكر الينجرية بآغاتهم ومقدمي عسكرهم . وانتخب منهم أربعين رجلا ، من صناديد الرجال الغزاة المجاهدين ، يسمى كل منهم باسم داي ، كناية عن أصحاب الشجاعة والخصال ، وقدم كل رجل من الأربعين على مائة من الأربعة آلاف عسكري ، لوقت الحاجة ، ومدافعة الأعداء . وقرر بها أيضا أمير الأمراء الكرام ، المعين من الباب العالي المعظم حيدر باشا لمحافظة البلاد .

وعين أيضا أمير لواء لضبط الأوطان ، وتقرير رعاياها ، واستجلاب جباياها رمضان باي .

وعين لها أيضا قاضيا لاجراء الأحكام الشرعية بين الناس ، وهو العلامة المولى حسين أفندي ، ومكث بتونس وتزوج بها ، وله عقب إلى الآن معروف . ودون دواوين مرتبات العساكر ،

---

(56) المصدر السابق، ص 49 .
(57) انظر ترجمته عند : الطاهر المعموري، مقدمة تحقيق **ذيل بشائر أهل الايمان**، ص 60 — 78 .

وعلوفاتهم حسب مراتبهم ووظائفهم ، وتركهم على هذا النظام ، وكر عائدا إلى دار السلطنة اسطنبول .

وقد اقتبس أيضا اقتباسات من ديوان مصر والجزائر . وبقيت أحكام العساكر ، ومرجع أمرهم ، لنظر آغاتهم وديوانهم ، ووالي البلاد الباشا ، وأمير الأوطان الباي في تصرفاتهم واستجلاب الجبايا، وضبط الأموال، لتصرف في مرتبات العساكر. واستمروا على هذا النظام برهة من الزمان، ولكن حكام أهل الديوان عظمت شوكتهم ونفذت كلمتهم، وجاروا في أحكامهم ، وبلغ من جورهم ما عم سائر الناس خصوصا على العساكر ، فضجروا من ذلك ، فكان آخر أمرهم ، أن قام العسكر منهم ، وأوقعوا السيف والقتل في كبار أهل الديوان . وفي ساعة واحدة قتل ثمانون نفرا من طائفة البولكباشية ، وقطعوا رؤوسهم ، وألقوها قبالة باب قصبتها . وكانت فتنة عظيمة سنة تسع وتسعين وتسعمائة فتداركها العقلاء ، وحضرة الباشا وأعيان العسكر . وعقدوا ديوانا باتفاق من عسكرها ، أن يقدموا من ينظر في أمرهم واحدا من الدايات الأربعين المقدم ذكرهم ، ولا يتصرف أهل الديوان في عسكر يولداش إلا بمشورة المقدم الذكر ... » (58) .

وهكذا فبعد أن احتل سنان باشا تونس ، وطرد الاسبان من آخر معاقلهم التي تحصنوا بها سنة 982 /1574 (59) . انتقى أربعة آلاف من الانكشاريين (60) الذين جلبهم معه لحماية البلاد والمحافظة عليها . وكان على رأس كل مائة جندي بولوك باشي (61) . وعددهم أربعون يتألف منهم ديوان (62) الانكشارية . ويقود الجميع الآغا (63) يعينه في القيام بمهامه نائب ، وثمانية شواش ، وكاتبان ومترجم .

أما حكم البلاد فقد أسند للباشا الذي يسميه الباب العالي (64) مباشرة مستعينا في ذلك بالديوان الذي يتشاور معه في الشؤون الهامة (65) . واهتم الباشا كذلك بجمع الضرائب ، الذي

---

(58) انظر **ذيل بشائر أهل الايمان**، ص 87 — 89 .

(59) انظر عزيز سامح، **الأتراك العثمانيون في شمال افريقيا**، 258. P.Dan, Histoire de Barbarie, P.144.

(60) انظر :

J. Pignon, La milice des Janissaires au temps des deys (1590 — 1650), C.T. N° 15.

(61) قائد أو رئيس سرية، وتشير اليه المصادر باسم داي .

(62) خصص سنان باشا مقاعد في الديوان لأهل الحاضرة تأليفا لقلوبهم .

انظر : ابن ابي لضياف، **الاتحاف**، 2 : 27 .

(63) انظر :

CL. Huart, art sur Agha. EI. 1913. T.I, P.184.

H. Bowen, Art sur agha. EI. 1960 T.1, P. 253 — 254.

(64) انظر :

J. Deny, Art sur Bad l'Ali . E.I. 1960, T. 1 P. 859 .

(65) انظر عبد العزيز سامح، المصدر السابق، ص 288 .

يرسل من أجله الباي [66] مستعينا بالبعثات العسكرية التي كانت تمهد البلاد ، وتنشر فيها أمنا نسبيا بين القبائل ، حتى يسهل عليها جمع الأداءات .

وقسمت البلاد الى ولايات ومناطق عسكرية، وعين على رأس كل منطقة ضباط وعسكريون وولاة . وتحددت مرتبات الجنود، والكتاب، وموظفي الديوان . وهذه التنظيمات المختلفة وقع اقتباسها من الولايات العثمانية الأخرى كمصر والجزائر .

ولكن هذه التنظيمات الادارية كانت كثيرا ما تختل بسبب سلطة الانكشاريين، وخاصة أعضاء الديوان الذين غرتهم نشوة الانتصار العسكري فتجاوزا حدود نفوذهم [67] . ولعل الغنائم الكثيرة التي كان يتحصل عليها ريابنة البحر دفعت عساكر الانكشارية للتفتيش عن مصادر للمال في البر، فتكالبوا على الثروة، وجمع المال الذي كان من أهم أهدافهم عندما تسابقوا للمشاركة في حملة سنان باشا .

وعندما يجرى تغيير في الولاة، يطلبون بزيادات في مرتباتهم أسوة بما يجري في تبديل السلاطين . ولايجاد هذه الأموال كانت تزداد الضرائب على الشعب، الذي اضطر الى ترك البلاد أمام تمردهم وعجزه عن الدفع .

وبينما كان الانكشاريون يفعلون ذلك، كان حكام الألوية يسلبون أموال الأهالي لحسابهم أما السكان فوسيلتهم كتابة رسائل التذمر من الوضع الى الباب العالي لكنها تظل بدون جواب [68] .

ثـــورة سنـــة 999 /1591

اندلعت بسبب هذه الأوضاع ثورة عساكر الانكشارية [69] فقتلوا فيها أعضاء الديوان بسبب تجبرهم وظلمهم للجنود . عند ذلك تدخل الباشا [70] وأعيان البلاد، وقرروا اجراء تعديلات جديدة في نظام الحكم . منها : تعيين الداي رئيسا للدولة وابقاء الباشا شخصا شرفيا،

---

(66) يشك السراج في وجود الباي زمن الباشا .
(67) انظـــر :
A. Rousseau, Annales Tunisiennes, Alger 1864, 1 Vol. P. 33.
(68) نفس الصفحة والمصدر
(69) انظر ابن أبي دينار، المؤنس، 190 .
(70) يظهر أن الوالي في ذلك الوقت هو حسين باشا.
انظر عزيز سامح، المصدر السابق، ص 292 .

يلبس الخلعة السلطانية (71)، ويمثل مصالح الباب العالي .

وتذكر المصادر أن أول باشا حكم البلاد وهو حيدر باشا، وسكتت عن بقية الباشاوات الذين تعاقبوا في الحكم الى اندلاع ثورة الجنود سنة 999 /1590 ، الا سامح عزيز (72) الذي قدم قائمة في الباشاوات وهم : حيدر باشا الذي حكم البلاد الى أواخر سنة 983 /1575 ، رجب باشا الذي أظهر في أول الأمر حنكة وعدلا ومقدرة، فأعرب السكان للسلطان عن سرورهم به الا أنه سرعان ما خاب أملهم فيه، فعزل وعوض بحيدر باشا مرة ثانية ، الذي وجهت ضده شكاوي عديدة الى الآستانة، فعوض برمضان، الذي استمر حاكما الى سنة 987 /1579 . ثم جاء بعده جعفر باشا فمصطفى فحسن (73) وهكذا إلى سنة 999 /1590 ، السنة التي اندلعت فيها ثورة الانكشارية .

ومدة حكم الباشا هي ثلاث سنوات، وهو وقت قصير نسبيا لا يستطيع معه النظر في مطالب السكان، ولا اقرار طريقة سليمة في الحكم (74) . والملاحظ أن النظام السياسي الذي سنه سنان باشا، كان يعتمد على السرعة ــ شأن النظم التي تفرض اثر الحروب ــ وتنقصه الاعتبارات الانسانية، بالاضافة لفوضى الانكشارية، وتدخلهم في كل أمر، وافسادهم ادارة الولاة والقضاء (75) .

كان جنود الانكشارية يقضون جل أوقاتهم في الفتنة والشغب، يخترعون أنواع البدع : يجبون الأموال ولا تعطى للخزينة، ويغتصبون أراضي الأهالي فيزرعونها ويحصدونها بدون دفع ضريبة الدولة . ويسجلون أبناءهم وخدامهم في قوائم المرتبات (76) .

وقد كانت هذه المساوىء هي الهموم المشتركة للولايات العثمانية في الغرب بصورة عامة . فما يقع في تونس يعاد مثله في طرابلس أو في الجزائر . ولا يمكن الاصلاح لأن المسيء هو المسؤول نفسه . وكل والي يعين يؤمر بالتحقيق في مساوىء خلفه فيرتكب أكثر منها (77) . وبعد حادثة الانكشارية واستلام الدايات للنفوذ، وتخلي الباشاوات عن الحكم . لم نعد نعثر في المصادر المختلفة على وجه من وجوه النفوذ عندهم، الا بعض الاشارات لأسماء الذين استمرت السلطنة

---

(71) انظـــر :

CH. A. Julien, Histoire de l'Afrique du nord, P. 276.

(72) المصدر السابق، 277 ــ 303 .

(73) انظر الجدول الذي وضع في أسماء الباشوات عند حسين خوجة، **ذيل بشائر أهل الايمان**، ص 327 .

(74) انظر، الطاهر المعموري، المصدر السابق، ص 23 .

(75) نفس المصدر والصفحة .

(76) نفس المصدر والصفحة .

(77) انظر عبد العزيز سامح، المصدر السابق، ص 271 .

العثمانية في ارسالهم، وبعض المهام الثانوية التي قاموا بها (78) . أما بالنسبة لميدان القضاء فنذكر أن أهل البلاد كانوا يمتنعون عن أداء مهامه، لشعورهم بغرابة الاتراك، ونفورهم من مذهبهم الحنفي . وهذا القاضي علي أفندي يهدد الشيخ ساسي نويقة بالعقاب ان لم يتول نيابة القضاء (79) وبالنسبة لعدالة القضاة في هذه الفترة، فالمصادر تشير الى قلة عدالة بعضهم وتفشي الجهل فيهم، وخاصة القضاة الاتراك (80) .

وقد تجرأ أحدهم على شاهد عدل من طلبة العلم، فلطمه على وجهه، وكشف رأسه وعورته، ورفع رجليه في فلقة، وضربه بالعصا من غير موجب شرعي (81) وقد قام من أجل ذلك عدد كبير من السكان، ورفعوا أمرهم الى والي المدينة وأهل النظر، واشتكوا من القاضي المذكور بسبب ظلمه، واعتدائه على الناس، وتغييره للأحكام تحت تأثير الرشوة (82) .

وقد أجاب علي عبيد، بقوله : اذا كان الأمر كما ذكر فيجب اجباره على رد أموال الناس، ثم عزله عن منصب القضاء لثبوت جوره، لأن القاضي اذ ثبت ظلمه وجبت عقوبته ثم عزله (83) .

وينقل لنا الشيخ سعادة (84) عن المتقي عظوم في برنامج الشوارد : ان افريقيا لما دخلتها الفتنة، واختل نظامها تبدد نظام القضاة، وتشتت الفقهاء، وصار تصرفهم بمجرد التشهي والهوى ، والأغراض المالية والدنيوية . لا يعتمدون على أي قول من الأقوال سواء كان مشهورا أو شاذا . انما اعتمادهم على الوجاهة والتقرب لرجال الحكم . ومن أظهر علماء آذوه، وبادروا بحربه غيرة وحقدا (85) .

موقف القوى الوطنية من الأتراك :

نكتفي بالاشارة هنا الى الحركة الشابية (86) وهي حركة وطنية مهمة اتخذت منذ البداية

---

(78) انظر الطاهر المعموري، المصدر السابق، ص 23 — 24 .
(79) انظر حسين خوجة، **ذيل بشائر أهل الايمان**، ص 169 .
(80) انظر الطاهري المعموري، المصدر السابق، ص 33 .
(81) نفس المصدر والصفحة .
(82) نفس المصدر والصفحة .
(83) انظـــر :
H. chérif, Témoignage du Mufti Quasim Azzum, C.T. N° 77,78. 1972, P. 41 — 42 .
(84) أنظر : ابا عبد الله سعدة، **قرة العين بنشر فضائل الملك حسين بن علي**، مخطوط دار الكتب الوطنية بتونس، عدد 7129، ص 105 .
(85) نفس المصدر ص 106 .
(86) يقطن أغلب الشابية (الشابيين) حاليا بتوزر وينسب جدهم أحمد بن مخلوف الشابي الى بلدة الشابة

موقفا واضحا من الاتراك، وذلك انطلاقا من مصدر معاصر هو **الفتح المنير** لمحمد المسعود بن محمد بنور الشابي (970 /1562 ـ 1028 /1618) (87) ، فقد تناول المؤلف بجلاء موقف سيدي عرفة (مؤسس الدولة الشابية بالقيروان) من العثمانيين ومفاده أنه كان بحكم موقعه الصوفي لا يرى للعثمانيين هذه الأحقية في تمثيلهم للاسلام وفي اختصاص حمايتهم لدياره، وأكثر من ذلك فقد كان يعتبرهم أجانب عن البلاد، وهم في نظره من هذه الناحية لايختلفون عن الاسبان، لذلك جد في مناهضتهم وعمد الى تهجينهم والزراية بهم في فترة سبقت قدومهم الى المغرب، وهو الذي حدث سنة (932 /1525)، وذلك نتيجة لادراكه أنهم مصممون على فتحه . جاء فيه (ص : 102) : « ومن ذلك ما سمعته عنه أيضا، أنه أتاه قائد من قواد الترك خرج من البحر قبل انتشارهم في هذا المغرب، فأتاه زائراً وجلس بين يديه وأقبل عليه الشيخ « عرفة »، وقال : يا فقراء، هذا الرجل مكتوب على « زمزومته » الفتح فأي بلد توجه اليها فتحها الله له، ولكن فيه عيب، فقالوا ياسيدى ما ذلك ؟ فقال انه خصي فاعترف الرجل بذلك ووضع بصره في الارض » ، ان سيدي عرفة كان يؤرقه اصرار العثمانيين على الفتح وقدرتهم عليه، وان لم يكن قارا ولا مثمرا، حسبما يفيده هذا النص، ومثل هذه الافادة يحتاج الى دراسة تقييمية في ضوء الوثائق المختلفة، بيد أنه يمكن أن نشير الى أن سيدى عرفة كان يهدف الى تأسيس دولة قومية ذات طابع صوفي، بعد أن أسلسلت له أغلب القبائل الافريقية قيادها لذلك قاوم الحفصيين والعثمانيين فحقق ما هدف اليه وبدت دولته وان لم تعمر طويلا أول دولة قومية في تاريخ تونس (88) .

الـــوضـــــع الفكـــــري :

كان الصراع الدائر بين الاسبان من جهة والاتراك من جهة أخرى وما سبقه من صراع بين أفراد الاسرة الحفصية، أثره الكبير في الحياة الفكرية، فلقد طمست الحروب الطاحنة معاهد العلم والادب، وشردت العلماء والأدباء فتفرقوا في الآفاق. واستلم الترك مقاليد الولاية التونسية، وكان من المتوقع أن تسترجع هذه الولاية في عهدها الجديد نضارتها السابقة سريعا ولكن لم يحدث

بالساحل التونسي، بها ولد ونشأ، وفي مرحلة من مراحل عمره انتقل الى القيروان داعيا لمذهبه الصوفي ثم وفق ابنه سيدي عرفة في تأسيس الدولة الشابية بالقيروان، ولما أسقطها العثمانيون فر الشابية فطوفوا في الجنوب الغربي التونسي وفي المنطقة الجزائرية المصاقبة الى قسنطينة وخاضوا حروبا ضارية ضد العثمانيين استمرت ثلاثا وعشرين ومائة بين 965 /1557 و 1088 /1677، ثم استقر أغلبهم في توزر ابتداء من 1860 .

(87) أنظر ترجمته عند علي الشابي، « مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية »، مقال **بالمجلة التاريخية المغربية** (تونس) العددان 13 و 14 / يناير 1979، ص 62 وما بعدها.

(88) انظر علي الشابي، المصدر السابق، ص 71 .

هذا، لأسباب، أهمها أن الولاة الأتراك كانوا أعاجم ولم يكن لهم حظ من تذوق للأدب العربي ولم يحصل للقضاة الذين كانوا يفدون مع الجند العثماني إلى تونس، أن صقلت العربية ألسنتهم، وكانت عاصمة الخلافة إسطنبول تركية اللغة وبعيدة عن تذوق العربية مما جعل الولاية التونسية تظل ما يقرب من قرن ونصف خالية من الحياة الأدبية كما أشار إلى ذلك الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب حيث أسقط العصر التركي السابق للعصر الحسيني حين أرخ للأدب العربي بتونس، ولاحظ أن هذه الفترة تنعدم فيها الحياة الأدبية (89) ولم يقتصر الأمر على الناحية الأدبية بل تعداه إلى الناحية الدينية، فقد حاول الأتراك نشر المذهب الحنفي في البلاد، لذلك استقدموا عددا كبيرا من العلماء لمحاولة ادخال المذهب الجديد مؤيدين في ذلك من طرف الدايات والبايات.

لكن هذه المحاولة الأولى أخفقت لتعلق سكان البلاد بالمذهب المالكي منذ القرون الأولى، وضعف العلماء الأتراك الذين قدموا في الفوج الأول مع سنان باشا، وتغلب النزعة العسكرية عليهم، وقد ترتب عن ذلك إهمالهم للمراكز الدينية على اعتبار أنها تقوم على المذهب المالكي ومن ضمنها جامع الزيتونة الذي كان طوال التاريخ الاسلامي التونسي مركز إشعاع جاذب، إذ لم تسجل المصادر عناية أولاها الدايات أو البايات نحو الجامع ولا سعوا في احياء معالمه، ولا ترتيب دروسه (90).

أما الانتاج الثقافي في هذا العصر فقد كانت تغلب عليه التبعية والتقليد، وعكف الناس على المختصرات الفقهية يشرحونها ويعلقون عليها، حتى أصبحت دراسة الكتب هي الهدف، وضاع العلم واختفى الاجتهاد (91).

الوضع في ليبيا :

يقسم المؤرخون عادة فترة الحكم العثماني في ليبيا إلى قسمين :

الفترة الأولى : تمتد من 1551 إلى 1711

الفترة الثانية : تمتد من 1835 إلى 1911.

وبين الفترتين من 1711 إلى 1835 (ما يقرب من قرن وربع) كانت السلطة في يد أسرة (القره ما نلي) التي ظلت تتوارث الحكم طوال هذه المدة.

وواضح ما هذا التقسم أن الفترة التي تهمنا هي الفترة الأولى.

لم يختلف الحكم العثماني في ليبيا في هذه الفترة عنه في غيرها من الولايات العثمانية، فقد عين

---

(89) **مجمل تاريخ الادب التونسي**، ص 233 .

(90) انظر الطاهر المعموري، المصدر السابق، ص 46 .

(91) المصدر السابق، ص 50 — 51 .

العثمانيون واليا لحكم هذه الولاية. وكان القائد البحري العثماني درغوث أول والعثماني عليها.

وعمل هذا الوالي لفرض نفوذ الدولة العثمانية على الشواطىء الليبية كلها. لكن نفوذ العثمانيين في الحقيقة لم يتعد السواحل، ولم يتغلغل العثمانيون في الحياة العامة للسكان بل تركوا إدارة الأقاليم الداخلية للحكام المحليين وزعماء القبائل، واكتفى الباب العالي بأن تحمل إليه الضريبة السنوية. ولم يبذل العثمانيون جهدا لانعاش البلاد وتطوير اقتصادها، ويبدو أن هذا النوع من التدبير لقي هوى في نفوس حكام ليبيا وسادتهم العثمانيين، لكن بالتدريج ضعف نفوذ السلطان العثماني بحيث لم يبق له إلا المظهر الاسمي متمثلا في ذكر اسمه في الخطبة، كما أن الضرائب كثيرا ما امتنع الناس عن دفعها (92).

وكانت السلطنة العثمانية تكثر من تغيير ولاتها في ليبيا شأنها في ذلك شأن باقي ولايات الدولة، وذلك خشية أن ترسخ أقدام الوالي في الولاية فيفكر في الانفصال عن الدولة. ولذا فقد تعاقب على ليبيا عدد كبير من الولاة يذكر المؤرخ أحمد الأنصاري على الشكل الآتي : يحيى باشا (971 هـ)، مصطفى باشا (973 هـ)، محمد باشا عرف التركي (982 هـ)، جعفر باشا (990 هـ)، سليمان طاي الذي ولاه الجند عام 1012 هـ بعد أن حاصروا جعفر باشا في قصر الحكومة. ولم يمنحوه الأمان إلا بعد أن وعد بترك البلاد (93).

وقد ترتب على هذا التغيير المستمر في الولاة أن زاد نفوذ جنود الانكشارية واستبدوا بالأمر واضطر الولاة لاسترضائهم فاعتبروا أنفسهم طبقة ممتازة.

وأصبح ميناء طرابلس، وغيره من موانىء ليبيا، موائل للقرصان الذين زاد نشاطهم حتى أن الدول الأوربية البحرية اضطرت لدفع الاثاوات باستمرار، وعقد الاتفاقات مع حكام ليبيا لضمان سلامة سفنها ورعاياها، وأصبحت الدولة تقاسم القرصان دخلهم، فأصبحت القرصنة تمثل جزءا مهما من دخل ليبيا، وأدى هذا بالتالي لزيادة نفوذ رؤساء القرصان الذين تلقبوا بألقاب مختلفة، ونافسوا الولاة في السلطة والنفوذ (94).

وساعدت كل هذه العوامل على إضعاف نفوذ الولاة واضطراب الأمن في البلاد، فكثرت الفتن والقلاقل الداخلية وزاد تدخل رؤساء الجند في أمور الدولة، بالاضافة إلى نفوذ القراصنة وممثلي العصبيات المحلية. ذلك في الوقت الذي كانت الدول الأجنبية فيه ما زالت تطمع في وضع أيديها على الموانىء الليبية الهامة متذرعة بالاضرار والمخاطر التي تتعرض لها سفنها ورعاياها من جراء

---

(92) انظر شوقي عطا الله الجمل، **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث**، ص 131.
(93) **المنهل العذب**، ص 225 وما بعدها .
(94) شوقي عطاء الله الجمل، المصدر السابق، ص 132 .

أعمال القرصنة، ومن جراء عدم استتباب الأمن في ليبيا، وعدم وجود الشخصية القوية التي تمسك بزمام الأمور (95).

ويعطينا أحمد الانصاري صورا عن المدى الذي وصل إليه بعض الولاة العثمانيين من الضعف وانعكاسات هذا على الأمن في البلاد، فحين يتحدث عن جعفر باشا يؤكد : « أنه كان ضعيف الشكيمة، عاجز الرأي والحيلة، فتغلب عليه الجنود، واضطربت البلاد، وكثر الثوار والبغي والفساد، وتخطف الناس من السابلة وسرى هذا الداء في جميع أعمال البلاد، وأظلم الجو من بغي الجنود وجور العمال.... » (96).

أما عن سليمان طاي فيذكر : « أنه عاد فأساد السيرة، وبسط في الناس يد الجور، وأطلق يد الجند، وأباح لهم في هذه السنة (1022 هـ) نهب قرية تاجوراء، فجاسوا خلالها ودمروها وساموا أهلها سوء العذاب، ونهبوا جميع أموالهم وكافة مواشيهم... » (97). وقد سجل السفير المغربي علي التمجروتي هذه الوضعية ــ أيضا ــ عند تعرضه لثورة زعيم عربي في طرابلس : « ... واجتمعت عليه العرب وحشدها وأقام له ملكا في ديارهم... وقد كان يزعم أنه يقوم بتغيير مناكر الترك وفسقهم لبسط العدل... » (98).

ــ مصر : أوضاعها في الربع الأخير من القرن السادس عشر ومحاولة المنصور الاستفادة منها

تميزت هذه الفترة من تاريخ مصر بقصر عهد الولاة إذا ما قورنت بالفترات السابقة، ولم يدم حكم أطولهم مدة أكثر من خمس سنوات، ويفسر ذلك بالاضطرابات التي حدثت في مصر وأدت أحيانا إلى عزل الولاة غير الأكفاء. وبكثرة المرشحين في إستانبول لمناصب الولاة في فترة ضعف الدولة.

وتميزت في المجال الاجتماعي بما كان يعانيه المجتمع المصري من ظلم واستبداد مسلط عليه من طرف الكشاف والوالي والعساكر. وإن كان الكشاف والوالي غالبا ما يستغلون مناصبهم للاثراء ويزول أذاهم بعد عزلهم واستبدالهم بآخرين، فإن العساكر المتمردين كان أذاهم مستمرا، ذلك أن هؤلاء كانوا ينتسبون إلى طوائف عسكرية مقيمة في مصر وتتمتع بسلطة شرعية، وقد استغلوا هذه السلطة للتعسف وابتزاز الأموال، وصعب على الولاة إزاء ذلك القضاء عليهم بسهولة وكمثال على ذلك نذكر قيام العساكر بثورة دامية في ولاية أويس باشا (حكم مصر من 12

---

(95) نفس المصدر والصفحة .
(96) **المنهل العذب**، ص 232 .
(97) نفس المصدر والصفحة .
(98) **النفحة المسكية**، ص 77 .

جمادى الثاني عام 994 هـ / 31 ماي 1586 م إلى غاية وفاته في 6 رجب 999 هـ / 30 أبريل 1591 م) إذ هجموا على الباشا في 2 شوال عام 997 هـ وكان إذ ذاك في الديوان، فهرب، ولكنهم اقتحموا بيته وسرقوا أنفس ما فيه، وقتلوا ثلاثة من أتباعه، كما اقتحموا بيت قاضي القضاة بمصر الملا أحمد الأنصاري، وفي 4 شوال من نفس السنة قبضوا على اثنين من القضاة، وقطعوا رأسيهما في اليوم التالي، واعتدى العساكر المتمردون على الأسواق في القاهرة، وهاجموا بيوت الأكابر بالسلاح، وأخذوا منهم ما يريدون [99] وقد صب العساكر نقمتهم خاصة على العرب — أي السكان المحليين — من أصحاب المناصب، فهاجموا منازلهم وأطلقوا النار عليها.

واجتمع قاضي القضاة والدفتر دار وغيرهما من كبار الدولة في 8 شوال من نفس السنة، وحذروا العساكر من عاقبة أعمالهم، ولكن بدون جدوى. واضطر أويس باشا الى اصدار أمره الى قاضي القضاة بمنح العساكر الثائرين ما يريدون، بعد أن اخذوا ابن اويس باشا رهينة حتى ينالوا مطالبهم، وحين تم لهم ذلك هدأت ثورتهم .

وقد كانت مطالبهم تتلخص بالسماح لهم بأخذ (الطلبة) وهي مبالغ من المال كانوا يفرضونها على الفلاحين، ويأخذونها لأنفسهم بدون وجه شرعي، وأصبحوا يضاعفون هذه المبالغ كلما لمسوا القوة في أنفسهم، واذا كانت نقمتهم قد انصبت على القضاة بصورة خاصة، فذلك لأن هؤلاء حرصوا على تطبيق مبادئ الشريعة التي تمنع الظلم وفرض المال بوجه شرعي [100] .

ولمعالجة أسباب هذه الثورة ونتائجها يجب التعرف أولا على هوية هؤلاء العساكر الثائرين وعلى نوعية مهامهم التي مكنتهم من الوصول الى هذه الدرجة من القوة .

لقد كان أغلب الثائرين من العساكر السباهية (الفرسان) المتمركزين في الاقاليم، وكانوا مزيجا من طوائف الجنليان والتفنكجيان والشراكسة [101] ولا يعني هذا ان جميع أفراد هذه الطوائف كانوا ثائرين، ولكن الثائرين من بينهم تمتعوا بسلطة كبيرة، كما أن أناسا ليسوا بعساكر اندسوا بينهم فيما بعد للاستفادة من ثورتهم، ووصف الثائرون بأنهم من (الغز) أي من الأتراك سواء من العثمانيين أو المماليك، وهذا ما يفسر كرههم للعرب ومطالبتهم السلطات أثناء ثورتهم بمنع العرب من الانتساب الى الفرق العسكرية وذلك خوفا من مقاسمتهم لهم النفوذ والامتيازات .

وكانت مهمة العساكر الثائرين مساعدة الكشاف في جمع الضرائب، ويجب الاشارة هنا

---

(99) انظر عبد الكريم رافق، **بلاد الشام ومصر**، 241.

(100) أورد هذه الاحداث بتفصيل م. البكري الصديقي، **التحفة البهية**، 47 وما بعدها .
انظر عبد الكريم رافق، المصدر السابق، 242 .

(101) انظر حول هذه الطوائف، عبد الكريم رافق، المصدر السابق، 144 — 145 .

الى أن أراضي مصر السلطانية وزعت على ملتزمين يجلبون المال ويسلمونه للدولة، ولم تعط كاقطاعات، وقد تمكن عدد من أفراد هذه الطوائف العسكرية أن يصبحوا في عداد الملتزمين .

ومن الأسباب الأخرى التي أدت الى تمرد العساكر انخفاض قيمة العملة الفضية في الدولة العثمانية، وذلك نتيجة لحاجة الدولة الى المال لدفع رواتب الجنود والموظفين المتكاثرين، ولسد النفقات الأخرى . وتفاقمت الأزمة بتذفق الفضة من امريكا، فانهارت قيمة النقد العثماني (102) .

وقد حدث في مصر بالذات في سنة 1584 أن خفضت قيمة عملتها التي تسمى بارة بمقدار النصف (103) وانخفضت تبعا لذلك القيمة الشرائية للرواتب التي تدفع للجند وغيرهم من الموظفين واذا كان الموظفون المدنيون قد لجأوا الى قبول الرشوة للتعويض عن ذلك فان الجند، وخاصة في الولايات البعيدة عن مركز الدولة، اما انهم انهاروا او ضعفوا ازاء انخفاض قيمة رواتبهم كما حدث في اليمن، أو أنهم استغلوا قوتهم العسكرية لجمع المال، وعلى غرار هؤلاء الاخيرين استغل الجند السباهية في مصر نفوذهم ووظائفهم في البوادي فضاعفوا جهودهم للحصول على المال وفرضوا (الطلبة) على الأهالي .

ان تخاذل أويس باشا أمام العساكر المتمردين زادهم نفوذا لاسيما بعد أن لبى مطالبهم، وتوفي في ابريل سنة 1595 دون أن يضع حدا لتمردهم، ولم يلق المتمردون اية مقاومة من الواليين اللذين خلفا أويس باشا وهما : احمد حافظ باشا الخادم (999 هـ ـــ 1003 هـ /1591 ـــ 1595 م) وقورد باشا (1003 هـ ـــ 1004 هـ /1595 ـــ 1596 م) والجدير بالذكر أن سكوت السلطان على حوادث القتل التي قام بها العساكر شجعهم بدوره على التمادي في أعمالهم وعلى زيادة تصميمهم على مقاومة من يقف في طريقهم . وقد بلغت بهم جرأتهم في عهد الوالي التالي الشريف محمد باشا (1004 هـ ـــ 1006 هـ /1596 ـــ 1598) الى حد الهجوم على القاهرة ومحاصرتهم له وقتلهم بعض كبار اتباعه (104)واجتمع العساكر المتمردون من سائر الأقاليم في 1 رجب عام 1006 هـ وهاجموا الشريف محمد باشا وكان عائدا من الجيزة برفقة عدد من الامراء ومشايخ البدو والصناجق، والانكشارية، واطلقوا عليه النار، قرب القلعة، فهرب الانكشارية وحوصر الباشا، وطلب منه العساكر أن يسلم اليهم بعض كبار الأمراء والموظفين، فطلب مهلة، وقبل تحكيم الشرع بينه وبينهم، وكان ذلك محاولة منه لكسب الوقت وليتمكن من الهرب الى القلعة، وبدأ العساكر من ثم بقتل من طالبوا بتسليمهم ونهبوا بيوتهم، وكانت نقمتهم مرة اخرى منصبة خاصة على العرب الذين تزيوا بزي الأتراك (أي الذين اصبحوا موظفين عثمانيين

(102)انظر عبد الكريم رافق، المصدر السابق، 243 .
(103)انظر عبد الكريم رافق، المصدر السابق، 244 .
(104)انظر عبد الكريم رافق، المصدر السابق، 245 .

واستلموا مناصب هامة في الدولة) وقد عزل الشريف محمد باشا بعد قليل وتمرد العساكر على اشده .

هذه اذن هي أوطاع مصر : اضطراب واستبداد بالسلطة واحتقار للعرب، هذا الاحتقار الذي سجله ابن القاضي من موقع المعاناة اذ يقول : « ... ولأهل المشرق، لا سيما منهم الترك، ازدراء بالناس لا يرون العرب شيئا، فمن ذلك ما اتفق لي ذات يوم بباب جامع السلطان حسن بالرميلة من مصر مع بعض الشيب من الترك لما أردت دخول المسجد المذكور، فوافيتهم بالباب ولم أعظم قدرهم كما هي عادة أهل مصر معهم ، ازدراءا بهم فلما رأوا جفوتي وعدم مبالاتي بهم ونخوتي، قام الي احدهم وقال لي : ياكلب، الى اين تريد ؟ ٱلمسجد معد لأمثالك ؟ اذهب من هنا، فما هذا محلك، فلم التفت الى قوله لغربتي وعدم ناصري هنالك، فلما رآى ذلك مني ما أمكنه الا بصق على وجهي وانصرف ... (105) .

ونشير في الأخير الى أن المنصور وجه عناية كبرى لمصر لمركزها الستراتيجي ودورها الرئيسي كباب للشرق الاسلامي وقد سعى بشتى الوسائل الى توطيد نفوده بها، يدفعه الى ذلك :

1) علاقته القوية مع العديد من كبار علمائها وتبادله واياهم العديد من المراسلات التي تضمنت من جملة ما تضمنته :

ــ تمجيد المنصور لخلافته العربية

ــ تصريح بعض كبار علماء مصر كالبكري بمعاداة الأتراك، والاعراب عن رغبته في أن يكون الخلاص على يد المنصور : « ... واعجبا من طلوع الشمس من المغرب امانا للعالم ... استطار ذكره بين نقطتي الشروق والغروب ... وحشرت لدعوته أفئدة الموحدين، فالكل ينادي البدار البدار ... غرة مولانا امير المؤمنين، وقبلة الموحدين فأصبح الاسلام متوجا منه بعزة الحي القيوم .... وتشرف به تخت الخلافة على المماليك ... يناصرهم من فتاك الأتراك ... (106) .

2) اضطراب الحكم التركي، واستياء المصريين منه .

3) امكانية الوصول الى مصر بحكم مجاورتها لحدود الامبراطورية المغربية.

3) أماني المنصور البعيدة في نشر لواء خلافته العربية الهاشمية .

وهذا ما عبر عنه الفشتالي بكل وضوح عندما قال :

---

(105) انظر **المنتقى**، 359.

(106) انظر ع. العزيز الفشتالي، المصدر السابق، 192 ــ 193 .

قضى الله في علياك أن تملك الدنا وتفتحهـا ما بيـن سوس وسودان
وانك تطـوي الارض غيـر مدافـع فمن أرض سودان الى أرض بغـدان
وتملأهــا عدلا يرف لواؤه على الهرمين أو على رأس غمـدان
فكم هنأت أرض العراق بك العلا ووافت بك البشرى لأطراف عمـان
فلـو شارفت شرق البـلاد سيوفكـم أتـاك استلابـا تاج كسرى وخاقـان
ولـو نشر الاملاك دهـرك أصبـحت عيـالا علـى علياك أبنـاء مروان
وشايـعك السفـاح يقتـاد طائعـا برايتـه السوداء أهـل خراسان (107)

وقد اشتبه الاتراك في الاتصالات القائمة بين المغاربة والمصريين، ويبدوا انهم انتبهو الى ان شيئا ما يدبر في الخفاء ضدهم، فشددوا الرقابة، وحالوا دون أي اتصال جديد بين المغاربة والمصريين، الامر الذي حدا بالمنصور الى مراسلة الوالي التركي بمصر في شأن التوصية بالوفد المغربي، والتأكيد له بأن الوفد لن يقوم بأي اتصال في مصر الا بإذن الباشا : « ... وجهنا لهذا الغرض على الخصوص رجلا أرسلناه اليه، وألزمناه الاقتصار عليه، وهو مبلغه اليكم خديمنا الحاج احمد الوجاني وجعلنا وجهته الى بابكم، وأمرناه بخط رحاله برحيب فناء جنابكم، فاجعلوا عبئه من جملة كلفكم، وآووه من فضلكم الى كريم كنفكم، وخذوا بيده فيما عسى أن يحتاجكم اليه من ذلك، وقد ألزمناه أن لا يقطع أمرا من الأمور الا بأمرك ومشورتك هنالك، وهذا موجبه اليكم والله يرعاكم بمنه والسلام (108).

أما بالنسبة للناحية الفكرية فانها وصلت إلى حالة من الجمود لم تعرفها من قبل، يقول جرجي زيدان في هذا الصدد : « ان الآداب العربية على الاجمال أصبحت في أحط أدوارها وندر نبوغ العلماء المفكرين أو المستنبطين فيها. وأكثر ما كتب في هذا العصر (العصر التركي) انما هو من قبيل الشروح والحواشي، والتعاليق، وشروح الشروح ونحوها. ويصح ان يسمى هذا العصر : عصر الشروح والحواشي . وشاع في هذا العصر التصوف، وتعددت الطرق الصوفية، وكثر التأليف بلا نظام مثل : **الكشكول**، وانحط أسلوب الانشاء، حتى أوشك أن يكون عاميا، كما في قصص : بني هلال، ونحوها، مما وصل الينا من القصص الموضوعة في عصور الانحطاط ... (109).

ويقول عن الآداب الاجتماعية : « وسوء الادارة أفسد على الناس نياتهم، فتشوشت

---

(107) انظر **المنتقى** 371.
(108) انظر **رسائل سعدية**، 182 — 183 .
(109) **تاريخ آداب اللغة العربية**، المجلد الثاني، ص 284 — 285.

أفكارهم، وانصرفوا الى ما يشغلهم عن تلك المظالم، من المخدرات والمسكرات، وشاع استخدام الافيون والحشيش . واستعان الظالمون في حفظ سيادتهم بالتفريق بين الطوائف، فتمكنت البغضاء بينها .

وتوالت الأوبئة الوافدة لا سيما الطاعون، وكان يجرف الاحياء جرفا . فاستولى على الناس الخوف من الحياة، وتمكنت الاوهام من عقولهم، وزاد اعتقادهم في الخرافات، وتمسكوا بالاحلام، فكثر المفسرون لها، وشاع الاعتقاد بأن الرؤية من النبوة . وكثر اعتقاد الناس في السحر على أنواعه فكثر مدعوه، وتعدد المؤلفون فيه .

ومن عواقب المظالم انحطاط الآداب العامة بفساد الاخلاق . فشاعت قلة الحياء، وظهرت آثار ذلك في آداب اللغة، فزاد الكتاب جرأة على التعابير البذيئة، حتى في الخلاعة والفحشاء . وكثر السفه في المجون في الكتب، وفي الشعر . وكسدت بضاعة الأدب على الاجمال، فوصف ذلك صاحب **العقد المنظوم، في افاضل الروم**، المتوفى سنة 992 هـ، بقوله : « فانا قد انتهيت الى زمان يرون (أهله) الادب عيبا، ويعدون التضلع من الفنون ذنبا، والى الحنان المشتكي من هذا الزمان » . وآل هذا الفساد الى ظهور دعاة الاصلاح برد الفعل » [110] .

ــ الشـــــــام :

في دمشق : يمكن تقسيم الاضطرابات التي وقعت في دمشق في هذه الفترة الى قسمين :

1) الاضطراب الذي كان واقعا على مستوى السلطة بين الولاة والانكشارية خاصة بعد أن أصبح الجيش الانكشاري اكثر افراده من أصل محلي أو من الغرباء الوافدين على دمشق، بعد أن كان جل أفراده من أصل رومي، هذا رغم أن السلطان العثماني كان قد وجه منذ سنة 1577 فرمانا الى والي شام يأمره فيه بأن يمنع الذين لاينتمون الى أصل رومي من الانتساب للجيش .

2) الاضطراب الواقع على المستوى الاقتصادي : عرفت دمشق ايضا في هذه الفترة أزمة اقتصادية زادها حدة القحط، والطاعون، وتجلت بالخصوص في غلاء الحبوب في بلاد الشام بصفة عامة، فارتفعت أسعار الخبز الى الدرجة التي أثارت معها استغراب المؤرخ المعاصر شرف الدين موسى [111] ولم تنفع جهود الأتراك في استيراد القمح من مصر وقبرص وطرحه في الاسواق اذ سرعان ما ارتفعت أسعاره وزاد من حدة الازمة كذلك في دمشق وجود عملة نقدية خاصة بها

(110) المصدر السابق، ص 285.
(111) انظر عبد الكريم رافق، المصدر السابق، 187.

تصك فيها [112] وقد اختلفت قيمتها بالنسبة لقيمة النقد السلطاني في اسطانبول [113] ولم يدرك أفراد الشعب في دمشق الاسباب العميقة للازمة، فظنوا ان المسؤول عن ذلك هو تهاون القضاة الذين كانوا يقومون عادة بتطبيق قوانين الشريعة في عدم التلاعب بالاسعار باعتبار قيامهم أحيانا بدور المحتسب فهاجموهم وجهروا بالشكوى ضدهم .

واندفع الانكشارية نتيجة هذه الأزمة ولاسباب اخرى الى ابتزاز اموال الفلاحين في البوادي فزادوا بذلك من استفحال الوضعية .

في منطقة جبل لبنان :

حدثت في الربع الأخير من القرن السادس عشر عدة تطورات في منطقة جبل لبنان أدت الى شهرة فخر الدين المعني الثاني واخضاعه الامراء المحليين الذين اعترفت لهم السلطة العثمانية بولاياتهم على هذه المناطق، وقد أدى توسعه في النهاية الى اصطدامه بولاة الشام [114] .

فـــي حلـــــب :

حدثت في هذه الفترة عدة اضطرابات أثارها متمردون محليون شمالي حلب، وقد ساعدت جغرافية المنطقة على حماية هؤلاء المتمردين بل وتشجيع غيرهم الى اللجوء اليها، وكانت الاقليات التي تقطن هذه المنطقة تستغل دائما فرصة ضعف السلطة العثمانية لتعلن الثورة [115] .

ثانيا : في اسبانيا :

كانت اسبانيا في عهد فيليب الثاني تعيش وضعا خاصا تبرز ملامحه من خلال عدة معطيات :

1) **طابع التعصب الكاثوليكي الاعمى** الذي أمدته شخصية فيليب الثاني بكل الوسائل التي تجعل السياسة في خدمة الدين، ومن شأن هذه الوضعية ان تحجب عن فيليب الثاني الجوانب الخفية في الدولة وتجعله يجازف بمصلحة اسبانيا الحقيقة، كما وقع عندما تعمق في تتبع البروتستانت داخل اسبانيا وخارجها وما فعله ضد المسلمين واليهود . فهذه السياسة جلبت له عداء انجلترا وثورة الاراضي المنخفضة، وحقد الأتراك، بل ان الكثير من أفراد المجتمع الاسباني

---

(112) انظر حول وجود عملة خاصة نصك في دمشق :
J. de Thévenot, Voyages de Monsieur de Thévenot en Europe, Asie et Afrique, 2 a 688 .
(113) انظر عبد الكريم رافق، المصدر السابق، 88.
(114) للمزيد من التوسع انظر عبد الكريم رافق، المصدر السابق، 195 .
(115) انظر للمزيد من التوسع، عبد الكريم رافق، المصدر السابق، 200 — 201 .

نفسه لم يكونوا راضين عن سياسة المجازفة هذه [116] .

يقول المؤرخ الانجليزي هربرت فيشر بصدد شخصية فيليب الثاني : « ... وكان فيليب الثاني حاكما كاثوليكيا متدينا شديد التمسك بواجباته، وكان يرى أن أسمى رسالاته في الحياة ان يستأصل الهرطقة من جذورها في البلاد التي يحكمها، وأن يأخذ بناصر عقيدة آبائه في شتى ربوع العالم، ولما كان رجلا ضيق الافق جادا في عمله متوفرا عليه، عاجزا عن تمييز جلائل المسائل من حقيرها وبالتالي عاجزا عن أن يعهد بعمله لغيره، فانه أثقل نفسه بواجبات تافهة، بحيث خفيت عليه الجوانب الكبرى من سياسة الدولة ولقد ترسبت في ذاكرته بعض الذكريات المعتمة : كقتل أكبر أبنائه ـــ وكان مختل العقل ـــ، واغتيال سفير للأراضي المنخفضة سرا، ولا يعطي التاريخ امثلة كثيرة أفجع من حياة هذا الحاكم المستبد المنقبض المثقل الضمير، وقد راح منكبا على مكتبة وباذلا جهدا يفوق طاقة البشر يعمل لانقاذ امبراطورية اسبانيا الكاثوليكية من الافكار الجديد التي بلبلت الخواطر، ومن القوى العارمة التي كان يزخر بها العالم ... [117] .

2) اضطراب الاقتصاد الاسباني :

كان فيليب الثاني في حاجة مستمرة الى المال، ويرجع ذلك الى فساد النظم المالية والتبذير في موارد الدولة، فاسبانيا رغم قوتها وعضمتها كانت في الواقع سائرة في طريق الانهيار، ولهذا اسباب، فالسعي الجنوني وراء الذهب في العالم الجديد تسبب في انهيار الزراعة والصناعة وغلاء الاسعار وانتشار السرقة والفساد، وصار الملك لا يستطيع ان يجمع الكثير من المال من اسبانيا نفسها ورغم ثراء طائفة رجال الدين، فانها كانت معفاة من الضرائب، والامراء لم يكونوا يساهمون في موارد التاج بانتظام وساعد على الانحراط في اسبانيا فقد انها لأحسن صناعها وعمالها خلال عمليات طرد العرب، وفقدانها لكثير من قوتها التجارية من جراء طرد اليهود، وفقدانها الكثير من خيرة ابنائها عامة عن طريق أعمال محاكم التفتيش الرهيبة . من جهة ثانية نجد أن عمليات النهب والسرقة في المستعمرات الاسبانية في العالم الجديد والسياسة الاسبانية الضيقة الأفق، هناك، اسهما في إضعاف إسبانيا، فلم يكن يصل لخزائن الدولة سوى جانب ضئيل من الثروة التي كان يتم جمعها في العالم الجديد . واتبعت اسبانيا هناك سياسة عادت عليها بالوبال، فقد نقلت النظام الاقطاعي الى امريكا وشددت في منع غير الاسبان من الدخول الى مستعمراتها، وحرمت عليها التجارة مع الدول الاخرى، وفي نفس الوقت لم ترسل الى هذه المستعمرات ما كانت تحتاج اليه،

---

(116)انظر المناقشات التي جرت حول شخصية فيليب الثاني عند :
H. Lapeyere, les Monarchies européennes du XVI siècle, PP. 336 — 341 .

(117)انظر **اصول التاريخ الاوروبي الحديث**، 200 .

مما ادى الى عرقلة نمو المستعمرات وشجع التهريب على نطاق واسع وشل الرخاء الاقتصادي في اسبانيا نفسها .

يضاف الى ذلك ان مجهودات اسبانيا لزيادة قوتها السياسية في أوروبا ولقيادة حركة الاصلاح الكاثوليكي اضعفت الامبراطورية الاسبانية وأسرعت بانهيارها .

يقول المؤرخ الانجليزي (هربرت فيشر) بصدد اضطراب مالية اسبانيا : « ... ان ضعف اسبانيا كان في اضطراب ماليتها، لم توجد في القرن السادس عشر حكومة أوروبية ذات اقتصاد قوي، ولكن اسبانيا ضربت مثلا فريدا لبلد يمتلك مساحة واسعة من الكرة الارضية في كلا العالمين القديم والحديث، وفي متناول يديه أغنى الموارد، المعدنية المعروفة حينئذ، ومع ذلك فهو في حاجة مستمرة الى المال وهو غالبا عاجز ــ لفقره المدقع ــ عن القيام بأبسط أعباء الحكومة، وأسباب هذا التناقض يرجع بعضها الى سياسة عامة لا وعي فيها ولا ذكاء، وبعضها الى جهل بالقوانين الاقتصادية والى نظام ضرائبي فاسد، ولا يقل عن ذلك أثرا فقدان جدي لأعمال المضاربة والتذبير . ولم يكن باستطاعة الملك أن يجمع الكثير من الأموال من اسبانيا ذاتها : فالاكليروس ــ برغم ثرائهم العريض ــ كانوا يعفون من الضرائب، وفي قشتالة كان النبلاء غالبا عرضة لاجراءات ابتزاز طويل ــ كانوا يعفون من المساهمة في موارد التاج المنتظمة، وفي ارجونة، أقر الكورتيس مبلغا من المال ولكنه غير كاف بالمرة، ولما كان الانتهاب شائعا في المستعمرات الاسبانية، لم يكن يصل الى الخزائن الملكية سوى جانب صغير من الثورة التي كانت تجمع من المسيك والبيرو، ولكن اذا كان في الوسع علاج خراب الذمم بفرض قابة أشد صرامة فان اخطر من ذلك ان النظام المالي العام في الامبراطورية الاسبانية كان يقوم على نظرية خاطئة فيما يتعلق بالتجارة، اذ ان رخاءها كان يتطلب ان يوفر لها اقصى ما يمكن القيام به من التبادل الدولي للبضائع . أما أسبانيا فقد اتبعت فعلا خطة الحماية في أضيق صورها وأشدها اسرافا . ولم يكن في اسبانيا إذذاك أي علم أو صناعة، وعلى الرغم من أنها كانت عاجزة عن أن ترسل الى مستعمراتها ما كانت هذه الأخيرة تحتاج اليه، فانها حرمت عليها المتاجرة مع الدول الاخرى وكان من المتوقع أن تنتهي هذه السياسة الى احدى نتيجتين لا ثالث لهما : اما عرقلة التقدم المادي في المستعمرات، أو تشجيع التهريب على نطاق واسع. وقد أدت هذه السياسة في الواقع الى كلتا النتيجتين، هذا في الوقت الذي عرقلت فيه ضرائب داخلية لا حصر لها تجارة اسبانيا وزراعتها، كما اثقلت كاهلها كذلك ضريبة القبالة (Alcabala) وهي ضريبة كانت تفرض بنسبة 10 % على المبيعات، حتى انه من العسير ان نتصور وجود وسيلة أخرى دبرت خيرا من هذا لتشل الرخاء الاقتصادي عند شعب من الشعوب [118] .

(118) انظر المصدر السابق، 202 ــ 203.

3) كان المجتمع الاسباني يستفيد قليلا من موارد البلاد، قليل النشاط، فقيرا، متغطرسا، يطمع الكثير من أفراده الى أن يصبحوا من النبلاء (Hidalgos) أو على الاقل يريدون أن يحيوا حياة النبلاء . وكان سكان اسبانيا قليلي العدد وتناقص عددهم في آخر القرن وكان (الهيدالغوس) العاطلين عن العمل يتجولون بكل كبرياء (وهم يلبسون ارديتهم المهلهلة المرقعة وبطونهم خاوية جائعة) (119) .

هكذا اذن ومن خلال مقارنتنا للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية السائدة في المغرب في عهد المنصور بالاوضاع الاجتماعية والاقتصادية في دول معاصرة له، أدركنا مدى ما كان يتمتع به المغرب في عهد المنصور من رخاء اقتصادي وسلم اجتماعي مما جعل الكثير من الدول الاوروبية والاسلامية تسعى الى كسب وده للحصول على مساعدته .

المطلب الثانـي
فئات المجتمع المغربي في عهد المنصور

كان لظروف الأمن التي استطاع المنصور ان يوفرها للمغرب اثرها الفعال في تطور معالم الحياة الاقتصادية والاجتماعية، اذ امتزجت تيارات حضارية مختلفة : تركية واندلسية وأوروبية وسودانية مع مظاهر الحضارة العربية الاسلامية التي كانت تطبع الحياة المغربية آنذاك .

وهكذا اخذت انماط الحياة الاجتماعية تتطور مع ملاحظة ان هذا التطور حدث بالخصوص في المدن الكبرى .

وكتصنيف عام لفئات المجتمع المغربي، نلاحظ أن هناك :

الفئة الاولى : نجد ها في قمة الهرم الاجتماعي وهي افراد الاسرة الحاكمة، وقد كان المنصور يولي البعض منهم مهام سياسية أو يعطيهم ولايات خاصة .

الفئة الثانية : كبار القوم من الحكام السياسيين والقاذة العسكرين الذين كانوا يحيون حياة خاصة للانعامات والهبات المتوالية التي يغدقها المنصور عليهم في مختلف المناسبات والظروف، ثم للاقطاعات التي كانت تقدمها لهم الدولة، ويدخل في هذه الفئة رؤساء القبائل وشيوخها من (عرب الدولة) .

الفئة الثالثة : وتتكون من (شرفاء وقضاة وفقهاء وكتاب وشعراء وقراء وخطبا، واجناد

---

(119) انظر نور الدين حاطوم، **عصر النهضة الاوروبية**، ص268.

ورؤساء وأشياخ نبهاء وعمال) [120] ويدخل ضمن هؤلاء فئة التجار الاغنياء. ولا يخفى ما كان لهؤلاء من أثر في كثير من الاجراءات الاقتصادية التي اتخذها المنصور لصالح التجارة الداخلية بالمغرب والمساعدة التي قدموها في عملية فتح السودان .

الفئة الرابعة : وهي قاعدة الهرم الاجتماعي وتضم فئات العامة من أرباب الحرف وطَبقات الجند، وجمهور الشعب في المدن والبوادي وفي السهول والجبال .

لكن نثير الانتباه الى الملاحظات الآتية :

أولا : هذا التصنيف تصنيف مرن وليس بدائم، فهناك عناصر تحولت بسرعة من فئتها الى فئة اخرى احسن . اما نتيجة بروزها في ظروف سياسية طارئة، كتأييدها في عملية القضاء على ثورة ما، أو نتيجة خدماتها العامة للسلطة، أو نتيجة دورها الثقافي والعلمي .

ثانيـــا : نلاحظ العلماء كانوا يتميزون من بين كل هذه الفئات بوضع خاص، لما لهم من دور خطير بفعل نفوذهم القوي لدى العامة لهذا كان يتغاضى عن كثير من اعمالهم، بل ويتقبل انتقاداتهم ومن هؤلاء احمد بابا السوداني مع المنصور اثر عملية فتح السودان اذن ذكر الافراني عنه : « ... ولما دخل ابو العباس بعد التسريح من السجن على المنصور وجده يلكم الناس من وراء حجاب وبينه وبينهم شملة مسدولة فقال له : ان الله تبارك وتعالى يقول وما كان لبشر ان يكلم الله الا وحيا أو وراء حجاب وأنت قد تشبهت برب الارباب فان كانت لك حاجة في الكلام فأنزل الينا وارفع عنا الحجاب فنزل المنصور ورفع الستار، فقال له ابو العباس اي حاجة لك في نهب متاعي وضياع كتبي وتصفيدي من تنبوكتو الى هنا حتى سقطت من فوق الجمل واندق ساقي فقال له المنصور : اردناكي تجتمع الكلمة وانتم في بلادكم من اعيانها فان اذ عنتم اذعن غيركم فقال له ابو العباس هلا جمعت الكلمة بترك تلمسان وما يليها من البلدان فانهم أقرب اليك منا فقال له المنصور :

قال النبي ﷺ : « اتركوا الترك ما تركوكم فامتثلنا الحديث، فقال له ابو العباس : ذلك زمان وبعده قال ابن عباس :

« لاتتركوا الترك ولو تركوكم، فسكت المنصور ولم يجد جواب وانفض المجلس ... » [121]
ومما قاله ايضا عن الحميدي : « ... وكان للقاضي المذكور ادلال على المنصور لأنه شيخه فكان المنصور يتحمل منه لمكان الشيخوخة ...) [122] .

---

(120) انظر عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، 223 .
(121) نزهة الحادي، 97 .
(122) المصدر السابق 158 ـــ 159.

كما ذكر ابن القاضي أيضا ـــ وهو بصدد الحديث عن اقالة المنصور للعثرات ـــ ان : « أبا عبد الله محمد بن ابي زيد عبد الرحمان سقين شيخ شيخه رضوان بن عبد الله الجنوي المتقدم ذكره، كان قد ولاه خطة النظارة على مال الاحباس بمراكش المحروسة، وبقي في الخطة المذكورة اعواما، ثم ان قاضي الجماعة أبا القاسم بن علي الشاطبي اعلم المخدوم ـــ ايده الله ـــ بأمور توجب عزله من عدم قيامه بالاحباس وانه اضاع الأموال وبددها في غير وجهها وقد ترتب في ذمته منها ما ينيف على الخمسين الفا، فلما علم بذلك ووقف على صحته، لم يحاسب الرجل حياء منه لكونه ابن شيخ شيخه، فتجاوز عنه وأبقاه على ديوان الرماة، لانه كان بيده قبل ولم يواجهه بقبيح ولا جعل السبيل لا حد عليه بمحاسبته أو غيرها الى الآن ... (123) .

وبمناسبة ذكر رضوان بن عبد الله الجنوي في النص السابق نشير الى ان هذا الشيخ كا صارما في مقاومة الانحرافات وان صدرت من السلطان نفسه، ونذكر على سبيل المثال أنه بعث برسالتين الى المنصور بعد انتهاء معركة وادي المخازن تدل كلاهما على ما كان يتمتع به هذا الشيخ من حظوة لديه .

ففي الرسالة الأولى يثير انتباهه الى بلبلة البرتغاليين بعد انهزامهم في المعركة، ويلح على انتهاز هذه الفرصة لاسترداد المدائن التي يستولي عليها المنهزمون : طنجة وأصيلا وسبتة، حتى يتجاوب الحكم مع تطلعات الرعية، وهذه مقتطفات من الرسالة : « ... والى هذا فالله ؛ الله في الحزم، وامضاء العزم، وهو ما ظهر لرعيتكم من انتهاز هذه الفرصة الممكنة في هذا الوقت، من الحركة لمدائن الكفار التي هي طنجة وأصيلا وسبتة، فانهم في هذه الساعة في دهش وخزي وخذلان بما أمكن الله منهم، ولا أظن ـــ نصركم الله ـــ مثل هذا يخفى عليكم حتى نحتاج أن نذكركم به ... (124) .

أما الرسالة الثانية فيآخذ فيها العاهل ذاته على سياسته في قبول الفداء ـــ بالمال ـــ للأسرى البرتغاليين، في حين ان المسلمين والمسلمات بأيدي الكفار في غاية العذاب والاهانة، والفرصة مواتية لتخليصهم، وفي الحاح بالغ تحض الرسالة على العمل لفك الاسرى بقدر الجهد، وهذه مقتطفات من هذه الرسالة الثانية : « ... فاني أحمد اليكم الله الذي لا الاه الا هو، ومرادي ـــ ان شاء الله ـــ أن أبث لكم ما في باطني من الاحتراق، فقد قال القائل :

---

(123) **المنتقى**، 570.

(124) انظر أحمد المرابي، **تحفة الاخوان**، ص423 ـــ 424 .

ملاحظـــة :

نشر الأستاذ محمد المنوني هذه الرسالة كاملة في مقال له بمجلة **دعوة الحق**، السنة 19، العدد 8، غشت 1978، ص 31 .

فلا بد من شكوى الى ذوي مروءة   يواسيك أو يسليك أو يتفجع

وهي : كيف يمشي هؤلاء الكفار كلهم الى بلادهم، واخواننا ـــ المسلمون ـــ بأيديهم في غاية العذاب والاهانة ؟ ونحن قادرون على أن يبقى واحد منهم في أيديهم، وفداؤهم فرض علينا من بيت المال وأموال الناس كلهم حتى لا يبقى واحد، ففتح الله في هذا الفتح العظيم، ومن الله ـــ تعالى ـــ عينا به، وحصل في أيدي المسلمين رؤوس الكفر، الا وهم يمشون لبلادهم بالشيء التافه الذي لا حاجة للاسلام به، ويبقى اخواتنا بأيديهم، كأن هذا الأمر سهل، فلا ـــ والله ـــ ليس الامر بسهل، وانما يحاسب على ذلك من قدر عليه ولم يفعله، كالراعي والرعية، فان كان هذا حرصا على المال فان المال بالغرب كثير، وقبل أن كانت هذه الغنيمة اكنتم محتاجين اليه ؟ بل كنتم ـــ والحمد لله ـــ أغنياء عنه .

فالله الله في فك الأساري بقدر الجهد، ألم تعلم ان قسيس النصارى يشتري كبار النصارى بالشيء القليل ويحملهم الى بلادهم والناس ساكتون لا يعبأون بذلك، انا لله وانا اليه راجعون . وسمعت أن ابن الدك يقدر يفدي به ما لا يحصى، فالله الله، ثم الله الله في هذا الامر، وأنت أقدر الناس عليه، والامر الاكيد هو فك الاساري لله عز وجل ... (125) » .

ثالثا : ان الشرفاء وان ادرجناهم في الفئة الثالثة فان ذلك لا يعدو الا أن يكون ادراجا مؤقتا، فكما أن العلماء كانت لهم (حصانة علمية) فالشرفاء كانت لهم (حصانة شرفية)، ولا غرابة في ذلك فقد كان الشرف أحد المحاور الرئيسية التي قامت عليها الدولة السعدية وظلت متشبثة بها، وهذا مؤرخ الدولة الرسمي عبد العزيز الفشتالي يشير الى ذلك في أبيات من قصيدته :

امام البرايا من علي نجاره   ومن عترة سادوا الورى، آل زيدان
دعائم ايمان وأركان سؤدد   ذوو همم قد عرست فوق كيوان
هم العلويون الذين وجوههم   بدور اذا ما أحلكت شهب أزمان
وهم آل بيت شيد الله سمكه   على هضبة العلياء ثابت أركان
وفيهم فشا الذكر الحكيم وصرحت   بفضلهم آي الكتاب وفرقان

---

(125)انظر أحمد المرابي، المصدر السابق، ص 31 ـــ32 .
ملاحظة :
نشر الأستاذ المنوني ـــ أيضا ـــ هذه الرسالة الثانية ضمن المقال السابق .

فروع ابن عم المصطفى ووصيه — فناهيك من فخرين : قربي وقربان
بمجدهم الأعلى الصريح تشرفت — معد على العرباء عاد وقحطان
أولئك فخري ان فخرت على الورى — ونافس بيتي في الولا بيت سلمان (126)

ويشير ابن القاضي الى هذه المكانة الى كان يحظى بها الشرفاء قائلا : « فمما شاهدته في يوم جمعة من سنة اثنين وتسعين من مآثره ـــ أيده الله تعالى ـــ وذلك أنه وقف له بالطريق شريف من شرفاء مراكش حين رجع من مسجد الجمعة، وحلف عليه حتى يعطيه شيئا فأعطاه كسوة، وذكر لي أن من عادته مع الرجل اعطاؤه في كل وقت، ويصرف ما يأخذه منه في الخمر ويعود اليه فيسأله فيعطيه لمنزلته من الشرف (127) .

كما ذكر المختار السوسي في نفس الموضوع ما يأتي : « قرأت في وثيقة سقطت الي، كتبها احد علماء جزولة يوم الاثنين الاول من ربيع الأول، سنة 988 هـ حين فتح مولانا احمد الذهبي هذه البلاد من جديد، ونظمها تنظيما تاما، ان السلطان امر ان لا يتخطى بالوظائف المخزنية احد من ارباب الزوايا، الا اولاد الشيخ سيدي بيورك بن الحسين الهشتوكي المتوفى قبل هذه السنة بنحو اربع سنوات 983 هـ والا اولاد سيدي خالد الكرسيفي، والا الشرفاء الكثيريون والركراكيون والفلاليون واولاد سيدي يعقوب والشرفاء المعلومون، واما من عداهم فيلحق بغمار الناس في الوظائف المخزنية (128) » .

المبحث الثاني :
جوانب من الحياة السياسية والفكرية في عهد المنصور من خلال المنتقى

أ ـــ جوانب من الحياة السياسية والادارية :

سنحاول من خلال **المنتقى** أن نرسم صورة ولو مصغرة للنظام السياسي والاداري في عصر المنصور، وذلك لكي تكتمل لنا المقارنة التي حاولنا أن نعقدها لانظمة الحكم في المغرب العربي . فهذه المقارنة تبين من جهة ما اقتبسه المنصور من الاتراك، وتبين من جهة

(126) انظر **المنتقى**، 371.
(127) المصدر السابق، 379.
(128) **المعسول**، 1 : 93 .

أخرى ما استقل به وابتكره لتسيير دفة الحكم في البلاد . أول شيء نلاحظه في هذا المجال أن ابن القاضي حدد منطلقه من عنوان الكتاب نفسه : **المنتقى المقصور، على مآثر (الخليفة) المنصور**، وهو يعتمد على أحقية المنصور بالخلافة .

وبالفعل فالمولى أحمد منذ الساعة الأولى لتوليته، تسمى بالخليفة المنصور، تخليدا لانتصار المسلمين في معركة وادي المخازن من جهة، ولأن الحكام السعديين — لأصلهم العربي ونسبهم الشريف — (129) كانوا يعتبرون دولتهم من جهة ثانية بعثا وتجديدا للخلافة الهاشمية المنقرضة، وبأنهم أحق بخلافة المسلمين من الاتراك العثمانيين الذين هم من (جملة المماليك والموالي الذين دافع الله بهم عن المسلمين وجعلهم حصنا وسورا للاسلام ... وقلدوا الامر في الحقيقة نيابة وامانة يؤدونها الى من هو أحق بها وأهلها وهم موالينا ساداتنا الشرفاء ملوك بلادنا المغرب الذين شرفت بهم الامامة والخلافة) (130) .

وقد اتخذ المولى أحمد كل القاب الخلافة، فهو (أمير المؤمنين وامام الجماعة ... وركن الامامة ... والخليفة المخصوص بتراث الرسالة ومالك امرة المؤمنين) (131) . واستعمل جميع شاراتها مم ذكر اسمه في خطب المساجد أيام الجمعة والاعياد، وضربه على السكة والنقود، ثم الجلوس على أريكة الملك ولبس أبهى الحلل وأفخمها، كما أعطى لبلاطه وحكومته من المظاهر والصفات ما يؤكد قوته وعظمته، ويجعله جديرا بامامة المسلمين وخلافتهم العظمى :

(الحمد لله الذي رفع أعلام الخلافة بعد نكوصها ونكوسها، وأضحك مباسم الايام عند قطوبها وعبوسها، وجدد معالمها الدراسة، وأركانها الطامسة، بلمة من عترة نبيه، وخليله وصفيه، فنفق بهم كسادها، وأصلح فسادها، وأمن في الاغيال من الاغتيال آسادها، وكادت السخلة أن تفترس الضرغام، وتدس في فيه على رغمه الرغام، رأفة بالعباد من العيث، ورحمة للبلاد كالغيث ...) (132) .

وقد عمل المنصور على انشاء جهاز اداري وسياسي قوي، اذ كانت الحكومة التي انشأها تضم شخصيات من مستوى علمي رفيع : (... ويعين لشأن الرعية من يثق بنصحه

---

(129) يقول ابن القاضي في هذا الصدد : « أما نسبه — أبقاه الله وأيده ورفع ألويته — فلا خلاف أن شرفهم أصح شرف أهل المغرب، لان أصلهم من شرفاء ينبع، وقصة اتيانهم من ينبع الى درعة اذ اتى بهم أهلها من هنالك كما أتى أهل سجلماسة بني عمهم قبل ذلك ... ».
انظر **المنتقى**، 242.

(130) أنظر على التمجروتي، **النفحة المسكية**، ص 76.

(131) انظر **مناهل الصفا**، ص 1، (بتحقيق الدكتور عبد الكريم كريم).

(132) ابن القاضي، المصدر السابق، 237.

لعباد الله المسلمين وفيه شفقة على أمة محمد من الرؤفاء الرحماء، الناصحين الكرماء . فممن عينه لذلك الفقيه الصوفي المحب المفتي الحافظ الزاهد الخير، الورع الدين، الخاشع الأواه : أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الشريف الحسني ــ أحسن الله اليه، وأسبل نعمه عليه ــ، والفقيه الأجل، القاضي الاعدل، قاضي القضاة بالحضرة العلية، من الديار المراكشية : أبو القاسم بن علي الشاطبي، والفقيه الاجل الاكمل الاتقى، الانقى الاسعد الاصعد، الانصح لعباد الله تعالى : أبو الحسن علي بن سليمان التاملي . ومن الفقهاء الكتاب الفقيه الكاتب الناظم الناثر، حجة الاعلام، وحسنة الليالي والايام : أبو فارس عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم الفشتالي، والفقيه الكاتب الحافظ الناظم الناثر : أبو عبد الله محمد بن علي الفشتالي ــ أعلا الله مقامه، ورفع أقلامه ــ، والفقيه الكاتب اللوذعي الفكاهة الحافظ، الناظم الناثر، الاسمى الاسنى : ابو عبد الله محمد بن عمر، وغير هؤلاء ممن يطول ذكرهم . ومن وزرائه كالقائد الاعظم والخضم الفخم، الاسمى الاسنى، الامجد الانجد، الاحظى الارضى المحسن الانصح، القائد الارجح : أبو سالم ابراهيم بن محمد السفياني الروقي، صانع ايالته العلية، وناصح دولته الهاشمية ...) (133) . وقيمة هؤلاء تتجلى ــ بالاضافة الى مستواهم العلمي الرفيع ــ في اطلاعهم العميق على أحوال السكان وسلوك السلطة الاقليمية، والمعرفة بسير الاحوال خارج المغرب، ولا سيما بالنسبة للدول التي لها ارتباط وثيق بالسياسة المغربية، وفي مقدرتهم الفائقة في تحرير الخطابات الملكية والمنشورات التي تهم مختلف الاقاليم (134) . وكانت عناية المنصور بضبط أعمال مساعديه تفوق عناية أسلافه من ملوك الدولة السعدية، فكان يحاسبهم على عدم المحافظة على أوقات العمل الرسمية، والتأخر في الرد على المراسلات الادارية والسياسية : (... ويعين في كل سنة من يتفقد أحوال رعيته، ومن ينهي أمرها بحضرته، ويأخذ العهد من خواصه وجلاسه على مثل هذه الامور ألا يخفوا عنه شيئا جل أو صغر، ولا يغادروه صغيرة ولا كبيرة من أحوال رعيته، وقد يتولى بعض هذا بنفسه فيركب ويشق مراكش ليفحص في ركوبه عن أحوال رعيته، ويتوصل الى شكيته، وقد شاهدت ذلك، ولم يزل على هذا النحو في كل نفس، فأوقاته بالمصالح معمورة، وسيره في ملوك الأرض مشهورة، وهو أبدا رافع لما يرفع اليه من ظلمات الظلم، ويأمر بالنداء في البلدان برفع ذلك اليه ...) (135) . ومن أعماله احداث حروف (شيفرة) بعدد حروف المعجم سميت (الزمام) (136) وهي خاصة بالمراسلات السرية حتى لا يعرف فحواها اذا وقعت في ايدي

---

(133) المصدر السابق، 409 ــ 410.

(134) انظر ابراهيم حركات « أحمد المنصور الذهبي كرجل دولة » مقال بمجلة **دعوة الحق**، السنة 19 العدد 8، غشت 1978، ص 61 ــ 62 .

(135) ابن القاضي، المصدر السابق، 410.

(136) عثر بعض الباحثين على رسالة مكتوبه بطريقة الزمام بخط عبد الواحد عنون وتوصل لحل رموزها واستخرج =

العدو، وكان اذا غادر أحد أبنائه أو مساعديه المقربين العاصمة سلم اليه نسخة منها حتى يمكنه أن يفك بها رموز الخطابات الملكية (137) ، وقد أشرف على هذه (الشيفرة) في بلاط مراكش عبد الواحد بن مسعود عنون الاصيلي (138) .

وباستثناء بعض الجهات التي كانت تدين بالولاء للسلطان السعدي وتحتفظ باستقلالها في أماكن نائية من الامبراطورية، فان جميع الجهات الأخرى زودت بأجهزة ادارية يعين المسؤولون عنها في الغالب من المناطق الجنوبية القريبة نسبيا من العاصمة، كبعض العناصر السوسية والدرعية والفيلالية . وعلى العموم فقد تميز عنهد المنصور الذهبي بتقسيم جديد للمناطق الادارية التي تتميز بضخامة رقعتها، واستمر هذا التقسيم من سنة 1585 الى 1670، أي الى حين انهيار الدولة السعدية وقيام العلويين، بقطع النظر عما وقع من تمزق في السلطة وتوزيعها بين عدد من الاشخاص والحركات الثائرة (139) .

وكان المنصور ينيب عنه في هذه الاقاليم ابناءه ومن يتمتعون بثقته : (... وسلك سلكه في عدله (المنصور) وهديه أولاده المكرمون المعظمون المهتدون، فمنهم ولي عهده ووصيه على الخلافة من بعده، مولانا أبو عبد الله محمد المامون — أمن الله روعته، وستر عورته — لما ولاه مدينة فاس، لاحظ سيرة والده في كل الأنفاس . وقد شوهد من عدله وقيامه بالجيش وأكتاد دولتهم ما صيره في الخلفاء كنار في علم ...ومنهم واسطة عقد المجالس، وفارس الفوارس، ولده الواثق بالله مولانا أبو فارس، ضبط بالعدل أحوال الرعية وأحصى، لما أن ولاه والده السوس الاقصى، وكذلك شوهدت منه السير المرضية، والشهامة الهاشمية، لما أبقاه في الحضرة المراكشية ... ومنهم نخبة الولدان مولانا : أبو المعالي زيدان، ظهر على يده هتون، لما أن ولاه مكناسة الزيتون ... فأجرى أولاده (المنصور) — أيده الله — على العدل في المناهج المبرورة، والمساعي المشكورة ...) (140) . ويبدو ان الولايات التي يتولاها أبناء المنصور كانت تتمتع بصفات خاصة أبرزها ان الامير كان مطلق الصلاحيات، وان ادارته كانت تشبه الى حد كبير ادارة والده المركزية بمراكش (والى هذا فلا بد من تعيين قائد المحلة وحاجب وكاتب سرك وأصحاب مشورتك وصاحب المظالم كما هو عندنا) (141) ، وان الامير يجند قوات مسلحة يتخذها من

منها الاشكال السرية بالترتيب الابجدي .
انظر مقال ج. كولان في **هسبريس**، 1927، جزء 7، الشهور الثلاثة الثانية، ص 221 — 228.

(137) انظر ع. العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص 161.

(138) انظر ترجمته ومصادرها عند م. حجي، **الحركة**، 2 : 387 — 389 .

(139) انظر ابراهيم حركات، المقال السابق، المقال السابق، ص 62 .

(140) ابن القاضي، المصدر السابق، 410.

(141) انظر م. الافراني، نزهة، ص 178.

قبائل اقليمه للمحافظة على الامن وتسيير الشؤون : (بلغنا انه قد استخدمتهم هناك جماعة من أولاد طلحة ... وبلغنا أن الخلط رجعوا كلهم رماة ... بالمدافع والنار) [142] ، ولانجاد والده عند الملمات (وتزيد للقائد ... ألف رام ليستوفي بهم الغرض) [143] . وقد درج الملوك السعديون منذ تأسيس دولتهم على اتخاذ فاس مقرا لولي العهد، لاهميتها الدينية والعلمية وكمركز حضاري هام لا يقل أهمية عن العاصمة مراكش [144] ، لذا فقد عين المنصور منذ توليته ابنه محمد الشيخ وكان لا يزال صغير [145] على ولاية فاس وجعل معه من يساعده على تدبير الامور، ولما كبر أصبح المتصرف المطلق في المدينة واقليمها، وبديهي ان الغرابة من ذلك تدريب ولي العهد على ممارسة شؤون الادارة والحكم وتهييئة لتحمل المسؤولية الكبرى في المستقبل [146] .

ومن مبتكرات المنصور الذهبي في طرق البيعة لولي العهد، أن يؤدي المبايعون يمين البيعة أمام **كتاب الله وصحيح البخاري ومسلم** [147] . وبذلك يكون استعمال الصحيحين أو أحدهما ليمين البيعة، سابق لعهد مولاي اسماعيل بما يناهز قرنا، فقد اشتهر ان الجيش الافريقي الذي نظمه السلطان العلوي كان يؤدي اليمين على **صحيح البخاري** وبذلك سموا عبيد البخاري [148] .

وعلى العموم فقد قسم المنصور امبراطوريته الى اثنتي عشرة ولاية : مراكش، سوس، تادلة، مكناسة، فاس، تامسنا، درعة، تافيلالت، الصحراء، تيكورارين، الطوارق والسودان [149] ، وبالنسبة لهذه الأخيرة نشير الى أن المنصور جعلها (باشوية) وولي عليها قادة عسكريين حمل كل منهم لقب (باشا)، بيدهم كل السلطان العسكرية والسياسية، فاتخذت ولاية السودان لاجل ذلك طابعا عسكريا محضا [150] . وقد كانت السلطة السياسية تتكون من :

1 ــ **الحاجب** : المسؤول الأول في حكومة المنصور : (حاجب الامامة الكريمة وكبير الدولة الصدر القائد أبو محمد عزوز بن سعيد بن منصور الوزكيتي) [151] ، والواسطة بينه وبين

---

(142) المصدر السابق، ص 177.
(143) المصدر السابق، 178 .
(144) انظر عبد الكريم كريم، **المغرب في عهد الدولة السعدية**، ص233.
(145) انظر نص ولاية العهد في مناهل الصفا، ص 82، (طبعة الرباط).
(146) انظر عبد الكريم كريم، نفس المصدر والصفحة .
(147) انظر **مناهل الصفا**، ص 32 ــ 53، و م. الافراني، **نزهة** ص 99 ــ 100.
(148) انظر ابراهيم حركات، المقال السابق، ص 62 ــ 63 .
(149) انظـــر :
H. de Castries, Sources inéd. France, 2 : 236 .
(150) أنظر عبد الكريم كريم، المصدر السابق، ص 234.
(151) انظر **مناهل الصفا** (بتحقيق كريم)، ص 134 .

الوزراء والكتاب : (وكتبت لحاجب الباب أعرفه بالقصة ليقيم المعذرة عند السؤال عني) [152] ، وهو موضع ثقة المنصور : (وانتهى معهم الوضع تشييعا حاجب الامامة الكريمة ... استكفاه من مولانا الامام ... في تثقيف أحوال العساكر ومراقبة أمورهم عند منتهى العمران وتجديد ما وهي وانبث من أسبابهم وغير ذلك من شؤونهم، لم يستنم فيها الا لمثله من عليه الخدام الاكابر الثقاب ...) [153] .

2 ــ **كاتب السر** : الذي يحافظ على سر الدولة حتى لا (يطلع عليه الاجانب وان كانوا أحب من كل حبيب، وأقرب من كل قريب) [154] ، ويؤمن الاتصال بين الخليفة وجميع الولايات ومن الولاة الى الخليفة (وهو الذي يتولى قراءتها ويعرفكم مضمنها) [155] .

3 ــ أصحاب المشورة :

أي الهيئة الاستشارية التي كانت تتكون من (طبقات الاجناد وذوي الحل والربط وأولي البصيرة والحنكة وخبرة الامور) [156] . وقد كان المولى أحمد يلجأ الى عقد مجالس الشورى لاخذ رأي من يهمهم الامر من كبار دولته في بعض الامور التي ينوي الاقدام عليها، وذلك كما حصل عند تفكيره في غزو بلاد السودان .

4 ــ صاحب المظالم :

وهو الذي يتلقى شكاوي المظلومين ويرفعها الى المنصور للبت فيها، وغالبها ما كان الخليفة ينظر فيها بعد صلاة يوم الجمعة، يقول ابن القاضي في هذا الصدد : (وأما يوم الجمعة فشأنه فيه اذا فرغ من الصلاة، يجلس للنظر في شأن رعيته ولشكاويها والفصل، ورفع ظلمات ظلم الظالم عنها الى أن يصلي العصر، تارة يكون ذلك عن ضريح والده ــ وتارة بالمقصورة، وتارة بالبديع المذكور، وقد يستمر به الجلوس في بعض الايام الى صلاة المغرب، لا يألو ــ فيما طوقه الله ــ جهدا، ولا يلوي عنه عزما وقصدا) [157] .

وقد كان المنصور حريصا على اقامة الحدود الى حد كبير : (وأما اقامته للحدود على من وجبت عليه، فلم يبال في ذلك بأحد، ولم يلحقه في حق الله تعالى لومة لائم، فينصف الحق ولو

---

(152) المصدر السابق، ص 232 .
(153) المصدر السابق، ص 134 .
(153) المصدر السابق، ص 134 .
(154) نزهة الحادي (طبعة فاس)، ص 149 .
(155) نفس المصدر، ص 162 .
(156) انظر عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص 126 .
(157) المنتقى، 353.

من نفسه وأبنائه وأقاربه — أيده الله تعالى —، وخدمة الشرع يمسكون من وجب عليه حق، ويحمل من كل مكان ولو كان ببابه العلية الى الحضرة الشرعية، فحكم الله جار عليه من قصاص وغيره من الحدود الواجبة الثابتة ... وكثيرا ما تعرض لبعض الناس محاكمة معه في أمر من الأمور، مسلما كان أو كافرا، فيعين وكيلا لينوب عنه، ويتحاكم مع بعض من ذكر، فتارة يكون الحق له وتارة عليه، ويوفي طالبه حقه ان كان عليه حتى لا ينقصه منه دانقا واحدا ...) (158) .

5 — القاضي والمفتي :

كان القضاء أيام السعديين خاصا بالمدن وبعض القرى المهمة التي تتوسط قبائل كبيرة، يتولاه أكابر الفقهاء بظهير من الملك نفسه، ويمتد نفوذ قاضي المدينة الى ضواحيها القريبة وأحيانا الى الاقليم كله، ويسمى كل من قاضي فاس ومراكش والمحمدية قاضي الجماعة (159) . والى جانب القاضي يعين في المدن الكبرى، بظهير كذلك، مفت يرجع إليه الخصوم — مسبقا — لمعرفة الاحكام الشرعية المتعلقة بقضاياهم أو يعرضون عليه أحكام القضاة التي لا ترضيهم ليصححها أو يفتي ببطلانها . فكان المفتي لذلك بمثابة الخبير القانوني، والمراقب للأحكام أو قاضي الاستئناف، ولو لم يكن من حقه اصدار أحكام الزامية (160) من ثم كانت درجة المفتي أعلى من درجة القاضي ماديا ومعنويا، فكان القاضي عندما تحمد سيرته، بعد طول الممارسة والتجربة، يرقى إلى مرتبة مفت، مثلما حدث لعبد الواحد الونشريسي الذي مكث في قضاء الجماعة بفاس ثماني عشرة سنة قبل أن يلي خطة الفتوى على اثر وفاة شيخه على بن هارون . على أن هناك من شيوخ الجماعة من ولي بن الفتوى مباشرة دون سابق ولاية القضاء، كعلي السكتاني وعبد الواحد السجلماسي في مراكش ويحيى السراج ومحمد القصار في فاس، كما ان هناك من ولي القضاء والفتوى معا كعبد الرحمان التمنارتي في مدينة المحمدية (ترودانت) (161) .

واذا كان القضاء المغربي قد تمتع بسمعة رفيعة عبر التاريخ الاسلامي فانه في العهد السعدي عرف أجمل حقبه أيام المنصور بالذات . وهكذا كانت مسؤوليات القضاة محترمة لا تتدخل فيها السلطة التنفيذية . وكان في المستوى الاعلى لهذه المستويات، قضاء المظالم الذي كان

---

(158) المصدر السابق، 363 .

(159) انظر م. حجي، المصدر السابق، 1 : 116 .

(160) عندما يختلف رأي القاضي والمفتي في نازلة وستشبث كل منها برأيه، يرفع الامر الى السلطان . ومن أمثلة ذلك افتاء يحيى السراج باعتبار شهادة الاب والابن كشهادة واحدة اعتمادا على ما في **مختصر** خليل، وحكم القاضي عبد الواحد الحميدي باعتبارهما بشاهدين تبعا لما في **تحفة** ابن عاصم، فرفعت المسألة الى أحمد المنصور وأثبت رأي القاضي لانه جار على ما به العمل.
انظر : ت. ابن سودة، **شرح التحفة**، ص 1 : 97.

(161) انظر م. حجي، المصدر السابق، 1 : 116 — 117 .

يمارسه العاهل السعدي نفسه مع وجود ديوان للمظالم كانت مهامه تقنية ادارية أكثر منها قضائية [162] . وقد قارن مؤرخ فرنسي كبير من رجالات القرن الماضي بين القضاء الأوروبي والقضاء المغربي في القرنين 16 ــ 17 م (11 ــ 12 هـ) فقال : (في الوقت الذي كانت أوروبا في العصر السعدي يحتفظ الملوك فيها وحدهم بحق الحكم في عدد من القضايا، فان الملوك السعديين لا ينظرون الا في القضايا المرفوعة ضد رجال السلطة، وهذا ما كان يدعي بقضاء المظالم) [163] .

ولا مراء في أن المنصور كان أحرص ملوك الدولة السعدية على النظر في المظالم، يرأس مجلس المظالم في مقصورة جامع القصبة بمراكش، بجوار قصره، أو بضريح السعديين بنفس المكان. وما كان يتخلف عن هذه المهمة حتى أيام اجتماع الديوان الذي سيأتي ايضاح دوره . واذا انتقل الى فاس حضر مجلس المظالم الذي تساهم فيه شخصيات قضائية أو فقهية على مستوى عال من المعرفة بأحكام الفقه والقضاء . ومع هذا لم يكتف المنصور بالنظر في المظالم بل أنشأ لجنة للمراقبة تتولى النظر بصفة دورية في مجرى القضاء بالاقاليم وأوضاع الفئات الشعبية بوجه عام وكان المنصور يدرس تقاريرهم بعناية حتى يتتبع سير الاحكام والادارة بمملكته .

وقد أحدث لأول مرة في العهد السعدي منصبا لقاضي القضاة خصصه للسودان نظرا لبعد المسافة بينها وبين العاصمة، ويستقر هذا القاضي السامي بتنبوكتو، وأول من عين به : أبو جعفر العاقل الصنهاجي وهو مواطن سوداني ، وكان تحت نظره سائر قضاة السودان [164] . على أن أهم تجديد سياسي أدخله أحمد المنصور، هو بدون شك، احداث مجلس استشاري له تنظيمات قارة واختصاصات محددة، وقد سماه بالديوان ويجتمع أيام السبت والاثنين والاربعاء : (اعلم انه ــ ايده الله ــ قد سن في رعيته سنة اهتداء، وانتهج فيها مناهج اقتداء، وذلك كله من فعل عظماء السلاطين المهتدين . فمما سن في ذلك ما قدمناه انه اذ صلى الجمعة تارة يجلس بمقصورة المسجد وتارة عند ضريح والده ــ قدس الله روحه، وأسكنه من الجنان فسيحه ــ وتارة بقبته الخمسينية التي شادها في بديع أنسه للشكية، فتعرض عليه في المواضع المذكورة القضايا، وترفع له الشكايا، فيقضي فيها بعد له وقسطه، ولا يخرج عنه في حالتي قبضه وبسطه، وربما يعرض عليه شيٌ منها في أيام الديوان : السبت والاثنين والاربعاء ...) [165] ، وكانت اختصاصاته سياسية قضائية عسكرية، وهو معين غير منتخب، ولكنه يتميز بكونه يمثل مختلف الفئات

---

(162)انظر ابراهيم حركات، المقال السابق، ص 63 .
(163)أنظر :
Lavisse, Histoire générale, 4 : 141 .
(164)أنظر ابراهيم حركات، المقال السابق، ص 64.
(165) المنتقى . 409.

الاجتماعية على وجه التقريب، ففيه قادة عسكريون ووزراء وقضاء وفقهاء وزعماء شعبيون وغيرهم وهو مستمد من الديوان التركي الذي كان موجودا في كل من الجزائر وتونس، وكانت مهمته الأساسية مراقبة الباشا أي الوالي العام، وتزويد الباب العالي بكل المعلومات الضرورية عن سير الأمور في الايالة، وكان الديوان التركي بالاضافة الى ذلك أعلى هيئة قضائية حيث ترد اليه أحكام القضاة، فضلا عن اهتمامه بالمسائل الادارية والسياسية والخارجية (166) .

وكان المنصور يعتبره أعلى مرجع قانوني للبلاد، ويتنازل لاحكام قضاته لو كانت لغير صالحه (167) .

وعند ما يقتضي الامر استشارات على نطاق شعبي واسع، يضاف الى الديوان عناصر تمثيلية من مختلف المدن والمراكز القروية الكبرى (168) .

ونوه المؤرخ (لافيس) بمزايا هذا الديوان المغربي في وقت كان (ما يزال في أوروبا عصر الملكية المطلقة، فالبرغم من انشاء مجالس ملكية لمساعدة الملك في مهامه، يظل القول الفصل للعاهل) (169) .

ب ـــ جوانب من الحياة الفكرية :

بلغت الحياة الفكرية اوجها في عهد المنصور، ويتجلى ذلك بالخصوص في تزايد معاهد العلم والدراسة، وانتشار المراكز الثقافية في الحواضر البوادي على السواء، وفي كثرة العلماء والطلبة وتعدد مجالات اختصاصتهم . ويمكننا ونحن بصدد دراسة الحياة الفكرية من خلال المنتقى ان نسجل عدة ملاحظات، منها :

ـــ احتلال المغرب لمركز الصادرة في العالم العربي، نظرا لأن هذا الاخير كان خاضعا للاتراك العثمانيين، ولا يخفى ما صاحب هذا الخضوع من ركود فكري .

ـــ اجتازت مؤلفات المغاربة واشعارهم ورسائلهم الحدود فوصلت الى بلاد المشرق والسودان، وتنافس العلماء والأدباء في اقتنائها والتعليق عليها بالشرح والاقتباس والنقد والتقريظ .

وهكذا نجد أن جل كتب التاريخ والتراجم المشرقية التي كتبت في ذلك العهد تحمل

---

(166) انظر :

Mercier, l'Afrique septentrionale, 3 : 134 .

(167) مناهل، ص 142 ـــ 144 .

(168) ابن القاضي، لقط الفرائد، ص 316 .

(169) أنظـــر :

Lavisse, op. Cit. p. 140

صفحات عديدة في تراجم المغرب السعدي .

ما نجده ــ مثلا ــ عند المؤرخ التركي مصطفى الجنابي (ت 999 هـ /1590) في **البحر الزخار، والعليم التيار**، وعند نجم الدين الغزي الدمشقي (ت 1061 هـ /1651) في **الكواكب السائرة**، وعبد البر الفيومي المصري (ت1071 هـ /1661م) في **منتزه العيون**، ومحمد المحبي الدمشقي (ت 1111 هـ /1699 م) في **خلاصة الاثر**، بل منهم من خصص قسما مستقلا من تآليفه لتراجم علماء المغرب وادبائه كالشهاب الخفاجي المصري (ت 1069 هـ /58 ــ 1659 م) في **ريحانةالالبا، وفي خبايا الزوايا**، وعلى بن معصوم المدني (ت119 هـ /1707م) في **سلافة محاسن الشعراء بكل مصر** .

ــ تعززت مكانة العلوم العقلية والنقلية في عهد المنصور الى حد كبير، فبرز حيسوبيون، ومهندسون، واطباء وغيرهم، وكان احمد المنصور بنفسه يرعى العلوم ويشتغل بها وتحفظ لنا الوثائق الانجليزية صورا من هذه الرعاية، ففي رسالة مؤرخة ب 24 يونيو 1600 بعث التاجر الانجليزي بالمغرب Thomas Bernhere الى العالم الرياضي Edward Wright يقول « ... ان الملك مولاي احمد مغرم بدراسة علم الفلك وعلم التنجيم ويجل اعمال الادوات المتعلقة بالشمس والقمر التي هي من التدبير العجيب للغاية، لذلك فان كرتك وساعتك ومزولتك الارضية وآلة السدس وآلتك الفلكية المعدنية الجديدة المتخذة للاميال أواية آلة فلكية لها تتعلق بذلك، ستقبل قبولا حسنا، ويمكنك ان تبيع بأثمان جيدة ... (170) » .

ــ انتشار الثقافة في البوادي والجبال والصحراء وذلك نظرا لارتباط السعديين بمنطلقهم الاول وهوالجنوب، وهكذا كان السعديون في كثير من الاحيان يعتمدون على سكان البدو المثقفين للقيام بعدة مهام، سواء كانت هذه المهام ادارية أم سياسية ام ثقافية .

ــ الطابع الديني للفكر المغربي في عهد المنصور، فانطلاقا، من المنتقى نفسه نلاحظ كثرة الاستشهادات بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية والاحكام الفقهية، فقد عرف عصره مزيدا من الاقبال على القرآن ضبطا، ورسما، وتجويدا، وتفسيرا، وقراءات، وكان هذا على حساب مواد اخرى كالادب، وهذا ما عبر عنه ابن القاضي بكل وضوح، اذ وصف العديد من الذين التقى بهم بالوصف الآتي : (فقيه صرف) و(لا نظم له) و(لا يقدر على عقد بيت واحد) و(لا خلطة له في الادب اصلا) الى غير ذلك من الاوصاف، قال هذا ــ مثلا ــ في ابي زكريا يحيى السراج : (... وأبو زكريا لا مدخل له في الادب اصلا، سمعت منه غير مرة يقول : لا أقدر على

---

(170)أنظر الرسالة كاملة عند :

H. de Castries, Sources inéd., 1ere série anglaise, 2 : 168 — 170.

تلفيق بيت واحد ... غير انه فقيه صرف يعرف الفقه معرفة تامة) (171) وقاله ايضا في أبي العباس احمد بن القاسم القدومي : (... وكان لا يقرض الشعر) (172) وفي ابي عبد الله محمد بن أحمد الجنان : (... ولا نظم له، حدثني انه لا يقدر على عقد بيت واحد ...) (173) ولعلنا ندرك سبب هذا النفور من الادب من خلال اشارة عابرة أوردها احمد المنجور في فهرسه وهو بصدد الحديث عن كراهية تدريس مقامات الحريري في المسجد : (... قلت ذكر الامام ابو عبد الله الابي ان ائمة تونس كانوا ينزهون المسجد عن قراءتها فيه ...) (174).

هذه اذن دراسة وجيزة لبعض مظاهر الحياة الاجتماعية والفكرية من خلال المنتقى، حاولنا فيها ابراز بعض الجوانب التي تساعد الباحث على أخذ صورة واضحة عن تطور الحياة الاجتماعية والفكرية في عهد المنصور، ونخلص بعدها الى الخروج بالاستنتاجات الآتية :

ــ صمود المغرب تجاه التيارات الاجنبية سواء اكانت تركية أم غربية مسيحية .

ــ تمتع المغرب بسمعة طيبة في العالم العربي، نتيجة الصدى الواسع الذي تركته معركة وادي المخازن .

ــ محاولة المنصور الاستفادة من الاوضاع المضطربة في الشرق العربي لنشر دعوته .

ــ حفاظ المغرب على التراث الحضاري العربي الاسلامي، اذ ان جل الكتب التي كانت تدرس في العصر العلوي انتسخت في العصر السعدي، وما زلنا الى اليوم نحتفظ بعدد كبير منها .

ــ ابعاد المنصور للخطر الاوروبي المسيحي عن افريقيا الغربية بعد ضم السودان الى المغرب .

ولكن من المؤسف حقا ان جهود المنصور هذه في الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية لم تدم بعد موته (175) نتيجة ما حل بالمغرب من كوارث مدمرة ساهم في حدوثها الطاعون، والمجاعة، والحروب الاهلية .

وقد ابدع المؤرخ المعاصر عبد الرحمان التامنارتي (176) في وصف هذه الاوضاع اذ قال :

---

(171) المنتقى، 779.
(172) المصدر السابق، 781 .
(173) المصدر السابق، 791 .
(174) ص 45 .
(175) ابتداء التدهور في الواقع في الفترة الأخيرة من حكم المنصور.
انظر في هذا الصدد : عبد الكري كريم، المصدر السابق، 219 ــ 226 .
(176) انظر ترجمته ومصادرها عند م. حجي، المصدر السابق، 2 : 413 .

(وفي اثني عشرة وألف بلغني وفاة أبي العباس المنصور ملك المغرب في هذا العصر ــ رحمه الله ــ ، وكانت وفاته بمدينة فاس ... فنزل الارض بذلك ما نزلها، من الفساد والفتن ما نالها، طاش لها الوقور... ووضع النفيس، وارتفع الخسيس، وفشا العار، وخان الجار، ولبس الزمان البؤس، وجاء بالوجه العبوس، وأورد نار الاختلاف، وانضب ماء الوجوه والائتلاف، وطأطأ الحق رأسه، وأخفى المحق نفسه ... ووردت المهالك، وسدت المسالك، وعم الجوع، وتبرى الكوع من البوع ... فانا لله وانا اليه راجعون، فيالها من مصيبة ما أعظمها ... [177]) .

ونثير الانتباه في الاخير الى اننا ان كنا نعرف ــ نسبيا ــ أوضاع المغرب في عهد المنصور، فان الفترة التي تلت وفاة المنصور ما زالت تحتاج الى الكثير من البحث والتنقيب للكشف عن حقائق تاريخية جديدة تساعدنا على اخذ فكرة واضحة ودقيقة عن عصري الازدهار والانحطاط معا .

(177) الفوائد الجمة، 1 : 193 .

المنتقى المقصور
على
مآثر الخليفة المنصور

منهج التحقيق

اعتمدنا أساسا على النسخة المخطوطة التي تحمل رقم « ز » 3197 بالمكتبة الملكية بالرباط، وقد رمزنا لها بحرف : « ز ».

وقابلناها مع نسختين مخطوطتين هما :

1 ـــ النسخة المخطوطة التي تحمل رقم : 1153 بالمكتبة الملكية بالرباط، وقد رمزنا لها بحرف : « م ».

2 ـــ النسخة المخطوطة التي تحمل رقم ج 1059 بالخزانة العامة بالرباط، وقد رمزنا لها بحرف : « ج ».

والنسخ الثلاث المذكورة هي النسخ المتوفرة لدينا لحد الساعة.

بسم الله الرحمٰن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه

الحمد لله الذي رفع أعلام الخلافة بعد نُكوصها ونُكوسها، وأضحك مَباسمَ الأيام عند قطوبها وعبوسها، وجدَّد معالمها الدراسة، وأركانها الطامسة، بلُمَّةٍ من عِتْرةِ نبيه، وخليله وصفيه، فنفَّق بهم كسادها، وأصلح فسادها، وأمَّنَ في الأغيال من الاغتيال آسادها، وكادت السَّخْلَةُ أن تفترس الضِّرْغام، وتدس في فيه على رغمه الرَّغام، رأفة بالعباد من العيث، ورحمة للبلاد كالغيث. والصلاة والسلام الأتمان على سيدنا ومولانا محمد قطب هذه الدار، وأما الأخرى فعليه فيها المدار، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وعترته وأحزابه، ماماس غصن بتعطُّف، وهب نسيم بتلطُّف.

وبعد، فيقول العبد الراجي عفو ربه، المشفقُ من سوء صنيعه وكسبه، أقل عبيد الله تعالى، مُعْتَقُ إيالة مولانا أبي العباس أحمد المنصور ـــ ملأ الله بذكره أقطار المعمور ـــ أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن العافية المكناسي الشهير بابن القاضي ـــ خار الله له بمنه، وأدخله بفضله في رحمته وأمنه : إِنَّهُ لما مَنَّ الله على عباده المؤمنين بمَلِكٍ مَلَكَ حبات القلوب، وتطاير ذكره بين نقطتي الشروق والغروب، بفضائل لا تُحْصَى، وشيم جميلة لا تُستقصَى، وطَنَّتْ في آفاق العالم حَصاتُه [1]، وتعيَّتْ عن حمل مآثره حَفَظَةُ القول وحُصاتُه، نورٌ اقتبس من مِشْكاة النبوءة سراجُه، وأدى إلى الصراط السوي منهاجُه [2]، وجب علي أن أذيع شكره، وأخلد مآثره وذكره، لكن رأيت

---

(1) الحصاة : العقل

قال طرفة :

وان لسان المـــرء ما لم تكـــن له حصاة علـــى عوراتـــه لدليـــــل

(2) في « ج » : ورد بعد كلمة منهاجه ما يأتي : أمير المؤمنين أبي العباس مولانا أحمد المنصور ـــ ملا الله بذكره أقطار المعمور ـــ .

ذلك في الدفاتر أولى، وأهم جدوى، لذى الذهن الذكي وذى البال الفاتر، لا سيما وقد أخرجني من الأسر، وصرت معدودا له في الأجر، وأسدى الى من النِّعَمِ، بل ولعيري، ما يعجز عن حمله [آلاف [3] الابل من النَّعَمِ —] وما أولاني بانشاد ما لبعضهم — :

فلو بذلتُ دمي أبغي رضاه به   والمالَ حتى أسُلَّ النعل من قدمي
مَا كان ذاك سوى عاريةٍ رجعت   إليه لو لم يَهَبْهَا كان لم يُلَمِ [4]]

وهو السلطان الأعظم، والخضم المفخم [5] : [أمير المؤمنين مولانا أبو العباس أحمد المنصور الشريف الحسني [6]] — أعز الله نصره، وخلّدَ ذكره، بمحمد وآله —. وانتقيت حصر الموضوع في مقدمة وأبواب وخاتمة، وسميته : « **بالمنتقى المقصور، على مآثر الخليفة المنصور** »، فجاء بحمد الله من بركة مولانا تحنو عليه القلوب، وتُثني عليه الألسن، وفيه ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وأشهى من مسرات الصَّبوح، وأبهى من بشائر الفتوح، أوراقه كأوراق الجنان، وأحداق الحسان، وأنيقة الأنوار وريقة الأزهار، دانية القَطف، ثانية العِطف، نفحاته مسكية أرِجَة، ولمحاته ذكية غَنِجَة، ما طلعت على جلوة معانيه ماشطة، ولا طلعت عن ذروة مبانية ناشطة، ولم آل جهداً عن ذكره مآثره الحسنة، ومفاخره المستحسنة، التي هي قُراضات الذهب، وعراضات النخب، فيجمعها كان له في القلوب حلاوة، وفي العيون طلاوة، فالمقدمة تشتمل على :

ذكر نسبه الطاهر الشريف، وحسبه الظاهر المنيف، وشيء من فضائل قامت لذاته الكريمة، وطلعته الجسيمة [7].

[وعلى حقيقة الخلافة.

وما يجب للسلطان على رعيته الخصوص والأعيان [8]].

والأبواب أذكر فيها ما تفرق وانتشر من جواهر مآثره، وأنظم جمانها ليسهل لناظمه وناثره، وقد أذكر فيها بعض حكايات وقصائد ومقطعات أنشدتها، وملح غريبة استفدتها، ليكون ذلك

---

(3) ما بين المعقوفين سقط من « ز » و « م ».
(4) ما بين المعقوفين سقط من « ج ».
(5) في « ج » : كيف لا وهو السلطان المفخم.
(6) ما بين المعقوفين سقط من « ج ».
(7) في « ج » : طلعته البهية والوسيمة.
(8) ما بين المعقوفين سقط من « ج » ويوجد مكانها ما يأتي : وفضائل والده الواضحة، ووالدته الولية الصالحة.

كالمعين على مطالعة الكتاب، لأن النظر في فن واحد فقد ترغب عنه النفوس، بخلاف ما إذا نُمِّقَ بغيره فقد يسلي العبوس :

[لا يُصلح النفسَ إذْ كانت مُدبَّرَةً إلَّا التنقلُ من حالٍ إلـى حالِ (9)]

ولا أذكر ذلك إلا على نحوما أنشدتها في محل أو يوم من شخص أو أشخاص وإن اختلفت معانيها.

[والأبواب ستة وعشرون :

الأول : في حسن خلقه وعقله، وكمال خلقه.
الثاني : في محافظته على التكاليف الشرعية، والأعمال البدنية، والاعتقادات الاشعرية.
الثالث : في عدله في رعيته، وقيامه بشريعة جده محمد وسنته.
الرابع : في تعظيمه الميلاد النبوي، وأبناء عمه من النسب العلوي.
الخامس : في رعايته لأهل الصلاح.
السادس : في حسن ظنه بالله تعالى.
السابع : في نظره في أمور رعيته.
الثامن : في حلمه وكرمه.
التاسع : في صبره ومقابلته الاساءة بالاحسان.
العاشر : في حيائه.
الحادي عشر : في بره بوالدته.
الثاني عشر : في مراعاته لأهل ود والده.
الثالث عشر : في تعظيمه العلم الشريف، النافع المنيف.
الرابع عشر : فيما يؤثره من العلوم.
الخامس عشر : في طهاة مجالسة من الغيبة والنميمة.

---

(9) ما بين المعقوفين سقط من « ج ».
والبيت لابي العتاهية، انظر **ديوانه**، ص 359.

ملاحظـــة :
رواية **الديوان** (أن) عوض (اذ).

وقد اتفقت رواية أ. المقري في **أزهار الرياض** (1 : 21) مع رواية **المنتقى**.
النفس المدبرة : المشغولة بالتفكير في الأمور.

السادس عشر	:	في قبوله الشفاعات.
السابع عشر	:	في قبوله المعذرة.
الثامن عشر	:	في قبوله الشفاعات.
التاسع عشر	:	في مجازاته على الهدية.
العشـرون	:	في توفيقه للاستخارة.
الحادي والعشرون	:	في ذكر كتبه.
الثاني والعشرون	:	في ذكر نظمه.
الثالث والعشرون	:	في غزوته.
الرابع والعشرون	:	في ذكر فقهاء عصره.
الخامس والعشرون	:	في تمهيد الطرق.
السادس والعشرون	:	في عظيم سلطنته.

والخاتمة أذكر فيها نكتا غريبة، وطرفا عجيبة، يصغي إليها المنتهي والشادي، والعاكف في ربع الآداب والبادي.

وهذا أوان الشروع في المقصود، متوكلا على الله المعبود [10]].

(10) ما بين المعقوفين سقط من « م » و « ج ».

المقــدمــة

في ذكر نسبه الطاهر وحسبه الشريف الظاهر *

* ــ طرحت مسألة شرف نسب السعديين في أواخر العصر السعدي من طرف مولاي محمد بن الشريف العلوي وغيره لأغراض سياسية، اذ عندما أخذ نفوذ السعديين طريقه نحو الاضمحلال وتدهورت الحالة السياسية والاقتصادية بتفكك المغرب، بدأ خصومهم السياسيون يحطمونهم، ويبحثون عن معاول لهدم كيانهم، فكان أن وجدوا معول التشكيك في نسبهم، لكن الأمر ما لبث أن اتضح، حيث إن شرف السعديين أثبت بإجماع المؤرخين والنسابين والشرفاء، كشرفاء سجلماسة مثل عبد الله بن علي بن طاهر الحسني، وعبد الواحد السجلماسي، وهم من أجداد العلويين وكانوا يعتبرون السعديين أبناء عمهم ويخدمونهم.

ونذكر من جملة المؤرخين الذين أكدوا صحة شرف نسب السعديين، الافراني في **النزهة** (ص : 1 ــ 9)، الذي اطلع على مقالة المؤرخ المجهول في تاريخ الدولة السعدية ــ والذي تحامل على السعديين تحاملا واضحا، ونال من صحة شرف نسبهم ــ وضعف هذه المقالة وبين انحرافها، وبين أنهم في أول الأمر كانوا يسمون بالزيدانيين (نسبة إلى زيدان بن أحمد)، وأنه لم يكن أحد يجرؤ على تسميتهم بالسعديين. وهكذا كان شرفهم واضحا عند جميع الناس، والدليل على ذلك هو اختيارهم السعديين لقيادة العمليات الجهادية وليس لهم أي عصبية ولا مؤهل إلا النسب القرشي.

وقد أصبح الملوك العلويون فيما بعد يؤمنون ايمانا مطلقا بصحة شرف نسبهم، بل أن المؤرخين يذكرون أن السلطان محمد بن عبد الله كان معجبا بالسلطان أحمد المنصور السعدي، وكان يقول بالتقاء السعديين والعلويين في العمومة، ونورد هنا ما ذكره المؤرخ أبو القاسم الزياني في **الترجمان المعرب**، ص 343 : « ... والذي سمعته من مولانا أمير المؤمنين سيدي محمدبن عبد الله ــ رحمه الله ــ لما جرى ذكرهم، وذكرنا له الخلاف الذي جرى في ثبوت نسبهم، قال لي ــ رحمه الله ــ : اسكت ولا تعد لهذه المقالة، فإنهم إخواننا وبنو عمنا، وجدنا وجدهم واحد، وقريتنا وقريتهم بالينبوع واحدة يقال لها بنو ابراهيم، وجدهم أحمد خرج للمغرب قبل جدنا حسن بنحو الثلاثين سنة، وهما أخوان، لكنهم لما ملكوا لم يعاملونا معاملة الاخوان، واقتصروا على التعظيم والتوقير والاحترام، فكان سلفنا ــ رحمهم الله ــ يحقدون عليهم إهمالهم لجانبنا، وقلة الاعتناء بأمرنا، هذا موجب طعن سلفنا في نسبهم وإلا فالحق أحق أن يسمع : لا ينكر نسبهم إلا جاهل، أو من لا اطلاع له على الأنساب، فقلت له ــ رحمه الله ــ : وما يزعمه الناس أنه لما وجه المنصور للسيد عبد الله بن علي بن طاهر، وكان عنده بمراكش، قال له : أين يجتمع نسبنا ونسبكم قال ابن طاهر : وبهذا المكان الذي نحن به، فقال : لم يكن ذلك وما ثم الا الكذب ومولانا عبد الله أعرف بنسبهم وكذلك حفيده عبد الهادي والعلامة مولاي عبد الواحد بن أحمد قاضي دولتهم ومفتيها، كلهم متحققون من نسبهم، ومتفقون على صحة شرفهم والطعن الواقع في شرفهم إنما هو من منافسة أقيالهم، ومنافسة شيعهم، في أهل الدولة، كما طعن بنو العباس في نسب العبيديين ملوك افريقيا ومصر، وشاع ذلك عند كثير من علماء دولتهم، وكما وقع الطعن في ادريس بن ادريس من طرف بني العباس وعمالهم وأهل دولتهم من أمراء بني الأغلب الذين كانوا يحاربونهم بما لا يليق بجنابهم الشريف.... ».

وأخيرا نختم هذا بالقول الفصل الذي ذهب إليه المؤرخ محمد القادري ــ بعد أن اطلع على ما قاله أنصار السعديين وخصومهم ــ : « ... والمراد من هذا كله التحذير من التعرض لاذاية أهل النسب النبوي... والا فلا أظن لهم باقية الآن... ».

انظر : **نشر المثاني** ، 1 : 100.

أما نسبه ـــ أبقاه الله وأيده، ورفع ألويته وسدده ـــ [فـ]ـــلا خلاف أن شرفهم أصح شرف أهل المغرب، لأن أصلهم من شرفاء ينبع (1). و [قصة (2)] إتيانهم من ينبع إلى درعة ـــ اذ اتى بهم أهلها من هنالك كما أتى أهل سجلماسة ببني عمهم قبل ذلك ـــ وحكايتهم مشهورة بين المؤرخين فلا نطيل بذكرها (3). وهو مولانا أبو العباس أحمد أمير المؤمنين المنصور ابن مولانا الامام أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد المهدي بن مولانا أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد القائم بأمر الله تعالى ابن أبي زيد عبد الرحمنْ (4) بن علي بن مخلوف بن زيدان بن أحمد بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي محمد بن عرفة بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن الحسن بن أحمد بن إسماعيل بن قاسم بن محمد المهدي [الملقب بالنفس الزكية (5)] بن عبد

---

(1) ينبع : مدينة تقع في اقليم الحجاز بالمملكة العربية السعودية على البحر الأحمر، وقد اشتهر قديما، ولا تزال تشتهر إلى اليوم، بالنخيل ولهذه الصفة ـــ حسب ابن القاضي ـــ علاقة باتيان السعديين إلى المغرب، انظر العليق رقم 3.

(2) بالأصول الثلاثة : قضية، وقد آثرنا رواية م. الافراني عن **المنتقى**، لانها أنسب. انظر **نزهة**، ص 6.

(3) أورد م. الافراني في النزهة، ص 6 ، هذه الحكاية كما يأتي : « .... وأشار بذلك إلى ما يزعمه السعديون من أن أهل درعة كانوا لا تصلح ثمارهم وتعتريها العاهات، فقيل لهم : لو أتيتم بشريف إلى بلادكم أتى به أهل سجلماسة إلى بلادهم لصلحت ثماركم كما صلحت ثمارهم، فأتوا بالسيد زيدان بن أحمد من الينبع كذلك، فصلحت ثمارهم.... ».

مـــلاحظـــــة :

ما أورده ابن القاضي هنا لا يستقيم مع منطق التاريخ، فهو أقرب إلى الخرافة منها إلى الحقيقة التاريخية.

(4) انتقد الافراني هذه النسبة في **النزهة**، ص 4، قائلا : « ... وما ذكره صاحب **المنتقى** من أن محمد القائم هو ابن عبد الرحمنْ بلا واسطة، كذلك يوجد في بعض الكتب، وليس بصواب، بل هو القائم بن عبد الرحمنْ، فاسقط محمدا القائم بن عبد الرحمنْ... ».

(5) ما بين المعقوفين سقط من « ز » و « م ».

مـــلاحظـــــة :

علق م. الافراني في النزهة، ص 4، على هذا الجزء من النسبة قائلا : « ... وأظن أن فيه بترا بين قاسم ومحمد النفس الزكية، إذ ليس في أولاد النفس الزكية من اسمه قاسم، وانما القاسم بن الحسن بن محمد بن عبد الله الاشتر بن محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل... »، وقد اتفقت رواية ادريس الفضيلي مع رواية ابن القاضي.
=

الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة ــ على أبيها محمد وعليهما الصلاة والسلام، ورضي عنهم أجمعين بمنه ويمنه ــ.

أطلعني على هذه النسبة الشريفة أبو العباس أحمد بن يحيى الهوزالي (6) قائد قواد ولي عهده مولانا أبي عبد الله محمد المامون بداره سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة (7) ــ برد الله ضريحه، وأسكنه من الجنان فسيحه ــ. وبمثل هذا حدثني شيخنا أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمٰن المنجور (8) ــ قدس الله ضريحه ــ توفي ــ رحمه الله ــ ليلة النصف من ذي القعدة عام خمسة

= وهكذا يقول ادريس الفضلي في **الدرر البهية**، 1 : 47 : « ... وأما صاحب **المطالع**، ومثله في **الدرة**، توفي القاسم بن محمد النفس الزكية في حياة أبيه وجده وترك زوجا حاملا بابنه اسماعيل، فلما وضعته تزوج بها أخوه عبد الله الأشتر وكفل ابن أخيه اسماعيل.... ». وقال أيضا في نفس المصدر، 1 : 46 ــ 47، عن محمد النفس الزكية : « ... وكان له من الأولاد على ما في **الدر السني** وغيره سبعة، وعلى ما عند ابن حزم ستة، وعلى ما عند مصعب خمسة، والتحقيق ما في **الدر السني**، وهم القاسم وبه كان يكنى، ويلقب الأكبر، وعبد الله الأشتر، وفيهما البيت والعدد، وعلي، والحسن بالتكبير، خلافا لمصعب اذ جعله مصغرا، وأحمد يذكره مصعب، وتعقبه عليه ابن حزم، وابراهيم، والطاهر.

قال في **درة التيجان** :

محمــــد فرع المعالـــــي قد سمـــــا	**ولــــد سبعـــا كالثريـــا في السمـــا**
فمنهـــم القــــاسم فيمـــا ذكــــروا	**وعابـــد الا له وهــــو الأشتــــر**
وفيهمـــــا العــــــقب والأنساب	**والبــــــيت والشرف والأحساب**
ثم علــــي والحســـــن الباهــــــر	**أحمــــد، ابراهيــــم، ثم الطاهــــر**
وذاك في الــــدر السنــــي ما ذكـــــر	**وعدهــــم سبعــــا وفــــي ذاك نظــــر**

والتحقيق ما في **الدر السني**، وان كان مصعب عدهم خمسة، وابن حزم عدهم ستة فقد عدهم أبو زرعة الرازي، وأبو عبد الله الحسين الديار بكري سبعة، والقاعدة أن المعتمد الذاكر فيما ذكر، لا التارك فيما ترك، وسأنبه على ذلك بحول الله، وعقبه على التحقيق من اثنين وهما القاسم وعبد الله، وقيل : ان لأحمد عقبا، والله أعلم... ».

(6) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 1 : 156، رقم 185، **جذوة** 1 : 159 رقم 110، و ع. بن ابراهيم، **الأعلام**، 2 : 237، رقم 201، والناصري، **الاستقصا**، 5 : 96.

(7) 993 هـ توافق 1585 م.

(8) له ترجمته مفصلة في **فهرسه** الجامع، وعند أ. بن القاضي، **جذوة**، 1 : 135، رقم 78، **درة**، 1 : 157 ــ 163، رقم 186، **لقط**، ص 989، و م. بن عسكر، **دوحة**، ص 59 رقم 45، وأ. بابا، **كفاية**، ص 17 ــ 18، **نيل** ص 95، و م. الفشتالي، **لامية**، البيت 178، وأ الكلالي، **تنبيه**، ص 15 ــ 16، وأ. المقرى، **روضة**، ص 285 ــ 286، و ع. التمنارتي، **الفوائد**، ص 37، 50، و م. الحضيكي، **طبقات**، 1 : 32، و م. بن مخلوف، **شجرة**، ص 287 رقم 1095، و ع. بن ابراهيم، **الاعلام**، 2 : 237 ــ 241، رقم 202، وأ. الناصري، **الاستقصا**، 5 : 191، و م. حجي، **الحركة**، 2 : 360 و ل. بروفنسال، **مؤرخو الشرفاء**، ص 78 ــ 80.

وتسعين وتسعمائة (9)، ودفن يوم الاثنين الخامس عشر من الشهر المذكور خارج باب الفتوح من فاس المحروسة بازاء شيخه أبي مدين عبد الله اليسيتني (10).

وحدثني شيخنا أبو راشد يعقوب بن يحيى اليدري (11) أنه رأى هذه النسبة أيضا مكتوبة بخط أبي عبد الله محمد بن أبي غالب المدعو ابن جشار المغيلي (12)، توفي سنة ثمان وتسعين وثمانمائة (13)، وعليها استقلال القاضي أبي عبد الله محمد بن علال (14) — رحمه الله تعالى — المتوفى سنة خمس وثمانمائة. وقد اجتمع لمولانا من الحسب، والملك، والعلم، والحلم، وحسن المعاشرة، وكرم الأخلاق، وكثرة البذل، والتودد لرعيته، وجبر قلوبهم، والشفقة عليهم، والرأفة بهم، ما لم يجتمع لملك قبله.

ولد — أيده الله تعالى — سنة ست وخمسين وتسعمائة (15)، فيما حدثني به بعضهم بمدينة فاس — حرسها الله تعالى بمنه (16) —، وعقدت له البيعة في غزوته العظيمة التي تركت فيها أجسام بني الأصفر تتعاطى اشلاءها الرخام، وأنوف أهل ملة التثليت قد ألصقت بالرغام، بوادي المخازن يوم الاثنين منسلخ جمادى الأولى سنة ست وثمانين (17)، وابتديت بيعته الشريفة بالمحل المذكور وتمت بمدينة فاس — حرسها الله —. وكانت غزوة عظيمة حضرها جم غفير من أهل الله تعالى حتى أنها أشبه شيء بغزوة بدر (18).

---

(9) 15 ذي القعدة عام 995 هـ توافق 17 اكتوبر عام 1587م.

(10) ما بين المعقوفين سقط من « ج ».

وانظر ترجمة عبد الله اليسيتني مفصلة عند تلميذه أحمد المنجور في **فهرسه**، ص 14، و أ. بن القاضي، **درة**، 2 : 201، رقم 645، و م. بن عسكر، **دوحة**، ص 58، رقم 44، و أ. بابا، **كفاية**، ص 145، و م. الفشتالي، **لامية**، البيت 166، و م. الحجوي، **الفكر السامي**، 4 : 101، و م. بن مخلوف، **شجرة**، ص 283 رقم 1070، و ل. بروفنسال، **مؤرخو الشرفاء**، ص 78.

(11) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **جذوة**، 2 : 558 — 559 رقم 651، **درة**، 3 : 360، رقم 1015، وأ. بابا، **نيل**، ص 349، و أ. الناصري، **الاستقصا**، ص 35، 81.

(12) أنظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 2 : 143 رقم 608، **جذوة** 1 : 243 — 244 رقم 231، و م. الكتاني، **سلوة** 3 : 88.

(13) سنة 898 هـ توافق 1493 / 1492 م.

(14) وردت نسبته عند أ. بن القاضي في **لقط الفرائد**، ص 267، هكذا : القاضي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عيسى بن علال المصمودي الكتامي.

(15) سنة 956 هـ توافق 1549 م.

(16) ما بين المعقوفين سقط من « ج ».

(17) يوم الاثنين 30 جمادى الأولى سنة 986 هـ يوافق 4 غشت سنة 1578 م.

(18) لم تول المصادر المغربية لهذه المعركة ما تستحقه من الاهتمام، في حين نجد المصادر الأوروبية قد خصصت لها حيزا كبيرا من الدرس والتنقيب، هذا رغم أن المغاربة كانوا آنذاك، في زمن المنصور، يعرفون قيمتها، =

حدثني شيخنا أبو راشد أنه حدثه بعض من يثق به، أن الرجل من حاضري المعترك يستبق لينتهز الفرصة من قتل كافر فما يصل إليه حتى يجد ميتا من غير فاعل يرى لذلك، فعلم الناس أن موتهم انبهارا إنما هو من بعض عباد الله تعالى، وكان عدد الكفرة فيما تواتر وشاع، وامتلأت به الآذان والأسماع، مائة ألف وخمسا وعشرين ألفا، الخمس والعشرون ألفا بقيت في سفائنهم في البحر، والمائة ألف أسر جلها، وقتل سائرها، في خمس وأربعين درجة أو اثنتين وخمسين على ما حدثني به بعض الميقاتيين [19].

فلم ير في سالف الأزمان مثل ما اتفق لهذا الملك في هذه الغزوة العظيمة [20]، ومن لدن كانت الهزيمة على الكفرة، تمهد ملكه، وتوالت عليه فتوح البلدان التي لم يملكها أحد من أسلافه،

= والدليل على ذلك تشبيه ابن القاضي لهذه المعركة بغزوة بدر، بحيث إنه اعتبرها كحد فاصل بين عهدين، وفعلا فقد استطاع المغرب بعدها أن يكتسب احتراما كبيرا من لدن الدول الأجنبية، فالاسبان أوقفوا مخططاتهم الاستعمارية، والأتراك تراجعوا عن مخططاتهم، إلى أن أصدر السلطان العثماني مراد الثالث فرمانا سنة 1587، تقسم بمقتضاه شمال افريقيا إلى ثلاث باشويات : باشوية الجزائر، وباشوية تونس، باشوية طرابلس، فكان هذا بمثابة اعتراف نهائي لحكم المنصور.

(19) اختلفت الروايات المغربية مع الروايات الأوروبية في عدد الجيوش البرتغالية والأوروبية بصفة عامة، التي اشتركت في معركة وادي المخازن، فالافراني في **النزهة**، ص 74، والمؤرخون الذين أتوا بعده ينقلون كلهم عن ابن القاضي العدد السالف الذكر في حين أن المصادر الأوروبية تقدر عدد البرتغاليين، ومساعديهم، بما يتراوح بين 13.000 و 30.000 جندي، ومن السفن ما بين 1000 و 13.000 سفينة، من بينها 12 مركبا حربيا كبيرا، والمدافع ما بين 26 و 36 مدفعا.
انظـــر :

H. de Castries, Sources, 1ère série anglaise, 1 : 293-294.

ـــ محمد الفاسي، معركة وادى المخازن، مجلة **البحث العلمي**، العدد التاسع لسنة 1966، ص 225.

(20) ـــ نلاحظ هنا أن ابن القاضي أرجع الانتصار العظيم إلى حنكة المنصور وجيشه، وأهمل عنصرا مهما، وهو المشاركة الشعبية الفعالة، ولعل أمر هذه المشاركة يتضح أكثر إذا عرفنا ظروف تكوين الجيش السعدي في عهد عبد الملك، فقد عمل هذا الأخير على أن يجعل الجيش المغربي على صورة الجيش التركي نظاما ولباسا وأسلحة، ولم يتردد في استعمال العنف لفرض التنظيم الجديد على رجال القبائل البدو، وكادت ظاهرة الرفض والتشبث بالتقاليد الموروثة تأخذ طابع فتنة شاملة لولا الظروف الدقيقة التي خلقها نزول القوات البرتغالية في ناحتي العرائش والقصر الكبير لمحاولة اكتساح البلاد والقضاء على سيادتها قضاء شاملا. وهكذا فقد استجاب للنفير العام، الذي أعلنه عبد الملك في الجنوب وأخوه أحمد في الشمال، جميع طبقات الأمة في الحواضر والبوادي، فكانت هذه الأستجابة سند قوى للجيش المغربي.

فقد ملك بلاد السودان، وصقعي توات [21] وتيجورارين [22]، وغير ذلك من البلاد، امتدت دعوته وشاع صيته في سائر الأقطار، وطنت حصاته في سائرأ الأمصار، وكثيرا ما مدح الناس هذه الغزوة وشاع أمرها في أقطار البلاد، وفشا ذكرها في ألسنة العباد [23]، وكثيرا ما ضاع مني في محنتي من قصائد هذا المعنى، وغرائب هذا المبنى، وقد اتصل بنا خبر هذه الوقعة العظيمة ونحن بفزان بموضع يقال له المخاتن، في الخامس عشر من شعبان سنة ست وثمانين [24]، وهناك أخبرنا أن مولانا أتته الخلافة منقادة إليه، ومقتصرة عليه :

---

(21) توات : اقليم يقع في الجنوب الشرقي للمغرب، جنوب اقليم فكيك، ويوجد حاليا ضمن اطار منطقة الزاب الجزائرية، وأهم واحاته على وادى الساورة، وقد قام المنصور بتمهيده سنة 991 هـ عن طريق قائديه أحمد بن الحداد الغمرى ومحمد بن بركة مع ملاحظة أن هذا الاقليم مهد صلحا بغير قتال، ذلك أن تمنطيط قاعدة اقليم توات الصحراوي ــ دخلت في طاعة المنصور مخافة ان يقع لها ما وقع لتينميمون ــ قاعدة اقليم تيكورارين ــ حيث فتحت عنوة، ووقع فيها ما وقع من التقتيل والتدمير نتيجة الأسلحة النارية التي استخدمها جيش المنصور في عمليات التمهيد.

انظر :

ع. العزيز الفتشالي، **مناهل**، ص 36 ــ 45 أ. المقرى، **روضة**، ص 31 هامش 21.

(22) تيجورارين : كلمة بربرية عربت الآن بكورارة، وهي اسم لمنطقة فسيحة واقعة في شمال اقليم توات بين العرق الغربي وهضبة تدمايت ووادي الساورة، وفيها تقع واحات تبلكوزة، وطلمين، وشروين وأولاد سعيد، وتينميمون، ووكروت، والخنافسة، ودلدل، وقصور كورارة التي تقع في وسطها.

وقد فتحها المنصور عنوة سنة 991 هـ، اذ انقض جيشه على تينميمون ــ قاعدة اقليم تيجورارين ــ انقضاضا عنيفا، نتيجة رفض السكان هناك الدخول في طاعته.

وقد كان هدف المنصور من تمهيده لا قليمي توات وتيكورارين بعيدا، ألا وهو الذهاب إلى السودان.

انظر في هذا الصدد :

ع. العزيز الفشتالي : **مناهل**، ص 36 ــ 45.

أ. المقرى، **روضة**، ص 31، هامش 22.

— A. G. P. Martin, Quatre siècles d'Histoie marocaine au Sahara de 1504 à 1902, PP. 17 - 41.

(23) كان وقع هذه المعركة قويا في نفوس البرتغال والاسبان، وامتد هذا الوقع إلى غاية القرن العشرين، حيث إن الاسبانيين أيام حمايتهم على المنطقة الشمالية من المغرب كانوا يذهبون كل سنة يوم 4 غشت ومعهم رهبانهم للترحم على أرواح المسيحيين الذين لقوا حتفهم هناك ولم يقتصر الأمر على المستوى الشعبي، بل تعداه إلى المستوى الرسمي، حيث ذكر صاحب كتاب :

Seleccion de Conferncias y trabajos

المنشور بالاسبانية بتطوان سنة 1952، ص 51، أنه كل سنة يتوجه جماعة من الرسميين الاسبان إلى محطة قطار السواكن بالقرب من القصر الكبير ومعهم راهب، لوضع باقات من الأزهار في مكان المعركة. كما أن المغاربة يحتفلون اليوم كل سنة بهذه المعركة التي تعتبر منعطفا حاسما في تاريخ المغرب.

(24) ما بين المعقوفين سقط من « ج » و 15 شعبان 986 هـ توافق يوم الجمعة 17 أكتوبر سنة 1578 م.

فألقتْ عصاها واستقرَّ بِها النَّـوَى كما قَرَّ عينا بالاياب المسافـرُ [25]

ثم استقامت سيرته، وصفت لرعيته سريرته، وولع بالعلم وأهله، وحرص على تحصيله وحمله، لا يألو جهدا، ولا يلوي عنه عزما ولا قصدا.

حدثني شيخنا أبو العباس أحمد بن علي المنجور عنه ــ أيده الله تعالى ــ لأنه كان من أهل مجلسه، ومسامريه في مذاكرة العلم لأنسه : أنه ــ أيده الله ــ استفاد وأفاد، لكن ما أفاد أكثر مما استفاد، فتارة يملي العلم، وتارة ينشر الحلم، وتارة يكثر العطاء، وفي أخرى يستر الزلات بالغطاء، أوقاته معمورة، وبالبركات مغمورة، همته عالية، وفاق كل ملك في الورى، هامته في الثريا ورجله في الثرى [26]، وفيه أقول :

فرعُ النبــــوءة أصل كل كريمـــــةٍ يروي السيــادَة أشرفـــا عن أشرفِ
عَضْبٌ حُسامٌ مالــــه من صَيْقَـــلٍ غيــرُ المعالــي للمعالــم يَصْطفــي
مَاإِنْ يُساجلُ في العُلى تلك الحُلى مَلِكٌ تمنَّع بالحمــاء [27] الأكْنَــفِ
كَمْ أضحك الخيــرات وسط يمينــه وأَسَالَ عَبْـرَةَ كل سيــف مُرهــف
ليثُ الشَّرى، غيثُ الــورى لكنــه من نسل أحمد فضلُـه لم يختــف
أَلِمــمْ به تُلْـفِ البريـــة كلهـــا في ذاتــه والعـدل في أُسَدٍ وَفِــي
تُلفيــه إِلَّا في المحامــد مُعْــرِضاً ولمالـــه في حكمــــه لم ينصف
مجــدٌ بخــدِّ الفرقديــــن نِعالُــــه مصبــاحُ ذهنـــه نورُه لم يَنْطـــفِ
مِنْ مَعْشَرٍ لِلْمُعتفيـــــن زواخـــــرٍ فاذكرْ حُلاهم في الوراء [28]وشَنِّق

(25) البيت للمضرس بن ربعي بن لقيط بن خالد بن نضلة الفقعسي الأسدي كان من الشعراء المجيدين في عهد الدولة الأموية، وله شأن مع الفرزدق على ما ذهب إليه المرزباني وهو الذي يقول :

فالقت عصا التسيــار عنهــا وخيــمت بأرجــاء عذب المــاء بيض محافــــره
بلماعـــة قد باكــر الصيــف ماءهـــا وبـــاضت عليــــه شمسه وحرائــــره
فلا تهلكــن النــــفس لومـــا وحسرة علــــى الشيء سداه لغيـــــرك قادره

انظر الجاحظ، **البيان والتبيين**، 3 : 38، وحياة **الحيوان الكبرى**، 1 : 7.

(26) من الظواهر الاساسية في العصر السعدي أن الملوك السعديين كانوا يجمعون دائما بين الثقافة الواسعة والسياسية، وهكذا رغم أن المنجور كان استاذا للمنصور، وأجازه اجازة عامة في **فهرسه** فإنه أكد مرارا أن المنصور لم يكن سلبيا، بل كان دائما يبدي آراءه وملاحظاته في كل ما يسمع ويقرأ.

(27) في « ز » و « م » و « ج » : بالحماء، وفي **الروضة**، ص 67 : بالجناب.

(28) في « ز » و « م » و « ج » : الوراء، وفي **الروضة**، ص 68 : الأنام

طِفــلٌ اذا جاشت عليــه ملاحـــم / كهــل المحافِــل قوة المستضعَــف
بحـر المكـارم أصلها المـــنصور من / نادى به في المعضلات لقد كُفــي
ناديتــــه لمصيبتـــي فكأنــــه / لشفائهـــا أُمُّ الكتـــاب لمشتـــف
أخرجتنـــي من ضيـــق أسرنالنـــي / ومنحتنـــي اسمـــاع آي المصحـــف
اذ كنت أسْحب للحديـد خلاخــلا / وسلاسلا أغلالُهـــــا لم توصف
لا زلت تكشف كرب كل مولَــهٍ [29] / ما أُصْحِبَ المحزونُ باللُّطف الخفي

ومن دأبه — أيده الله تعالى — اشتغاله بافادة العلماء الأعلام، والجماهير العظام، أنواع العلم : كالتفسير، والنحو، واللغة، والتاريخ، والآداب، والمنطق، والبيان، وغير ذلك، ويجمع لذلك علماء أمصار ملكه، وينظم الكل مع تلامذته في سلكه، وفي شهر رمضان المعظم يشتغل بسماع أحاديث النبي ﷺ التي في **صحيح** الحافظ الامام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَة البخاري الجُعْفي، ويستحضر كتب العلماء الأعلام **كفتح الباري** [30]، **وتأليف القَسْطَلاني** [31] وغيره مما لا يحصى كثرة من شروح **البخاري** للرجوع إليها استشهادا واستشكالا. ومن شأنه — أيده الله — مع الطلبة في حال مذاكرة العلم كأحدهم، جبرا لخواطرهم.

ومن شأنه — أيده الله — إقامة مجد ذوي الأنساب الفاخرة، والأحساب الظاهرة، وجبر أحوالهم، فلقد جعل خواص مجلسه من الفقهاء العلماء وقواده منهم، كالفقيه الحافظ المحدث الصوفي : أبي مالك عبد الواحد بن أحمد الشريف الحسني [32]، ولد في رمضان

---

(29) في « ز » و « م » : موله، وفي « ج » : ملمة.

(30) اسمه الكامل : **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، للحافظ ابن حجر العسقلاني. ط.
انظر تحليلا للكتاب عند سعيد أعراب، فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني، مجلة **دعوة الحق**، العدد الخامس، السنة 17، شهر يناير 1976.

(31) هو : أحمد بن محمد أبو العباس شهاب الدين القسطلاني المتوفى بالقاهرة سنة 923 هـ / 1517، حافظ، ومؤرخ، له تصانيف عديدة منها : **ارشاد الساري صحيح البخاري**، وهو المقصود هنا.
انظر ترجمته عند ن. الدين الغزي، **الكواكب السائرة**، 1 : 126 — 127، وخ. الدين الزركلي، **الأعلام**، 1 : 221.

(32) هو : مفتي الحضرة المراكشية زمن المنصور وترجمته مفصلة في **فهرسه** الجامع، وعند أ. بن القاضي، **درة**، 3 : 140 — 142 رقم 1096، **جذوة**، 2 : 453 — 454 رقم 493، وأ. المقرى، **روضة** ص 3 — 7، وم. الأفراني، **صفوة**، ص 41 — 43، وع. التمنارتي، **الفوائد**، ص 41 — 44، وع. القادرى، **الدر السني**، ص 58، وم. القادري، **نشر**، 1 : 14 — 16، وم الحضيكي، **طبقات**، 2 : 277 — 279، وأ. العلوي، **الأنوار**، ص 58، وا. الفضيلي، **الدرر**، 1 : 103 — 104، وع. الحي الكتاني، **فهرس الفهارس**، 2 : 165، وأ.
=

سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة [33]، وكالفقيه القاضي أبي القاسم بن علي بن قاسم بن مسعود الشاطبي [34]، ولد سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة، وكالفقيه الحافظ المتفنن، المشارك، نخبة الأعلام، وحسنة الليالي والأيام : أبي مالك عبد الواحد بن أحمد الحُمَيْدي الناظم الناثر [35]، ولد ــ حفظه الله ــ سنة ثلاثين وتسعمائة [36]، وكالفقيه الزاهد العابد : أبي الحسن علي بن سليمان التاملي [37]، والفقيه الأنصح الأعظم، قائد قواده : أبي سالم ابراهيم بن محمد السفياني الروقي [38]، وكالفقيه، الناظم الناثر، المشارك المتفنن، الحافظ : أبي الحسن القائد

= الناصري، **الاستقصا**، 5 : 111 وما بعدها، ول. بروفنسال، **مؤرخو الشرفاء**، ص 84، 166، وم. حجي، **الحركة**، 379،

C. Brockelmann, Sup. 2 : 336, G. Deverdun, Marrakech, 1 : 432.

(33) 933 هـ توافق 1526 / 1527 م.

(34) انظر ترجمته عند ع. الفشتالي، **مناهل**، ص 129، 136، 142، 225، وأ. بن القاضي، **درة**، 3 : 284 ــ 285 رقم 1359.

(35) رأي ابن القاضي هذا في الحميدي يناقضه ما أورده م.الأفراني في **النزهة**، ص 172، اذا قال : « ... وقال ابن القاضي في **جذوة الاقتباس** حسبما قرأته بخطه، إلا أنه شطب عليه بالحمرة، ما نصه : عبد الواحد بن أحمد الحميدى، الفقيه، القاضي بمدينة فاس، كان حافظا لمذهب مالك، إلا أنه نبذ الشريعة المحمدية وراء ظهره، وكان يحكم بموافقة شهوته مع علمه بالفقه، ولا يبالي بما فعل فيها حتى اكتسب هو ومن وإلاه أموالا جليلة لا حصر لها، ولما توفي قال فيه صاحبنا الوزير عبد الرحمٰن بن ابراهيم المشنزائي :

تولـــي الحميـــدي وأحزابـــه وأيـــام دولتـــه الغاويـــة
ومـــات وخـــفت موازنـــه وصار إلـــى أمـــه الهاويـــة

وقد ذكر م. الافراني أيضا في **الصفوة**، ص 97، عن غنى عبد الواحد الحميدى، ما يأتي : « .... كانت بنته تلبس خلاخل ذهب لا تحملها لا بسلسة في حزامها، ولها اماء يتبعنها يحملن ما تخرج من حللها... »، وانظر أيضا الاشارات الخفية التي أوردها تلميذه ابراهيم الكلالي في **التنبيه**، ص 251 ــ 255.

وقد ترجم له أ. بن القاضي ترجمة عادية في **الدرة**، 3 : 142 رقم 1097، م. بن مخلوف، **شجرة** ص 294 رقم 1127، وأ. المقرى، **روضة**، ص 19 وع. الرحمٰن التمنارتي، **الفوائد**، ص 49، ومحمد القادرى، **الاكليل**، ص 63، وم. حجي، **الحركة**، 2 : 361. والعباس بن ابراهيم، **الاعلام**، 8 : 525 ــ 532 رقم 1321.

(36) سنة 930 هـ توافق 1523 ــ 1524 م.

(37) أبو الحسن علي بن سليمان التاملي كان يشتغل بوظيفة صاحب المظالم عند المنصور.
انظر ترجمته عند أ. بن القاضي. **درة**، 3 : 254 ــ 255 رقم 1295، وأ. الناصرى، **الاستقصا**، 5 : 167، والمختار السوسي، **المعسول** ، 8 ض 154، 13 : 270، وم. حجي، **الحركة**، 2 : 572 ــ 573.

(38) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 3 : 205، رقم 285.

علي بن منصور المرابط الشيظمي [39]، ولد سنة خمسين وتسعمائة [40]، والفقيه الأديب، الناظم الناثر : أبي عبد الله محمد بن علي الفشتالي [41] ـــ أعلى الله مقامه، ورفع أقلامه ـــ ولد سنة ست وخمسين وتسعمائة [42]، وغير هؤلاء ممن يطول ذكرهم.

وقد ظهر في دولته الشريفة من العلم والحرف المهمة التي لم تكن قبل في المغرب أصلا [43]، ومن الطلبة من لا يحصى عددهم كثرة [44]، ومن أنواع العلوم على اختلاف ضروبها كالمنطق، والنحو، والبيان، والعقائد، والفقه والفرائض، والحساب، والهندسة،

(39) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 3 : 258 ـــ 259 رقم 1305، وع. الفشتالي، **مناهل**، ص 78، 87، 106، 132، 146، 150، 210، 228، 277، وأ. المقرى، **روضة**، ص 173 ـــ 182، وأ. الناصرى **الاستقصا**، 5 : 68، 141، 152، 156.

(40) سنة 950 توافق 1543 / 1544 م.

(41) انظر ترجمته عند ع. الفشتالي، **مناهل**، ص 51، 72، 77، 131، 157، 158، 159، 233، وعند أ. بن القاضي، **درة**، 2 : 190 ـــ 201 رقم 644، **لقط الفرائد**، ص 302، وأ. المقري، **روضة**، ص 7 ـــ 9 و 27 ـــ 29، وم. القادري، **الاكليل**، ورقة 38 ظ، **التقاط**، ص 8، وع. السلام بن سودة، **دليل**، 2 : 407 رقم 1846، ول. برفنسال، **مؤرخو الشرفاء**، ص 62 و 81، ومحمد حجي، **الحركة**، 2 : 399، C. Brockclmann, Sup. 680 - 681.

(42) سنة 956 هـ توافق 1549 / 1550 م.

(43) عرف المغرب تجديدا اقتصاديا كبيرا في عهد المنصور، وقد شمل هذا التجديد البوادي والحواضر على السواء، فنشطت الزراعة الداخلية إلى حد الاكتفاء الذاتي، بل وتصدير الفائض منها إلى الخارج. كما اشتهرت مناطق ببعض الصناعات المستخلصة من الزراعة، مثل منطقة دكالة التي اشتهرت بمصنوعاتها الصوفية الجيدة. وكذلك كان الشأن بالنسبة للصناعات المعدنية التي لقيت رواجا كبيرا في المغرب وخارجه، فقد كانت بعض المواد المعدنية المستخرجة تصنع في عين المكان، فيذاب النحاس في سوس والأطلس الصغير ليصدر في شكل قضبان إلى أروبا، وافريقيا السوداء، أو تصنع منه ومن الصفار آواني براقة يقبل عليها السكان وتروج رواجا كبيرا في أسواق السودان، كما اشتهرت بعض القبائل المتاخمة لمناجم الحديد بصنع بعض الأدوات والأسلحة.
وقد تكاثر عدد الصناع في المدن، ولو أن التقنية الصناعية ظلت في مجملها يدوية تقليدية، وانتظموا في حرف يرأسها أمناء يسهرون على جودة الانتاج.
وهناك مادتان أساسيتان لعبتا دورا أساسيا في الاقتصاد المغربي آنذاك، وهما الذهب والسكر، وقد زار عبد العزيز الفشتالي مصانع السكر في شيشاوة وعبر عن اعجابه بها.
انظر في هذا الصدد :
ع. الفشتالي، **مناهل**، 185 ـــ 187.
م. حجي، **الحركة**، 1 : 48 ـــ 51.
عبد الكريم كريم، **المغرب في عهد الدولة السعدية**، ص 253 ـــ 276.
H. de Castries, Sources, 1ère Série anglaise, 2 : 222.
P. Berthier, les anciennes Sucreries du Maroc et leur réseaux hydrauliques.

(44) يرجع تكاثر عدد الطلبة إلى أسباب علمية ومادية يمكن تلخيصها فيما يأتي : =

والمساحات، وغير ذلك مما لا يحصى (45).

ومن همته وبركته ــ أيده الله تعالى ــ كثر تعاطى الآداب، وحفظها وانشاؤها، وتنافس الناس في كل ما ذكر، كل على قدر وسعه وطاقته وما ذلك الا من جوائزه وصلاته على القصائد الشعرية والنكت النثرية. وقد أخرج من بلاد الكفرة من الأسارى ما لا يحصى كثرة بالأموال الطائلة التي لم يسبق إلى بذل مثلها ملك قبل، وقد افتكني بما يعادل عشرين ألف أوقية (ذهبا)، وقام بمسألتي معهم أتم قيام ــ عامله الله بأحسن مما عاملني به ــ ولا نعمة تشبه نعمتع علي، اذ كنت مع العدو الكافر في بلاء عظيم من الجوع، والبرد، والتكليف بما لا يطاق، والضرب وغير ذلك مما لا يمكن وصفه من عذابهم ــ أذلهم الله تعالى ــ، والآن فها أنا حسنة من حسناته، وصنيع اصطنعه بإيالته.

= أ ــ تشجيع النظام القائم لانتشار العلم، خاصة وأن المنصور نفسه كان عالما.
ب ــ تجديد المدارس القديمة في البوادي والحواضر على السواء، وقد كانت ما تزال ماثلة منذ العصر المريني.
جـ ــ تكاثر العلماء والكتب المتداولة.
د ــ توفير الامكانيات المادية للطلبة.
ويشترك في توفيرها لهم الدولة، بما توقفه على المدارس من أوقاف وهي كثيرة تشمل عددا كبيرا من دكاكين الأسواق والدور والأجنة والحمامات، والأسر الموسرة التي تنفق مباشرة على هؤلاء الطلبة أو توقف أوقافا لهذا الغرض.
هـ ــ ايجاد منافذ للعمل بسهولة.

(45) تعززت مكانة العلوم العقلية والتجريبية والبحتة في عهد المنصور إلى حد كبير، فبرز حيسوبيون، ومهندسون، وأطباء، وغيرهم، وكان المنصور يرعى بنفسه هذه العلوم ويشتغل بها حتى إن ابن القاضي ــ الذي كان يعتبر سيد عصره في الرياضيات والحساب ــ صرح بأنه كان يعجز أمام المنصور في حل كثير من المسائل الهندسية، وبالتالي تفوق مخدومه عليه « ... وفتح الله عليه ــ أيده الله ــ في فهم **كتاب أوقليدس** من غير شيخ، لعزة وجوده في المغرب، فكان يفك شكلا، في كل يوم، من أشكاله مع ملكه إلى أن أتى عليه ». **درة**، (1 : 108).

كما أكد هذه الحقيقة تلميذ أحمد بن القاضي الحسن المسفيوي (انظر **الروضة**، ص 164)، والذي كان هو الآخر من نبغاء العصر في الرياطيات والحسان، وتحفظ لنا الوثائق الانجليزية صورا من اهتمام المنصور هذا، ففي رسالة مؤرخة ب 24 يونيو سنة 1600 م. بعث بها (توماس برنهير) thomas Bernhere، التاجر الانجليزي بالمغرب، إلى (ادوار دريط) Edward Wright العالم الانجليزي في الرياضيات والعلوم، نجد ما يأتي « ان الملك مولاي احمد مغرم بدراسة علم الفلك، وعلم التنجيم، ويجل اعمال الأدوات المتعلقة بالشمس والقمر التي هي من التدبير العجيب للغاية، لذلك فإن كرتك، وساعتك ومزولتك الأرضية وآلة السدس، وآلتك المعدنية الجديدة المتخذة للأميال أو أية آلة فلكية لها علاقة بذلك، ستقبل قبولا حسنا، ويمكن أن تبيع بأثمان جيدة... ».

انظر بقية الرسالة عند : H. de Castries, Sources, 1ère Série anglaise, 2 : 168 - 170

وبذل الأموال الكثيرة في الاحسان والصدقات، وأفعال البر والطاعات، حتى فاض المال على العباد، في أقطار مملكته وغيرها من البلاد، لكثرة الوراد والمعتفين عليه من كل فج عميق، من نحو الحرمين الشريفين، وبيت المقدس، ومصر، والشام، والعراقين (46)، وأهل الهند، وغيرهم (47).

ومن غريب ما اتفق بين يديه ذات يوم ـــ أيده الله تعالى ـــ في ثلاثة نفر من المساجد الثلاثة التي تشد الرحال إليها، أحدهم مدني، والآخر مكي، والثالث خليلي قدسي يقال له إمام الدين محمد بن قاسم البطايحي الخزرجي (48)، ثم ألقى في خاطره وفي بديهته ما اتفق من اجتماعهم على إيالته، فأنشأ بيتين في الحال، ومن معه من المعتفين حاضر، أعني الذين قصدوا إيالته العلوية من الديار المكية والمدنية، فقام على قدميه وقال :

(46) العراقان : البصرة والكوفة بالعراق، مدينتان لهما أصالتهما التاريخية والعلمية وخاصة في اللغة في عصري الأمويين والعباسيين.

(47) كان يقصد المنصور علماء من جل الأقطار الاسلامية، من تركيا، وايران، ومصر، والحجاز، والشام، وتونس، والجزائر، ويرجع السبب إلى ما كان يشهده المغرب آنذاك من حركة فكرية قوية، وإلى ما كان يوفره لهم المنصور من امكانيات مادية.

(48) أمام الدين الخليلي من علماء الشام المستوطنين بمراكش، وقد أجاز لأبن القاضي، في 5 محرم سنة 999 هـ نونبر 1590 م بمدينة مراكش، جميع مصنفات الحديث التي يرويها عن شيوخه المشارقة، العرب والعجم. وتعتبر هذه الاجازة من أهم الوثائق التي تعطينا معلومات دقيقة عن هذا العالم، اذ ذكر في صلب الاجازة أسانيده في الحديث، ومن أخذ عنهم، أو أجازوه من محدثي القدس، ومصر، والحرمين الشريفين، وحمص، وحماة، وحلب، وانطاكية، وطرابلس الشام، والقسطنطينية، ثم طرابلس الغرب، وتونس، والجزائر، وتعتبر هذه الاجازة بمثابة موسوعة لعلم الحديث في القرن العاشر الهجري وهذا نموذج منها : « وبعد، فيقول العبد الفقير، الراجي فضل ربه القدير، الواضع اسمه عقب تاريخه أدناه ـــ أصلح الله له دنياه وأخراه ـــ لما دخلت في المرة الثالثة أرض المغرب ـــ حماها الله ـــ قاصدا حمى مولانا أمير المؤمنين، ابن الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، الليث الهصور، والملك المنصور، مولانا أبو العباس أحمد المنصور، وحصل من احسانه ما أعجز لساني عن أداء شكره، وكنت اتخلل مجالس العلماء والأدباء وأخبرهم بمن لقيت من علماء الاسلام بمصر، والشام، وأن لي سند امتد بواسطتهم إلى ابن حجر العسقلاني وغيره، فرغب إلي من له الفضل على مفيدنا وبركتنا، الامام الفاضل، والعلامة الكاملة الخير الدين، النقيل، الرحالة، مفيد الطالبين، وليي : أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن أبي العافية الشهير بابن القاضي، والأديب الفاضل، العلامة الأحد المتقن، المفيد، الرحالة : سيدي الحسين ابن أبي القاسم بن أحمد الدرعي ثم الجوزي الملولي ـــ خار الله لهما ونفعهما باعتقادهما ـــ أن أخبرهما بمن أجازني من العلماء المشهورين، والأئمة المهديين، وأن أصل سندهما بهؤلاء السادة الآتي ذكرهم، لا سيما في كتب الحديث، كما جرت بذلك العادة في القديم والحديث... »
انظر ترجمته في **الاجازة** المذكورة مخطوط خاص بالرباط، وأ. المقرى، **روضة**، 14 ـــ 18، **نفح**، 7 : 80، وع. الرحمن التمنارتي، **الفوائد**، ص 48، وم. الافراني، **نزهة**، ص 126 ـــ 128، صفوة، ص 155، والعباس بن ابراهيم، **الاعلام**، 2 : 268، وم. حجي، **الحركة**، 2 : 382.

ان أمـيـــر المؤمنيـــــن أحمـــــد بحــر النـــدى وفضلـه لا يجحـد
فمكـــــة وطيبـــــة أهلهمــــــا والمسجـد الأقصى بذاك يشهـــد

فلما بلغ إلى قوله : بمكة وطيبة، أشار بيده إلى نفسه ثم قال : نصرك الله، لم يتفق مثل هذا بملك قصدت إيالته قبلك، فتبسم لذلك ـــ أبقاه الله تعالى ـــ، وقد أجزل لهم في العطاء واجراء النفقة عليهم كما هو دأبه لكل وافد عليه من أي بلد كان، فهمته أبدا ـــ أيده الله ـــ طالبة للعلو، وتواقة للسمو كما قال المتنبي :

وإذا كانت النفـــــوسُ كبـــــارا تعِـــــبَتْ في مرادهـــــا الأجسامُ(49)

[ولا يألو جهدا في أفعال البر والخيرات، ويضع الخير في كل موضع، ولا يبالي به أينما وقع منه، لان المعروف لا يضيع حيثما وضع.

حكي أن الرشيد قال للمُفَضَّل الضَّبِّي (50) : أخبرني عن قول العرب :

الخيــرُ أبْقَــى وان طال الزمـــان به والشر أخبث ما أوعيتَ من زادِ (51)

فقال : يا أمير المؤمنين، هذا مثل لهم سائر قبل الاسلام، وكان من حديث هذا المثل أن عَبِيد بن الأبرص الأسدي (52) كان حكيما من حكماء العرب شاعرا مجيدا، قتله المنذر بن ماء السماء (53)، وكان من حديث هذا المثل، قبل أن يقتله المنذر بثلاثة أحوال، أن ناسا نزلوا عليه فقراهم فأحسن ضيافتهم، وكان يقري الضيق ويحسن إلى المنقطع له، فلما أراد القوم الرحيل خرج معهم يشيعهم حتى أبعدوا، ونزلوا في موضع.

خرج عبيد وصاحب له يمشيان، فسارا حتى أتيا حيا، فرأيا شجاعا أقرع يلهث، قد أدلع لسانه من العطش، فأخذ صاحب عبيد حجرا وهم أن يشدخه، فقال له عبيد : ما أنت

(49) انظر **ديوان المتنبي**، 4 : 64.

(50) انظر ترجمته عند ج. السيوطي، **بغية الوعاة**، 2 : 299 رقم 2016، وخ. الديوان الزركلي، **الأعلام**، 8 : 204.

(51) انظر **ديوان عبيد بن الأبرص**، ص 14 ـــ 15..

(52) انظر ترجمته في **الأغاني**، 23 : 408، وعند خ. الدّين الزركلي، **الأعلام**، 4 : 339 ـــ 340، والمصادر بالهامش 1.

(53) انظر ترجمته عند ابن خلدون، **تاريخ العبر**، 2 : 265، وخ. الدين الزركلي، **الأعلام**، 8 : 225 ـــ 226، والمصادر بالهامشين 1 و 3

صانع ؟ قال : أقتل هذا الشجاع فإنه عدو قاتل، قال عبيد : لا تفعل ! ثم استقى من الجُبِّ، فسقى الشجاع، فجعل يشرب حتى روي، ثم تسبسب في الرمل فغاب، ورجع عبيد إلى القوم فودعهم، ثم رحلوا، ورجع عبيد إلى منزله، فأقام حولين، فأتاه بعض الرعاة، فأخبره أن إبله قد شردت، فركب راحلته وخرج يطلبها، كان شجاعا بطلا، فسار عشر مراحل لا يرى لها أثرا، ولا يعرف لها خبرا... (54) وكلت راحلته وتعب، وأظلم اليل، وهبت الرياح... (55) راحلته، وكان الموضع الذي هو فيه يقال له : الصادى، فقال : والله ما أرى الا... (56) ثم حط رحله عن راحلته وأسند ظهره إليه، وطأطأ رأسه إلى الأرض، وجمع أثوابه عليه فإذا هاتف يهتف من ... (57) وهو يقول :

يا أيها الشخص المضلُّ مذهبُـــــــه	ما عنـــده من ذى رشاد يَصْحَبُـــه
دونك هذا البَكْـــر منـــا فاركبـــه	وبكـــرك الميمـــون منـــا فاجنبـــه
حتـــى إذا الليـــل أزال غيبـــه	فحـــط عنـــه رحلـــه وسيبـــه

فالتفت وراءه فاذا بكر معقول..... (58)]. وشأنه أيضا جزل صلة العلماء، وجوائز

---

(54) بياض بالأصل.
(55) بياض بالأصل.
(56) بياض بالأصل.
(57) بياض بالأصل.
(58) ما بين المعقوفين سقط من « م » و « ج ».

مـــلاحـــظة :

هناك بياض بالأصل بمقدار نصف صفحة ونرى من الفائدة العلمية ادراج رواية الأغاني، التي تتمم رواية ابن القاضي، وتوضح في نفس الوقت الفرق بين روايته ورواية الأغاني.
وهكذا فقد ذكر أبو الفرج الاصبهاني في **الأغاني**، 23 : 408 — 409، القصة على الشكل الآتي :
« .... قرأت في بعض الكتب عن ابن الكلبي، عن أبيه، وهو خبر مصنوع يتبين التوليد فيه : ان عبيد ابن الأبرص سافر في ركب من بني أسد، فبيناهم يسيرون اذا هم بشجاع يتمعك على الرمضاء، فاتحافاه من العطش. وكانت مع عبيد فضلة من ماء ليس معه ماء غيرها، فنزل، فسقاه الشجاع عن آخره، حتى روي، واستنعش، فانساب في الرمل، فلما كان من الليل ونام القوم، ندت رواحلهم، فلم ير لشيء منها أثر، فقام كل يطلب راحلته، فتفرقوا، فبينا عبيد كذلك وقد أيقن بالهلكة والموت، واذا هو بهاتف يهتف به :

يا أيهـــا الساري الـــمضل مذهبـــه	دونك هذا البكـــر منـــا فاركبـــه
وبكـــرك الشارد أيضا فاجنبـــه	حتـــى اذا الليـــل تجنـــى غيهبـــه
فحـــط عنـــه رحلـــه وسيبـــه	

=

أبناء عمه الشرفاء، ولقد وفد عليه طائفة من شرفاء مكة، ومن شرفاء المدينة ــ على ساكنها الصلاة والسلام ــ فأجزل لكل منهم ما أمله، ومنحه فوق ما أم له. ومن الوافدين عليه لصلته الشريف أبو الفضل محمد بن محمد العارف العقاد المكي (59)، كان أديبا فاضلا، ناظما، فكاهة، فمن شعره ــ رحمة الله عليه ــ :

لا وفــرعٍ كدجـــى الليــــل غَسَقْ   وجبيــــــنٍ ضوؤه ضوءُ الفَلَــــقْ
وَمُحَيّـــــاً كَلِـــفَ البــــدر به   وَخُدَيْـــدٍ من حواليـــه شَفَـــقْ
ما أرى الغـــــــزلان إلّا سرقت   منـــه جيـــداً والتفاتـــا وحَـــدَقْ
ثم خافت فتــــــــولت شُرَّدا   كيـف لا يَشْرُدُ خوفـــاً مَنْ سَرَقْ (60)

وقد مدح مولانا بموشحة عجيبة عارض بها موشحتي ابن الخطيب وابن سهل (61)، مطلعها :

[ليس شعـــري هل أروّي ذا الظمـــأ   من لَمـــى ذات الشنـــيب الألـــعسِ
وتـــرى عينــــايَ ربـــات الحمـــى   باهيـــــاتٍ بقُـــــدود مُيَّسِ
يُدْخلـــون السقـــمَ من دار اللـــوى   كَلَـــم الهجــــر فؤادي وأسر
هَدَّ منَ ركـــن اصطبـــاري والقـــرى   مُبدلًا أجفـــانَ نومـــي بالسهـــر (62)

= فقال عبيد : يا هذا المخاطب، نشدتك الله الا أخبرتني من أنت ؟ فأنشأ يقول :

أنا الشجـــاع الـــذي الفيتـــه رمضا   في قفـــرة بيـــن احجـــار واعقـــاد
فجـدت بالمـــاء لمـــا ضن حاملـــه   وزدت فيـــه ولـــم تبخـــل بانكـــاد
الخيـــر يبقـــى وان طال الزمـــان به   والشر أخبـــث ما أوعـــيت من زاد

فركب البكر، وجنب بكره، فبلغ أهله مع الصبح، فنزل عنه، وحل رحله وخلاه، فغاب عن عينيه، وجاء من سلم من القوم بعد ثلاث ». يلاحظ اذن خلاف في الرواية والأبيات الأولى، وقد وردت في جل المصادر الأدبية برواية **الأغاني**، (انظر ــ مثلا ــ ابن حجة الحموي، **ثمرات الأوراق**، 2 : 103 — 105)، وعلى أي حال فالرجز مضطرب، ركيك، سقيم الأسلوب، شاذ الأعراب.

(59) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **جذوة**، 326 رقم 345، وأ. المقرى، روضة، ص 15 — 16، وم. الافراني، نزهة، ص 125 — 128.

(60) انظر أ. المقري، **روضة**، ص 15.

(61) انظر ترجمته عند م. بن شاكر، **فوات الوفيات**، 1 : 20 — 30 رقم 5، وخ. الدين الزركلي، **الأعلام**، 1 : 30، واحسان عباس، مقدمة **ديوان ابن سهل**.

(62) ورد البيت بالأصل هكذا :

وهـد من ركـن اصطبـــاري والقـــوى   ثم مبـدل أجفـــان نومـــي بالسهـــر

وهو غير مستقيم وزنا، والتصويب من **الروضة**، ص 15، والنفح، 7 : 69.

حيـن عز الــوصل عن وادى طوى ... همـلَث دمـوع عينـي كالمطـر
فعساكـــم أن تجـــودوا كرمـــا ... بلقاكـــم في سواد الحِنْـــدِسِ
وتـــداووا قلبَ صب مغرمـــا ... من جراحـات العيـون النُّـعَّس
كلمـــا حن ظلامُ الـــــغَسَقِ ... هزنـــي الشوق إليكـــم شغفـــا
واعترانـــي من جفاكـــم قلقـــي ... مذ تذكـرت جيـادا [63] والصفـــا
وتنـــاهت لوعتـــي من حُرَقـــي ... ثم زاد الوجـــدُ في التلفـــا

فانعمـــوا لي ثم جودوا لي بمـــا ... يُطْفِ [64] نيران الجـوى والقـبس
ساعـــة لي من رضاكـــم مغنمـــا ... وتـــداوي جثـــي مع نفسي

كنت قبـل اليـوم في زهـو وتيـه ... مع أحبـــاء بسلـــع ألـــعبُ
ومعـي ظبــيٌ بإحـــدى وجنتيـــه ... مشرقُ الشمس وأخـــرى مغـــربُ
فرمانـــي بسهـــامٍ من يديـــه ... ضاربُ البيـــن فقلبـــي متـــعبُ

لست أرجـــو للقاكـــم سلَّمـــا ... غيـــر مدحـــي للامـــام الأرأس
أحمـــد المحمـــود حقـــا من سمـــا ... الشريـف بن الشريـف الكـيس [65]]

وقد عارضه مولانا في الأبيات المذكورة، ويد مولانا في ذلك أطول من يده وكذلك كتبته وشعراء الوقت، بمعارضات كثيرة ضاعت مني أيضا، وما رأيته ينصرف عنه منصرف إلا نال مطلوبه، وبلغ فيما قصده إليه مرغوبه.

ومن شيمه الحسنة، ومفاخره المستحسنة، أنه أرحم خلق الله قلبا، وأرقهم نفسا، وأعظمهم رحمة، وبمثل هذه الصفة اتصفت والدته أم المؤمنين [66] ــ عاملها الله بلطفه ــ، ففيها من الرحمة والشفقة على عباد الله تعالى ما لا يدخل تحت حصر، فكم جهزت من يتامى، وكم زوجت من أيامى، وكم بذلت من الصدقات، وكم أجزلت من الصلات، هذا مع

(63) جياد : يعني جبل أجياد بمكة.
(64 خرج عن الأعراب ضرورة.
(65) ما بين المعقوفين سقط من « م ».
وقد ورد الجزء الأخير من خرجة الموشح في الروضة، ص 16، هكذا :
أحمـد المحمـــود حقـــا من سمـــا ... الكريـــم بن الكريـــم الكـــيس
(66) أم المنصور هي عودة بنت أحمد الوزكيتي، انظر ترجمتها عند أ. بن القاضي، درة، 3 : 182 ــ 183 رقم 1160، وأ. المقري روضة، ص 63 ــ 67.

ماكانت تنشئة من المساجد والقناطر، واصلاح الطرق للبادي والحاضر، وغير ذلك، مع ماكانت تسرده من الصيام والهدايا مع كل قفل إلى المشاعر الحرام.

وأما طاعته لها فسأذكرها في محلها من الأبواب — إن شاء الله تعالى —.فمما أمرت ببنائه المسجد الذي أنشأته بباب دكالة من مراكش المحروس مسجد عظيم تقام به الجمعة، وحبست عليه وقفا عظيما (67).

ونص التحبيس بعد البسملة والتصلية :

« لما نشر الله سبحانه — من الذرية الشريفة العنصر، ذات النسبتين الطاهرتين، والسلالتين الطيبتين، والولادتين الكريمتين، العلوية الحسنية الفاطمية، آل بيت المصطفى رضوان الله عليهم — النور والضياء، وألاح من حسن الاقتداء بهم السبيل السواء، أصبح الفضل لفضلهم تابعا، والجود والسؤدد لأصلهم طائعا، والفضائل والمآثر بعنايتهم متحققة، والآراء المختلفة على تقديمهم متفقة، والامامة والخلافة لجنابهم عاكفة، والأمم بمكارمهم عالمة عارفة، والقلوب على محبتهم مطبوعة مجبولة، والأسباب المنقطعة بإنعامهم الشامل موصولة، فارتفع في عقائد فضلهم الأصيل القواعد الخلاف، واستقلت مباني أساسات فخرهم على أسس الأسلاف، فأقاموا شعائر هذه الشريعة الشريفة، وحازوا قصبات السبق إلى المعالي المنيفة، وخص من بينهم بفواضل متوالية، وفضائل غير متناهية، الامام المطاع، الواجب لعظيم

(67) يعتبر هذا المسجد من أهم المساجد في العصر السعدي، في كل من مراكش أو فاس على السواء، ومما زاد في أهميته أن أم المنصور أمدته بمكتبة عظيمة، أوقفت عليها جملة وافرة من الكتب العلمية، وتنافس في اهداء هذه الكتب العلمية إلى هذه المكتبة كل من أحمد المنصور، وأبنائه وأحفاده، وجملة من العلماء والمعنيين، ومن المخطوطات الباقية من هذه المكتبة اليوم في المكتبة العامة بمراكش، المخطوطات التي تحمل أرقام : 64 و 112 و 136.

يورد الناصري قصة طريفة لبنائه : « ... وتزعم العامة أنها بنت المسجد المذكور كفارة لما انتهكته من حرمة رمضان، وذلك أنها دخلت بستانا من بساتين قصورها وهي في حال الوحم فرأت به خوخا ورمانا فتناولتهما وأكلت منهما في نهار رمضان، ثم ندمت على ما صدر منها، وفعلت أفعالا كثيرة من باب البر رجاء أن يتجاوز الله عنها، ومنها الجامع المذكور، ولا زال النساء والصبيان يسجعون بقضيتها إلى الآن فيقولون : عودةأكلت رمضان بالخوخ والرمان، في أسجاع غير هذه. ولفظ عودة مخفف من مسعودة على طريقة البربر في مثل هذا، والله تعالى أعلم... ».

انظر : أ. الناصري، **الاستقصا**، 5 : 118.

وعن تخطيطه من الناحية المعمارية، انظر :

G. Marçais, l'Architecture Musulmane d'Occident, PP. 385-386.

عثمان عثمان اسماعيل : « من تاريخ العمارة الدينية في عصر الأشراف السعديين »، مجلة **دعوة الحق**، السنة 19 العدد، 5، رجب 1398 ماي 1978، ص 72 — 75.

قدره في الملوك الانقياد والاهطاع، عميد عصابتهم العلوية وأثيرها وممهد قواعد اياالتهم الحسنية ومقررها، ومؤسس مبانيها ومطهرها، ومدير أمرها السامي ومدبرها، صدر الصدور، وبدر البدور، وعلم الملة المشهور، ومؤمل الخاصة والجمهور، السلطان المؤيد بالنصر أمير المؤمنين : أبو العباس المنصور ــ أدام الله عزته، ووالي سموه ورفعته ـــ، وكانت دولته الشريفة المذهبة المذهب التي هي نزهة الصادر والذاهب، يَزهى الوجود بحسن وجودها، وتستمد أضواء الفضائل من مقباس جودها، ثم إن دواعي رفعة شأنه وعزة سلطانه ومحاسن أوصافه ومفاخر أسلافه، حرك العزم الساكن من نشاط والدة هذا السلطان الحرة، الجليلة، الحسيبة، الحفيلة، الولية، العابدة، الصالحة، الصوامة، القوامة، الكثيرة الأوراد، المشفقة على العباد، المحافظة على الأدعية والأذكار، والسعي في الخيرات وأعمال البر والايثار، المرتسمة بديوان الأولياء، الموفقة بفضل الله لأعمال الصالحين الأتقياء، المتفضلة على نساء أهل زمانها، المتحدث بنباهة شأنها، المعروفة بسداد النظر واصابة الرأي، الحائزة درجات السبق بالمبادرة والسعي، الميمونة المسعودة، أمة الله عودة بنت أحمد صان الله مجدها وبلغها من كل خير أملها وقصدها، وألهمها التوفيق والهداية إلى سواء الطريق، بعزيمة علم صدقها، ونية رضى عملها، اذ كانت ـــ أدام الله حفظها ــ أوفى الناس رغبة إلى التكثير من الخير، والفحص عن عمل البر، والعثور على أسبابه، والتطلع إلى ايناسه، والحرص على اقتباسه.

فكانت آثارها الحسنة، وأفعالها المستحسنة، تخرق المعتاد خرقا، وتجوب البلاد غربا وشرقا. وتلك هداية من الله استأخرت إلى زمانها، وحسنات اذخرتها لميزانها، فحبست لوجه الله العظيم، ورجاء ثوابه الجسيم، والنعيم المقيم، جميع السبعين حانوتا غير نصف حانوت الواجبة لها في نصفها من القيسارية المشتركة بينها وبين مساكين المارستان المخترعة لها وسط سوق الحضرة المراكشية دون البقعة المتصلة بقبلتها وجميع بيت الأرحى الجديدة المخترعة لها على وادي تسلطانت القريبة من أرحى أولاد الأمين محمد بن قاسم القسطلي وأولاد التاجر عبد الله التناجرفي، المشتمل على أربع مدارات مع جميع داره المبنية له وجميع العين الكبرى التي تملكتها من ورثة أحمد بن ربوح الكائنة بالمخالص خارج باب تاغزوت مع أرضها وجنانها ومائها ماعدا الحظ الواجب لأولاد الولي الصالح السيد أبي عمر القسطلي (68) فيها بجميع منافع ذلك كله وحقوقه الداخلة عنه، وما عد منه ونسب إليه، جعلته حبسا مؤبدا، ووقفا مخلدا، يحاز بما تحازبه الأوقاف، ويحترم بحرمتها، إلى يرث الله

(68) انظر ترجمته عند م. بن عسكر، **دوحة**، ص 108 ــ 109 رقم 105، وقد ألف في ترجمته كتابان، أولهما : **همس المعرفة، في سيرة غوث المتصوفة**، لقاسم الحلفاوي (ت بعد 1000 هـ / 1591 م)، مخطوط المكتبة العامة بمراكش رقم 171، والمكتبة العامة بالرباط رقم 764 ج و 2552 و 3165. والكتاب الثاني : **همس القلوب، لكل محبوب**، لمحمد بن الفقير الزروالي، ميكروفيلم المكتبة العامة بالرباط رقم 188.

الأرض ومن عليها، على جامعها الأعظم السعيد، المخترع لها الجديد، بين حومتي باب الرخا (69) وباب دكالة من حضرتهم المراكشية الذي هو لكريم جنابها منسوب، ولعظيم أجرها مجلوب، أحيت به ذلك المكان الميت، والهمها الله قوله : « وما رميت إذ رميت (70)»، تأنقت في بنائه، وبلغت الغاية الممكنة في إنشائه، وأمدته بعين الماء، لا سباغ الطهور وأرواء الظّمّاء، فجاء محكم الانشاء، وأغنى عن الدلو والرِّشاء، فما أعظم منة منت بها، وأجل قدر هبتها في مواهبها، فالله سبحانه يجازيها عن كل كبد رطبة سقتها، ومشقة صعبة وقتها، بكل صعبة أجرا يقود منها إلى أفضل ألف، ويضاعفه إلى مائة ألف ضعف، وتصير الأوقاف المذكورة يصرف خراجها ومستفادها في مصالح الجامع المذكور من مرتب أئمته وفقهائه، ومؤذنيه والقائمين بسائر وظائفه واجراء واكال بنائه.

قالت ذلك وأشهدت به على نفسها حسبما وضعت به خاتمها المتضمن اسمها في أواسط شهر الله المحرم من عام خمسة وتسعين وتسعمائة (71) ».

ثم بعد هذا اشهاد حفيدها الواثق بالله تعالى مولانا أبي فارس، ثم اشهاد أبي الحسن أحمد بن أبي الحسن بن أحمد بن مولانا القائم بأمر الله تعالى، ثم حيازة الأملاك المذكورة، ثم استقلال أبي القاسم بن علي الشاطبي، ثم امضاء ولي عهد مولانا المامون ــ أمنه الله ــ.

وأما امضاء مولانا فنصه ــ وهو من إنشاء أبي فارس ــ (72) :

---

(69) بابا الرخا : ذكر العباس بن ابراهيم أنه كان قرب باب الرب وأنه أغلق، وباقي الأبواب التي كانت توجد بمراكش هي : أغمات، وباب ايلان، وباب الدبغ، وباب الخميس، وباب دكالة، وباب الرب، وباب القصيبة، وباب احمر، وباب العرايس، بين باب دكالة وباب الرب. أما باب تاغزوت ــ أي الغزو ــ فقد كان من أبواب مراكش قبل ان تضاف الزاوية العباسية إليها ويصير داخل المدينة.

انظر : **الأعلام**، 1 : 98.

(70) الآية 17 من سورة الأنفال، ونصها :

« فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم، وما رميت اذ رميت، ولكن الله رمى، وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا، وأن الله سميع عليم ».

(71) 15 محرم سنة 995 هـ توافق 26 دجنبر سنة 1586 م.

(72) يقصد أبا فارس عبد العزيز الفشتالي، مؤرخ المنصور، انظر ترجمته في كتابه، **مناهل**، مواضع متفرقة، وأ. بن القاضي، **درة**، 3 : 169 ــ 131 رقم 1074، **لقط الفرائد**، ص 302، وأ. المقرى، **نفح**، 5 : 22، 6 : 49، و 5، 7 : 68، 81، 82، **فتح**، ص 241 ــ 245، وم القادري، **الاكليل**، ورقة 60 ظ، **التقاط**، 14، والزياني، **الروضة السليمانية**، ص 128، وم. العربي الفاسي، **مرآة**، 163 وش. الدين الخفاجي، **خبايا**، ورقة 64 ظ، 65 ظ، وم. المحبي، **خلاصة الأثر**، 2 : 425 ــ 426، وم. بين معصوم، **سلافة**، ص 582 ــ 589، وم. بن مخلوف، **شجرة**، ص 298 رقم 1154، وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 4 : 152، وع. السلام بن السودة، **دليل**، 1 : 161 ــ 162 رقم 602، ول. بروفنسال، **مؤرخو الشرفاء**، ص 80 ــ 81، وعبد الله كنون، **النبوغ المغربي**، 1 : 262 ــ 263، وكذلك العدد الأول من سلسلة **ذكريات مشاهير**=

« عن عبد الله تعالى، الامام، الخليفة المجاهد، أبي العباس المنصور، أمير المؤمنين ابن مولانا الامام الخليفة، أمير المؤمنين وناصر الدين، أبي عبد الله القائم بأمر الله، الشريف الحسني ــ أيد الله أوامره، ووصل له مجد الدنيا بمجد الآخرة ــ صدر هذا الأمر العلي، الامامي الكريم المنصور ــ أعلى الله به الدين وشرفه، ورفع إلى سمك السماكين غرفه ــ بامضاء التحبيس الصادر أسفله عن الحرة الجليلة، الأصيلة، المثيلة، الحسيبة، القانتة العابدة، الصالحة، الغادية في سبيل مرضاة الرب والرائحة، أم القرب والحسنات، وكاشفة الكرب المزمنات، السيدة الطاهرة، والدة أمير المؤمنين، وكافلة البنات والبنين ــ أبقى الله بركتها، وأجرى على الخير والصلاح سكونها وحركتها ــ امضاء لا يعقبه بحول الله فسخ، ولا يتناول آيه المحكمة نسخ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، والله لا يضيع أجر المحسنين بفضله ومنه. وبتاريخ المحرم الحرام فاتح خمسة وتسعين وتسعمائة. وعلامته أيده الله بأعلاها ».

وأفعال برها لا تحصى كثرة، ولولا خوف الاطالة لهذه العجالة لذكرنا شيئا كثيرا من برها.

= المغرب، وم. بن تاويت، **الأدب المغربي**، ص 322 ــ 325، وم. حجي، **الحركة**، 2 : 457 ــ 485، وكذلك مقاله عن **مناهل الصفا** بمجلة **دعوة الحق**، العدد الثامن السنة التاسعة، يونيو 1966، ص 70 ــ 74، وم. زنيبر، مقال عن **مناهل الصفا** بمجلة **البحث العلمي**، العدد الثالث لسنة 1964، ص 267 ــ 271،

C. Brockelmann, Sup. 2 : 680

الفصل الأول :

* [في حقيقة الخلافة وشروطها]

اختلف العلماء في الخلافة وهي الامامة ، قال ابن سَلْمون [1] : « الامامة عبارة عن خلافة شخص للرسول ﷺ في إقامة حدود الشرع وحفظ الملة على وجه يجب على كافة الأمة » [2].

وشروطها المتفق عليها ستة : الذكورية والبلوغ ، والحرية ، والورع ، والعدالة ، والاجتهاد في الأحكام الشرعية ، وزاد أهل السنة شرطا ، وهو أن يكون من قريش [3] ، لقول الرسول ﷺ : « قَدِّموا قريشا ولا تَقَدَّموها » [4] .

قلت : وهذه الأوصاف موجودة في مولانا ــ أيده الله تعالى بمنه ــ [5] ، قال إمام

---

* ورد هذا الفصل في « ج » في الخاتمة.

(1) أنظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **جذوة**، 2 : 434 ــ 435 رقم 464، **لقط الفرائد**، ص 193، و ع. الحي الكتاني، **فهرس الفهارس**، 2 : 373، وم. ابن مخلوف، **شجرة**، 214، والمؤلف المجهول، **طبقات المالكية**، 425، وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 4 : 243.
(2) أنظر م. بن الأزرق، **بدائع السلك**، 1 : 98 ــ 99، 110 ــ 111.
(3) أنظر م. بن الأزرق، المصدر السابق، 1 : 96 ــ 27 ، وم.
عابد الجابري، **العصبية والدولة**، 200 ــ 201، وم، أبو زهرة، **تاريخ المذاهب الاسلامية**، 1 : ص 24 وما بعدها.
(4) أجرجه الشافعي في **مسنده**، وابن جرير في **تفسيره**.والبيهقي في **المعرفة** عن ابن شهاب مرسلا. أنظر ج. السيوطي، **الجامع الكبير**، 2 : 332.
وأنظر أيضا، القاضي عياض، **الشفا**، 2 : 49، والماوردي، **الأحكام**، ص 6.
(5) من الواضح هنا أن ابن القاضي يرمز بهذا إلى أن السعديين ــ لشرفهم ــ هم أحق بالخلافة من الأتراك، وهذا الرأي هو ما عبر عنه بكل وضوح سفير المنصور إلى مراد الثالث محمد التمجروتي، إذ قال في =

الحرمين (6) : « من اجتمعت له الشروط المذكورة ، وانعقدت له الامامة ، فقد لزمت طاعته ، ولا يجوز خلعه من غير حدث ، وبغير أمر » ، وهذا مجمع عليه . ومنع من عقدها لشخصين ، لقول النبي ﷺ : « إذا بويع أحد الخليفتين فاضربوا عنق الآخر (7) ، وقال الآمدي (8) في **الأبكار** (9) : « الامامة من الفرعيات ، واختلف فيها ، هل هي واجبة عقلا أو نقلا ؟ » ؛ انتهى .

وذهب بعض المعتزلة إلى أنها واجبة على الله تعالى ، كما هو أصلهم في مرعات الصلاح والاصلاح. وتعالى الله أن يجب عليه شيء ، لأنه هو الموجب ، الآمر الناهي ، فلا أمر ولا نهي يتوجه إليه من سواه تعالى : «لا يسأل عما يفعل، وهم يسألون» (9مكرر).

والقول بأنها واجبة عقلا نسب للمعتزلة أيضا (10) . قال ابن مرزوق (11) : « وبوجوبها

= **النفحة المسكية**، ص 147، ما يلي : « ... والعثمانيون من جملة المماليك والموالي، الذين دافع الله بهم عن المسلمين وجعلهم حصنا وسورا للاسلام، وأن كان أكثرهم، وأكثر اتباعهم ممن يصدق عليهم قوله ﷺ : « إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » ، وإن كانوا إنما حملوا الامارة، وقلدوا الأمر في الحقيقة نيابة، وأمانة يؤدونها إلى من هو أحق بها، وأهلها هم موالينا وساداتنا الشرفاء ملوك بلادنا المغرب، الذين شرفت بهم الامانة والخلافة، وكل مسلم لا يقول عكس هذا ولا خلافه ...» .

(6) هو : عبد الملك بن عبد الله الجويني الشافعي (توفي سنة 478 هـــ 1085)، درست من كتبه في عصر ابن القاضي : **الارشاد في العقائد، والورقات في أصول الفقه**، وهما مطبوعان.
وأنظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان** ، 3 : 167 — 170، رقم 378، والمصادر بالهامش.
ومن الدراسات الحديثة، أنظر : **الجويني أمام الحرمين ومذهبه في حدوث العالم** للدكتورة فوقية حسين محمود، سلسلة أعلام العرب، عدد 40.

(7) أخرجه مسلم في **الصحيح** ،6 : 23 ، عن أبي سعيد الخدري باللفظ الآتي : إذ بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما » .
ويوجد بنفس لفظ مسلم في **مسند** ابن جنبل ، وعند ابن عساكر في **تاريخ دمشق** .
أنظر ج . السيوطي ، **الجامع الكبير** ،1 : 95 .

(8) أنظر ترجمته عند أ . بن خلكان ، **وفيات الأعيان** ، 3 : 293 — 294 ، والمصادر بالهامش 432 من الصفحة 493 من نفس المصدر .

(9) إسم الكتاب الكامل هو : **أبكار الأفكار** ، لسيف الدين الآمدي .
أنظر حاجي خليفة ، **كشف الظنون** ، 1 : 4 .

(9م) الآية 23 من سورة الأنبياء .

(10) أنظر م . بن مرزوق ، **المسند** ،ص 6 .

(11) أنظر ترجمته في **فهرسه** ، مخطوط م . ع ، عدد 7579 ، وكتابه **المسند الصحيح** ، مواضع متفرقة ، وعند أ . بن القاضي ، **درة** ، 2 : 275 — 276،رقم 782 ، جذوة ، 1 : 225 — 227 رقم 194 ، لقط الفرائد ، ص 219، و أ. بن فرحون، **الديباج**، 2 : 290 — 296 رقم 10، و أ. بن حجر، **انباء الغمر**، 1 : 206 — 207 رقم 31، و أ. ابن قنفذ، **وفيات**، ص 86، و أ. الونشريسي، **وفيات، ص 129**، و =

عقلا قال صاحب كتاب التجريد (12) ، وهو كتاب عمت به البلوى ، وحصلت منه في الاسلام دهية دهيا . وذهب الخوارج إلى عدم وجوبها مطلقا ، أي عمت البلوى أم لا ، ومستند أهل السنة إجماع المسلمين على نصب أبي بكر خليفة بعد وفاته ﷺ . والاجماع حجة ، لأنه لا تجتمع أمته ﷺ على ضلالة ، ولأنه معصوم مشهود له بالعصمة ، فإقامة الخلافة بين الناس واجبة على أهل الحل والعقد من المسلمين ، واتفق أهل السنة والمعتزلة على أن الخلافة سبب حصولها عقد البيعة، واختلفوا في اشتراط العدد في أهل الحل والعقد وهل تنعقد بواحد أم لا ؟ (13)، فانتقلت من سلف الى خلف إلى أن وصلت لمولانا أبي العباس المنصور، فألقت عصاها لديه، وقصرت أملها عليه.

ع . الحي بن العماد ، **شذرات** ، 6 : 271 — 272 ،و م . بن مريم البستان ، ص 184 — 190، وأ . بابا، نيل ، ص 267 — 270 ، و أ. المقري ، نفح ، 5 : 390 — 396 رقم 18 و م . بن مخلوف ، **شجرة** ، ص 236 — 237 رقم 849 ، وإسماعيل البغدادي ، **هدية العارفين** ، 2 : 170 . و أ . الناصري ، **الاستقصا**، 4 : 25 وما بعدها، و ع. الحي الكتاني **فهرس الفهارس**، 1 : 394، والعباس بن إبراهيم، **الاعلام** ، 5 : 11 — 21 رقم 615 ، وعادل نويهض ، **معجم اعلام الجزائر** ، ص 140 — 141 ، و خ . الدين الزركلي ، الأعلام ، 62 : 226 ،ومحمد بن شقرون ، **مظاهر الثقافة المغربية** ، ص 123 — 129 ، وكذلك كتابه :

La Vie Intellectuelle Marocaine , PP . 283 - 293.

(12) يقصد كتاب **تجريد الجدل**، لأبي القاسم أحمد بن عبد الله البلخي، رئيس المعتزلة، المتوفي سنة 319 هـ. أنظر حاجي خليفة ،**كشف الظنون** 1 : 345.

(13) أنظر : **المسند** ،ص 6.

ملاحظة :

تصرف ابن القاضي كثيرا عند نقل نصه هذا.

الفصل الثاني

* في فضل الامامة

وأما فضل الامامة فهو من الأمور الاضافية، التي لا تعقل الا بنسبتها لشيء آخر. ولاشك أن الخلافة هي أشرف من غيرها، لكونها خلافة الله ورسوله، فبهذا الاعتبار هي أعظم المنازل، ففي الصحيح عن رسول الله ـ ﷺ ـ : « سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل الا ظله ـ الحديث [1] ». قال بعضهم : « ولا تجتمع جميعا إلا لامام ». حدثني شيخنا أبو راشد عن شيخه ابن هارون [2]، عن أبي عبد الله محمد بن غازي [3]، عن أبي عبد الله محمد بن قاسم بن

---

* ورد هذا الفصل في « ج » في الخاتمة.

(1) أخرجه البخاري في **الصحيح**، 1 : 161، عن أبي هريرة كما رواه النسائي في **السنن**، 8 : 222.

(2) يقصد علي بن موسى بن هارون المطغرى، انظر ترجمته عند م. بن عسكر، **دوحة**، ص 51 رقم 34، وأ. بن القاضي، **درة**، 3 : 254 رقم 1295، **جذوة**، 2 : 477 رقم 533 ، **لقط الفرائد**، ص 298، وأ. بابا، **كفاية**، 74،وع. الحي كتاني، **فهرس الفهارس**، 2 : 245 ـ 246 وقد توفي ابن هارون بفاس نسة 951 هـ / 1545 م.

(3) توجد ترجمته مفصلة في كتابيه : **التعلل برسوم الاسناد، والروض الهتون**، وعند أ. المنجور، **فهرس**، ص 17 وم. بن عسكر، **دوحة**، ص 45 رقم 31، وأ. بن القاضي، **درة**، 2 : 147 ـ 148 رقم 622، **جذوة**، 1 : 320 رقم 331، **لقط الفرائد**، ص 284، وأ. بابا، **نيل** 359، وم. الكتاني، **سلوة**، 2 : 73 ـ 77، وع. الرحمان بن زيدان، **اتحاف**، 4 : 2 ـ 21، وم. الحجوى، **الفكر السامي**، 4 : 100، وم. بن خلوف، **شجرة**، 276 رقم 1029، وع. الحي الكتاني، **فهرس الفهارس**، 1 : 210 ـ 213 و 315 ـ 316، 2 : 256 ـ 257، وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 6 : 232، وع. السلام بن سودة، **دليل**، 2 : 52 رقم 104، وم. بن تاويت، **الأدب المغربي**، ص 288 ـ 289، وعبد الله كنون، **النبوغ**، 1 : 208 ـ 209، كما خصص العدد 12 من سلسلته **ذكريات مشاهير المغرب** لابن غازي، وانظر أيضا : ل. بروفنسال، **مؤرخو الشرفاء**، ص 156 ـ 159 ومحمد حجي، **الحركة**، 2 : 346، وكذلك :

C. Brockelmann, SUp. 1 A : 302, 522 - 523, 546, 2 : 97. 337 - 338. M. Benchekroun, la vie intellectuelle, PP. 385 - 394.

محمد القوري [4]، أنه بات ليلة بكاملها يحاول نسق السبعة المذكورين في شعر، لأنه كان لا ينصاع له نظم الشعر، وكان آية من آيات الله في العروض، والنحو، والفرائض، والفقه، فلم يجد الا بيتا واحدا متكلفا وهو :

أمـــام شب في حب وجمـــع وبكـــاء ومدعـــوّ تصدق

ثم ان أبا زيد عبد الرحمان البردعي [5] صدره ببيت، وهو :

يظـــل الله تحت العـــرش قومـــا وهـــم سبـــع كمـــا قال الـــمصدق

امام إلى آخره...

وهذا البيت في غاية الحسن — رحم الله تعالى جميعهم — وقد نظم هذا الحديث، أيضا، أبو شامة المقدسي، وهو عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهم بن عثمان المقدسي الدمشقي [6]، الذي ولد سنة ست وتسعين وخمسمائة [7]، أخذ عن السخاوي [8] **القرآن، له كتاب الروضتين، في أخبار الدولتين، النورية والصلاحية** [9]، توفي سنة خمس وستين وستمائة [10].

ونظمه هذا :

وقال النبي المصطفى : ان سبعة يظلهـــم الله الكريـــم بظلـــه
محب عفيـــف ناشيء متصدق وبـــاك مصل والامـــام بعدلـــه

---

(4) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 2 : 295 — 296 رقم 832، **جذوة**، 1 : 319 رقم 329، م. الكتاني، **سلوة**، 2 : 116، السخاوى، **الضوء اللامع**، 8 : 280 رقم 772، والمؤلف المجهول، **طبقات المالكية**، ص 449.

(5) انظر ترجمته عند أ. ابن القاضي، **درة**، 3 : 95 رقم 1020، **جذوة** 2 : 406 رقم 419.

(6) انظر ترجمته عند م. بن شاكر، **فوات الوفيات**، 2 : 269 — 271 رقم 251، و ج، السيوطي، **بغية الوعاة**، 2 : 77 — 78 رقم 1480.

(7) سنة 596 هـ توافق 1199 — 1200 م.

(8) يقصد علم الدين السخاوى، المتوفى بدمشق سنة 643 هـ انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 3 : 340 — 341، والمصادر بالهامش 456 من الصفحة 340 من نفس المصدر.

(9) طبع بمصر بتحقيق محمد حلمي سنة 1956.

(10) سنة 665 هـ توافق 1266 / 1267 م.

وفي الحديث عن رسول الله — ﷺ — : « السلطان ظل الله في الأرض [11] »، وعن أنس بن مالك [12] — رضي الله عنه —، عن رسول الله — ﷺ — أنه قال : « اذا مررت ببلدة ليس فيها سلطان فلا تدخلها، انما السلطان ظل الله ورمحه في الأرض [13] »، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص [14] — رضي الله عنهما — قال : قال رسول الله — ﷺ — : « ان المقسطين عند الله على منابر من نور العرش، الذين يعدلون في حكمهم [15] »، وفي **التوراة** : «من يظلم يخرب بيته» ، ومعناه في **القرآن** : ﴿فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا [16]﴾، والملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم (17)، «فاياك والظلم فإنه ظلمات يوم القيامة [18] .

[وعن عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — أنه قال لكعب [19] : اخبرني عن جنة عدن، قال يا أمير المؤمنين، لا يسكنها الا نبي صديق، أو شهيد، أو امام عادل، قال عمر : والله ما أنابنبي، وقد صدقت رسول الله — ﷺ —، وأما عادل فإني أرجو ألا أجور، وأما الشهادة، فأنى لي بها ؟

قال الحسن : فجعله الله صديقا، شهيدا، حكما، عدلا [20]. وسأل الاسكندر حكماء

---

(11) أخرجه الطبراني في **المعجم الكبير**، والبيهقي في **شعب الايمان** عن أبي بكرة، انظر ج. السيوطي، **الجامع الكبير**، 2 : 64.

(12) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 1 : 365 — 366، والمصادر بالهامش 1.

(13) أخرجه البيهقي في **شعب الايمان** عن أنس، انظر ج. السيوطي **الجامع الكبير**، 1 : 171.

(14) انظر ترجمة عبد الله بن عمرو بن العاص، عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 4 : 250، والمصادر بالهامش 1.

(15) أخرجه مسلم في **الصحيح**، 6 : 7، عن عبد الله بن عمرو باللفظ الآتي : « ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين في حكمهم وأهليتهم وما ولوا ».

(16) سورة النمل الآية 52.

(17) في « ج » : ولذلك يبقى الملك مع الكفر والعدل ولا يبقى مع الاسلام والظلم.

(18) حديث نبوي أخرجه مسلم في **الصحيح**، 7 : 18، عن جابر بن عبد الله، باختلاف يسير في اللفظ.

(19) هو كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري المشهور بكعب الأحبار (توفي سنة 32 هـ / 652 م)، تابعي. كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر، وقدم المدينة في دولة عمر، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيرا من أخبار الامم الغابرة، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة. وخرج إلى الشام، فسكن حمص وتفي بها.
انظر : صلاح الدين الادلبي، **كعب الأحبار : حياته، آثاره، تجريحه وتعديله**. رسالة جامعية غير منشورة محفوظة بمكتبة دار الحديث الحسنية بالرباط، وانظر كذلك خ. الذين الزركلي، **الاعلام**، 6 : 85 والمصادر بالهامش 3 من نفس الصفحة.

(20) انظر م. الابشيهي، **المستطرف**، 1 : 100.

أهل بابل : أيما أبلغ عندكم، الشجاعة أم العدل ؟ قالوا : « اذ استعملنا العدل استغنينا عن الشجاعة [21] ».

ويقال : « عدل السلطان أنفع من خصب الزمان [22] ».

وقيل : « اذا رغب الملوك عن العدل، رغبت الرعية عن طاعتهم [23]. وكتب بعض العمال لعمر بن عبد العزيز يشكو إليه من خراب مدينته، ويسأله مالا يرمها به، فكتب إليه عمر — رضي الله تعالى عنه — : « قد فهمت كتابك، فإذا قرأت كتابي فحصن مدينتك بالعدل، ونظفها من الظلم ترمها، والسلام [24] »].

وعنه — ﷺ — : « ما من أحد أقرب من الله مجلسا يوم القيامة، بعد ملك مصطفى، أو نبي مرسل، امام عادل، ولا ابعد من الله من امام جائر [25]، وعنه — ﷺ — : « الامام العادل لا تكاد ترد دعوته [26] ».

وفي بعض الآثار : « إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن [27] »، لكن يجب عليه أن يعدل في رعيته، فالعدل اذا دام عمر، والظلم اذا دام دمر.

وعن وهب بن منبه [28] : « اذا هم الوالي بالجور، أو عمل به أدخل الله النقص في

(21) انظر م. الابشيهي، المصدر السابق، 1 : 100 — 101.
(22) انظر م . الابشيهي، المصدر السابق، 1 : 101.
(23) انظر م. الاشيهي، المصدر السابق، 1 : 101.
(24) ما بين المعقوفين سقط من « ج ».
وانظر مقالة عمر بن عبد العزيز عند م. الابشيهي، المصدر السابق، 1 : 101.
(25) أخرجه الترمذي في السنن، 2 : 277، باللفظ الآتي : « أحب الناس إلى الله وأقربهم منه مجلسا يوم القيامة أمام عادل، وأبغض الناس إلى الله يوم القيامة، وأشدهم عذابا امام جائر ».
وقد قال عنه الترميذى : حديث حسن غريب.
(26) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه عن أبي هريرة بإسقاط عبارة : «لاتكاد»، انظر الجامع الكبير، 2 : 28.
(27) الأثر لعمر بن الخطاب، انظر المتقي الهندي، منتخب كنز العمال، 1 : 134، وم. ابن الأزرق، بدائع السلك، 1 : 92.
(28) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، وفيات الأعيان، 6 : 35 والمصادر بالهامش 772 من نفس الصفحة والمصدر.

أهل مملكته، في الأسواق، والزروع، والضروع، وكل شيء، واذا هم بالخير والعدل، أو عمل به، أدخل الله البركة في أهل مملكته كذلك [29].

ومن الطرف التي حدثني بها شيخنا أبو راشد، وذكر لي أن شيخه أبا الحسن على بن هارون كان يستعملها في خطبه العيدية، دائرة الاسكندر، التي أولها : « العالم بستان، سياجه الدولة. الدولة سلطان، تحيا بها السنة. السنة سياسة، سيوسها الامام. الامام راع، يعضده الجيش. الجيش أعوان، يكفلهم المال. المال رزق، تجمعه الرعية. فالرعية عبيد، يشملهم العدل. العدل مألوف، به صلاح العالم [30] ».

وحدثني أيضا بدائرة أخرى لأهل الطب تنسب لجالينوس، وهي : « الطب صناعة، تعضدها الأدوية. الأدوية آلة، تعدل الاخلاط. الاخلاط سموم، تولدها الأغذية. اغذية أطعمة، تلدها الشهوات. الشهوات نزوع، تعرض للنفس. النفس كمال، يستكمل بها البدن. البدن تركيب، تقويه الصحة، الصحة هيئة، يحفظها الطب ».

---

(29) انظر م. الابشيهي، المصدر السابق، 1 : 102، وم. بن الأزرق، **بدائع السلك**، 1 : 230.

(30) أورد الحسن اليوسي هذه الدائرة في **المحاضرات**، ص 103، مع اختلافات بسيطة، وانظر أيضا : م. بن الأزرق، **بدائع السلك**، 1 : 232، وابن خلدون، **المقدمة**، ص 65.

الفصل الثالث

في وجوب طاعته

وأما وجوب طاعته، وتحريم مخالفته، فبالكتاب، والسنة، والاجماع.

أما الكتاب، فقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (1). وأما السنة، فقد روي عن عبد الله بن عمر (2) — رضي الله عنهما — قال : قال رسول الله ﷺ : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، الا أن يُؤْمَرَ بمعصية فلا سمع ولا طاعة » (3)، متفق عليه. وعنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » (4)، وفي رواية أخرى « من فارق الجماعة قيد شبر، مات ميتة جاهلية » (5)، وفي الحديث : « اسمعوا وأطيعوا وإن أُمِّرَ عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة» (6)، رواه البخاري. وفي الحديث عنه ﷺ : « عليك بالسمع والطاعة في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأمره عليك » (7)،

---

* ورد هذا الفصل في « ج » في الخاتمة :

(1) الآية 59 من سورة النساء.

(2) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 3 : 28 — 31، والمصادر بالهامش 321 من الصفحة 28 من نفس المصدر.

(3) أخرجه مسلم في **الصحيح**، 6 : 15، والبخاري في **الصحيح**، 8 : 105 — 106، وكلاهما عن عبد الله بن عمر باختلاف يسير في اللفظ.

(4) أخرجه مسلم في **الصحيح**، 6 : 22، عن عبد الله بن عمر.

(5) أخرجه مسلم في **الصحيح**، 6 : 21، والبخاري في **الصحيح**، 8 : 87، وكلاهما عن ابن عباس باللفظ الآتي : « من راى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات الا مات ميتة جاهلية ».

(6) أخرجه البخاري في **الصحيح**، 1 : 170، عن أنس، باللفظ الآتي : « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل حبشي كأن رأسه زبيبة ».

(7) أخرجه مسلم في **الصحيح**، 6 : 14، عن أبي هريرة.

وعن وائل بن حُجْر (8) ــ رضي الله عنه ــ قال : سأل سَلَمَة بن يزيد الجُعْفي رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله، أرأيت إن قام علينا أمراء يسألوننا حقهم ويمنعون حقنا، فما تأمرنا ؟ فأعرض عنه، ثم سأله، فقال رسول الله ﷺ : « اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حُمِّلُوا، وعليكم ما حُمِّلْتُمْ » (9)، رواه مسلم. وعن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : « من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني » (10)، وقال ﷺ : « الامام بمنزلة الوالد، فلاتضربه إن ضربك، ولا تسبه إن سبك » (11)، وقال ﷺ : « من أكرم سلطان الله فقد أكرم الله، ومن أهان سلطان الله فقد أهان الله » (12). فكادت الولاية أن تكون تلو النبوءة. وإذا ظهر له عدو فيلرم معاونته، وإن استقرضهم أقرضوه، وإن استعان بهم أعانوه، وإن عدل فيهم مدحوه، وإن جار عليهم صبروا، إلى أن يتيح الله مخرجا (13).

ومما يجب على الرعية نصح الامام، لأن من نصحه فقد نصح الله ورسوله، ومن غشه فقد غش الله ورسوله ﷺ.

ومن نصحك..... (14) فداهنك، فقد غشك، ومن لم يقبل نصيحتك فليس بأخ لك. قال عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ : « لا خير في قوم ليسوا بناصحين، ولا خير في قوم لا يحبون الناصحين ».

ولبعضهم :

---

(8) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 9 : 117، والمصادر بالهامش 1.

(9) أخرجه مسلم في **الصحيح**، 6 : 19، عن وائل بن حجر.

(10) أخرجه مسلم في **الصحيح**، 6 : 13، والبخاري في **الصحيح**، 8 : 104، والنسائي في **السنن**، 7 : 154، وكلهم عن أبي هريرة.

(11) الحديث غير موجود عند ج. السيوطي في **الجامع الكبير**، ولا عند أ. ي ونسنك في **المعجم الفهرس**.

(12) أخرجه أ. بن حنبل في **مسنده**، 5 : 46، والبخاري في **التاريخ**، وكلاهما عن أبي بكرة، باللفظ الآتي : « من أكرم سلطان الله في الدنيا أكرمه الله يوم القيامة، ومن أهان سلطان الله في الدنيا أهانه الله يوم القيامة ».

وانظر أيضا ج. السيوطي : **الجامع الكبير**، 3 : 40.

(13) انظر م. بن الأزرق، المصدر السابق، 1 : 99 ــ 100.

(14) بياض بالأصل.

بذل النصيحة سنة الفضلاء | لا يبخلون بها على البعداء
يعطونها من جاءهم مسترشدا | لا يبتغون بذلك نيل جزاء
....(15) | من كان دان منهم أو ناء
.... | ......(16) تلتاح في الأشياء
 | ......(17) كثرة الأدواء

........(18) « إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم » (19).

وبالجملة فطاعتهم مقرونة بطاعة الله تعالى، وبطاعة رسوله ﷺ. حدثني شيخنا أن والد مولانا كثيرا ما كان ينشد :

لا يصلح الناس فوضى لا سَراةَ لهم | ولا سراة إذا جهالهم سادوا
والبيت لا ينبني إلا بأعمدة | ولا عمود إذا لم تُرس أوتادُ
فإن تَجَمَّعَ أسبابٌ وأعمدةٌ | وساكن بلغوا الأمر الذي كادوا (20)

وينبغي للملك أن ينزل الرعية منزلة الأولاد والاخوان، وينظر إليهم بعين الرعاية والاكرام، فإن الفرس كان من عادتهم ان ينزلوا الرعية منزلة العبيد، لا يراعون لهم حرمة، ولا يحفظون لهم ذمة، فعاب عليهم الحكماء فعلتهم، ثم كتبوا إلى الاسكندر لينظر إلى الرعية بالعين التي ينظر

---

(15) بياض بالأصل.
(16) بياض بالأصل.
(17) بياض بالأصل.
(18) بياض بالأصل.
(19) الآية 91 من سورة التوبة، وما بين المعقوفين سقط من « م » و « ج »، وانظر مزيدا من الايضاح عند م. بن الأزرق، المصدر السابق، 1 : 313.
(20) وردت الأبيات عند م. بن الأزرق في **بدائع السلك**، 1 : 128، هكذا :

لايصح الناس فوضى لا سراة لهم | ولا سراة اذا جهالهم سادوا
والبيت لا ينبني إلا على عمد | ولا عماد إذا لم ترس أوتاد
فإن تجمع أوتاد وأعمدة | يوما فقد بلغوا الأمر الذي كادوا

وقد نسبها الماوردي في **الأحكام**، ص 5، إلى الشاعر الجاهلي الأفوه الأودي، وكذلك فعل المستشرق الايطالي (كارلونا لينو) في **تاريخ الآداب العربية**، ص 80. وقد وردت كاملة عند ابن عبد ربه في **العقد الفريد** و**أمالي القالي**، وفي ديوانه المطبوع ضمن إطار كتاب **الطرائف الأدبية**.

بها إلى أولاده وإخوانه، فَلَأَنْ تكون ملك الأحرار والأشراف خير من أن تكون ملك العبيد والأوغاد.

من قوام العدل إعداد الأسلحة، فقد سأل عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ عمرو بن مَعْدي كَرِب [21] عن الأسلحة، فقال : ما تقول في الرمح ؟ قال : أخ قوي، وربما يخونك في موضع فينكسر، قال : فالرمي ؟ قال : حصن، وحمل ثقيل للرجال، ومشقة للفارس، وقيل أجابه عن الرمي بقوله : منايا تخطىء وتصيب، قال : فالسيف، قال : سالب الأرواح، وساكب الدماء.

وقال علي ــ رضي الله عنه ــ : « لا مجد ولا نسب أعظم من مجد السيف ».

والعرب تسمي السيف ظل الموت، قال الطائي :

السيـــف أصدق أنبـــاء من الكــتب في حده الحد بيـن الجـد واللــعب
والعلـــم في شهب الأرمـــاح لامعـــة بين الخميسين لا في السبعة الشهب [22]

ومن كمال الامام أن يقصد العدو قبل أن يقصده العدو، ومحمد نبينا ﷺ يدعى في التوراة والانجيل بنبي القتال.

قال بعضهم : « ولا يتولى الحرب بنفسه ويجتهد في قمع العدو بالحيلة والمكيدة، فرب حيلة أنفع من قبيلة » [23].

---

(21) انظر ترجمته عند ج. الدين الزركلي، **الاعلام**، 5 : 260 ــ 261 والمصادر بالهامش 1.
(22) انظر **ديوان أبي تمام**، ص 14.

مـــلاحظـــــة :

وردت كلمة (سنن) عوض (شهب)، والتصويب من **الديوان**.
(23) انظر م. بن الأزرق، المصدر السابق، 1 : 173، 180.

الفصل الرابع

* في حكم غريبة ونكت عجيبة تشتمل
على آداب الرعية مع الملك

قال بعض الحكماء : إذا حضرت مجالس الملوك فغض عينيك، وضم شفتيك، ولا تقل في غيبتهم مالا تقوله في حضرتهم، فإن حرمة مجالسهم في مغيبهم كحرمتها في مشهدهم، ولا تأمن أن يكون لهم عليه عيون ترفع اليهم أخبارك، وتورد أسرارك وآثارك، وفي ذلك أنشدوا :

احفــــظ لسانك أيهـــــا الانسان لا يلدَغَـــنَّكَ إنَّــــه ثعبـــــانُ
كم في المقابــر من قتيــلِ لسانِـهِ قد كان تهاب لقاءه الشجعـــان [1]

ولعلي بن هاشم :

لعمــرك إنَّ الحلــم زيــن لأهلــه، ومــا الحلــم الا عادة وتحَلُّــمُ
اذا لم يكن صمت الفتى عن (فدامة)[2] وَعَيٍّ، فان الصمت أوْلَــى وأسلــمُ

حكي انه لما خرج يونس من بطن الحوت، طال صمته، فقيل له : ألا تتكلم ؟ فقال (الكلام صيرني [3]) في بطن الحوت.

▫ ورد هذا الفصل في « ج » في الخاتمة.

(1) البيتان للشافعي، انظر **ديوانه**، ص 82.
وقد ورد عجز البيت الثاني **بالديوان** هكذا : كانت تهاب لقاءه الأقران.
وانظر أيضا م. بن الأزرق، **بدائع السلك**، 2 : 903.

(2) ورد عروض البيت الثاني بالأصل هكذا : (ند)، وعند الابشيهي في **المستطرف**، 1 /82 : (ندامة).
غير أننا نعتقد أنها مصحفة عما اثبتناه، فالذي يناسب سياق الشعر هي (فدامة) بالفاء من فدم فدامة فهو فدم، إذا جفا طبعه وجسأ خلقه، وغلظ ذهنه.

(3) بياض بالأصل، والاكمال من **المستطرف** للابشيهي، 1 : 82.

وكان بهرام جالسا ليلة تحت شجرة، فسمع منها صوت طائر، فرماه فأصابه، فقال : ما أحسن حفظ اللسان بالطائر والانسان، لو حفظ هذا لسانه ما هلك [4] . وقال علي — كرم الله وجهه — : «بكثرة الصمت تكون الهيبة [5]، وقال عمرو بن العاص [6] : «الكلام كالدواء : اذا أقللت منه نفع، واذا أكثرت منه قتل [7]».

وقال لقمان [8] لولده : يا بني اذا افتخر الانسان بحسن كلامه، فافتخر أنت بحسن صمتك [9] ».

يقول اللسان كل صباح ومساء للجوارح : كيف أنتن ؟ فيقلن : بخير أن تركتنا [10].

ولبعضهم :

احفـظ لسانك لا تقـول فَتُبْتَلَى، « إنّ البلاء موكل بالمنطق [11] »
[12] ....
.... [12 مكرر] **والجوارح كلها فلكل جارحة عليك لسان**
واخزن لسانك ....[13] **والكلام سنان** [14]

وقيل : أن الحكمة عشرة أجزاء، تسعة منها في الصمت، والعاشرة عزلة الناس [15].

---

(4) انظر م. الابشيهي، **المستطرف**، 1 : 82.
(5) نفس المصدر والصفحة.
(6) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 5 : 248، والمصادر بالهامش.
(7) انظر م. الابشيهي، نفس المصدر والصفحة.
(8) انظر عبد الله كنون، **لقمان الحكيم**.
(9) انظر م. الابشيهي، نفس المصدر والصفحة.
(10) انظر م. الابشيهي، نفس المصدر والصفحة.
(11) ورد البيت في مصادر عديدة منها : **حياة الحيوان الكبرى**، 1 : 161، **والمستطرف**، 1 : 82، **وبدائع السلك**، 2 : 903. وعجز البيت مثل من الامثال، انظر الميداني، **الامثال**، 1 : 19 — 20. وهو مستمد من حديث نبوي أخرجه الخطيب البغدادي في **تاريخ بغداد**، انظر المتقى الهندي، **منتخب كنز العمال**، 1 : 293.
(12) بياض بالأصل.
(12م) بياض بالأصل.
(13) بياض بالأصل.
(14) ما بين المعقوفين سقط من « م » و « ج ».
(15) نسب م. الابشيهي في **المستطرف** 1 : 82. القول لوهب بن الورد.

واذا جلست على موائد الملوك، فصم على الكلام، ولا تشده للطعام، واذا حدثك الملك، فاستمع إليه، واقبل بوجهك عليه، ولا تعرض عن قوله، ولا تعارض بمثله، وان خالطك بخاصتة، وأهَّلَكَ لمعاشرته، فلا تؤمن على دعوته، ولا تشمته في عطسته.
لكن هذا كان في الصدر الأول.

[حدثني شيخنا أبو راشد عن شيخه أبي الحسن، أن جماعة بين يدي أمير شمتوه في عطسته، فقال من حينه ودخل إلى منزله، وخرجت خادم من خدم داره وهي تقول له : من الذي تمنى لمولانا الموت منكم في قوله له : رحمك الله ؟

وأنشدني ما لابي العباس بن عبد المنان [16] لما عطس مخدومه بين يديه، فأنشده هذين البيتين :

يرحـــمك الرحمـــــنُ مِنْ عاطسٍ   وَلْيَهْـنِكَ الحمـدُ عَلــى عَطْسَتِكْ
ويغفــــر الله لنـــا كلنـــا   وَلْيُسْبِل الستَرَ علــى وَجْنَـتِكْ [17]

حدثني ان الشيخ ابن غازي، كان يقول : .... [18]
في هذا جارية على السنة [19]].

ولا تسأله عن حاله، ولا تعزه في ميته، ولا تلقه بالسلاح، ولا تفاتحه بالكلام.

أنشدني شيخنا أبو راشد ــ أدام الله بقاءه ــ :

إذا رأيتَ نيـوبَ الليـث بارزةً   فلا تظـن بأن الليـث يَبْـتَسِمُ [20]

---

(16) انظر ترجمته عند أ. الونشريسي، **وفيات**، ص 132، وأ. بن القاضي، **لقط الفرائد**، ص 226، **درة**، 1 : 53 ــ 55 رقم 72، **جذوة**، 1 : 124 ــ 125 رقم 57، وأ. المقرى، **نفح**، 7 : 117، وع. الرحمٰن بن زيدان، **اتحاف**، 1 : 212 ــ 213.
(17) ــ انظر البيتين عند أ. بن القاضي، **درة**، 1 : 55.
(18) بياض بالأصل.
(19) ما بين المعقوفين سقط من « م » و « ج ».
(20) البيت للمتنبي من قصيدته الميمية المشهورة التي مطلعها

واحـر قلبـاه ممـن قلبـه شبـم   ومـن بجسمي وحالي عنده سقـم

انظر **ديوان المتنبي**، 4 : 85.

واياك ان تزاحمه في التدبير، أو تعاتبه في التقصير.

اذا لاعبت الملك فاستعمل حسن الأدب، واستوف حق اللعب، اياك والقدح في الملوك، وان مضى زمنهم وانقضى سلطانهم، فإن ذلك مما يضع في قدرك، ويشهد بغدرك. إذا أرسلك السلطان في رسالة فلا تزد في رسالته، ولا تزل عن نصيحته، واعص نفسك في طاعة سلطانك، واحفظ رأسك من عثرة لسانك، وان كانت لك حاجة لديه فلا ترفعها إليه ما لم تر وجهه بسيطا، وقلبه نشيطا، وبشره باديا، وفكره خاليا. ولتكن على مقدار حقك وخدمتك، لا على مقدار نفسك وهمتك، فإذا طلبت منه فقصر المقال، وتوق الاملال، ولا يحملنك فرط ميله إليك، وحسن اقباله عليك، على كثرة السؤال، وشدة الاسترسال، وان سمعت حديث الملك فكن مستبشرا به، مستطرفا، وان كنت أحكمته علما، واتقنته فهما.

ولنرجع إلى ما كنا بصدده.

فأما والد مولانا ـــ أيده الله، ورضي عنه ـــ فهو أمير المؤمنين : مولانا محمد المهدى، كان ملكا شجاعا، مقداما، عالما، عاملا، متفننا، أديبا، حافظا. حدثني شيخنا أبو راشد أنه كان ممتع المجالسة والمذاكرة، حسن السيرة والمجابرة، نقي الشيبة، عظيم الهيبة، حسن السيرة، سالم السريرة. وقال لي : ما رأيت بعد شيخي أبي الحسن علي بن هارون، احفظ منه للمقطعات الشعرية، والملح النثرية، وكثيرا ما كان ينشد :

النـــاس كالنـــاس والأيـــام واحـــدة والدهـر كالدهـر والدنيـا لمـن غلبـــا

[وحدثني أنه كان يقول : .... (21)، ومما حدثني به أيضا أن بعض الطلبة كان بمجلس ابن عرفة (22)، ونقل عن كتاب اللخمي (23) في « ضع » و « تعجل » (24) أنه

---

(21) بياض بالأصل.

(22) انظر ترجمته عند ابن القاضي، **درة** 2 : 280 ـــ 283، رقم 794، **لقط الفرائد**، ص 231، وأ. بن قنفذ، **وفيات**، ص 88 ـــ 89، وأ. الونشريسي، **وفيات**، ص 134، وم. بن مخلوف، **شجرة**، ص 227 رقم 818، وأ. بابا، **نيل** ص 274 ـــ 279، وم. بن مريم، **البستان** ص 190 وم. السخاوي، **الضوء اللامع**، 9 : 240 ـــ 242 رقم 586، وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 7 : 272، وم. العابد الفاسي، **فهرس مخطوطات خزانة القرويين**، 1 : 369 ـــ 372.

(23) ويقصد كتابه **التبصرة**، انظر وصفا لمخطوطاته عند م. العابد الفاسي، **فهرس مخطوطات خزانة القرويين**، 1 : 359 ـــ 363، وانظر ترجمته عند أ. بن قنفذ، **وفيات**، ص 58، وأ. بن فرحون، **الديباج المذهب**، 2 : 104 ـــ 105 رقم 14، وم. السراج، الحلل السندسية، 2 : 336 ـــ 337، وم. بن مخلوف، **شجرة**، 1 : 117 رقم 326 و، خ. الدين الزركلي، **الأعلام**، 5 : 148، والمؤلف =

يجوز على قول ابن القاسم [25]، فأنكر ذلك ورد عليه قوله، ثم إنه بحث عنه في مظانه منه فلم يجده، وتحير لذلك، فبينما هو نائم ذات ليلة اذ أقبل عليه رجل، فسلم عليه، فقال له : من أنت يا سيدي ؟ فقال : علي اللخمي، ثم قال له : يا سيدي، نقلت عن كتابك من كلام ابن القاسم جواز « ضع » و « تعجل » وضل عني، وفحصت عنه في مظانه فلم أجده، ولم أعثر عليه، فقال له : هو في فصل الخُلْع [26]. فاستيقظ واسرج السراج من حينه، فألفاه كما قال، ثم حملها في صبيحتها للمجلس، وسألوه كيف تفطن لها مع أن المحل ليس من مظانها فأخبرهم القصة، فجل لذلك في عين الشيخ وعظم قدره عنده.

وحدثني أيضا عن والد مولانا أنه كان يقول : « ما من شيء فيه نفع الا وفيه ضر، وما من شيء فيه ضر الا وفيه نفع ». سمع منه هذا في حال اجتماعهم عليه في التفسير مع اليسيتني، المتوفى لسنة ثمان وخمسين وتسعمائة، هو : محمد بن عبد الرحمٰن اليسيتني. وقد رد والد مولانا على أبي القاسم بن ابراهيم [27] الأستاذ [28] حيث أنشده :

فلا تحقــــرنّ عدوا رمـــــاك وإنْ كان في ساعديـــــه قِصَرْ
فإنّ السيــوف تحـــز الرقـــاب وتعجــز عمــا تنــال الابَـــرْ[29]

– المجهول، **طبقات المالكية**، ص 277.

(24) هي التي قال فيها ابن أبي زيد في باب البيوع ومشاكله : ولا يجوز الوضعية من الدين على تعجيله. قال الشيخ زروق في **شرح الرسالة**، ص 125 ــ 126 : « وتسمى عند الفقهاء « ضع » و « تعجل » وحكمها المنع على المشهور، ونقل اللخمي جوازه.

(25) هو : عبد الرحمٰن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي المصري، أبو عبد الله، ويعرف بابن القاسم، فقيه، جمع بن الزهد والعلم. تفقه بالامام مالك ونظرائه، مولده ووفاته بمصر (132 هـ / 191 هـ / 750 م ــ 806 م)، له **المدونة**، ستة عشر جزءا، وهي من أجل كتب المالكية، رواها عن الأمام مالك، وهي المقصودة هنا.
انظر ترجمته عند القاضي عياض، **ترتيب المدارك**، 3 : 244 ــ 245، وأ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 3 : 129 ــ 130 رقم 362، وان بن فرحون، **الديباج**، 1 : 465 ــ 469، و ع. الحي بن العماد، **شذرات**، 1 : 329، وم. بن مخلوف، **شجرة**، ص 58، وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 4 : 97.

(26) الخلع : بضم الخاء، الطلاق بعوض، انظر **مختصر خليل**، باب الخلع.

(27) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 3 : 287 رقم 1364، **جذوة**، 1 : 110 رقم 38، وم. بن عسكر، **دوحة**، ص 57 رقم 41، وأ. المنجور، **فهرس**، ص 65 ــ 66، و ع. الفاسي، **ابتهاج** ص 232، وم. الحضيكي، **طبقات**، 1 : 157، وم. الكتاني، **سلوة**، 2 : 128.

(28) يختص لقب استاذ في العصر السعدي بالمقريء، المحصل لعلوم **القرآن**.

(29) نسب كال الدين الدميري في **حياة الحيوان الكبرى**، 1 : 128، البيتين لأبي نصر السعدي، وانظر أيضا م. الابشيهي، **المستطرف**، 1 : 216.

حيث أنشده أبو القاسم المذكور « صغيرا » مكان « عدوا ». وحدثني أيضا عن والد مولانا أن يوما جاءهم خبر عيد الفطر في العصر، فأفطر الناس، ثم أن جماعة صعدوا إليه ليهنوه بالعيد، وكان فيهم أبو زيد عبد الرحمن بن ابراهيم [30]، وأبو عبد الله اليسيتني، وعبد الوهاب الزقاق [31]، أبو القاسم الحُمَيْدي، ومن المراكشيين أبو الحسن الاخصاصي. ثم ان والد مولانا قال لهم : وَلِمَ لَمْ تصل العيد وان خرج وقتها ؟ فقال جملتهم : لا تُقْضَى لقول خليل [32] في **مختصره** : « ولا يُقْضَى غير فرض إلّا هي، أي : الفجر ». فقال لهم : بل للخمي قول بقضائها، فأفحمهم بقول اللخمي.

وأنشدني لأبي علي الحسن بن عطية الونشريسي [33]، من أشياخ ابن جابر القورى،

(30) انظر ترجمته عند م. بن عسكر، **دوحة**، ص 56 رقم 39، وأ. بن القاضي، **جذوة**، 2 : 407 رقم 422، **درة**، 3 : 97 — 98 رقم 1024 ، وأ. المقرى، **روضة الآس**، ص 336 — 338 رقم 29، وم. الحضيكي **طبقات** 1 : 157.

(31) ترجم له تلميذه أحمد المنجور، **فهرس** ، ص 15 رقم 13 ، وم. بن عسكر، **دوحة**، ص 55 رقم 38، وأ بن القاضي، **درة**، 3 : 150 رقم 1112، **جذوة**، 2 : 455 رقم 495، وأ. بابا، **كفاية**، ص 54، وم. حجي **الحركة**، 2 : 351.

(32) خليل بن اسحاق المصري (ت 776 /1374) من أكبر فقهاء المالكية شرح **مختصر** ابن الحاجب في ستة مجلدات (المسمى بالتوضيح) ثم اختصره في الكتاب المعروف **بمختصر خليل**، وقد دخل **مختصر خليل** إلى المغرب أوائل المائة التاسعة على يد عمر بن الفتوح المكناسي.
وقد تداوله المغاربة كثيرا في العصر السعدي إذ كتبوا عليه نحو ثلاثين شرحا وحاشية وتعليقا، ونظموه في آلاف الابيات، ومن أشهر هذه الشروح :
— شرح الامام ابن غازي، المسمى **شفاء الغليل، في حق مقفل خليل**، في جزءين. مخطوطات م. القرويين أرقام 432 و 434 و 535 وم. ع. بالرباط رقم 834 د و م. م بالرباط 1862 و 3463.
— شرح أحمد بابا السوداني المسمى **منن الرب الجليل، ببيان مبهمات خليل**، فيجزئين، مخطوطات م. القرويين، رقم 428 وم. ع بالرباط 420 د وم. ع بمراكش، رقم 80 و 437 وم.م. بالرباط رقم 4468 و 4975. انظر عبد الله الجراري **من أعلام الفكر المعاصر**، 1 : 202 — 205، وم. حجي، **الحركة**، 1 : 144 هامش 41، وم. العابد الفاسي، **فهرس مخطوطات خزانة القرويين**، 1 : 396 — 397.
وانظر ترجمته عند ا. بن فرحون، **الديباج**، 1 : 357، وأ. بابا، **نيل**، 112، وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 2 : 364.

(33) بالأصل : لابي الحسن بن عطية الونشريسي، وسماه ابن القاضي في **درة الحجال**، 3 : 247 رقم 1272، بأبي الحسن علي بن علي بن عطية الونشريسي، وكلاهما تحريف، اذ المترجم هو أبو علي الحسن بن عثمان بن عطية التيجاني الونشريسي.
انظر في هذا الصدد أ. بابا، **نيل**، ص 107 — 108، وهو ينقل الترجمة عن تلامذة الونشريسي المباشرين مثل ابن الخطيب وابن الأحمر وغيرهما، وانظر أيضا أ. بن القاضي، **لقط الفرائد**، ص 219، **جذوة**، 1 : 179 رقم 138، و ع. القادر زمامة، **أبو الوليد بن الأحمر**، ص 118 .

المتوفى سنة احدى وثمانين وسبعمائة (34) :

واظِبْ على نظـر اللخمـي إنّ لَهُ   فضلا على غيـره للنـاس قَدْ بَانـا
يرجـح القـول إنْ صحت أدلتـه   ويـوضح الحـق تبيانـا وفُرقانـا
ولا يبالـي اذا ما الحـق ساعـده   بمن يخالفه في الناس مَنْ كانا (35)

وقال لي : كان حافظا **للقرآن**، وكان فهمه له جيدا، ويحفظ **ديوان المتنبي** عن ظهر قلب، وكان حافظا **لصحيح البخاري**، ويستحضر ما للناس عليه، ويقول في **فتح الباري** لابن حجر : « ما صنف في الاسلام مثله »، وكان عارفا بالتفسير، والفقه، وغير ذلك.

أخذ العلم عن أبي علي الحسن بن عثمان الجزولي (36)، أحد تلامذة الشيخ ابن غازي، وأبي العباس الونشريسي (37) توفي في حدود اثنتين وثلاثين وتسعمائة (38).

حدثني عنه أيضا أبو راشد، وأنه كان يحض على المشورة، ويقول لا سيما في حق الملك وينشد :

ومـن جهـلت نفسُهُ قَدْرَهُ   رأى غيـرُهُ منـه ما لا يَرَى (39)

وكان يقول : « ينبغي للملك أن يكون طويل الأمل، فإنّ طول الأمل، وان كان لا يحسن من غيره، فهو منه حسن، لأن الرعية تصلح بطول أمله. وحدثني عنه أنه كان يقول : « من طول

---

(34) ـــ 781 هـ توافق 1379 / 1380 م.
(35) ما بين المعقوفين سقط من « م » و « ج ».
وانظر الابيات الأخيرة عند م. بن غازي، **فهرس**، ص 67.
(36) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **جذوة**، 1 : 182 رقم 143، **درة** 1 : 240، رقم 355، **لقط الفرائد**، ص 291.
(37) انظر ترجمته عند م. بن عسكر، **دوحة**، ص 47 ـــ 48 رقم 32، أو. بن القاضي، **درة**، 1 : 91 ـــ 92 رقم 130 **جذوة**، 1 : 156 ـــ 157 رقم 105، وأ. بابا، **نيل**، ص 87 ـــ 88، وع. الحي، الكتاني، **فهرس الفهارس**، 2 : 438، وم. الحجوى، **الفكر السامي**، 4 : 99، واسماعيل البغدادي، **هدية العارفين** ، 1 : 138، وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 1 : 255 ـــ 256، وعادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، ص49 ـــ 50.
(38) 932 هـ توافق 1525 / 1526 م.
(39) البيت للمتنبي، انظره عند الراغب. الاصبهاني، **محاضرات الأدباء**، 1 : 19.

أمله أخذ تلمسان [40] وسبتة [41] وغيرهما »، وكان ــ رحمه الله ــ يطيل الأمل كثيرا، ومن مآثره ــ رضي الله عنه ــ ما كان يأمر به من بناء القناطر، كالجسر العظيم الذي على وادي سبو [42]، والجسر العظيم على وادي أم الربيع، وغيره من الحسنات.

حدثني شيخنا أبو راشد بحكاية عن الامام أبي عبد الله الشيخ المهدي، أنه كان

---

(40) تلمسان في عهد محمد الشيخ آلت إلى الأتراك العثمانيين بعد صراع عنيف يمكن تلخيصه فيما يأتي :
أ ــ استولى الأتراك على الجزائر وامتد نفوذهم إلى غاية وجدة منذ سنة 956 هـ / 1549.
ب ــ رفض السلطان السعدي محمد الشيخ الاعتراف بالسلطان العثماني سليمان القانوني.
ج ــ مهاجمة الاتراك في وجدة خلال سنة 956 هـ / 1549 م، وفي تلمسان سنة 957 هـ / 1550 م.
وهكذا نشب هذا الصراع المسلح حيث تمكن القائد حسن كورسو من اخراج السعديين من تلمسان ووجدة، كما استطاعت القوات التركية أن تدخل مدينة فاس في مطلع سنة 961 هـ / 1554 م، وأعلنت بيعة الأمير الوطاسي أبي حسون بها. غير أنه لم تمض 8 أشهر حتى استطاع محمد الشيخ أن يسترجع مدينة فاس بجموع أهل الجنوب، وقد ظلت العلاقات متوترة بين الطرفين ــ السعدي والعثماني ــ مما دفع محمد الشيخ إلى التعاون مع الاسبان والبرتغال خصوم الأتراك العثمانيين. وقد فشلت جميع المحاولات الدبلوماسية التي قام بها الاتراك لدى محمد الشيخ للدخول في طاعتهم مما أدى بهم إلى تدبير مؤامرة اغتيل خلالها السلطان السعدي يوم الأربعاء 27 ذي الحجة سنة 964 هـ الموافق 23 اكتوبر 1557.
انظر في هذا الصدد :
ــ المؤرخ المجهول، **تاريخ الدولة السعدية**، ص 16 ــ 21
ــ م. الافراني، **نزهة** ص 30 ــ 36.
— H. de Castries, Sources, 1ère série espagnole,
1 : 208, 244, 246, 313, 441, 471, 532, 2 : 36, 41, 88, 95, 139, 148, 151, 160.
— Ch. A. julien, l'Histoire de l'Afrique du Nord, PP. 207 — 208.
— A. Laroui, l'Histoire du Maghreb, P. 234.

(41) سبتة كانت في عهد محمد الشيخ بأيدي البرتغال مند أن احتلت من طرفهم سنة 818 هـ / 1415 م، وقد كانت تراوده فعلا فكرة استرداد الثغور المغربية الموجودة بأيدي البرتغال والاسبان ــ ومن ضمنها سبتة ــ لكن التهديد العثماني حال دون ذلك.

(42) نقل المقرى قول ابن القاضي هذا في **روضة الآس**، ص 22، وقد علق القادري على ذلك بما يأتي : « قلت : وقوله وهي من مفاخر والده (والد أحمد المنصور)، ظاهره أن والده محمد الشيخ المهدي هو الذي أنشأها، ولم أقف على هذا، إلا أن يكون لها بناء قبل ذلك وتهدم فالله أعلم. وقوله احتسابا أي في أداء ما وجب عليه، اذ بناء القناطر وما في معناه على بيت المال، فهو في ذلك كالوكيل في تتبع المصالح، والعمل بالراجح، وذلك مما يجب عليه كما لا يخفى. وأما قنطرة سبو فقد تهدم بعد ذلك نحو نصفها، وجدده السلطان الافخم، الشجاع البطل الأعظم، الجواد المفصال الأكرم، المولى الرشيد الشريف السجلماسي الحسني... ».
انظر **نشر المثاني** ، 1 : 106.

يحدثهم عن شيخه أبي علي المذكور، أنه لما أكمل قراءته على الشيخ ابن غازي وأراد الرجوع إلى وطنه، فجاء إلى الشيخ ليودعه، فأخذ الشيخ بيده اليمنى وقال له : « استودع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك ثم قال الشيخ بعد ذلك : « الآنَ أجْزَأت فاس »، أي ولدت الاناث، ومنه قوله تعالى : « وجعلوا له من عباده جُزْءاً [43] »، أي اناثا. وممن شارك أبا علي في القراءة على الشيخ ابن غازى : الاستاذ أبو عبد الله محمد الانفاسي الكفيف [44]، المتوفى سنة سبع وعشرين وتسعمائة [45]، وهو الذي ذيل بيتا لبعض الأقدمين بأبيات، والبيت :

لقد هتكت قلبي سهـامُ جفونهـا — كمـا هتك اللخمـي مذهب مالك
وقلدت اذا ذاك الهوى في مرادهـا — كتقليد أعـلام النحـاة ابـن مالك
وما ست على الأوصال بالقد قدها — فأمست كأبيـات بتقطيـع مالك
ومَلّكتهـا رقـي لرقّـة عِطْفهـا — وان كنت لا أرضاه مِلْكـاً لمـالك
وناديتُهـا : يابغيتـي بَذْلُ مهجتـي — ومالي قليلٌ في بديع جمـالك [46]

وحدثني بما اتفق للكفيق مع الشيخ ابن غازي ــ رحمه الله تعالى ــ ذات يوم في حال اقرائه صحيح البخاري، لما بلغ إلى محل فيه : فاسقنا كاسا دهاقا [47]، قال الشيخ هذا شطر بيت ينبغي لمن يكمله، فقال على البديهة :

استبقنـا لأحاديـث — البخـاري استباقـا
فَرَوْينـا وَرَوينـا — ولقـد كنـا شياقـا
وتناولنـا رحيقـا — فاز شخص منـه ذاقـا
دمت يا ابـن الشيـخ فينـا — فاسقنـا كأسا دِهاقـا

---

(43) الآية 14 من سورة الزخرف.

(44) ترجم له تلميذه أحمد المنجور، **فهرس**، 62 ــ 63، وأ. بن القاضي، **الذرة**، 2 : 150 ــ 151 رقم 625، **جذوة**، 1 : 245 رقم 236، **لقط القرائد**، ص 288، وأ. بابا **نيل**، ص 334.

(45) 927 هـ توافق 1520 ــ 1521 م.

(46) انظر الابيات عند أ. بن القاضي، **درة**، 2 : 150 ــ 151 وقاسم بن القاضي، **فهرس تنوير الزمان**، ص 195.
وقد ورد البيت الأول هكذا.

لقد مزقت قلبـي سهـام جفونهـا — كمـا مزق اللخمـي مذهب مالك

(47) ورد في « ز » بعد كلمة (دهاقا) ما يأتي : « وهو ما في ترجمه أيام الجاهلية »، ولا معنى لها هنا.

وعنى بابن الشيخ : أبا عبد الله محمد الملقب بغازى (48) ولد الشيخ ابن غازي لأنه هو الذي كان يتولى سرد **البخارى** لأبيه. وحضر للحكاية الشيخ أبو سعيد عثمان بن عبد الواحد اللمطي المكناسي (49)، والد شيخنا أبي العباس أحمد (50) ـــ أبقاه الله للمسلمين بمحمد وآله ، ولد أبو سعيد سنة ثمان وثمانين وثمانمائة (51)، وتوفي سنة أربع وخمسين وتسعمائة (52)، وحضرها أيضا الاستاذ : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله العبسي (53)، المتوفى ليلة الأحد سابع وعشرين محرم عام خمسة وستين (54) فجأة وهو يطالع تفسير الزمخشري (55) : **الكشاف**، في فصل الشتاء، عن [أبي عبد الله محمد بن أحمد بن غازي وغيره (56)]، فقيه أستاذ. أبو سعيد هو الذي حدث بها شيخنا، وحدثني بها يوم السبت التاسع عشر من جمادى الأولى عام ستة وتسعين (57) ـــ عرفنا الله خيره وأمننا شره ـــ.

ومما اتفق للكفيف المذكور مع الشيخ ابن غازي لما عمل نزهة لبعض أصحابه، ولم يدع الكفيف، فلما لقيه بعد قفولهم من النزهة أنشده :

[تنزهتـــــمُ فهنيئـــــا لكـــــمْ ... كأنـــي كَلٌّ علـــى كُلِّكُـــمْ
أمَا كان فيكـــم صديـــق لنـــا ... يقـــول فلان صديـــق لَكُـــمْ

.... (58) حدثني بهذه الحكاية (59)].

وأخذ والد مولانا أيضا ـــ رضي الله عنه ـــ عن أبيه محمد عبد الله بن عمر

---

(48) انظر ترجمته عند أ. القاضي، **لقط الفرائد**، ص 295، ودرة، 2 : 163 ـــ 164 رقم 636.
(49) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 3 : 211 رقم 1216، **جذوة**، 2 : 459 رقم 502، **لقط الفرائد**، ص 268، وم. بن مخلوف، **شجرة**، ص 282 رقم 1066، وم. الكتاني، **سلوة** 3 : 65، وم. حجي، **الحركة**، 2 : 353.
(50) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة** 1 : 168 رقم 200.
(51) 888 هـ توافق 1484 / 1484 م.
(52) 954 هـ توافق 1574 / 1548 م.
(53) انظر ترجمته عند أ بن القاضي، **درة**، 2 : 208 رقم 651 **جذوة**، 1 : 248 رقم 244.
(54) 27 محرم عام 965 هـ توافق 19 نونبر عام 1557 م
(55) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 5 : 168 ـــ 174 والمصادر بالهامش 711 من الصفحة 168 من نفس المصدر.
(56) ما بين المعقوفين بياض بالأصل والاضافة من **درة الحجال**، 2 : 208.
(57) يوم السبت 19 جمادى الأولى عام 19 جمادى الاولى عام 996 هـ يوافق 16 أبريل 1588 م.
(58) بياض بالأصل.
(59) ما بين المعقوفين سقط من « م » و « ج ».

المضغرى (60) ـــ مضغرة سجلماسة (61) ـــ أحد تلامذة ابن غازي والامام القوري، فقد شارك ابن غازي في شيخه، وهو الذي نسق الشعراء الستة في بيتين، وهما :

علقمــه وامــرؤ القـــيس والنابغــه عنتـــرة طرفـــة وزهيـــر وفـــي
هؤلاء ستـــة شهـــروا عندنـــا لفصاحـــة شعرهـــمُ المقتفـــي (62)

وعن أبي محمد عبد الله بن عمر المضغرى أخذ أبو الحسن علي بن موسى بن علي بن هارون المضغرى، شيخ شيخنا أبي راشد وأبي العباس المنجور، الجذور وذوات الاسماء والمنفصلات، [توفي أبو الحسن بن هارون سنة خمسين وتسعمائة (63)، والمضغرى هذا ليس المطغرى الشاعر، الذي أدركه جماعة من أشياخنا. حدثني شيخنا أبو راشد أو ابن هارون أقام في ذوات الأسماء والمنفصلات مع أبي محمد المضغرى مدة شهرين (64)].

وممن شارك أبا عبد الله في ابن غازى أبو زيد عبد الرحمن البردعي الجذامي الاندلسي. حدثني شيخنا أبو راشد : أن أبا زيد كان مع الشيخ ابن غازي المتوفى سنة تسع عشرة وتسعمائة (65)، ذات يوم عند قبر الولي الصالح، الخطيب الزاهد، الصوفي العابد، أبي عبد الله محمد بن عباد (66)، وكانت هناك شجرة لوز في أوان نورها فقال له الشيخ ابن غازي : قل في هذه الشجيرة، فقال ارتجالا :

---

(60) انظر ترجمته عند م. بن عسكر، **دوحة**، ص 87 ـــ 88 رقم 80، وأ. بن القاضي، **درة**، 3 : 55 رقم 965، **جذوة**، 2 : 440 رقم 468، وأ. بابا، **نيل**، ص 161، وم. الناصري، **الدرر المرصعة**، ص 188، وم. الحضيكي، **طبقات**، 2 : 169 و 213، وأ. الناصري، **الاستقصا**، 5 : 36، ومحمد المختار السوسي، **سوس العالمة** ص 21 و 48، المعسول، 13 : 267، وم. حجي، **الحركة**، 2 : 520 ـــ 521.

(61) يفرق النسابون بين فرعي قبيلة مطغرة من قبائل البربر البتر، فيجعلون مطغرة (بالطاء) للفرع المقيم بضواحي تلمسان، ومطغرة أو مدغرة بالضاد أو الدال للفرع المقيم بتافيلالت من المغرب.

(62) انظر البيتين عند قاسم بن القاضي، **فهرست تنوير الزمان**، 193.

(63) 950 هـ توافق 1543 / 1544 م.

(64) ما بين المعقوفين سقط من « م » و « ج ».

(65) 919 هـ توافق 1513 / 1514 م.

(66) يقصد محمد بن ابراهيم بن عباد النفزي الرندي، هاجر من الاندلس إلى المغرب، وتنقل بين فاس وتلمسان ومراكش وسلا وطنجة، واستقر اخيرا بفاس خطيبا بجامع القرويين، وبها توفي عام 792 هـ 1390 م. انظر م. الكتاني، **سلوة** 2 : 133 ـــ 134، وأ. بن قنفذ، **أنس الفقير**، ص 75، وأ. بابا **نيل**، ص 287 ومحمد المنوني، **التيارات الفكرية**، ص 16، وم. العابد الفاسي، **فهرس مخطوطات خزانة القرويين بفاس** ، 1 : 351.

عروس تُجْتَلَـــــى في كل حَوْلٍ   تُنَـــزَّهُ مَنْ تَفَـــرَّدَ بالكمــــال
وتـــؤذِنُ بالحيـــاة اثـــر موتٍ   وان الحادثـــات إلـــى زوال

والبردعي هذا كان فقيها، نحويا، أديبا، توفي في حدود العشرين وتسعمائة. كان من أقران هارون، ولما وقف على ما قاله ابن حجر [67] في صومعة المؤيدية، بالقاهرة المعزية، وورّى بالشيخ العيني [68] في البيتين، وهما :

بجامـع مولانـا المؤيـد رونـقٌ   وصومعة تزهو من الـحسن والزيـن
تقـول وقـد مالت عليهـم ترفّقـوا   فليس على جسمي أضر من (العين) [69]

فأجابه العيني :

منـارة كعـروس الـحسن قد جُليـت   وهدهـــا بقضاء الله والقـــدر
قالوا : أصيبت بعين، قلت : ذا خطأ   ما أوجب الهـد الا خسـة (الحجـر)

قال هو كالتنكيت عليهما :

كلا كما أحْسَنَ التعريض حيـن هجا   وقـال قولا بديعـا رائقـا بَهجـا
فاستغفـرا الله يا شيخـيَّ وانتدِبـا   لتوبـةٍ وطريـقَ الحـق فانْتَهِجـا

(67) ألف برسمه تلميذه محمد السخاوي كتابه المسمى : **الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الاسلام ابن حجر**، مخطوط م. م. بالرباط عدد 1500، وم. الوطنية بباريس عدد 2105، وانظر أيضا **الضوء اللامع**، 2 : 36 — 40 رقم 104، **التبر المسبوك**، ص 230، وأ. بن القاضي، **درة**، 1 : 46 — 72 رقم 94، وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 1 : 173 — 174، وحسن حبشي، مقدمة كتاب **أبناء الغمر**، 2 : 7 — 25.
(68) انظر ترجمته عند ج. السيوطي، **بغية الوعاة**، 2 : 275 — 276 رقم 1967، وم. السخاوي، **الضوء اللامع**، 10 : 131 — 135، **التبر المسبوك**، 375، وع. الحي بن العماد، **شذرات الذهب**، 7 : 286، وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 8 : 38 — 39، وم. العابد الفاسي، **فهرس مخطوطات خزانة القرويين**، 1 : 138 — 141.
(69) ورد البيتان عند ج. السيوطي في **بُغْيَة الوعاة**، 2 : 276، هكذا :

بجامـع مولانـا المؤيـد رونـق   منارتـه بالـحسن تزهـو وبالزيـن
تقـول وقـد مالت عليهـم تمهلـوا   فليس على هدمي أضر من (العيـن)

[« وممن شارك أبا الحسن بن عثمان في ابن غازي والونشريسي، عبد السميح المصمودي (70)، وأبو حفص عمر السملالي، وعلي بن محمد بن عبد العزيز الحامدي (71)، وهو والد الأديب أبي عثمان سعيد بن علي (الحامدي ...) (72).

... (73) بِيَ الأعـداءُ طُرّاً وسابَـقَتْ	إلَـيَّ سهـامُ كُلِّ أشْوَسَ عادي
وأدْبَرَ عنـي اليـوم من كان مقبـلا	وأبغضنـي من كان إلْـفَ وِداد
فَإِنْ أنكرتنـي أنْ رأتنـيَ شاحبـا	نحيفا من البلوى عيون رداد (كذا)
فيـارب يوم فيـه ناغيـت غادةً	مهفهفـة هاجت غرام فؤادي
تبـدَّت بثغـر باسم لي وزخـرفت	حديثا له طعـم كطعـم شِهـاد
وحَـلّ شغافَ القلب مني حديثُها	فألّف ما بينـي وبيـن سُهـادي

ومنها :

إمـامٌ همـامٌ حاز مجـد ورفعـةً	وألويـةَ التمكيـن يوم نِجـاد
متى تَلْقَهُ تلقَ السماحـة والنَّـدى	ومأثـرةً ليست بذات فسـاد
اليـه جميعـا يلجـأ النـاس عندمـا	.................................(74)
هدى النـاسَ جهراً بالقـواضب والقنا	وجاهدهـم في الله حَقَّ جهـاد

ومنها ختاما :

---

(70) بالأصل : الصموت، وهو تصحيف، انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 3 : 171 رقم 1144، **جذوة**، 2 : 453 رقم 492، وم المختار السوسي، خلال، 2 : 130.

(71) انظر ترجمته عند م. المحضيكي، **طبقات**، 2 : 210، ومحمد المختار السوسي، **خلال**، 2 : 129 — 130 وم. حجي، **الحركة**، 2 : 591 — 592.

(72) بياض بالأصل.

وانظر ترجمته سعيد بن علي الحامدي عند أ. بن القاضي، **درة**، 3 : 301 — 302 رقم 1386، **لقط الفرائد**، ص 309، ود. الفشتالي، **مناهل** ص 283 — 292 وع. الرحمن التمنارتي، **الفوائد**، ص 39، وم. الحضيكي، **طبقات**، 2 : 130 — 133، وم. المختار السوسي، **سوس العالمة**، ص 69 و 180، وع. السلام بن سودة، **دليل**، 2 : 386 رقم 1695 وم. حجي، **الحركة**، 2 : 592.

(73) بياض بالأصل.

(74) بياض بالأصل.

فلا يُبْعِدَنْكَ الله يا ذروة العُلى ويا خير عالٍ فوق متن جواد
فدونك مني حُلّةً قد نسجتها من المدح لا تبلَى بطول عِهَادِ (75)

ومن فقهاء سوس : أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الجزولي (76)، أخذ عن أبي زكريا يحيى السوسي (77)، ومحمد بن ابراهيم التمنارتي (78)، أيضا توفي سنة وتسعين وتسعمائة (79)،

---

(75) بحثنا طويلا عن قائل هذه القصيدة من أدباء العصر السعدي لاكمال البياض ولتصويب ما ند عن الصواب. وقد عثرنا على بعضها بالفعل في مخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط يحمل رقم 5408، وهو مجموع أدبي مجهول المؤلف يشتمل قسمه الأول على شعر ونثر لأدباء من العصر السعدي. والأبيات الواردة **المنتقى** توجد في الاثنتي عشر صفحة الأولى منه وهي تختص بأدبيات الكاتب الشاعر محمد بن عيسى التاملي صاحب كتاب **الممدود والمقصور من سنا السلطان أبي العباس المنصور.**
وبعد المقارنة تبين لنا أن هناك ثلاثة أبيات من القصيدة الواردة في **المنتقى** هي نفسها الواردة في المخطوط الآنف الذكر، وهذه الابيات هي :
أولا بالصفحة 10

فإن أنكرتني ان رأتني شاحبا نحيفا من البلوى عيون رماد (كذا)

وهو خامس بيت في قصيدة الشاعر محمد بن عيسى التاملي.
ثانيا بالصفحة 11 :

أمام همام حاز مجدا ورفعة وألوية التمكين يوم نجاد

وهو ثامن بيت في قصيدة الشاعر.

هلك الناس طرا بالقواضب والقنا وجاهدهم في الله حق جهاد

وهو البيت الثاني عشر في قصيدة الشاعر، المكونة من أربعة عشر بيتا. وهذا يجعلنا نرجح أن تكون القصيدة الواردة في **المنتقى** هي نفس القصيدة الواردة في المخطوط، أورد ابن القاضي بعضها، وأورد المؤلف المجهول البعض الآخر، فتكون القصيدة الواردة في **المنتقى** بناءا على هذا الاساس للشاعر محمد بن عيسى التاملي.

(76) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 1 : 154 رقم 100.

(77) انظر عند أ. بن القاضي، **درة**، 3 : 339 رقم 1463، **جذوة**، 2 : 544 رقم 631، وأ. بابا، **نيل**، ص 359، وأ. النجور، **فهرس**، ص 29 — 30.

(78) انظر ترجمته عند م. بن عسكر، **دوحة**، ص 111 رقم 109 وم. الافراني، **صفوة**، ص 63 — 64، وع. الرحمن التمنارتي، **الفوائد** ص 71 — 73، وم. الحضيكي، **طبقات**، 2 : 5 — 9، وم. التعقيلي، **مناقب**، 17 — 19، وم. المختار السوسي، **خلال جزولة**، 3 : 4 — 41، المعسول، 7 : 10 — 46، **سوس العالمة**، ص 127 و 156.

(79) 997 هـ توافق 1588 / 1589 م

وأما أبو عثمان سعيد بن علي فتوفي سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة (80). وأما قاضي سوس اليوم وهو : أبو عثمان سعيد بن علي بن مسعود الهوزالي (81). فولد سنة ثلاث عشرة وتسعمائة (82)، أخذ عن أبي عبد الله محمد بن علي الدرعي (83)، وعن أبي القاسم الكوش الملقب بالشيخ التفنوتي الدرعي] (84).

وأما والد مولانا ـــ رضي الله عنه ـــ فتوفى سنة أربع وستين وتسعمائة.

(80) 973 هـ توافق 1565 / 1566م

(18) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 299 ـــ 300 رقم 1383، وعبد الواحد الحسني، **فهرس**، ص 87 ـــ 88، وع. الرحمن التمنارتي، **الفوائد**، ص 24 ـــ 27، وم. الافراني، **صفوة**، ص 37، وم. القادري، **الاكليل**، ص 83 ، **نشر** 1 : 23 وم. الحضيكي، **طبقات**، 2 : 341 ـــ 344، وم. المختار السوسي، **المعسول**، 7 : 47 ـــ 51، **سوس العالمة**، ص 185، وم. حجي، **الحركة** 2 : 407.

(82) 913 هـ توافق 1057 ـــ 1508.

(83) انظر ترجمته عند عبد الله الفاسي، **الاعلام بمن غبر**، 1 : 355، وم. الناصري، **الدرر المرصعة**، ص 294 ـــ 295 ، وم. الحضيكي **طبقات**، 2 : 16 ـــ 17، وم. بن عسكر، **دوحة**، ص 93 رقم 87.

(84) ما بين المعقوفين سقط من « م » و « ح ».

وانظر ترجمة الشيخ التفنوتي الدرعي عند أ. بن القاضي، **درة**، 3 : 284 رقم 1358، **لقط الفرائد**، ص 299، وأ. المنجور، **فهرس**، ص 75، وع. الرحمن التمنارتي، **الفوائد**، ص 28 ـــ 29، وم. الافراني، **صفوة**، ص 39 ـــ 40، وم. الناصري، **الدرر المرصعة**، ص 135 ـــ 136، وم. الحضيكي، **طبقات**، 1 : 151 ـــ 153، وم. حجي، **الحركة**، 2 : 542 ـــ 543.

الفصل [الخامس] :

* [فيما يجب على الخليفة]

* ـــ ورد هذا الفصل في « ج » في الخاتمة.

يجب على الخليفة الرفق برعيته ، ونصحهم ، والشفقة عليهم ، وعدم أهماله مصالحهم ، ولا يشدد عليهم لأنه : « ما كان الرفق في شيء إلا زانه ، ولا كان الخُرْق في شيء ألا شَانَهُ » (1) .

روي عن ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ ، عن النبي ﷺ أنه قال : « كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته » (2) ؛ متفق عليه . وعنه ﷺ : « ما من عبد يسترعيه الله رعية ، يموت يوم يموت ، وهو غاش لرعيته ، إلا حرم الله عليه الجنة » (3) .

وكان يقول ﷺ : « اللهم من وَلِيَ من أمر أمتي شيئا ، فَشَقَّ عليهم ، فاشْقُقْ عليه ومن وَلِيَ، ومن أمر أمتي شيئا ، فرفق بهم ، فارفق به » (4) ، وعنه ﷺ أنه قال : « من ولاه الله شيئا من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وَخَلَّتِهِمْ ، احتجب الله دون حاجته وخَلَّتِه يوم القيامة » (5) .

ويجب عليه أن يكون مشتاقا ، متعطشا إلى لقاء العلماء ، ومخالطتهم ، ويكون حريصا على الاستفادة من كلامهم ... (6) ، فالحمد لله الذي طهر مولانا من كل ما يشينه في حق رعيته ، وحلاه بحلية الحلم ، وزينه بزينة العلم ، فهو أمير العلماء ، وعالم الأمراء ، أحسنهم قياما بسياسته ، وأحظاهم رفعة في رياسته ، وأشدهم على رعيته شفقة ، وأكثرهم في الصالحات نفقة ، وأحرصهم على إيصال الخير إلى رعيته ، وأبعدهم من الاحتجاب عنها.

ولنقتصر على هذا القدر في هذه المقدمة ، ونشرع في ذكر الأبواب المشتملة على ذكر فضائله الشريفة ، وفضائله المنيفة .

---

(1) ــ حديث نبوي أخرجه مسلم في **الصحيح**، 8: 22، عن عائشة.
(2) ــ أخرجه مسلم في **الصحيح**، 1: 88، والبخاري، 8 : 107، وكلاهما عن ابن عمر.
(3) ــ أخرجه البخاري في **الصحيح**، 8: 107، ومسلم في **الصحيح**، 1: 88، وكلاهما عن معقل بن يسار
(4) ــ أخرجه مسلم في **الصحيح**، 6: 7، عن عائشة.
(5) ــ أخرجه أبو داود في **السنن**، 3 : 135، عن معاوية، باختلاف يسير في اللفظ.
(6) ــ بياض بالأصل.
ــ وما بين المعقوفين سقط من « م » و « ج ».

الباب الأول

* في حسن خلقه وعقله
وكمال خلقه وفضله

---

* ورد الشطر الثاني من العنوان في « ج » هكذا : وكمال أوصاف خلقه وفضله.

قال بعض السلف : « الحسن الخلق ذو قرابة عند الأجانب، والسيء الخلق أجنبي عند أهله [1] »، وقال الفضيل بن عياض [2] : « لأن يصحبني فاجر حسن الخلق، أحب الي من أن يصحبني عابد سيء الخلق »، لأن الفاسق اذا حسن خلقه خف على الناس وأحبوه، والعابد اذا ساء خلقه مقتوه :

[اذا رام التخلـــق جاذبتـــه خلائقـه إلـى الطبـع القديـم [3]

وعن النبي ـ ﷺ ـ انه قال : « ما من شيء في الميزان أثقل من خلق حسن [4]، وقيل : « سوء الخلق يعدى، لأنه يدعو أن يقابل بمثله ».

ولبعضهم :

وإني لألقـى المـرء، أعلـم أنـه عدو وفي أحشائه الضِّغْـنُ كامـنُ
فأمنحـه بِشْري فيرجـع قلبـه سليما وقد ماتت لديه الضغائنُ [5]

(1) انظر م. الابشيهي، **المستطرف**، 1 : 115.
(2) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 4 : 47 ـ 50، والمصادر بالهامش 531 من الصفحة 47 من نفس المصدر.
(3) انظر م. الابشيهي، المصدر السابق، 1 : 115 ـ 116
(4) أخرجه أبو داود في **السنن** ، 4 : 253، والترمذي في **السنن** 3 : 145 وكلاهما عن أبي الدرداء، باختلاف يسير في اللفظ.
(5) انظر م. الابشيهي، المصدر السابق، 1 : 116.

وقال الحارث بن قصى : « يعجبني من القراء كل فصيح مضحاك، وأما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بوجه عبوس فلا كثر الله في المسلمين مثله [6] »].

لا غرو أنه — أيده الله — جمع من العلم، والحلم، وحسن الخلق، وكمال الخلق، والفضل، وحسن الادراك، والميز، والعقل، مالم يحصل لملك، لا سيما وهو ملكهم، وعقول الملوك ملوك العقول، ولذلك قال بعض الحكماء في العقل : « العاقل من عقله في ارشاد، ومن رأيه في امداد، فقوله سديد، وفعله جميد، والجاهل من جهله في اغراء، فقوله سقيم، وفعله ذميم [7] ».

— ولذلك قيل :

[من لم يكـــن أكثـــره عقلـــــه أهلكـــــه أكثـــــــر ما فيـــــــه

ولهذا قال بعضهم : « العاقل لا تنقطع صداقته، والأحمق لا تدوم مودته »، وقال — عليه السلام — « ما اكتسب المرء مثل العقل، يهدي صاحبه إلى هدى، ويرده عن ردى [8] »، وعن رسول الله — ﷺ — : « لكل شيء دعامة، ودعامة عمل المرء عقله........[9] »، عليه السلام : « العقـــل نور في القـــلب يفـــرق بيـــن الحـــق والباطل »........[10] الله تعلى عقلا كاملا.

قال أزدشير [11] : « أربعة تحتاج إلى أربعة، الحسب إلى الأدب، والسرور الى الأمن، والقرابة إلى المودة، والعقل إلى التجربة [12].

---

(6) ما بين المعقوفين سقط من « و » و « ج ».
وانظر مقالة الحارث بن قصي عند م. الابشيهي، المصدر السابق، 1 : 18.
(7) انظر م. الابشيهي، المصدر السابق، 1 : 15.
(8) أخرجه البيهقي في **شعب الايمان** عن عمر، انظر ج. السيوطي، **الجامع الكبير**، 2 : 481.
(9) بياض بالأصل.
والحديث لا يوجد عند. السيوطي في **الجامع الكبير**، ولا عند أ. ي. ونسنك في **العجم المفهرس**.
(10) بياض بالأصل.
(11) هو : اردشير (بالراء المهملة، وعند العرب الزاي المعجمة) بن بابك بن ساسان الأكبر، وهو أول من جمع كلمة الفرس بعد ما تفرقت على يد الاسكندر، وكان سبب تفرق كلمتهم أن الاسكندر لما حكم الفرس أرسل إلى أرسطا طاليس يستشيره في أمر الفرس، فقال له : ولكل رجل من أكابرهم جهة حتى تتفرق كلمتهم. وعندما جمع أردشير كلمة الفرس وتم له الأمر قال : ان كلمة فرقتنا لكلمة مشؤومة. يريد بذلك كلمة ارسطا طاليس. والمؤرخون المسلمون يسمون ثلاثة أشخاص من ملوك الفرس باسم (اردشير) أولهم : المترجم له، توفي سنة 241 م، ثانيهم : توفي سنة 383 م. وثالثهم توفي سنة 630 م.
(12) انظر م. الابشيهي، المصدر السابق، 1 : 15.

وقال القاسم بن محمد [13] : « من لم يكن عقله أغلب الخصال عليه، كان حتفه أغلب الخصال عليه [14].

وقال أبو الدرداء [15] : قال النبي ـــ ﷺ ـــ : « يا عويمر ازدد عقلا تزدد من الله قربا، قلت : بأبي وأمي، من أين لي بالعقل ؟ قال : اجتنب محارم الله تعالى، وأد فرائض الله تعالى تكن عاقلا، ثم تنتقل إلى صالح الاعمال تزدد في الدنيا عقلا، وتزدد من الله قربا وعليه عزا [16] ».

ويروي عن علي ـــ كرم الله وجهه ـــ أنه كان ينشد :

ان المكـــارم أخـــلاق مطهـــرة ... فالعقـــل أولهـــا والديـــن ثانيهـــا
والحلـــم ثالثهـــا والعلـــم رابعهـــا ... والجود خامسها والعـــرف ساديهـــا
والبـــر سابعهـــا والصبـــر ثامنهـــا ... والشكـــر تاسعهـــا والليـــن عاشرهـــا
والعيـن تعلـــم من عينـــي محدثهـــا ... ان كان من حزبها أو من أعاديهـــا
والنـــفس تعلـــم أنـــي لا أصدقهـــا ... ولست أرشد الا حيـن أعصيهـــا [17]

وحاز من الشجاعة والاقدام ما لا يخطر ببال، الا أنه على الكافرين وبال. أما ما كان ظاهرا من ذلك فلا أحتاج إلى ذكره، ولا أخوض من أمره، لأنه ظاهر للعيان، وللعامة والخاصة الأعيان. وأما ما يغيب منها الا عن من كان مُجالسه، أو يحضر في الغالب مَجالسه، فسأذكر شيئا من ذلك [18]]. فمنها أني لما قدمت مراكش حين أخرجني من الأسر ـــ أخرجه الله من كل ضيق، وسهل له في الخيرات الطريق ـــ أقبل علي ورحب بي، ثم قال لي بعد ذلك : « والله إني كنت مهتما بأسرك وأمرك »، كرر ذلك علي ثلاثا، ثم بعد ذلك بأيام، حضرت ذات يوم بين يديه ـــ أيده الله تعالى ـــ في مسجد داره العلية، ولا ثالث لنا، فاراد أن يسألني عن الكفرة ـــ أذلهم الله تعالى بمنه ـــ فاستشعر مني بعض خجل حصل لي منه، فأقبل علي بالسؤال عن أحوال أسري، وكيف اتفق لي مع الكفرة، حتى أنّسني بذلك، وأزاح عني الخجل،

---

(13) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 6 : 215 والمصادر بالهامش.
(14) انظر م. الابشيهي، نفس المصدر والصفحة.
(15) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 5 : 281، والمصادر بالهامش 1.
(16) لا يوجد الحديث عند. خ . السيوطي في **الجامع الكبير**، ولا عند أي. ونسنك في **المعجم المفهرس**، ويوجد عند م. الابشيهي، نفس المصدر والصفحة.
(17) انظر **ديوان علي بن أبي طالب**، ص 132.
(18) ما بين المعقوفين سقط من « م » و « ج ».

وأذهب عني الوجل، فلما رجعت إلى نفسي، وسكن روعي بعد أنسي، استفهمني عن أحوالهم، فعلمت اذ ذاك أن له عقلا صعد إلى العرش، وعاد إلى الفرش، ثم رجع إلى يده فتحكم فيه كيف شاء ــ أبقاه الله وأيده، ورفع ألويته وسدده.

] ....[19]

ويرحم الله القائل :

من لم يكن أكثره عقله أهلكه أكثر ما فيه

وقد تقدم.

ولبعضهم.

يعد رفيعَ القوم من كان عاقلا وان لم يكن في قومه بحسيب
وان حل أرضا عاش فيها بعقله وما عاقل في بلدة بغريب [20]]

وأما حسن ادراكه وفهمه، فيظهر في أجوبته على أبحاث في **الكشاف** ألفها قائده أبو الحسن علي بن منصور المرابط الشيطمي، وهي غاية في الحسن، تدل على عقله الشامخ، وقدمه الراسخ، ومن أرادها فليطالعها في محلها.

حدثني شيخنا أبو العباس المنجور عن كثرة فهمه، وغزر علمه، فقال لي : « كثيرا ما سامرته، وما رأيت أجود من فهمه، وأكثر من علمه، استفاد مني وأفاد، لكن ما أفاد أكثر مما استفاد ». وقد ألف شيخنا **فهرسة** جمع فيها كل ما اتفق له معه، وناولنيها بخطه، وأجازني [21] فيها بعد قراءتها عليه مرتين، إحداهما مع الفقيه الأديب، الناظم الناثر : أبي عبد

---

(19) بياض بالأصل بمقدار سطرين.

(20) ما بين المعقوفين سقط من « م. » و « ج ».

(21) الاجازة في الأصل من مصطلحات المحدثين يعدونها في الدرجة الثالثة من انواع الرواية، ويأتي قبلها : السماع أي سماع لفظ الشيخ من حفظه أو كتابه، والعرض أي قراءة الطالب على الشيخ وعرضه الحديث عليه كما يعرض القرآن على المقرىء.
وقد توسع المتأخرون من علماء المسلمين في الاجازة، فأطلقوها على كل أنواع الرواية، وجعلوها غير قاصرة على الحديث، بل شاملة لسائر العلوم النقلية والعقلية.
انظر في هذا الصدد :
ــ القاضي عياض، **الالماع، إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع**، ص : 88 ــ 107.

الله محمد بن علي الهوزالي [22]، والأخرى لم أشارك فيها أحدا، وقد ضاعت مني هذه النسخة في حال محنتي، وهي الآن عند الكفرة ــ أذلهم الله تعالى ــ.

قلت : وقد حضرت لبعض أبحاثه في البخاري الذي يسرد بين يديه في رمضان، سنة اثنتين وتسعين [23]، فيأتي بما يزري بالعقول، ويشرف المنقول، من أخذ نكتة عجيبة، أو فائدة غريبة، أو جواب عن معارضة، مهما أوردت على المحل مناقضة، وبما يشهد له بالرتبة العلية، والهمة الزكية.

وأما خلقه في أمر رعيته، ومسايسته لها، وجلب قلوبها، حتى كان الكبير والده، والصغير ولده، فقد فاق في ذلك من سواه، وأرغم من ناواه، فقد ملك بسريرته الحسنة، وسيرته المستحسنة، من رعيته القلوب، وتطاير ذكره بين نقطتي الشروق والغروب. هذا وان أهل المغرب لا يقدر على مجابرتهم ومقاومتهم ملك، ومع هذا كله أحكم سياسته، وأتقن رياسته، فينزل الناس منازلهم، ولا ينقص مقدار أنازلهم (كذا)، وقد اشتهر هذا وظهر، لأهل البادية والحضر [24].

= ــ ع. بن زيدان، فيلق، مخطوط غير مرقم.
ــ م. حجي، الحركة، 1 : 100 ــ 110.
ــ أحمد شلبي، تاريخ التربية الاسلامية، ص 260 ــ 269.
ــ صبحي الصالح، علوم الحديث ومصطلحه، ص 88 ــ 104.

(22) محمد بن علي الهوزالي هو المشهور بالنابغة، انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، درة، 2 : 233، رقم 288 وع. العزيز الفشتالي، مناهل، ص 27، 41، 76، 130، 131،...... وع. الرحمن التمارتي، الفوائد، ص 40 ــ 41، وم. الحضيكي، طبقات، 2 : 47، وعبد الله كنون، النبوغ، 1 : 263، وم. حجي، الحركة، 2 : 464.

(23) 992 هـ توافق 1584 / 1585 م.

(24) كان المنصور حريصا إلى حد كبير على حفظ الأمن والمحافظة على وحدة المغرب، لهذا زجر الثوار بكل عنف سواء أكانوا من الأسرة المالكة نفسها أم من القبائل، وقد صور عبد العزيز الفشتالي في المناهل هذا بكل دقة. وحاول بعض العلماء انتقاد المنصور على هذه السياسة المتشددة مثل عبد الواحد الحميدى ــ قاضي الجماعة بفاس ــ حيث مر هذا الأخير على جماعة من الرجال والنساء مغلولين في سلسلة ومن ضمنهم امرأة في كرب المخاض، فلم يعجبه هذا الأمر واظهر منه الشكاية للمنصور، فغضب الأمير لذلك، وبعد أيام أجابه بقوله : « لولا ما رأيت ما أمكنك أن تجيء مع اصحابك عشر أيام في أمن ودعة، فان أهل المغرب مجانين مارستانهم هي المحن والسلاسل والأغلال ».
انظر م. الافراني، نزهة، ص 158.

وهو أولى بأن يقال فيه :

ـــــم تك تصلـــــــح الا له ولـــم يك يصلـــح الا لهـــا[25]

وقد رفع للدين ألويته، وجدد لأركانه أعمدته.

---

(25) البيت لأبي العتاهية، يمدح فيه المهدي العباسي، وقد ورد البيت ضمن أبيات هكذا :

أتتـــه الخلافـــــةُ منقـــادةً إليـــــه تُجـــرِّرُ أذيالَهـــا
فلــــم تكُ تَصْلُــــحُ إلّالَـــــهُ ولـــم يكُ يصلُـــح إلّا لهـــا
ولـــو رامهـــا أحـــدٌ غيـــرهُ لزُلْـــزِلَتِ الأرضُ زلزالَهـــا
ولـــو لم تُطِعْـــهُ بنـــاتُ القلـــوبِ لَمَـــا قَبِـــلَ اللــــهُ أعمالَهـــا

انظر أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 1 : 221 ـ 222، وابن حجة الحموى، **خزانة الأدب**، ص 311.

الفصل [الأول] :

* [فيما هو دليل الكمال وصحة الذكورية]

* ـــ قارن بين ما أورده ابن القاضي هنا وما أورده م. بن الأزرق في بدائع السلك، القاعدة الرابعة : العفة، 1 : 441.

وأما ما هو دليل الكمال وصحة الذكورية، وما يتفاخر به عادة وهو النكاح، فإنه يؤثره لأحاديث وردت في ذلك وهي كثيرة. من ذلك ما روي عنه ﷺ أنه قال : « حبب إلي من دنياكم ثلاث : النساء، والطيب، والصلاة ــ الحديث » [1].

والاستكثار من النساء غير قادح في زهد الانسان وورعه، وعلى هذا درج جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ كعلي، وابن عمر، والحسن وغير هؤلاء ــ رضي الله عنهم أجمعين ــ.

[وقال بعض الحكماء : « كل شهوة أناها الرجل نفسه فلا بد أن يكتسب قلبه بها قساوة إلا الجماع، فإنه يرقق القلب ويصفيه »، ولأجل هذا كان الأنبياء والحكماء يفعلونه. قال عياض [2] في الشفا : « لم يزل التمادح بكثرة الجماع، والفخر بوفوره عادة معروفة، وسيرة

---

(1) أخرجه النسائي في السنن، 7 : 61 عن أنس باللفظ الآتي : « حبب إلي من الدنيا : النساء، والطيب، وجعل قرة عيني في الصلاة ». وانظر أيضا القاضي عياض، **الشفا**، 1 : 87.

(2) انظر ترجمته في فهرسه المسمى : **الغنية**، مخطوط المكتبة العامة بالرباط رقم 1807 د، وعند ابنه أبي عبد الله محمد في كتابه : **التعريف بالقاضي عياض**، وأ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 3 : 483 ــ 485 رقم 511، وأ. بن فرحون، **الديباج المذهب**، 2 : 46 ــ 51 رقم 2، وأ. بن القاضي، **جذوة**، 2 : 498 رقم 587، كما ألف برسمه أ. المقري كتابه : **أزهار الرياض، في أخبار القاضي عياض**.

ومن الدراسات الحديثة نذكر :

أحمد بغداد، **دراسة عن القاضي عياض**، رسالة جامعية محفوظة بمكتبة دار الحديث الحسنية بالرباط.

كما خصصت مجلة **المناهل** العدد 19 (1981) للقاضي عياض.

ونظمت وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ندوة عن القاضي عياض بمدينة مراكش في شهر مارس من سنة 1981.

وهناك حاليا العديد من الدراسات الجامعية عن القاضي عياض في طور الاعداد.

ماضية، فإنه دليل الكمال وصحة الذكورية، وهو في الشرع سنة مأثورة، ولم يره العلماء مما يقدح في الزهد. قال سهل بن عبد الله : كيف يزهد فيهن وقد حببن إلى سيد البشر ؟ » (3)، وعن أنس، عن النبي ﷺ : « فضلت على الناس بأربع : السخاء، والشجاعة، وكثرة الجماع، وقوة البطش » (4)].

---

(3) انظر **الشفا**، 1 : 87.

(4) أخرجه الطبراني في **المعجم الأوسط**، والخطيب البغدادي في **تاريخ بغداد**، وابن عساكر في **تاريخ دمشق**، وكلهم عن أنس.

قال عنه ج. السيوطي : قال الذهبي في الميزان : هذا خبر منكر.

انظر ج. السيوطي، **الجامع الكبير**، 2 : 302. وأيضا القاضي عياض، **الشفا**، 1 : 91.

ملاحظة :

ما بين المعقوفين سقط من « م » و « ج ».

الفصل [الثاني] :

[في تـواضـعـه]

ومن صفاته القائمة بذاته الكريمة : التواضع، فلا شك أنه مطهر من الكبر الذي يسلب كل فضيلة، ويكسب كل رذيلة، فقد آثر التواضع على الكبر لما يعلم أنه : « ما تواضع أحد لله إلا رفعه » [1]، ولا تكبر أحد على الله إلا قصمه. فمن دأبه أن يجبر خاطر الوافدين عليه وغيرهم، ويؤنس كل واحد بالكلام الطيب، حتى كأنه أقرب الناس إليه، وما ذاك إلا لكثرة عقله ومعرفته.

قال الأحنف [2] : « ما تكبر أحد إلا من ذِلَّةٍ يجدها في نفسه ». وقالت الحكماء : « لا يدوم ملك مع كبر »، فالكبر يوجب المقت، ومن مقته رجاله، لم يستقم حاله.

[ولبعضهم :

يا مظهر الكبر إعجابا بصورته ... انظر خلاك فإن النتن تثريبُ
لو فكر الناس فيما في بطونهمُ ... ما استشعر الكبر شبان ولا شيب
يا ابن التراب ومأكول التراب غدا ... اقصر فإنك مأكول ومشروب] [3]

ومن تواضعه ما اتفق لي معه ــ أيده الله وسدده ــ ذات يوم في محلته المنصورية بفسطاط الجماعة منها المعدة للديوان، وقد كنت حاضرا به من جملة عبيده وخدمه، فلما

---

(1) حديث نبوي أخرجه مسلم في **الصحيح**، 8 : 21، عن أبي هريرة.
(2) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 2 : 499 ــ 506 والمصادر بالهامش 305 من الصفحة 499 من نفس المصدر.
(3) ما بين المعقوفين سقط من « م » و « ج ».

حضر الطعام ونظر إلى غير آكل لحياء عَنَّ لي في الوقت، عينني بلسانه للأكل من بين الناس، وأمر خدمته أن يعطوني الطست جبرا لخاطري، ورفعا لشأني بين الحاضرين، وكان هذا سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة بتانسيفت من خارج حمراء مراكش ـــ حرسها الله تعالى بمنه ـــ.

وأنشدني بها كاتبه ووزير قلمه الأعلى : أبو فارس عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الفشتالي، الناظم، الناشر، لبعض المشارقة في هلال :

[قد] رميتم عشاقكم بالتجني ... ليروموا عن الغرام بديلا
وَكَسَرْتُمْ قلوبهم لِيَحُولُوا ... هل علمتم بكسرها تحويلا ؟

وأنشدني بها بعضهم في طحان :

طحانكم قد زها جمالا ... فما يطاق السلوُّ عنهُ
ودقَّ خصْراً فليت شعري ... بكم يباع (الدقيقُ) منهُ

وأنشدني بها :

أخضر وأصفر لاعتلال ... فصار كالنرجس المضعَّفْ
كأن نسرين وجنتيه ... بشعر أصداغه مغلَّفْ
يَرْشَحُ منه الجبين ماءً ... كأنه لؤلؤٌ منطَّفْ (4)

وأنشدني بها :

ما زال يَنْهَلُ مِنْ صِرْفِ الطِّلا قمري ... حتى غدت وجنتاه منه كالشفقِ
وقام يخطر والأرداف تثقله ... طورا وحاول أن يسعى فلم يُطقِ
شمائلٌ فعلت فعل الشَّمول به ... فعلَ النسيم بغصن البانة الوَرِقِ
جاذبته لعناق فانثنى خجلا ... ان العناق لَأَثْم قلتُ في عنقي (5)

---

(4) انظر الأبيات عند م. الابشيهي، **المستطرف**، 2 : 210.

(5) ما بين المعقوفين سقط من « م » و « ج »، وانظر الأبيات الأخيرة عند م. الابشيهي، **المستطرف**، 2 : 210.

وأنشدني بها، للحاجري [6] ـــ [اسمه حسام الدين، توفي في شوال سنة اثنتين وثلاثين وستمائة [7]، وتقدير عمره خمسون سنة ـــ] [8] :

[عجبت لخال يعبد النار دائما بخديك لم يُحرق بها وهو كافرُ
وأعجب من ذا أن طرفك منذر يُصدِّق في آياته وهو ساحر
ومذ خبَّروني أن غصن قوامه تيقنت أن القلب منيَ طائر
وما اخضر ذاك الخد نبتا وإنما لكثرة ما شُقَّتْ عليه المرائر

وأنشدني لابن طلحة ـــ من أهل جزيرة، تقربها أيضا ـــ :

يَا هل ترى أبدع من يَوْمِنَا قَلَّد جيد الأفْقِ طَوْقَ العَقيقْ
وَأنْطَقَ الورْقَ بعيدانها مُطْرِبَة كل قضيبٍ وَريقْ
والشمسُ لا تشرب خمر الندى في الروض إلا بكؤوس الشَّقيقْ [9]

وأنشدني لابن حمديس الصقلي [10] بها :

باكر إلى اللذات واركبْ لها سوابقَ اللهو ذوات المراحْ
من قبل أن تَرْشُفَ شمس الضحى ريقَ الغوادي من ثغور الأقاحْ [11]

وأنشدني بها أيضا لابن حمديس :

هاتها صفراء ما اخترت لها أفق الشمس على أفق يد
جارحٌ في راحتي مقتنصٌ كل هَمٍّ كامنٍ في خَلَدي

(6) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 3 : 501 ـــ 505، والمصادر بالهامش 518 من الصفحة 501 من نفس المصدر.
(7) شوال سنة 632 هـ يوافق يونيو ـــ يوليوز سنة 1235 م.
(8) ما بين المعقوفين سقط من « م » و « ج ».
(9) انظر الأبيات عند ابن الخطيب، **الاحاطة**، 1 : 236.
(10) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 3 : 212 ـــ 215، والمصادر بالهامش 396 من الصفحة 212 ـــ من نفس المصدر، وانظر كذلك إحسان عباس، مقدمة **ديوان ابن حمديس**.
(11) انظر **ديوان ابن حمديس**، ص 89.

وأنشدني بها :

هاتِ المـــدامَ إذا رأيت شبيههـــــا ... في الأُفْـــقِ يا فرداً بغيـــر شبيـــــهِ
فالصبـح قد ذبـح الظـــلام حُسامُـــهُ ... فغــدت حمائمــه تخــاصمُ فيـــهِ

وأنشدني بها :

كأنما السوسَنُ الغَضُّ الـذي افتـتحت ... منـــه كمائمُـــهُ المبـــيضةُ الّلـــوْنِ
بَنـــانُ كَفٍّ فتـــاةٍ قَطُّ ما خُضِبَتْ ... تُلْقَى بهـا مَنْ يراهـا خيفـةَ العيـنِ (12)

وأنشدني بها :

بَلَدٌ يحــف بهـــا الريـــاض كأنهـــا ... وجـــة جميـــلٌ والريـــاض عذارُهُ
وكأنمـــــــا واديـــــــه مِعْصَمُ غادةٍ ... ومن الـجسور المحكمـات سِوارُهُ (13)

وأنشدني بها :

ما أبصرت عينـــــي عجيـــــــا ... كاللـــــــوز حيـــــــن بدا نُوّارُهْ
اشتعـــل الـــرأس منـــه شيبـــا ... واخضرَّ من بعـــــــد ذا عذارُهْ (14)

وأنشدني بها :

تَنَبهْ إلى الـدولاب والنهــر إذْ جرى ... ودمعهمـــا بيـــن الريـــاض غزيـــرُ
كأن نسيـم الـروض قد ضاع منهمـــا ... فأصبــح ذا يجــري وذاك يدور (15)

---

(12) البيتان لأبي القاسم بن أحمد بن الخصر بن أبي العافية، أحد صدور القضاة، والشاعر الأديب، المتوفى سنة 475 هـ.
انظر البيتين، وهما في التشبيه، عند لسان الدين بن الخطيب، **الاحاطة**، 1 . 499.

(13) البيتان لابن الخطيب، انظر أ. المقري، **نفح**، 1 : 62، **أزهار**، 1 : 3 ــ 4.

(14) نسب بهاء الدين العاملي البيتين للبدر الذهبي. انظر **الكشكول**، ص : 490.

(15) البيتان لمحمد بن تميم. انظر **فوات الوفيات**، 4 : 58.

وأنشدني بها :

كهولٌ وشبان إذا شَهِدوا الوغى ... رأيتَ مكان النصر ليس بهارب
إذا أضْرِمَتْ نار الحروب بيضهمْ ... غدا ساقطا منها فراش الحواجب
وتُشرق في ليل العَجاج رماحهمْ ... كأن العوالي تُصَلّتْ بالكواكب

وأنشدني بها لابن نُباتة (16) :

يومي على ليلايَ عامٌ كاملٌ ... الصيف قلبي والشتاء جفوني (17)

وأنشدني بها يوم الجمعة، الرابع من ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين (18) :

لأعذبنَّ العين غير مفكر ... فيها بكت بالدمع أو فاضت دما
ولأهجرنّ من الرقاد لذيذَهُ ... حتى يعودَ على الجفون مُحَرَّما
هي أوقعتني في حبائل فتنةٍ ... لو لم تَكُنْ نَظَرَتْ لكنت مُسَلَّما
سفكت دمي فلأسفكنَّ دموعَها ... وهي التي بدأت فكانت أظْلَما (19)

وأنشدني بها لأبي الطيب :

كَشَفَتْ ثلاثَ ذَوائبٍ من شَعْرِها ... في ليلة فأرت لياليَ أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها ... فأرتني القمرين في وقت معا (20)

وأنشدني بها للشريف الغرناطي (21) :

---

(16) انظر ترجمته عند أ. المقري، **نفح**، 1 : 87، والمصادر بالهامش 1، وكذلك خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 7 : 268، مع مصادر أخرى بالهامش 1.

(17) انظر **ديوان ابن نباتة**، ص 53.

(18) يوم الجمعة 4 ذي الحجة سنة 992 هـ يوافق 7 دجنبر 1584 م.

(19) الأبيات لأبي شجاع محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله، الروذراوري الملقب ظهير الدين، المتوفى سنة 488 هـ / 1095 م.
انظر **وفيات الأعيان**، 5 : 136، **الوافي بالوفيات**، 3 : 3 ـ 4، **والمستطرف**، 2 : 209.

(20) انظر **ديوان المتنبي**، 3 : 4.

(21) انظر ترجمته عند أ. بن قنفذ، **وفيات**، ص 83 وج. السيوطي، **بغية الوعاة**، 1 : 39 رقم 64، وحاجي خليفة، **كشف الظنون**، 2 : 1807، وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 6 : 224.

ليلٌ وليلٌ بفرع وارِدٍ ودُجىً طالا فَوا حَزَني مِمَّا أكابدُهُ
شاهدتُ في ذاك بدراًلا أهيمُ به وهمتُ في ذا ببدرٍ لا أشاهدُهُ] (22)

وأنشدني بها للامام الصوفي أبي عبد الله البكري (23)، كتبها لمولانا ــ أيده الله تعالى ــ :

ولما نأيتم ولم أستطع أسير لحضرتكم بالقدَمْ
سعيت إليكم برجل الرسول وخاطبتكم بلسان القَلَمْ (24)

[ولابن سودون (25) من هذا المعنى في سكين اقلامية :

حَكَمت في الأقلام لما خِيفَ من افشائها سر الهوى لعذولِ

---

(22) ما بين المعقوفين سقط من « ج ».

(23) هو : محمد بن محمد البكري الصديقي، العالم الصوفي المصري، له شعر رائق، وحزب مشهور عند الصوفية يدعى حزب البكرى، ويقبل عليه شيوخ المغرب كثيرا.
انظر ترجمته عند نجم الدين الغزي، **الكواكب السائرة**، 3 : 67.
عبد الحي بن العماد الحنبلي، **شذرات**، 8 : 431.
خير الدين الزركلي، **الاعلام**، 7 : 289 ــ 290.

(24) انظر أ. المقري، **روضة**، 267.

(25) هو : أبو الحسن علي بن سودون البشبغاوي (أو اليشبغاوي) القاهري ثم الدمشقي، ولد بالقاهرة سنة 810 هـ / 1407 م، وتوفي بدمشق سنة 868 هـ / 1463 م. صنف **قرة الناظر ونزهة الخاطر**، في الهزليات، **ونزهة النفوس، ومضحك العبوس**، وهي مجموعة أشعار ونكت، جعلها قسمين، الأول في المدح والجديات، والثاني في الهزليات، طبع على الحجر بمصر سنة 1280 هـ. وتوجد مخطوطة فريدة منه بالاسكوريال حدد 368، وهي التي سوف نعتمدها في تحقيق أشعاره الواردة في **المنتقى**.
قال شمس الدين السخاوي عن شعره في **الضوء اللامع**، 5 : 229 : « .... سلك في نظمه طريقة هي غاية في المجون والهزل والخلاعة، فراج أمره فيها، وطار اسمه بذلك، وتنافس الظرفاء ونحوهم في تحصيل ديوانه ».
وقال عنه ع. الحي بن العماد الحنبلي في **شذرات الذهب**، 7 : 307 ــ 308 : « .... كان مملقا فأخذ في رواج أمره بالمجون ».
وقد أورد ابن القاضي الكثير من أشعاره في **المنتقى**، ونعتقد أن لصفة ابن سودون المجونية والهزلية هذه علاقة بما أورده ابن القاضي في مقدمة **المنتقى**. حيث قال : « .... وأذكر فيها بعض حكايات، وقصائد، ومقطعات أنشدتها، وملح غريبة استفدتها، ليكون كالمعين على مطالعة الكتاب، لأن النظر في فن واحد قد ترغب عنه النفوس، بخلاف ما إذا نمق بغيره ».
انظر ترجمة ابن سودون عند :

فَأَقَمْتَ عنـد الـوصل حدّاً قاطعـا من ألسن الأقـلام كُلَّ فُضولِ] [26]

وللامام البكري ــ قدس الله روحه، وبرد ضريحه ــ، [توفي سنة أربع وتسعين تسعمائة] [27]، يستدعي بهما لبيته الشيخ نجم الدين الغيطي [28] المحدث، الحافظ ــ رحمه الله تعالى بنمه وكرمه ــ :

إذا زرتـمُ وتفضلتـمُ وشرفتمونـا بنقـل القـدَمْ
فلـيس بعـار ولا منـقص دخـولُ الموالـي بيـوت الخَـدَمْ

وأنشدني بها الكاتب أبو عبد الله محمد بن عمر [29]، الناظم، الناثر، اللوذعي الفكاهة، لأبي حيان [30]، المتوفى سنة خمس وأربعين وسبعمائة [31] :

يا فُرْقَـةً أَبْدَلَتْنـي بالسرور أسىً وَأَسْهَـرَتْ ناظـرا قد طال ماتـَعَسا
أنّى يَكُـونُ احتمـاع بيـن مفتـرقٍ جسم بمصر وقـلبٌ حلّ أنـدلسا [32]

= ــ شمس الدين السخاوي، **الضوء اللامع**، 5 : 229 رقم 768.
ــ عبد الحي بن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، 7 : 307 ــ 308.
ــ حاجي خليفة، **كشف الظنون**، 1 : 803.
ــ اسماعيل البغدادي، **هدية العارفين**، 1 : 734.
ــ جرجي زيدان، **آداب اللغة العربية**، 3 : 126 رقم 15.
ــ خير الدين الزركلي، **الاعلام**، 5 : 105.

(26) ما بين المعقوفين سقط من « م » و « ج ».
وانظر البيتين عند ابن سودون، **نزهة النفوس ومضحك العبوس**،مخطوط الايسكوريال عدد 368، ورقة 9.

(27) ما بين المعقوفين سقط من « م » و « ج ».
وسنة 994 هـ توافق 1586 م.

(28) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 3 : 28 رقم 920، **لقط الفرائد**، ص 312، ونجم الدين الغزي، **الكواكب السائرة**، 3 : 51 ــ 53.

(29) انظر ترجمته عند م. الأفراني، **نزهة**، ص 102، والعباس بن إبراهيم، الاعلام، 5 : 180 ــ 182 رقم 653.

(30) انظر ترجمته عند م. بن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، 4 : 71 ــ 81 رقم 507، و ج. السيوطي، **بغية الوعاة**، 1 : 280 ــ 284 رقم 516، وأ. المقري، **نفح**، 2 : 535 ــ 584 رقم 26، وخير الدين الزركلي، **الاعلام**، 8 : 26.

(31) 745 هـ توافق 1344 م.

(32) انظر البيتين عند خالد البلوي، **تاج المفرق**، 2 : 26.

وأنشدني الكاتب أبو علي الحسن المسفيوى [33] الناظم، الناثر للقواريري [34] :

وكلما رام نطقا في معاتبتي — سددت فاه بنظم اللثم والقُبَلِ
وبات بدر تمام الحسن مُعْتَنِقِي — والشمسُ من فلك الكاسات لم تَمِلِ
وبتُّ منها أرى النار التي سَجَدَتْ — لها المجوسُ من الابريق تَسْجُدُ لي [35]

وأنشدني أيضا لابن النبيه [36] بعضهم :

قُمْ فاسقني وانهبْ رحيق السَّلْسَلِ — واشرب ولا تعمل بقول العُذَّلِ
سيما وقد راض الربيع رياضَها — فنباتها يُجْلَى بأنواع الحُلِي
والروض بين تألُّفٍ وتَعَطُّفٍ — وتصرف وتهيف وتميُّلِ
من أخضرٍ في أصفرٍ ومعصفرٍ — ومكوفر ومعنبر ومصندل
ومهذَّبٍ ومقضب ومكتب — ومقمع ومرصع ومُكَحَّلِ
والجو بين تعبس وتغلس — وتبرق وترعد وتهطل
والماء بين تصفق وتدفق — وتروق وترقرق وتسلسل
والطير بين مغرد ومشرد — ومطرد ومقيد ومُنَقِّلِ

---

(33) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 1 : 240 — 241 رقم 357، **لقط الفرائد**،ص 308، وعبد العزيز الفشتالي، **مناهل**، ص : 91، 131، 239........، أ. المقري، **روضة**، ص 163 — 173، **نفح**، 6 : 49، وأ. القاسم الزياني، **الروضة السليمانية**،ورقة 128، وأ. الناصري، **الاستقصا**، 5 : 152، والعباس بن إبراهيم، **الاعلام**، 3 : 150 — 151 رقم 404، وم. حجي، **الحركة**، 2 : 401.
(34) انظر ترجمته عند ع. الحي بن العماد الحنبلي، **شذرات**، 2 : 85.

(35) وردت الأبيات عند النواجي في **حلبة الكميت**، ص 173، بالتنظيم التالي :

وبات بدر تمام الحسن معتنقي — والشمس من فلك الكاسات لم تمل
وكلما رام نطقا في معاتبتي — سددت فاه بنظم اللثم والقبل
وبت منها أرى النار التي سجدت — لها المجوس من الابريق تسجد لي

أي أن البيت الثاني أصبح هو المطلع، وأصبح البيت الأول هو الثاني.

ملاحظة :

نسب النواجي الأبيات لأبي الفتح بن قادوس المتوفى سنة 553 هـ / 1158 م.
(36) انظر ترجمته عند م.بن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، 3 : 66 — 73 رقم 531. وكذلك عمر أسعد، مقدمة **ديوان ابن النبيه**، وبها دراسة وافية عن مصادر ترجمته، وشعره، ونسخ ديوانه.

والزهـر بيـن مفتـح ومطـرح		ومجنـح ومرنـح لم يَكْمـل
والـراح بيـن تسكب وتحـجب		وتلـهب وتوقـد وتشعـل
والـورد بيـن موهـج ومفـوج		ومتـوج ومبهـرج ومكحـل
ما بيـن منشور كثـوب مُغْلَـمٍ		لكنـه بيـد امـرىء لم يعمـل
يزهـو بأحمـر كالعقيـق وأصفـر		كالزعفـران وأبـيض كالسنجـل
غَضٌ النبـات بديعـةٌ ألوانـه		نسجتـه أنـواء السمـاء الهُمَّـل
وبنـفسج يحكـي إذا عاينتـه		آثار قَرص في محب محمـل (كـذا)
وكـأن مبـيضٌ الأقـاح ثغـورُ من		يزهـو علـي بحسنـه المتدلـل
وكأنمـا الشيـخ الزكـيُّ نسيمُـهُ		يُحْيي النفوس إذا جرى في شَمْـأَلِ
وكأنمـا النخـل الطـوال عرائسٌ		يُجْلَوْنَ في حلل الشعـور المسبَـل
وكأنمـا النَّارنـج في أغصانـه		خُضرٌ المطارف في حريـر مشعـل
وكأنمـا الأُتْرُجُّ حيـن بدا لنـا		نُوَّار تِبْـر في حريـر منسل
وكأنمـا السَّرْوُ الطـوال إذا بدت		للعيـن بيـن تقـوُّم وتميـل
حُورُ الكـواعب قد لَبِسْنَ غلائـلًا		خُضْراً ترى للناظـر المتـأمِّلِ
وكـأن تَرْجِيـعَ الميـاه إذا جرت		من جدول وتحـدَّرَتْ في جدول
حَيَّـاتُ نهـر خفـن من متطـلّب		يسعيـنَ سَعْيَ الخائـف المستعجـل
وترنَّـمت أطيـاره فحـكت لنـا		نفحـات عود في الثقيـل الأول
والعـيش أخضر من غُصَيْـنِ يانـع		والشمـل مجتمـع بنـا في منـزل
بادر إلـى فرص الزمـان فإنهـا		فرص وإن الدهـر ليس بممهـل
ما العـيش إلا هكـذا فانعـم به		واقبل على إقبال دهر مقبـل [37]

ولنرجع إلى ما كنا بصدده من ذكر مآثر مولانا الحسنة، وشيمه المستحسنة.

(37) لا توجد القصيدة في ديوان ابن النبيه.

الباب الثاني

* في محافظته على التكاليف الشرعية والأعمال البدنية والاعتقادات الأشعرية

---

* — في « ج » ورد الشطر الثاني من العنوان هكذا : والأعمال البدينة من المصالح الدينية والدنيوية.

أما محافظته ـــ أيده الله ـــ على الطهارة البدنية، فلا تجده أبدا إلا على طهارة، ولا يخلو منها حالة خروجه على الناس وجلوسه.

وأما الصلاة فهو مواظب على الصلوات الخمس في أوقاتها، ملازم لها، محافظ على مفروضها ومسنونها، مهما حضره وقت صلاة تقام عليه، ويؤم الناس في مسجده الذي يقصده، الأعظم، وتارة بالبديع الذي أعده دَسْتا (1) لامامته العلوية، وسلطنته الهاشمية.

[حدثني بعض من أثق به أنه ـــ أيده الله ـــ يلازم تراويح رمضان من أوله إلى آخره، ويحيي الأوتار في العشر الأواخر من رمضان، رغبة في تحصيل ليلة القدر، لما رُوي أنها : « تُلْتمس في العشر الأواخر من رمضان » (2)، وأنه يأخذ بالسنة في رمضان، لما رُوي عن عائشة ـــ رضي الله عنها ـــ قالت : « كان رسول الله ﷺ يجتهد في رمضان مالا يجتهد في غيره »(3)].

---

(1) الدست ـــ بفتح فسكون، وجمعها دسوت، كلمة معربة عن الفارسية، ثم صار لها في العربية معان أربعة : الرياسة، والحيلة، واللباس، ودست القمار، وقد استعملها الحريري بالمعاني الأربعة في قوله بالمقامة الشعرية : « نشدتك الله، ألست الذي أعاره الدست، فقال : لا، والذي أجلسك في هذا الدست، ما أنا بصاحب الدست، بل أنت الذي تم عليه الدست ».

وواضح أن ابن القاضي يقصد المعنى الأول، أي اتخاذ المنصور للبديع مقرا لرياسته.

انظر أحمد الشرقاوي إقبال، **لعبة الشطرنج في ماضيها الاسلامي**، 76، **والقاموس المحيط**.

(2) حديث نبوي أخرجه البخاري في **الصحيح**، 2 : 254، عن ابن عباس.

(3) ما بين المعقوفين سقط من « ج ».

والحديث أخرجه مسلم في **الصحيح**، 3 : 176، عن عائشة.

كان لسان حاله ينشد ما لأبي محمد [يسكر، ونسبهما بعضهم للحافظ أبي بكر بن (عطية)، وربك أعلم بأهلهما] [4].

لا تَجْعَلَنْ رمضان شهر فكاهة يُلْهيك فيه من الحديث فنونُهُ
واعلم بأنك لن تنال ثوابَهُ حتى تكونَ تصومُهُ وتصونُهُ

وأما محافظته على أصول الدين والاعتقاد :

فيقرأ في بعض أوقاته بين يديه من ذلك تآليف العقائد الأشعرية، والمناهج السنية، كعقائد الامام : أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي الحسني [5] ـــ رحمة الله عليه ـــ،

---

(4) ما بين المعقوفين سقط من « م » و « ح ».
ويسكر : هو أبو محمد يسكر بن موسى، فقيه فاس، والمتصوف المشهور، المتوفى يوم السبت 12 ذي القعدة عام 598 هـ / الموافق 3 غشت سنة 1202 م.
انظر ترجمته عند يوسف بن الزيات، **التشوف**، ص 338 ـــ 340 رقم 171، وأ. بن قنفذ، **أنس الفقير**، ص 23، وأ. بن القاضي، **جذوة**، 2 :. 562 رقم 655، وم. الكتاني، **سلوة**، 3 : 164.

أما أبو بكر بن عطية فهو غالب بن عبد الرحمان بن عطية، وهو والد القاضي عبد الحق بن عطية المفسر المشهور.

انظر ترجمته في **قلائد العقيان**، 207، **وأزهار الرياض**، 3 : 99، **ونفح الطيب**، 2 : 523 ـــ 526، **وتذكرة الحفاظ**، 1369، **والصلة**، 432.

ملاحظة :

نسب ابن الزيات في **التشوف** (ص 339)، وابن القاضي نفسه في **الجذوة** (2 : 563)، البيتين ليسكر.

في حين نسبهما أ. المقري في **أزهار الرياض** (3 : 100) وفي **النفح** (2 : 25) للحافظ أبي بكر بن عطية المترجم له سابقا.

(5) الامام محمد بن يوسف السنوسي، المتوفى سنة 895 هـ / 1490 م من الشخصيات المهمة التي عملت على ازدهار علم الكلام بتلمسان، وقد مزج بين العقائد السنية الأشعرية، والبراهين العقلية المنطقية في كتبه التعليمية المشهورة : **عقيدة أهل التوحيد**، وهي العقيدة الكبرى، **والعقيدة الوسطى**، **وأم البراهين** المعروفة بالعقيدة الصغرى، **والمقدمات** أو صغرى الصغرى.... ونشر المهاجرون من تلاميذ الامام السنوسي هذه الكتب في المغرب، فاعتمدها الناس وراجت بينهم كثيرا وكتب عليها المغاربة شروحا وتعاليق عديدة، وظلت عقائد السنوسي وما كتب عليها في العصر السعدي من شروح وحواش محط عناية الدارسين بالمغرب إلى العصر الحاضر.

انظر ترجمة الامام السنوسي عند م. بن عسكر، **دوحة**، ص 121 ـــ 122 رقم 118 وأحمد بن القاضي، **درة**، 2 : 141 ـــ 142 رقم 605، أ. بابا، **نيل**، ص 325 ـــ 329، وم. بن مخلوف، **شجرة**، ص 266 رقم 984، وم. بن مريم، **البستان** ص 237 ـــ 248، وإسماعيل البغدادي، **هدية العارفين**، 2 : 216، وعادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، ص 189 ـــ 190.

وغيرها من مطولات ذلك الفن وما يتعلق به، كالمنطق، وإليه يرجع في حل المشكل، وكشف المعضل، وقد يورد معارضات ويجيب عنها، وقد تسرد بين يديه في بعض الأوقات كتب الآداب وما يتعلق بها : كاللغة، والنحو، والتصريف، والبيان وتوابعه من البديع، وغير ذلك من تواريخ القرون الخالية، وأخبار الملوك الماضية، وكسير النبي ﷺ ، ويقرض الشعر في بعض أوقاته، ولا يكثر من ذلك، ولا يأتي منه إلا بما يدل على سلامة طبعه فقط، لأن الملوك لا تكثر من ذلك ولا تقول منه إلا القليل، فمن ذلك ما أنشدنيه بالمحلة المنصورية له وزير القلم الأعلى، وحائز القدح المعلى، الكاتب الأعظم، والخضم المفخم، الناظم الناثر، وحائز قصبات السبق في الدفاتر : أبو عبد الله محمد بن علي الفشتالي سنة اثنتين وتسعين في معنى التورية..............(6)، وهما :

وصفوا اشتياقي للحبيب وسَرَّهُمْ قول الحبيب أنا أنا فيه
قلبي له حَجَرٌ، فقلت مغالطا للحاسد الموذي أنا فيه (7)

وأنشدني بالمحلة المذكورة، أبو العباس أحمد بن محمد بن الحكيم التونسي (8) لما وفد عليها لا يالة مولانا ــ أيده الله ــ لأبي الفضل (9) :

ومُعَذِّرٍ نَقَشَ الجمالُ بمسكِهِ خدّاً له بدم القلوب مُضَرَّجا
لما تيقن أن سيف جفونه من نرجسٍ جعل النجاد بنفسجا

---

(6) بياض بالأصل.
(7) سيتعرض إلى قصتهما في الباب الثاني والعشرين عندما يتعرض إلى نظم المنصور.
وانظر أيضا : **روضة الآس**، 41، **ومناهل الصفا**، 210، **ودرة الحجال**، 1 : 114، **والنفح**، 7 : 79.
(8) انظر ترجمته عند العباس بن إبراهيم، **الاعلام**، 2 : 247 رقم 210.
(9) يقصد أبا الفضل محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز الدارمي التميمي (388 هـ ــ 455 هـ / 998 م ــ 1063 م) الوزير الشاعر، من أهل بغداد. أنظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 7 : 133 ــ 134، والمصادر بالهامش 1 من الصفحة 134 من نفس المصدر.

ملاحظة :

نسبت كثير من المصادر البيتين لابن عبد ربه القرطبي، انظر مثلا :
وفيات الأعيان، 1 : 110، **اليتيمة**، 2 : 5 ــ 6، **المطمح**، 51 ــ 53، **النفح**، 7 : 52.

وأنشدني بها أيضا :

ومُعَـــذِّرٍ قال الالاه لِحُسْنِـــه ... كُنْ فتنـــةً للعاشقيـــن فكانـــا
زعـم البنـفسج أنـــه كعـــذاره ... سَفَهاً فَسَلُّوا مِنْ قَفـاه لسانـا [10]

وما لبعضهم :

أصبـحت مأسورا بسهـم لحاظـه ... ومقيـــدا من صُدْغِـــه بسلاسِلِ
حتـى بدا سيـف العـذار مجـرَّداً ... فَخَشِيتُ منه وقلت : هذا قاتِلِي [11]

وما لبدر الدين بن حبيب [12] :

عيناه قد شهـدت بأنـي مُخْطِـيءٌ ... وأتـــى بخـــط عذاره تذكـــارا
يا حاكـم الـحب اتئـد في قتلتـي ... فالخـط زورٌ والشهـود سُكـارى

[وما لبعضهم :

ولمـا رأى وردا بخديـه يُجْتَنَـى ... فخاف عليه القطفَ دون اختبـارِهِ
أقـام عليـه صارمـا من جفونـه ... ومـدَّ عليـه أزرقـا من عِذاره

وما للحلي :

وعهـدي بالعقـارب حيث تَشْتُـو ... يُخَفِّـفُ لَدْغُهـا وثِقَــلُ ضُرّاَ

(10) البيتان لأبي العباس الضبي، انظر ابن حجة الحموي، **خزانة الأدب**، ص 311.
(11) ورد بيتان عند م. الابشيهي في **المستطرف**، 2 : 16، بهذا الشكل.

أصبـحت مكسورا بسهـم لحاظـه ... ومقيـدا من صدغـه بلسانـه
حتى بدا سيـف العـذار مجـردا ... فخشيت يقتلنـي وذا من شأنـه

(12) انظر م. الابشيهي، **المستطرف**، 2 : 17.
وقد نسبهما ابن حجة الحموي في **خزانة الأدب**، 311، لصلاح الدين الصفدي.

فمـــا بالُ الشتـــاء أتـــى وهـــــذي عقـــارب صدغهـــــا تزداد شرا (13)

وما لبعضهم :

بخـديك من روض المحـــاسن روضة أقيـــمَ عليهـــا من لحـــاظك حارسُ
ومـــن عجب أن اللواحـــظ قُلِّـــدتْ حراسةَ ذاك الروض وهي نواعسُ] (14)

وما لبعضهم :

ومـــا ضره نار بخديـــــه أُلهـــبتْ ولكنْ بهـــا قلب المـــحب يُعـــذَّبُ
عناقيـــد صدغيـــه بخديـــه تلتـــوي وأمـــواجُ رِدْفَيْـــهِ بِخَصْرَيْـــهِ تَلْـــعَبُ
شربت الهـــوى صرفـــا زُلالًا وإنمـــا لواحظـــه تسقـــي وقلبـــيَ يشرب (15)

وما لأبي فراس بن حمدان، الذي ولد سنة عشرين وثلاثمائة (16)، وتوفي سنة سبع وخمسين وثلاثمائة (17) :

يا من يلـــومُ علـــى هواه جهالـــةً انظـــر إلـــى تلك السوالـــف تُعْـــذِرِ
حَسُنَتْ وطـــاب نسيمُهـــا فكأنهـــا مسك تساقـــط فوق خَدّ أحمـــرِ (18)

وما لبعضهم :

ومعـــــــــذر رقت حواشي خده فقلوبنـــا وَجْـــداً عليـــه رقـــاقُ
لم يكس عارضَه السوادُ وإنمـــــا نَفَضَتْ عليـــه سوادَهاالأحـــداق (19)

---

(13) لم يرد البيتان في ديوان الحلي.
وقد نسبهما م. الابشيهي في المستطرف، 2 : 15، للعادلي.
(14) مابين المعقوفين سقط من « م » و « ج ».
(15) انظر الأبيات عند م. الابشيهي، المستطرف، 2 : 15.
(16) 320 هـ توافق 932 م.
(17) 357 هـ توافق 968 م.
(18) انظر البيتين في ديوان أبي فراس الحمداني، ص 171.
(19) البيتان للشاعر الأندلسي المشهور : ابن صارة الشنتريني، انظر وفيات الأعيان، 3 : 94، وأيضا 6 : 252، والمستطرف، 2 : 15.

وما لبعضهم :

ومهفهـــــــــفٍ راقت نضارةُ خده   والعيـــنُ تنظـــرُ منـــه أحسن منظـــرٍ
أصْلَـــى بنـــار الخـــد عنبـَـرَ خالِـــه   فبدأ العـذارُ دخـانَ ذاك العنبـــرِ (20)

وما لبعضهم :

أصبـحتَ سلطـــانَ القلـــوب ملاحـــةً   وجمـــال وجـــهك للبريـــة عسكـــرُ
طلـــعتْ طلائـــعُ وجنتـــيكِ مُعَـــزَّةً   بالـــنصر تَقْدُمُهـــا لواء أخضرُ (21)

وما لبعضهم، وهو ابن عبد ربه القرطبي (22) :

يا ذا الـــذي خَطَّ العـــذار بخـــده   خطيـــن هاجـــا لوعـــة وبـــلا بلا
ما صح عنـــدي أن لحـــظك صارم   حتى حملت بعارضيك حمائلا (23)

وما لبدر الدين الدَّماميني (24) مضمنا :

يُحَـــدِّثُ ليـــلُ عارضِهِ بأنـــي   سَأسْلُـــوهُ ويـــنصرفُ المـــزارُ
فأشرقَ صبـــحُ وجنتـــه ينـــادي   « حديثُ الليـل يمحوه النهـارُ » (25)

---

(20) البيتان لابن البرهان الحاسب المنجم الطبري المتوفى سنة 655 هـ.
انظر **وفيات الأعيان**، 6 : 254، **والمستطرف**، 2 : 15.

(21) انظر البيتين عند م. الابشيهي، **المستطرف**، 2 : 15.

(22) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان** 1 : 110 ــ 112 رقم 46، وج. السيوطي، **بغية الوعاة**، 1 : 371 رقم 727، وخ.
الدين الزركلي، **الاعلام**، 1 : 197 ــ 198، وقد نشر الأستاذ محمد بن تاويت بعض أشعاره (سنة 1979).

(23) انظر البيتين في **خزانة الأدب** لابن حجة ص 314، **واليتيمة**، 2 : 5، ووفيات الأعيان 1 : 110، **والمستطرف**، 2 : 15، وتاج المفرق، 2 : 142، **والمطمح**، 51 ــ 53، **والنفح**، 7 : 51.

(24) انظر ترجمته عند شمس الدين السخاوي، **الضوء اللامع**، 7 : 1845 ــ 187 رقم 440، وج. السيوطي، **بغية الوعاة**، 1 : 66 ــ 67 رقم 113، وابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، 7 : 181 ــ 182، وم. بن مخلوف، **شجرة**، ص 240 ــ 241 رقم 863، وخ الدين الزركلي، **الاعلام**، 6 : 282 ــ 283.

(25) انظر البيتين عند م. الابشيهي، **المستطرف**، 2 : 16.

وما لجمال الدين بن نُباتة :

وضعتُ سلاح الصبـر عنـه فمالَـهُ ... يُغـازِلُ بالألحـاظ من لا يغازِلُـهْ
وسالَ عِذارٌ فوق خديـه سائـلٌ ... على خدّه « فليتق الله سَائِلُهْ » [26]

وما لبعضهم من الاستخدام [27]، ولكنه في أربعة مواضع في البيت الأخير :

ورب غَزالـةٍ طلعـت ... بقلبـي وهـو مرعاهـا
نصبت لهـا شِباكـا من ... لُجَيْـن [28] ثم صِدْناهـا
وقـالت لي وقـد صرنـا ... إلـى عيـن قصدناهـا
بَذَلْتَ العيـنَ فَأكْحَلَهـا ... بطلعتهـا ومجراهـا [29]

وما لبعضهم :

حَلّتْ عقـارب صُدغـه من خدّه ... قمـرا يَجِـلّ بهـا عن التشبيـهِ
ولقـد عهدنـاه يَحُـلّ ببرجهـا ... ومن العجائب كيف حلّت فيـهِ [30]

---

(26) لم يرد البيتان في الديوان المطبوع، لكن تتفق المصادر الأدبية التي رجعنا إليها إلى نسبتهما إليه، خاصة الرحالة المغربي خالد البلوي، الذي اتصل بالشاعر وأثبت الكثير من أشعاره في **تاج المفرق**، 1 : 274، وانظر أيضا ابن حجة، **خزانة الأدب**، 363، **والمستطرف**، 2 : 16.

ملاحظـة :

البيت الثاني فيه تلميح لقول الشاعر :

ولـو لم يكـن في كفه غيـر نفسه ... لجـاد بهـا فليتـق اللـه سائلـه

(27) انظر عن الاستخدام ابن حجة الحموي، **خزانة الأدب**، ص 53 ــ 56.
(28) عند بهاء الدين العاملي في **الكشكول**، ص 361 : نضار.
(29) قال بهاء الدين العاملي في **الكشكول**، ص 361 ــ 362، عن هذه الأبيات ما نصه : « قال الصفدي للقاضي زين الدين (ابن الوردي) وقد أنشده بعض شعراء العصر بيتا له يجمع استخدامين، استخدم هو أربعة، وهو :
ورب غزالة طلعت................الخ.
ومعنى الاستخدامات الأربعة : بذلت الذهب، فاكحل عينك بطلوع الشمس ومجرى العين الجارية من الماء، انتهى ».
(30) نسبهما ابن العماد الحنبلي في **شذرات الذهب**، 4 : 11 إلى الغزالي.

وما لبعضهم :

قد قلتُ لما أطلعت وجناتُهُ ... حول الشقيق الغضّ روضةَ آسِ
أعذارَهُ الساري العجولَ تَوَقَّفَنْ ... « ما في وقوفك ساعة من باسِ » (31)

وما لبعضهم :

قد اسودّ كالمسك صُدْغها ... وقد طاب كالمسك خُلْقها

وما لبعض المشارقة :

كتب الحسنُ على وجنته ... بسحيق المسك خطّا معتبِرْ
عادة الأقمار تسري في الدُّجى ... فرأيت الليل يسري في القمرْ

وما لبعضهم، وهو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد التُّطِيلي (32)، نشأ بقرطبة (33) :

ومعذّر رَقَّتْ له خمرُ الصِّبا ... حيث العذارُ حَبابُها المترقرقُ
ديباجُ حُسْنٍ تاه غُفْلًا ناقصا ... فأتمَّهُ علمُ الشباب المونِقُ
وشكا الجمالُ مَقِيلَهُ في ورده ... فأظَلَّهُ آس العذار المشرق
عامت بماء الحسن شامةُ خدّه ... فغدا العذار زويرقا لا يَغْرقُ

---

(31) في الشطر الثاني من البيت الثاني تضمين، إذ ضمنه قول أبي تمام :

ما في وقوفك ساعة من باس ... نقضي ذمام الأربع الأدراس

انظر ديوان أبي تمام، ص 152.

(32) التطيلي : نسبة إلى تطيلة مدينة على وادي أبره، تبعد عن سرقسطة ب 82 كلم في الشمال الغربي، فتحها العرب سنة 716 م واسترجعها الاسبان سنة 1115 م، ينسب إليها علماء وأدباء معروفون. ولم نقف لهذه الشخصية بالذات على ترجمة.

(33) قرطبة : عاصمة الخلافة الأموية بالأندلس وأم حواضرها، وقد بلغت درجة من الازدهار والحضارة أيام العرب لم تبلغه مدينة أخرى في أوروبا. استرجعها الاسبان سنة 1236 م، فنزح عنها المسلمون إلى المدن التي كانت لا تزال تحت النفوذ الاسلامي، وقد تدهورت أحوالها الاقتصادية والعمرانية، وانحطت، وصارت مدينة صغيرة، ولم تقم من كبوتها إلى الآن.

إنْ كان يمحــو نقشه من وجهـــه   فَطُلا [34] الغزال بمسكها تَتَفَلّقُ [35]

قلت : وله من بديع التوليد [36] في ذم العذار وأجاد :

أتـــاك العـــذارُ علــــى غِرَّةٍ   وقــد كنتَ في غفلـــةٍ فانتبِـــهْ
وقــد كنتَ تأبَــى زكــاةَ الجَمــالِ   فصار شجاعــــا فَطُـــوِّقْتَ بِهْ

ومن ذلك أيضا :

ما زال ينتــف ريحانـــا بعـــارضه   حتى استطـــال عليــه صار يحلقُــهُ
كأنمـــا طُورُ سينـــا فوق عارضه   مدى الزمـان فمــوسى لا يفارقُــهُ [37]

وما لبعضهم، وهو ابن جُزَي الكلبي [38] من قصيدة :

ولمـا التحى من كنت أشقى بحبــه   وأصبـح مثلي سيء الظَّـــن والبـــال
وقــفت عليـــه كالمضلَّـــل منشدا   « ألا عِمْ صباحا أيها الطلل البالي » [39]

[فقلت : أجر..............[40] أبو عبادة البحتري أول شعر قاله :

---

(34) الطلا : بضم الطاء، الأعناق.
(35) انظر الأبيات عند أحمد الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، 4 : 197، وقد نسبهما لأبي إسحاق الطليطلي.
(36) انظر عن التوليد ابن حجة الحموي، **خزانة الأدب**، 358 — 361.
(37) انظر البيتين عند ابن حجة الحموي، **ثمرات الأوراق**، 2 : 225، وم. الابشيهي، **المستطرف**، 2 : 16.
(38) انظر ترجمته عند أ. المقري، **أزهار الرياض**، 3 : 184، وأ. بابا، **نيل**، ص 238، وم. الكتاني، **سلوة**، 3 : 222، وع. الحي الكتاني، **فهرس الفهارس**، 1 : 224 — 225، وم. بن مخلوف، **شجرة**، ص 213 رقم 746، وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 6 : 221.
(39) في البيت الثاني تضمين، إذ ضمنه قول الشاعر :

ألا عم صباحا أيها الطلل البالـــي   وهل يعمن من كان في العصر الخالي

انظر **ديوان امرىء القيس**، ص 27.
(40) بياض بالأصل.

نبـــتت لحيـــــة شقـــــــرا نَ شقيـــقِ النــــفس بَغْــــدِي
حُلِـــقَتْ، كيــــف أتتـــه قبــــل أن يُنْجـــز وعـــدي [41]

أبو عبادة، اسمه الوليد بن عبيد، ولد بمنبج [42]، ونشأ بها، ثم خرج إلى العراق، ومدح جماعة من الخلفاء أولهم المتوكل وخلق من الأكابر، ولد سنة مائتين وقيل ست ومائتين [43]، وكان شاعرا فصيحا، الا الهجاء، فان بضاعته فيه فيها ندرة، وكان يعرض على أبي تمام شعره.

قال البحتري : كنت أتعشق غلاما من أهل منبج يقال له شقران، واتفق لي سفر فخرجت وأطلت الغيبة، ثم عدت وقد التحى، فقلت فيه، وكان أول شعر قلته : نبتت إلى آخره........

ولأبي عبادة ولد اسمه أبو الغوث.

قال الحسين بن إسماعيل المَحَامِلي [44] : أنشدني البحتري :

إذا المــــرء لم يرض ما أمكنَـــــهْ ولـــــم يأت من أمــــره أزينَــــهْ
وأُعْجِبَ بالعُـــــجْبِ فاقتـــــادَهُ وتـــاهَ به التيـــــه فاستحسنَـــــهْ
فَدَعْـــــهُ فقــــد ساء تدبيــــرُه سيضحك يومـــا ويبكـــي سنَـــهْ [45]

وله في بعض الأمراء :

أنَّ الأميـــر أطـــال اللـــــه مدّتـــه يُعْطي من العُرْف ما لم يُعْطِــهِ أَحَدُ
ينسى الـذي كان من معروفــه أبـــدا إلى الرجال ولا ينسى الـذي يعد [46]

وقد كان مدحه بقصيدة فتوانى الأمير في قصة، فلما أنشده هذين البيتين أعطاه خمسين ألف درهم، وقال : إن هذين البيتين خير من القصيدة التي امتدحتني بها. مات

---

(41) انظر **ديوان البحتري**، 2 : 427.
(42) منبج : مدينة بالشام قرب حلب بسوريا، انظر ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 5 : 205 — 207، **والروض المعطار**، 547.
(43) 206 هـ توافق 821 م.
(44) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**،5 : 251، والمصادر بالهامش.
(45) انظر الأبيات عند الاسحاقي، **لطائف أخبار الأول**.
(46) انظر البيتين عند أحمد الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، 1 : 44 — 45.

البحتري سنة ثلاث، وقيل أربع، وقيل خمس وثمانين ومائتين.................[47] ومن ذلك ما للحاجري :

ما زال يحلــف لي بكـــل وثيقـــةٍ ... ألّا يزال مدى الزمـــان مصاحبـــي
لَمّـــا جفـــا نزل العـــذار بخـــدّه ... فتعجبوا لسواد وجـــه الكـــاذبِ [48]

وما ان ذكرنا العذار، وما للناس في حسنه وذمه، ذكرنا أيضا ما قيل في السواد.

ولبعضهم في أسود يسبح في بركة :

يا أسودا يسبـــــح في بركـــــة ... فقت الـــورى حسنـــا وإحسانـــا
كنت لخـــدّ الـــحسن خالا وقـــد ... صرت لعيـــن الـــحسن إنسانـــا

ولابن خفاجة [49] :

وأسود يسبـــــح في لجّـــــة ... لا تَكْتُـــمُ الحصبـــاءَ غدرانُهـــا
كأنهـــا في شكلهـــا مقلـــةٌ ... زرقـــاء والأسود إنسانُهـــا [50]

ولنجم الدين المنجنيقي [51] :

وجاريـــة من بنـــات الحُبـــوش ... ذواتِ جفـــونٍ صحـــاح مِراض
تعشقتهـــا للتصابـــي فَشِبْتُ ... غرامـــا ولـــم أك بالشيب راض
وكـــنت أُعَيِّرهـــا بالسواد ... فصارت تُعيرنـــي بالبيـــاض

---

(47) بياض بالأصل.
و 285 هـ توافق 898 م / 899 م.
(48) انظر البيتين عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 3 : 501، وم. الابشيهي، **المستطرف**، 2 : 16.
(49) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، وفيات الأعيان، 1 : 56 — 57، والمصادر بالهامش 17 من الصفحة 56 من نفس المصدر.
(50) انظر **ديوان ابن خفاجة**، ص 264.
(51) انظر ترجمته عند أ. خلكان، **وفيات الأعيان**، 7 : 35 — 46، والمصادر بالهامش 832 من الصفحة 35 من نفس المصدر.

ولأحمد بن أبي بكر الكاتب :

يا من فؤاديَ فيـــــــــــــه مُتيمـــــــــــــا لا يزالُ
إن كان لليـــــــــــــل بدرٌ فأنت للصبـــــــــــــح خالُ] (52)

وأنشدني بها أيضا لابن الحكيم سنة اثنتين وتسعين (53) :

أهــدي إليــه بنفسجــا يَشْتَمُّـــهُ فكأنــه عمــدا دعــا للنــفس جي
ما كان ألطفـــه بروح محبــــه إِذْ سلَّهــا منــه بغيــــر تحــرُّجِ

أنشدني لأبي فراس الحمداني :

وبـيضٍ بألحــاظ العيــون كأنمــا هَزَزْنَ سيوفــا واستللــن خناجــرا
تصدين لي يومــا بمنعــرج اللِّــوى فغــادرن قلبــي للتصبـــر غادرا
« سَفَــرْنَ بدورا وَانْتَقَبْـــنَ أهِلَّـــةً ومسنَ غصونا والتفتــنَ جآذرا » (54)

وما لجلال الدين بن خطيب [داريا] (55) :

شَهِـدَتْ جفــونُ معذبــي بملالــة منـــــي وأن وداده تكليـــــفُ
لكننـــي لم أنــأ عنــه لأنــه خَبَــرٌ رَواهُ الجفـــن وهـــو ضعيـــفُ

---

(52) ما بين المعقوفين سقط من « م » و « ج ».
(53) 992 هـ توافق 1584 م / 1585 م.
(54) لا توجد الأبيات في **ديوان أبي فراس** المطبوع، ولكنها توجد بنفس النسبة عند م. الابشيهي، **المستطرف**، 2 : 17. وقد نسب أحمد الشريشي في **شرح مقامات الحريري**، 2 : 231، البيت الثالث للراهي.
(55) بالأصل جمال الدين بن خطيب، وهو تصحيف، والتصويب من **خزانة الأدب** لابن حجة الحموي، ص 334، والبيتان مثبتان هناك، وانظر أيضا م. الابشيهي، **المستطرف**، 2 : 18.
وانظر ترجمة جلال الدين بن خطيب داريا عند شمس الدين السخاوي، **الضوء اللامع**، 6 : 310، وج السيوطي، **بغية الوعاة**، 1 : 25 رقم 39. و خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 6 : 227.

وما لأبي صفوان :

أخو دَنَفٍ رمته فأقصدتْهُ ... سهامٌ من جفونك لا تطيشُ
أصبن فؤاد مهجته فأضحى ... سقيما لا يموت ولا يعيش
كئيب أنْ تَرَحَّلَ عنه جيشٌ ... من البلوى أناخ به جيوشُ (56)

وما للقيراطي (57) :

بأبي أهيف المعاطف لَدْنٌ ... حسدَ الأسمرُ المثقفُ قَدَّهْ
ذو جفون مذرمت منها كلا ما ... كَلَّمتني سيوفهنَّ بِحِدَّهْ

وما لابن الصائغ (58) :

لِسَلْمَى من لواحظها سهامٌ ... لها في القلب فتكٌ أي فتكِ
إذا رامت تَشُكُّ به فؤاداً ... يموت المستهام بغير شَكٍّ

---

(56) انظر الأبيات عند م. الابشيهي، **المستطرف**، 2 : 17.

(57) هو إبراهيم بن عبد الله الطائي (ت 781 هـ / 1379 م)، الشاعر، القاهري، جمع بين الفقه والأدب، وله ديوان شعر سماه : **مطلع النيرين**.
انظر ترجمته عند ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، 6 : 269 — 270، وأ. المقري، **نفح**، 2 : 396، 252، وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 1 : 43.
وانظر البيتين عند م. الابشيهي، **المستطرف**، 2 : 17.

(58) هو : أبو بكر محمد بن يحيى المعروف بابن الصائغ التجيبي الأندلسي (توفي سنة 533 هـ / 1138 م). انظر المزيد من التفاصيل في المصادر التالية :
ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، 1 : 62، والقفطي، **أخبار العلماء**، 265، وابن خاقان، **قلائد العقيان**، 312، وابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 4 : 429 — 431 رقم 670، والمقري، **نفح**، 7 : 17، 27 — 30، وابن العماد **شذرات**، 4 : 103، والصفدي، **الوافي بالوفيات**، 2 : 240، وابن سعيد، **المغرب**، 119، والمراكشي **المعجب**، 239، وابن خلدون، **العبر**، 548، وابن القاضي **جذوة**، 1 : 256 — 257، والكتاني، **سلوة الأنفاس**، 3 : 262، والعباس بن إبراهيم، **الاعلام**، 4 : 77.
ومن الدراسات الحديثة انظر :
فوقية حسين محمود، ابن باجة في تدبير المتوحد، مقال بمجلة **دار الحديث الحسنية**، العدد الأول (1399 / 1979)،
ص 295 — 349.
وانظر البيتين عند م. الابشيهي، **المستطرف**، 2 : 18.

وما لبعضهم :

عيناك أمكنت الشيطان من خَلَدي — إن العيون لأعوان الشياطين
كم ليلة بِتُّ مطويا على حُرَقٍ — أشكو إلى النجم حتى كاد يشكوني

وما للصفدى :

يا عاذلي في هوى عيني بجفوته — وسِحْر ناظرها فالسحر فيه خفي
وَدَّعْ فؤادي ودعه نصبَ مقلتها — لا تُرْمِ نفسك بين السَّهْمِ والهدف (59)

وله أيضا :

بدوي كم حدثت مقلتاه — عاشقا عن مَقاتل الفرسانِ

وما لابن المعتز (60) :

وردُ الخدود ونرجس اللحظات — وتصافحُ الشفتين في الخلوات
شيءٌ أُسَرُّ به وأعلم أنه — وحياةِ من أهوى من اللذات (61)

وأنشدني ابن الحكيم أيضا :

ورديّ خدٍّ، نرجسيّ لواحظٍ — مشايخ علم السحر عن لحظه رووا

---

(59) انظر البيتين عند م. الابشيهي، **المستطرف**، 2 : 18.
وقد وردا هكذا :

ياعاذلي على عين محجبة — خف سحر ناظرها فالسحر فيه خفى
وخذ فؤادي ودعه نصب مقلتها — لا ترم نفسك بين السهم والهدف

(60) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 3 : 76 — 80، والمصادر بالهامش 341 من الصفحة 76 من نفس المصدر.

(61) البيتان لا يوجدان في **ديوان ابن المعتز**، وقد وردا بدون نسبة عند م. الابشيهي في **المستطرف**، 2 : 19.

وواواتُ صدغيــه حكيــن عقاربــا   من المسك فوق الجُلنار قد التــووا
ووجنتــه الحمــرا تلــوح كجمــرة   عليهـا قلوب العاشقيــن قد انكــووا
وودِّي له باقٍ ولست بسامـــــع   لقــول عذول والحــواسد ان غووا
ووالـلــه لا أنساه لو صرت رِمَّــة   وكيف وأحشائي على حبه انطووا (62)

وما لبعضهم، وهو الصاحب بن عباد (63) :

أيـا قمــراً تبسم عن أقــاح   ويـا غصنـا يميــل مع الريــاح
جَبِيــنُكَ والمُقَلَّــدُ والثنايــا   صبــاح في صبــاح في صبـاح (64)

وما لبعضهم :

أنفــقتُ كنــز مدامعــي في ثغــره   وجمــعت فيــه كل معنـــى شارد
وطلــبت منـــه جزاء ذلك قبلــةً   فأبــى وراح تغزلــي في البــارد (65)

وما لبعضهم :

نقــل الأراك بأن ريقــةَ ثغــره   من قهــوة مُزجت بمــاء الكوثــر
قد صح ما نقـــل الأراكُ لأنــه   يرويه نصا عن (صحاح الجوهر) (ي) (66)

وما لبعضهم :

ومهفهــفٍ يُغْنــي النديــمَ بوجهــه   عن كأسه المــلأى وعــن إبريقِــهِ

---

(62) الأبيات لبرهان الدين القيراطي، انظر م. الابشيهي، المصدر السابق، 2 : 198 — 199.
(63) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 1 : 228 — 233 رقم 96، وج. السيوطي، **بغية الوعاة**، 1 : 449 — 451 رقم 918، وانظر أيضا محمد آل ياسين مقدمة **ديوان الصاحب بن عباد**.
(64) البيتان لا يوجدان في **الديوان**، وقد وردا بدون نسبة عند م. الأبشيهي في **المستطرف**، 2 : 17.
(65) نسبهما كمال الدين الدميري في **حياة الحيوان الكبرى**، 1 : 156، لابن لؤلؤ. وانظر أيضا م. الابشيهي، **المستطرف**، 2 : 19.
(66) نسبهما الابشيهي في **المستطرف**، 2 : 19، للصفدي.

فِعْلُ المدامِ ولونُها ومذاقُها ... في مقلتيه ووجنتيه وريقِهِ [67]

وما لبعضهم :

صبحُ الجبين وليلُ شعرك ذاوذا ... ما البدرُ عند كماله ما الغيهبُ
ملأت محاسنك القلوبَ محبةً ... فسعت إليك وعنك ليست تذهب

وما للخفاجي إبراهيم الأندلسي، المتوفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة [68]، [وهو إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الهواري من أهل جزيرة شقر] [69]، مولده إحدى وخمسين وأربعمائة [70] :

أهلا بساحرة الجفون وقد أتت ... لزيارة تمشي على استحياءِ
خافت عيون وشاتها فتلفَّعَتْ ... حَذَرَ الرقيب ببردة الظلماء
وافتك بين لِداتِها فكأنها ... قمر وهن كواكب الجوزاء [71]

---

(67) البيتان لابن حيّوس من قصيدة مكونة من 53 بيتا، يمدح فيها نصر بن محمود بن صالح، مطلعها :

أرقدت عن قلق الفؤاد مشوقة ... فأمرت بالسلوان غير مطيقة

انظر **ديوان ابن حيوس**، 2 : 409.

(68) 533 هـ توافق 1138 م / 1139 م.

(69) جزيرة شقر : من أعمال بلنسية، إحدى عواصم الأندلس، وليست شقر جزيرة في البحر وإنما هي بليدة بين شاطبة وبلنسية، وقيل لها جزيرة لاحاطة الماء بها بفعل وقوعها على نهر شقر Jucar. وقد كانت من أجمل البقاع بتلك المنطقة. وكانت تسمى أحيانا بالجزيرة فقط، وهو الاسم الذي استعير فيما بعد لبلدة Alcira الاسبانية الواقعة على نهر شقر على مقربة من الجزيرة المذكورة. وكانت جزيرة شقر موطن كثير من العلماء والأدباء.
انظر ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 3 : 354 ــ 355، ولسان الدين بن الخطيب، **الاحاطة**، 1 : 179، هامش 6.

ملاحظة :

ما بين المعقوفين سقط من « م » و « ج ».

(70) 451 هـ توافق 1059 م / 1060 م.

(71) الأبيات لا توجد في **ديوان ابن خفاجة**.

وما لبعضهم :

ومـريضِ جفـن ليس يصرف طرفَـهُ نحـو امـرىء الا رمـاه بحتفـه
قد قلت إذا أبصرتـه متمايـلا والـردفُ يجـذبُ خصْرَهُ من خلْفِـهِ
يا من يُسَلِّـمُ خصره من ردفـه سلـم فؤادَ محبـه من طرفـه (72)

ومـا لأبـي جعفـر أحمـد بن علـي بن خاتمـة (73)، توفـي سنـة ست وسبعيـن وسبعمائة (74) :

ومُحَكِّمِ اللحظات في مُهَج الـورى تحكيـم نار هواه بيـن جوانـح
جرح الفـؤاد فطـار من وَلَـع به كيف الخـلاصُ لطائـر من جارحٍ (75)

وله أيضا :

مَنْ شافـعٌ لي عنـد مالك مهجتـي مالـي سوى حُبـي ولـيس بنافـع
فمـن المحقـق أن مذهب مالك لا تستقيـم لديـه حجـة شافـع (ي)

وله أيضا :

ومـن طاعتـي إيـاه أَمْرَضَ ناظـري له حيـن يـدو من ثنايـاه لي بَرْقـا
كأن دموعـي تبصر الـوصل هاربـا فمـن أجـل ذا تجـري لتدركـه سَبْقـا

وله أيضا :

ومخطوطـةِ المتنيـن مهضومـة الـحشا منعَّمـة الأرداف تدمَـى من الَلـمس

---

(72) انظر الأبيات عند م. الابشيهي، **المستطرف**، 2 : 17.
(73) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **لقط الفرائد**، ص 214، وم. بن مخلوف، **شجرة**، 1 : 229 رقم 823، وإسماعيل البغدادي، **هدية العارفين**، 1 : 113، وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 1 : 171 — 172.
هدية العارفين، 1 : 113، وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 1 : 171 — 172.
(74) 770 هـ توافق 1368 م / 1369 م.
(75) البيتان لا يوجدان في **ديوان ابن خاتمة**.

إذا ما دخان النـدّ من خدهـا علا ... على وجهها أبصرت غَيْماً على شمس

وما لعز الدين الموصلي (76) :

لهـا عيـنٌ، لهـا غزوٌ وغـزلٌ ... مكحلـةٌ ولـي عيـن تبـاكث
وحـاكت في فعائلهـا المـواضي ... فيـالك مقلـة غزلت وحـاكت

[وما لعبد العزيز الحموي :

رَشـأٌ من آل يَـافِـثْ ... لحظـه للسحـر نَافِثْ
مالـه في الـحسن ثانٍ ... فهـو للبدريـن ثالث
يخـيء السيـر إلـى ثا ... ء المثانـي والمثـالث
قلت : عدنـي بوصال ... قال : دع هذي الوثـاوث] (77)

وما لابن سودون :

عَبِثَ الشرابُ بطرفهـا النّعـاس ... فتمايـلت بقَوامهـا المَيَّـاسِ
صَدَمَتْ فؤاداً كاد يكسر بالهـوى ... جبرتـه صدمتهـا بعـود الآس

وله أيضا :

من الأتـراكِ أقمـارٌ تلـوحُ ... فؤادي من محبتهـم جريـحُ
خدودهـمُ تحاكـي الـورد حسنـا ... روائحهـا كتفـاح يفـوح
هم الأحبـاب لا أهـوى سواهـم ... وروحـي عندهـم أبـدا تروح
لقـد جرحت عيونهـم فؤادي ... وَهَيَّمَنـي لهـم وجـه صبيـح
فقلبـي من صدودهـمُ كسيـرٌ ... وحبـي في وصالهـم صحيـح
وإن هم أحسنـوا أو قد أساءوا ... جميـعُ فِعالهـم عنـدي مليـح

---

(76) انظر ترجمته عند خ.الدين الزركلي، **الاعلام**، 5 : 91، والمصادر بالهامش 3، وانظر البيتين عند م. الابشيهي في **المستطرف**، 2 : 17.
(77) ما بين المعقوفين سقط من « م » و « ج ».

وكم أخفيت حبهم ولكن دموعي بالذي أخفي تبوح (78)

وما لجلال الدين المحلي (79) :

لم تترك الأتراك بعد جمالها حُسْناً لمخلوق سواها يلحق
جَذَبُوا القِسِيَّ ألى قِسِيِّ حواجب من تحتها نَبْلُ اللواحظ تَرْشق
نشروا الشعور بكل قَدّ منهمُ لَدْنٍ عليه من الذُّؤابَةِ سنجق
لي منهم رشأ إذا قاربْتُهُ كادت لواحظه بسحر تنطق
إن شاء يلقاني بخُلْقٍ واسع عند السلام نهاه طرف ضيق

[والأعين الضيقة تنسب للأتراك.

وللصفدى في ضيق العين :

يا شادِنا أبدا أرى نفسي به دون البرية لا تفارق شَيِّقَهْ
واللهِ ما اتسعت همومي في الدُّجى حتى بُلِيتُ بمقلتيك الضَّيِّقهْ] (80)

وما لبعضهم :

لا واخذَ الله بَنْدَكْ فقد وَشَى بِيَ عندَكْ
وقال عني بأني شبهت بالغصن قدَّكْ
وأنت تَعْظُمُ عندي أن يمسي البدر عبدك
ولست والله أرضى أن يحكم الورد خدَّكْ
فقاتل الله طرفي فكم به نلت قصدك

(78) انظر الأبيات عند ابن سودون، **نزهة النفوس**، ورقة 32 ظ.

(79) هو : محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد، ولد بالقاهرة سنة 791 هـ، شافعي، أصولي، متكلم، له عدة تآليف منها : **شرح جمع الجوامع**، وشرح المنهاج، والورقات في الأصول، وتفسير القرآن. وقد توفي سنة 864 هـ / 1459 م.
انظر ترجمته عند شمس الدين السخاوي، **الضوء اللامع**، 7 : 39 — 41 رقم 82، وأحمد بن القاضي، **درة**، 2 : 244 رقم 711.

(80) ما بين المعقوفين سقط من « م » و « ج ».

ولا رعـــى اللـــه قلبـــي   فكـــم رعـــى لك عهـــدك
ومـــا عشقـــتك وحـــدي   بلى عشقـــتك وحـــدك
وكم أطعـــتك جهـــدي   وكم تجنـــيت جهـــدك
وبعـــد هذا وهـــذا   وذاك لا ذقت فقـــدك [81]

وما لبعضهم :

يا ليل دم لي لا أريد صباحا   حسبي بذكر مُعانقي مِصْباحا
حسبي به نورا وحسبي ريقه   خمرا وحسبـــي خدّة تفاحـــا
طوقته طوق العنـــاق بساعـــدي   وجعلت كفي للشـــام وِشاحـــا
هذا هو اليـوم السعيـد فخلّنـا   متعانـقين فمـا نريـد براحـــا [82]

قلت : والناس في شأن الليل أحوالهم مختلفة، فمنهم من يريد طوله ومنهم من يريد قصره. ولنرجع إلى ما كنا بصدده.

فمن مآثر الظاهرة، ومحاسنه الطاهرة، ما شاع من صدقاته في الامصار والأقطار، فمن ذلك أنه في كل ليلة موسم كالعيدين، والميلاد النبوي، وعاشوراء المحرم، والأشهر الثلاثة من رجب، وشعبان، ورمضان، بل في كل وقت من السنة، يصرف في ذلك من الأموال مالا يمكن أن يحصى، ولا يستطاع أن يستقصى، ومن دأبه في كل أربعة أشهر يخرج بستة آلاف أوقية (ذهبا) للضعفاء والمساكين، ليرفع بذلك الفقر عن فقراء مصره، ومحتاجي عصره. ومن صدقاته أيضا إخراجه الكثير من الأسرى في كل وقت من أقطار بلاد الكفرة وجزيرة الأندلس وغيرها.

وما جاء معتف من المسلمين أو من اليهود الذين تحت ذمته قط يطلب أسيرا نصرانيا عوضا عن المسلم الأسير الا ويبدو له عن طيب نفس، باسم الثغر، قاصدا به الأجر، وكثيرا ما أبدل من الأسارى والأموال في هذا المعنى قصدا به الدار الآخرة، والقربات الفاخرة، وكثيرا ما يقول في مجالسه : « أيما عانٍ تعذرت عليه حاجة في أسير أو غيره فليأتنا لنقيضيها له ». حدثني بهذا غير واحد ممن أثق به. ولقد أخرج يهوديا [83] من الأسر من جزيرة مالطا بمال، إذ طلب منه — أيده الله تعالى — ذلك ومصداق ذلك ظاهر للعيان، ويشهد به العامة والخاصة الأعيان.

---

(81) الأبيات لمحيي الدين بن عبد الظاهر، انظر **فوات الوفيات**، 2 : 186.
(82) انظر الأبيات عند م. الابشيهي، **المستطرف**، 2 : 25.
(83) تمتع اليهود في عهد أحمد المنصور بحريات كبيرة، فكان منهم السفراء إلى أوروبا والممثلين في الصفقات =

فمن مآثره الحسنة ومفاخره المستحسنة ما اتفق لي معه من إخراجه إياي من الأسر، حيث أسرت في حال رحلتي لمصر لأجل طلب العلم الشريف بعد أن استشرته ــ أيده الله تعالى ــ لي ذلك وأذن لي، فسافرت في البحر متوجها للمقصود، فكان ما كان من أمر الله المعبود، في يوم الخميس الرابع عشر من شعبان سنة أربع وتسعين (84)، فبعد ذلك لجأت إلى الله وتوكلت عليه، وعلمت أن سبب خلاصي لا يكون إلا على يديه، لما تحصل عندي من عظيم فضله، وكريم أصله، فكاتبته بأبيات حضرتني، وهي :

تجَلَّتْ عن العاني الأسير المكبل ... هموم سرت في الجسم في كل مفصلِ
بذكر الامام الهاشمي الذي سما ... بسيمة خير الخلق في كل مَحْفِلِ
امام العلا المنصور فخرُ أئمة ... به قد تحلَّى كل جيد معطل
[به راق وجهُ الأرض وافتر ثغرُه ... وحُلي جيدٌ منه بالدر والحُلي] (85)
امــام همام همه طول همَّـــةٍ ... ظُبَى مالـه غير المعالي بصَيْقَلِ
[فكم تضحك الخيرات في بطن كفه ... ويبكي دماء كل رمح وَمُنْصُلِ] (86)

= التجارية الكبرى، هذا إلى جانب الحريات الدينية التي جعلتهم يقيمون شعائرهم وطقوسهم في أمان داخل البلاد وقد حملت إليهم مرة باخرة انجليزية في جملة ما حملت من بضائع 26 صندوق مملوء بنسخ التوراة، وعرف عن أحمد المنصور أنه كان يفدي أسرى المسلمين واليهود من رعاياه بالمال أو بالمبادلة بالمسيحيين أسرى وادي المخازن. لكن العلماء كانوا ينتقدون أحمد المنصور في سماحة لليهود بالاتصال ببلاطه، ونذكر على سبيل المثال أن عبد الله بن علي بن طاهر عندما زاره ورأى يهوديا يركب في موكب فخم إلى القصر الملكي غضب غضبا شديدا وما زال يسعى في قتله لدى المنصور حتى أقنعه. ولم يقتصر الأمر على اليهود بل حتى على العلماء الذين لهم أصل يهودي ولو تعدد أجدادهم المسلمون، فهؤلاء لا يولون المناصب الشرعية السامية كالقضاء والفتيا والامامة والخطابة مهما علا كعبهم في ميدان العلم، مثل أحمد المنجور ــ أستاذ المنصور ــ الذي لم يكن يطمع قط في غير تولي كراسي التدريس بالقرويين، على ما كان له من شفوف في الدولة، وهكذا فقد قدمه تلميذه يوما للصلاة، فلما أراد أن يدخل المحراب منعه القاضي الحميدي، فقال له السلطان : « دعه فقد قدمه علمه »، فقال الحميدي « إن قدمه علمه فقد أخره نسبه ».

انظر في هذا الصدد.

ــ م. الافراني، **نزهة**، ص 173.

ــ و ع. المدغري، **فتح القدوس**، الباب الثاني.

ــ ومحمد حجي، **الحركة**، 1 : 270 ــ 274.

— H. de Castries, Sources, France, Angleterre et Pays-Bas, 1ères séries. Par exemple, France, 3 : 3[illegible], 5 : 128: Angleterre, 1 : 44.

(84) يوم الخميس 14 شعبان سنة 994 هـ يوافق 31 يوليوز 1586 م.

(85) ما بين المعقوفين سقط من « م » وكذلك من **درة الحجال**، 1 : 26.

(86) ما بين المعقوفين سقط من **درة الحجال**، 1 : 26.

والمنصل : السيف.

وكم جاوز الغايات حتى لوانه | أراد الثريا أمَّهَا في التنزُّل
قَمْرٌ الليالي من سناه توقدت | ضياء بنور للخلافة مُشْعَل
زكيٍّ زهيٌّ للسماح سماؤه | جناح لنَسْر النصر في كل حَجْفَل
أمام الهدى بحر الندى قَسْوَرُ (87) الردى | إلى المعتفي والفاجر المتضلِّل
بحق الذي أولاك ملكا فنجني | من المِلْك (88) يا قصد الأسير المكبل
وكن يا إمام العدل في عون خائر | أسير كسير ذي جناح مذلل
لقد قرفت أيدي الزمان وريده | ودارت عليه الدائرات كجُلْجُل
وأخنى عليه الدهر من كل وجهة | وداست عليه النائبات بأرجل
فعافاك رب العرش يا ملك العُلا | ودمت إماما في علاء مزمَّل
ولا زلت حجٌّ المعتفين وكعبة | مطافا لأهل الفضل في كل محفل

فما بلغت ليده إلا بعد تكفل همته العلية بإخراجي، لأنه ــ أيده الله تعالى ــ كان قد كتب في شأني لقواد الثغور أن يبحثوا عني، وفي أي موضع مستقري، من بلاد الكفرة ــ أذلهم الله تعالى ــ.

فانظر إلى همته العلية، ونجدته الهاشمية.

هكذا هكذا والا فلالا (89).

هذا هو شأنه في خدمته ومحبيه ــ أبقى الله وجوده، وأدام سعوده ــ. ولو تتبعت ما فعل بالكفرة من التضييق عليهم بسبب مسألتي لما وسع ذلك هذه العجالة، وقد أخرجني في السابع عشر من رجب سنة خمس وتسعين (90)، واستقام عليه فدائي بما يعادل عشرين ألف أوقية

---

(87) القسور : الأسد، يريد به البطل.
(88) في درة الحجال، 1 : 26 : الملك.
(89) عجز بيت للمتنبي، هذا صدره :
ذي المعالي فليعلون من تعالى
انظر ديوان المتنبي، 3 : 254.
وقد ورد في « ج » هكذا :

هكذا هكذا تكون المعالي | طرق الجد غير طرق المزاح

ملاحظة :

يتكرر ذكر البيت بهذا الشكل في كثير من المصادر المغربية مثل **فهرس** ابن غازي، **ومحاضرات** اليوسي، **وأزهار** المقري.
(90) 17 رجب من سنة 995 هـ توافق 23 يونيو 1587 م.

(ذهبا)، وفرج عني كربتي — فرج الله كربته يوم القيامة —، لما رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من كشف عن أخيه كربة من كرب الدنيا، كشف الله عنه كربة من كرب يوم القيامة » [91]، والله تعالى في عون العبد المومن ما دام العبد في عون أخيه.

حكي عن الكلاباذي [92] — رحمه الله — أنه قال : رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت والحق — سبحانه تعالى — ناقشني في الحساب، ووقعت في كرب عظيم، وإذا رجل فلاح كان في جواري قد طالبه أرباب الديون بواجب لهم عليه، ولا شيء معه يقضي منه، فأديت عنه ذلك الدين، ثم انصرف وهو يقول : فرج الله عنك كما فرجت عني، فرأيته واقفا بين يدي الله وهو يقول : إلاهي ! إلاهي ! إن عبدك هذا فرج عني كربة من كرب الدنيا، فقال الله عز وجل : إني قد فرجت عنه لشفقتك عليه. صدق رسول الله وصدقت، وبلغت للحضرة العلية — مراكش — في يوم الاثنين من شعبان من عام تاريخه [93]، وقمت بين يديه بقصيدة نونية، مطلعها :

من العَقيقِ عقيق العين هتَّانُ ... سَلْ عنه سَلْعاً فما يغنيك نعمانُ
كأنه عَنْدَمٌ أو عَنْ دَمٍ قد جَرَى ... ماءُ المحاجر إذ تُجْريه أجفانُ
أظلُّ والحزنُ كاس كاسر عَسِيرُ ... والقلبُ منيته الوَغْسَا وعُسْفَانُ
والجسم في تَلَفٍ والقلب في كَلَفٍ ... والنفس في سَرَفٍ والعقل [94] حيرانُ
لم يُولَمِ الطرف ان سَحَّتْ سحائبُهُ ... ولا الفؤاد إذا حلته أحزانُ
من وجد نجدٍ وقَرْنٍ والقُدَيْدِ [95] ومن ... تهامة وإلى الْلَحَا [96] جيران [97]
مَنْ لي بظبي عزيز الجارذي كرم ... عزيز حُسْنٍ له بالمسك خِيلانُ

---

(91) أخرجه مسلم في **الصحيح**، 8 : 18، والبخاري في **الصحيح**، 3 : 98، عن عبد الله بن عمر، وكلاهما باختلاف يسير في اللفظ.

(92) لعله يقصد محمد بن إبراهيم الكلاباذي البخاري، المتوفى سنة 380 هـ / 990 م، صاحب كتاب **التعرف، لمذهب أهل التصوف**.
انظر ترجمته عند حاجي خليفة، **كشف**، ص 225، وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 6 : 184.

(93) يوم الاثنين 8 شعبان 995 هـ توافق 14 يوليوز 1587 م.

(94) عند أ. المقري، **روضة الآس**، ص 240 : القلب.

(95) القديد : عند البكري في **معجم ما استعجم**، بضم أوله على لفظ التصغير، قرية جامعة كثيرة المياه والبساتين، سميت بذلك لتقدد السيول بها، وانظر أيضا **الروض المعطار**، 454.

(96) اللحا : عند البكرى في **معجم ما استعجم**، بكسر أوله، ممدود على وزن فعال، موضع مذكور، محدد في رسم زرود.

(97) ورد البيت عند أ. المقري في **روضة الآس**، ص 240 هكذا :
من وجد نجد وحزوا والقديد ومن ... تهامة وإلى للحى جيران

مهفهفٍ أدعجٍ، أما النظير فلا نظيرَ يشبهُهُ في الحسن كِيوَانُ
ما زِلْتَ يا أملي جسرا إلى ألمي ما همتُ أو رَنَّحَتْ في البان قِيانُ
ففتك لَحْظِكَ لي باسم ابن ذي يَزَنٍ وكيف لا وهُوَ للنسرين صنوان
إن طال وَجْدي فآمالي به قَصُرَتْ وان ناي مطلب فالصبر أوطان
شربت راح الهوى من كأس مَبْسِمِهِ فها أنامن رحيق الثغر سكران
ريقٌ وخالٌ وخد والعذار به خمر ومسك وكافور وريحان
فاعذب وعذِّبْ وجر وارض وصُدَّ وصُلْ واهجروته أنت للبدرين خرثان (كذا)
مِلْ أين شئت فما قصدي سواك ولا أسلو هواك ولا للقلب سلوان
وعادلٍ رام بالاحسان يخدعني فطال ما خدع الانسان إحسان
عدمت نصحك لي ان بالصلاح أتى فكيف لي وهو في التحقيق خسران
فرطت يا نفس أطلعت العدو على سري أمالك للأسرار كتمان ؟
أعانت النفس أعدائي على تَلَفي فهاهم لصروف الدهر أعوان
يا عجبا قدمي عمداً أراق دمي (98) وليس لعهود الألف خفران
محضتني النصح إشفاقا على بدني ياليت لو كان دون النصح فقدان
فأنت عنديَ كالأسرار في خلدي أخص كل الورى في النصح يقظان
من أشرف الناس لم تغل نفوسهم وهم أسود لحمل الضيم هصران (كذا)
حسبي بِذكرك بين الناس منقصةً فذكر مثلك في الاشراف نقصان
لو كان نصحك حقا ما انفعلت له وهبه حقا فما للقلب إذْعانُ
قالوا : صبرتَ عن الأحباب، قلت لهم صبرت للوجد أيام وحقبان
قالوا : اسْلُهُمْ، قلت قلبي لا يفارقهم قالو : اصطبر، قلت : صبري فيه رَوْغان
وإنني سوف أسلوهم إذا وَلَجَتْ سم الخياط ملاقيحٌ وَبُزْلَانُ
وكيف أسلو عن السكان في خَلَدي وهُمْ بصبح ووادي النقع سُكَّانُ
من لي بهم وبَانِ الرقمتين وهل يبدو الحَجونُ وشِعْبُ الغور والبَانُ
وزمزم والصفا والحِجْرُ مُلْتَزَمٌ والبيت والركن والمسعى وعسفان
وهل أرى طيبة يوما ومسجدها وهل أمر بربع فيه ألفان
وهل أنوح على باب السلام إذا ما جئته بوقار الحمل عصيان

---

98) أخذه من قول الشاعر :

إلى حتفي سعى قدمي أرى قدمي أراق دمي
وهان دمي فها ندمي

أعفر الوجه إجلالا وتكرمة   في تربة لجنود الوحي ميدان
وهل أرى الكوكب الدري الذي خضعت   له الكواكب والأملاك أسدان
وهل أحيي (كذا) إلى المختار من مضر   وصاحبيه بقول فيه إعلان
أقول ياسيد الكونين يا أملي   ومن به للحصى والجذع ايمان
اشفع لعان أسير طالما جَمَحَتْ   به خيول الصبا طورا وأزمان
أنت الرسول الأمير السيف بدر هدى   هادٍ له من جنود الله أعوان
هو البشير الذي من نوره ظهرت   عوالم الله ألوان وأكوان
هو النذير السراج النور من شهدت   له بصدق وبالبرهان رهبان
محمد المجتبَى من خلق خالقه   محمد المصطفي للناس أمان
محمد المرتضى في الحشر أنْ حُشرتْ   صُحْفٌ، وعلق للتحقيق ميزان
محمد خير من فاه اللسان به   محمد خير من أُنْماهُ عدنان
صلى عليك الاه العرش ما طلعت   شمس وما ماس في البستان أفنان
لا تترك الصَّبَّ غاوٍ في غوايته   وفي عماه إذا ما ضلَّ عميان
لأن لي شغفا بالنور من مضر   ولي بآل رسول الله اعلان
لا سيما سبطه المنصور من شهدت   له المنابر والتأييد إيوان
هو الامام الهمام العضب بحر ندى   ذو لبدة من أسود الحرب يقظان
هو الحسام عدا العلياء صيقله   أيامه بنواصي الدهر تيجان
أمامُ حلم له الادسات (كذا) قد خلقت   لعدله دان دارين (99) وبغدان
كمسك دارين قد طابت سجيته   أو عنبر الشجر إن عمته أعكان
سهل إذا يمم العافون ساحته   صعب هزبر على الكفار غضبان
ليث عدا أنه من نسل فاطمةٍ   غيث عدا انه بالتبر هَتَّان
سَيْلٌ به راق وجه الأرض وابتسمت   وجيدها فيه ياقوت ومرجان
فكم بيمنته الخيرات قد ضحكت   وكم بكى الرمح والهيجاء نيران
هو الجناحُ لِنَسر النصر إن وقفت   عن ساقها الحرب والمقدام طَفَّان
ان أم عسكره أرضا وحل بها   شَدَّ النواحي وللاسلام بنيان
أبطاله وسجاياه وَمِنَّته   وحِلْمُهُ للورى رفق ورضوان
فبحر جودك لن يخزى مُلَجِّجُهُ   وخائضُ البحر قد يأتيه خزيان
أنقذتني من وثاق الأسر يا أملي   ومن هموم لها في الصدر بنيان

(99) دارين : موضع بالبحرين في الخليج العربي، يجلب إليه المسك من الهند وينسب إليها.

لا زلت ترْفُلُ في العلياء في حُلَـــلٍ بهـــا من الـــنصر والتأيـــد ألـــوان
ما دام ثغـــرك للعافيـــن مبتسمــــا وما هَمَى من جزيل البذل هتان (100)

وإنما ذكرتها مع ركاكة معانيها، وسوء ألفاظها ومبانيها، لقيامي بها بين يديه يوم وصولي للحضرة العلية حين خروجي من الأسر، لأن المقصود ذكر مآثره ومفاخره التي تكفلت بإخراجي من ربقة الأسر، لكن قد يتجاوز عنها لانشائها في حال الاسر، وللمقصد الذي ذكرنا، والله الموفق.

وقد ذكرت بنية لي ذات يوم، فقلت :

يا أُمَّ عزحــــان بينـــــي عنكـــــم فتقطَّـــرَتْ لفراقكـــم أجفانـــــي
أجرت دموعا، بل دماً، بل مهجـــةً حَلَّلْتُهَـــا فتراكـــمت أحزانـــــي
أجْرِي دمـــوعك للفـــراق وأسْعَـدِي فمصيبتي في الأهـل والأوطـانِ (101)

ومن دأبه ــ أيده الله ــ اشتغالة بحوائج المستضعفين، وقرى الواردين، ومحادثة وزرائه وكتبته، فيما يعود نفعه على رعيته، هذا في يوم السبت أو الإثنين أو الأربعاء، ويحضر لكل من يحضر من حشمه وقواده في هذه الأيام موائد من ألوان الطعام على اختلافها.

وأما يوم الأحد والخميس فيجتمع فيهما بخواصه في رياض المسرة، والبديع (102) الذي أنشأه وشاد بناءه، إلا أنه لا يضبطه وصف الواصفين، ويبهر من حسنه عقول العارفين، على ما أذكره فيما يأتي لما يصلح برعيته، وقد يشتغل بالتوقيع على الرقاع المعدة لقضاء حوائج المسلمين.

---

(100) انظر القصيدة عند أ. المقري، **روضة**، 240 ــ 243.
(101) انظر الأبيات عند أ. المقري، **روضة**، 243.
(102) يعتبر قصر البديع أهم أثر معماري على الاطلاق في العصر السعدي، وقد أفاض المعاصرون له في وصفه وأعجبوا به، يدل على ذلك الصفحات التي خصصها له الفشتالي في **مناهل الصفا**، وابن القاضي في **المنتقى**، وقد امتد بناء قصر البديع طيلة 16 سنة بدون توقف من 986 هـ إلى 1002 هـ / 1578 ــ 1594، وشارك في بنائه صناع من أوربا خصوصا من إيطاليا، لكنه خرب من طرف السلطان العلوي مولاي إسماعيل سنة 1119 هـ / 1710 م، لأسباب وصفها الافراني في نزهة الحادي بأنه يطول شرحها، ولكنه لم يشرح منها ولا واحدا. وهكذا لو قدر لقصر البديع أن يعمر طويلا لكان من أعظم المآثر العمرانية في تاريخ المغرب الحديث، إذ أنه لا يقل روعة عن القصرين المعاصرين :
أ ــ قصر الايسكوريال (Escorial) الذي بناه فيليب الثاني وما زال ماثلا إلى اليوم.
ب ــ قصر Hard Wicke Hall الذي بنته إليزابيت الأولى بأنجلترا وما زال هو الآخر ماثلا إلى اليوم.=

وأما يوم الجمعة فشأنه فيه إذا فرغ من الصلاة، يجلس للنظر في شأن رعيته ولشكاويها والفصل بينها، ورفع ظلمات ظلم الظالم عنها إلى أن يصلي العصر، تارة يكون ذلك عند ضريح والده ـــ رضي الله عنه ـــ وتارة بالمقصورة، وتارة بالبديع المذكور، وقد يستمر به الجلوس في بعض الأيام إلى صلاة المغرب، لا يألو ـــ فيما طوقه الله ـــ جهدا، ولا يلوي عنه عزما وقصدا.

وفي يوم السبت، وما ذكر معه من أيام الديوان، يدخل أيضا عليه أشياخ القبائل والعرب الواردين، والكبراء، فيأخذون مجالسهم بين يديه، وكذلك لمّة من بني عمه الشرفاء، فإذا استقر بالكل المجلس أحضر الطعام، ثم إذا فرغوا منه واستوفوا حوائجهم، دخل إلى منزله، وخرج الناس إلى باب القصر للمسجد الذي هنالك، وجلسوا به إلى أن يحضر وقت الصلاة، فيخرج ويؤم من حضره من خدمته وربما يخص بذلك الوقت كتبته فقط إلى أن يصلي العصر، وبعض الأوقات إلى أن يصلي المغرب، ثم يدخل منزله ويخرج للمسامرة في الأمور المهمة، والحوادث الملمة، إلى أن يغلب النوم على الحاضرين، ويرى أن قد أدركهم التعب، فيقوم، فيدخل منزله. فهو ـــ أيده الله ـــ كثير السهر لأجل مصالحه، حدثني بهذا شيخنا : أبو العباس أحمد بن علي المنجور ـــ قدس الله روحه، وبرد ضريحه ـــ وغير واحد ممن أثق به، فأوقاته ـــ أيده الله تعالى ـــ من ليل أو نهار معمورة، إما بعمل صالح بدني، أو تدبير في مصلحة دينية، وقد يخوضون بين يديه في التاريخ، والآداب، وفوائد الشعر وإنشائه.

ولنرجع إلى ما كنا بصدده.

= انظر في هذا الصدد :

ـــ ع. الفشتالي، **مناهل**، ص 167 ـــ 181.

ـــ محمد الافراني، **نزهة**، ص 103 ـــ 114.

ـــ أحمد المقري، **نفح**، 6 : 47 ـــ 56.

ـــ إبراهيم حركات، العمران وفن البناء في العصر السعدي، مجلة **الثقافة المغربية**، العدد السادس، سنة 1972.

ـــ عبد العزيز بن عبد الله، **تاريخ المغرب**، 2 : 13 ـــ 14.

ـــ عبد الهادي التازي، قصر البديع بمراكش، مجلة **البحث العلمي**، العدد 28، يوليوز ـــ دجنبر 1978، ص 163 ـــ 188.

— G. Deverdun, Marrakech, 1 : 392.

— G. Aimel, le Palais d'El-Badi, Arch. ber III. 1918.

الباب الثالث

* في عدله في رعيته وقيامه بشريعة جده محمد وسنته

* ورد الشطر الثاني من العنوان في « ج » هكذا :
وقيامه بأوامر شريعة جده ــ صلى الله عليه السلام ــ وسنته.

لا خفاء على كل من حمل عصا التسيار، ورمت به في أقطار البلدان الأسفار، ورأى سير الملوك في العباد، وما عمت البلوى من الظلم في سائر البلاد، أن مولانا ـــ أيده الله ـــ لم يبلغوا في العدل عشره، ولم يسيروا في رعيتهم سيره. هذا وقد رفع أيضا في أقطار ملكه عن رعيته الا مكاس كلها، كأعشار السلع في المراسي والأبواب وغير ذلك من الوظائف السلطانية التي عمت سائر البرايا، وعظمت بها البلايا، كما هو في سائر البلاد.

فمن ذلك أن كل وافد على الاسكندرية يعطي عشر ما بيده وعشر عشره من السلع وكذلك أيضا كل خارج منها [1]، ومثله في مرسى جده وسائر البلاد المشرقية وغيرها، فمن وقف على ذلك يعلم صحة ما قلنا :

---

(1) كان الامكاس (الجمارك) تؤلف موردا هاما للدولة في مصر في عهد الاتراك خلال القرن السادس عشر، فقد فرض على البضائع أن تدفع الرسوم عند الدخول إلى مصر وعند الخروج منها، وكانت هذه الجمارك في الاسكندرية، ورشيد، وأبو قير، ودمياط، وبولاق، وعلى طريق السويس على مسافة ميل من القاهرة، وفيها تدفع الرسوم على التوابل والعقاقير الآتية من مكة والهند وغيرهما.
وكانت واردات كل هذه الجمارك تعين لجهة خاصة، فقد كانت تجمع في القاهرة وتدفع منها راتب الباشا، وحامية القاهرة، والاشغال ذات النفع العام، كالري وبناء الجسور والسدود واصلاحها، والباقي للمدن المقدسة في الحجاز ولضريبة السلطان.
وكانت تقدر في البدء ب 800.000 دوقا ثم خفضت إلى 600.000 دوقا وكان كل جمرك يخول إلى ملتزم، في اطار نظام الالتزام السائد آنذاك في جميع أنحاء الامبراطورية، والجمركي الحقيقي من كانت أعمال الاوروبيين منوطة به، وقد جرت العادة أن يكون يهوديا ويسمى « المعلم ». وانظر نور الدين حاطوم، **عصر النهضة الاوروبية**، ص 443.
ونورد نصا معاصرا يوضح كل ذلك أورده الشعراني في **لواقح الأنوار** ص 202 : « وكثيرا ما كانت =

وبالجملة فالرعية مع مولانا ــ أيده الله ــ في أهنى عيش وأرغده ــ وأبقى الله للمسلمين أيامه، وسدد ألويته وأعلامه ــ وأما الاحكام الشرعية فلم يقع فيها تبديل ولا تغيير كما هو معهود في البلاد المشرقية.

فمن كان له مال حاضر دفعه، ومن لم يكن له مال ذهب في المجلس إلى بعض خدمة القاضي المعتادين للسلف لكل محتاج إليه، فيتسلف منه ما وظف عليه ويعطي زيادة على كل مثقال ربع عشره عن كل يوم مادام في ذمته، ويكتب الدين بزيادته في سجلات القاضي من غير مبالاة بأمر الدين والشرائع أصلا. وخطة القضاء هنالك تكون من جملة الأمكاس بمال عظيم مقدم على العقد يدفع للسلطان وجيبة السنة قبل مرورها (2).

ومن ذلك أيضا ما حدثني به بعض من أثق به بمصر سنة ست وثمانين (3) عن القاضي أبي زيد عبد الرحمن الحنبلي الذي بالصالحية أنه حضرت بين يديه في مجلس حكمه ذات يوم امرأة مع زوجها وثالث معهما، فقال الرجل للعدلين اللذين بين يدي القاضي : أشهدكما أني طلقت زوجتي هذه طلقة واحدة، فلما أراد كتب الطلاق تقدمت المرأة إلى القاضي ودفعت له دينارين وقالت له : يامولاي القاضي، دونك الدينارين واكتب لي صداقي على هذا الثالث، فأجابها القاضي بأن قال لها : أو تحلفي أنه طلقك منذ أشهر سلفت عن تاريخه ؟ فقالت :

اليهود والنصارى أصحاب المكوس في تخفيف المظالم عن المسلمين، وأقول في كتابي لهم : أسأل الله للمعلم فلان أن يرضى عنه ويدخله الجنة مع الصديقين والشهداء الصالحين.... ».

(2) كان الفساد مستشريا في القضاء العثماني إلى حد كبير، ويرجع هذا إلى عدة أسباب :
أ ــ كان القضاء من جملة الوظائف التي تباع وتشترى في إطار نظام الالتزام السائد آنذاك في جميع أنحاء الامبراطورية، فكان من الطبيعي أن تسوده الرشوة لتحصيل الأموال التي اشترى بها المنصب.
ب ــ قصر مدة تولي القضاة، فقد كانت لا تتجاوز غالبا سنة واحدة.
ج ــ كان القضاة من أصل رومي، وكانوا يكنون حقدا كبيرا للعرب، ولم تكن الظاهرة خاصة بالقضاء فحسب بل أيضا بالجنود الأتراك، ويورد لنا المؤرخ المعاصر محمد البكري الصديقي صورا عديدة، لهذا الحقد في **التحفة البهية في تملك آل عثمان الديار المصرية** ص 47 (مخطوط المكتبة الوطنية بفيينا رقم Cod. Arab. 925 A. F. 283)، وذلك أثناء ولاية باشا الذي حكم مصر من 994 هـ إلى 999 هـ (1586 م ــ 1591 م)، حيث تمردت طائفة السباهية ــ وهي احدى طوائف الجيش التركي ــ وصبت نقمتها على العرب من أصحاب المناصب وغيرهم، فهاجموا منازلهم وأطلقوا النار عليها، وقد طالبوا السلطات أثناء ثورتهم بمنع أبناء العرب من الانتساب إلى الفرق العسكرية.
انظر عبد الكريم رافق، **بلاد الشام ومصر**، ص 241 ــ 242.

(3) 986 هـ توافق 1678 م.

نعم، أحلف على ذلك، فقدم لها دفترا من الدفاتر التي توضع فيها السجلات، وقال لها : احلفي على هذه الختمة من كتاب الله تعالى، ففعلت، وجعل العدلان يكتبان الطلاق والصداق للثالث والزوج الأول ينادي بأعلى صوته : يا للمسلمين ! هلموا الي فاني ما طلقتها قبل الا في هذه الساعة فقط ! فأمر القاضي باخراجه وضربه، وأبرم عقد نكاحها مع الآخر.

ومثل هذا في البلاد الاعجام كثير مع أن القضاة هنالك لا يحسنون من القضاء الا العمامة والهيئة خاصة، ويكرون من تحت ايديهم لمن يقضي بين الناس في الحضر والبادية.

ولأهل المشرق لا سيما منهم الترك ازدراء بالناس لا يرون العرب شيئا، فمن ذلك ما اتفق لي ذات يوم ببات جامع السلطات حسن (4) بالرميلة (5) من مصر مع بعض الشيب من الترك لما أردت دخول المسجد المذكور، فوافيتهم بالباب ولم أعظم قدرهم كما هي عادة أهل مصر معهم، ازدراءا بهم، فلما رأوا جفوتي، وعدم مبالاتي بهم ونخوتي، قام إلى أحدهم وقال لي : ياكلب، إلى أين تريد ؟ آلمسجد معد لأمثالك ؟ اذهب من هنا ! فما هذا محلك ! فلم ألتفت إلى قوله لغربتي وعدم ناصرى هنالك، فلما رأى ذلك مني ما أمكنه إلا بصق على وجهي وانصرف، وكنت اذ ذاك ذاهبا لأسرد **البخاري** على الشيخ نور الدين على بن أحمد بن علي الأنصاري الشافعي القرافي (6) بالقرافة، أحد تلامذة السيوطي (7)، فلما دخلت عليه ـــ حفظه الله تعالى ـــ وأنا في هم وغم مما أصابني من الذل في أرض الغربة ولم أجد ناصرا، فهم عني ذلك فاستفهمني عن حالي، فأخبرته القصة، فلما أعلمته بها أخد الشيخ في تسليتي وزوال حزني وتأنسي إلى أن رجعت عن ذلك الغضب وذكرت له سير ملوكنا فينا وحنوهم، فذكر ما

---

(4) زار المؤرخ المغربي أبو القاسم الزياني هذا المسجد وأعجب به اذ قال عنه : « وبطرف الرميلة التي تلي مسجد السلطان حسن، وهو مسجد لا ثاني له في مصر ولا في غيرها من البلاد، في ضخامة البناء ونباهته وارتفاعه واحكامه واتساع حناياه وطول أعمدته الرخامية وسعة أبوابه كأنها جبال منحوتة.... ». انظر **الترجمانة الكبرى**، ص 211، وكذلك الهاشم 2 من نفس الصفحة، وقد ذكر الاستاذ عبد الكريم الفيلالي انه يتوفر على رسم لهذا المسجد ودراسة كاملة عنه بخزانته عدد 5783 ت.

(5) انظر عن هذه المنطقة فؤاد الماوي، الوضع المالي لولاة مصر، مقال بمجلة **المناهل**، العدد 13 (دجنبر 1978)، ص 357.

(6) انظر ترجمته عند نجم الدين الغزي، **الكواكب السائرة**، 3 : 182.

(7) ترجم جلال الدين السيوطي لنفسه في كتابه **حسن المحاضرة**، 1 : 335 ـــ 344، وأ بن القاضي، **درة** 3 : 92 رقم 1018، ونجم الدين الغزي، **الكواكب السائرة**، 1 : 226 ـــ 231، وابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، 8 : 51 ـــ 55، وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 4 : 71 ـــ 73، وأحمد الشرقاوي، مكتبة الجلال السيوطي، وهو سجل يصنف جميع مؤلفاته التي تأكد من صحة نسبتها إليه، وم. العابد الفاسي، **فهرس**، 73 ـــ 75.

أنشدنيه شيخنا العلقمي [8] ــ رحمه الله ــ [9] :

المــرء مادام حيــــا يُستهــــان به ويعظـم الرُّزْءُ فيـه حيـن يُفتقــدُ [10]

وبالجملة فالمشارقة من شأنهم الازدراء بالناس غالبا. حكي عن أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي أنه كان من شأنه الاستهزاء والسخرية والاحتقار لكل من يلقى من الشعراء إلى أن ورد عليه بالكوفة ابن المفضل الشاعر، وهو لضعف حاله لابس أطمارا مرقعة، فقصد دار أبي الطيب فوجده بسقيف داره والأدباء والشعراء بين يديه، فدخل عليهم وسلم، فلم يحفلوا به ولا هش له أحد لعدم معرفتهم به، فأثر ذلك في نفسه. قال : فأردت هجاء أبي الطيب ببيت جرير حيث يقول :

وانك لو رأيت عبيـــــد تَيْــــــم وتيمــا، قلت : أيهــمُ العبيــدُ [11]

فجعلت ذلك نثرا فقلت : أيكم المتنبي ؟ فرفع رأسه وقال لمن حوله : ما أجفى هؤلاء المرقعين ! قال ابن المفضل : فقلت متمثلا :

لعمـري لئـن رقــعت في أرض غربــة ثيابي لمـــا ضاقت علــيَّ المآكـــلُ
فمـا كنت الا السيـف يأكـل غمـــده له حليـــة عن نفسه وَهْـــوَ عاطـــل

فقال له المتنبي : ما أنت والشعر يا مرقع ! لا تهمس به، فهو لي ولمن حولي.

فقال ابن المفضل :

كن كمــــا شئت عنـــد نفسك يالا شيء قدرا فلست بالمـــــــــحسود
إنمــــا أنت بيننــــا كظـــــلام في ضيـــاء وأنــحس في سُعــود

---

(8) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي ، درة، 1 : 203 ــ 204 رقم 281 لقط الفرائد، ص 322، ونجم الدين الغزي، الكواكب السائرة، 3 : 87 ــ 88 ، وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ، 433 ــ 434، وم. العابد الفاسي، فهرس، 201 ــ 203.

(9) ما بين المعقوفين سقط من « ز ».

(10) البيت لفخر الدين بهراة، انظر وفيات الأعيان 4 : 252.

(11) انظر ديوان جرير، ص 165.

فنظر اليه المتنبي وقال : من أنت يا مرقع حتى تجيبني بهذا الجواب ؟ فقال ابن المفضل مرتجلا :

لئن كان ثوبي فوق قيمته الفَلْسُ [12] فلي فيه نفس دون قيمتها الأنسُ
فثوبك بدر تحت أنواره دجى وثوبي ليل تحت أطماره شمسُ

فقال له المتنبي : نشدتك الله ! أأنت ابن المفضل البصري ؟ فقال له : أجل، فقام إليه، وأقسم هو ومن حوله ان يرفعوا مجلسه فأبى، وعرض عليه المتنبي شيئا فلم يقبله منه.

واتصل الخبر بسيف الدولة فأحضر ابن المفضل وأدناه وأحسن إليه. وأما المتنبي فولد بالكوفة سنة ثلاث وثلاثمائة [13]، وتوفي يوم الأربعاء لثلاث بقين وقيل الليلتين بقيتا من شهر رمضان، وقيل لخمس بقين، سنة أربع وخمسين وثلاثمائة [14].

ولا شك ان الهيئات تعظم في أعين الناس وكذلك الدراهم واللباس، ولهذا يقول بعضهم :

ان الدراهم في المواطن كلها تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهي الكلام لمن أراد فصاحة وهي السلاح لمن أراد قتالا [15]

ولبعضهم :

وكل مُقِلّ حين يأتي لحاجة إلى كل من يلقَى من الناس مذنبا
وكانت بنوعمي يقولون مرحبا فلما رأوني مُعْدِماً، مات مرحبا [16]

ولآخر :

جروح الليالي مالهن طبيب وعيش الفتى بالفقر ليس يطيبُ
وحسبك أن المرء في حال فقره تحمقه الأقوام وهو لبيب

(12) في « ج » : العباس.
(13) 303 هـ توافق 915 م / 916 م.
(14) 354 هـ توافق 965 م.
(15) انظر البيتين عند م. الابشيهي، **المستطرف**، 2 : 48.
(16) انظر البيتين عند ابن حجة الحموى، **ثمرات الأوراق**، 1 : 120، وم. الابشيهي، **المستطرف**، 2 : 48.

ومــن تعتريــه الحادثــات بصرفهــا   يبت وَهْوَ مغلــوب الفــؤاد سلــيب
ومـا ضرنـي أن قال أخطـأت جاهــل   اذا قال كل النـاس أنت مصيب [17]

وللعباس بن الأحنف [18] :

يغــدو الفقيــر وكـــل شيء ضده   والأرض تُغْلِــقُ دونـــه أبوابَهـــا
وتــراه مبغــوضا ولــيس بمـــذنب   ويــرى العــداوة لا يرى أسبابهـــا
حتــى الكـــلاب اذا رأت ذابِـــزَّةٍ   خضعت إليـه وحــركت أذنابهـــا [19]

وأنشدني شيخنا أبو راشد :

وما مدرك الحاجات من حيث يبتغي   من النـــاس إلا من أجـــاد وشَمَّـــرا
فسر في بلاد الله والتـــمس الغنـــى   تعش ذا يسار أو تموت فتُعــذرا [20]

ولنرجع إلى ما كنا بصدده.

فمولانا ـــ أبقاه الله ـــ قد أتقن سير رعيته، وجراها على العدل المقيم، والنهج المستقيم، وان ظهر شيء من مخالفة الشريعة على أحد يؤدب فاعله ويعزر ولا يترك أحدا لذلك. وقد روي في العدل أحاديث كثيرة، فمن ذلك ما روى عنه ـــ صلى الله عليه وسلم : « لعمل العادل في رعيته يوما أفضل من عبادة العابد مائة سنة [21] ». وقال مسروق [22] : « لأن أقضي في الحق أحب إلي من أن أغزو سنة في سبيل الله ». ولا فضيلة أعظم من العدل في الملك، كما أنه لا رذيلة فيه أقبح من الجور إلا السائبة، ولهذا قال الفضيل بن عياض : « جور ستين سنة خير من هرج سنة [23] »، وفي ذلك يقول عبد الله بن المبارك [24] :

---

(17) انظر الابيات عند م. الابشيهي، **المستطرف**، 2 : 48.
(18) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 3 : 20 ـــ 27، والمصادر بالهامش 319 من الصفحة 20 من نفس المصدر.
(19) انظر الابيات عند م. الابشيهي، نفس المصدر والصفحة.
(20) البيتان للنابغة الجعدي، انظر أحمد الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، 1 : 164.
(21) رواه أبو نعيم في **الحلية** عن أبي هريرة باختلاف يسير فياللفظ.
(22) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 8 : 108 والمصادر بالهامش 1.
(23) انظر ابن مرزوق، **المسند**، ص 44.
(24) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 3 : 32 ـــ 34، والمصادر بالهامش 362 من
=

ان الجماعــة حبــل الله فاعتصمــوا منــه بعروتــه الوثقــى لمــن دانــا
كم يرفــع الله بالسلطــان معضلــة في ديننــا رحمــة منــه ودنيانــا
لولا الخلافة لم تأمــن لنــا سبــل وكــان أضعفنــا نهبــا لأقوانــا (25)

وأما إقامته للحدود على من وجبت عليه، فلم يبال في ذلك بأحد، ولم يلحقه في حق الله تعالى لومة لائم، فينصف الحق ولو من نفسه وأبنائه وأقاربه ــ أيده الله ــ، وخدمة الشرع يمسكون من وجب عليه حق، ويحمل من كل مكان ولو كان ببابه العلية إلى الحضرة الشرعية، فحكم الله جار عليه من قصاص وغيره من الحدود الواجبة الثابتة ــ جزاه الله عن الرعية والاسلام خيرا ــ.

وكثيرا ما تعرض لبعض الناس محاكمة معه في أمر من الأمور، مسلما كان أو كافرا، فيعين وكيلا لينوب عنه، ويتحاكم مع بعض من ذكر، فتارة يكون الحق له وتارة عليه، ويوفي طالبه حقه ان كان عليه حتى لا ينقصه من دانقا واحدا. ولو تتبعت هذا ومثله مما هو كثير لطال الكتاب، وخرج عن المقصود إلى الاسهاب، والمقصود انما ذكر مآثره الحسنة، ومفاخره المستحسنة، على سبيل الاجمال لا التفصيل.

والله الموفق بفضله ومنه.

= الصفحة 32 من نفس المصدر.

(25) انظر الابيات عند م. بن الأزرق، بدائع السلك، 1 : 129.

الباب الرابع

* في تعظيمه الميلاد النبوي
وأبناء عمه من النسب العلوي

أما الميلاد النبوي، فيشرفه كثيرا، ويعظمه بكثرة الصدقات والصلاة الجزيلة التي لم يسمح بمثلها ملك قط ولا ثبتت له في ديوان، ولقد أحيا فيه أيضا انشاد القصائد الشعرية بين يديه، ويجازي على ذلك لكل من يأتي بشيء من ذلك من الفقهاء، والشعراء، والكتاب وغيرهم، وقد قيدت من ذلك كثيرا ضاع مني في محنتي، وقد ناولني كاتبه، ووزير القلم الأعلى، الناظم الناثر، الأديب الأريب، نخبة الاعلام، وحسنة الليالي والأيام، الكاتب الأعظم أبو فارس عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم الفشتالي في يوم الاثنين، الرابع من شهر رمضان المعظم من عام خمسة وتسعين [1]، قصيدته النونية التي مطلعها :

همُ سلبوني الصبرَ والصبرُ من شاني ... وهم حرموا من لذة الغمض أجفاني
وهم أخفروا في مهجتي ذمم الهوى ... فلم يثنهم عن سفكها حبي الجاني

---

* ورد العنوان في « م » هكذا :
الباب الرابع : في تعظيم الميلاد النبوي، وأبناء عمه من النسب العلوي، وفي احسانه للشرفاء من أبناء عمه.
وفي « ج » :
في تعظيمه للميلاد النبوي، ولأبناء عمه من أهل النسب العلوي.

ملاحظة :

أفاض الفشتالي كثيرا في وصف احتفال المنصور بعيد المولد النبوي، وفي تباري الشعراء بهذه المناسبة (انظر ع. الفشتالي، **مناهل**، ص 221 — 243) كما أبدى أ. المقرى اعجابه بهذه الاحتفالات اذ قال : « ..... وقد احتفل لذلك المولد بأمور يستغرب وقوعها — جازاه الله تعالى عن نيته خيرا — .... ».
انظر **نفح الطيب**، 5 : 350.

(1) يوم الاثنين 4 رمضان عام 995 هـ يوافق 8 غشت 1587 م.

لئن أترعوا من قهوة البين أكؤسي   فشوقهم أضحى سميري وندماني
وان غادرتني بالعَراء حمولهم   لَقًى إنَّ قلبي جاهد أثر أظعاني
قف العيس واسأل ربعهم أية مضوا   أللجزع ساروا مُدلِجين أم البان
وهل باكروا بالسفح من جانب اللوى   ملاعب آرام هناك وغزلان
وأين استقلوا : هل بهضب تهامة   أناخوا المطايا أم على كُثْبِ نعمان
وهل سال في بطن المسيل تشوقا   نفوس ترامت للحمى قبل جثمان
واذ زجروها بالعشي فهل ثنى   أزمتها الحادي إلى شِعْبِ بَوَّان
وهل عرسوا في دير عبدون أم سروا   يؤم بهم رهبانهم دير نجران
سروا والدجى صِبْغُ المطارف فانثنى   بأخداجهم شتى صفات وألوان
وأدلج في الأسحار بيض قبابهم   فلحن نجوما في معارج كثبان
لك الله من ركب يرى الأرض خطوة   اذا زمها بُدْناً نواعم أبدان
أرحها مطايا قد تمشّى بها الهوى   تمشي الحُمَيَّا في مفاصل نشوان
ويمم بها الوادي المقدس بالحمى   به الماء صدًّا والكلا نَبْتُ سَعْدان
وأهد حلول الحجر منه تحية   تفاوح عرفا ذاكي الرَّنْدِ والبان
لقد نفحت من شيح يثرب نفحة   فهاجت مع الأسحار شوقي وأشجاني
وفتت منها الشوق في الغرب مسكة   سحبت بها في أرض دارين أرداني
وأذكرني نجدا وطيب عَرارِه   نسيم الصبا من نحو طيبة حياني
أحن إلى تلك المعاهد أنها   معاهد راحاتي وروحي وريحاني
وأهفو مع الأشواق للوطن الذي   به صح لي أنسي الهنيُّ وسلواني
وأصبو إلى أعلام مكة شائقا   إذا لاح برق من شَمام وثَهلان
أُهيل الحمى ديني على الدهر زورة   أحث بها شوقا لكم عزميَ الواني
متى يشتفي جفني القريح بلحظة   تزج بها في نوركم عين انساني
ومن لي بأن يدنو لقاكم تعطفا   ودهري عني دائما عطفه شاني
سقي عهدكم بالخيف عهد تمدهِ   سوافح دمع من شؤوني هتان
وأنعم في شط العقيق أراكةً   بأفيائها ظل المنى والهوى داني
وحيا ربوعا بين مروة والصفا   تحية مشتاق بها الدهر حيران
ربوعا بها تتلو الملائكة العلا   أفانين وحي بين ذكر وقرآن
وأول أرض باكرت عَرَصاتها   وطرزت البطحا سحائب ايمان
وعرَّس فيها للنبوة موكب   هو البحر طام فوق هضب وغيطان
وأدى بها الروح الأمين رسالة   أفادت بها البشرى مدائح عنوان
هنالك فَضٌّ ختمها أشرفُ الورى   وفخرُ نزار من معد بن عدنان

محمد خير العالمين بأسرها ... وسيد أهل الأرض والأنس والجان
ومن بشرت بالبعث من قبل كونه ... نوامس كهان وأخبار رهبان
وعلة هذا الكون لولاه ما سمت ... سماء ولا غاضت طوافح طوفان
ولا زخرفت من جنة الخلد أربع ... تسبح فيها أُدْمُ حور وولدان
ولا طلعت شمس الهدى غِبَّ دُجْيَةٍ ... تجَهَّم من دَيْجورها ليلُ كفران
ولا أحدقت بالمذنبين شفاعةٌ ... يذود بها عنهم زبانيَ نيران
له معجزات أخرست كل جاحد ... وسلت على المرتاب صارم برهان
له انشق قُرص البدر شقين وارتوى ... بماء همى من كفه كل ظمآن
وأنطقت الأصنام نطقا تبرأت ... إلى الله فيه من زخارف ميان
دعا سرحة عَجْمَا فلبت وأقبلت ... تجر ذيول الزهر ما بين أفنان
وضاءت قصور الشام من نُوره الذي ... علا كل أفق نازح القطر أو داني
وقد بهَّج الأنوا بدعوته التي ... كست أوجه الغبراء بهجة نيسان
وإن كتاب الله أعظم آية ... بها افتضح المرتاب (2) وابتأس الشاني
وعدَّى على شأو البليغ بيانه ... فهيهات منه سَجْعُ قُسٍّ وسحبان
نبيُّ الهدى من اطلع الحق أنجما ... محانورها أسدافَ إِفْكٍ وبهتان
لعزتها ذَلَّ الأكاسرة الأُلَى ... هُمُ سلبوا تيجانها آل ساسان
وأحرز للدين الحنيفيِّ بالظُّبَى ... تراث الملوك الصِّيد من ولد (3) يونان
ونقَّع من سُمْرِ القَنا السم قيصرا ... فجرَّعه منه مُجاجَةَ ثعبان
وأضحت ربوع الكفر والشرك (4) بَلْقَعاً ... يُناغي الصَّدى فيهنَّ هاتفُ شيطان
وأصبحت السَّمْحَا تروق نضارةً ... ووجه الهدى بادي الصَّباحة للراني
أيا خير أهل الأرض بيتا ومَحْتِداً ... وأكرم كل الخلق : عجم وعربان
فمن للقوافي أن تحيط بوصفكم ... ولو ساجلت سبقا مدائحَ حسان
إليك بعثناها أمانيَّ أجْدَبَتْ ... لِتُسْقَى بِمُزْنٍ من أياديك هتان
أجرني إذا أبدى الحساب جرائمي ... وأثقلت الأوزار كفةَ ميزاني
فأنت الذي لولا وسائل عزه ... لما فُتحت أبواب عفو وغفران
عليك سلام الله ما هبت الصبا ... وماست على كثبانها مُلْدُ قضبان
وحمَّل في جيب الجنوب تحيةً ... يفوح بمسراها شذا كل نُوَّفَان

(2) عند أ. المقرى في روضة الآس، ص 122 : الميان، وكذلك في النزهة، ص 153.
(3) عند أ. المقرى في نفح الطيب، 5 : 26 : عهد.
(4) عند أ. المقرى في نفح الطيب، 5 : 26 : الشك

إلـى العمريـن صاحبيك كليهما ... وتلوهما في الفضل صهرك عثمان
وحيا عليا عَرفهـا وأريجهـا ... ووالي على سبطيك أوفر رضوان
إليك رسول الله صممت عزمة ... إذا أزمعت فالشَّحْطُ والقربُ سيان
وخاطبت مني القلبَ وهو مقلَّبُ ... على جمرة الأشواق فيك فلباني
فيا ليت شعري هل أُزَمَّ قلائصي ... إليك بِداراً أو أقلقل كيراني
وأطوي أديم الأرض نحوك راحلا ... نواجي المهارى في صحاصح قيعان
يرنّحها فرط الحنين إلى الحمى ... إذا غرد الحادي بهنَّ وعناني
وهل تمْحُوَنْ عني خطايا اقترفتها ... خُطاً لي في تلك البقاع وأوطان
إذا نَدَّ عن زوارك البأس والغنى (5) ... فجود ابنك المنصور أحمد أغناني
عمادي الذي أوطا السِّماكَيْنِ أَخمصا ... وأوفَى على السبع الطِّباق فأدناني
متوّج املاك الزمان وان سطا ... أحل سيوفا في معاقد تيجان
وقاري أسود الغاب بالصيد مثلها ... إذا اضطرب الخَطِّيُّ من فوق جدران
هِزَبْرٌ اذا زار البلاد زئيره ... تضاءل في أخياسها أُسْدُ خفَّان
وإن أطلعت غِيم القَتام جيوشُه ... وأرزم في مركومه رَعْدُ نيران
صببن على أرض العُداة صواعقا ... أسلْنَ عليهم بحر خَسْفٍ ورَجْفان
كتائبُ لو يَغْلُونَ رضوى لصدَّعت ... صفاه الجياد الجُرْدُ تعدو وبعِقْبان
عديد الحصى من كل أروع معلم ... وَكُلِّ كَمِيٍّ بالرُّدَيْنِيِّ طعَّان
اذا جَنَّ ليل الحرب عنهم طَلَى العدا ... هَدَتْهم إلى أَوْدَاجِها شُهْبُ خُرْصان
من اللاء جَرَّ عن العدا غُصصَ الردى ... وعفَّرْنَ في وجه الثرى وجه بَسْتَانِ (6)

---

(5) عند أ. المقرى في نفح الطيب، 5 : 27 : العنا

(6) يقصد دون سبستيان بن الملك جان الثالث (1557 ـــ 1578) والذي ماكاد يتولى عرش البرتغال حتى بدأ يعمل لرد الاعتبار للبرتغاليين الذين منوا بهزائم متتالية اثر الانطلاقة، السعدية، فكانت المحاولة الأولى في سنة 1574، اذ أرسل (دون سبستيان) ابن عمه (دون انطونيو) حاكما على طنجة ثم لحقه على رأس قوات عسكرية للاغارة على المناطق الشمالية، لكن لم يحقق هدفه لصمود القوات المغربية آنذاك، وظل يتحين الفرص إلى حين انهزام المتوكل أمام عمه المعتصم وفراره إلى سوس ومن هناك إلى طنجة احدى قاعد الاحتلال البرتغالي طلبا للنجدة، وقد استغل (دون سبستيان) الفرصة وأتى إلى المغرب على رأس قوات عسكرية كبيرة، فكان أن وقعت معركة وادي المخازن في 30 جمادى الأولى عام 986 هـ الموافق 4 غشت 1578، والتي قتل خلالها (دون سبستيان).
انظر في هذا الصدد :

— H. de Castries, Sources Inédites, 1ère Série, France, 1 : 339.

— Chantal de la Véronne, Sources Inédites, Archives et Bibliothèques d'Espagne, 3 : 394, 489, 528.

وفَتَّحنَ أقطار البلاد فأصبحت ... تُؤَدي الخراجَ الجَزْلَ أملاك سودان
أمام البرايا من عليٍّ نِجارُه ... ومن عِتْرَةٍ سادوا الورى، آل زيدان
دعاؤمُ ايمان وأركان سؤدد ... ذوو همم قد عرَّست فوق كيوان
هم العلويون الذين وجوههم ... بدورٌ إذا ما أحلكت شُهْبُ أزمان
وهم آل بيت شيد الله سمكه ... على هضبة العلياء ثابت أركان
وفيهم فشا الذكر الحكيم وصرَّحت ... بفضلهم آي الكتاب (7) وفرقان
فروع ابن عم المصطفى ووصيه ... فناهيك من فخرين : قُربى وقُربان
ودوحة مجد معشب الروض بالعلا ... يجود بأمواه الرسالة ريان
بمجدهم الأعلى الصريح تشرفت ... مَعَدٌّ على الغَرْباء عادٍ وقَحطان
أولئك فخرى ان فخرتُ على الورى ... ونافس بيتي في الولا بيت سَلْمان (8)
اذا اقتسم المُدَّاحُ فضلَ فخارهم ... فقسمي بالمنصور ظاهر رجحان
أمام له في جبهة الدهر ميسم ... ومن عزه في مفرق الملك تاجان
سما فوق هامات النجوم بهمة ... يحوم بها فوق السموات نسران
واطلع في أفق المعالي خلافة ... عليها وشاح من علاه وسِمْطان
إذا ما احتبى فوق الأسِرَّة وارتدى ... على كبرياء الملك نخوة سلطان
توسمت لقمان الحِجى وهو ناطق ... وشاهدت كسرى العدل في صدر ايوان
وان هزَّهُ حر الثناء تدفقت ... أنامله غُرفا تدفق خُلْجان
أيا ناظر الاسلام شِمْ بارق المنى ... وباكر لروض في ذَرَا المجد فينان
قضى الله في علياك أن تملك الدنا ... وتفتحها ما بين سوس وسودان
وانك تطوي الأرض غير مُدافَع ... فمن أرض سودان إلى أرض بَغْدان
وتملأها عدلا يرف لواؤه ... على الهرمين أو على رأس غمدان
فكم هنأت أرض العراق بك العلا ... ووافت بك البشرى لأطراف عمان

---

(7) عند أ. المقرى في **نفح الطيب**، 5 : 28 : آيات ذكر، وكذلك **النزهة**، 156.

(8) ذكر المقرى في **نفح الطيب**، 5 : 23، عن هذا البيت ما نصه : « وأراد — كما أخبرني — ببيت سلمان القبيلة التي منها لسان الملة والدين ابن الخطيب — رحمه الله تعالى —، أشار إلى ولاء الكتابة للخلافة، كما كان لسان الدين السلماني، رحمه الله تعالى — كذلك، وفيه مع ذلك تورية بسلمان الفارسي — رضي الله عنه وأرضاه —.
وقال عن القصيدة بأكملها بنفس الصفحة والمصدر :
« وقد رأيت أن أسرد هنا هذه القصيدة الفريدة، لبلاغتها التي بذت شعراء **اليتيمة والخريدة**...... ».
وذكر كذلك أن السلطان أحمد المنصور كان يقول :
« ان الفشتالي نفتخر به على ملوك الأرض، ونباري به لسان الدين بن الخطيب » (نفح، 6 : 59).

فلــو شارفت شرق البــلاد سيوفكــم ... أتـــاك استلابــا تاج كسرى وخاقــان
ولـو نشر الأمـلاك دهــرك أصبــحت ... عيــالا علــى عليــاك أبنــاء مروان
وشايــعك السفــاح يقتــاد طائعــا ... برايتــــه السوداء أهــــــل خراسان
فما المجد الا ما رفــعت سماكــه ... علي عمديْ سُمْرِ الطــوال ومــران
وهاتيك أبكـار القوافــي جَلَوْتُهَــا [9] ... تُغَازِلُهُـــنَّ الحــــور في دار رضوان
أتــتك أميــر المؤمنيــــن كأنهـــا ... لطائــم مسك أو خمائـــل بستـــان
تعاظمن حسنــا أن يقــال شبيههــا ... فرائــــد در أو قلائــــد عِقْيــــان
فلا زلت للدنيــا تحــوط جهاتهـــا ... وللديــن تحميــه بمـــلك سليمـــان
ولا زلت بالــــنصر العزيــــز مؤزرا ... تقــادلك الأمــلاك في زي عبـــدان

[قوله : سَجْعُ قُسٍّ [10] وسَحْبَان.

أما سحبان [11]، فهو : سحبان بن زفر بن اياس بن عبد شمس الوائلي من وائل باهلة، وكان من البلغاء الفصحاء، وبه يضرب المثل في البيان والفصاحة. يروي أنه دخل على معاوية ــ رحمه الله ــ وعنده خطباء القبائل، فلما رأوه خرجوا لعلمهم بالقصور عنه منهم، فقال :

لقـد علــم الحــي اليمانــون أننــي ... اذا قلت : أما بعـد، أنـي خطيبهـــا

وفي أخرى أني خطيب.
فقال له معاوية : اخطب !
فقال : احضروا لي عصا !

---

(9) عند أحمد المقرى في **نفح الطيب**، 5 : 29 : جلبتها.
(10) هو : قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك، من بني اياد : أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم في الجاهلية كان أسقف نجران، ويقال :انه أول عربي خطب متوكئا على سيف أو عصا، وأول من قال في كلامه « أما بعد ». وكان يفد على قيصر الروم زائرا، فيكرمه ويعظمه. وهو معدود في المعمرين، طالت حياته وأدركه النبي (ﷺ) قبل النبوة، ورآه في عكاظ، وسئل عنه بعد ذلك، فقال : يحشر أمة وحده.
انظر **البيان والتبيين**، 1 : 27، **والأغاني**، 14 : 40، **وشرح المقامات** للشريشي، 2 : 252، **ومعجم الشعراء** للمرزباني 338، **وعيون الأثر**، 1 : 68، وخزانة البغدادي، 1 : 267.
(11) انظر ترجمته عند الميداني، **مجمع الأمثال**، 1 : 167، وعبد القادر البغدادي، **خزانة الأدب**، 4 : 347، وخير الدين الزركلي، **الأعلام**، 3 : 123، ومحمد عبد المنعم خفاجي، **الحياة الأدبية في عصر بني أمية**، ص 261 ــ 262.

فقالوا : وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين ؟
قال : ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه.

فأخذها بيده، وتكلم من صلاة الظهر إلى أن كادت صلاة العصر تفوت، ما تنحنح، ولا سعل، ولا توقف، ولا ابتدأ في معنى آخر فخرج منه وقد بقيت بقية، إلى أن قال له معاوية : أنت أخطب العرب طرا.

وطرا لا يستعمل الا حالا.

ومعاوية ــ رضي الله عنه ــ توفي ليلة النصف من رجب سنة ستين من الهجرة [12]] :

ــ وله أيضا ومطلعهما :

أرحها فقد أودى بهن دُلوجُ ... ودَكَّت رُبَى أَكْتَادِهِنَّ حُدُوجُ
وقد نزعت أخفا فهن يد السُّرَى ... [ولاح [13]] على أعضائهن نُضوجُ
ظَعائنُ خُوصُ العين في فَلَوَاتِهَا ... وفي فقرات ظهرهنَّ دُموج
إذا أطلعتها لُجَّةُ الآلِ خِلْتَها ... سفائنَ خُضْنَ البحر وهو مَرِيجُ
رمين النوى لما انبعثن بأسهم ... يَرِقُّ لها عند المروق خروج
وأرزم ارزام الرعود هديرها ... فسد الفجاج الفيح منه ضجيج
تحملن من آرام وجرَةَ للحمى ... بدورا لها بيض القباب بروج
اذا زمها نحو الحجاز حُدَاتُها ... أغاربهن الشوق وهو لَعوج
هواهن ما بين الحَجون مخيم ... وبين أثيلات العقيق دروج
تسلين عن كل البقاع فلن تُرَى ... على غير أكناف البقيع [14] تعوج
ركائب آلت أن تُهَدَّمَ أو يُرَى ... لها بين هضب الأخشبين ولوج
إذا عم من تسنيم زمزم شربها ... وأطفت لهيب الشوق وهو لجيج
ولاحت لها أعلام يثرب فرتمت ... إليها تباري الريح وهو نئيج
أنخنا على ركب به موكب العلا ... يموج وأملاك السماء تروج
وبحر الهدى من شعبه سال طافحا ... فطمَّ على المعمور منه خليج
وصَبَّ عزالي الوحي في عَرَصاته ... ففاضت بها أنهارها ومروج

(12) ما بين المعقوفين سقط من « م » و « ج ». وانظر القصة عند أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، 2 : 379 ــ 380.

(13) ما بين المعقوفين زيادة من « ج ».

(14) عند أ. المقري في روضة الآس، ص 125 : العقيق.

ديار بها مسك النبوة صائكٌ ... ونور الهدى الوهاج فيها وهيج
وأرض حوت من جوهر الكون جوهرا ... إلى أوج أفلاك السماء عروج
وليل بساق العرش وهو مُحَجَّبٌ ... عليه رواق سابغ ووليج
محمد خير العالمين ومن به ... تقلص ليل الكفر وهو دَجوج
نبي دَجَا أرض الرشاد فأصبحت ... وسرب الهدى في منكبيها يروج
ولاح لنا من نور آيات صدقه ... سراج بمشكاة اليقين وهيج
تنضنض من برهانها كل لَهْذَمٍ ... له في صدور الملحدين ولوج
اذا رمت نظم القول فيه تَهَيَّبَتْ ... عِجافُ القوافي مدحه فتعوج
لمولده اهتز الوجود وأشرقت ... قصور بِبُصْرَى [15] أشرفت وبروج
وأفصح بالشكوى له الجذع صارخا ... كما صرخت غِبَّ الحِلَابِ ضَجوج
وسالت بسلسال المعين بَنَانُهُ ... كما درضَرْعٌ حافل ونفوج
أيا خير من زَمَّ الركاب مطيهم ... إليه وحَثَّ اليعملات حجيج
عليك سلام الله ما القَنَّ صادحٌ ... وما افتر ثغر البرق وهو بهيج
وما ضَمَّخَتْ ضاحي الرُّبَى راحة الصبا ... فغيَّرها أو نَمَّقَتْها ثلوج
ألهفي لِأَحْدَانٍ ثنت عنك زورتي ... وشدت عِقالَ العزم وهو زعوج
عَدَتْني، اذا شَطَّتْ بك الدار، سَلْوَتي ... فلم تختلج فالصدر منها ضلوج
[فما ذقت من شَحْط ازديارك سلوةً ... ولا اختلجت با........... [16]]
أأسلو وبين المنحنى من جوانحي ... حَشاً بلهيب الشوق فيك نضيج
ولولا [رجاء الاذن من] [17] سبطك الرضى ... طوت بي إليك البيد أنضاءُ عوج
ولولاه ما أبطيت عن أجرع الحمى ... فداربها الشوق اللعوج يهيج
[ولا أردت........................ ... . [18]]
فأفق به نور الخلافة ساطع ... وأرض بها روض المعالي أريج

---

(15) بُصرى : من أرض الشام من أعمال دمشق وهي مدينة حوران، وفي شرقي هذه المدينة بحيرة تجتمع فيها مياه دمشق وتسير منها في صحراء ورمال مقدار خمسة عشر فرسخا فتدخل دمشق.
وفي الخبر أن آمنة لما حملت بالنبي ﷺ رأت كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام.
انظر الحميري، **الروض المعطار**، ص 109.

(16) بياض بالأصل. وما بين المعقوفين سقط من **روضة الآس**، ص 127.

(17) ما بين المعقوفين زيادة من « ج ». وقد ورد البيت في **روضة الآس**، 127 هكذا : ولولا الامام المرتضى سبطك الرضى.

(18) بياض بالأصل وما بين المعقوفين سقط من **وروضة الآس**، ص 127.

وربــع به بحــر السماحــة زَاخِــرٌ | كأن البحــار السبــع منــه خليــج
لدى أوحد الدنيا الذي خضعت له | طواغيتهـــا أرواُمهـــا وزنـــوج
امـــام به غالـــبت كُلُّ مفاخـــر | وأسكت خصمي الدهر وهو لجوج
لو فوق هام النجـم مجـد موطــدٌ | ومن عد له في عالـم الأرض زيـج
مهيب رحيب الصدر ان دهـم الورى | وصدر مجال [19] السمر منها حريج
له عزمة تجلو الخطـوب إذا دجت | ورأي بعقـم المعلـوات نتيــج
عماد الورى المنصور والأوحد الذي | به غاض بحر الهول وهـو مهيـج
وأدركت الـري الخلافـة بعدمـا | ذوى برياض المجد منهـا وشيـج
وأنقـذ بالسيـف المُهَنَّـدِ تاجهـا | على حيـن كادت تقتيـه عُلـوج
وجـدَّلَ طاغـوت العـدا وجموعـه | وللنمـل فوق الأرض منهـم دَجيـج
بيوم غدا ثغر الهدى فيـه باسمـا | وصدر القنـا بالطعـن فيـه بهيـج
وظـل به الشيطـان ينـدب حزبـه | وقـد خنقتـه غبـره ونشيـج
فتـوح أميـر المؤمنيـن فواتـح | لها في حيـن المجـد منك بُلـوج
فهل راض رضوى الحلم قبلك جامحا | وهل حملت ليث الهياج [20] سروج
وهل زار أرض الزنـج جيش عرمـوم | تكنَّـفَ [21] أسْدَ الغاب منه وشيـج
[بِدُهْـمٍ سددن الجـو وهـي خَنَادِسٌ | وشُهْبٍ كسا الأرضين منها ثلوج [22]]
عَلَيْهِـن من سَرْدِ الحديــد ملابسٌ | بِجُــرْدٍ نَمَتْهَــا في العَتَاقَــةِ عُوج
[اذا صبحت أرض العدا........................ | .... [23]]

وقصائد هذا الفن كثيرة جدا، وما كان منها بيدي ضاع من مع مقيداتي في محنتي. ومن دأبه ـــ أيده الله تعالى ـــ في يوم الميلاد النبوي جزل البذل لأهل القصائد حتى إنه ينفق في ذلك اليوم من الأموال ما لا يحصى كثرة، ويعطي كلا على قدره من ثلاثمائة إلى خمس آلاف أوقية (ذهبا)، وقد أنال الفقيه النحوي أبا العباس أحمد الزموري [24] ذات سنة نحوا من

(19) بالأصل : بمجالس، وهو تصحيف، والتصويب من روضة الآس : ص 127.
(20) في « ج » : البريج.
(21) في « ج » تكشب.
(22) ما بين المعقوفين سقط من « م ».
(23) بياض بالأصل.
وما بين المعقوفين سقط من « م » و « ج » وروضة الآس، ص 127.
(24) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، جذوة، 1 : 136 رقم 79، درة، 1 : 154 رقم 178، لقط الفرائد،

خمس آلاف أوقية (ذهبا) أناله جنانا بمراكش وأرض حرث وغير ذلك، وقد ضاع مني من قصائد هذا الوادي، أعني القصائد الميلاديات، كقصائد الفقيه، الناظم الناثر، الصوفي المحب في أهل الله تعالى : أبي مالك عبد الواحد بن أحمد الشريف الحسني، وكقصائد الفقيه الكاتب، الناظم الناثر : أبي عبد الله محمد بن علي الفشتالي نخبة الاعلام، وحسنة الليالي والأيام، وكقصائد أبي عبد الله محمد بن علي الهوزالي، وأبي العباس أحمد بن يحيى الهوزالي وغير هؤلاء ممن يطول ذكرهم، ولو تتبعناهم واحدا واحدا لخرجنا عن المقصود وطالت هذه العجالة.

= ص 327، وأ. المقرى، **نفح** ، 4 : 229 و 7 : 75، وأ. الكلالي، **تنبيه**، ص 17 — 18، و ع. الرحمن التمنارتي، **الفوائد**، ص 50، وم. الافراني، **صفوة**، ص 96، وم. القادري، **الاكليل**، ص 7، **التقاط**، 2، **نشر** 1 : 19، وم. الحضيكي، **طبقات**، 1 : 39، وم. الناصري، **الاستقصا**، 5 : 55 — 56، وم. بن مخلوف، **شجرة**، 1 : 294 رقم 1115، والعباس بن ابراهيم، **الاعلام**، 2 : 248 — 250 رقم 214، وم. الكتاني، **سلوة**، 1 : 270 — 271، وم. حجي، **الحركة**، 2 : 146.

فصـــــل

في احسانه للشرفاء من أبناء عمه

فمما شاهدته في يوم جمعة من سنة اثنتين وتسعين [1] من مآثره ــ أيده الله تعالى ــ وذلك أنه وقف له بالطريق شريف من شرفاء مراكش حين رجع من مسجد الجمعة، وحلف عليه حتى يعطيه شيئا فأعطاه كسوة، وذكر لي أن من عادته مع الرجل اعطاؤه في كل وقت، ويصرف ما يأخذه منه في الخمر ويعود إليه فيسأله فيعطيه لمنزلته من الشرف.

هذا في غير يوم الميلاد، وأما قبل يوم الميلاد بيومين فيعمم فيه سائر شرفاء مملكته، وقد تعطاهم أرزاقهم في شعبان، ويستعد للميلاد بأنواع المطاعم، والحلاوات، وأنواع الطيب، والبخور، واظهار الزينة والتأنق في اللباس، وإذا أخذ مجلسه يستدعي حينئذ الناس على ترتيبهم، ويأخذون مجالسهم على طبقاتهم. إذا أخذ الناس مجالسهم قرأ بعض القراء **الكراسة** [2] التي من كلام الولي

---

(1) 992 هـ توافق 1584 / 1585 م.

(2) كانت هذه **الكراسة** تقرأ باستمرار أثناء حفلات ليالي المولد النبي أيام المنصور، وقد أكد هذه الحقيقة أحمد المقرى في **نفح الطيب**، 5 : 350، اذ قال « ... وقد حضرت بمراكش المحروسة سنة عشر وألف قراءة **كراسة** الشيخ في المولد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام بين يدي مولانا السلطان المرحوم أحمد المنصور بالله الحسني رحمه الله تعالى ... ». واليوم تقرأ مولديات أخرى لعلماء مغاربة ومشارقة، ولا يعرف بالضبط متى انتهت عادة قراءة **كراسة** ابن عباد في حفلات المولد النبوي بالمغرب.
أما عن **كراسة** ابن عباد هذه فهي عبارة عن خطبة جمعية مطولة في موضوع المولد الشريف، وتقع ضمن مجموعة خطب في المراسم التي وقف عليها عبد المجيد الزبادي مجموعة في جزء، وقال عنها : « وهي نحو الخمسة عشر خطبة، كل واحدة منها تأليف في موضوعه لا مزيد عليه ». (انظر عبد المجيد الزبادي، **افادة المرتاد، بالتعريف بالشيخ ابن عباد**، مخطوطة المكتبة العامة بالرباط ضمن مجموع، رقم د 471).
وتحتوي **كراسة** ابن عباد على سبع خطب موزعة على المواضيع التالية : خطبة عاشوراء ــ المولد النبوي ــ رجب ــ شعبان ــ رمضان ــ ليلة القدر وتفسير سورتها ــ وداع رمضان.
وتوجد نسخة منها بمكتبة الزاوية الحمزاوية ضمن مجموع تحت رقم 269 وكذلك نسخة أخرى بالمكتبة الملكية بالرباط تحت رقم 2688.

الصالح أبي عبد الله محمد بن عباد ـــ قدس الله روحه، وبرد ضريحه ـــ، ثم بعد ذلك تقرأ الميلاديات بألحان ذكية، وانشاد مقطعات من الشعر بنغمات بابلية، ثم بعد ذلك يقوم على قدميه واحد اثر واحد من فقهاء الحضرة وكتابه ممن له معرفة بالنظم، فيملي قصيدته حتى يفرغوا من ذلك على نحو مراتبهم، فاذا فرغوا دعا بالطعام على اختلاف أنواعه بعد اتحاف الشعراء بالصلات الجزيلة، والخيرات الجميلة، ثم يدعي بالحلاوات ثم بلوز السكر وغيره من الفالوذ ونحوه والكعك وغير ذلك، ويعطي الشعراء كلا على قدره، وهذه السيرة مستمرة من لدن أسلافه ـــ رضي الله عنهم ـــ إلى الآن. وقد زاد عليهم باحياء ذكر القصائد التي لم تكن قبل فيمن مضى من سلفه، وإنما كانت في أيام بني مرين ومن قبلهم، لكن مولانا أولى بهذا من غيره لاشتمال غالب القصائد على مدح النبي ﷺ لأنه أولى الناس به كما تقدم.

ومن عظيم قدر مولانا أنه لا يتخلص لمدحه في الغالب الا بعد مدح النبي ﷺ فهو أحق بها . وأهل لها فلم تك تصلح إلا إليه، ولا تقتصر إلا عليه.

هذا ما أردنا ايراده هنا، والله الموفق.

الباب الخامس

* في رعايته لأهل العلم والصلاح ومجابرته لأهل الحلم والفلاح

أما اعتناؤه بالعلماء وأهل الفضل، فشيء ظاهر للعيان، يعلمه الخاصة والأعيان، فيجلهم كثيرا ويعظمهم، ويعلم حقهم بين الناس كما قال الجلال المحلي [رحمه الله [1]] :

إنمـــا يعـــرف قدر العلـــم من سهـــرت عينـــاه في تحصيلـــه

وقبله :

احفظـــوا العلـــم وصونـــوا أهلـــه عن جهـــول حاد عن تبجيلـــه

ولعمري إنه — أبقاه الله — أعلم الناس بقدر العلماء والفضلاء، وشاع هذا وذاع، وامتلأت به الأفواه والاسماع، ولو أوردنا في هذه العجالة ماله من ذلك لطال الكتاب جدا، ولخرج عن قصد الاختصار، فحدث عن البحر ولا حرج. وأما ستره على العلماء على ما يصدر منه من الجفاء الذي لا يمكن لأحد حمله منهم، فضلا عن الملك أمير المؤمنين. فمن ذلك ما حدثت به عن شيخنا أبي العباس أحمد المنجور — قدس الله روحه، وبرد ضريحه — أنه كان عنده — أيده الله — بمراكش لأجل مذاكرة العلم، ثم ان الشيخ أراد القفول إلى فاس المحروسة ولم يرده منه الملك ساعتئذ، واستأذنه فلم يأذن له. أخذ كتبه وحوائجه وما تحصل

---

* ورد العنوان في « م » هكذا :
الباب الخامس : في رعايته لأهل العلم، ومجابرته لأهل الحلم.
وفي « ج » في رعايته حق أهل العلم، ومجاوزته عن هفواتهم بالاغضاء والحلم.

(1) ما بين المعقوفين سقط من « م ».

له من مال الملك وسافر من غير أن يشاوره مرة أخرى ولا أن يستأذنه، فبلغ ذلك مولانا ــ أيده الله ــ ولم ينقم عليه شيئا من ذلك، واحتمل جفوته، ولو حصل هذا لغيره من الملوك لوقع منه ما يمكن أن يقع، فانظر لحلمه ــ أبقاه الله تعالى ــ وصبره على جفوة العلماء.

ومن ذلك ما اتفق له مع بعض أهل الاذاية من الطلبة، المستحلين للاعراض، وبذلك لهم عن طاعة الله اعراض، وقد بلغه عنهم من ذلك ما يوجب هضمهم، وعقابهم، بل ما يذهب رؤوسهم ورقابهم، فعاملهم باحسان ومنح وأنواع عطايا.

ومثل هذا لو تتبعت ما وقع له منه لوضعت من ذلك ديوانا مثقلا، وقصدنا أن ننتهز الفرصة من بعض مفاخره الحسنة، ومآثره المستحسنة، وما أولاه بما لأبي تمام :

اقـــدام عمـــرو في سماحـــة حاتـــم في حلم أحنف [2] في ذكاء اياس [3]

حكي أن هذا البيت لما أنشده أبو تمام ممدوحه، أعجبه وطرب إليه وكان بمحضر الكندي [4]، فغار لذلك وقال للممدوح : ما في البيت ما يعجب فإنه يشبهك بصعاليك العرب، ومن هو مثلك لا يشبه إلا بمن هو فوقه ! وذلك بمحضر أبي تمام.

فرأى أبو تمام أن الاعتراض وارد عليه، فنظر في كلام العرب جوابا فلم يجده فتذكر قوله تعالى : ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء [5]﴾، فنظر في القرآن في أول سورة البقرة إلى سورة النور، فوجد الجواب في سورة النور، وذلك بما يقوله تعالى : ﴿نور السموات والأرض، مثل نوره كمشكاة﴾ الآية [6]. فنظم على البديهة :

لا تنكـــروا ضربـــي له مَنْ دُونَـــهُ مثـــلا شرودا في النـــدى والبـــاس
فالله قد ضرب الأقـــل لنـــوره مثـــلا من المشكـــاة والنبـــراس[7]

---

(2) هو : الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين، يضرب به المثل في الحلم، ولد بالبصرة، وأدرك النبي ﷺ ولم يره. توفي سنة 72 هـ / 691 م.
انظر خ. الزركلي، **الاعلام**، 1 : 262 ــ 263 والمصادر بالهامش.

(3) انظر **ديوان أبي تمام**، ص 153.

(4) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 9 : 255 ــ 256 والمصادر بالهامش 1 من الصفحة 256 من نفس المصدر.

(5) الآية 38 من سورة الانعام.

(6) الآية 35 من سورة النور.

(7) انظر **ديوان أبي تمام**، ص 153.

فأجاد وأعجب الحاضرين اضافته للجواب حتى كاد يظهر الدخان خارجا من فيه خشية الخزي والفضيحة، فقال الكندي بعد خروجه : أظن هذا الفتى لا يعمر لأنه ينحت من قلبه.

وقيل أن كبده أحرقت وأنه ما بقي إلا أياما قلائل ومات — رحمه الله تعالى —. قيل أنه مات سنة احدى وثلاثين ومائتين [8] بالموصل، واسمه حبيب بن أوس [9]. قال أبو محمد بن أبي القاسم الثعالبي الفاسي [10] في كتابه المسمى : **بأنوار التجلي، على ما تضمنته قصيدة الحلي** [11]، ما نصه : « قلت وما ضمنه أبو تمام في بيته من الآية الكريمة لا دليل له فيها، فإنها مصروفة عن ظاهرها »، انتهى. قلت : بل فيه دليل لأنها وان كانت مصروفة عن ظاهرها فوقوعه أدل دليل على الجواز، ولا يضر تأويلها، لأن صرف المجاز الغير المراد، الظاهر إلى الحقيقة المرادة، لا يلزم منه نفي المجاز، فتأمله، والله أعلم.

ومن قصيدة أبي تمام هذه بيت أودع شطره الأول بعضهم في بيت وهو الذي تقدم :

أعذارَه الساري العَجــــول ترفقــــن   ما في وقــــوفك ساعــــــةً من باسِ

فالشطر الأخير لأبي تمام :

ما في وقــــوفك ساعــــة من باس   نقْضِي ذِمَــامَ الأرْبــــعِ الأدْراس [12]

وإياس المذكور : هو اياس بن معاوية القاضي [13]، وكان يقول : من لم يعرف عيبه فهو أحمق، توفي سنة اثنتين وعشرين مائة [14] في ضيعة يقال لها عبداس.

(8) 231 هـ توافق 845 — 846 م.
(9) انظر رأي ابن خلكان في هذه القصة في **وفيات الاعيان**، 2 : 15 — 16، **واخبار أبي تمام** لأبي بكر الصولي، ص 231 — 232، **والعمدة** لابن رشيق : 1 : 192.
(10) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **جذوة**، 2 : 426 رقم 52د، **درة**، 3 : 64 رقم 984.
(11) توجد منه عدة نسخ منها : نسخة المكتبة الملكية بالرباط رقم 4394، وبالمكتبة العامة هناك نسخة أخرى تحت رقم ق 608، وأخرى كذلك بنفس المكتبة تحت رقم 1968 د، لكن هذه الأخيرة لا تتوفر إلا على النصف الأول. وهناك نسخة أخرى خاصة بفاس.
(12) انظر **ديوان أبي تمام**، ص 152.
(13) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 1 : 247 — 250، والمصادر بالهامش 105 من الصفحة 247 من نفس المصدر.
(14) 222 هـ تقابلها 836 — 837 م.

روي أن المهدي لما أتى البصرة رأى اياس بن معاوية وهو صبي وخلفه أربعة من العلماء، أصحاب الطيالسة، واياس يقدمهم، فقال المهدي : أف لهذه العثانين ! أما كان فيهم شيخ يقدمهم غير هذا الحدث ؟ ثم التفت إليه المهدي وقال : كم سنك ؟ فقال : سني — أطال الله بقاء أمير المؤمنين — سن أسامة بن زيد بن حارثة لما ولاه رسول الله — ﷺ — جيشا فيه أبو بكر وعمر. فقال : تقدم بارك الله فيك. وكان سنه سبع عشرة سنة، وكان يضرب به المثل في الذكاء وحكايته مشهورة ولولا خشية الاطالة لأتينا بشيء منها.

ومن الابداع قول بعضهم :

هاقد بعثت رسولي من كلــفت به ... وفي كتابي ما ألقــى من الــوَصَبِ
فدع كتابــي وسل عنــي لواحظــه ... « فالسيف أصدق أنباء من الكتبِ »

ومن التوشيح لبعضهم :

يا طلعــة البــدر إلا أنــه بشر ... أمـــا هواك فلا يبقـــى ولا يذر
كيف التخلص من عينيك لي ومتى ... وفيهما القاتلان : الغُنْــجُ والحَــوَرُ
وبــي من السُّقــم داء لا دواء له ... ومنك لي الشافيان : القرب والنظر
وفــي وصالك ما أبقــي به رمقــي ... لو يسعد المسعدان : الدهر والقدر
ما غبت الا وغــاب الأنس أجمعــه ... واستوحش المؤنسان : السمع والبصر
بما تكن ضلوعــي من هواك ومــا ... يعنو له الساجدان : النجم والشجر
أدرك بقيـــة نفس ليس مدركهـــا ... إذا مضى الهاديان : العين والأثــر

ومنه أيضا لأحمد بن ابراهيم بن عبد الملك بن مطرف [15]، لقي أبا الفرج بن الجَوْزي [16] :

(15) وردت ترجمته في **برنامج الرعيني**، ص 154، هكذا : « أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن عبد الملك بن مطرف التميمي، شهرته بالحال التي كان عليها من الصلاحية مغنية عن التعريف به. لقيته غير مرة، وذكر لي عجائب من مجاهداته ومشاهداته، وأجازلي الرواية عنه لجميع ما يحمله، وذكر أنه قرأ **القرآن** بما لقة على أبي العباس الاندرشي، وسمع النصف من **صحيح مسلم** على أبي عبد الله محمد بن مفلح الجندي ... أوجاز له ابن عوف ويونس الشريف وغيرهما. توفي بسبتة عام سبعة وعشرين وستمائة، وجد ذلك بخط بعض أصحابنا، وذكر لي عنه أن لقي أبا الفرج بن الجوزي... ».

(16) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 3 : 140 — 142، والمصادر بالهامش 370 من الصفحة 140.

أمسي وأصبح من تذكارهم قلقا يرثى لي المشفقان : الأهل والولد
قد خدّدَ الدمع خدّي من تذكُّرهم واعتادني المضعفان : الشوق والكَمَدُ
وغاب عن مقلتي نومي ونافرها وخانها المسعدان : الصبر والجلد
لا غرو للدمع أن تجري غواربه وتحته الخافقان : القلب والكبد
كأنما مهجتي نضْوٌ بِبَلْقَعَةٍ يعتادها الضاريان : الذيب والأسد
لم يبق الا خفي الروح من جسد فداؤك الباقيان : الروح والجسد
اني لأحسد في العشاق مصطبرا وحسبك القاتلان : العشق والحسد [17]

ومنه :

غنت بعود تناغيه فيسعدها فانظر بدائع ما يأتي به الشجر
غنت على فرعه الأطيار شاجعة لدنا فلما ذوى غنى به البشر
فما يزال عليه أو به طرب يهيجه الأعجمان : الطير والوتر

ولنرجع إلى ما كنا بصدده.

فمن ذلك زيارته لأهل الله الأئمة المشاهير، والعلماء الجماهير، ومحبته فيهم، فغير ما مرة راح لزيارة أهل الله تعالى، كالولي الصالح : دراس بن اسماعيل بن ميمونة [18]. حكى أنه — أيده الله — مرض مرضا شديدا فرأت أمه — رضي الله عنها — شخصا في النوم يقول لها : « زوريه دراسا، فإنما أصابته عين »، فقصت عليه رؤيتها، ثم زاره فعوفي. وقد زار أيضا قبر الولي الصالح أبي الحسن علي بن حرزهم [19]، وكقبر أبي بكر بن العربي [20]، وغير هؤلاء

---

(17) انظر القصيدة في **برنامج الرعيني**، ص 154 — 155.
(18) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **جذوة**، 1 : 194 — 197 رقم 155، وأحمد بابا، **نيل**، ص 116، وم. الكتاني، **سلوة**، 2 : 175 — 179.
(19) انظر ترجمته عند أ. بن قنفذ، **أنس الفقير**، ص 12 — 13، 16، ويوسف بن الزيات، **التشوف**، ص 147 — 153 رقم 51، وأ. بن القاضي، **جذوة**، 2 : 464 — 466 رقم 508، وأحمد بابا، **نيل**، ص 198، وم. الكتاني، **سلوة**، 3 : 71.
(20) انظر ترجمته عند أحمد بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 4 : 296 — 297 رقم 626، وا. بن فرحون **الديباج**، 2 : 252 — 256 رقم 74، وأ. المقري، **نفح**، 2 : 25 — 43، وأ. بن القاضي، **جذوة**، 1 : 260 — 262 رقم 268، وم. بن مخلوف، **شجرة**، ص 136 رقم 408، وم. الكتاني، **سلوة**، 3 ض 298 وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 7 : 106، وعبد العزيز بن عبد الله، **الموسوعة المغربية**، 2 : 51 — 52.

الذين بمدينة فاس ــ رحمة الله عليهم ــ وكان هذا منه حين إقامته بفاس ــ حرسها الله تعالى ــ.

وقد راح ــ أيده الله ــ لأغمات [21] غير مرة لزيارة أبي عبد الله الهزميري [22]، وأمثاله.

وبمراكش يتعاهد كثيرا زيارة الأولياء بها كزيارة الولي أبي العباس السبتي [23]، وضريح القاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي، وأبي القاسم السُّهَيلي [24]، وغير هؤلاء ممن بحضرته العلية.

وهذا فعله في غيرها من البلدان إن مر بها، ولا يسمع بشيخ يزار إلا يقصد زيارته. وحدثني بعضهم أنه كان يتعاهد كثيرا ضريح الولي الصالح سيدي أبي مَدْيَن [25] حيث كان بتلمسان.

ويؤثر زيارة القبور لطلب الأجر وللاعتبار لما ورد في ذلك أن النبي ــ ﷺ ــ كان

---

(21) أغمات : تقع جنوب مراكش على بعد 30 كلم على سفح الأطلس، وقد كانت عبارة عن مدينتين مواجهتين لبعضهما وهما : أغمات ايلان، وأغمات اوريكة، وكان بينهم خصام مستحكم فرق بينهما حتى في دور العبادة، وقد انتهى هذا الخلاف فيما بعد واندثرت أغمات أوريكة وبقيت الأخرى، وذكر المؤرخون بأنها كانت في القرن 16 الميلادي تشتهر بوفرة مياهها.
انظر لسان الدين بن الخطيب، **معيار الاختيار**، ص 78، وصفي الدين البغدادي، **مراصد الاطلاع**، 1 : 98، والعباس بن ابراهيم، **الاعلام**، 1 : 100 ــ 110.

(22) هو محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الهزميري الأغماتي، فيه وفي أخيه عبد الرحمٰن ألف الامام ابن تيجلات المراكشي كتابه : **أثمد العينين ونزهة الناظرين، في مناقب الأخوين**. وقد ترجم له العباس بن ابراهيم ترجمة مطولة في **الاعلام**، 4 : 253 ــ 281 رقم 570، وانظر أيضا أ. بن قنفذ، **أنس الفقير**، ص 66 ــ 70.

(23) انظر ترجمته عند أ. بن قنفذ، **أنس الفقير**، ص 6 ــ 9 وقد ترجم له العباس بن ابراهيم ترجمة مطولة في **الاعلام**، 1 : 234 ــ 325 رقم 87. كما ألف برسمه ابن الموقت كتابه المسمى : **تعطير الانفاس، في التعريف بالشيخ أبي العباس**. (طبع طبعة حجرية بفاس سنة 1336 هـ 1918).

(24) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 3 : 143 ــ 144 رقم 371، وابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، 4 : 271 ــ 272، وأ. بن قنفذ، **وفيات**، ص 65، وم. العابد الفاسي، **فهرس**، 225 ــ 226.

(25) ألف برسمه أ. بن قنفذ كتابه المسمى : **أنس الفقير وعز الحقير في رجال من أهل التصوف : أبي مدين وأصحابه**.
وانظر يوسف بن الزيات، **التشوف**، ص 316 ــ 325 رقم 162، وأ. بن القاضي، **جذوة**، 2 : 530 رقم 609، وم. بن مريم، **البستان**، ص 108 ــ 114 وأ. بابا، **نيل**، ص 127، وم. بن مخلوف، شجرة، ص 164، رقم 508، وابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، 4 : 303،وخ. الدين الزركلي **الاعلام**، 3 : 244.

يأتي البقيع [26]، ويقول : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غدا مؤجلون وأنا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغَرْقَد [27].

أسأل الله لنا ولكم العافية.

وفي زيارة القبور أحاديث، وهي من فعل السلف قديما وحديثا. ومما قيده أبو المجد مالك ابن المرحل المالقي [28] ليكتب على قبره، ما أنشدنيه شيخنا أبو راشد :

زر غريبــــــا بمغـــــرب	نازحـــا مالـــــه ولـــــي
تركـــــوه موســـــــدا	بيـــــن ترب وجنـــــدل
ولتقــــل عنــــد قبــــره	بلسان التذلـــــــــل
رحــــم الله عبـــــده	مالك بن المرحـــــل [29]

توفي ـــ رحمه الله تعالى ـــ سنة تسع وتسعين وستمائة [30]. ومن ذلك أيضا ما ناولنيه الكاتب الأعظم، والخضم المفخم : أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي في ورقة ما نصه : وقلت لينقش على قبرية ضريح مولانا الامام المهدي [31] أمير المؤمنين ـــ قدس الله روحه ـــ باقتراح أمير المؤمنين ـــ أيده الله ـــ :

---

(26) البقيع : يقصد بقيع الغرقد، وهو مقبرة أهل المدينة.
انظر ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 2 : 473 ـــ 274.

(27) أخرجه مسلم في **الصحيح**، 3 : 63، عن عائشة.

(28) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **جذوة**، 1 : 327 ـــ 333 رقم 348، ولسان الدين بن الخطيب، الاحاطة، 3 : 303 ـــ 324، وج. السيوطي، **بغية الوعاة**، 2 : 2871 رقم 1960، وم. الكتاني، **سلوة**. 3 : 99 ـــ 101، وأ. المقرى، نفح، 2 : 232، 233، 551، 4، 145، 5 : 245 ـــ 246، 7 : 453، 459، وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 6 : 138، وعبد العزيز بن عبد الله، **الموسوعة المغربية**، 2 : 109، وعبد الله كنون، **النبوغ**، 1 : 225 ـــ 226، **وسلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب**، العدد 8، ومحمد بن شقرون، **مظاهر الثقافة المغربية** ص 59 ـــ 64، وكذلك كتابه بالفرنسية :
La Vie Intellectuelle, 141 - 146

(29) انظر الابيات في **فهرس ابن غازي**، ص 73.

(30) 699 هـ توافق 1299 / 1300 م.

(31) استغلت المهدوية في المغرب استغلالا سياسيا غير ما مرة، فقامت عليها دولة الموحدين، واستعملها السعديون استعمالا محدودا في بداية أمرهم مع محمد الشيخ، وستظهر من جديد في أواخر الدولة السعدية.

حي ضريحـا تغمدتـه رَحمـات — وظلـلت لحـده منهـا غمامـات
واستنشقن نفحة التقديس منه فقد — هبت من الخلد لي منها نُسيمات
لَحْدٌ به كورت شمس الهدى فكست — من أجلها السبعة الأرضين ظُلْمات
يا مهجة غالهـا غول الـردى قنصا — وأثبـتت سهمهـا فيهـا المنيـات
دكت لموتك أطواد العـلا صعقـا — وارتج من نعيك السبع السمـوات
قد شيعت نعشك المُزجَى إلى عدن — من المـلائك ألحـان وأصوات
كان الثريـا معـادا تعتليـه وقـد — أصبحت تحت الثرى تعلـوك ذرات
يا رحمـة الله عاطيـه سُلَافَ رِضًى — تدور منهـا عليهـا الدهـر كاسات
قضى فوافق في التاريـخ منـه جلا — دار إمام الهدى المهدى جنات (32)

ومن هذا المعنى ما لأبي بكر محمد بن ولاد من أهل شلطيش (33) من غرب الأندلس، وجد بخطه بعد موته له :

أرجوك يارب في سري وفـي علنـي — إن الرجـاء إلـيك اليـوم يحملنـي
من ذا يؤنسنـي في القبـر منفـردا — إن لم تكـن يا مولاي تؤنسنـي
وسوف يضحك خِلٌّ قد بكى جزعـا — بعدى ويسلو الذي قد كان يندبني
ذنبي عظيم ومنك العفو ذو عظم — فكيـف يا رب عن عفـو تُخيبنـي
سميت نفسك رحمانا فقد وثـقت — نفسي بأنك يارحمـن ترحمنـي

ولابي بكر بن مُغاور (34) :

أيهـا الواقـف اعتبـارا بقبـري — استمـع فيـه قول عظمـي الرميـم
أودعونـي بطـن الضريـح وخافـوا — من ذنـوب كلومهـا بأديمـي
قلت : لا تجزعـوا علـيَّ فإنـي — حسن الظـن بالـرؤوف الرحيـم
وَدَعُونـي بمـا أكـتسبت رهينـا — غَلِقَ الرَّهْـنُ عن مولًـى كريـم (35)

---

(32) انظر الابيات عند أ. المقرى، روضة، 150 والافراني، نزهة، 44.

(33) شلطيش : (Saltes) بلدة صغيرة في الأندلس غربي اشبيلية على البحر. انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3 : 359.

(34) انظر ترجمته عند صفوان بن ادريس، زاد المسافر، ص 37.

(35) انظر الابيات عند الصفدي في الوافي بالوفيات، 2 : 21، وزاد المسافر ص 37.

ولابي اسحاق بن خفاجة :

خليلـــيَّ هل من وقفـــة لتألـــم على جثتـــي أو نظـــرة بترحـــم
خليلي هل بعـــد الـــردى من ثنيـــة وهل بعد بطـن الأرض دار مخيـم [36]

ومنهـــا :

ومـــاذا عليـــه أن يقـــول مجيبنـــا ألا عِمْ صباحا أو يقول ألا أسْلَـــمِ
وفـــاء لأشلاءٍ كَرُمْـــنَ علـــى البِلَـــى فعـــاج عليهـــا من رفـــاتٍ وأعظـــم
يردد طورا أنَّةَ الحـــزن عندهـــا ويـــذرف طورا دمعـــة المترحـــم

ولابي بكر محمد بن ابراهيم القرشي العامري [37] الخطيب النحوى، من أهل شِلْب [38]، وأصله من مدينة باجة [39] له، ورسم أن يكتب على قبره :

لئـــن نُفِّـــذَ القـــدر السابـــق بموتـــي كمـــا حكـــم الخالـــقُ
فقـــد مات والدنـــــا آدم ومـــــات محمـــــد الصادق
ومـــات الملـــوك وأشياعهـــم ولـــم يبـــق من جمعهـــم ناطـــق
فقـــل للـــذى سره مهلكـــي تأهب فإنك بي لاحـــــق [40]

حكى أن ابن الخطيب السلماني لما توفي رىء في المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر الله لي بسبب بيتين هما في مشرق الغرفة، فبحث عنهما فوجدا به، وهما :

يا مصطفـــى من قبـــل نشأة آدم والكـــون لم تفتـــح له أغـــلاق

(36) البيتان لا يوجدان في **ديوان ابن خفاجة**، ويوجدان عند الصفدى في **الوافي بالوفيات**، 2 : 20 ــ 21، بنفس النسبة.

(37) انظر ترجمته عند الصفدى في **الوافي بالوفيات**، 2 : 20، وج. السيوطي، **بغية الوعاة**، 1 : 17 رقم 23.

(38) شلب : مدينة تقع في أقصى الجنوب الغربي للبرتغال، جنوب باجة.

(39) باجة : Beja، اسمها اللاتيني : Pax Julia، مدينة بالبرتغال تقع على بعد 140 كلم جنوب شرقي لشبونة، وكانت أيام العرب مزدهرة، وينتسب إليها علماء وأدباء معرفون.

(40) انظر الابيات عند الصفدي في **الوافي بالوفيات**، 2 : 20، وج. السيوطي، **بغية الوعاة**، 1 : 17.

أيـــروم مخلـــوق ثنـــاءك بعدمـــا أثنـــى علـــى أخـــلاقك الخـــلاق ؟

وقد خمسها الأستاذ أبو عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن جابر الغساني [41]، شيخ أبي عبد الله القوري ـــ قدس الله روحه ـــ وأسكنه من الجنان فسيحه.

يا سائـــرا لضريـــح خيـــر العالـــم ينهـــي إليـــه مقـــام صب هائـــم
باللـــه ناد وقـــل مقالـــة عالـــم يا مصطفـــى من قبـــل نشأة آدم
والكون لم تفتح لـه أغلاق
بثناك قد شهدت ملائكـــة السمـــا والله قد صلـــى علـــيك وسلمـــا
يمـــا مجتبـــيً ومعظمـــا ومكرمـــا أيـــروم مخلـــوق ثنـــاءك بعدمـــا
أثنى علي أخلاك الخلاق [42]

توفي ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب السلماني بسجن فاس مخنوقا [43] ـــ رحمه الله تعالى ـــ سنة ست وسبعين وسبعمائة، منسوبا إلى سلمان [44]، وسلمان فخذ من مراد.

ومن هذا المعنى ماروي أن أبا مالك عبد الواحد بن أحمد الونشريسي [45] لما توفي رآه في

---

(41) انظر ترجمتع عند أحمد بن القاضي، **درة**، 2 : 278 ـــ 279 رقم 790، **جذوة**، 1 : 317 ـــ 319 رقم 327، م. بن غازي، **الروض الهتون**، ص 22، وع. بن زيدان، **اتحاف**، 3 : 590، وم.بن مخلوف **شجرة**، ص 251 ـــ 252 رقم 912، وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 8 : 10، وعبد العزيز بن عبد الله، **الموسوعة المغربية**، 1 : 57.

(42) انظر أ. المقرى، **أزهار الرياض**، 1 : 319.

(43) كانت حياة ابن الخطيب متقلبة الى حد كبير، إذ تأثرت بتقلبات الأحوال السياسية في كل من فاس وغرناطة، وكانت بداية نهايته في عهد السلطان المريني أحمد بن السلطان أبي سالم، الذي تولى سنة 776 هـ إذ أسرع بالقبض على ابن الخطيب، وعقد مجلسا نوقش فيه هذا الأخير حول الادعاءات المحوكة ضده، وخاصة دعوى الالحاد التي صاغها ضده القاضي النبهاني، لكن هذا المجلس كان في الواقع مجلسا صوريا، إذ أن نتيجة المحاكمة كان متفقا عليها في كل من فاس وغرناطة، وافتى الفقهاء المتعصبون بأعدامه شرعا، وأعيد ابن الخطيب إلى السجن حيث دبر له الوزير المريني سليمان بن داود أمر قتله في السجن مخنوقا في سنة 776 هـ / 1375 م.

(44) سلمان : حي من مراد من عرب اليمن القحطانيين، دخل الأندلس منهم جماعة من الشام. انظر أ. المقرى، **نفح**، 5 : 22.

(45) انظر ترجمته عند تلميذه أحمد المنجور، **فهرس**، ص 12 رقم 4، وم. بن عسكر، **دوحة**، ص 52 رقم 36، وأحمد بن القاضي، **درة**، 3 : 139 ـــ 140 رقم 1094، **لقط الفرائد**، ص 264، 290، 300، 310، 311، 313، وم. الفشتالي، **لامية**، البيت 165، وأ. بابا، **نيل**، ص 188، وم. العربي الفاسي، **مرآة**، ص 164 ـــ 165، وأ. المقرى، **أزهار الرياض**، 1 : 224 و 336، 3 : 307. نفح .

المنام الولي الصالح الخطيب : أبو شامة بن ابراهيم المشترائي الدكالي (46)، توفي سنة أربع وستين وتسعمائة (47) فقال له : ما فعل الله بك ؟

فأنشأ يقول :

لقد مسني رضوان ربي وفضله ولم أر إلّا الخير في وحشة القبر
وأني أسأل الالاه بفضله ليحفظني يوم الخورج إلى الحشر
وما بعد ذاك من أمور عسيرة كنشر الكتاب والجواز على الجسر
بجاه النبي الهاشمي محمد وأصحابه والآل ذي الشرف الغر (48)

توفي أبو مالك عبد الواحد بن أحمد سنة خمس وخمسين وتسعمائة. حدثني شيخنا أبو راشد أن أبا نواس الحسن بن هانىء البصرى، لما مات رىء في المنام فقيل له : يا أبا نواس، ما فعل الله بك ؟ فقال له : لات حين الكناية قل ابن هانىء ! اعلم أن الله غفر لي بسبب أبيات وهي في الوسادة، ففحص عنها فإذا فيها هذه الأبيات في رقعة :

يا رب أن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسن فمن الذي يرجو المسيء المجرم
أدعوك رب، كما أمرت، تضرعا فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم
مالي إليك وسيلة إلا الرجا وجميل ظني ثم إني مسلم (49)

---

7 : 406، وم. القادري، نشر، 1 : 28 و 107، وم. الحضيكي، طبقات، 2 : 200 — 204، وم. الحجوى، الفكر السامي، 4 : 101، وم. الكتاني، سلوة، 2 : 146 — 148، وم. بن مخلوف، شجرة، ص 282 — 283 رقم 1086، وم. حجي، الحركة، 2 : 350، وعادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص 107 — 108.

C. Brockelmann, Sup. 273.

(46) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، درة، 2 : 207 رقم 650، جذوة، 1 : 248 رقم 243، وأ. المنجور، فهرس، ص 12 رقم 5، وم. الحضيكي، طبقات، 1 : 156 — 157، وم. بن عسكر، دوحة، ص 57 رقم 40، وم. الكتاني، سلوة، 2 : 131، وم. حجي، الحركة 2 : 352.

(47) 964 هـ توافق 1557 م.

(48) انظر الابيات في فهرس أ. المنجور، ص 55.

(49) أسندها لراويها أبو بكر الانبارى في نزهة الالباء، في طبقات الادباء، ص 68 — 69، بالشكل الآتي : « قال أحمد بن يحيى عن محمد بن رافع قال : كان أبو نواس لي صديقا فوقعت بيني وبينه هجرة في آخر عمره، ثم بلغتني وفاته فتضاعف علي الحزن فبينما أنا بين النائم واليقظان إذ أنا به، فقلت : أبا نواس، =

وقيل إنما وجد في الوسادة هذه :

تأمل في نبات الأرض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين جاريات ... على أطرافها الذهب السبيك
على قضب الزمرد شاهدات ... بأن الله ليس له شريك

وقيل هذه الأبيات، وكانت في جدار داره :

إني رضيت عليا قدوة حكما ... كما رضيت عتيقا صاحب الغار
وقد رضيت أبا حفص وسيرته ... وما رضيت بقتل الشيخ في الدار
إن كنت تعلم أني لا أحبهم ... إلا بحبك فاحجبني من النار

حكي أن العتبي كان جالسا عند قبر النبي ﷺ فدخل أعرابي للضريح المطهر، وجعل يقول : السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا خير خلق الله، إني سمعت الله تبارك وتعالى يقول : « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك، فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول، لوجدوا الله توابا رحيما [(50)] ». وقد جئتك مستغفرا من ذنبي، مستشفعا بك ربي، وأنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... وطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

= فقال : لات حين كنية، فقلت : الحسن بن هانىء، قال : نعم، قلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي ــ عز وجل ــ بأبيات قلتها، وهي تحت ثني الوسادة، فأتيت أهله، فلما أحسوا بي أجهشوا بالبكاء، فقلت : هل قال أخي شعرا قبل موته ؟ قالوا : لا نعلم إلا أنه دعا بدواة وقرطاس وكتب بيتا لا ندري ما هو، فقلت : ائذنوا لي أن ادخل، فدخلت إلى مرقده فاذا ثيابه ل تحول بعد، فرفعت وسادة فلم أر شيئا، ثم رفعت أخرى إذا برقعة مكتوب فيها :

يا رب ان عظمت ذنوبي كثرة ... فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسن ... فبمن يلوذ، ويستجير المجرم
أدعوك رب، كما أمرت، تضرعا ... فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم
مالي إليك وسيلة إلا الرجا ... وجميل عفوك ثم إني مسلم

(50) الآية 64 من سورة النساء.

فنامت عينا العتبي في الحال، فرأى النبي ﷺ في الحال، وقال له : يا عتبي، الحق الأعرابي وقل له : إن الله غفر لك (51). حدثني بهذه الحكاية صاحبنا الفقيه أبو القاسم بن محمد الوزير الغساني (52). وبالجملة فالزيارة فيها فكرة للمتفكرين، وعبر للمتعبرين، وهي لزجر النفس من أعظم الأسباب، وما يتذكر الا أولو الألباب.

---

(51) انظر القصة عند الماوري في **الأحكام السلطانية** : 109 — 110، وابن مليح السراج، **أنس الساري**، 98 — 99.

(52) أبو القاسم بن محمد الوزير الغساني هو أشهر طبيب مغربي في العصر السعدي على الاطلاق، وقد اعترف له بالفضل في هذا الميدان جميع المعاصرين له مثل أحمد بن القاضي في **المنتقى ودرة الحجال**، 3 : 289 رقم 1368، وأحمد المقرى في **روضة الآس**، ص 217 — 223.

واحتفظت المكتبات العامة والخاصة بالعديد من كتبه التي تدل كلها على براعته في هذا الميدان مثل :

— **حديقة الازهار، في شرح ماهية العشب والعقار**، مخطوطات م. ع بالرباط أرقام 1684 د و 1685 د و 1686 دو وكلها مبتورة، م. م. بالرباط رقم 2994 تام.

— **اختصار حديقة الأزهار**، مخطوطات م.ع بالرباط أرقام 760 د، 359 ج، م. م. بالرباط 1063 و 7336.

— **تفسير بعض الأعشاب والعقاقير**، مخطوط م. ع بالرباط رقم 1121 د ضمن مجموع، ورقة 140 — 154.

— **الروض المكنون، في شرح رجز ابن عزرون**، مخطوطات متعددة، أحسنها مخطوط. م. ع. بالرباط رقم 1386 بخط المؤلف.

ملاحظـة :

تمكن الاستاذ محمد المنوني من العثور على تاريخ وفاته عند ميارة في شرحه على المنظومة العاصمية، وهو سنة 1019 هـ. ومن المعلوم أن القادري وضعه في عداد من لم يقف على تعيين زمن وفاتهم من أهل المائة الحادية عشرة.

الباب السادس

* في حسن ظنه بالله الكريم
وقوة رجائه في فضله الجسيم

لاشك أنه لا يتصف بمثل هذه النادرة الجليلة ، والخصلة الجميلة ، إلا النادر من السعداء ، ولا يمكن أن تكون لأحد من المطرودين البعداء ، لأن الوثوق بالله والتوكل عليه ، أمر عظيم وسبب فيما لديه ، فهو ــ أيده الله ــ قوي الرجاء في فضل الله ، شديد التوكل في أفعاله كلها على الله ، كثير الخوف منه ، واقف عندما حد له ، فلقد جمع بين الرجاء والخوف كما هو شأن المومن الكامل العالم العامل ، واختلف في أيهما أفضل : هل الرجاء ؟ أم الخوف ؟ والمختار أن الانسان يغلب الخوف حال الصحة ، والرجاء حال المرض والكبر ، ووردت أخبار تدل على فضل الجمع بينهما ، وكذلك آي من **القرآن** العظيم كقوله تعالى : ﴿فلا يأمن مكر الله [1]﴾، و ﴿أنه لا ييأس من رَوْح الله القوم الكافرون﴾ [2] ،وقال تعالى : ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾ [3] ، و ﴿وإن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾ [4]

وفي **الصحيح** :« لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ، ولو علم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد »، رواه مسلم [5] ، وعن أبي سعيد الخدري [6] ــ رضي الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ قال : « إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم ، فإن كانت صالحة قالت : قدموني ! قدموني ! وإن كانت غير صالحة قالت : ياويلها ! أين تذهبون بها ؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الانسان ، ولو سمعه صعق »

---

(1) الآية 99 من سورة الأعراف.
(2) الآية 87 من سورة يوسف.
(3) الآية 106 من سورة آل عمران.
(4) الآية 167 من سورة الأعراف.
(5) أخرجه مسلم في **الصحيح**، 8 : 97، عن أبي هريرة.
(6) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 3 : 138، والمصادر بالهامش 1.

أخرجه البخاري (7) . وعن ابن مسعود (8) ـــ رضي الله عنه ـــ قال : قال رسول الله ـــ ﷺ : « الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك » ، رواه البخاري ، (9) . ومولانا ـــ أيده الله ، وسدده ـــ اتصف بهما : أي بالخوف والرجاء ، واتفق العقلاء على هذا . واتصف أيضا بحسن الخلق والخلق ، ولقد مدح الله بهما نبيه ﷺ فقال : ﴿وأنك لعلى خلق عظيم﴾ (10)، وقوله تعالى : ﴿ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضُّوا من حولك﴾ (11).
وبالجملة فقد جمع من خوف الله عز وجل ورجائه في شدائده مالم يجمعه غيره ولله در القائل :

يا رجائي في شدتي يا قريب ... يا سميع لمن دعايا مجيب
أنت حي مهيمن صمدي ... أنت لا والد ولا مولود
أنت نور السما وأنت هداها ... أنت في القلب حاضر لا تغيب
تعست ليلة عصيتك فيها ... كيف لا أستحيي وأنت الرقيب
أنت عزي وملجئي وغياثي ... أنت قصدي وقاصدك لا يخيب
أنت ذخري وعدتي وملاذي ... ليس للقلب في سواك نصيب
أنت حي وما سواك محال ... يا مرادي وسيدي يَا حبيب
أنت أوقفتني ببابك عبدا ... داوني سيدي فأنت الطبيب
أنت نور الوجود في كل حال ... منك فيه لوامع لا تغيب
كل كون بدا لسرك يُجلي ... عشقت سره لهذى كذا القلوب
نطقت ألسن العوالم جَمْعاً ... إنك الله واحد وقريب
وجذبت القلوب باللطف جذبا ... فتراها من الغرام تطيب

ولبعض المحبين :

أضحى محبك ساكب العبرات ... يا من مماتي في هواه حياتي
وسقيتني من كاس حبك شربة ... فسكرت منه وطاب فيه مماتي
غنى بذكرك يا حبيبي منشدي ... فطربت عند حلاوة النغمات

---

(7) أخرجه البخارى في الصحيح، 2 : 87، عن أبي سعيد الخدرى.
(8) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، الاعلام، 4 : 280.
(9) أخرجه البخاري في الصحيح، 7 : 186 ـــ 187 ، عن عبد الله بن مسعود.
(10) الآية 4 من سورة القلم.
(11) الآية 159 من سورة آل عمران.

فتواجدت روحي وطاب تهتكي وتصاعدت من مهجتي زفرات
أقصر عذولي عنك، عذلي إنني قد طاب فيه تمزقي وشتاتي
ولقد جلا قلبي بطيب حديثه حتى صفت في حبه مرآتي
فيكم ومنكم سادتي وبفضلكم قد أشرقت بجمالكم مشكاتي
أسمعتني من قبل جَمْعِ تَكَوُّني بِأَلَسْتُ، قلت : بلى وكل جهاتي
وشهدت في توحيده بكماله وبلطفه في سائر الحالات
وطرقت بابك سيدي من فاقة كم طارق أتحفته بصلات
لبيت لما جاءني منك الندا وسعيت من شوقي على وجناتي
ووقفت في عرفات أوقات المنا ورميت أحشائي على الجمرات
وأتيت في نسكي بكل لطيفة وأزلت ما عندي من الحسرات
وأفاض في قلبي جواهر فضله ولقد ملا من فضله راحاتي
بشراك يا قلبي بما قد نلته بتلاوة الأذكار في الخلوات

ولبعضهم :

إذا شهدت يوم المعاد جوارحي فكيف خلاصي من ظهور قبائحي
اذا قالت العينان : تذكر ساعة نظرت بنا للمنكرات الفضائح
وقال لساني : كم نطقت بباطل وكنت إلى العصيان أول رائح
فإني إلى نار تلظى جحيمها أساق ذليلا خاسرا غير رابح
فان مَنَّ ذو الغفران بالجود والرضى نجوت وإلا كنت رهن فضائح

ولبعضهم :

قم في الدجنة لائذا بجنابه فعساك تحظى ساعة بخطابه
واسكب دموعك في الظلام بخشية فلعل تسقى من رحيق شرابه
فالقوم قد وقفوا بباب مليكهم طوبي لهم فازوا برفع حجابه
ناداهم طيبوا فقد أسقيتكم كاس المحبة أنتم أولى به
فتمايلوا طربا لطيب حديثه ولذاك باتوا واقفين ببابه
واحسرتي ذهب الزمان ولم أزر تلك القباب وأحتمي بجنابه
ياليت شعري هل أنال مآربي قبل الردى وأعود في محرابه

وتعـود أيـام الـوصال فأنثني ... نحـو الضريـح مقبـلا لترابـه
صلـى علـيك الله في ملكوتـه ... وعلـى جميـع الآل ثم صحابـه

ولبعضهم :

قلب أحب سواك لا نال المنى ... وجنت عليه يد الصدود بما جنى
كيـف التعـوض عن هواك بغيـره ... ولنا إلـيك الفقـر لا عنك الغنى
لاغـرو أن يقضي بحـبك عاشق ... وجـد الممـات ألـذ شيء يقتني
أن لم تمت روحـي جوى وتشوقـا ... فأنا المسيء وقد وجدتك محسنا
يا من تجلـى في الوجـود لناظـري ... فوجدتـه من كل شيء أحسنـا
لمـا دعـاه هواك لبـى طائعـا ... وتصورت كل الجـوارح ألسنـا
قد مسنـي ضر فإن تك راضيـا ... لي بالضنى يا حبـذا ذاك الضنى
صل عاشقا هجر الكرى وجفا الورى ... ورأى المحبـة دينـهُ فتدينـا

ولبعضهم :

كرر حديث أحبتـي يا مطـرب ... إن الحـديث عن الأحبـة طيب
أحيـيت أمـوات القلـوب بذكرهـم ... فأعد وقـل لا عاش من لا يطـرب
وإذا تهـتك عاشق من شوقـه ... وبكـى وبـاح بسره لا يعـتب
من ذا يطيق الصبر عند سماع من ... أوصاف من لهـم الملاحـة تنسب
طاب السمـاع فكيـف ما وافيتـه ... تذكارهـم من كل طيب أطـيب
وعلى الوجـود أديـر كاس هواهـم ... يا أيهـا الظمـآن لم لا تشرب
هم جيرة الـوادي الذيـن بقربهـم ... تحيـا قلـوب العاشقيـن وتسلب

وللشيخ محيي الدين النووي (12) :

أنظرَ إلى الأطلال كيـف تغيـرت ... من بعد ساكنهـا وكيـف تنكـرت
سحب البِلَـى أذيالـه برسومهـا ... فتساقـطت أحجارهـا وتـكسرت
لمـا نظـرت تفكـرا لديارهـم ... سحت جفونـي عبـرة وتحـدرت

---

(12) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 9 : 184 — 185، والمصادر بالهامش 1.

لو كنت أعقل ما أفقت من البكـا — حسبـي هنـاك ومقلتـي ما أبصرت
نصبت لنا الدنيا زخـارف حسنهـا — مكـرا بنـا وخديعـة ما فتـرت
غدارة لم تحـل قط لذائـق — إلا تغيـر طعمهـا وتمـررت
خداعـة بجمالهـا إن أقبـلت — فجاعـة بزوالهـا إن أدبـرت
وهابـة سلابـة لهباتهـا — طلابـة لخلائهـا ما عمـرت
واذا بنت أمـرا لصاحب ثروة — نصبت مجانقهـا عليـه فدمـرت

ولبعضهم :

طابت بطـيب وصالكـم أوقاتـي — وصفـا بقربكـم نعيـم حياتـي
وعَلَـيَّ في حانـات ذكـر هواكـم — طافت بخمـر وصالكـم كاساتـي
فهُـدِيتُ لمـا انصفت وتشعشعت — وسعت أشعـة نورهـا في ذاتـي
واستعـذبت لذات عيشي كلهـا — وصفت بصفوتهـا جميـع صفاتـي
فهي التي ما خامرت قبل امـرىء — إلا وزالت ظلمـة الشبهـات
فأتـيت حَانتهـا أطـوف ملبيـا — وبنورهـا أسعـى إلـى ميقاتـي
فرمت بخمرتهـا صميـم حُشاشتـي — فالقـلب منقـلب علـى الجمـرات
نلت المنى بمنـى علـى عرفاتهـم — أنكـرت أُلاَفِـي علـى عرفـات
قلبـي يشاهدكـم وصفـو سريرتـي — تخلـو بكـم بالذكـر في خلواتـي
ما غبتـم عن ناظـري حاشاكـم — في سائـر الحركـات والسكنـات
وأنـا الفقيـر المستجيـر بعفوكـم — فتعطفـوا بالصفـح عن زلاتـي
يا سادتـي فتحكمـوا ما شئتـم — في عبدكـم فالحكـم للسادات

ولرابعة [13] ــ رضي الله عنها ــ :

لك في القلـوب منـازل ومقـام — لا العقـل يدركهـا ولا الأفهـام
ولقلبـي المشتـاق فيك صبابـة — لا الدهـر يُنفِدُهـا ولا الأيـام
وسرت إلـى الأرواح منك نسيمـة — سكـروا بها الـعشاق فيك وهامـوا

(13) انظر ترجمتها عند أحمد بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 2 : 285 رقم 231، وكذلك كتاب عبد الرحمٰن بدوي، **رابعة العدوية شهيدة العشق الالهي**، وفيه ذكر لمصادر ترجمتها. وأيضا أحمد الشريشي شارح المقامات، 2 : 231.

من أصبحت خطرات ذكرك قوته وفؤاده مأواك كيف ينام
ومن التجا بجناب عزك ذِلَّةً واستمسك بعراك كيف يضام
ما الوجد وجد أن عداك ولا الهوى الا هواك ولا الغرام غرام
وإذا خلت منك الخيام وأصبحت مأوى سواك فما الخيام خيام

ولبعضهم :

جسمي على حكم الضنى موقوف أبدا وطرفي بالبكا مطروف
والقلب حول جمالكم ورضاكم يسعى على قدم الصفا ويطوف
فبحسنكم قلبي يهيم صبابة وبحبكم أبدا أنا موصوف
وبوصلكم قد عدت من هجرانكم فأنا الحزين وقلبي الملهوف
وبكم عرفت، فكيف تنكّر حالتي فبحقكم لا يقطع المعروف
مالي سوى أبوابكم ياسادتي والقلب من هجرانكم مرجوف
حاشاكم أن تطردوا عبدا لكم عن بابكم قد جاء وهو مخوف
يبغي الأمان ومنكم يرجو الرضى والستر فهو لديكم مكشوف

ولبعضهم :

قلبي لطول بعادكم يتمزق ومدامعي من مقلتي تتدفق
ولهيب أحشائي يفوق على لظى فلذاك تلفى (كذا) جمر دمعي تسبق
وترى لها هطلا إذا أبدى الهوى خوفا وان سكن الجوى تترفق
والقلب يرعد والمدامع سُحْبُها تهمي وأسياف المنايا تُبْرُقُ
وأنا الذي أمسي وأصبح في الهوى سكران لكن المدام تشوق
واذا رأى خالي الهوى حالي بكم أضحى يقول : جنون هذا مطبق
ويقول لو نام استراح، أفي الهوى نوم وسلطان الهوى لا يرفق

ولنرجع إلى ما كنا بصدده.

فمن شدة توكله على الله عز وجل أن مكنه الله من ناصية كل مناوىء له، ومهد له البلاد والعباد. فمن نيته الصالحة، وهمته الزكية وبركته الواضحة، يقول : أنا بالله تعالى لا بغيره، وأموري كلها بيده.

ولمؤلفه في هذا المعنى :

رفعت أموري إلى خالقي جميعا وفوضت حالي إليه
لذاك كفاني ما أتقي من الضيم، حسبي اتكالي عليه

ولابن جابر في مثل هذا المعنى ـــ أعني أبا عبد الله محمد بن يحيى المتقدم ذكره ـــ :

نظرت إلى الوجود بعين قلبي فلم أر فيه غير الله وحده
فكن بالله وارج الله واعمل للقيا الله تأمن كل شده

وله ومن خطه نقلت :

على قدر نية أهل التوكل يعطيهم الله منه المعونه
فإن صحح العبد إيقانه كفاه المهيمن هم المئونه

وله أيضا :

إذا كان ظني بربي جميلا ولم اتخذ غيره لي وكيلا
أتتني لطائفة بالذى رجوت وكان بأمرى كفيلا

الباب السابع

* في نظره في أمر رعيته وأحوالها
وملاحظته لشؤونها وأفعالها

---

* ورد الشطر الثاني من العنوان في « ج هكذا :
وملاحظته لجميع شؤونها وأفعالها.

اعلم أنه ـــ أيده الله تعالى ـــ قد سن في رعيته سنة اهتداء، وانتهج فيها مناهج اقتداء، وذلك كله من فعل عظماء السلاطين المهتدين. فمما سن في ذلك ما قدمناه أنه إذا صلى الجمعة تارة يجلس بمقصورة المسجد وتارة عند ضريح والده ـــ قدس الله روحه، وأسكنه من الجنان فسيحه ـــ وتارة بقبته الخمسينية التي شادها في بديع أنسه للشكية، فتعرض عليه في المواضع المذكورة القضايا، وترفع له هناك الشكايا، فيقضي فيها بعد له وقسطه، ولا يخرج عنه في حالتي قبضه وبسطه، وربما يعرض عليه شيء منها في أيام الديوان : السبت والاثنين والأربعاء، بل لا بد وأن يعرض عليه منها في كل يوم. ويعين لشأن الرعية من يثق بنصحه لعباد الله المسلمين وفيه شفقة على أمة محمد من الرؤفاء الرحماء، الناصحين الكرماء. فممن عينه لذلك الفقيه الصوفي المحب المفتي الحافظ الزاهد الخير، الورع الدين، الهين اللين، الخاشع الأواه : أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الشريف الحسني ـــ أحسن الله إليه، وأسبل نعمه عليه ـــ والفقيه الأجل، القاضي الأعدل، قاضي القضاة بالحضرة العلية، من الديار المراكشية : أبو القاسم بن علي الشاطبي، والفقيه الأجل الأكمل، الأتقى الأنقى، الأسعد الأصعد، الأنصح لعباد الله تعالى : أبو الحسن علي بن سليمان التاملي. ومن الفقهاء الكاتب الفقيه الكاتب، الناظم، الناثر، حجة الاعلام، وحسنة الليالي والأيام، أبو فارس عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم الفشتالي، والفقيه الكاتب الحافظ، الناظم، الناثر : أبو عبد الله محمد بن علي الفشتالي ـــ أعلى الله مقامه، ورفع أقلامه ، والفقيه الكاتب اللوذعي، الفكاهة الحافظ، الناظم الناثر، الأسمى الأسنى : أبو عبد الله محمد بن عمر [1] وغير هؤلاء ممن يطول ذكرهم. ومن وزرائه كالقائد الأعظم، والخضم المفخم،

(1) يقصد أبا عبد الله محمد بن عمر بن قاسم الشاوي، الأديب، الناظم الناثر، اللوذعي، قال عنه م. الافراني في **نزهة الحادي** : « ... وكان قديم الصحبة للمعتصم، واغترب معه في بلاد الجزائر مدة مديدة، وستين عديدة، فلما أفضت الخلافة للمنصور سوغه مغارم مسفيوة بمداشرها مكافأة على الهجرة... ».
انظر ترجمته عند م. الافراني، **نزهة**، ص 125، والعباس بن إبراهيم، **الأعلام**، 5 : 180 ـــ 182 رقم 653، وعبد الله كنون، **النبوغ**، 2 : 602.

الأسمى الأسنى، الأمجد الأنجد، الأحظى الأرضى، المحسن الأنصح، القائد الأرجح : أبو سالم ابراهيم بن محمد السفياني الروقي صانع إيالته العلية، وناصح دولته الهاشمية، فكم من حسنة نيلت على يده ــ أيده الله ــ وكم من محمدة اكتسبت من لدنه ــ أبقاه الله ــ. ويعين في كل سنة من يتفقد أحوال رعيته، ومن ينهي أمرها بحضرته، ويأخذ العهد من خواصه وجلاسه على مثل هذه الأمور ألا يخفوا عنه شيئا، جل أو صغر، ولا يغادروه صغيرة ولا كبيرة من أحوال رعيته، وقد يتولى بعض هذا بنفسه فيركب ويشق مراكش ليفحص في ركوبه عن أحوال رعيته، ويتوصل إلى شكيته، وقد شاهدت ذلك، ولم يزل على هذا النحو في كل نفس، فأوقاته بالمصالح معمورة، وسيره في ملوك الأرض مشهورة، وهو أبدا رافع لما يرفع إليه من ظلمات الظلم، ويأمر بالنداء في البلدان يرفع ذلك إليه، وقد نودى بذلك سنة أربع وتسعين (وتسعمائة) في سواحل البحر وأنا في ربقة الأسر وبلغ ذلك للكفرة ــ أذلهم الله ودمرهم ــ فبلغ منهم ذلك مبلغا عظيما وشق عليهم كون ملك من ملوك المسلمين يتصف بمثل هذا العدل العظيم، وبمثل هذا القسط الجسيم، ولما أخرجني من الأسر أخبرته بهذا كله وبما وقع منهم ــ أذلهم الله تعالى ولعنهم ــ. فحمد الله لذلك وأثنى عليه. وسلك مسلكه في عدله وهديه أولاده المكرمون المعظمون، المهتدون، فمنهم ولي عهده ووصيه على الخلافة من بعده، مولانا أبو عبد الله محمد المامون ــ أمن الله روعته، وسترعوته ــ لما ولاه مدينة فاس، لاحظ سيرة والده في كل الانفاس [2]. وقد شوهد من عدله في رعيته، وقيامه بالجيش وأكتاد دولته، ما صيره في الخلفاء كنار في علم.

ومن يشابه أبه فما ظلم [3]

وسيره أعظم من أن تحصى، أو يمكن أن تستقصى، وقد مدحه الناس بقصائد، فمن ذلك ما

---

(2) كان المنصور يولي عناية خاصة للمامون على اعتبار أنه ولي للعهد من جهة وكخليفة لأبيه في فاس من جهة أخرى، لكن سرعان ما ظهر في أواخر عهد المنصور سوء تصرفه تجاه الرعية، وعدم خبرته في تسيير الدولة، ومحاولة استبداده بالسلطة، اذ استغل الأوضاع المضطربة آنذاك والناتجة عن الطاعون المستشرى في المغرب، ومرض المنصور سنة 1010 هـ / 1601 م للخروج على والده (انظر رسالة في الموضوع وجهها المنصور إلى ابنه المامون مؤرخة في جمادى الاولى عام 1011 هـ / ماي 1602 م، أوردها م. الافراني في **نزهة الحادي**، ص 182 ــ 183) وقد قام المنصور بمحاولات عديدة لا صلاحه، لكن فشلت كل هذه المحاولات الأمر الذي اضطره إلى سجنه.
انظر في هذا الصدد :
ع. الرحمن الفاسي، **ذكر دولة الشرفاء**، ص 113، **وزهرة الشماريخ**، ص 98.
H. de Castries, Sources, 1ère série anglaise, 2 : 139.

(3) عجز بيت هذا صدره : بأبه اقتدى عدي في الكرم

لكاتبه أبي العباس أحمد بن محمد الفرديس التغلبي [4] قصيدته التي مطلعها :

اهـدى النسيـم تحيـة المشتـاق — وأذاع ذكـــر الشوق في الآفاق
في طي [5] مسراه وليـــنِ هبوبـــه — سِرٌّ يَشِبُّ لواعــــج الأشواق
لمـا سرت للـروح منـه رويحـة — حيت فأحـيت مبتلــى بفــراق

ومنها تخلصا :

هم أتبعـوا بالسيــف كل معانــد — ضربـا علــى الأذقــان والأعنــاق
هم ألحمـو الكفـار كل وقيعـة — فسقوهـم بالطعـن كاس دهــاق
فعلا على الأديـان ديـن نبينـا [6] — من بعــد شرك ثابت ونفــاق
شهـد [7] الأنام بليلة سطعت بهـا — شمس النبـوة تامـة الاشراق
وافتر ثغر الصبح عن ميلاد خيـ — ـر العالميـن الطـيب الاعـراق
أكـرم بهـا وبيومهـا من ليلـة — منهـا انـتشار الحـق في الآفاق
وَفَّى الامام المـرتضى المامـون من — مقدارهـا بالبـذل والانفـاق
وأفـاض اجـلالا وتعظيمـا لهـا — وأصنـاف نعمـى جوده الدفـاق

ومنهـا :

[يَبْدُو وَلَوْن المجـد في قَسَماتـه — أجلـى من الأنـوار في الاشراق[8]]

ومنهـا :

فالديـن يعلـو كعبـة لمقامـه — والكفـر في ذل وفـي ارهـاق

(4) انظر ترجمته عند أحمد بن القاضي، **درة**، 1 : 103 — 105 رقم 144، وأحمد المقرى، **روضة**، ص 183 — 187 رقم 8، وم الافراني، **صفوة**، ص 108، وم. القادري، **نشر**، 1 : 113، والعباس بن ابراهيم، **الاعلام**، 2 : 282 — 285 رقم 221.
(5) عند أ. المقرى في **روضة الآس**، ص 183 : طيب.
(6) عند أ. بن القاضي في **درة الحجال**، 1 : 104 : محمد.
(7) عند أ. المقرى في **روضة الآس**، ص 183 : سعيد.
(8) ما بين المعقوفين سقط من **درة الحجال**، 1 : 104.

لازلت في عز ونصر ضافيـــــــا حلـل المنـى [9]مرقومـة الأطــواق

وله يمدحـه :

تبـدت فأبـدى الثغـر من لؤلـؤ سِمْطًا وفـوقت الألحاظ سهما فما أخطـا
وحـطت علـى ورد الخـدود سوالفــا أجــادت بخيــلان لنونتهــا النَّقْطــا
وحـطت قنـاع الحسن بعــد تمنــع فمـن أجلـه درع التجلــد قد حطـا
وصدت حيــاء عنــد ذا وتـبسمت وألـقت على الخدين انملهـا السبطا
وصالت بذل وامتـــا وعـــــزة ونخـوة تيــه جاوز القــدر والفرطــا

ومنهــا :

تميـل بردف يولـم الــخصرَ خصبُــه فذا يشكر النعمى وذا يشتكى القحطا
تديــر رُضابــا من لماهــا وظلمهــا ومـن سحـر عينيهـا سُلافـا واسفنطـا

ومنها تخلصا :

بمولـدِه السامــي العوالـــم بشرت وشبت وقـد كانت ذوائبهــا شُمْطَــا
وسرت به الفـــردوس ثم تزيـــنت وأظهـرت الــرُسْل الكــرام به غَبْطَــا
وأضحى به الاسلام والديــن ظاهــرا ووافـى ديـار النصر والعــز مختطــا
بموسمــه المولــى اعتنـــى فأقامـــه ووافــاه اجــلالا وأعظمــه قسطــا
امــام الهــدى مامــون آل محمــد مليك أقـام العـدل واجتنب القسطا
له همــة تعلــو الثريـــا نزاهــــة وفخر على متـن السماكيـن قد خَطَّـا
وعزمـة حزم في الحـوادث إن مضت تعـود وقـد قَطَّت رقـاب العـدا قطـا
وهمــة عزم في وقـــار سكينـــة وفطـرة حلـم تنكـر الجهـل والسخطا
ففـي حالتـي حرب الزمـان وسلمــه تريك بوادي حالـه القـبض والبسطــا

[ومنها ختاما :

فدام ودام الـــنصر يَعْضُدُ أمـــره وكـان سنـام العـز من بعض ما أُمْطا

(9) عند أ. بن القاضي، درة، 1 : 105، وأحمد المقرى، روضة، ص 186 : البها

وتـــوح تاجــا من سنـــا ومهابــــــة وطـوق من فخـر الثنـــا دُرَراً سِمْطَـــا

ولد الفقيه الكاتب المذكور في أوائل شعبان سنة سبع وأربعين وتسعمائة [10]]. ومما مدحه به كاتبه أبو عثمان سعيد بن أبي القاسم التاملي قصيدته التي مطلعها :

أزور وسترى عندها الشَّعَرُ الوَخْـفُ ولا رُسْلَ إلا ما يشيــر به الطـــرفُ
[طبعنا على حب التواصل في الهوى فكـل تجـــن بيننـــا بعـــده عطـــف
صبرنـا ليالـــي البعـــد علمـــا بأنهـــا سيخلفهـا من بعدهـا اللثم والـــرَّشْفُ
إلى أن تناهى بيننا البعـــد أقبـلت بوجه هلال حار في حسنه الوصف
فعانـــقت منهـــا أملـــداً عصفت به رياح اشتياقي من جَنَى خده قطف [11]]

ومنها في مدحه :

عَفيـفُ إِزَارٍ طاهــرُ العــرض ماجـــدٌ لكـل مديـــح من شذا مدحـــه عَرْفُ
لقـــد جَرَّدَ المـــنصور منك مُهَنَّـــــداً لدين الهدى في حده الجبر والتلف
كساك الاه العـــــرش ثوب مهابــــة فأنت وحيـــد لا يقاومــــه ألـــــف
[لقـــد عز ديـــن أنت ناصر حزبــه وذلت رقـاب من فنـاك لها الحتـــف

وله يمدحه بقصيدة طويلة جدا :

أغالب شوقا سل نحوي ظُبَى الهند فأغمدهـا طَيَّ الـــحشا بدل الغمـــد
أغـــازل غزلان الحمــــى بتغزلـــي وأستعطف الأرداف في معطف البرد [12]]

لكاتبه أبي فارس عبد العزيز بن محمد بن عبد الله التاملي يمدحه بقصيدة مطلعها :

---

(10) ما بين المعقوفين سقط من « م ».
وشعبان سنة 947 هـ يوافق دجنبر سنة 1540.
(11) ما بين المعقوفين سقط من « م » و « ج ».
(12) ما بين المعقوفين سقط من « م » و « ج ».

تجلت بطاح الأرض في حلل خضر بديعات وَشْيٍ أتقنته يد القَطْرِ
تخالف فيها لون كُلّ رشيقةٍ مُباينةِ الأشكال من أضْرُبِ النَّوْرِ

ومنها ختاما :

فلا زلت بدرا في سما الملك طالعا تطاوعك الأقدار في النهي والأمر

ومنهم واسطة عقد المجالس، وفارس الفوارس، ولده الواثق بالله : مولانا أبو فارس، ضبط بالعدل أحوال الرعية وأحصى، لما أن ولاه والده السوس الأقصى، وكذلك شوهدت منه السير المرضية، والشهامة الهاشمية، لما أبقاه في الحضرة المراكشية، ولقد مدحه خلق كثير، فممن مدحه خلق كثير، فممن مدحه كاتبه أبو محمد عبد القادر بن أحمد بن أبي القاسم بن صالح الفشتالي اليزيدي (13)، ولد سنة أربع وستين وتسعمائة (14)، فله مما كتب على نجاد سيفه — أبقاه الله تعالى بمنه — :

أتيه وأزري بكل نجاد يروق على حِلْيَة اللابسِ
إذا كنت يوم الوغى مِحْمَلًا لِعَضْبٍ حكى شعلة القابس
على عاتق الملك المرتضى سليل الوصيِّ أبي فارس

وله أيضا — لما عوفي مخدومه من مرض ألم به — :

لما أعاد الله صحتك التي من فقدها فقد الكرى بمحاجر
سرت البشائر في الورى وتسابقت خيل السرور لكل قلب حائر
وبدت رياض المكرمات يوانعا تهتز زهوا كالقضيب الناضر
يا واثقا بالله يا بحر الندى أنت الزمان وضوء عين الناظر
ما نالت الأسقام منك غيرما نال الصقال من الحسام الباتر
فاعجب من الأيام تُسْقِمُهُ وقد تشفي به من كل داء ضائر
ولذلك اعتل النسيم وألْبِسَتْ شمس الأصيل لباس بأس ظاهر

---

(13) انظر ترجمته عند أ. الناصري، الاستقصا، 6 : 17، وم. حجي، الحركة، 2 : 492.
(14) 964 هـ توافق 1555 / 1556 م
وتوفي اليزيدي حوالي 1030 هـ / 1620 م

فلك السعـــادة عش هنيئـــا مسعـــدا لا تبتـــئس من حاسد لك ماكـــــر
يا ابن النبي محمد وابـــن الـــذي ورث الخلافـــة كابـــرا عن كابـــــر
بأكفكـــم وَكَـــفَتْ شآبـــيب الـــردى وتلاطـــمت أمـــــواج بَذْلٍ زاخـــــر
خذهـــا إلـــيك وقـــد تأرج عرفهـــا ما بيـــن مدحك والثنـــاء العاطــــر
لا زلت في أفـــق الامـــارة طالعـــا بضيـــــاء بدر للهدايـــــة باهـــــر

وللأديب أبي عبد الله محمد بن يعقوب الايسي [15]، الذي ولد في شعبان من عام ستة وستين وتسعمائة [16]، فيه عند ابلاله من مرضه :

وميمون طيـر قد جرى وَهْوَ سانـــحُ ببشرى غدا قلبي بهـــا وَهْـــوَ فارحِ
بإبْلَالِ خيـر النـــاس أصلا ومَحْتِـــداً وأثـــبت عقـــلا والعقـــول جوامـــحُ
أبلهــــم كفـــــا وأنداهـــــــم يدا وأشرق وجهـــا والوجـــوه كوالــــح
أبـو فارس نجـــل الـــوصي وهـــاشم عليـــه دليـــــل للسماحــــة واضح
[من القوم لم ينسب إلى المجد غيرهم لهم شهدت بالسبق قِدْماً أباطح[17]]
تردَّى ثيابـــــا للضَّنَـــــى وكأنـــــه كسوف على شمس الظهيـرة كالـــح
وبـــاتت جفـــون للعيـــون سواهــــر وكـادت تطيـر من جواهـــا الجوانـــح

(15) هو أبو عبد الله محمد بن يعقوب الأيسي المراكشي (ت قبل سنة 1010 هـ / 1601 م)، قال عنه .
م . الافراني في **نزهة الحادي**، ص 168 : « كان صدر الأدباء في وقته بمراكش وغيرها بحيث كان الكتاب يرجعون إليه في عويص المكاتبات، ويترافعون إليه في حل المشكلات والمهمات ».
ووصفه أحمد بابا في **كفاية المحتاج**، ص 65، قائلا : « إني لم ألف بالمغرب أثبت ولا أصدق ولا أعرف بطرق العلم منه ».
وأورد المقرى له في **روضة الآس** مجموعة أشعار. له مؤلفات منها :
ـــ **فهرسة** (انظر. ع. الحي الكتاني، **فهرس الفهارس**، 2 : 472 ـــ 473، وعبد السلام بن سودة، **دليل**، 2 : 213، والمختار السوسي، **سوس العالمة**، ص 187).
ـــ **السكة في المغرب**، مخطوط خاص بسوس.
ـــ تآليف في أحوال اليهود قديما وحديثا (عبد السلام بن سودة، **دليل**، 2 : 447 ـــ 448).
ـــ تقاييد في التراجم (عبد السلام بن سودة، **دليل** ، 1 : 256).
انظر ترجمة محمد بن يعقوب الايسي عند أ. بن القاضي، **درة**، 1 : 210 ـــ 211 رقم 654، وم. الافراني، **نزهة**، ص 168 ـــ 169، **صفوة**، ص 53، وأحمد بابا، كفاية، ص 65، وأ. المقرى، **روضة**، ص 12، 61، 80، 259، 272 ـــ 273 .. وعبد الرحمن التمارتي، **الفوائد**، ص 46، وع. الحي الكتاني، **فهرس الفهارس**، 2 : 272 ـــ 273، وم. حجي، **الحركة**، 2 : 396.
(16) شعبان عام 966 هـ يوافق ماي ـــ يونيو 1559.
(17) ما بين المعقوفين سقط من « م » و « ج ».

[فأدبر جيش السقم عنه وأقبلت   عساكر بُرْءٍ نحوه وتصافح
وشبت لنا الآمال واستحكم الرجا   وقد حصل الشفاء والعيش صالح [18]]
ولا زال يعلو الجناب ممــلك   تمر على سمع المليك أمادح

[وأنشدني الأديب المذكور لنفسه يهجو بعض المدرسين :

تقدمت في صدر المحافل رتبة   ولو كان عدل لم تفتنا تقدما
تصدرت للتدريس والأمر مشكل   ....[19] ثانيا ومقدما

ومدائحه كثيرة لا تحصى كثرة.

ولقد احتفل بعض الصناع في عمل مقراض كاغيد وتأنق فيه، واقترح علي بيتين يكتبهما عليه بالذهب، فقلت ارتجالا — في أوائل جمادى الأولى من عام ثمانية وتسعين [20] — :

عانقتــه كي لا أذوق فراقــه   كالمجد عانق واثق المنصور (كذا)
واذا توسط حاسد ما بيننــا   نَفْرِيهِ فري لواحظ اليَعْفُورِ [21]]

ولنرجع إلى ما كنا بصدده من ذكر من بقي من أولاد مولانا. فمنهم ذو السمت الحسن، والهدى المستحسن، ولده مولانا : أبو الحسن، قام في رعيته مقسطا عادلا، لما أن ولاه — أيده الله — تادلا.

ومنهم نخبة الولدان، مولانا : أبو المعالي زيدان [22]، ظهر على يده عدل هتون، لما أن

---

(18) ما بين المعقوفين سقط من « م » و « ج ».
(19) بياض بالأصل.
(20) جمادى الأولى عام 998 هـ يوافق مارس — ابريل 1589.
(21) ما بين المعقوفين سقط من « م » و « ج ».
(22) هو زيدان بن أحمد المنصور (ت 1037 هـ / 1627 م)، كان كأبيه أشد اعتناء بالعلماء والأدباء بل كان هو نفسه أديبا، من تآليفه **تفسير القرآن** مستوحى من **تفسير ابن عطية والزمخشري** (انظر عبد الرحمن بن زيدان، الاتحاف، 3 : 72)، كما أورد له ابن القاضي في **فهرسه**، الذي أجازه فيه، مجموعة أشعار، وهي كل من بقي لنا من أدب هذا الأمير المغمور.
لكن حظه في الميدان السياسي كان بعيدا أن يكون كحظ أبيه، فقد تولى أول الأمر تادلا حيث أسس القصبة الزيدانية على وادى أم الربيع، ثم عين واليا على مكناس، ففاس، وبعد موت أبيه استطاع بعد صراع دام سنوات أي ينفرد بالحكم واستقر له الوضع نسبيا في سنة 1022 هـ بعد مقتل أخويه أبي فارس سنة

ولاه مكناسة الزيتون [23]، وانما لم نذكر ما مدح به مولانا هاشم لأني ما وقفت على شيء من ذلك. فأجرى أولاده — أيده الله — على العدل في المناهج المبرورة، والمساعي المشكورة، وما ذاك إلا لأن همم الملوك تسرى في أبنائهم، لتدل على أبنائهم، ليصرفو عزائمهم، في حفظ ما قلدوه، وضبط ما قصدوه، فألبابهم الذكية بكل فضلة مشغولة، وأفهامهم الزكية بالسياسة مشغولة. وأعلم أن مولانا — أيده الله — عظم اهتمامه بالخبرة الذين ينقلون إليه أمر عماله وأحوال رعيته [24]، وهذا مما يجب على الملوك الاهتمام به. سئل بعض العلماء : ما الذي أذهب ملك بني مروان ؟ فقال : تحاسد الأكفاء، وانقطاع الأخبار.

أما مخدومنا — أيده الله — فهو آية الله في الأنباء القاصية، والأخبار المتواترة النائية، فكم زرع الأخبار بسببه [وكم [25]] حصد الاشرار بسيفه ! حافظ للملك الذي في يده، ولم يؤخر شغل يومه إلى غده، يتفقد أمر عدوه قبل أن تشتد شوكته، وتكثر شكته، ويعالجه قبل أن يعضل داؤه، ويعجز دواؤه، منحه الله العقل الذي هو أحسن حيلة، وعلمه العلم الذي هو أحسن قُنْيَة، قويت سياسته، فكبرت رياسته، وخصاله أكبر من هذا كله — أبقاه الله تعالى بمنه —، وهو محفوظ من أنواع الظلم والغفلة عن رعيته، وما عسى أن أثبته من شِيَمِهِ الحسنة، ومآثره المستحسنة :

لو أننـــا والخلـــق جمعـــا ألسن نثني عليـــه لمـــا قضينـــا الواجبـــا

حكي أن رجلا أصابته ظلامة في أيام المامون فلم يستطع الوصول إليه ليشكو ظلامته،

1017 هـ. انظر ترجمة زيدان بن أحمد المنصور عند قاسم بن القاضي، **تنوير الزمان بقدوم مولانا زيدان**، مخطوط م. م رقم 255، وأ. بن القاضي، **درة**، 1 : 277 — 278 رقم 430، **رائد الفلاح**، الفصل الأخير، و ع. الفشتالي، **مناهل**، ص 35 و 102، وأ. المقرى، **نفح**، 2 : 479، **روضة**، ص 62 — 63، وم. الافراني، **نزهة**، ص 190 وما بعدها، وم. القادري، **التقاط**، ص 5 و 16، نشر، 1 : 80 — 81 و 153، والمؤرخ المجهول، **تاريخ الدولة السعدية**، 78 — 83، وعبد الرحمن الفاسي، **زهرة الشماريخ**، ص 98، **ذكر دولة الشرف**، ص 113، وأ. الناصرى، **الاستقصا**، 6 : 69 — 72، وعبد الرحمن بن زيدان، **اتحاف**، 3 : 67 — 62، وخ. الدين الزركلي، **الأعلام**، 3 : 102 — 103 وم. حجي، **الحركة**، 2 : 401 — 402.

ch. A. Julien, l'Histoire de l'Afrique du Nord, p. 218.

(23) ورد في « ز » بعد كلمة « الزيتون » ما يأتي :
(ولقد مدحه كاتبه أبو الحسن علي بن داهيلة بقصيدة نونية مطلعها). لكنه لم يأت بأية قصيدة.

(24) اشتهر عن المنصور بأنه كان يتوفر على جهاز استخبارات قوى مكنه من مراقبة تحركات العمال والقبائل التي لم يكن مطمئنا إليها وقد ضبطه بحنكة، ومن جملة مظاهر هذا الضبط استخدامه الشفرة في مراسلاته مع القادة والولاة. انظر ع. العزيز الفشتالي، **مناهل**، ص 150 — 161.

(25) ما بين المعقوفين سقط من « م ».

فوقف بباب المأمون وجعل يقول : أنا أحمد النبي الرسول المبعوث، فسمع مقاله بعض خدمه وقال للمامون : إن رجلا بالباب سمعته يقول كذا فأمر بدخوله فدخل وسلم عليه، فقال له المأمون : أنك تقول كذا فقال : نعم، أو لست ممن يحمده يا أمير المؤمنين ؟ فقال له : نعم، فاستظرفه ونظر في أمره ورفع مظلمته.

ولا يرفع الظلم إلا بهندي أو سنان، فيزع الله بالسلطان مالا يزع بالقرآن.

ولأبي اسحاق ابراهيم بن محمد التُّطيلي ـــ نشأ بقرطبة وسكن اشبيلية ـــ يمدح رمحا من قصيدة له :

وأسمرَ أضحـــى في شعـــاع سِنانِـــه ... وإن كان من خَفْقِ اللواء لفي ظِلّ
حوى جرأة الأعراب من سُمْرةِ القنا ... وحاز دهاء الروم من رقة الـــنصل
علا نصلـــه للشُّهْبِ فانحـــطّ لدنـــه ... إلى القُضْبِ عن فرع يحن إلى الأصل
يقومـــه بأس الحديـــد إلـــى الوغـــى ... فَيَعْطِفُهُ لِينُ القضيب إلـــى الـــذُّل

ومنها يصف سيفا :

وأبيضَ يحكـى الموت فعلا ودقـــة ... فلولا شعاع الصقل لم يبـد من حمـل
يذيب بنـــار الصَّقْـــلِ كُلَّ مُفَـــاضَةٍ ... فما تقـع الغربـــانُ إلا علـــى مُهْـــلِ
وقـد عَجَـمَتْ دُرْدُ النـــوائب أصلَـــهُ ... فقصت، وما أبدت سوى أثـر النمـل

ومن آلات العدل : القلم، وله يصفه :

وأعجـم الصوت قد ألـقت له العـرب ... أقـلَّ شيء لديـه الشعـــر والخـــطبُ
يُزْهَـــى البنـــانَ إذا ما شُقَّ مِقْوَلُـــــهُ ... وَإِذْ يَخُطُّ ففـي افصاحـــه العـــجب

وفيه لبعضهم :

ومـــا شجـــرات نابتـــات بفقـــــرةٍ ... إذا قُطِعَتْ صارت مطايـــا الأصابـــع
لَهُـــنَّ بكـــاء العاشقيـــن ولونُهُـــــمْ ... سوى أنهـــا يبكيـــن سود المدامـــع

وفيه أيضا لأبي تمام :

قـوم إذا عرفـوا عـداوة حاسـد ... سفكـوا الدمـا بأسنـه الاقـلام
ولضربـة من كاتب ببنانـه ... أمضى وأبلـغ من رقيـق حسام (26)

وفيه أيضا أخذوا للبحترى :

قوم إذا أخـذوا الأقـلام عن غضب ... ثم استمـدُّوا بهـا ماء المنيـات
نالـوا بهـا من أعاديهـم وإن بعـدوا ... مالـم ينالـوا بحـد المشرفيـات (27)

والآخر

نحيـف الشوى يعدو علـى أم رأسه ... يَخِـفُّ ويَقْـوَى عَدْوُهُ حيـن يُقْطَـعُ
يمـجّ ظلامـا في نهـار لسانُـهُ ... ويفهـم عمـن قال ما ليس يسمـع

ولبعضهم، وهو الصنوبري (28) :

قلـم من الـقَصَبِ الضعيـف الأجـوف ... أمضى من الرمـح الطويـل الأهيـف
ومـن الـنصال إذا بدت لِقِسِيِّهـا ... ومـن المهنـد ذِي الصِّقال المرهـف
وأشدُّ اقدامـا من الليـث الـذي ... يكـوي القلـوب إذا بدا في الموقـف

ومما مدح به بين الأمراء، وقد جمع فيه بين السيف والقلم، ولله دره حيث يقول :

يراعك أن أبكيته ضحك العدا (كذا) ... وعضبك أن أضحكتـه بكت العـدا
فشيمـة هذا ما اعتـدى قط رأسه ... وشيمـة هذا قط رأس من اعتـدى

ولابن الرومي :

في كفـه قلـم ناهـيك من قلـم ... نُبْـلًا، وناهيك من كف به اتشحـا

---

(26) البيتان لا يوجدان في **ديوان أبي تمام**.
(27) البيتان لا يوجدان في **ديوان البحترى**.
(28) انظر ترجمته عند م. بن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، 1 : 122 ــ 125، والمصادر بالهامش 48 من الصفحة 122 من نفس المصدر.

يمحـــو ويثـبت أرزاق العبـــاد به فما المقادير إلا ما وحى ومحا (29)

قال أبو الحسين بن زرقون الفقيه (30) : قال لي أبي : كنا يوما بسبتة ومعنا أبو الطاهر (31) أخو الأستاذ أبي بكر النحوى (32)، فمر بنا رجل صانع وبيده محبرة آبنوس قد احتفل في عملها، وتأنق في حليها، فأراناها وقال : إن هذه المحبرة أريد أن أقصد بها بعض الكبراء، وأرغب بأن تتموا احتفالي فيها بأن تصنعوا لي بينكم أبيات شعر أدفعها معها، رجاء أن يكون ذلك أنجح لغرضي منها، قال : فأطرقنا نفكر في مطلبه وبادرنا أبو الطاهر فقال :

وافـــتك من عُدَدِ العـــلا زنجيـــةٌ في حُلّـــةٍ من حِلْيَـــةٍ تتبختـــرُ
سوداء، صفـــراء الحلـــيِّ، كأنهـــا ليـــل تطـــرزه نجـــوم تُزْهِـــرُ

فسر الرجل بهما وسأل كتبهما، فكتبا له، وانفصل عنا شاكرا ما كان من اسعافنا، فلم يغب عنا إلا يسيرا وإذا به قد عاد إلينا وبيده قلم نحاس مذهب فقال لنا : هذا مما أعددته للدفع مع هذه المحبرة وأنسيت قبله ذكره لكم فتفضلوا بإكمال الصنيعة بذكره، فبادرنا أيضا أبو الطاهر وقال :

حمـــلتْ بأشرفَ من نِجـــار حُلِيِّهـــا تُخْفيـــه أحيانـــا وحينـــا يَظْهَـــرُ
خرسانُ إِلّا حيـــن يرضع ثديهـــا فتـــراه ينطـــق ما يشاء ويَذْكُـــرُ

حكي أن أبا الطاهر حضر يوما مع جماعة من أصحابه وفيهم أبو عبد الله محمد بن محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد بن زرقون المتوفى سنة ست وثمانين وخمسمائة (33)

---

(29) انظر ديوان **ابن الرومي**، 2 : 508 — 509.
(30) انظر ترجمته عند أ. المقرى، **نفح**، 2 : 598. 3 : 446، وابن فرحون، **الديباج**، 2 : 260 رقم 78، وم. بن مخلوف، **شجرة**، 1 : 178 رقم 576، ومحمد عبد الله عنان، **عصر المرابطين والموحدين**، 2 : 659.
ملاحظـــة :
في كل من **الديباج والشجرة** ورد : أبو الحسن بدل : أبو الحسين بالتصغير.
(31) انظر ترجمته عند أ. المقرى، **نفح**، 4 : 113، 160، 323.
(32) انظر ترجمته عند أ. المقرى، **نفح**، 4 : 113، وعبد العزيز بن عبد الله، **الموسوعة المغربية**، 1 : 28.
(33) بالأصل : احدى وعشرين وسبعمائة، وهو تحريف، ونفس هذا التحريف يوجد عند أ. الونشريسي، **وفيات**، ص 104، وأ. بن القاضي، **درة**، 2 : 107 رقم 547، **ولقط الفرائد**، ص 177، ولعل هذا

متنزهين في بعض الأعوام في عقب شعبان منه، فلما تملأوا من الطعام قال أبو طاهر لابن زرقون : أجزيا أبا عبد الله :

حمـــدت لشعبـــان المبـــارك شبعـــة تُسَهِّـلَ عنـــدي الجـــوع في رمضان

فقال أبو عبد الله :

كمـــا حمـــد الصَّبُّ المتيـــم زورةً تحَمَّـــلَ فيهـــا الهجـــر طول زمـــان

فقال أبو طاهر :

دعوهـــا بشعبانيـــة ولـــو أنهـــم دعوهـــا بشبعانيـــة لشفانـــي (34)

ويحكي أن أبا الحكم بن غتال، وأبا بكر بن مغاور، وصاحبان لهما دخلوا حمام بيار من عمل شاطبة فصادفوا هواءها باردا فقال ابن مغاور :

شرقت بحمـــام البـــوار بيـــار فدخانـــــــــــه تعشى به الأبصار

وقال الآخر :

بينـــا نروم تنعمـــا في دفئـــه يغشاك قرٌّ ما عليـــــــــه قرار

وقال أبو بكر بن غتال :

لو أن لي فيهـــا عصا موسى علـــى آياتهـــا ما فر عنـــي الفـــار

حنفد يرجع إلى اختلاط ترجمة الأب مع الابن، ولكن حتى الابن نجد أنه توفي سنة 621 هـ وليس سنة 721 هـ.

أما الأب فانه توفي سنة 586 هـ / 1190 م.

انظر مثلا ابن الابار، **التكملة**، ص 256، وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 7 : 10 — 11.

(34) انظر القصة عند أ. المقرى، **نفح**، 4 : 323 — 324 رقم 15.

فقال له ابن مغاور : هذا على أنك ابن غتال، وهو اسم الهر مصغرا باللسان العجمي.

حكي أنه لما ورد أبو علي الحسن بن رشيق [35] القيروان فألفى بها معد بن خيارة إذ أتى من باديته وعليه كساء معلم، وسقط سكين من تحت ابطه كأنها هراوة، فأراد معد استخبار ابن رشيق وكان برأس ابن رشيق شامة من الشيب فقال معد : أجز :

يا صاحب الشامة في رأسه
فقال ابن رشيق :
وشيبه من حر أنفاسه
فقال معد:
بعيد أوطان بكى أهله
فقال ابن رشيق :
وما يقاسيه مِن آفلاسه
فقال معد :
إذا شدا بيتا ترى دمعه
فقال ابن رشيق :
في حمرة المشروب منّ كاسه
فقال معد :
يكاد من حدة أفكاره
فقال ابن رشيق :
تلتهب النار بقرطاسه

أما أبو علي الحسن بن رشيق فولد بالمسيلة [36]، وقيل بالمهدية [37] سنة تسعين وثلاثمائة [38]، وتوفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة [39]. حكى الراوية الفقيه المحدث : أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي، المتوفى بفاس سنة احدى وعشرين

---

(35) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 2 : 85 — 89 رقم 165، وج. السيوطي، **بغية الوعاة**، 1 : 504 رقم 1043، وابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، 3 : 297، وم. بن السراج، **الحلل السندسية**، 1 : 278 — 282، وعادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، ص 62 — 63.
(36) المسيلة : مدينة الجزائر تقع في الشمال الغربي لها، جنوب مستغانم.
(37) المهدية : مدينة بتونس على الساحل الشرقي بين سوسة شمالا وصفاقس جنوبا.
(38) 390 هـ توافق 999 م / 1000 م.
(39) 463 هـ توافق 1071 م.

وسبعمائة [40] في فهرسته [41]، قال : كنت مع الفقيه الأستاذ أبي القاسم المزياتي [42] تحت ايقاد ثريا جامع القرويين من فاس ــ عمره الله تعالى بالذكر، وحرسها ــ بعد صلاة المغرب وإذا برجل قد أقبل وأخبر الاستاذ أبا القاسم بقدوم الاستاذ ابن عبدون [43] المتوفى سنة تسع وأربعين وسبعمائة [44] وأنه بباب المسجد، فقال لنا أبو القاسم : قوموا بنا إلى لقائه، فالتقينا وهو داخل إلى المسجد وسلمنا عليه، فاستقبل الثريا وهي مسرجة، فقال ابن عبدون مرتجلا :

انظـــر إلـــى نوريـــةٍ نُورهـــا يَصْدَعُ بالـلألاء سجْــفَ الـــغسَقْ

فقال أبو القاسم :

كأنهـــا في شكلهـــا ربـــوة انتظـــم النَّـــوْرُ بهـــا فاتسق

ثم اجتمعت صبيحة تلك الليلة مع الأديب البليغ مالك بن المرحل وأعلمته بما وقع من الاستاذين، فقال : لو كنت معهما لقلت :

أعيذهـــا من سوء ما يُتَّقَـــى من فَجْـأةِ العيـــن برب الفَلَـــقْ [45]

---

(40) 721 هـ توافق 1321 م.

(41) يوجد جزء من هذه **الفهرسة** في خزانة القرويين بفاس.

وانظر عن ابن رشيد رحلته المسماه : **ملء العيبة، فيما جمع لطول الغيبة، في الرحلة إلى مكة وطيبة،** يوجد منها خمس مجلدات في الايسكوريال باسبانيا تحت الأرقام الآتية : 1680، 1735، 1737، 1739، وكذلك أ. بن القاضي، **درة**، 2 : 96 ــ 100 رقم 532، **جذوة**، 1 : 289 ــ 291 رقم 298، وأ. بن فرحون، **الديباج**، 2 : 297 ــ 298 رقم 102، وم. الكتاني، **سلوة**، 2 : 191، وم. بن مخلوف، **شجرة**، ص 216 رقم 76، وج. السيوطي، **بغية الوعاة**، 1 : 199 ــ 200 رقم 343، والعباس بن ابراهيم، **الاعلام**، 4 : 242 ــ 251 رقم 290، وعبد الله كنون، **النبوغ**، ص 206 ــ 207، سلسلة **ذكريات مشاهير المغرب**، العدد 18، ومحمد بن شقرون، **مظاهر الثقافة المغربية**، ص 89 ــ 92، وكذلك كتابة بالفرنسية :

La Vie Intellectuelle Marocaine, pp. 186 - 194.

(42) انظر ترجمته عند أ. المقرى، **نفح**، 2 : 584.

(43) الاستاذ ابن عبدون هو أحمد بن قاسم الجذامي، المعروف بابن البغيل الاديب.

انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 1 : 133 ــ 135 رقم 164، **لقط الفرائد**، ص 202، وأ. المقرى، **نفح**، 4 : 154.

(44) 749 هـ توافق 1348 / 1349 م.

(45) انظر القصة عند ابن الخطيب، **الاحاطة**، 3 : 28، وعلي الجزنائي، **جني زهرة الآس**، ص 69.

وقال محمد بن خلف (46) :

باهـــي بهـــا الاسلام ما أشرقت　　كاساتها عند مغيب الشفـــق (47)

ولبعضهم في الثريا :

تحكـــي الثريـــا الثريـــا في تألّقِهـــا　　وقـــد لواهـــا نسيـــم وَهْـــيَ تتقـــد
كأنهـــا لذوى الايمـــان أفئـــدة　　من التخشع جوف اليل ترتعـــد (48)

ومما قيل في السراج :

انظر إلى سُرُج في الليـــل مُشْرِقـــةٍ　　من الزجاج حواهـــا وهـــي تلتـــهب
كأنهـــا ألسن الحيـــات بارزة　　عند الهجير فما تنفك تضطرب (49)

ولابن عبدون المذكور :

أذهبـــنَ من فَرَقِ الفـــراق نفـــوسا　　ونثـــرن من درر الدمـــوع نفـــيسا
فتبعتُهـــا نظـــر الشجـــيِّ فَحَـــدَّقَتْ　　رقباؤهـــا نحـــوي عيونـــا شوسا
وحللن عقـــد الصبـــر اذ ودَّعننـــي　　فحللـــن أفـــلاك الخـــدور شمـــوسا
حلتـــه إذ حلتـــه حتـــى خلتـــه　　عرشا لهـــا وحسبتهـــا بلقـــيسا
فَازْوَرَّ جانبهـــا وكـــان جوابهـــا　　لم كنت تهوانـــا صحبتـــا العـــيسا

ومن المعنى المتقدم ما حكي عن أبي بكر بن ولاد أنه كان له حفيد صغير يتعلم في الكتاب، فتغذى معه ذات يوم الخبز والزيت في بيت وقد خبر منه نبلا وفطنة، فسأله إجازة قوله:

---

(46) هو محمد بن سأحمد بن عمر بن الحسين بن خلف البغدادي (546 هـ / 364 هـ / 1151 م — 1236 م) من أهل بغداد مولدا ووفاة، لازم ابن الجوزي مدة وقرأ عليه كثيرا من تصانيفه، وسمع من غيره ببغداد والموصل ودمشق وغيرها له كتاب في تاريخ البغداديين. انظر خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 6 : 216 والمصادر بالهامش 1.

(47) انظر على الجزنائي، **جني زهرة الآس**، ص 70.

(48) انظر على الجزنائي، المصدر السابق، ص 69.

(49) انظر علي الجزنائي، نفس المصدر والصفحة.

أكلنا الخبز مصبوغا بزيت
فقال الصبي :
غذاء نافعا في وسط بيت
ثم قال ابن ولاد :
فلو شيء يرد الميت حيا
فقال الصبي :
لكان الخبز محيي كل ميت

[حكى أن رجلا شاعرا كان له عدو، فبينما هو سائر ذات يوم في بعض الطريق وإذ بعدوه، فعلم الشاعر أن عدوه قاتله لا محالة، فقال له : يا هذا، أنا أعلم أن أجلي قد حضر، ولكن سألتك بالله إذا قتلتني أمض إلى داري وقل : ألا أيها البنتان إن أباكما.

فأجابتاه :
قتيل خذا بالتأر ممن أتاكما
ثم تعلقتا بالرجل وحملتاه إلى الحاكم، فاستقره فأقر بقتله، فقتله به (50)]، قال أبو بكر النحوى (51) دخلنا على محمد بن حماد البربري وهو يتغدى فقال : با أبا بكر خير الغَدَاء بواكره، فما خير العشاء ؟ فقلت : لا أدري، فقال : دخلت على عبيد الله بن سليمان وهو يتغدى، فقال : يا محمد، خير الغَدَاء بواكره، فخير العشاء ماذا ؟ فقلت : لا أدرى، فقال : دخلت على حسن الخادم وهو يتغدى، فقال يا أبا القاسم، خير الغَدَاء بواكره، فخير العشاء ماذا ؟ فقال : كنت بحضرة الرشيد وهو يتغددى، فدخل الأصمعي (52) فقال : يا أصمعي خير الغَدَاءِ بواكره، فخير العشاء ماذا ؟ فقال : بواصره يا أمير المؤمنين، ومعنى بواصره : ما يبصر من الطعام قبل هجوم الليل والظلام.

ولبعضهم :

ونديـــــــم مخالـــــــف لا يشاء الـــــــــــذي أشا
هو في الصحولـــــــــي أخ وعـــــــدو اذا انــــــــتشى

(50) ما بين المعقوفين زيادة من « م ».
وانظر القصة عند م. الابشيهي، **المستطرف**، 1 : 55.
(51) انظر أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 3 : 173.
(52) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 3 : 170 — 176 والمصادر بالهامش 379 من الصفحة 170 من نفس المصدر.

اقتـــــرحتُ الـــــعشاء يو ما عليـــــــــه فأدهشا
ساعـــــــــة ثم قال لي : الـــعَشا يورث الـــعَشا [53]

يعني أكل الطعام بالعشي يورث ضعف البصر [أكثر من غيره [54]] وفي المثل : لا هجوع مع الجوع. وعن أنس بن مالك ـــ رضي الله عنه ـــ قال : قال رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ : « لا تَدَعُوا العشاء ولو بكف حَشَفٍ فإن تركه مَهْرَمَة [55].

حكى [أبو البقاء [56]] صالح بن شريف الرُّنْدِي، كان في السابعة معاصرا لمالك بن المرحل، قال : كان بعض الشعراء يدعي الشعر وأن الغلب له فيه على أبناء جنسه، فقيل له : لو ارتحلت إلى بغداد حتى تناظر الشعراء هنالك، فارتحل إليها، فلما دخل على باب البلد وجد صبيانا يلعبون وبينهم صبي يدعى بالشاعر، قال : فقصده دونهم، وقال له : أأنت شاعر ؟ فقال الصبي : نعم، فقال أنشدني شيئا من الشعر، فقال له الصبي : من شعري أو من شعر الناس ؟ فقال : من شعرك، فقال له الصبي : مما قلته أو مما أقول ؟ فقال له : مما تقول، فقال له الصبي : وأنت أيش ؟ فقال له : شاعر مثلك، فقال له : صدر لي وأعجز، فصدر له :

ليت بين الذين بانوا وبيني

فقال له الصبي : افتح بديهتي بدرهم، فأعطاه درهما، فقال الصبي : فيما تريد القرب أو البعد ؟ فقال له في القرب، فقال الصبي : مثل ما بين حاجبي وعيني

[ومن نباهة الصبيان ما حكى أن بكر بن وائل وتغلب، وهما قبيلتان من العرب كانت بينهما حروب، وطالت الحرب بينهما حتى سئما من ذلك، فاتخذ مُهَلْهِل بن ربيعة [57] عبدين لنفسه مملوكين، وصار يغير بهما، وبقي على ذلك زمان إلى سئم العبدان ذلك، فاتفقا على أنهما أن خرجا مع سيدهما مهلهل أن يعمدا إليه ويقتلاه، فلما كان في فلاة من الأرض هما

(53) الابيات لكشاجم.
وقد ورد عجز البيت الأول محرفا بالأصل على الشكل الآتي : (في شؤوني قد أشا).
انظر أحمد الشريسي، **شرح مقامات الحريري**، 1 : 98.
(54) ما بين المعقوفين سقط من « م ».
(55) أخرجه أبو نعيم في **الحلية** عن أنس باختلاف يسير في اللفظ.
انظر ج. السيوطي، **الجامع الكبير**، 3 : 305.
(56) بالأصل : أبو التقي،ز وهو تصحيف، اذ المترجم هو صالح بن أبي الحسن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف ويكنى بأبي الطبي وأبي البقاء.
(57) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 5 : 9 والمصادر بالهامش 1.

بقتله، ففهم عنهما، فقال لهما : إن كنتما ولا بد فاعلين فبلغا الحي وصيتي، فقالا له : نعم، فأنشدهما :

من مبلــغ الحيـــن أن مهلهـــلا للـــه دركمـــا ودر أبيكمـــا

فحفظا منه البيت وقتلاه، ورجعا إلى الحي فقيل لهما : ما فعل مهلهل ؟ فقالا لهم : مات ودفناه بموضع كذا، وقد أوصانا بوصية، فقالوا لهما : وما هي ؟ فأنشداهم البيت المذكور، فلم يفهم أحد من أهل الحي معنى البيت، وكانت له بنية صغيرة غائبة، فلما جاءت أنشداها البيت، فقالت والله ما كان أبي رديء الشعر، وانما أراد وقال :

من مبلــغ الحيـــن أن مهلهـــلا أضحـى قتيـلا بالفـلاة مجـــدلا
للـــه دركمـــا ودر أبيكمـــا لا يبـــرح العبـــدان حتـــى يقتـــلا

فأخذ أهل الحي العبدين، فقرروهما، فأقرا بقتله فقتلوهما به (58). حكي أن البادية قحطت على أيام هشام فقدمت عليه العرب، فهابوا أن يكلموه وكان فيهم درواس بن حبيب وهو ابن ست عشرة سنة، له ذؤابة وعليه شملتان، فوقعت عليه عين هشام، فقال لحاجبه : ما شاء أحد أن يدخل علي الا دخل حتى الصبيان، فوثب درواس حتى وقف بين يديه مطرقا، فقال : يا أمير المؤمنين أن الكلام نشر وطي، وإنه لا يعرف ما في طيه الا بنشره، فإن أذن لي أمير المؤمنين إن أنشره نشرته، فأعجبه كلامه وقال له : أنشره لله درك، فقال : يا أمير المؤمنين، إنه أصابتنا سنون ثلاث، سنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة أدقت العظم، وفي أيديكم فضول من مال، فإن كانت لله ففرقوها على عباده، وإن كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم، وإن كانت لهم فتصدقوا بها عليهم فإن الله بجزى المتصدقين، فقال هشام : ما ترك لنا الغلام في واحدة من الثلاث عذرا، فأمر للبوادي بمائة ألف دينار وله بمائة ألف درهم، ثم قال له : أمالك حاجة ؟ قال : مالي حاجة في خاصة نفسي دون عامة المسلمين (59).

وأسرت طيىء غلاما من العرب، فقدم أبوه ليفديه، فاشتطوا عليه، فقال أبوه والذي جعل الفرقدين يمسيان ويصبحان على جبل طيىء ما عندي غير ما بذلته ثم انصرف، وقال : لقد أعطيته كلاما إن كان فيه خير فهمه، فكأنه قال : الزم الفرقدين في هروبك على جبل طيىء،

(58) الخبر في **الحماسة**، وعند ابن الأثير، والميداني في **مجمع الأمثال**، **وشرح الرسالة الهزلية** لابن زيدون، وفي شعراء النصرانية للأب شيخو السيوعي، 2 : 171، **والعمدة** لابن رشيق، 1 : 308.
(59) انظر القصة عند م. الابشيهي، **المستطرف**، 1 : 46.

ففهم الابن ما أراد أبوه وفعل ذلك فنجا (60).

ومن غريب الكناية الواردة على سبيل الرمز وهو من الذكاء والفصاحة ما حكي أن رجلا حصل أسيرا في بكر بن وائل وعزموا على غزو قومه فسألهم في رسول يرسله إلى قومه، فقالا : لا ترسله إلا بحضرتنا لئلا تنذرهم وتحذرهم، فجاءوا بعبد أسود، فقال له : أتعقل ما أقول لك ؟ قال : نعم، إني لعاقل، فأشار بيده إلى الليل فقال : ماهذا ؟ قال : الليل ، قال ما أراك الا عاقلا، ثم ملأ كفيه من الرمل، فقال : كم هذا ؟ قال : لا أدري وإنه لكثير، فقال ابلغ قومي التحية، وقل لهم : ليكرموا فلانا، يعني أسيرا كان في أيديهم من بكر بن وائل، فإن قومه لي مكرومون، وقل لهم : ان العَرْفَجَ قد أَدْبَى، وشَكَتِ النساء، ومرهم أن يعروا ناقتي الحمراء فقد أطالوا ركوبها، وأن يركبوا جملي الأصهب بأمارة ما أكلت معهم حيسا واسألوا عن خبري أخي الحارث.

فلما أدى العبد الرسالة إليهم قالوا : لقد جن الرجل، ما نعرف له ناقة حمراء، ثم دعوا بأخيه الحارث فقصوا عليه القصة، فقال : لقد أنذركم. أما قوله : قد أدبى العرفج (61) يريد أن الرجال اسْتَلْأَموا (62) ولبسوا السلاح، وأما قوله شكت النساء : اتخذت الشكاء للسفر. وقوله : أعروا الناقة الحمراء أي ارتحلوا (63)، وقوله : حيسا أي أخلاطا من الناس قد عزموا على غزوكم، لان الحيس يجمع التمر والسمن والأقط، فمتثلوا ما قال، وعرفوا فحوى الكلام، وعملوا به، فنجوا (64).

وحكي أن المامون ركب للصيد وهو بالكوفة ومعه سرية من العسكر فبينما هو سائر إذ لاحت له طريدة فأطلق عنان جواده، فأشرف على نهر ماء من بحر الفرات، فإذا هو بجارية عربية، خماسية القد، قاعدة النهد، كأنها القمر ليلة كماله، وبيدها قربة شالتها على كتفها وصعدت من حافة البئر، فانحل وكاؤها فصاحت برفيع صوتها : با أبت، أدرك فاها قد غلبني (فوها لا طاقة لي بفيها، فعجب) (65) المامون من فصاحتها (ورمت الجارية القربة من يدها) (66)، فقال لها المامون :

(60) انظر الخبر عند ج. السيوطي، **المزهر**، النوع 39، 1 : 567، والابشيهي، **المستطرف**، 1 : 42.

(61) في كتاب **التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه** للبكرى ص 17 : « أدبي العرفج : قال أبو نصر إِدْبَاءُ العرفج أن يتسق نبته ويتأزر، وإذا اتسق وتأزر أمكن الغزو، والعرفج نبت طيب الريح، أغبر إلى الخضرة، له زهرة صفراء ولا شوك له ».

(62) استلأموا : تدرعوا.

(63) في **أمالي القالي**، 1 : ص 7 : « ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الصمان وهو الجمل الأصهب ».

(64) القصة والخبر في أمالي القالي، 1 : 6 ــ 7، **ومحاضرات اليوسي**، 56، ولابشيهي، **المستطرف**، 1 : 42.

(65) ما بين القوسين بياض بالأصل والاكمال من **المستطرف** للأبشيهي، 1 : 53.

(66) الاضافة من الابشيهي، نفس المصدر والصفحة.

جارية من أي العرب أنت ؟ فقالت : أنا من بني كلاب، قال : وما حملك أن تكوني من الكلاب ؟ فقالت والله لست من الكلاب، وإنما أنا من قوم كرام غير لئام يقرون الضيف ويضربون بالسيف، ثم قالت : يا فتى، من أي الناس أنت ؟ فقال : أو عندك علم بالانساب ؟ قالت : نعم، قال لها : أنا من مضر الحمراء قالت : من أي مضر، قال : من أكرمها نسبا، وأعظمها حسبا، وخيرها أما وأبا، ممن تهابه مضر كلها، قالت : أظنك من كنانة، قال : أنا من كنانة، قالت : من أي كنانة قال : من أكرمها مولدا، وأشرفها محتدا، وأطولها في المكرمات يدا، ممن تهابه كناة وتخافه، (فقالت إذن أنت من قريش، قال : أنا من قريش، قالت : من أي قريش، قال : من أجملها ذكرا، وأعظمها فخرا، ممن تهابه قريش كلها وتخشاه، قالت أنت والله من بني هاشم قال أنا من بني هاشم، قالت : من أي بني هاشم قال من أعلاها منزلة وأشرفها قبيلة [67])، ممن تهابه بنو هاشم وتخافة، قال : فعند ذلك قبلت الأرض وقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين، وخليفة رب العالمين، قال : فعجب المامون وطرب طربا شديدا ثم قال : والله لأتزوجن بهذه الجارية، فتزوجها، وهي والدة ولده العباس. ولنرجع إلى ما كنا بصدده، فأقول : إن تتبع أحواله في رعيته أمر طويل، لا ينضبط ولا يمكن أن يدْخل تحت حصر، فحدث عن البحر ولا حرج، فلست في ذلك بذي سرف، وانسب إليه في سيرته ما شئته من العدل، أو ما شئته من الشرف [68]].

(67) ورد بالأصل ما يأتي : (قالت : اذن أنت من خير قريش كلها وممن تخافه وتخشاه)، والاكمال من الابشيهي، نفس المصدر والصفحة.

(69) ما بين المعقوفين سقط من « م » و « ج ».

الباب الثامن

* في حلمه العظيم
وكرمه الشائع الجسيم

* ورد العنوان في « م » هكذا :
الباب الثامن : في علمه وحلمه وسخائه، وكرمه وبذله المال في طاعة ربه وحسن ثنائه.
وفي « ج » : في طيب نفسه وسخائه، وبذله الأموال في طاعة ربه وكرمه وحسن خيمه وثنائه.

[أما حلمه، فباب ينفتح فيه المقال، وينفسح فيه العقال، فلو تتبعنا جزئيات هذا الكلي واحدة واحدة لم تسعنا هذه العجالة، ولا بد أن نذكر شيئا منها بعد ذكر ما جاء في الحلم من النظم، وما للناس فيه.

اعلم أن الحلم أشرف الصفات التي اتصف بها العاقل، وقد أمر الله به في كتابه في غير ما آية، وقد حض عليه ﷺ، وسأذكر من ذلك شيئا، ومما قيل في ذلك :

إذا ما طاش حلـــــمك عن عدو ... وهـــان علـيك هجـــران الصديـــق
فلست إذن أخـــا عفـــو وصفـــح ... ولا لأخ علـــى عهـــد وثيـــق
إذا زَلّ الرفيـــق، وأنت ممـــن ... بلا رفـــق، بقـــيت بلا رفيـــق
إذا أنت اتخـــذت أخـــا جديـــدا ... لمـــا أنكـــرت من خلُـــق عتيـــق
فمـــا تدري لعـــلك مستجيـــر ... من الـــرمضاء فر إلـــى الحريـــق
فكـــم من سالك لطريـــق أمـــن ... أتـــاه ما يُحـــاذِرُ في الطريـــق (1)

ولبعضهم :

---

(1) انظر الأبيات عند م. الابشيهي، **المستطرف**، 1 : 193.

يستوجب العفو الفتى إذا اعترف — وتاب مما قد جناه واقترف
لقوله : « قل للذين كفروا — ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف » [2]

ولبعضهم :

إذا ذكرت أياديك التي سلفت — مع قبح فعلي وزلاتي ومجترمي
أكاد أقتل نفسي ثم يُذكرني — علمي بأنك مجبول على الكرم [3]

ولأبي العلاء [4]، هو أحمد بن سليمان، ولد سنة ثلاث وستين وثلاثمائة [5] بمعرة النعمان [6]، وتوفي في الثالث من شهر ربيع النبوي سنة تسع وأربعين وأربعمائة [7] :

لو اختصرتم من الاحسان زرتكمُ — والعذب يُهْجر للافراط في الخَصَرِ [8]

ولمحمود الوراق [9] :

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب — وإن عظمت منه عليَّ الجرائمُ
فما الناس إلا واحد من ثلاثة — شريف ومشروف ومِثْلٌ مقاوم

---

(2) انظر البيتين عند م. الابشيهي، نفس المصدر والصفحة. والبيت الثاني فيه اقتباس من الآية 38 من سورة الانفال.
(3) انظر البيتين عند م. الابشيهي، المصدر السابق، 1 : 193—194.
(4) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 1 : 113—116، رقم 47.
(5) 363 هـ توافق 973 م.
(6) معرة النعمان : مدينة بالشام، من أعمال حمص، بين حلب وحماة.
انظر ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 5 : 156.
(7) 13 ربيع النبوي سنة 449 هـ يوافق 20 ماي 1057م.
(8) البيت من قصيدته السقطية التي مطلعها :

يا ساهر البرق أيقظ راقد السمر — لعل بالجزع أعوانا على السهر

انظر ديوان أبي العلاء المعري، **سقط الزند**، ص 16.
(9) انظر ترجمته عند م. بن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، 4 : 79—81، والمصادر بالهامش 507 من الصفحة 79 من نفس المصدر.

فأما الذي فوقي فأعرف فضله وأتبع فيه الحق، والحق لازم
وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا تفضلت ان الحلم بالفضل حاكم
وأما الذي دوني فإن قال، صنت عن اجابته عرضي وإن لام لائم [10]

وللخليل [11]، وقيل إنها لعبيد الله بن زياد الحارثي :

لن يبلغ المجد أقوام وإن شرفوا حتى يَذِلّوا ــ وإن عَزُّوا ــ لِأَقْوامِ
وَيُشْتَموا فترى الألوان كاسفةً لا صفح ذل، ولكن صفح أحلام
وإن دعا الجار لبوا عند دعوته في النائبات بأسراج وإلْجام
مستلئمين لهم عند الوغى زَجَلٌ كأن أسيافهم أُغْرِيْنَ بِالهَامِ [12]

وكان الشعبي [13] أَوْلَعَ شَيْء بهذا البيت :

ليست الأحلام في حال الرضى إنما الأحلام في حال الغضب [14]

وقيل لما قدم نصر بن منيع بين يدي الخليفة، وكان قد أراد ضرب عنقه، فقال يا أمير المؤمنين، اسمع مني كلمات، فأنشأ يقول :

زعموا بأن الصقر صادف مرة عصفورة قد ساقها التقدير
فتكلم العصفور تحت جناحه والصقر منقض عليه يطير
إني لمثلك لا أتمم لقمة ولئن شويت فإنني لحقير

(10) انظر الأبيات عند أبي هلال العسكري، **ديوان المعاني**، 1 : 134، والابشيهي، 1 : 194، وابن مرزوق، **المسند**، 79.
(11) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 2 : 244ــ248 والمصادر بالهامش 220 من الصفحة 244.
(12) انظر البيتين الأولين عند أبي هلال العسكري، **ديوان المعاني**، 1 : 134، والابشيهي، **المستطرف**، 1 : 194، وم. بن الأزرق، **البدائع** 1 : 430.
(13) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 3 : 12ــ16، والمصادر بالهامش 317 من الصفحة 12 من نفس المصدر.
(14) البيت لمسكين الدارمي، انظر **وفيات الأعيان**، 3 : 16، والابشيهي، 1 : 192.

فتهـاون الصقـر المُـدِلُّ بصيـده كرمـا فأفـلت ذلك العصفـور [15]

فعفا عنه وخلى سبيله.

حدثني شيخنا أبو راشد أن المنصور غضب يوما على رجل من الكتاب فأمر بضربه فأنشأ يقول :

وانـا الكاتبـون وان أسأنـا فهبنـا للكـرام الكاتبينـا [16]

فعفا عنه وخلى سبيله :

ولبعضهم :

وجهـلٍ رَدَدْنـاه بفضل حلومنـا ولـو أننـا شئنـا رددنـاه بالجهـلِ
رَجَحْنـا وقـد خفَّتْ حلـومٌ كثيـرةٌ وعدنا على أهل السفاهة بالفضل [17]

وللحريري أبي محمد القاسم بن علي الحريري [18]، ولد سنة ست وأربعين وأربعمائة [19]، وتوفي سنة خمس عشرة وخمسمائة [20] بالبصرة :

أخمد بحلمك ما يذكيه ذو سفـه من نار غيظه واصفح ان جنى جان
فالحلـم أفضل ما ازدان اللبـيب به والأخذ بالعفو أحلى، ما جنى جان

ولبعضهم :

---

(15) انظر القصة مع الأبيات عند ابن حجة الحموي، **ثمرات الأوراق**، 1 : 66، والابشيهي، **المستطرف**، 1 : 193.
(16) البيت لأحد كتاب أبي جعفر المنصور العباسي تستعطفه به. انظر عند ابن رشيق، **العمدة**، 1 : 70، والابشيهي، **المستطرف**، 1 : 194.
(17) انظر البيتين عند ابن مرزوق، **المسند**، ص 80 والابشيهي، **المستطرف**، 1 : 194.
(18) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 4 : 63ـ68، والمصادر بالهامش 535 من الصفحة 63 من نفس المصدر.
(19) 446 هـ توافق 1054 م.
(20) 515 هـ توافق 1122 م.

فيا لك من علـم وحلـم طواهمـا   جديدُ البِلَى تحت الصفا والصفائح

ولبعضهم :

العلــم والحلــم حلتــا كرم   للمـرء زيـن إذا همـا اجتمعـا
صنـوان لا يستقيـم حسنهمـا   إلا بجمـع لذا وذاك معـا
كم من وضيـع سمـا به الحلـ   ـم فنـال العَـلاء وارتفعـا
ومـن رفيـع البنـا أضاعهمـا   أخمَلَـهُ ما أضاع فاتضعـا

ومن هذا المعنى :

أنا المذنب الخطاء والعفـو واسع   ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو (21)

ومن أشعر ما قيل في الحلم قول كعب بن زهير :

إذا أنت............ إلى آخره (22)

وبعده :

وإذا مضى باغ علـيك بجهلـه   فاقبله بالمعـروف لا بالمنكـرِ (23)

---

(21) البيت من بيتين لأبي إسحاق إبراهيم بن أبي محمد بن المبارك اليزيدي، الشاعر والأديب، يستعطف فيهما المامون العباس لخطإ ارتكبه.
والبيت الثاني هو :

سكرت فأبدت مني الكاس بعض ما   كرهت وما ان يستوي السكر والصحو

انظر ع. الرحمان الانباري، **نزهة الألباء**، ص 130، والابشيهي، 1 : 191—192.

(22) البيت هو :

إذا أنت لم تعرض عن الجهـل والخنـا   أصبت حليما أو أصابك جاهل

انظر **ديوان كعب بن زهير**، ص 257.
مـلاحظـة :
ينسب البيت أيضا لأبيه زهير.

(23) انظر البيت عند م. الابشيهي، **المستطرف**، 1 : 195.

ولآخر :

قل ما بدا لك من صدق ومن كذب   حلمي أصم وأذني غير صماء (24)

قال الأحنف : وجدت الحلم أنصر لي من الرجال (25).

وقيل له : ممن تعلمت الحلم ؟

فقال : من قيس بن عاصم (26)، كنا نختلف إليه في الحلم، كما نختلف إلى الفقهاء في الفقه، وقد حضرت عنده يوما وقد أتوه بأخ له قتل ابنه فجاءوا به مكتوفا، فقال : ذعرتم أخي، أطلقوه ! واحملوا إلى أم ولدي ديته. ثم أنشأ يقول :

أقول للنفس تأساءً وتعزيةً   أحدى يديَّ أصابتني ولم تُرِدِ
كلاهما خَلَفٌ من فقد صاحبه   هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي (27)

وقيل : الكريم إذا قدر غفر، وإذا رأى زلة ستر (28).

وقيل : ليس من عادة الكرام سرعة الغضب والانتقام (29).

وقال علي ـ كرم الله وجهه ـ : أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة. ولقد جيء إلى المنصور برجل فأمر بإحضاره، فلما مثل بين يديه قال : ذنبي أعظم من نقمتك، وعفوك أوسع من ذنبي، ثم قال :

فهبني مسيئا كالذي قلت ظالما   فعفوا جميلا كي يكون لك الفضل
فإن لم أكن للعفو منك لسوء ما   أتيت به، أهلا فأنت له أهل (30)

---

(24) انظر البيت عند الابشيهي، نفس المصدر والصفحة.
(25) انظر ابن مرزوق، **المسند**، ص 80.
(26) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 6 : 57، والمصادر بالهامش 1.
(27) انظر البيتين عند المرزوقي، **شرح ديوان الحماسة**، 1 : 207، والقصة عند الابشيهي، 1 : 187—188.
(28) انظر م. الابشيهي، المصدر السابق، 1 : 188.
(29) انظر م. الابشيهي، نفس المصدر والصفحة.
(30) انظر م. الابشيهي، نفس المصدر والصفحة.

فعفا عنه وأمر له بصلة.

وأحضر للهادي رجل من أصحاب عبد الله بن مالك، فوبخه على ذنب فقال : يا أمير المؤمنين، إن إقراري يلزمني ذنبا لم أفعله، ويلحق بي جرما لم أقف عليه، وإنكاري رد عليك، ومعارضة لك، ولكنني أقول :

فإن كنت تبغـــي بالعقــاب تشفيــا   فلا تزهـدَنْ عنـد التجـاوز في الأجــر

فقال : لله درك من معتذر بحق أو باطل، ما أمضى لسانك ! وأثبت جنانك ! وعفا عنه وخلى سبيله [31].

وقال رجل لعمرو بن العاص : إن قلت لي كلمة لتسمعن عشرا [32]. فقال له : لكنك لو قلت لي عشرا لن تسمع واحدة.

وسب بعض العلماء رجل، فأعرض عنه، فقال له : إياك أعني، فقال له : عنك أعرض [33].

قال معاوية : من عفا ساد، ومن حلم عظم، ومن تجاوز استمال القلوب.

ومن أعظم مراتب الحلم أن يطلب الستر من الجاني، وهو عروض قول الشاعر :

إذا مرضتــم أتيناكـــم نعودكـــمُ   وتُذنبـــون فنأتيكـــم فنعتـــذرُ [34]

وليحلم الكريم عن السفيه، ويترك جوابه، لأن ترك الجواب جواب، ولبعضهم في هذا المعنى :

ومـــا شيء أحب إلـــى سفيـــه   إذا سب الكريـــم من الجـــواب
متاركـــة السفيـــه بلا جواب   أشد على السفيه من السبـــاب [35]

ولبعضهم :

سكت عن السفيـه فظــن انـــي   عييت عن الجــواب ومـــا عيـــت

---

(31) انظر م. الابشيهي، نفس المصدر والصفحة.
(32) انظر ابن مرزوق، المسند، ص 80.
(33) انظر الابشيهي، المصدر السابق، 1 : 187، وابن مرزوق، المسند، ص 80.
(34) انظر الابشيهي، المصدر السابق، 1 : 190.
(35) انظر ابن مرزوق، المسند، ص 80.

وأما ما جاء فيه من كتاب الله العزيز، فما مدح الله به خليله إبراهيم : « إن إبراهيم لحليم أواه مُنِيبٌ » (36)، وقوله تعالى ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ (37)، ﴿ فَاصْفَحِ الصفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ (38)، وفي بعض الكتب المنزلة : « إن العفو زيادة في العمر »، ودليله من كتاب الله تعالى ﴿ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ (39)، ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ﴾ (40)، إلى غير ذلك من الآي الواردة في هذا المعنى.

قال بعضهم : الحلم أفضل من العقل، لأن الله سمي به. وأما ما جاء فيه من السنة، فعن ابن عباس (41) ــ رضي الله عنه ــ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لِأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ (42) : « إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة » (43).

قال عمر بن عبد العزيز ــ رضي الله عنه ــ : ما قرن شيء إلى شيء أحسن من حلم إلىَ علم، ومن عفو إلى قدرة.

وقال الأحنف : رأيت الحلم أنصر لي من الرجال.

وكانوا إذا عجبوا من حلمه قال : إني لأجد ما تجدون ولكني صبور.

وعنه ﷺ : « وجبت محبتي على من أغضب فحلم » (44)، وعنه ﷺ : « يسّروا ولا تعسّروا، وبَشّروا ولا تنفروا » (45)، وعنه ﷺ : « الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، والخُرْق لا يكون في شيء ألا شَانَهُ » (46)، وعنه ﷺ : « إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه » (47).

---

(36) الآية 75 من سورة هود.

(37) الآية 159 من سورة آل عمران.

(38) الآية 85 من سورة الحجر.

(39) الآية 17 من سورة الرعد.

(40) الآية 22 من سورة النور.

(41) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 3 : 62ــ64، والمصادر بالهامش 338 من الصفحة 62 من نفس المصدر.

(42) انظر ترجمته عند ابن حجر، **الاصابة في تميز الصحابة**، 1 : 51.

(43) أخرجه مسلم في **الصحيح**، 1 : 36، عن ابن عباس.

(44) أخرجه ابن عساكر في **تاريخ دمشق عن عائشة**. انظر ج. السيوطي **الجامع الصغير** ــ مخطوط غير مرقم.

(45) أخرجه البخاري في **الصحيح**، 1 : 25، عن أنس.

(46) أخرجه مسلم في **الصحيح**، 8 : 22، عن عائشة، باختلاف يسير في اللفظ.

(47) أخرجه مسلم في **الصحيح**، 8 : 22، عن عائشة، والترمذي في **السنن**، 4 : 254 باختلاف يسير في اللفظ.

وقالت الحكماء : بحسن السيرة يظهر المناوىء، وبالحلم عن السفيه يكثر أنصارك عليه. وأما حلمه ـــ أيده الله تعالى ـــ واحتماله من أهل العلم وغيرهم وما يصدر عنهم فأمر شهير يشهد بعلو قدره، واتصافه بالغاية القصوى من ذلك الجم الغفير. وأما كرمه فأمر شاع وذاع وامتلأت به الأسماع، فاستقصاء غايته أمر عسير لا يمكن وصفه. اعلم أن الكرم خصلة عظيمة، وسجية كريمة، وهي إحدى قواعد المملكة وأساسها، تعنو لها الوجوه، وتذل لها الرقاب، وتخضع لها الجبابرة، ويسترق لها الأحرار، ويستمال بها الأعداء والأشرار، ويستكثر بها الأولياء، وتحقن بها الدماء، ويحسن بها............ (48) وفي الآخرة الأنبياء، وفي بعض الآثار أن الله عَز وجل أوحى إلى موسى عليه السلام : « لا تقتل السامري فإنه سخي ». وقال ﷺ : « أحب عباد الله إلى الله أنفعهم لعباد الله » (49).

وللمتنبي :

وكيف أستر ما أوليت من حَسَنٍ   وقد غمرت نوالا أيها النالُ
لَطُفْتَ رأيك في بري وتكرمتي   إن الكريم على العلياء يحتال (50)

قال أرسطوطاليس : الجود إيثار لذة الثناء على لذة المال.

وفي المثل : ما ضاع مال أورث حمدا.

ومن الحكم : لا شيء أحسن من المعروف إلا ثوابه.

وسئل علي ـــ رضي الله عنه ـــ عن السخاء فقال : ما كان ابتداء، وأما ما كان عن مسألة فحياء وتكرم.

روى في بعض الآثار : ان يحيى بن زكرياء ـــ عليهما السلام ـــ لقي إبليس فقال له : يا إبليس، أخبرني بأحب الناس إليك، وأبغض الناس إليك ؟ قال : أحب الناس إلي المؤمن البخيل، وأبغض الناس إلي الفاجر السخي، قال : ولم ؟ قال : لأن المؤمن البخيل قد كفاني بخله، والفاجر السخي أخاف أن يطلع الله عليه في سخائه فيقبله. ثم ولى وهو يقول : لولا أنك يحيى بن زكرياء ما أخبرتك (51).

(48) بياض بالأصل.

(49) ورد الحديث عند ج. السيوطي في **الجامع الكبير**، 1 : 44، هكذا : « أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس ».

(50) انظر **ديوان المتنبي**، 3 : 405.

(51) انظر القصة عند ابن يجبش التازي، **تنبيه الهمم**، ص 138.

من جاد بالمال مال الناس قاطبة   إليه فالمال للانسان فتان
من كان للخير مناعا فليس له   على الحقيقة اخوان وأخدانُ

ولا شك أنه، أي الكرم، من خصاله التي خصه الله بها، فكأن الحسين بن مطير الأسدي (52) إياه عني بقوله :

له يوم بؤس فيه للناس أبؤس   ويوم نعيم فيه للناس أنعم
فيمطر يوم الجود من كفه الندى   ويمطر يوم البؤس من كفه الدم
ولو أن يوم البؤس خلّى عقابه   على الناس لم يصبح على الأرض مجرم
ولو أن يوم الجود خلّى يمينه   على الناس لم يصبح على الأرض مُعدم] (53)

[وما لبعضهم :

فوجهك بدر في الغياهب مشرق   وكفك في شُهْبِ السنين غمام
فأعجب ببدر لا يزال أمامه   غمام ولا يغشاه منه ظلام
وأعجب من هذا غمام إذا سطا   تلظّى فكان البرق منه حسام (54)

---

(52) انظر ترجمته عند م. بن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، 1 : 388—389، والمصادر بالهامش 139 من الصفحة 388 من نفس المصدر.

(53) ما بين المعقوفين سقط من « م » و « ج ».

ملاحظة :

أورد بهاء الدين العاملي في **الكشكول**، ج 2، ص 42—43، قصة هذه الأبيات كما يلي :

« دخل أعرابي على النعمان بن المنذر وعنده وجوه العرب فأنشأ يقول :

له يوم بؤس فيه للناس أبؤس   ويوم نعيم فيه للناس أنعم
فيمطر يوم الجود من كفه الندى   ويمطر يوم البؤس من كفه الدم
فلو أن يوم البؤس فرغ كفه   لبذل الندى لم يبق في الأرض معدم
ولو أن يوم الجود لم يثن كفه   عن البؤس لم يصبح على الأرض مجرم

فأعطاه مائة بكرة وعشرة أفراس، وعشر جوار، على رأس كل جارية كيس مملوءٌ ذهبا ». وانظر أيضا الابشيهي، 1 : 234.

(54) انظر م. الابشيهي، المصدر السابق، 1 : 234.

وما للخطابي [55] :

خلـــــــــقٌ مشرق ورأي حسام ... ووداد عذب وريـــــح جنـــــوبُ
كل يوم له وكـــــــــل أوان ... كرم ضاحك ومـــــال كئـــــيب

وما لبعضهم :

ما إنْ يبالـــي إذا حَلّـــى خلائقـــه ... بجـــوده أيّ قُطريـــه حوى العَطَـــلُ
كأن أموالـــه والبـــذل يسحقهـــا ... نَهْبٌ، تَعَسَّفَـــهُ التبذيـــر أو نَفَـــلُ

وما لبعضهم :

قد أمطـــــرت بنوالهـــــا ... كف الأميـــر علـــى الـــورى
فالجـــو يمطـــر وَدْقَـــهُ ... متصبـــا متحـــدّرا
فتشابهـــا وتشاكـــلا ... ما فيهمـــا من قهقـــرا
فالجـــو يمطـــر أبـــيضا ... ويـــداه تمطـــر أصفـــرا

وما لبعضهم :

من قاس جدواك بالغمـــام فمـــا ... أنصف في الحكـــم يـــن شكليـــن
أنت إذا جدت ضاحك أبـــــدا ... وهـــو إذا جاد هامـــل العيـــن [56]

حكي أن عبد الله بن طاهر [57] دخل على المامون فقال له : امدح ببيت قالته العرب، أو قالته الشعراء، فقال له قول بعضهم :

---

(55) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 2 : 304، والمصادر بالهامش 1.
(56) البيتان للوأواء الدمشقي في سيف الدولة.
انظر **فوات الوفيات**، 3 : 243، **وثمرات الأوراق**، 2 : 246، **ويتيمة الدهر**، 1 : 14.
(57) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 3 : 83—89، والمصادر بالهامش 343 من الصفحة 83 من نفس المصدر.

يجود بالنفس ان ضن الجواد بهـا   والجود بالنفس أقصى غاية الجـود

وما لبعضهم وهو زهير :

تراه إذا ما جئتـه متهلّـلا   كأنك تعطيـه الـذي أنت سائلُـهُ
كريـم إذا ما جئتَ للعـرف طالبـا   حباك بمـا تحـوي عليـه أناملـه
ولـو لم يكـن في كفه غيـر نفسه   لجاد بها، فليتق اللـه سائلـه (58)

وما لأبي الحسين علي بن لبال (59) من الجمع والتقسيم :

تكاملت فيك أوصاف خُصصت بها   فكلنـا لك مسرور ومغتبـطُ
فالسن ضاحكـة والكـف مانحـة   والصدر متسع والوجه منبسط] (60)

لا غرو أن ما حواه مولانا من السخاء وطيب النفس والبذل والكرم والحلم والعلم لم يحوه غيره من الملوك الماضية في الأعصار الخالية. عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت : قال

(58) البيت الأول من قصيدة يمدح فيها حصن بن حذيفة بن بدر، مطلعها :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله   وعـري أفـراس الصبـا ورواحلـه

والبيت المذكور في **المنتقى** هو البيت 35 من القصيدة :
انظر **ديوانه**، ص 68.
والبيت الثاني لا يوجد في الديوان، وهو بيت ضعيف ركيك لا ينبغي أن ينسب إلى شاعرٍ مجيد مثل زهير.
أما البيت الثالث فهو البيت الثاني من بيتين، والبيت الأول هو :

ترى الجند والأعـراب يغشون بابـه   كما وردت ماء الكـلاب هواملـه

انظر **ديوانه**، ص 72.

(59) هو علي بن أحمد بن علي بن فتح، أبو الحسن بن لبال، (ت 583 هـ / 1187 م)، من بني أمية، قاض أندلسي، من الأدباء الشعراء، من أهل شريش ولي قضاءها، وصنف كتابا في **شرح المقامات الحريرية**.
انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 5 : 61، والمصادر بالهامش 3.

(60) ما بين المعقوفين ورد متأخرا في « م »، وانظر البيتين الأخيرين عند الدميري، **حياة الحيوان الكبرى**، 1 : 197، و**الحلل الموشية**، ص 119.

رسول الله ﷺ : « السخي قريب من الله، قريب من الناس، بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنة » [61].

والجاهل السخي أحب إلى الله من العابد البخيل.

وعنه ﷺ أنه قال : « ابن آدم ليس من مالك إلا ثلاث : ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو أعطيت فأمضيت، وما تركت فللوارث » [62].

وفي الخبر أن الله يأخذ بيد الكريم مهما عثر.

وعنه ﷺ : « المؤمن كريم والفاجر لئيم » [63].

وقيل للأحنف : ما الجود ؟ فقال : بذل الندى وكف الأذى.

فهذه صفته ـــ أيده الله تعالى ـــ.

وسئل الخليل عن الجود، فقال : بذل الموجود، وقد عقد هذا بعضهم، فقال :

ألا فجـــد بحسب الموجـــود ان التكلـــف مفـــيت الجـــود

ولبعضهم :

لا كلــف اللــه نفسا فوق طاقتهـــا ولا تجـــود يد إلا بمـــا تجـــد
فلا تعـــد عِدةً إلا وفـــيت بهـــا واحـذر خلاف مقـال للـذي تَعِـدُ [64]

---

(61) أخرجه الترمذي في السنن، 3 : 134، عن أبي هريرة.

(62) أخرجه مسلم في الصحيح، 8 : 211، باختلاف يسير في اللفظ.

(63) أخرجه أبو داود في السنن، 4 : 251، الترمذي في السنن، 3 : 135، وكلاهما عن أبي هريرة باللفظ الآتي :
« المؤمن غر كريم، والفاجر خب لئيم ».

(64) البيتان للفقيمي، انظر محمد الوشاء، الموشي، ص 58.
وقد ورد البيتان هكذا :

ما كلــف اللــه نفسا فوق طاقتهـــا ولا تجـــود يد إلا بمـــا تجـــد
فلا تعـــد عدة إلا وفـــيت بهـــا ولا تكونـــن مخلافـــا لمـــا تعـــد

والابشيهي، 1 : 198.

ولبعضهم :

ليس العطاء من الـفضول سماحـة حتى تجود ومـا لديك قليــل (65)

فلقد أعطى ــ أيده الله تعالى ــ من أمواله كثيرا، لا يدخل تحت حصر، وعم نواله أنواع البرايا من عربها وعجمها، مسلمها وكافرها، يعطي الآلاف للواحد في الساعة الواحدة، ويتكرر ذلك في الأشخاص من الوافدين عليه دون إقامتهم في مأكولهم ومشروبهم، ولحافات النوم وغير ذلك من أثاث البيوت التي تجرى على الوافدين عليه، ولقد مَنَّ على كثير من عظماء النصارى الذين أسرهم في غزوته العظيمة التي يأتي ذكرها، فأرغم بذلك أنوفهم، واستعبد به ألوفهم، ويعطي ــ أيده الله ــ من عظماء النصارى الذين يباعون بالأموال الطائلة لمن يستحقهم من ضعفاء أسارى المؤمنين المفتقرين إلى ذلك ما لو أثبته في هذه العجالة لأخرجها إلى التطويل، والقصد ذكر المآثر جملة لا تفضيلا، ولو تتبعنا لما وسعني عمري، فأردت انتهاز الفرصة.

ومما قيل في الكرم من مراعاة النظير ما لجمال الدين بن نباتة :

روت عنك أخبار المعالي محاسنا (66) كفت بلسان الحال عن ألسن الحمد
فوجهك عن (بِشْرٍ) وكفك عن (عطا) وخلقك عن (سَهْلٍ) ورأيك عن (سَعْد) (67)

ولبعضهم :

روت خبـــر المكـــارم راحتـــاه بحسن تخالُـفٍ في الــفضل سارِ
فيمنـــاه روتـــه عن (عطـــاء) ويسراه روتـــــه عن (يسار)

ولبرهان الدين القيراطي :

أوصافكـــم تجـــرى أحاديثهـــا مجـرى النجـوم الزُّهْـرِ في الأُفْـقِ

(65) البيت من شواهد النحو في باب حتى.
(66) في **ديوان ابن نباتة**، ص 174 : محاسن على اعتبار أنها فاعل مؤخر، واخبار، مفعول به مقدم، وكلا الوجهين صحيح ولكن رواية الديوان أعرب، وتوجد رواية **المنتقى** عند الابشيهي، 1 : 235.
(67) انظر ديوان ابن نباتة، ص 174.

كما أحاديث الندى عنكم (68) تسندها الركبان من طُرُقِ

ولبعضهم :

من زار بابك لم تبرح جوارحه تروى أحاديث ما أوليت من منن
فالعين عن (قرة) والكف عن (صلة) والقلب عن (جابر) والسمع عن (حسن) (69)

ولبعضهم :

أصح وأقوى ما سمعناه في الندى من الخبر المأثور منذ قديم
أحاديث ترويها السيول عن الحَيا عن البحر عن كف الأمير تميم (70)

ومن مراعاة النظير (71) في غير المعنى المتقدم :

زعم الأراك بأن ريقة ثغرها من قهوة مزجت بماء الكوثر
قد صح ما زعم الأراك لأنه يرويه حقا عن (صحاح الجوهر) (ي)

ولبعضهم، وهو الشيخ أبو عبد الله محمد بن الحطيب السلماني ـ رحمه الله ـ : (72).

مضجعي فيك عن (قتادة) يروى وروى عن (أبي الزناد) فؤادي
وكذا الدمع شاعر فيك أضحى من جفوني يهيم في كل وادي (73)

---

(68) ورد صدر البيت الثاني بالأصل هكذا : كم أحاديث في الندى عنكم.
وفيه اختلال في الوزن، والتصويب من **المستطرف**، 1 : 234.
(69) انظر البيتين عند الابشيهي، المصدر السابق، 1 : 235.
(70) البيتان لابن رشيق ف مدح تميم بن المعز الصنهاجي.
انظر **وفيات الأعيان**، 1 : 304.
(71) انظر حول مراعاة النظير، ابن حجة الحموي، **خزانة الأدب**، ص 131ـ134.
(72) ما بين المعقوفين زيادة من « م ».
(73) ورد البيت عند أ. المقري في **النفح**، 6 : 463، هكذا :
وكذا النوم شاعر فيك أمسى من دموعي يهيم في كل وادي

وللكاتب ابن جزي الأندلسي (74) :

خذ من حديث تولّهـي وتولّعـي خبرا (صحيحا) ليس (بالموضوع)
يرويه خدي (مسندا) عن أدمعـي عن مقلتي عن قلبي المفجوع (75)

والنظر [هنا] (76) المورى به : خدا.......... إلى آخره، لأن الصحيح في اصطلاح علم الحديث كما قاله الخطابي (77) في **معالم السنن** (78) : اعلموا أن الحديث عند أهله على ثلاثة أقسام : حديث صحيح، وحديث حسن، وحديث سقيم. فالصحيح عندهم ما اتصل سنده وعدلت نقلته. وقال العراقي (79) :

فالأول المتصل الاسناد بنقل عدل ضابط الفؤاد
عن مثله من غير ما شذوذ وعلة قادحة فتوذى

قال ابن الصلاح (80) : هذا هو الحديث الذي يحكم بصحته بلا خلاف (81). [وإنما قيد نفي الخلاف بأهل الحديث، لأن بعض متأخري المعتزلة يشترط العدد في الرواية كالشهادة] (82). حكاه الحازمي (83) في **شروط الرواية** (84). والموضوع في اصطلاحهم هو الخبر المكذوب على النبي ﷺ وهو شر (الحديث) الضعيف (85).

(74) انظر ترجمته عند أ. المقري، **نفح**، 5 : 526 — 536، ومصادر ترجمته بالهامش 1 من الصفحة 526 من نفس المصدر.
(75) انظر البيتين عند أ. المقري، **نفح**، 5 : 533.
(76) ما بين المعقوفين زيادة من « م ».
(77) انظر يوسف الكتاني، الامام الخطابي رائد شرح البخاري، مقال بمجلة **دعوة الحق**، العدد 5 السنة 21، غشت / شتنبر 1980، ص 44 — 49.
(78) **معالم السنن في شرح سنن أبي داود**، طبع بحلب سنة 1920، وطبع بتحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد حامد الفقي في القاهرة سنة 1948.
(79) ترجم له ترجمة مطولة تلميذه أ. بن حجر، **انباء الغمر بأبناء العمر**، 2 : 275 — 279 رقم 19.
(80) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 3 : 243 — 245، والمصادر بالهامش 411 من الصفحة 243.
(81) انظر **مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث**، ص 8.
(82) ما بين المعقوفين زيادة من « م ».
(83) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 4 : 294 — 295 والمصادر بالهامش 625 من الصفحة 294 من نفس المصدر.
(84) الواقع أن الكتاب اشتهر باسم **شروط الأئمة** وهو مطبوع.
انظر عند حاجي خليفة، **كشف**، 2 : 1047، يوسف سركيس، **معجم المطبوعات العربية**، 735.

المكذوب على النبي ﷺ وهو شر (الحديث) الضعيف (85).

قال العراقي :

شر الضعيف الخبر الموضوع
الكذب المختلف المصنوع

وكيف ما كان لم يجيزوا ذكره لمن علم، ما لم يبن أمره.
قال العراقي : ومن الموضوعات : المعدة بيت الداء، والحِمْية (86) رأس الدواء، فهو من كلام بعض الأطباء. قال زكرياء الأنصاري : هو الحارث بن كَلَدَة (87)، طبيب. العراقي ، انتهى.

قال ابن الصلاح (88) : وإنما يعرف كون الحديث موضوعا بإقرار واضعه أو ما يتنزل منزلة إقراره، [وقد يفهمون الوضع] (89) من قرينة حال الراوي أو المروي، فقد وضعت أحاديث طويلة يشهد بوضعها ركاكة ألفاظها ومعانيها. والعراقي هذا هو زين الدين عبد الرحيم ابن الحسين العراقي، توفي بالقاهرة سنة ست وثمانمائة (90) ــ رحمه الله، ونفعنا به وبأمثاله ــ، وهو صاحب نظم الألفية التي اختصر فيها كتاب أبي عمرو بن الصلاح. والمسند في اصطلاحهم : ما رفع إلى النبي ﷺ (91)، والمعنعن في اصطلاحهم ما أتى فيه بعن إذا سلم راويه من دُلْسَةٍ (92).

---

(85) انظر **مقدمة ابن الصلاح** في علوم الحديث، ص 47.
(86) الحمية : الاحتماء من أنواع المأكولات والمشروبات.
(87) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 2 : 159، والمصادر بالهامش 1، وصالح مهدي العزاوي، الحارث بن كلدة، مجلة **المورد** العراقية، المجلد السادس، العدد الرابع، سنة 1977، ص 217 ــ 221.
(88) بالأصل العراقي، وهو تصحيف، إذ النص مأخوذ حرفيا من **مقدمة ابن الصلاح** في علوم الحديث، ص 47، كما سبق أن أخذ منه حرفيا ما كتب حول الحديث الصحيح والموضوع.
(89) ما بين المعقوفين إكمال من **مقدمة ابن الصلاح** في علوم الحديث، ص 47.
(90) 806 هـ / توافق 1403 / 1404 م.
(91) عرف ابن الصلاح المسند في **المقدمة**، ص 21، هكذا :
« ذكر أبو عمر بن عبد البر الحافظ أن المسند ما رفع إلى النبي ﷺ وعلى آله وصحبه خاصة ».
(92) انظر **مقدمة ابن الصلاح**، ص 29.

قال العراقي :

وصحَّحـــوا وصل معنعـــن سَلِـــمْ   من دُلْسَةٍ راويــه واللقــا عُلِـــمْ [93]

ولقد أجاد الكاتب في البيتين ــ رحمه الله تعالى ــ، فهما في غاية الحسن [94].

ولبعضهم :

حَلَّتْ عقــارب صُدْغِــــهِ من خده   قمــرٌ فَجَــلَّ بهــا عن التشبيـــهِ
ولقـــد عَهِدْنـــاهُ يحــلُّ ببرجهــــا   ومـن العجــائب كيــف حلت فيــهِ

ولقد أجاد، فإن العقرب في اصطلاح الفلكية برج من الأبراج التي يحل بها القمر وهي اثنا عشر برجا، أولها : الجدي، الدلو، الجوت، الحَمَل، الثور، الجوزاء، السرطان، الأسد، السنبلة، الميزان، العقرب، القوس.

وفي كل برج منها ثلاثون درجة، وكل برج منها لكل شهر من شهور العجم من يناير إلى آخرها، وستة منها أبدا نظير ستة [95]، وستة من الأبراج [96] شمالية، والستة الباقية جنوبية، ومحل استيفاء الكلام عليها يطلب في محله، والله الموفق.

---

(93) ما بين المعقوفين سقط من « م » و « ج ».
(94) ما بين المعقوفين زيادة من « م ».

ملاحظـــة :

يبدو أن الكلام مبتور، إذ لم يتقدم فيه البيتان اللذان استجادهما، ولا إسم قائلهما الذي نعته بالكاتب.
ويوجد بعد البيت المذكور ما يأتي :

وبعضهـــم حكـــى بذا إجماعـــا   ومسلـــم لم يشرط اجماعـــا
لكـــن تعــاصرا وقيـــل يشتـــرط   طول صحابـــة وبعضهـــم شرط

انظر السخاوي، **فتح المغيث**، 1 : 155 ــ 156.

(95) ورد بعد عبارة (نظير ستة)، ما يأتي : والسابع النظير، ولا معنى لها هنا. إذ من المعلوم أن هناك 12 برجا، ستة منها نظير ستة، كما أكد ذلك ابن القاضي نفسه في **المنتقى**.
(96) بالأصل : الحمل، وهو تصحيف.

ولبعضهم :

سقتنيَ في ليل شبيه بشعرها ... شَبيهة خديها بغير رقيب
فما زلت في ليلين : شعرٍ وظلمةٍ ... وشمسين : من خمر ووجه حبيب (97)

ومنه ما أنشدنيه شيخنا أبو راشد :

ولما رأت عزمي حثيثا على السُّرَى ... وقد رَابَهَا ماذا لَقِيتُ من البين
أتت بصحاح الجوهري دموعها ... فعارضت من عيني بمختصر العين (98)

وأنشدني لبدر الدين بن مالك، كذا عزاه هو، وقال الصفدي هو لابن التلمساني (99) :

يا ساكنا قلبي المُعَنَّى ... وليس فيه سواك ثاني

---

(97) نسب أبو هلال العسكري في **ديوان المعاني** 1 : 344، البيت الأول لابن أبي طاهر قائلا : « وأخذ ابن أبي طاهر قول مسلم :

كأن دجاها من قرونك تنشر

فقال :

سقتني في ليل شبيه بشعرها ... شبيهة خديها بغير رقيب

وأورد أ. المقري في **أزهار الرياض**، 2 : 142، البيت الثاني هكذا :

فأمسيت في ليلين للشعر والدجى ... وشمسين من خمر وخد حبيب

ونسب الحصرى في **جمع الجواهر**، ص 228، البيتين معا لابن المعتز، ولم نعثر عليهما في **ديوان ابن المعتز**، وانظر البيتين أيضا عند النواجي في **الحلبة**، ص 158.

(98) البيتان للسان الدين بن الخطيب، وقد ورد البيتان عند أ. المقري في **النفح**، 6 : 464، هكذا :

ولما رأت عزمي حثيثا على السرى ... وقد رابها صبري على موقف البين
أتت بصحاح الجوهري دموعها ... فعارضت من دمعي بمختصر العين

(99) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 3 : 193، والمصادر بالهامش.

لأي شيء كسرت قلبـــــــــــي   ومـــا التقـــى فيـــه ساكنـــان (100)

[وقد اعترضهما بعضهم بأن قال فيهما مصادرة عن المطلوب، حيث كسر محل الساكنين، والقياس كسر أحدهما، فتأمله فإنه جيد، والله أعلم] (101).

وأجاب نفسه فقال :

كسرتـــــه وهـــو ذو سكـــون   لم يثنـــــه للوجــــــود ثان
فكـــــان كسري له قيـــــاسا   لمـــا التقـــى فيـــه ساكنـــان

وأنشدني جوابا عنهما لغيره :

كسرتـــــه حيـــن قلت قلبـــــي   ولـــم تضفـــه إلـــى فلان
لا يمـــلك المستهـــام قلبـــــا   يا ظالـــم اللفـــظ والمعانـــي

ولنرجع إلى ما كنا بصدده، فقد جمع ــ أيده الله ــ من صفات الكمال، وخلال الجمال، ما لم يثبته لغيره مقال، وما لم يعقل شوارد عقال.

هكذا هكذا وإلا فلالا

والله الموفق.

---

(100) علق الصفدي على هذين البيتين قائلا : « هذا المعنى فاسد، لأن القلب ظرف لاجتماع الساكنين، فالساكنان غير القلب، ولم يكسر أحد الساكنين كما هو القانون إنما كسر ما اجتمعا فيه، وقد ذكر ذلك لجماعة من الأدباء فاستحسنوه ».
انظر بهاء الدين العاملي، **الكشكول**، ص 493، وابن حجة الحموي، **خزانة الأدب**، ص 139. وأ. المقري، **نفح**، 6 : 244 رقم 57، و 5 : 384.

(101) ما بين المعقوفين سقط من « م » و « ج ».

الباب التاسع

* في صبره الجميل
ومقابلته الاساءة بالاحسان الأثيل

---

* ورد العنوان في « ج » هكذا :
الباب العشر في شدة حيائه، التي هي في صفات ذاته الجليلة وبهائه.

اعلم أنه ــ أيده الله ــ أشد الملوك صبرا، وأمدهم خبرا، وأعظمهم خبرا، وأقواهم احتمالا للأذى، وأكثرهم بذلا للندى، حلما منه واحتسابا بالله عز وجل، ولقد حدثني بعض من أثق به عن كثير من صبره واحتماله، ومجازاته السيئة بالحسنة، ولو استقصيت ماله في علمي من ذلك لطال الكتاب، وخرج عن حد الاختصار إلى الاسهاب.

وخصلة الصبر خصلة جليلة، ومنقبة جميلة، ولقد مدحت قرآنا، وسنة، ونظما، وناهيك بشرفها وعظيم منزلتها قوله تعالى : ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب (1)﴾، ﴿وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا (2)﴾،[﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا (3)﴾]، ﴿واصبروا إن الله مع الصابرين (4)﴾. والآي من هذا القبيل كثيرة في القرآن العظيم، كادت ألا تحصى كثرة.

وأما الأحاديث فكثيرة جدا، فمنها ما في مسلم، عنه ــ ﷺ : « عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له (5) »، وعنه ــ ﷺ ــ أنه قال : « ليس الشديد بالصُّرَعَة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الصدمة الأولى (6) »، وسئل ــ ﷺ ــ عن الايمان فقال :

(1) الآية من سورة الزمر.
(2) الآية 137 من سورة الاعراف.
(3) ما بين المعقوفين سقط من « م » و « ج ».
والآية هي الآية 24 من سورة السجدة.
(4) الآية 46 من سورة الأنفال.
(5) أخرجه مسلم في **الصحيح**، 8 : 227، باختلاف يسير في اللفظ.
(6) أخرجه البخاري في **الصحيح**، 7 : 99، ومسلم في **الصحيح**، 8 : 30، ومالك في **الموطأ**، ص 252 =

« الصبر والسماحة [7] »، وعن نافع عن ابن عمر [8] ــ رضي الله عنه ــ أن رسول الله ــ ﷺ ــ قال : « انتظار الفرج بالصبر عبادة [9] ».

قال سفيان [10] : بلغنا أن لكل شيء ثمرة وثمرة الصبر : الظفر.

وقال علي : الصبر كفيل بالنجاح.

وقال : إن للمحن غاية فينبغي للعاقل أن يكون كالنائم.

وكان صالح المري [11] يقول في دعائه : اللهم ارزقنا صبرا على طاعتك، وصبرا على معصيتك، وارزقنا صبرا على ما تحب، وصبرا عما تكره، وارزقنا صبرا عند عزائم الأمور.

وروي عن الحسن بن أبي الحسن البصري [12] أنه قال : سب رجل من الصدر الأول رجلا فلم يجبه، وهو يمسح العرق عن وجهه ويتلو : « ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور [13] »، فقال الحسن : أعقلها والله وفهمها حين ضيعها الجاهلون.

وقال وهب بن منبه : ثلاث من كن فيه فقد أصاب البر : سخاء النفس، والصبر على الأذى، وطيب الكلام، به يستجلب النجح في كل محبوب، ويرجى الظفر لكل مطلوب.

وقال أبو عُبيد [14] : وما اجتمعت العرب على شيء اجتماعها على الأمر بالصبر، وتجنب أخلاق الغدر، والأخذ على الناس بالعذر.

= رقم 1638، وكلهم عن أبي هريرة، باللفظ الاتي : « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ».

(7) أخرجه الديلمي في **مسند الفردوس** عن معقل بن يسار باللفظ الآتي : « أفضل الايمان الصبر والسماحة ».
أنظر المتقي الهندي، **منتخب كنز العمال**، 1 : 208.

(8) انظر ترجمته عند ج. الدين الزركلي، **الاعلام**، 8 : 318، والمصادر بالهامش 1.

(9) أخرجه القضاعي في **مسند الشهاب**، عن ابن عمر وابن عباس. انظر ج. السيوطي، **الجامع الكبير**، 1 : 280.

(10) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 2 : 266، والمصادر بالهامش 386 من الصفحة 266.

(11) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 2 : 494 ــ 495 والمصادر بالهامش 304 من الصفحة 494 من نفس المصدر.

(12) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 2 : 69 ــ 73، والمصادر بالهامش 156 من الصفحة 69 من نفس المصدر.

(13) الآية 43 من سورة الشورى.

(14) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 5 : 87 والمصادر بالهامش.

ولبعضهم :

أرى الصبر محموداً وعنه مذاهب ... فكيف إذا ما لم يكن عنه مذهب
هو المهرب المنجي لمن أحدقت به ... مكاره عصر ليس عنهن مهرب [15]

وعن علي : الصبر مطية لا تكبو والقناعة سيف لا ينبو [16].

وعنه : الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد [17].

وقال عمر لرجل : ان صبرت مضى أمر الله وكنت مأجورا، وإن جزعت مضى أمر الله وكنت مأزورا.

ومما جاء فيه نظما، ما لأبي تمام :

وقال علي في التعزى لأشعث ... وخاف عليه بعض تلك المآثم
أتصبر للبلوى عزاء وحسبة ... فتؤجر أو تسلو سلو البهائم
خلقنا رجالا للتجلد والعزا ... وتلك الغواني للبكا والمآتِم [18]

وللطائي :

الصبر مفتاح كل خير ... ما أحسن الصبر والتأني [19]

ولبعضهم :

ان في الصبر لفضلا بينا ... فاحمل النفس عليه تظفر [20]

---

(15) البيتان لابن الرومي .
انظر **ديوانه**، 1 : 229.
(16) انظر ابن مرزوق، **المسند**، ص 103.
(17) ورد الأثر في **المسند** : ص 105، بإضافة : ومن انتزع رأسه لا حياة له.
(18) انظر **ديوان أبي تمام**، ص 282.
(19) انظر **المسند**، ص 106.
(20) انظر المصدر السابق، نفس الصفحة.

ولبعضهم :

عليك إذا ضاقت أمـورك والتـوت ... بصبر فإن الـنصر مفتـاح الصبـر
ولا تشتكـي إلا إلـى الله وحـده ... فمـن عنـده تأتـي الفوائـد والـبشر

ولبعضهم :

أحسن الظـــــن برب عودك ... حسنـــا منـــــه وسوى أَوَدَكْ
ان ربــا كان يكفـــيك الـــذي ... كان بالأمس سيكفـــيك غَدَكْ

ولبعضهم :

الدهــر يخنـــق أحيانـــا قلادتـــه ... فاصبر عليــه ولا تجــزع ولا تثب
حتـــى يُفرِّجَهـــا في حال مِرَّتِهـــا ... فقـد تزيـد خناقا كل مضطـــرب (21)

ولعبد الرحمن بن دوست (22).

لا تبغ سرك غيـر قلـبك موضعـا ... فالسر بيــن مضيـــع ومبـــاحث
وأعـد صبـرك للنـوائب جملـــة ... فالمــرء رهـــن مصائب وحـــوادث
واسمح بمالك في الحقوق فانمـــا ... مال البخيـــل لحـــادث أو وارث
واحرث لنـفسك حرث خيـــر انــه ... لا يحصد المعروف غيـــر الحـــارث
لا ينفـــع التدبيـــر والحـــزم امـــرءا ... حتـــى يعـــززه الـــقضاء بثـــالث

وأنشدني السيد أبو العباس أحمد بن يحيى العلامي العبد السلامي الشريف الحسني (23) :

(21) انظر ديوان علي بن أبي طالب ، 17
(22) انظر ترجمته في وفيات الأعيان، 1 : 129، وفوات الوفيات، ط : 297، وخ الدين الزركلي، الأعلام، 1 : 102.
(23) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، درة الحجال، 1 : 101 ـــ 103 رقم 143، وم. المكلاتي، تكميل، بيت 1، وم. القادري، نشر، 1 : 33، وم. حجي ، الحركة، 2 : 424. =

لا تيـــأسنّ، وان طالت مطالبـــة ... إذا استعنت بصبـــر أن ترى فرجـــا
أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ... ومدمـن القـرع للأبـواب أن يلجـا [24]

[وأنشدني :

وإنـــي لأرجـــو الله حتـــى كأننـــي ... أرى بجميل الصبر ما الله صانع [25]]

وأنشدني :

وإنـــي لأدعـــو الله والأمـــر ضيـــق ... علـــي فمـــا ينـــفك أن يتفرجـــا
ورب فتـــى ضاقت عليـــه وجوهـــه ... أصاب لها في دعـــوة الله مخرجـــا

ولبعضهم :

ليس لمـــــن ليست له حيلـــــة ... موجـــودة خيـــر من الصبـــــر [26]

ولبعضهم :

اصبـــــر وإن طالت الليالـــــي ... فربمـــــا ساعـــــد الحـــــرون

= ملاحظـــة :

العلمي : نسبة إلى جبل العلم الواقع وسط قبيلة بني عروس، بين تطوان وشفشاون، والعبد السلامي، نسبة إلى قطب المتصوفة المغاربة اطلاقا عبد السلام بن مشيش (ت 622 ــ 1225) شيخ أبي الحسن الشاذلي المتصوف المشهور.

(24) البيتان لمحمد بن بشير الخارجي، من شعراء الدولة الأموية، انظر **شرح المرزوقي على الحماسة**، 3 : 1173 ــ 1175، وابن الأزرق، **البدائع**، 2 : 518، وابن مرزوق، **السند**، ص 105.
(25) ما بين المعقوفين زيادة من « م ».
والبيت من قطعة لأعرابي يصف فيها دعوة مستجابة.
انظر ابن عبد ربه القرطبي، **العقد الفريد**، 3 : 227.
(26) انظر ابن مرزوق، **المسند**، 106.

وربمـــــا نيـــــل باصطبـــــار ما قيــل : هيهــات لا يكـــون (27)

وعن يونس :

خلقـــــان لا أرضى فعالهمــــا : تيــه الغنـــى ومذلـــة الفقـــر
فاذا غنـــيت فلا تكـــن بطـــرا، وإذا افتقـــرت فتــه علـــى الدهـــر
واصبـــر فلـيست بواجــد خلقــا أدنـــى إلـــى فرج من الصبـــر (28)

ولبعضهم :

واذا تصبك مصيبـــة فاصبـــر لهـــا عظمت مصيبـــة مبتلـــى لا يصبـــر

ولأبي العتاهية أبي اسحاق اسماعيل، ولد سنة مائة وثلاثين (29)، وتوفي سنة احدى عشرة ومائتين (30) :

اصبـــر لدهـــر نال منـــــــك فهكـــذا مضت الدهـــور
فـــرج وحــــزن مـــــرة لا الحــــزن دام ولا السرور (31)

[وكان يقال : لا دواء لداء الدهر إلا بصَبِرِ الصبر.
ولمحمود الوراق :

إنـــي رأيت الصبـــر خيـــر معـــول في النائبـــات لمـــن أراد معـــولا
ورأيت أسبـــاب القناعـــة أكـــدت بعرى الفتـــى فجعلتهـــا لي معقـــلا
فإذا نابـــي منــــزل جاورتـــــه وجعــلت منــه غيــره لي منـــزلا

---

(27) ينسب البيتان إلى علي بن أبي طالب (انظر **الديوان**، **126**)، وانظر البيتين أيضا عند العاملي، **الكشكول**، ص 624، وابن الأزرق، **البدائع**، 2 : 521.
والحرون : الصعب الانقياد.

(28) انظر البيتين الأولين عند الراغب الأصبهاني في **المحاضرات**، 2 : 507.

(29) 130 هـ توافق 748 م.

(30) 211 هـ توافق 826 م.

(31) انظر البيتين عند ابن عذاري، **البيان**، 1 : 143.

وإذا غلا شيء علـــــي تركتـــــه فيكون أرخص ما يكون إذا غلا (32)

ولبعضهم :

على قدر فضل المرء تأتي خطوبــه ويحمـد منه الصبــر ممــا يصيبــه
فمـــن قل فيمـــا يتقيـــه اصطبـــاره فقـد قل فيما يرتجيـه نصيبـــه [33]]

حكي أن بعض الرواة دخل مدينة يقال لها [ظفار [34]]، قال : فبينما أطوف في خرابها إذ رأيت مكتوبا على باب قصر خراب :

يا من ألـــح عليـــه الهَـــمُّ والفِكَـــرُ وغَيَّـــرَتْ حالـــه الأيـــام والغِيَـــرُ
أمـا سمعت بمـا قد قيـل في مثـــل عنـــد الإيـــاس فأيـــن الله والقـــدر
نم للخطـــوب إذا أحداثُهـــــا طرقت فاصبر فقـد فاز أقـوام بمـا صبـــروا
فكـل ضيـــق سيأتـــي بعـــده سعـــة وكـــل فوت وشيك بعـــده الظفـــر

[وعن ابن عباس — رضي الله عنه — قال : سمعت رسول الله — ﷺ — ....[35]].

---

(32) انظر الأبيات عند م. الابشيهي، **المستطرف**، 2 : 71 — 72.
(33) ما بين المعقوفين ورد متأخرا في « م ».
والبيتان الأخيران لابن ظفر.
وقد ورد عجز البيت الأول عند أ. بن خلكان في **وفيات الأعيان**، 4 : 397، هكذا :
ويعرف عند الصبر فيما يصيبه.
وانظر أيضا الابشيهي، 2 : 73.
(34) بالأصل : دفار (بالفاء) وعند الابشيهي، 2 : 76 : دقار (بالقاف)، ولم نجد لهما ذكرا في كتب البلدان.
وفي المسند، ص 106، ظفار (بالظاء) وهو الصواب، خاصة إذا علمنا أن المسند هو أحد المصادر الأساسية **للمنتقى**.
وظفار (بفتح الظاء) مدينة باليمن كانت عاصمة لملوك حمير وإليها ينسب الجزع الظفاري، ومنها يجلب اللبان، وهي المذكورة في المثل : من دخل ظفار حمر، أي تكلم الحميرية.
انظر **معجم البلدان، ومعجم ما استعجم، والروض المعطار**، 403.
(35) بياض بالأصل.
وما بين المعقوفين سقط من « م » و « ج ».

وأنشدوا لأبي مِحْجَن الثقفي [36] :

عسى فرج يأتــــي به الله أنـــــه ... له كل يوم في خليقتــــه أمـــــر
عسى ما ترى ألا يدوم وأن ترى ... له فرجـا ممـا ألــم به الدهــــر
إذا اشتـــد عسر فارج يسرا فإنــــه ... قضى الله أن العسر يتبعه اليسر [37]

ولبعضهم :

إذا ابتلـــيت فثــــق بالله وارض به ... إن الـــذي يكشف البلـــوى هو الله
واليــأس يقطــع أحيانــا لصاحبــه ... لا تيــــأسن فإن الصانــــع الله
إذا قضى الله فاستسلـــم لقدرتـــه ... فما ترى حيلــة فيمـا قضى الله [38]

ومما اتفق لي في بحر القلزوم [39] حال صعودي لمكة ــ شرفها الله بمنه ــ في شهر صفر من سنة ست وثمانين [40] ذات ليلة وأنا في أحلى نومة نمتها في المركب، إذ رأيت في المنام شخصا وهو ينشد هذا البيت، وما كنت أحفظه من قبل :

وما الدهـر إلا هكـــذا فاصطبـــر له ... رزيــــة مال أو فراق حبـــيب [41]

فانتبهت من حيني وقيدته في جوف الليل، وإذا به أشهر موقعا في ألسنة الناس، ولكن ما كان في حفظي أصلا قبل، وإنما حفظته من منشده إياي في حالة النوم، وأصله [42] للشافعي، وبعده :

---

(36) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 5 : 243، والمصادر بالهامش 2.
(37) انظر البيت الأول عند الدميري، **حياة الحيوان الكبرى**، 1 : 131، والابشيهي، 2 : 80.
(38) انظر الابيات عند الابشيهي، 2 : 76.
(39) ــ القلزوم : اسم اطلقه العرب قديما على البحر الاحمر .
(40) صفر سنة 986 هـ يقابله أبريل ــ ماي 1578 م.
(41) انظر **ديوان علي بن أبي طالب**، 21، ونسبه الابشيهي، 2 : 71، إلى أبي الأسود.
(42) في « م » : وأوله.

وقـد فارق النـاس الأحبـة قبلنـا وأعيا دواء الموت كل طبـيب (43)

والتأني من الصبر، ومما جاء فيه قوله تعالى : ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه (44) ﴾

وقال — ﷺ — : « من أعطي حظه من الرفق أعطي حظه من الدنيا والآخرة، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الدنيا والآخرة (45) ». وقال — ﷺ — لعائشة : « عليك بالرفق، فإن الرفق لا يخالط شيئا إلا زانه ولا يفارق شيئا إلا وشانه ».

وأنشدوا :

قد يدرك المتأنـي بعض حاجتـه وقـد يكـون مع المستعجـل الزلـل (46)

وقالوا : من تأنى أدرك ما تمنى.

والرفق مفتاح النجاح.

وقال بعض الحكماء : إياك والعجلة فإنها تكنى أم النوائب، لان صاحبها يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم، ويعزم قبل أن يفكر، ويحمد قبل أن يجرب، ولن تصحب هذه الصفة

---

(43) البيت للمتنبي من قصيدة مطلعها :

لا يحـزن الله الأميـر فانـي سآخـذ من حالاتـه بنصيب

انظر **ديوانه**، 1 : 175.

ملاحظـة :

لم نعثر على هذا البيت في **ديوان الشافعي** الذي اعتمدناه.

(44) الآية 114 من سورة طه.

(45) أخرجه ابن حنبل في **مسنده عن عائشة باللفظ الآتي** :

« من أعطي حظه من الرفق أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة. انظر ج. السيوطي، **الجامع الكبير**، 3 : 34.

(46) البيت للقطامي.

انظر **ديوانه**، ص 25.

أحدا إلا صحب الندامة، وجانب السلامة [47]، وفيما ذكرناه كفاية لمن تأمله وتدبره، والله الموفق.

ولنرجع إلى ما كنا بصدده.

فأما صبر مخدومنا ـــ أيده الله ـــ على أوامر الله ونواهيه فشيء شهير لا يفتقر إلى بيان، ولا يحيط به لسان ولا بنان. وأما كفه عن متابعة الهوى فقد حاز من ذلك المنزلة القصوى، التي لم يحزها ملك قبله، وفيما قدمناه من محافظته على الأوامر، واجتنابه للنواهي، ما يدلك على هذا، ولا يتأتى مثله إلا بالصبر على الطاعة والانكفاف عن المعصية، ولا شك أنه لا يصدر هذا إلا من صابر. وأما صبره على مكابدة النظر في أمر الرعية فإنه يفتقر إلى جلد عظيم، وثبات جسيم، فقيامه بأعباء هذه المرتبة، يدل على حيازته شرف المنقبة، وأما صبره ـــ أيده الله ـــ فيما عرض له من الشدائد، فمن ذلك صبره لقتال الكفرة في يوم وادي المخازن يوم غزوته العظيمة التي تقدم ذكرها، حتى كان له على أعداء الله النصر المبين، والفتح المكين، الذي لم يكن لغيره.

حدثني بعض من حضر يومئذ أنه ـــ أيده الله ـــ كان له في ذلك اليوم من إقدامه وثباته كبحر شامخ، أو جبل راسخ، بل قد يمكن انكفاف البحر وتزلزل الجبل ولا يمكن انكفافه عن القتال ولا تزلزله لقوة جلده واقدامه، وعانى في ذلك اليوم من أمر الكفرة مالا يمكن ان بشر معاناة مثله، مع ما عاناه من أمر العرب الذين كانوا معه، لأن جلهم كان منافقا، همهم وعزمهم مع أخيه، الذي أتى بالنصارى، فصار يعاني الفرقتين، ويقاوم الفئتين، إلى أن أتاه النصر الموعود، ورفع ألويته إلاهه المعبود، هذا مع ما اتصل به من موت صنوه أبي مروان مولانا عبد الملك ـــ رحمه الله وقدس روحه، وأسكنه من الجنان فسيحه ـــ عندما قامت الحرب على ساق، والتفت الساق بالساق، وكادت تعظم من العدو الكافر شوكته، وتصل إلى الاسلام شكته، فعند ذلك أوجف عليهم ـــ أيده الله ـــ بخيله ورجله، وانهل من دمائهم أسلحته من سيفه وأسَلِهِ، ثم أحاط بهم إحاطة الهالة بالقمر، والأكمام بالثمر، جيوشا، هزبرا هصورا، فما مر عليهم مثل ما تقدم إلا وكأن لم يكونوا شيئا مذكورا، ولو تتبعت ما في علمي من صبره، وما هو مشهور في مسائله وحكاياته مما تلقيته من لدن نشأته إلى الآن لأتيت بالعجب العجاب، لكن حدث عن البحر ولا حرج، فعجائبه لا تحصى، ومناقبه لا تستقصى، فهمته في كل شيء طالبة للعلو، تواقة للسمو، لا يرضى من الأمور إلا بأعلاها ولا من المفاخر إلا بأحلاها. إذا كبرت النفوس والهمم، تعبت في مرادها أجساد أولى الشيم [48].

(47) انظر الابشيهي، 2 : 65.

(48) مقتبس من قول المتنبي :

فقد عانى المعالي من كل وجه واجتهد في تحصيل أسبابها، ولقد عانى ـــ أيده الله ـــ حسن الخطّ وظفر به بأنواعه المشرقية والمغربية، فقد حكي أنه ذات يوم استدعى من كاتبه أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عيسى [49] بخط مشرقي كتابا، فبعث به إليه صحبة هذين البيتين :

سقتنـــــي كأس السرور دهاقــــــا خطـــــوط أتتنــــيَ في مُهــــــرق
رأت كف أحمـد في الغـــرب بحــرا فجــــاءت إليـــــه من الـــــمشرق

حدثني بهذه الحكاية بعض فضلاء الطلبة بحمراء مراكش في يوم الأحد لأربع خلون من رجب سنه خمس وتسعين [50]، وأنشدني في اليوم نفسه للفقيه سالم بن منصور الهروي التونسي ـــ رحمة الله تعالى عليه ـــ وسببهما أنه جاء لباب بعض ملوك بني حفص في وقته، فاستأذن عليه بهما، وهما :

ببابكـــــم المرفَّـــــع عبـــــد رق يروم وصالكــــــم أنّى يفــــــوز
فإن يكُ ذاك عن اذن كريــــــــم والا فهـــــو أمـــــر لا يجـــــوز

فأجابه الملك :

يحيـــــط بعلمكــــــم أنّا نشاوى وقـــد جلـيت لنـــا بكـــر عجـــوز
فإن تك راضيـــا بالفعــــل منـــــا والا فهـــو أمـــــر لا يجـــــوز [51]

= **وإذا كانت النفـــــوس كبــــــارا تعـــــبت في مرادهـــــا الاجسام**

انظر ديوانه، 4 : 64.

(49) هو : محمد بن محمد بن أحمد بن عيسى التملي السوسي، من أبرز الكتاب والشعراء في البلاط السعدي، ألف كتاب **الممدود والمقصور، من سنا أبي العباس المنصور**، الذي يعتبر حاليا مفقودا، ولا نتوفر في الوقت الحاضر إلا على مجموعة من أشعاره توجد في م. م. عدد 5408 ضمن مجموع 12 « صفحة الأولى »، وتكاد تكون المصدر الوحيد لما بقي لنا من آثاره.
وقد نكبه ولي عهد المنصور : المامون، اذ حبسه، واستولى على ماله وأمتعته، ومات هذا الأديب في سجن فاس شرميته عام 990 هـ / 1582 م.

(50) 4 رجب سنة 995 هـ موافق 10 يونيو 1587 م

(51) انظر القصة عند أبي القاسم الزياني، **الروضة السليمانية**، ورقة 24.

حكى أن الفقيه سالما المذكور كان فقيها نحويا، أديبا لغويا، مدمنا للصهباء في أيام شبيبته، ملازما لها في حالي يسرته وعسرته، وهو من أشياخ الامام مغوش [52] ثم تاب عنها، ذكر أنه ذات يوم راح لرياض الملك المذكور الذي بباردو وبات هناك، وأصبح مصطبحا به على صهريج ماء، وكان اليوم غدقا، وجاء الملك إلى الرياض المذكور فوافاه به وهو ثمل فقال :

يا فقيه، ما الذي أشغلك عن نومك، وأبطاك عن قومك ؟ وماذا قلت في يومك ؟ فقال :

للـــــه يوم بالغديـــــــر وليلــــــــة حلف الزمان بمثلهــا لا يغلـــط
الطيــــــر يشدو والأرائك تنثـــــــــي والريح يكتب والغمـــام ينقـــط [53]

وحكي أنه حمل للامير الحسن الحفصي [54] بزجاجة خمر، فقال له : ما هذا يا فقيه ؟ فأنشأ يقول :

صفـــرا مشعشعـــة تجلــو قلائدهـــا ترى لهـا أثـــرا في وجنـــة الساقـــي
مضى بهـا ما مضى من عقـل شاربهـا وفي الزجاجـــة باق يطـــلب الباقـــي

توفي ــ رحمه الله ــ سنة خمس وأربعين وتسعمائة [55]، وطبقته في ذلك الوقت بتونس جماعة عظيمة كأبي عبد الله مغوش، باقعة الدنيا وحافظها وأبي الحسن العروسي، وأبي الحسن الشريف، وأبي محمد بن عبد الله سلطان وأبي عبد الله الرزين، وكان اجتماع هؤلاء على السلطان أبي (محمد الحسن بن محمد بن الحسن بن مسعود بن عثمان، وأبي عبد الله بن

---

(52) انظر ترجمته عند أ. المنجور، **فهرس**، ص 15 رقم 12، وابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، 8 : 270 ــ 271، وابن أبي دينار، **المؤنس**، ص 163، ومحمد بن مخلوف، **شجرة**، ص 273 رقم 1015، وخ. الدين الرزكلي، **الاعلام**، 7 : 285.

(53) سار على نهج ابن الساعاتي في بيتيه :

له يوم في سيــــوط وليلـــــــة صرف الزمان بأختهـــا لا يغلـــط
والطيـر يقرأ والغديـــر صحيفـــة والريح تكتب والغمامـــة تنقـــط

انظر ابن حجة الحموي، **خزانة الأدب**، ص 313، وابن خلكان، **وفيات الاعيان**، 3 : 396.

(54) انظر ترجمته عند ابن أبي دينار، المؤنس، ص 163، ومحمد الباجي المسعودي، **الخلاصة النقية في أمراء افريقية**، ص 84 ــ 87، والزياني، **الروضة السليمانية**، ورقة 24 والقصة مذكورة هناك.

(55) 945 هـ توافق 1536 ــ 1539 م.

فارس بن العباس الحفصي ، وذكر أن أبا (محمد) الحسن لما أكمل داره التي بباردو وفرغ من بنياتها قعد للهناء بها مع هؤلاء الجماعة وبات معهم بها ليلته، فقام المنور لا صلاح الشمعة فسقطت وسكت لذلك المطربون، فأزاح عنهم الخجل ببيتين أبو عبد الله سلطان، فقال :

ما أدهش القوم إلا شمعة سقطت — على النمارق حتى ألقت العمدا
خرت لوجهك دون الناس ساجدة — كما يخر لوجه الله من سجدا

[وحدثني شيخنا أبو راشد أن أبا فارس المذكور في آباء أبي (محمد) الحسن الحفصي، هو الذي فاتح ابن الحباب (56)، شيخ ابن عرفة، لما دخل عليه بعد غدائه بقوله :

لقد فاتك الجدي يا بن الحباب — وخبز سميذ كثير اللباب
ولم يبق منه سوى عظمه — فذاك لعمرى طعام ....

فقال له ابن الحباب : طعامكم ! كرر ذلك ثلاثا قبل اكمال البيت الثاني بقوله : الكلاب، فسر السلطان بنباهته ووصله.

وسبب رحلة مغوش من تونس هي أنه حضر مع أبي الحسن الزنديوي (57) بدار السلطان أبي (محمد) الحسن في يوم جمعة وجرى الكلام في حديث نبوى فقال فيه أبو الحسن المذكور (58)] ما ظهر، فعنته مغوش، وقال له : كفرت يا قاضي. فأنف لذلك، ثم اشتغل بمكاتبة الاتراك وحضهم على بعث الرشيد، أعني أخا أبي (محمد) الحسن المذكور، فبعثوا به مع خير الدين، فأخذوا البلاد وملكوها، ثم بعد ذلك مسكوا الرشيد وبعثوه للقسطنطينية على ما هو معهود من غدرهم ودعا لملكهم، فعند ذلك تم سعي الزنديوي إليه، وقال له : إن أردت استقلال الملك فغرب مغوش، فهو رأس الفساد، ولا يتم لك الا بتغريبه، ففعل. وهذا سبب رحلته للمشرق (59). وهو من أشياخ بعض أشياخنا المصريين

---

(56) انظر ترجمته عند أ. الونشريسي، **وفيات**، ص 110، **وفهرس الرصاع** ص 164 — 165، وأحمد بن القاضي، **درة**، 2 : 115 — 116 رقم 556، وأ. بابا، **نيل**، ص 239، وم. بن مخلوف، **شجرة**، 1 : 209 — 210 رقم 729.

(57) انظر ترجمته عند أ. المنجور، **فهرس**، ص 15 رقم 12، وم. السراج، **الحلل السندسية**، 3 : 649 « وقد سماه حسين الزنديوي »، و م. بن مخلوف، **شجرة**، ص 273 رقم 1014.

(58) ما بين المعقوفين سقط من « م » و « ج ».

(59) انظر المزيد من الايضاح عند ابن أبي دينار، **المؤنس**، ص 163، وابن أبي الضياف، **الاتحاف**، وأ. بابا، **كفاية**، الزياني، **الروضة السليمانية**، ورقة 24.

لأنهم أخذوا عنه حين قدم عليهم، وحدثني عنه شيخنا أبو عبد الله البحراوي بالعجب مما لا تسعه هذه العجالة.

وأنشدني بعضهم في اليوم نفسه لمجد الدين بن الظهير الارْبلِي [60] :

قلبي وطرفي ذا يسيـل دمـا، وذا ... دون الـورى أنت العليـم بقُرْحِـهِ
وهمـا بحسبك شاهـدان وإنمـا ... تعديـلُ كلٍّ منهمـا في جَرْحِـهِ
والقلب منزلك القديـم فإن تجـد ... فيـه سواك من الأنـام فنحـه

أولهـا :

غش المفنـد كامـن في نصحـه ... فأطـل وقـوفك بالغديـر وسفحـه
أفدي الـذي يغنيـه فاتـر طرفـه ... عن سيفـه وقوامـه عن رمحـه
ظبـي يونس بالغـرام نِفَـارُهُ ... ويَحُـلّ في نهب القلـوب بمزحـه
ذو وجنـة شرقت بمـاء نعيمهـا ... كالـورد أشرقـه نداه برشحـه
وكـأن طرتـه وضوء جبينـه ... ليـل تألـق فيـه بارق صبحـه
يا شاهـرا من جفنـه عضبـا غدا ... ماء المنيـة باديـا في صفحـه

قلبي إلى آخره............[61]]. وهن في غاية السلاسة والسهولة. ومن أحسن السهولة ما لبعضهم :

ألـيس وعدتنـي يا قلب أنـي ... متـى ما تبت عن ليلـى تتـوب
فهـا أنـا تائب عن حب ليلـى ... فما لما كلمـا ذكـرت تذوب ؟ !

ومن السهولة ما جاء في الارتجال قول أبي الخطاب السعدي حين أنشد موسى الهادي شعره الذي مدحه به :

(60) انظر ترجمته عند م. بن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، 3 : 301 — 310، والمصادر بالهامش 432 من الصفحة 301 من نفس المصدر.

(61) ما بين المعقوفين سقط من « م » و « ج ».
وانظر الأبيات في **فوات الوفيات**، 3 : 303، **والغيث المسجم للصفدي**، 1 : 244 — 245.

يا خير من عَقَدَتْ كفاه حُجْزَتَهُ وخير من قلدته أمرها مضر

فقال له موسى : إِلّا، يا بائس !

فقال واصلا كلامه :

الا النبيء رسول الله، إن له فخرا وأنت بذاك الفخر تفتخر

ففطن لذلك موسى والحاضرون أن البيت مستدرك، ونظروا في الصحيفة فلم يجدوه فضاعف له موسى في صلته (62).

ومن أبيات السهولة قول بعضهم :

قالوا امتنعت من التقبيل قلت لهم : ما كان ذلك من صبري ومن جَلَدي
لكن على ثغره أشفقت من نَفَسِي فكيف يجمع بين النار والبَرَدِ

فأحسن الشعر وأقربه للطبع ما كان سلسا سهلا وكذلك النثر، وما كان بخلاف ذلك فهو ثقيل يشهد له العقد السليم، والطبع المستقيم.

ومن التعقيد اللغوي البارد ما حكي عن ابن زرقاء وكان يرتكب في كلامه اللغة المتعقدة، أكلت أمه طينا واصفر وجهها، فكتب رقعة يطلب لها من الناس الدعاء وطرحها في المسجد، فكان لا يقرأ الرقعة أحد إلا لعنه، ودعا على أمه ألا تعافى، ونصها :

« الحمد لله وحده

صِينَ امرؤ، وروعي امرؤ دعا لا مرأة مُقْسَئِنَّة، أولعت بأكل الطُّرْموث الخبيث، فأصابها منها اسمئلال، أن يهب لها الله اطْرِغْشَاشاً وابْرِغْشَاشاً »، انتهى.

الاسمئلال : ضعف المعدة ومنه يصفر الوجه.

والطرموث : الطير.

والمقسئنة : الهرمة.

ويقال اطرغش وابرغش : إذا بريء.

---

(62) انظر الابيات عند ابن رشيق في **العمدة**، 1 : 190.

ومن هذا المعنى أن رجلا جاء إلى طبيب فقال له : أصلحك الله، إني أكلت من لحوم هذه الجوازل، وطست طسأة، فأصابني وجع بين الوَابِلَة [63] ودَايَة العنق [64]، فلم يزل يَرْبُو وَيَنْمِي حتى خالط الخِلْب والشراسيف، فهل عندك دواء ؟

فقال له : نعم، خذ خربقا وسلفقا وشيرقا، فزقزقه وزهزقه بماء ذوب وأشربه.

فقال الرجل : لم أفهم عنك.

فقال : لم أفهمك إلا ما أفهمتني [65].

ومن ألطف السجع قول البديع الهمذاني [66] من كتاب كتب به إلى ابن فريغون [67] : « كتابي والبحر وإن لم أره، فقد سمعت خبره. والليث وإن لم ألقه، فقد تصورت خلقه. والملك العادل وإن ما لقيته، فقد لقيني صيته. ومن رأى من السيف أثره، فقد عاين أكثره [68] ».

ومن الترصيع [69] قول بعض الخطباء : « الحمد لله عاقد أزمة الأمور بعزائم ذكره،

---

(63) الوابلة : طرف الكتف.

(64) داية العنق : فقاره.

(65) ورد النص عند أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، **في أخبار الحمقى والمغفلين**، ص 127، هكذا :

« ودخل أبو علقمة النحوى على أعين الطبيب، فقال : امتع الله بك، أني أكلت من لحوم هذه الجوازل فطسئت طسأة فأصابني وجع من الوابلة إلى ذات العنق، فلم يزل يربو وينمو حتى خالط الخلب والشراسيف، فهل عندك دواء ؟ قال : نعم، خذ حرقفا وسلقفا وسرقفا فزهزقه وزقزقه واغسله بماء روث واثربه فقال أبو علقمة : لم أفهم عنك هذا، فقال : أفهمتك كما أفهمتني ».

(66) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 1 : 127 ــ 129 والمصادر بالهامش 52 من الصفحة 127 من نفس المصدر.

(67) **في رسائل** بديع الزمان الهمداني، ص 358، الرسالة 131 : وله إلى الأمير أبي الحرث محمد مولى أمير المؤمنين.

وقد اتفقت رواية **اليتيمة**، 4 : 275، مع رواية **المنتقى**، اذ قال : « فصل من كتاب إلى ابن فريغون : كتابي والبحر...... » وأكده الثعالبي مرة أخرى في نفس المصدر في الصفحات الموالية حينما قال : « وأنشدني لنفسه في ابن فريغون :

ألـــم ترى أنـــي في نهضتـــي   لقـيت المنـى والغنـى والأميـرا
لآل فريغـــون في المكرمـــا   ت يد أولا واعتـــذار أخيـــرا »

(68) انظر الرسالة 131 من **رسائل** بديع الزمان الهمداني، ص 358.

(69) انظر عن الترصيع، **خزانة الادب** لابن حجة الحموى، ص 366.

ومحقق وعوده بلوازم شكره ».

ومنه قول أبي الفضل الهمذاني : « إن بعد الكدر صفوا، وبعد المطر صحوا ».

وما لأبي الفتح البُسْتي [70] :

« ليكن اقدامك توكلا، واحجامك تأملا ».

ومنه قول بعضهم :

ولا عيب فينا اغير أن سماحنا أضربنا والناس من كل جانب
فأفنى الردى أرواحنا غير عابث وأفنى الندى أموالنا غير عائب

واعلم أن الأسجاع في النثر، كالقوافي في الشعر، وحقيقته تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد، وهي عندهم على ثلاثة أضرب : مطرف، ومتواز، وترصيع. ويعرف ذلك بالفاصلتين، إما أن يكون في إحدى القافيتين مثل ما يقابلها من الأخرى في الوزن والتقفيه أم لا ؟ فان كان، فهو الترصيع، وإلا فهو المتوازي. وأحسن السجع ما تساوت قرائنه، ثم ما طالت قرينته الثانية كان أحسن كقول أبي الفضل الميكالي [71] : « لك الأمر المطاع، والشرف اليَفاع، والعرض المصون والمال المضاع ». لأن السجع إذا استوفى أمره في الأولى لطولها ثم جاءت الثانية أقصر منها كثيرا، يكون الكلام كالشيء المبتور، ويبقى السامع كمن يريد الانتهاء إلى غاية فيعثر دونها، والذوق يشهد بهذا، ويقضي بصحته، قال السَّكّاكي [72]. وفواصل الأسجاع موضوعة على أن تكون مبنية على السكون، أي ساكنة الأعجاز، موقوفا عليهما به لأن

---

(70) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 3 : 376 — 377. والمصادر بالهامش 47 من الصفحة 376 من نفس المصدر.
وكذلك كتاب الدكتور محمد مرسي الخولي : **أبو الفتح البستي**.

(71) بالأصل : (المكيالي) بميم فكاف فياء بعدها ألف فلام فياء نسبة، وهو خطأ صوابه الميكالي، قال ابن الأثر في **اللباب في تهذيب الأنساب** : « الميكالي بكسر الميم وسكون الياء تحتها نقطتان وفتح الكاف وبعد الألف لام، هذه النسبة إلى ميكال بن عبد الواحد بن جبريل إلى آخر نسب..... وهو جد أهل البيت الميكالي بنيسابور، وهم أمراء فضلاء علماء فمنهم........ ».
انظر أيضا حول نفس الموضوع. السيوطي، **لب الألباب**.
وانظر ترجمة أبي الفضل الميكالي عند م. بن شاكر، **فوات الوفيات**، 2 : 428 — 433، والمصادر بالهامش 317 من الصفحة 428 من نفس المصدر.

(72) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الأعلام**، 9 : 294، والمصادر بالهامش 2. والمقصود هنا كتابه : **مفتاح العلوم**.

الغرض أن يزاوج بينهما، ولا يتم ذلك في كل صورة الا بالوقف، وذهب بعضهم الى أنه لا يقال في القرآن أسجاع وإنما يقال فواصل، انتهى. قال أبو بكر الخوارزمي : من روى حوليات زهير، واعتذارات النابغة، وأهاجي الحطيئة، وهاشميات الكميت [73]، ومعاريض جرير، وخمريات أبي نواس، وتشبيهات ابن المعتز، وزهديات أبي العتاهية، ومراثي أبي تمام، ومدائح البحتري، وروضيات الصنوبري، ولطائف كشاجم [74]، ولم يخرج الشعر فلا أشب الله قرنه ».

قال المتنبي : « الشعر ميدان والشعراء فرسان، فربما وافق [75] الخاطر الخاطر، ووقع الحافر على الحافر، وذلك كواحد من جم، أسو نقطة من يم ». وقد سئل أبو عمرو بن العلاء [76] عن الشاعرين يتفقان في المعنى ويتواردان في اللفظ، فقال : « تلك عقول رجال توافقت ألسنتها ».

ومن التوارد قول مَعْبَد المغني [77] :

لهفي على فتية ذَل الزمـــان لهـــم فمـــا يصيبهـــم إلا بمـــا شاءوا

وقال أبو نواس :

دارت على فتية دان الزمـــان لهـــم فمـــا يصيبهـــم إلا بمـــا شاءوا

وهذا من أبيات يقول فيها :

دع عنك لومـــي فإن اللـــوم اغـــراء وداونـــي باللتـــي كانت هي الـــداء
صفـراء لا تنـــزل الأحـــزان ساحتهـــا لو مسهـــا حجـــر مستـــه سراء
رقت عن المـــاء حتـــى ما يلائمهـــا لطافـة، وجفـــا عن شكلهـــا المـــاء
دارت على فتية دان الزمـــان لهـــم فمـــا يصيبهـــم إلا بمـــا شاءوا
لتـــلك أبكـــي، ولا أبكـــي لمنزلـــة كانت تحـل بها هند وأسمـــاء [78]

---

(73) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الأعلام**، 6 : 92 — 93 والمصادر بالهامش 1.
(74) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الأعلام**، 8 : 43، والمصادر بالهامش 1.
(75) في « م » : وافي.
(76) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 3 : 466 — 470 والمصادر بالهامش 505 من نفس الصفحة 466 من نفس المصدر.
(77) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الأعلام**، 8 : 177 — 178 والمصادر بالهامش.
(78) انظر **ديوان أبي نواس**، ص 6.

ومن التوارد ما حكي أن المعتمد على الله أبا القاسم محمد بن عباد كان يوما بمجلس أنسه من قصره فمرت جارية من جواريه بين يديه وعليها ثوب يشف جسمها لرقته من يوم شديد الحر، وكانت ذات جمال فائق، وحسن رائق، فدعاها وأمر بسكب ماء الورد عليها، فلصق الثوب بجسمها، فأعجبه ذلك، فأنشد :

من لي بساحرة الجفون غريرةٍ ... تختال بين أسنة وبواتر

فعجز عن الزيادة، فكتب البيت ودفعه لفتى وقال له : انظر من بالباب من الشعراء يزيد عليه، فخرج الفتى فوجد الشاعر النَّحْلي [79] فدفع له البيت، فزاد عليه بأن قال :

راقت محاسنها ورقَّ أديمها ... فتكاد تبصر باطنا من ظاهر
يندى بماء الورد مسبل شعرها ... كالطل يسقط من جناب الطائر [80]

ودفعها إلى الفتى وصار بها إلى المعتمد فأعجبته وأمر بدخوله فقال له : ويحك ! أكنت معنا ؟ فقال له : ألم تسمع : « وأوحى ربك إلى النحل » [81].

ولد المعتمد سنة احدى وثلاثين وأربعمائة [82]، وتوفي في سجن يوسف بن تاشفين بأغمات [83] لاحدى عشرة ليلة خلت من شوال، وقيل ذي الحجة سنة ثمان وثمانين

---

(79) انظر ترجمته عند أ. المقرى، **نفح**، 3 : 234، 331، 333، 445، 450، 4 : 9.
(80) انظر القصة عند أ. المقرى، **نفح**، 3 : 234، وصلاح خالص، **المعتمد بن عباد**، ص 77، وعلي أدهم، **المعتمد بن عباد**، ص 125.

ملاحظة :

ورد بيت المعتمد بن عباد في **ديوانه** والمصادر الأدبية هكذا :

علقت جائلة الوشاح غريرة ... تختال بين أسنة وبواتر

(81) الآية 58 من سورة النحل.
(82) بالأصل احدى وثمانين وأربعمائة، وهو خطأ، و 431 هـ تقابلها 1039 — 1040 م.
(83) أثارت قضية سجن المعتمد بن عباد والقضايا المرتبطة بها نقاشا حادا بين المؤرخين، ويدور النقاش حول ثلاث نقط أساسية.
أولا : حقيقة دور يوسف بن تاشفين بالأندلس وخلفياته ؟
ثانيا : مواجهته العنيفة لملوك الطوائف ؟
=

وأربعمائة [84]. فقال الثعالبي : وهذه هفوة. والطَّلُّ : المطر الخفيف، ومنه : « فإن لم يصبها وابل فطل [85].

حكي أن امرأة تسمى عُلَيَّة [86] ابنة المهدى، أخت ابراهم بن المهدي لم يرقط مثلها

ثالثا : معاملته للمعتمد بن عباد ؟

فيما يتعلق بالنقطة الأولى يورد كثير من المؤرخين خاصة منهم الأندلسيين والشرقيين روايات تتعلق برغبة يوسف بن تاشفين بالاستيلاء على الأندلس « للاستمتاع بمباهجها » وبكونه كان يعتقد أنه الأولى بها من غيره، وهنا يجمل بنا أن نرد الأمور إلى نصابها بالملاحظات الآتية :

ـــ ان يوسف بن تاشفين لم يذهب إلى الأندلس الا بناء على طلب من ملوك الطوائف ومن ضمنهم المعتمد بن عباد نفسه وذلك بعد استيلاء ألفونسو السادس على طليطلة سنة 478 هـ ـــ 1085 م وهي أول ما استرده الاسبان من مدن الاندلس، وقد كان لسقوطها دوي عظيم ووقع أليم في نفوس سكان الأندلس المسلمين والعالم الاسلامي قاطبة، وقد أدرك المسلمون أن مقامهم بالأندلس بعد سقوط طليطلة معرض لأشد الأخطار، وانه لابد لانقاذ الوضعية من الاستنجاد بالعدوة، فكان موقعة الزلاقة في السنة الموالية (479 هـ ـــ 1086 م).

ـــ الملاحظة الثانية : بعد انتهاء المعركة لم يذكر المؤرخون أن يوسف عبر عن أي رغبة في الاستيلاء على الأندلس أو على خيراتها، بل حتى أن غنائم الزلاقة تركها لملوك الطوائف وقال قولته المشهورة : « إنما جئت للغزو ».

ـــ الملاحظة الثالثة : لم ينته يوسف إلى الحل النهائي الا بعد أن رأى من ملوك الطوائف من انغماس في حياة اللهو وتحالف بعضهم مع المسيحيين، وبعد استشارة الفقهاء وحصوله على فتوى منهم.

ـــ أما عن النقطة الثانية فالعذر واضح ألا وهو تعنت ملوك الطوائف في الدخول في طاعته، بل والتجاؤهم إلى المسيحيين ضده، فلم يكن له بد من أن يسلك غير هذا السلوك خاصة وأنه أصبح مبررا شرعا.

ـــ وفيما يتعلق بالنقطة الثالثة فإن الانتقادات كانت عنيفة إلى الدرجة التي يقول معها ابن الأثير في الكامل (10 : 65) : « وفعل أمير المسلمين (يقصد يوسف) لهم فعالا لم يسلكها أحد ممن قبله، ولا يفعلها أحد ممن يأتي بعده إلا من رضي لنفسه بهذه الرذيلة ... وأبان أمير المسلمين بهذا الفعل عن صغر نفسه ولؤم قدره ».

ونذكر هنا أيضا بأن كثيرا من المبالغات تطرح بمناسبة ذكر قصة المعتمد، فنشير بالمناسبة إلى مقر سجنه أغمات، كانت آنذاك من أهم حَواضر المغرب، كما أن سجنه لم يكن مروعا إلى الحد الذي نجده في بعض المصادر، فقد كان بامكانه أن يتصل بمن شاء، وقد وفد عليه بالفعل جل أدباء الأندلس وهو في أغمات، وكانوا يقضون معه الأوقات الطويل، بل أنه استدعى يوما طبيب يوسف الخاص لمعالجة بعض حريمه فلبى طلبه.

(84) ذو الحجة سنة 488 هـ يقابله شهر دجنبر سنة 1095 م

(85) الآية 265 من سورة البقرة.

(86) انظر ترجمتها عند م. بن شاكر، **فوات الوفيات**، 3 : 123 ـــ 126، والمصادر بالهامش 371 من الصفحة 123 من نفس المصدر.

في بني العباس وفي بني أمية دينا وعقلا وذكاء وفطنة. وكانت أيام طهرها تقرأ القرآن وتلزم المحراب، فإذا حاضت قالت الأشعار، وكانت تحب الأدب والأدباء وتراسل من تخصه بالأشعار، وتداعب به على صحة وعفاف، وكانت تداعب خادما من خدم الرشيد يقال له طل، فغاب عنها أياما لم تره، فذهبت إلى زيارته وأنشدته :

يا طل من وَجْـدي بِكُـمْ يكفـي ... قد كان ما كُلِّفْتُـهُ زمنـا
أمشي علـى خَـفٍ إلـى حتـف ... حتـى أتيـتك زائـراً عجـلا

فسمع ذلك الرشيد، فحلف لها ألا تكلم طلا ولا تذكره، فدخل عليها وهي تقرأ في المصحف : « فإن لم يصبها وابل، فما نهى عنه أمير المؤمنين »، ولم تقل : فطل، فضحك، وقبل رأسها وقال لها : ولا كل هذا ! قد وهبت لك طلا، فقلبت اسمه إلى رشأ، وتصحيفه (87) زينبا، فمن قولها :

وجـد الفـؤاد بزينبـا ... وجـدا شديـدا متعبـا
ولقـد كنـيت عن اسمـه ... قصد الكنـى ما أغربـا
وجعـلت زيـنب سُتْـرَةً ... وكتـمت أمـرا معجبـا (88)

وينبغي للشاعر أن يتأنى في مطلع قصيدته، كما لأبي محمد الخازن يهني الصاحب بن عباد بمولود تزيد لأبنته :

بشرى فقد أنجز الاقبال ما وعـدا ... وكوكب المجد في أفق العلا صعدا

فبمثل هذا يستحب أن تصدر مدائح الملوك، لا بمثل ما حكي أن النعمان بن

---

(87) التصحيف : ابدال حرف بآخر، كأن تجعل كلمة سر شرا، أو كما هو الحال هنا حيث صحفت زينب إلى رشأ.

(88) وردت الأبيا عند ابراهيم الحصرى في **زهر الآداب**، 1 : 10، هكذا :

أضحـى الفـؤاد بزينبـا ... صبـا كئيـبا متعبـا
فجعـلت زيـنب سُتـرة ... وكتـمت أمـر معجبـا

وانظر أيضا الابشيهي، 1 : 42.

المنذر [89] نزل بمرج كثير الشقائق تحت شجرة ظليلة، كثيرة الورق، ملتفة الأغصان، وكان معجبا بالشقائق، وإليه نسبت، فقيل شقائق النعمان، وأمر باحضار الطعام والشراب فأحضر، وقال عدي بن زيد [90] وكان كاتبا له : أتدري ما تقول هذه الشجرة ؟ فقال له : ما تقول ؟ قال :

تقول :

رب ركب قد أناخـــوا حولنـــــا	يمزجـون الخمـر بالمـــاء الـــزُّلَال
من رآنــــا فليوطــــــن نفسه	إنمـا الدنيـا علـى قَرْبَـى زوال
مستظـــل الفــــيء تحت بانـــة	وكـذاك الدهـر حال بعــد حال [91]

فنغص عليه وارتحل من حينه لأنه قصد بذلك موعظته.

وينبغي للشاعر أن لا يذكر ما يتطير منه كما اتفق لابن مقاتل الضرير [92] مع الداعي

(89) انظر ترجمته عند خ. الزركلي، **الاعلام**، 9 : 10 والمصادر بالهامش 1.

(90) انظر ترجمته عند خج الدين الزركلي، **الاعلام**، 5 : 9 ــ 10، والمصادر بالهامش 1.

(91) وردت الأبيات عند المبرد في **الكامل**، 2 : 75، وابن رشيق في **العمدة** : 223، ولويس شيخو اليسوعي في **شعراء النصرانية**، ص 441 ــ 442، والحسن اليوسي في **المحاضرات**، ص 285، هكذا :

من رآنـــا فليحـــدث نفسه	أنـــه موف علـــى قرن زوال
وصروف الدهـــر لا يبقـــى لهـــا	ولمـــا تأتـــي به صم الجبـــال
رب ركب قد أنـــا خوا حولنـــا	يمزجـون الخمـر بالمـــاء الـــزلال
والأباريـــــق عليـــــه فُدُمٌ	وجيـاد الخيـل تَرْدِي في الجِـلَال
عمـــروا الدهـــر بعـــيش حسن	قطعـــوا دهرهـــم غيـــر عجـــال
ثم أضحـــوا عصف الدهـــر بهـــم	وكـــذاك الدهـــر حال بعـــد حال

وعند أ. بن خلكان في **وفيات الأعيان**، 1 : 388، هكذا :

رب ركب قد أنـــا خوا حولنـــا	يشربـون الخمـر بالمـــاء الـــزلال
ثم أضحـــوا لعب الدهـــر بهـــم	وكـــذاك الدهـــر حال بعـــد حال
من رآنـــا فليوطـــن نفسه	إنـــه منهـــا علـــى قرب زوال

(92) بالأصل : (مقاتل)، وهو تصحيف إذا المترجم هو ابن مقاتل الضرير أحد شعراء الجبال، أما الداعي العلوي فهو الداعي الثائر بطبرستان.
انظر عبد الرحيم بن أحمد العباسي، **معاهد التنصيص**، 4 : 229.

العلوى (93) في يوم المهرجان حيث أنشده :

لا تقــل بشرى ولكـــن بشريــــان غرة الداعــي ويــوم المهرجـــان

فتطير به وأمر ببطحه، وضرب خمسون عصا. وقال : اصلاح أدبه أبلغ في توابه .

قال بعضهم : لو عكس البيت وبدل، فقال :

غرة الداعــي ويــوم المهرجـــان أي بشرى هي لا بل بشريــــــان

[وحكي عن ابراهيم بن المهدي (94)، قال : أرسل إلي محمد بن زبيدة في ليلة من ليالي الصيف مقمرة يقول لي : يا عم، إني مشتاق إليك، فاحضر الآن عندنا. فجئته، وقد بسط له على سطح زبيدة، وعنده سليمان بن أبي جعفر وجارية، فقال لها : غنينا شيئا، فقد سررت بعمومتي فغنت.

همُ قتلــوه كي يكونـــوا مكانــــه كما فعــلت يومــا بكسرى مَرَازِبُـــه
بني هاشم كيــف التــواصل بيننــا وعنــد أخيــه سيفـــه ونجائبـــه

فغضب وتطير، وقال لها : ويحك ! ما قصتك ؟ انتهي، وغني ما يسرني ! فغنت :

كلــيب لعمـــرى كان أكثـــر ناصرا وأكثر حزما منك ضُرِّجَ بالـــدم (95)

(93) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 2 : 227، والمصادر بالهامش.
(94) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 1 : 39 — 42، والمصادر بالهامش 9 من الصفحة 39 من نفس المصدر.
(95) البيت للنابغة الجعدي، وهو من قطعة مطلعها :

وبلــغ عقـــالا أن خطـــة داحس بكفيك فاستأخـــر لهـــا أو تقـــدم

انظر أحمد الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، 2 : 149، ولويس شيخو اليسوعي، **شعراء النصرانية**، ص 159.

فقال : ويحك ! ما هذا الغناء في هذه الليلة ؟ غني غير هذا ! فغنت :

ما زال يعدو عليهم رَيْبُ دهرهمُ حتى تفانوا وريب الدهر عداء
تبكي فراقهم عيني فَأرِّقها إن التفرق للمشتاق بكاء

قال : فانتهرها، وقال لها : قومي إلى لعنة الله !
فقالت : والله يا مولاي لم يجر على لساني غير هذا، وما ظننت إلا أنك تحبه، ثم إنها قامت [وكان (96)] بين يديه قدح بلور كان أبوه يحبه، فأصابه طرف ردائها فانكسر.

قال ابراهيم بن المهدي : فالتفت إلي وقال : يا عم، أرى أن هذا آخر أمرنا، فقلت : كلا ! بل يقيك الله يا أمير المؤمنين، فسمعت هاتفا يهتف : (قضي الأمر الذي فيه تستفتيان (97))، فقال لي : أسمعت ما سمعت يا عم ؟ فقال : ما سمعت شيئا، وما هذا الا توهم، فإذا الصوت قد علا، فقال : يا عم، اذهب إلى بيتك، فمحال أن يكون بعد هذا اجتماع. فانصرفت، وكان آخر عهدي به (98)].

وحكي عن المعتصم أنه لما بني قصره وجلس فيه للهناء، دخل عليه الناس ومعهم أبو [محمد] اسحاق الموصلي (99)، فأنشده قصيدته الكافية (100) :

---

(96) ما بين القوسين سقط من الأصل، والاكمال من **المستطرف** للأبشيهي، 2 : 96.
(97) الآية 41 من سورة يوسف.
(98) ما بين المعقوفين زيادة من « م ».
وانظر القصة عند الابشيهي، 2 : 95 — 96.
وقد وردت القصة بشكل مغاير عند ابن حجة في **ثمرات الأوراق**، 1 : 117.
(99) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 1 : 202 — 205 والمصادر بالهامش 87 من الصفحة 202 من نفس المصدر.
وقد ترجم له ترجمة مطولة ماجد أحمد العزي في مقدمة **ديوان اسحاق الموصلي**، 7 — 82.
(100) قال ماجد أحمد العزي محقق **ديوان اسحاق الموصلي** عن هذه القصيدة في الصفحة 160، ما يلي : « كان قد دخل على المعتصم عند فراغه من بناء قصر له، فأنشده قصيدة لم يصلنا منها شيء سوى هذا البيت، والذي كان مطلعها. وقد أجمعت المصادر التي أوردت البيت على نه كان من سقطات اسحاق، اذ كيف يهنيء ملكا بقصيدة مطلعها هذا البيت وهو من خبر مجالسة الملوك وعرف ما يتطيرون منه ».
وأورد بعد ذلك مصادر تخريج البيت، وهي :
— المرزباني، **الموشح**، ص 462.
— أبو هلال العسكرى، **كتاب الصناعتين**، ص 432.
— الصابي، **الهفوات النادرة**، ص 17.
=

يا دار غَيَّـــرَكِ البِلَـــى ومحـــــاك يا ليت شعري ما الـذي أبـلاك (101)

فتطير المعتصم بقوله وأمر بهدم القصر، ومن ذلك ابتداء قصيدة أبي نواس أنشدها في جعفر بن يحيى البرمكي (102) يهنيه بدار جديدة، بناها وجلس فيها للهناء، فقال :

أَرَبْعَ البِلَــى ! ان الـــخشوع لبـــاد عليك، وإنـي لم أخنك ودادي (103)

فنكس جعفر رأسه والناس ينظر بعظهم إلى بعض حتى ختمها بقوله :

سلام علــى الدنيــا اذا ما فقدتـــمُ بني برمك من رائحيــن وغـــاد (104)

وليست الطِّيَرَة من السنة، فقد كان ــ ﷺ ــ يحب الفال الحسن ويكره الطيرة، وعنه ــ ﷺ ــ : « ليس منا من تَطَيَّرَ أو تُطُيِّرَ له : أو تَكَهَّنَ أو تُكُهِّنَ لَهُ (105) ».

وأنشد المبرد (106) :

لا يعلــم المـــرء ليـــلا ما يُصَبِّحُـــهُ إلا كواذبَ ما يجـــري به الفـــــألُ
والفـــال والزجـــر والكهـــان كلهـــم مضللون ودون الغيب أقفــــال (107)

= ــ القاضي الزبير، **الذخائر والتحف**، ص 16،
ــ ج. السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ص 337،
ــ الحسيني الحسيني، **أنوار الربيع**، ص 16.
ــ حسين المرصفي، **الوسيلة الأدبية**، 2 : 52.

(101) انظر البيت في **ديوان اسحاق الموصلي**، ص 160.

(102) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 1 : 328 ــ 346، والمصادر بالهامش 132 من الصفحة 328.

(103) انظر **ديوان أبي نواس**، ص 471.

(104) انظر القصة عند ابن رشيق في **العمدة**، 1 : 224، وكمال الدين الدميري، **حياة الحيوان الكبرى**، 2 : 98.

(105) أخرجه الطبراني في **المعجم الكبير** عن عمران بن حصين.
انظر ج. السيوطي، **الجامع الكبير**، 2 : 465.

(106) انظر ترجمته عند أ. بن قنفذ، **وفيات**، ص 45، وأ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 4 : 313 ــ 322 رقم 636، وج. السيوطي، **بغية الوعاة**، 1 : 269 ــ 271 رقم 503، وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 8 : 15.

(107) انظر البيتين عند م. الابشيهي، **المستطرف**، 2 : 95.

وقال لبيد [108] :

لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى ... ولا زاجرات الطير ما الله صانع [109]

ولآخر :

تعلم أنه لا طير إلا ... على متطير وهو الثُّبورُ
بَلَى شيء يوافق بعض شيء ... أحايينا وباطله كثير [110]

والعرب أكثر ما تتطير بالغراب، ويسمونه حاتما، لأنه يحتم عندهم بالفراق، ويسمونه الأعور على جهة التطير، إذ كان أصح الطير نظرا، وفيه يقول بعضهم :

إذا أما غراب البين صاح فقل له : ... ترفق رماك الله يا طير بالبعد
لأنت على العشاق أقبح منظرا ... وأبشع في الأبصار من رؤية اللحد
تصيح ببين ثم تعثر ماشيا ... وتبرز في ثوب من الحزن مسود
متى صحت صح البين وانقطع الرجا ... كأنك من يوم الفراق على وعد [111]

وأعرض بعضهم عن الغراب وتطير بالابل، لكونها ترحل بالمحبوب، ولقد أجاد بعضهم فقال :

زعموا بأن مطيهم سبب النوى ... والمؤذنات بفرقة الأحباب [112]

ولنرجع إلى ما كنا بصدده : من ذكر محاسنه الحسنة، ومفاخره المستحسنة. فلا شك أنه ـــ أيده الله ـــ أقوى الناس صبرا، واحتمالهم جفوة، حلما منه، واحتسابا لله عز وجل، ولو تتبعنا ذلك لطال الكتاب، وخرج عن حد الاختصار إلى الاسهاب، والله الموفق لا رب غيره، ولا معبود سواه.

---

(108) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 6 : 104، والمصادر بالهامش 1.
(109) انظر **ديوان لبيد**، ص 90.
(110) البيتان لزبان بن منظور الفزاري.
انظر الجاحظ، **البيان والتبيين**، 3 : 155، وابن رشيق، **العمدة**، 2 : 261، والابشيهي، 2 : 95.
(111) الأبيات للمحدث تاج الدين الغراقي العراقي، أنشدها لابي عبد الله محمد بن محمد العبدري الحيحي عندما زاره بالاسكندرية.
انظر **الرحلة المغربية**، ص 112، والابشيهي، 2 : 95.
(112) انظر ابن رشيق، **العمدة**، 2 : 261، **وزهر الآداب**، 1 : 481، والابشيهي، 2 : 95.

الباب العاشر

* في شدة حيائه
الذي هو من صفات ذاته وبهائه

أما الحياء فهو أعظم الخصال المحمودة، [فقد ورد عن النبي ﷺ : أنه قال « الحياء من الايمان » (1)، وعنه ـــ ص ـــ « الحياء لا يأتي إلا بخير » (2)، وفي رواية : « الحياء خير كله » (3)، وعن أبي هريرة ـــ رضي الله عنه ـــ أن رسول الله ﷺ قال : « الايمان بضع وسبعون بابا، فأفضلها : قول لا إلٰه إلا الله، وأدناها : إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الايمان » (4)، وعن أبي سعيد : « كان ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه في وجهه » (5).

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة] (6)، وحقيقته : خلق يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق كل ذي حق (7). ويقال : القناعة دليل الأمانة، والأمانة دليل الشكر، والشكر

---

(1) أخرجه البخاري في **الصحيح**، 1 : 11، ومسلم في **الصحيح**، 1 : 46، وأبو داود في السنن، 4 : 252، والنسائي في السنن، 8 : 121.

(2) أخرجه البخاري في **الصحيح**، 7 : 100، ومسلم في **الصحيح**، 1 : 47 وكلاهما عن عمران بن حصين.

(3) أخرجه مسلم في **الصحيح**، 1 : 47، وأبو داود في **السنن**، 4 : 252، وكلاهما عن عمران بن حصين.

(4) أخرجه البخاري في **الصحيح**، 1 : 8، ومسلم في **الصحيح**، 1 : 46، وأبو داود في **السنن**، 4 : 219، والنسائي في **السنن**، 8 : 110، وكلهم عن أبي هريرة.

(5) أخرجه البخاري في **الصحيح**، 4 : 167، ومسلم في **الصحيح**، 7 : 78، وكلاهما عن أبي سعيد الخدري.

(6) ما بين المعقوفين سقط من « ج ».

(7) انظر ابن مرزوق، **المسند**، ص 117.

دليل الزيادة، والزيادة دليل بقاء النعمة، والحياء دليل الخير كله.
وفي الحديث : « إذا لم تستح فافعل ما شئت » (8)، وقد عقده بعضهم فقال :

إذا لم تخش عاقبـــة الليالـــــي ولـــم تستحـــي فافعـــل ما تشاء
فلا واللـــه ما في العـــيش خيـــر ولا الدنيـــا إذا ذهب الحيـــاء (9)

[ولبعضهم :

إذا لم تصن عرضا ولـم تخش خالقـا وتستحي مخلوقا فما شئت فاصنع (10)

وللشعراء منظومات كثيرة، فمنها :

إذا رزق الفتـــى وجهـــا وقاحـــا تقـــلب في الأمـــور كمـــا يشاء
ورب دنيـــــة ما حال بينـــــي وبيـــن ركوبهـــا إلا الحيـــاء (11)

ولأمية بن أبي الصلت (12) :

أأطـــلب حاجتـــي أم قد كفانـــي حيـــاؤك ان شيمـــتك الحيـــاء
إذا أثنـــى علـــيك المـــرء يومـــا كفـــاه من تعـــرضك الثنـــاء](13)

---

(8) أخرجه البخاري في **الصحيح**، 7 : 100، وأبو داود في **السنن**، 4 : 252 وكلاهما عن أبي مسعود.
(9) انظر البيتين عند الراغب الاصبهاني، **محاضرات الأدباء**، 1 : 285، و**المسند**، ص 117، وقد نسبهما للجنيد.
(10) انظر البيت عند الراغب الاصبهاني، **محاضرات الأدباء**، 1 : 285، والابشيهي، 1 : 155، و**المسند**، ص 117 وقد نسبه هذا الأخير لأبي دلف العجلي.
(11) انظر البيتين عند الراغب الاصبهاني، **محاضرات الأدباء**، 1 : 286، والابشيهي، 1 : 155، و**المسند**، ص 117.
(12) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي الاعلام، 1 : 364، والمصادر بالهامش 1.
وانظر كذلك بهجت عبد الغفور الحديثي، مقدمة **ديوان أمية بن أبي الصلت**، وبها دراسة وافية عن شعره ومصادر ترجمته.
(13) ما بين المعقوفين سقط من « م ».
وانظر البيتين في **ديوان أمية ابن أبي الصلت**، ص 333.

ومما قيل في حياء عثمان ــ رضي الله عنه ــ :

ومن مثل ذي النورين في الجود والتُّقى ... ومــن ذالــه فضل به فاز عثمــانُ
تطلــع في بُرْدَيْ حيـــاءٍ وعفـــةٍ ... فراق كمــا راق النواظــر بستــان
ومـن منـه تستحيي ملائكـة السمــا ... أبيحت له في حضرة القـدس أوطـان
وزوجــه المختــار بنتيــه فاغتــدى ... ومـن دونـه في رفعة القـدر كيــوان
وجهــــــز للاسلام في حال عُسْرَةٍ ... جيـوشا لهـا من خيــر أموالــه شان
ورَوَّى الورى من بئـر رومـة (14) جوده ... فكلهــم من مائهــا العــذب ريـان
مناقبـه زادت على الشهب والحصى ... وهـل للحصى والشهب عد وحسبـان

وكان عثمان ــ رضي الله عنه ــ مهابا عند الناس، يكثر حياؤهم منه، وكذلك عمر الفاروق ــ رضي الله عنه ــ، ومما اتفق له بين يدي النبي ﷺ وهو أن رسول الله ﷺ خرج في بعض أسفاره، فلما قفل جاءته جارية سوداء، فقالت : يا رسول الله، إني نذرت ان ردك الله ــ عز وجل ــ سالما أن أضرب بين يديك بالدف وأتغنى، فقال لها رسول الله ﷺ : إن كنت نذرت فاضربي، وإلا فلا (15)، (فجعلت تقول :

طلــــع البــــدر علينـــــا ... من ثنيــــــة الـــــــوداع
وجب الشكـــــــر علينـــــا ... ما دعـــــا للــــــه داع

فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، ثم دخل عمر وألقت الدف تحتها وقعدت عليه، فقال رسول الله ﷺ : « إن الشيطان يخاف منك يا عمر، ما رآك في فج إلا سلك فجا غيره. إن هذه كانت تضرب، ودخل هؤلاء وهي تضرب، فلما دخلت أنت

---

(14) بالأصل : (روية)، وهو تصحيف، إذ من المعروف أن عثمان بن عفان جهز جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيرا وأتم الألف بخمسين فرسا، وأنه اشترى بئر رومة بعشرين ألف درهم، وفي ذلك يقول الشاعر :

وقال رسول الله في بئر رومــة ... أما مشتر يبغي بها الأجر في غد
له الجنـة العليـا بذلك فاشتــرى ... وتجهيز جيش العسرة اذكر وعـدد

انظر الرياض النضرة، 2 : 120 ــ 122، وأ. المقري، نفح، 7 : 362.
وجاء في الحديث : من يحفر بئر رومة فله الجنة.

(15) أخرجه الترمذي ف السنن، وابن حنبل في المسند، 5 : 356، وكلاهما عن بريدة.

ألقت الدف من يدها)[16].

ومن مآثر الحياء ما حكي أن عمر بن عبيد الله بن مَعْمَر بن عثمان[17] اشترى جارية من أبي حلوانة السهمي بمائة ألف درهم، وكان بها مشغوفا، فلما قبض المال ذهبت الجارية لتخرج فتعلق بها وكان اسمها بسباسة، وأنشد :

يُذَكِّرُ من بسباسة اليوم حاجة	فأعظم بها من حاجة المتذكِّرِ
فلولا قعود الدهر بي عنك لم يكن	يفرقنا شيء سوى الموت فاعذر
أبوء بحزن من فراقك موجع	أناجي به قلبا كثير التفكر
عليك سلام لا زيارة بيننا	ولا وصل إلا أن يشاء ابن معمر

فقال ابن معمر : قد شئت، هي لك وثمنها.

حكي أن بعضهم بنى دارا وكتب على بابها ــ والبعض المذكور هو سيف الدولة بن حمدان ــ [18] :

(16) ما بين القوسين زيادة تفرد بها رزين.
وقد قال الشيخ محمد ناصر الدين الالباني عن هذه الزيادة : « ... وهذه الزيادة تفرد رزين بذكرها في هذا الحديث، ولا أصل لها في شيء من طرق الحديث فيما نعلم، فقد أخرجه بدونها الترمذي، وكذلك أخرجها أحمد وغيره عن بريدة بإسناد جيد، وله شاهد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده دون هذه الزيادة ودون ما بعدها. أخرجه أبو داود وقد ذكره المصنف بعد هذا.
وقد عرفت من حال رزين في مثال المؤاخذة الثانية.
نعم رويت هذه الزيادة في حديث آخر، لا علاقة لها بهذه القصة بلفظ : « لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جعل النساء والصبيان والولدان يقلن : طلع البدر علينا.... » رواه أبو الحسن الخلعي في **الفوائد** (59 / 2). إلا أن إسناده معضل لا يصح، وفي معناه نظر... وإنما هو في سلسلة الاحاديث الضعيفة... فمن العجائب أن يستدل به بعض المشايخ على إباحة الدف في مجالس الذكر مع أنه ليس فيه ذكر للدف أصلا ولا هو في الذكر، وإنما هو في اللهو المباح، هذا يوضح الحديث ».
انظر : **نقد نصوص حديثية**، ص 48.
وقد قال الشيخ الالباني عن رزين في نفس المصدر ص 46 ــ 47 : « هو : رزين بن معاوية أبو الحسن العبدري الأندلسي السرقطي المتوفى سنة 535 هـ، صنف **تجريد الصحاح والسنن**، وهو المراد عند نسبة الحديث إليه، وهو غير معروف اليوم، وإنما يعزو إليه المصنف وغيره بواسطة كتاب آخر، مثل **جامع الأصول** لابن الأثير **والمشكاة** وغير ويبدو مما ينقل العلماء عنه أنه وقع في كتابه كثير من الأحاديث والزيادة في المتون مما لا أصل له عند أحد أئمة الحديث فضلا عن كتب الستة... ».
(17) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 5 : 214، والمصادر بالهامش.
(18) انظر ترجمته في المصدر السابق، 5 : 118 والمصادر بالهامش.

يا قارع الباب أدخل غير محتشم ... فإن قرعك عندي أعظم الشان
تصيب بابا لضيفان إذا طرقوا ... فالمال بيني وبين الضيف نصفان

ونقش على بساطه :

منزلنا هذا لمن حوله ... نحن سواء فيه والطارق
فمن أتانا فيه فلنحتكم ... فيه وفينا يده طالق
سوى أهالينا وأولادنا ... فلم يرخص فيهم الخالق [19]

وأما الضيف، فأول من أضاف الضيف إبراهيم ـ عليه السلام وعلى نبينا ـ، وينبغي للمضيف أن يكون طلق الوجه، كما قال حاتم :

سل الطارق المُعْتَرَّ يا أم مالك ... إذا ما أتاني بين ناري ومجزري
أباسط وجهي انه أول القِرَى ... وأبذل معروفي له دون منكري [20]

ولآخر :

الله يعلم أنه ما سرني ... شيء كطارقة الضيوف النزل
ما زلت بالترحيب حتى خلتني ... ضيفا له والضيف رب المنزل [21]

[قد] [22] أخذه من قول الآخر :

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا ... نحن الضيوف وأنت رب المنزل [23]

(19) ورد عند الابشيهي، 1 : 182، بيتان فقط على الشكل الآتي :

منزلنا رحب لمن زاره ... نحن سواء فيه والطارق
وكل ما فيه حلال له ... إلا الذي حرمه الخالق

(20) انظر الابشيهي، 1 : 182.
(21) نسبهما الراغب الأصبهاني في **محاضرات الأدباء**، 2 : 650، إلى دعبل، وانظر الابشيهي، 1 : 182.
(22) ما بين المعقوفين سقط من « ز ».
(23) انظر الابشيهي، نفس المصدر والصفحة.

وللعاصم بن وائل :

وانا لنقري الضيف [قبل] (24) نزوله ونشبعه بالبشر والوجه ضاحك

ولبعض البخلاء :

سرى نحونا يبغي القرى طاويَ الحشا لقد عملت فيه الظنون الكواذبُ
فبات [به منا] (25) إلى الصبح شاتم يعدد تطفيل الضيوف وضارب

وأين هذا من قول الذي يقول :

قالت : أما ترحل تبغي الغنى قلت : فمن للطارق المعتم ؟
قالت : فهل عندك شيء له ؟ قلت : نعم جهد الفتى المعدم
فكم وحق الله من ليلة قد أطعم الضيف ولم أطعم ؟
إن الغنى بالنفس يا هذه ليس الغنى بالمال والدرهم (26)

وأما الضيف فمن دأبه أن يكون مساعفا للمضيف، ولا يخالفه في شيء، ولذلك قال بعضهم : لا ينبغي للضيف أن يعترض إن كان ذا حزم وطبع لطيف، فالأمر للانسان في بيته إن شاء أن ينصف أو أن يحيف.

ولبعضهم :

تعجيل جود المرء أكرومة تنشر عنه أطيب الذكر
والحر لا يمطل معروفه، ولا يليق المَطْلُ بالحر (27)

ومن كرم مولانا أن ابن عمر الكاتب الذي يأتي ذكره — إن شاء الله تعالى — أنه طلع عليه خمسون قنطارا من عشر الزيت في سنة من السنين، وكتب له هذه الأبيات، فترك له أعشار زيته

(24) في « م » : بعد، وانظر البيت عند الابشيهي، نفس المصدر والصفحة.
(25) ما بين المعقوفين سقط من « م »، وانظر البيتين عند الابشيهي، **المستطرف**، 1 : 184.
(26) انظر الابشيهي، 1 : 184.
(27) انظر قصة قولهما عند محمد الوشاء، **الموشى**، ص 57، والابشيهي، 1 : 198.

ما دام حيا، والأبيات هذه :

أبحر الندى خير الملوك سجية — وأكرم من يُدعَى له فوق منبر [28]
فقد سرت في الاسلام أحسن سيرة — وخُصِّصْت بالنصر العزيز المؤزر
أمولاي لاحظني بجودك إنني — فقير نوال من لدنك موفَّر
فهذا زمان الزيت قد جاء مقبلا — ولي رغبة فيه بغير تنكر
فمنها اشتعالي في الدجى وتطيبي — ودهن طعامي ثم منها تعطُّري
لأني بليد الطبع أشتاق ريحها — ففي الزيت يا مولاي مسكي [29] وعنبري

فالجود والكرم لا ينشآن إلا عن الحياء، ومما قيل فيه ما لجمال الدين بن البدوي [30] مضمنا بيتا :

إذا المرء وافى منزلا منك قاصدا — قراك وأمته لديك المسالك
فكن باسما في وجهه متهللا — وقل مرحبا أهلا ويوم مبارك
وقدم له ما تستطيع من القرى — عجولا ولا تبخل بما هو كاهك
فقد قيل بيتا سالفا متقدما — تداوله عمرو وزيد ومالك
(بشاشة وجه المرء خير من القرى — فكيف بمن يأتي بها وهو ضاحك)

حكي أن معن بن زائدة [31]، كان من الأجواد، وكان عاملا على العراق [بالبصرة] [32]، فحضر بابه شاعر فأقام مدة يريد الدخول عليه فلم يتهيأ له، فقال لبعض الخدم : إذا دخل الأمير البستان فعرفني. فلما دخل أعلمه بذلك، فكتب الشاعر ونقشه على خشبة وألقاها في الماء الذي يدخل البستان، وكان معن جالسا على القناة، فلما رأى الخشبة أخذها وقرأها، فإذا فيها مكتوب :

أيا جود معن ناج معنا بحاجتي — فليس إلى معن سواك رسول

(28) ورد عجز هذا البيت عند عبد الله كنون في النبوغ، ص 602، هكذا : وأفضل سلطان رقى فوق منبر.
(29) عند عبد الله كنون في النبوغ، ص 602 : سكري.
(30) انظر الابشيهي، 1 : 182. ولم نقف له على ترجمة.
(31) انظر ترجمة عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 5 : 244 — 245، والمصادر بالهامش 732 من الصفحة 244 من نفس المصدر.
(32) ما بين المعقوفين سقط من « م ».

فقال : من الرجل صاحب هذه ؟ فأتى به إليه. فقال : كيف قلت ؟ فأنشده البيت، فأمر له بعشر بِدَرٍ. فأخذها وانصرف ووضع معن الخشبة تحت بساطه، فلما كان في اليوم الثاني أخرجها من تحت البساط، فنظر فيها ودعا بالرجل، فأمر له بمائة ألف درهم، فلما كان في اليوم الثالث فعل معه مثل ذلك، فتفكر الرجل وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج من البلد هاربا بما معه، فلما كان في اليوم الرابع طلب الرجل فلم يجده فقال معن : والله لقد ساء ظنه، ولقد هممت أن أعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار إلا أعطيته إياه (33).

ومن قول معن :

دعيني أنهب الأموال حتى ... أعف الأكرمين عن اللئام (34)

ومعن هذا هو ابن زائدة الشيباني، قتله الخوارج بسجستان (35) في أيام المهدي، وفيه يقول القائل :

يقولون معن لا زكاة لماله ... فكيف يزكي المال من هو باذله
إذا حال حول لم تجد في دياره ... من المال ألا ذكره وحمائله
(تراه إذا ما جئته متهللا ... كأنك تعطيه الذي أنت سائله)
(تعود بسط الكف حتى لَوَ آنه ... أراد انقباضا لم تطعه أنامله)
(فلو أن ما في كفه غير نفسه ... لجاد بها فليتق الله سائله) (36)

وحكي أن مطيع بن إياس (37) الشاعر مدح معنا بقصيدة حسنة ثم أنشدها بين يديه، فلما فرغ من إنشاده أراد معن أن يباسطه فقال : يا مطيع، إن شئت أثبناك وإن شئت مدحناك كما مدحتنا، فاستحيا مطيع من اختيار الثواب وكره اختيار المديح وهو محتاج، فلما خرج أرسل إليه هذين البيتين :

---

(33) أنظر القصة عند ابن حجة الحموى، **ثمرات الأوراق**، 2 : 13 — 14، والابشيهي، 1 : 161.
(34) انظر البيت عند الابشيهي، 1 : 161، 31.
(35) سجستان : منطقة في وسط آسيا، تتقاسمها إيران وأفغنستان مساحتها 7006 كلم²، قاعدتها نصر تاباد.
(36) في الشعر تضمين، اذ البيت الثالث لزهير، « أنظر **ديوانه** ص 68 » والرابع والخامس لأبي تمام « انظر **ديوانه** ص 205 »، وانظر الأبيات عند الابشيهي، 1 : 161.
(37) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 8 : 161، والمصادر بالهامش 1 من الصفحة 162 من نفس المصدر.

ثنـاء من أميـر خيـر كسب ... لصاحب نعمـة وأخـي ثراء
ولكن الزمـان [بـرى عظامـي] (38) ... فمالـي كالدراهـم [مـن دواء] (39)

فلما قرأها معن ضحك وقال : ما مثل الدراهم من دواء، وأمر له بصلة جزيلة ومال كثير.

ولاسحاق بن إبراهيم الموصلي :

وآمرتي بالبخل قلت لهـا : اقصري ... فليس إليـه ما حييـت سبيـل
أرى النـاس إخوان الكريـم ومـا أرى ... بخيـلا له في العالميـن خليـل (40)

ولبعضهم :

ذرينـي واتلافـي لمالـي فإننـي ... أحب من الأخـلاق ما هو أجمـل
وإن أحـق النـاس باللـوم شاعـر ... يلوم على البخـل الرجـال ويبخـل (41)

ولبعضهم :

إذا قلت في شيء (نعـم) فأتمـه، ... فإن (نعم) ديـن علـى الحـر واجب
وإلا فقـل : لا، تستـرح وتـرح بهـا ... لئـلا يقـول النـاس : إنك كاذب (42)

وللطائي حاتم :

وعاذلـةٍ قامت علـي تلومنـي ... كأني إذا أتلـفت مالـي أضيمهـا
أعـاذل ان الجـود ليس بمهلكـي ... ولا ينفـع النـفس الشحيحـة لُومُهـا
وتذكـر أخـلاق الفتـى وعظامـه ... مغيَّبَـةٌ في اللحـد بال رميمهـا

(38) ما بين المعقوفين سقط من « م ».
(39) ما بين المعقوفين سقط من « م »، وانظر البيتين عند الابشيهي، 2 : 57.
(40) البيتان من قطعة يمدح فيها إسحاق الموصلي هارون الرشيد. انظر **ديوان إسحاق الموصلي**، ص 163.
(41) أنظر البيتين عند الابشيهي، 1 : 171 — 172.
(42) انظر البيتين عند محمد الوشاء، **الموشى**، ص 56، والابشيهي، 1 : 198، وابن الأزرق، بدائع، 1 : 456.

ومن يتدع ما ليس في خِيم نفسه يدعه ويغلبه على النفس خِيمُها (43)

ولـــه :

وما الجود يفني المال قبل فنائه ولا البخل في مال البخيل يزيد
فلا تلتمس مالا تعيش بكده لكل غد رزق يعود جديد (44)

حكي أن رجلا جاء إلى معاوية ــ رضي الله عنه ــ، فقال : سألتك بالرحم التي بيني وبينك الا ما قضيت حاجتي، فقال معاوية : أمن قريش أنت ؟ فقال : لا، قال : فأية رحم بيني وبينك ؟ قال : رحم آدم، قال : رحم مجفوة، والله لأكونن أول من وصلها، ثم قضى حاجته.

وقيل للحسن بن سهل (45) : لا خير في السرف، قال : لا سرف في الخير، فقلب اللفظ واستوفى المعنى.

وحكي أن يزيد بن المُهَلّب (46) حبسه الحجاج في خراج وجب عليه، مقداره مائة ألف درهم، فجمعت له، وجاء الفرزدق يزوره في السجن، فقال للحاجب : استأذن لي عليه، فقال : إنه في مكان لا يمكن الدخول عليه فيه، فقال الفرزدق (47) إنما أتيت متوجها لما هو فيه، ولم آت ممتدحا، فأذن له، فلما أبصره قال :

أبا خالد ضاقت خراسان بعدكم وقال ذوو الحاجات أين يزيد ؟
فما قطرت بالشرق بعدك قطرة ولا اخضر بالمَرْوَيْنِ بعدك عود
وما لسرور بعد عزك بهجة وما إجواد بعد جودك جود (48)

(43) لا توجد الأبيات في **ديوان حاتم الطائي**.
(44) لا توجد الأبيات في **ديوان حاتم الطائي**.
(45) أنظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 2 : 120 ــ 123 والمصادر بالهامش 177 من الصفحة 120 من نفس المصدر.
(46) أنظر ترجمته عند أ. بن خلكان **وفيات الأعيان**، 6 : 287 ــ 309 والمصادر بالهامش 816 من الصفحة 287.
(47) أنظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 6 : 86 ــ 100، والمصادر بالهامش 784 من الصفحة 86 من نفس المصدر.
(48) وردت الأبيات في **ديوان الفرزدق**، 1 : 160، **هكذا** :

أبا خالد بادت خراسان بعدكم وقال ذوو الحاجات أين يزيد ؟
فلا مطر المروان بعدك قطرة ولا ابتل بالمروين بعدك عود
فما لسرور بعد فقدك بهجة ولا لجواد بعد جودك جود

وانظر القصة عند الابشيهي، 1 : 182.

فقال يزيد للحاجب : ادفع إليه المائة ألف التي جمعت لنا ودع الحجاج ولحمي يعمل فيه ما شاء، فقال الحاجب للفرزدق : إنما منعتك يا هذا لما ان خفت من دخولك، ثم دفعها إليه، فأخذها وانصرف (49).

ومن الحياء ما حدثني به شيخنا أبو راشد أن السلطان موسى المريني بن (50) أبي عنان لما سقط عن فرسه بالشماعين (51) استحيا من الناس كثيرا لما وقع به، وكان هذا بعد خروجه من صلاة جمعة بالقرويين خلف الولي الصالح الزاهد أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن عباد الرندي المتوفى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة (52)، فأزاح عند الخجل كاتبه أبو السعود (53) فقال :

مولاي لا تلم الشقراء إن عثرت	ومن يلمها لعمري فَهْوَ ظالمها
وهالها ما اعتراها من مهابتكم	لأجل ذلك لم تثبت قوائمها
ولم تزل عادة الفرسان مذ ركبوا	تكبو الجياد ولم تنبو (كذا) عزائمها
وفي النبي رسول الله اسوته	أعلى النبيئين مقدارا وخاتمها

---

(49) انظر القصة عند ابن حجة الحموي، **ثمرات الأوراق**، 1 : 73 — 74.

(50) بالأصل : (أخا)، وهو تصحيف.
انظر **روضة النسرين**، ص 36، وأ. بن القاضي، **جذوة**، 1 : 343 — 344 رقم 362، وأ. الناصري، **الاستقصا**، 4 : 71.

(51) الشماعين : سوق شهير بفاس بين جامع القرويين والضريح الادريسي، كان في الأصل سوقاً يباع فيه الشمع كما يدل عليه اسمه، ثم تحول الاتجار في الشمع إلى باب مولاي إدريس وأصبح سوق الشماعين خاصا ببيع الفواكه الجافة، وفي هذه السنين الأخيرة بدأ يتجول إلى سوق لبيع الثياب.
ويسمى الباب الرئيسي للقرويين باسمه لأنه يقابله.

(52) بالأصل : **(اثنين وتسعين وتسعمائة)**، وهو تصحيف، انظر مثلا أ. بن القاضي، **لقط الفرائد**، ص 226. و792 هـ توافق 1389 / 1390 م.

(53) هناك اختلاف في إسم هذا الكاتب، فابن القاضي في **الدرة**، 3 : 247 رقم 1275، وكذلك **لقط الفرائد**، ص 224، يسميه علي بن مسعود.
أما في **الجذوة** فإن الأصل هو : (المسعود)، لكن المحقق رجح أن يكون علي بن محمد بن سعود الخزاعي، اعتمادا على مصادر معينة ذكرها « انظر **الجذوة**، 2 : 489 رقم 554 هامش 627 ».
وقد اتفقت رواية عبد الحي الكتاني في **التراتيب الادارية**، المقدمة، 1 : 37، مع رواية **المنتقى** في كون اسمه أبي السعود، اعتمادا على ما أورده أحمد بن الخياط الفاسي صاحب **سلسلة الذهب المنقود، في ذكر الاعلام من الأسلاف والجدود**.
ونعتقد أنه من المحتمل أن يكون (أبو السعود) لقباله.
وعلى كل فهو : أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن موسى بن مسعود بن موسى بن أبي غفرة الخزاعي فاسي المولد والوفاة، اشتهر بكتابه : **تخريج الدلالات السمعية** (توجد نسخة جيدة منه بالمكتبة الملكية عدد 1397 وقد نشر بتحقيق الشيخ معاوية التميمي بتونس).

كَبابِـــهِ فرس أبقـــى بسقطتـــه   في جنبـه خدشة تبـــدو مراسمهـــا
حتـــى لصلـــي صلاة جالسا ثبـــتت   لنـــا بهـــا سنـــة تحيـــا معالمهـــا
صلـــى الالـــٰه عليـــه دائمـــا أبـــدا   أزكـــى صلاة تحييـــه نواسمهـــا

وأزاح عنه الخجل الشيخ ابن عباد، فقال :

إن الجـــــــواد ما كبـــــــا   إلا لمـــــــا فيـــــــه نبـــــــا
ذاك قبـــــــــول ما به   أمامنـــــــــا تقربـــــــا
في يومـــــــه فَلْيَهْنِـــــــه   أمـــــــر ونصر وجبـــــــا (54)

ويقرب من معنى الحياء ما لبعضهم :

أتتـــــي تُؤَنِّبنِـــــي بالبكـــــا   فأهـــــلا وسهـــــلا لتأنيبهـــــا
تقـــول وفـــي قولهـــا حشمـــة   أتبكـــي بعيـــن ترانـــي بهـــا
فقـــلت إذا استـــحسنت غيركـــم   أمـــرت الدمـــوع بتأديبهـــا (55)

وأما البخل فهو من قلة الحياء وسقاطة النفس وقلة الهمة، ومما ورد فيه عنه ﷺ أنه قال : « لما خلق الله تعالى جنة عدن قال لها : تكلمي، فقالت : لا إلٰه إلا الله، فقال لها ثانية : تكلمي، فقالت : حرمت على كل بخيل ومرائي » (56)، [وقال الله تعالى : « الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله ـــ الآية » (57)، وعنه ﷺ : « إياكم والشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم » (58)، وقالت أم البنين، أخت عمر بن عبد العزيز : « أف للبخل، لو كان قميصا ما لبسته، أو كان طريقا ما سلكته » (59).

---

(54) توقفت نسخة « ج » في الباب العاشر عند هذا الحد.
(55) الأبيات لأبي بكر بن العربي، وقد وردت عند أ. المقري في أزهار الرياض، 3 : 88، هكذا :

أتتـــــي تؤنبنـــــي بالبكـــــا   فأهـــــلا بها وبتأنـــــيبها
تقـــــول وفي نفسهـــــا حسرة   أتبكـــــــــي بعين تراني بها
فقـــلت إذا استـــحسنت غيركم   أمـــرت جفـــوني بتعـــذيبها

(56) الحديث غير موجود عند ج. السيوطي في الجامع الكبير، ولا عند أ. ي. ونسنك في المعجم المفهرس.
(57) الآية 37 من سورة النساء.
(58) أخرجه أبو داود في السنن، 2 : 133، عن عبد الله بن عمرو.
(59) انظر الابشيهي، 1 : 171.

قيل : بخلاء العرب أربعة : الحطيئة [60]، وحُمَيد الأرقط، وأبو الأسود الدُّؤلي [61]، وخالد.

أما الحطيئة فمر به إنسان وهو على باب داره، فقال : أنا ضيف، فأشار إلى العصا وقال له : هذه لكعاب الضيفان !

وأما حميد فكان هجاء الضيفان.

وأما أبو الأسود الدؤلي فتصدق على سائل بتمرة فقال له : جعل الله نصيبك من الجنة مثلها.

(وأما خالد بن صفوان فكان يقول للدرهم إذا دخل عليه : يا عيار، كم تعير وكم تطوف وتطير لأطيلن حبسك، ثم يطرحه في الصندوق ويقفل عليه) [62].

واستأذن بعضهم على صديق له بخيل، فقيل له : هو محموم، فقال لهم : كلوا بين يديه لِيَعْرَق [63].]

ولبعضهـــم :

ولا تقطعن عادة المعروف عن أحد ... ما دمت تقـــدر فالأيـــام تارات
واشكر فضيلة صنع الله إذ رجعت ... إليك لا لك عند الناس حاجـات

وذم رجل قوما، فقال : وجوههم وأيديهم وقاح بخلاء.

قال الشاعر :

لو أن لي من جلد وجـهك رقعـة ... لجعلت منهـا حافـرا للأشهب [64]

ولآخـــر :

إذا رزق الفتـى وجهـا وقاحـا ... تقـلب في الأمـور كمـا يشاء

---

(60) انظر ترجمته عند م. بن شاكر، **فوات الوفيات**، 1 : 276 ــ 279 والمصادر بالهامش 96 من الصفحة 279 من نفس المصدر.

(61) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 2 : 535 ــ 539 والمصادر بالهامش 313 من الصفحة 535 من نفس المصدر.

(62) ما بين القوسين سقط من الأصل والاكمال من الابشيهي، 1 : 171.

(63) ما بين المعقوفين ورد متأخرا في « م ».

(64) انظر الابشيهي، 1 : 155.

قال رسول الله ﷺ :

« إن مما أدرك الناس من كلام النبوءة الأولى : إذا لم تستحح فاصنع ما شئت ».
حكي عن رجل بخيل أنه كان إذا وقع في يده درهم أو دينار يضعه على كفه ويقول : سبحان الله، هذا أجل الأشياء إلى الله، فيه شفاء ووقاء، يا نور عيني ويا ثمرة الفؤاد، كم مدينة دخلتها، وكم يد وقعت فيها فلم يعرفوا قدرك، فداك أبي وأمي هنيئا لك الآن، استقرت بك الدار، واطمأنّ بك القرار، ونجوت من خطر الاسفار، وأيدي التجار، لك البشارة في كيس يغلق، وصندوق يطبق.

ولبعضهم في بخيل :

لو عبــــر البحــــر بأمواجــــــه — في ليلــــــة مظلمــــــة بارده
وكفــــــــه مملــــــــوءة خردلا — ما سقــطت من كفــه واحــده (65)

[ولبعضهم] :

يا قائمـــــا في داره قاعــــــدا — من غيــــر ما معنــــى ولا فائــــده
قد مات أضيــــافك من جوعهــــم — فاقــرأ عليهــم سورة المائــــده (66)

ولبعضهم :

وقصائــــد مثــل الريــاض وضعتهـــا — في باخــــــل ضاعت به الأحساب
فإذا تناشدهـــا الـــرواة وأبصروا الــــ — ممــدوح قالــوا : شاعــــر كذاب

وللصفي الحلي :

إني مدحــتك كي أجيــد قريحتــي — وعلــمت أن المــدح فيك يضيــع
لكـــن رأيت الــمسك عنـــد فساده — يُدنــوه من بيت الخــلا فيضوع (67)

(65) انظر البيتين في المصدر السابق، 1 : 175.
(66) انظر الابشيهي، نفس المصدر والصفحة، وتاج المفرق، 2 : 51، وحياة الحيوان الكبرى، 2 : 282، ومحاضرات اليوسي، 257.
(67) البيتان لا يوجدان في ديوان صفي الدين الحلي ولكنهما يوجدان بنفس النسبة عند الحسن اليوسي في المحاضرات، ص 218، ويوجدان غير منسوبين لأحد عند الابشيهي، 2 : 6.

ولبعضهم :

خلـيلي من كعب أعينـا أخـاكما على دهـره إن الكـريم معين
ولا تبخلا بخل ابـن قزعـة إنـه مخافـة أن يُرجـى نَداه حزيـن
إذا جئتـه في حاجـة سد بابـه فلـم تلقـه إلا وأنت كميـن (68)

ولابن أبي حازم (69)

وقالـوا قد مدحت فتـى كريمـا فقـلت وكيـف لي بفتـى كريـم
بلـوت ومـر لي خمسون حولا وحسبك بالمجـرب من عليهـم
فلا أحـد يعـد ليـوم خيـر ولا أحد يعـود علـى عديـم (70)

ولأبي زيد العبدي :

ولقـد قتلـتك بالهجـاء فلـم تمت إن الكـلاب طويلـة الأعمـار (71)

والتعريض بالبخل من أذم الهجو.

حكي أنه وقف أحمد بن عبد ربه تحت مطل (كذا) بعض الرؤساء وقد سمع غناء حسنا من جارية، فرش صاحب الجارية من العلية بماء ليطرده عن المحل، فمال إلى مكتب وكتب في لوح وبعث به إلى صاحب الجارية :

يا من يضن بصوت الطائـر الغـرد ما كنت أحسب هذا البخل في أحد
لو أن أسمـاع أهـل الأرض قاطبـة أصغت إلى الصوت لم ينقص ولم يزد
فلا تضن علـى سمـع تقلـده صوتا يجول مجال الروح في الجسد
أمـا النبيـذ فإنـي لست أشربهـا ولست آتيك إلا كسرتي في يدي (72)

---

(68) الأبيات لبشار.
انظر أحمد الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، 2 : 236، والابشيهي، 1 : 174 — 175.

(69) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 4 : 141، والمصادر بالهامش 2.

(70) انظر الأبيات عند الابشيهي، 1 : 175.

(71) انظر الابشيهي، 2 : 7.

(72) انظر أ. المقري، **نفح**، 7 : 50.

ولصالح اللخمي :

لئن جمـع الآفات فالبخـل شرهـا وشر من البخـل المواعيـد والمطـل
ولا خيـر في وعـد إذا كان كاذبـا ولا خير في قول إذا لم يكن فعل [73]

وللحمدوني في شاة سعيد بن أحمد عدة مقاطع، فمنها :

أيـا سعيـد لنـا في شاتك العبـر جاءت وما ان لهـا بول ولا بعـر
وكيف تبعـر شاة عندكـم مكـثت طعامها الأبيضان : الشمس والقمـر
لو أنهـا أبصرت في قوتهـا علفـا عنت إليـه ودمـع العيـن ينحـدر
يا مانعي لذة الدنيـا بمـا رحـبت إني ليعجبني في وجهك النظر [74]

وله أيضا :

لسعيـد شويهـة سلهـا الضر والعجـف
قد تغنـت وأبصرت رجـلا حامـلا علـف
بأبـي من بكفـه برء دائـي من الدنـف
فأتاهـا مطمعـا فأتتـه لتعتلـف
فتولـى وأقبـلت تتغنـى من الأسف [75]

اعلم أن الهجاء لا يقصد منه إلا الوقوف على ملحه وما فيه من ألفاظ فصيحة ومعان بديعة لا التشفي للأعراض والوقوع فيها، وليس هو دليلا على إساءة المهجو ولا صدق الشاعر فيما رماه به، فما كل مذموم بذميم، وقد يهجي الانسان بهتانا وظلما، أو عبثا، أو إرهابا [76].

قال المتوكل لأبي العيناء [77] : كم تمدح الناس وتذمهم ؟ قال : ما أحسنوا وأساءوا،

(73) انظر الأبشيهي، 1 : 198، المسند لابن مرزوق، 207.
(74) انظر الأبيات عند الحصري، **جمع الجواهر**، ص 295.
(75) انظر الأبيات عند الحصري، **زهر الآداب**، 1 : 559، **جمع الجواهر**، ص 295، وصالح بن شريف الرندي، **الوافي في نظم القوافي**، ص 176 — 177.
(76) انظر الابشيهي، 2 : 2.
(77) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 4 : 343 — 348، والمصادر بالهامش 643 من الصفحة 343 من نفس المصدر.

وقد رضي الله على عبد فمدحه وقال : نعم العبد، إنه أواب، وغضب على آخر، فقال ، مناع للخير، معتد أثيم (78).

ومن العبث بالهجو ما روي أن الحطيئة هَمَّ بهجاء فلم يجد من يستحقه فقال :

أبت شفتـــاي اليـــوم الا تكلمـــا بسوء فما أدري لمـــن أنـــا قائلُـــهْ
أرى ليَ وجهـــا قبـــح اللـــه خلقـــه فقبـح من وجه وقبـــح حاملُـــهْ (79)

وعبث بأمه فقال :

تنحـــي فاجـــلسي عنـــا بعيـــدا أراح اللـــــه منك العالمينـــــا
أغربـــالا إذا استُـــودِعْتِ سرا وكانونـــا علـــى المتحدثينـــا
حيـــاتك ما علـــمت حيـــاة سوء ومـــوتك قد يسر الصالحينـــا (80)

وقال رجل : ما أبالي أهجيت أم مدحت ؟ فقال له الأحنف : أرحت نفسك من حيث تعب الكرام، وإنما يخشى الهجو من له عرض يخشى عليه، وأما من لا يخشى عليه فيستوي عنده المدح والذم، ولكن بئس الرجل هو (81). وقال رجل لأخيه لأبويه : لأهجونك هجاء يدخل معك قبرك، فقال : كيف تهجوني وأبوك أبي وأمك أمي، فقال : أقول :

غلام أتـــاه اللـــوم من شطـــر نفسه ولـم يأته من شطـــر أم ولا أب (82)

ودخل أبو دُلامة (83) على المهدي وعنده إسماعيل بن علي، وعيسى بن موسى (84)، والعباس

---

(78) انظر الابشيهي، 2 : 2.
(79) انظر البيتين عند الكامل في المبرد، 2 : 143 ـــ 144، وم. بن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، 1 : 276، **والديوان**، 257، والابشيهي، 2 : 2.
(80) انظر الأبيات عند الراغب الاصبهاني، **محاضرات الأدباء**، 1 : 127، وم. بن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، 1 : 276، **والديوان** 123، والابشيهي، 212.
(81) انظر الابشيهي، 2 : 2.
(82) المصدر السابق، 1 : 32.
(83) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 2 : 320 ـــ 327 والمصادر بالهامش 244 من الصفحة 320 من نفس المصدر.
(84) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 5 : 296، والمصادر بالهامش.

ابن محمد [85] وجماعة من بني هاشم، فقال له المهدي : والله لئن لم تهج واحدا ممن هو في هذا البيت لأقطعن لسانك، فنظر إلى القوم وتحير في أمره وجعل ينظر إلى كل واحد فيغمزه بأن عليه رضاه، قال أبو دلامة : فازددت حيرة فما رأيت أسلم من أن أهجو نفسي، فقلت :

ألا أبلــــغ لديك أبــــا دلامــــه   فلست من الكــــرام ولا كرامَــــهْ
جمــعت دَمامَـــةً وجمــعت لؤمــا   كذاك اللـــؤم تتبعــــه الدَّمامَــــهْ
إذا لبس العمامــــة وجـــــه قرد   وخنزيـــــر إذا نزع العمامــــــه

فضحك القوم، ولم يبق منهم إلا من أجازه [86].
وهجا بعضهم القمر فقال : يهدم العمر، ويوجب أجرة المنزل، ويشحب الألوان، ويقرض الكتان، ويضل الساري، ويعين السارق، ويفضح العاشق [87].
[ولأبي الجهم أحمد بن يوسف الأنباري ــ وفاته سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ــ :

أعاذل ليس البخــل منــي سجيــة   ولكــن رأيت الفقــر شر سبيــــل
لموت الفتى خير من البخل للفتى   وللبخــل خيــر من سؤال بخيــــل
لعمــرك إن كانت لوجـــهك قيمــة   فلا تلق إنسانــا بوجــه ذليــل][88]

ووضع سهل بن هارون [89] كتابا في مدح البخل وأهداه إلى الحسن بن سهل فوقع على ظهره وقال : قد جعلنا ثوابك عليه ما أمرت به فيه [90].
وكان عمر بن يزيد الأسدي [91] بخيلا جدا، أصابه القولنج في بطنه، فحقنه الطبيب بدهن

---

(85) انظر ترجمته في المصدر السابق، 4 : 38.
(86) وردت الأبيات عند أ. بن خلكان في **وفيات الأعيان**، 2 : 326، هكذا :

ألا أبلــغ هديت أبــا دلامــــه   فليــس من الكــرام ولا كرامــه
إذا لبس العمامــــــة كان قردا   وخنزيـــرا إذا وضع العمامــــه

وانظر أيضا ابن حجة الحموي، **ثمرات الأوراق**، 2 : 103 ــ 105، والابشيهي، 2 : 4.
(87) انظر الابشيهي، 2 : 4.
(88) ما بين المعقوفين سقط من « م ».
(89) انظر ترجمته عند م. بن شاكر، **فوات الوفيات**، 2 : 84 ــ 85 والمصادر بالهامش 185 من الصفحة 84.
(90) انظر الابشيهي، 1 : 171.
(91) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 5 : 231، والمصادر بالهامش 2، والابشيهي، 1 : 172.

كثير، فانحل ما في بطنه في الطست، فقال لغلامه : اجمع الدهن الذي نزل في الجفنة وأسرج به.

وأهل مروة موصوفون بالبخل، قيل : كان من عادتهم إذا ترافقوا في سفر، يشتري كل واحد منهم قطعة لحم ويشكها في خيط، ويجمعون اللحم كله في قدر، ويمسك كل منهم طرف خيطه، فإذا انشوى جر كل واحد خيطه وأكل لحمه ويقسمون المرق (92).

وقيل لبخيل : من أشجع الناس ؟ قال : من سمع وقع أضراس الناس على طعامه ولا تنشق مرارته (93).

ولبعضهـــــم :

لو أن دارك أنبــتت لك واحــتشت ابــرا يضيــق بهــا فنــاء المّنـــزل
وأتـــاك يوسف يستعيـــــرك إبـــــرة ليخيــط قد قمـيصه لم تفعــل (94)

وقال دعبل (95) : كنا عند سهل بن هارون فلم نبرح (96) حتى كاد يموت من الجوع، فقال : ويحك يا غلام !

آتنا غَدَاءنا، فأتى بقصعة فيها ديك مطبوخ، فتأمله ثم قال : وأين الرأس ؟ فقال : رميته، فقال : والله إني لأكره من يرمي برجله فكيف برأسه، ويحك ! أما علمت أن الرأس رئيس الأعضاء، ومنه يصدح الديك ولولا صوته ما أريد، وفيه فرقه الذي يتبرك به، وعينه التي يضرب بها المثل، فيقال : شراب كعين الديك، ودماغه عجب لوجع الكلية، ولم ير أهش من عظم رأسه، وهبك ظننت أني لا آكله أما قلت : عنده من يأكله ؟ انظر في أي مكان رميته فائتني به. قال : والله لا أدري أين هو ؟ قال : أنا أعرف أين هو، رميته في بطنك الله حسيبك ! (97).

قيل : من الناس من يبخل بالطعام ويجود بالمال، وبالعكس (98).

---

(92) انظر الابشيهي، 1 : 172.
(93) نفس المصدر والصفحة.
(94) نفس المصدر والصفحة.
(95) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 2 : 266 ــ 270 والمصادر بالهامش 227 من الصفحة 266 من نفس المصدر.
(96) في « ز » : فلن تبرح.
(97) انظر الابشيهي، 1 : 172.
(98) نفس المصدر والصفحة.

وقال بعضهم :

أبو دُلَفٍ (99) يضيع ألف ألف ويضرب بالحسام على الرغيف
أبو دلف لمطبخه قُتار ولكن دونه سل السيوف (100)

نزل على [ابن] أبي حفصة الشاعر رجل فأخلى (كذا) له وكتب إليه :

يا أيها الخارج من بيته وهاربا من شدة الخوف
ضيفك قد جاء بزاد له فارجع وكن ضيفا على الضيف (101)

ومن أهجى ما قيل في البخل بيت جرير في بني تغلب :

والتغلبيُّ إذا تنحنح لِلْقِرَى حك آسْتَهُ وتمثل الأمثالا (102)

[وقول الأخطل في بني كليب] (103) :

---

(99) أبو دلف : هو القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل « ت 226 هـ / 840 م »، من بني عجل بن لجيم، أمير الكرخ وسيد قومه، وأحد الأمراء الأجواد الشجعان الشعراء. قلده الرشيد العباسي أعمال « الجبل » ثم كان من قادة جيش المامون. وأخبار أدبه وشجاعته كثيرة. وللشعراء فيه أماديح وله مؤلفات منها سياسة الملوك، والبزاة والصيد. وهو من العلماء بصناعة الغناء.
وقد مدحه الشاعر العكوك على بن جبلة قائلا :

إنما الدنيا أبو دلف بين مبداه ومحتضره
فإذا ولى أبو دلف ولت الدنيا على أثره

انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 4 : 73 — 79، والمصادر بالهامش 538 من الصفحة 73 من نفس المصدر.
(100) انظر البيتين عند الابشيهي، 1 : 172 — 173.
(101) نفس المصدر والصفحة.
(102) البيت من قصيدة مطلعها :

حي الغداة برامة الأطلال رسما تحمل اهله فأحالا

انظر **ديوان جرير**، ص 451.
(103) بالأصل : (وقوله فيهم)، أي أنه كان يقصد هجاء جزير لبني تغلب، وهو خطأ، إذ ان الأمر يتعلق بهجاء الأخطل التغلبي لجرير ولقبيلته بني كليب. =

قوم إذا أكلوا أخفوا كلامهم — واستوثقوا من رتاج الباب والدار
قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم — قالوا لأمهم : بولي على النار
فتمسك البول خوفا أن تجود به — وما تبول لهم إلا بمقدار
والخبز كالعنبر الوردي عندهم — والقمح سبعون إِرْدَبّاً (104) بدينار

ولبعضهم :

أتانا بخبز له حامض — كمثل الدراهم في رقتة
إذا ما تنفس حول الخِوان — تطاير في البيت من خفتة (105)

وقال الآخر :

تراهم خشية الأضياف خرسا — يقيمون الصلاة بلا أذانِ (106)

وقال آخر لما بات عند بخيل :

فبتنا كأنا بينهم أهل مَأتم — على ميت مستودع بطن ملحد
يحدث بعضاً بعضنا بمصابه — ويأمر بعضا بعضنا بالتجلد (107)

= وتجدر الاشارة هنا إلى أن كلا من البيت الأول والرابع لا يوجدان في **ديوان الأخطل التغلبي**، غير أن البيت الأول يوجد منفردا وبدون نسبة عند الراغب الاصبهاني في **محاضرات الأدباء**، 2 : 665. والقصيدة التي أخذ منها البيتان هي إحدى الأهاجي الشهيرة التي وصم بها الأخطل جريرا، استهلها بالفخر بالخيل التغلبية وهجاء بني كليب، وينهي القصيدة مزريا أشد الازراء بخصمه، مقذعا في هجاء والدته، ناميا إليه الهزال وإليها الفحش والفجور، وعلى العموم فالقصيدة تتكون من 22 بيتا، مطلعها :

ما زال فينا رباط الخيل معلمة — وفي كليب رباط الذل والعار
النازلين بدار الذل ان نزلوا — وتستبيح كليب محرم الجار

أما البيتان الواردان في **المنتقى**، فهما البيتان الخامس والسادس من القصيدة.
انظر **ديوان الأخطل التغلبي**، ص 370.

(104) في « م » : حبة.
(105) نسبهما الراغب الاصبهاني في **محاضرات الأدباء**، 2 : 663، للبسامي، والابشيهي، 1 : 174.
(106) نسبه الراغب الاصبهاني في **محاضرات الأدباء**، 2 : 665، للرقاشي، وانظر الابشيهي، 1 : 174.
(107) انظر الابشيهي، 1 : 174.

ولآخــر :

وجيــرة لا ترى في النــاس مثلهــمُ — إذا يكــون لهــم عيــد وإفطــار
إن يوقــدوا يوسعونــا من دخانهــم — وليس يبلغنا ما تطبــخ النــار (108)

ولآخــر :

لا تعجبــن لخبــز زل من يده — فالكوكب النحس يسقي الأرض أحيانا (109)

ولبعضهم ينهى عن البذل، وإعجابا لمن يحرض الناس على البخل :

احفــظ عُرى مالك تحظــى به — ولا تفــرط فيــه تبقــى ذليــل
يا منفــق المــال ترفــق به — المــوت أهــون من سؤال البخيــل
واحــذر علــى نفسك من زلــة — يرى عزيــز القــوم فيهــا ذليــل

حكي عن أبي محمد المُهَلّبي (110) أنه كان قبل اتصاله بالسلطان في ضنك عيش، فبينما هو في بعض أسفاره مع رفيق له من أهل الحرث إلا أنه من أهل الأدب، إذ أنشده المهلبي :

ألا موت يبــاع فأشتريــه — فهــذا العــيش مالا خيــر فيــه
ألا رحــم المهيمــن روح عبــد — تصدق بالوفــاة علــى أخيــه

فرثى له رفيقه وأحضر له درهما سد به رمقه، وحفظ البيتين وتفارقا، ثم ترقى المهلبي إلى الوزارة، وأختى الدهر على ذلك الرجل، فبعث برقعة إلى حضرته فيها بيتين :

---

(108) انظر البيتين عند الراغب الاصبهاني، **محاضرات الأدباء**، 2 : 661، والابشيهي، 1 : 174.
(109) انظر المصدر السابق، 1 : 175.
والرواية المشهورة (لخير) عوض (لخبز).
(110) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 2 : 124 ـــ 127 والمصادر بالهامس 178 من الصفحة 124 من نفس المصدر.

ألا قل للوزيـــــر فدتـــــه نفسي مقالـــــة مُذْكِـــــرٍ ما قد نسِيـــــهِ
أتذكـــــر إذ تقـــــول لضنك عيش « ألا موت يبـــاع فأشتريـــه » [111]

فلما قرأها أمر له بسبعمائة درهم، ووقع تحت رقعته : « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ــ الآية » [112]. ثم قلده عملا يرتزق منه.

ولعتبة بن كثير :

النـــاس أتبـــاع من دامت له نعـــم والويـــل للمـــرء إن زلت له القـــدم
المـــال زيـــن ومـــن قلت دراهمـــه حي كمـــن مات إلا أنـــه صنـــم
لمـــا رأيت أخلائـــي وخالصتـــي الكـل مستتر عني ومحـــتشم [113]
أبـدوا جفـاء واعـراضا فقـلت لهـم : أذنـبت ذنـبا ؟ فقالـوا : ذنـبك العـدم

قيل ماتت للهذلي أم ولد فأمر المنصور الربيع [114] أن يعزيه ويقول له : إن أمير المؤمنين موجه إليك جارية نفيسة لها أدب وظرف يسليك بها، وأمر لك معها بفرس وكسوة وصلة، فلم يزل الهذلي يتوقع وعد أمير المؤمنين، فطاف به حتى وصل بيت عاتكة [115]، فقال : أمير المؤمنين، هذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الأحوص [116] :

يا بيت عاتكـــة الـــذي أتعـــزل حذر العـــدا وبـــه الفـــؤاد موكـــل
إنـــي لأمنـــحك الصدود وإننـــي قسمـــا إلـــيك مع العـــدود لأميـــل

فكره المنصور [ذكر] بيت عاتكة الذي يقول فيه الأحوص : يا بيت إلى آخره.... من غير أن يسأله عنه، فلما رجع المنصور أمر القصيدة على قلبه فإذا فيها :

وأراك تفعـــل ما تقـــول وبعضهـــم مذقُ اللسان يقول ما لا يفعل [117]

(111) انظر القصة عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 2 : 124 ــ 125، وم. بن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، 1 : 353. 537، وابن حجة الحموي **ثمرات الأوراق** 2 : 52 ــ 53،والأبشيهي، 2 : 67.
(112) الآية 261 من سورة البقرة.
(113) انظر البشيهي، 2 : 50 ــ 51.
(114) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 2 : 294 ــ 299 والمصادر بالهامش 235 من الصفحة 294.
(115) انظر ترجمتها عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 2 : 297.
(116) انظر ترجمته عند. خ الذين الزركلي، **الأعلام**، 4 : 257، والمصادر بالهامش 1.

فذكر المنصور الوعد الذي كان وعد به الهذلي، فأنجزه له، واعتذر إليه.
ولنرجع إلى ما كنا بصدده من ذكر حيائه ـــ أيده الله تعالى بمنه ـــ فهو أشد الناس حياء، يمنعه الحياء من أن يمنع أحدا شيئا إذا سأله إياه، أو عرضت له حاجة، فمن شدة حيائه اتخاذه الوسائط في حوائج الناس حتى إن الواحد من الناس لا يسأله حاجة نفسه بنفسه وإنما يوسط له فيها غيره، ويقول المرة بعد المرة : لا أريد في سؤال الحوائج مني إلا الوسائط، لأن الانسان إذا سألني حاجته فتارة لا يصلح قضاؤها بي ويمنعني الحياء من عدم قضائها فأقضيها وفي قلبي شيء حياء أن نرد صاحبها بدونها، ولكن إذا سألتموني شيئا فليكن بواسطة، لأن الواسطة إن قضيت له ينقلب مسرورا وإلا لم ينقلب خائبا منكسر الخاطر، ويتوقع صاحبها قضاءها على يد غير واسطته الأولى، أو كلاما يقرب من هذا.
وما أولاه بقول أبي السمط (118) :

له حاجب في كل أمـــر يشينـــه — وليس له عن طالب العـرف حاجب

كذا حدثني بعض من أثق به من خدمته ـــ أيده الله تعالى ـــ ولو تتبعت ما له في ذلك من المآثر لطال الكتاب جدا، وذكر هذه المسألة بالخصوص ينبيك عن شيمه العلية، ومآثره المرضية، من غير مزيد تفصيل.

وفي هذا كفاية لمن تأمله وتدبره، وتفهمه وتفكره، والله الموفق للصواب، والفاتح لمنغلق الأبواب، وهو حسبي ونعم الوكيل.

---

(117) انظر القصة عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 2 : 297، وابن حجة الحموي، **خزانة الأدب**، ص 175 ـــ 176، والحصري، **زهر الأدب**، 1 : 200 ـــ 201، والابشيهي، 1 : 198.

(118) يقصد مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة يزيد « 105 هـ ـــ 182 هـ / 723 م ـــ 798 م »، شاعر، عالي الطبقة. كان جده أبو حفصة مولى لمروان بن الحكم، أعتقه يوم الدار، ونشأ مروان في العصر الأموي باليمامة حيث منازل أهله وأدرك زمنا من العهد العباسي، فقدم بغداد ومدح المهدي والرشيد ومعن بن زائدة، وجمع من الجوائز والهبات ثروة واسعة، وكان رسم بني العباس أن يعطوه بكل بيت يمدحهم به ألف درهم، وكان يتقرب إلى الرشيد بهجاء العلوية، توفي ببغداد.
ويوجد قبل البيت المذكور في **المنتقى** البيت الآتي :

فتـــى لا يـــالي المدلجون بنـــوره — إلى بابـــه ألا أتضيء الكـــواكب

انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 5 : 189 ـــ 193، والمصادر بالهامش 716 من الصفحة 189 من نفس المصدر.

ملاحظـــة :

لا يوجد البيت المذكور في **المنتقى** ضمن شعره الذي جمعه قحطان التميمي.

الباب الحادي عشر

* في بره بوالدته
واقتداؤه فيه بمآثر جده وسنته

أما البر، فالكلام فيه من وجوه في فضله وحكمه وما ورد فيه كتابا وسنة. أما فضله، فقد ورد أن بر الوالدين يزيد في العمر، وورد أيضا أن النظر إلى الوالدين عبادة، وعن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ أن رسول ﷺ ــ قال : « ما من ولد بار ينظر إلى والديه نظر رحمة إلا كتب الله له بكل نظرة حجة مبرورة، قالوا : وأن نظر كل يوم مائة نظرة، قال : نعم الله أكبر وأطيب [1] »، وقال : « من قبل بين عيني أمه كان له سترا من النار [2] ».

وأما حكمه، فالوجوب على الأعيان لقوله تعالى : ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا اياه وبالوالدين إحسانا﴾ الآية [3]، ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وبالوالدين إحسانا [4]﴾، والآي في الباب كثيرة من هذا المعنى. وأما السنة فأحاديث كثيرة في الباب أيضا، فمنها ما روي عن عبد الله بن مسعود ــ رضي الله عنه ــ قال : سألت النبي ــ ﷺ ــ : أي العمل أحب إلى الله عز وجل ؟ قال : الصلاة على وقتها، قال : قلت، ثم أي ؟ قال : بر الوالدين، قلت : ثم أي ؟

° ورد في « ج » العنوان هكذا :
الباب الحادي عشر في بره بوالدته.

(1) أخرجه الحاكم في **المستدرك**، وابن النجار في **تاريخ بغداد**، وكلاهما عن ابن عباس.
انظر ج. السيوطي، **الجامع الكبير** 3 : 546.

(2) أخرجه أبو عدي في **الكامل**، والبيهقي في **شعب الايمان**، وابن عساكر في **تاريخ دمشق**، وكلهم عن ابن عباس.
وقال عنه السيوطي : قال أبو عدي : هذا منكر اسنادا ومتنا.
أنظر ج. السيوطي، **الجامع الكبير**، 3 : 165.

(3) الآية 23 من سورة الاسراء.

(4) الآية 36 من سورة النساء.

قال : الجهاد في سبيل الله (5) ، متفق عليه. عن أبي هريرة — رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ — جاءه رجل فقال : يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ فقال : أمك، قال : ثم من، قال : أمك، قال : ثم من ؟ قال : أبوك (6) » ؛ متفق عليه، وورد من طرق متعددة بألفاظ كذلك.

قال العلماء : فإن لم تكن الأم فالخالة تتنزل منزلتها في البرور لأن لها من البرور ما للأم، وبرور الأم مقدم على برور الأب، ثم الخالة، ثم من البرور : برور الانسان بأصدقاء الوالدين، وقد أجمع العلماء على أن بر الوالدين واجب ولو كانا كافرين، عن ابن المُنْكَدر (7)، عن أبيه، قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله، إن أبي أخذ مالي، فقال له النبي ﷺ فائتني بأبيك، فنزل جبريل — عليه السلام — على النبي — ﷺ —، فقال له : إن الله — عز وجل — يقرئك السلام ويقول لك : إذا جاء الشيخ فسله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته أذناه، فلما جاء الشيخ، قال له النبي — ﷺ — : ما بال ابنك يشكوك ؟ أتريد أن تأخذ ماله ؟ فقال له : سله يا رسول الله، هل أنفقه إلا على احدى عماته أو خالاته أو على نفسي، فقال له النبي — ﷺ إيه دعنا من هذا، أخبرني عن شيء قلته في نفسك ما سمعتك أذناك، فقال الشيخ : والله يا رسول الله ما يزال الله يزيد فيك يقينا، لقد قلت في نفسي شيئا ما سمعته أذناي، فقال : قل وأنا أسمع، فقال :

غَذَوْتُك مولودا وصنتك يافعا ... تُعَلّ بما أجني عليك وتُنْهَلُ
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت ... لسقمك إلا ساهرا أتململ
كأني أنا المطروق دونك بالذي ... طُرِقْتَ به دوني فعيني تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وإنها ... لتعلم أن الموت وقت مُؤَجَّل
فلما بلغت السن والغاية التي ... إليها مدى ما كنت فيك أؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة ... كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذا لم ترع حق مودتي ... فعلت كما الجار المجاور يفعل (8)

قال : فحينئذ أخذ النبي — ﷺ — بتلابيب ابنه وقال له : أنت ومالك لأبيك ! وفي

---

(5) أخرجه البخاري في **الصحيح**، 1 : 134، ومسلم في **الصحيح**، 1 : 63، وكلاهما عن عبد الله بن مسعود.
(6) أخرجه البخاري في **الصحيح**، 7 : 69، ومسلم في **الصحيح**، 8 : 2، وكلاهما عن أبي هريرة.
(7) انظر ترجمته عند خ الدين الزركلي، **الاعلام**، 7 : 333 والمصادر بالهامش 2.
(8) الأبيات لامية بن أبي الصلت، انظر **ديوانه**، ص. 431.

بعضها : اذهب ! أنت ومالك لأبيك (9).

[ولبعضهم في سيد المرسلين — ﷺ — :

عندى وفي مذهبي يا جيرة العَلَمِ ... بأن حبكمُ عمدا أباح دمي
وما أتيت إلى الوادي لأنظركم ... وإنما القصد منكم ساكن الخيم
هل عندكم مثله في الحي يشبهه ... هل عندكم مثله أيضا بذى سلم
قالوا : صدقت، سليم الحي شرفنا ... هذا الذي قد سما في حسن وسم (كذا)
ناديت من فرحي عند اللقاطربا ... قد زال عني الشقا يا سيد الأمم
روحي ومالي وجسمي كلهم هبة ... خذهم إليك وفرقهم على الخدم
يا سعد صف حسن من لا شيء بشبهه ... الشمس أضحت له من جملة الخدم
إني إذا ذكرت أنوار طلعته ... يهزني الشوق من قرني (10) إلى قدمي
صلى عليه اله العرش ما طلعت ... شمس وما سرت الركبان بالعَلَم (11)

ولبعضهم :

هب النسيم على أحبابه تاهوا (12) ... لما تجلى وقد أبدى محياه
ناداهم قد رفعت الحجب دونكم ... لرؤيتي فتملوا عند رؤياه
والقوم قد طربوا من طيب ما سمعوا ... في سر أسرارهم نادى أنا الله
خروا له سجدا من عُظْم هيبته ... فقد صفا عيشهم ما كان أهناه
فيالها ساعة في حضرة حضروا ... والحق يسقيهمُ من خمر لقياه
كيف الوصال وزادي لا يبلغني ... ولنحو من شاهد المحبوب مولاه
أنا المحب الذي أهوى محبته ... وليس يعجبني في الكون إلّاه
فلا تلمني إذا ناديت من طرب ... يا ليلة الوصل عودي عند مغناه
لقد فني جسدي والشوق يقلقني ... وطيب عيش مضى ما كان أهناه

---

(9) رواه الطبراني. وقد قال عنه : لا يروى هذا الحديث بهذا الأسناد والشعر إلا عن محمد بن المنكدر، تفرد به عنه محمد بن خلصة.
وذكر ابن مرزوق في المسند، ص 127، أن القاضي أبا بكر بن العربي ذكره بسنده في الأحكام والقانون وشرح الترمذي.

(10) في « ج » : رأسي.

(11) في « ج » : في الظلم.

(12) في « ز » : تاه.

لمـا بدا سحـرا أنـوار حجرتـه على البقيـع الـذي قد فاح ريـاه
من لي بذاك الحمى النجدي ألثمه وينطفـي ما بقلبـي عنـد مثـواه
تالله لا أبتغـي مولـى أشاهـده سوى الحبيب الـذي عاينت معنـاه
هو النبي الـذي كل الـورى عشقت جمالـه جل من بالـحسن جلّاه
في ليلـة جاء جبريـل الأميـن له أسرى به لمقـام قد تمنـاه
موسى الكليـم فلـم يحـظ برؤيتـه والمصطفـى قد رآه منـه أدنـاه
ناداه يا سيـد الرسل الكـرام لقـد قال الأميـن له والنـور يغشاه
هذا مقامـي فلـم أقـدر لهيبتـه من هاهنـا اعتـدى يا من له الجـاه
سار الرسول لنحـو العـرش يقصده ناداه ادن حبيبـي ثم أدنـاه
منـه إليـه وقـد طاب المقـام له ثم انثنـى راجعـا والحـق يرعـاه
لقد عجزت وكـل الخلق قد عجزت عن مدح مولـى من الأنـوار سوَّاه
صلـى عليـه إلهـي دائمـا أبـدا هو النبـي ما زلت أهـواه

ولبعضهم :

يا غاديـا نحـو الحبـيب عساكـا تقـرا السلام إذا وصلت هناكـا
وعساك تجري ذكـر مثلـي عنـده فهـو الشقـاء لدائنـا ولداكـا
وقـل : السلام عليك يا خير الورى من شيـق طول المـدى يهواكـا
أنت الـذي لولاك ما سرت الصبـا كلا ولا عرف الهـوى لولاكـا
لولاك ما غفـرت لآدم زلـة لمـا التجـأ في وقتـه لحماكـا
لولاك ما رفـعت ليـونس رتبـة لمـا نجـا من حوتـه بهداكـا
لولاك ما كان ابـن عمـران ارتقـى طور الخطـاب ونـال من نجواكـا
ولقـد سريت إلـى المهيمـن ليلـة والله ما أخـذ السرى مسراكـا
بالـجسم كان سراك لا عن رؤيـة وتحكـمت في ملكـه عيناكـا
وطلبت تخلـع نعل رجلـيك هيبـة فأتـى النـدا لا تخلعـن نعلاكـا
ورقيت تختـرق السمـوات العلـى متـواصلا حتـى بلـغت مناكـا
ناداك جبريـل الأميـن مخاطبـا لك بالكرامـة عن رضى مولاكـا
إن كان آدم صفـوة من خلقـه فقـد اصطفـاك بحبـه وهداكـا
أو كان نوح قد نجـا بسفينـة فمـن العـدا في الغـار قد نجاكـا
أو كان ابراهيـم أعطـي خلـة فقـد اجتبـاك اللـه اذ ناداكـا
أو كان اسماعيـل جاء له الفـدا من ربـه، فكمـا فداه فداكـا

أو كان موسى للالــــه مناجيـــــا | فبليلـــــة المعـــــراج قد ناجاكـــــا
أو كان عيسى نال قبـــلك رتبـــة | فمـــراتب المجمـــوع قد أعطاكـــــا
قد نلت بالمعـــــراج كل فضيلـــــة | ورأيت جبـــــار السمـــــا ورآكـــــا
فعلـيك يا خيـــر الانـــام تحيـــــة | تأتـــيك بالاقبــــال من مولاكـــــا [13]

ولابن سودون :

تطلـــعت البـــدور من الـــغصون | فأسفـــر ذاك عن وجـــدي الـــمصون
ومـــن سود اللواحــــظ خلت بيضا | تصول علـــى الفـــؤاد من الجفـــون
وزمت تستـــرا في جنـــح ليـــل | فعاجلنـــي الصبـــاح من الجبيـــن
عيونـــي قد رمت بالنـــار قلبـــي | وقلبـــي قد رمـــى بالماعيونـــي
فذا من تلك جن وتـــــلك من ذا | وقـــد دار الـــتسلسل في جفونـــي
ولمـــا أن وشي خدان دمعـــي | كتـــمت الوجـــد في قلبـــي الأميـــن
فوجـــدي في فؤادي في السويـــدا | كميـــن في كميـــن في كميـــن
أيـــا من أطلقونـــي في هواهـــم | وتيهـــا عن سواهـــم قيدونـــي
ويـــا من أوجدونـــي بعض وجـــد | به كل التصبـــر أعـــدمونـــي
ويـــا من حللـــوا تحريـــم هجـــرى | ومـــن حل التـــواصل أحرمونـــي
عدونـــي أن نأيتـــم بالتدانـــي | وفـــي تسويـــف وعدكـــم دعونـــي
فكـــم قد جد وجـــدي يا كرامـــا | بنجـــد هل لكـــم أن تنجدونـــي
جزمته برفـــــع كسر حال نصب | يري فقـــري لكـــم كي تسعدونـــي
بكـــم قمـــــر له قد حن جذع | فكيـــف إليـــه لا يقـــوى حنينـــي
كريـــــم لا يضام له نزيـــــل | شديـــد البـــاس ذو عطـــف وليـــن
به عللـــــقت أوصالـــي وأرجـــو | يقينـــي في مآلـــي أن يقينـــي
يحركنـــي إليـــه سكـــون قلبـــي | فلا تعـــجب لتحـــريك السكـــون
فكـم أبدى الهوى لذوى التصابـــي | إذا هم ما رسوه من فنــــــون
فلـم يبـق التداني لي رسما (كـــذا) | سوى رمـــق بتخيـــل الظنـــون
لقـد أفنـى الهـوى جلـدي وأبقـى | جوى كبـدي وأصدقنـي شجونـي
ومالـــي مخـــلص إلا ملاذي | بجـاه المصطفـى الجـاه المتيـن
رسول الله خيـــر الخلـــق من قد | حبـــاه الله بالفتـــح المبيـــن

(13) انظر القصيدة عند ابن مليح السراج، أنس الساري، 24 — 25.

صلاة الله ما لمعت بروق   عليه مع الصحابة كل حين
لكم وهب الهوى رقي وأنتم   به أولى البرايا فاقبلوني
وقد أصبحت من بعض الرعايا   لديكم يا موالي فارحموني [14]

ولبعضهم :

يا مليح الأجرعين   فمتى تبدو لعين
لاح في شهر ربيع   نور خير الثقلين
رأت الام حقيقا   حملها رؤية عين
قائلا قال : حملت   خير هذا الثقلين
ورأت أعلام نور   نشرت بالحرمين
بلغت طولا وعرضا   شامها والمشرقين
وضعته مثل بدر   ينجلي في حلتين
ضاحك السن مشيرا   للسما بالناظرين
خير خلق الله جمعا   غربها والمشرقين
فاز من صلى عليه   بالرضى والجنتين
[مدحه حق علينا   واجب من دون مين
عليه فاد أب قدر وسع (كذا)   بمرور الملوين
واذخره لمعاد   تنج من هول وشين
وافتتان عند موت   وسؤال الملكين [15]]

يروى أن آمنة أم النبي — ﷺ — رأت في منامه قائلا يقول لها : أنك حملت بخير البرية وسيد العالمين، فإذا ولد فسميه محمدا، فإن اسمه في التوراة حامد، وفي الانجيل أحمد، وعلقي عليه هذه التميمة. قالت : فانتبهت وعند رأسي صحيفة من ذهب مكتوب فيها :

أعيذه بالواحد   من شر كل حاسد
وكل خلق زائد   من قائم أو قاعد
على الفساد جاهد   من نافث أو عاقد

---

(14) انظر الابيات عند علي بن سودون، **نزهة النفوس**، ورقة 5 — 6.
(15) ما بين المعقوفين سقط من « ز ».

وكـــــــــــــل جن مارد يأخـــــــــذ بالمـــــــــراصد
فـــي طـــرق المـــوارد

انهاهم عنه بالله الاعلى، وأحوطه عنهم باليد العليا، والكف التي لا ترى، يد الله فوق أيديهم، وحجاب الله دون عاديهم، لا يطورونه ولا يضرونه في مقعد ولا قيام، طول الليالي والأيام.

وهذه الحفيظة قد ظهرت لها كرامات، ووجد الناس لها بركات.

ولبعضهم ــ وهو على بن مخلوف ــ (16) :

يا كعبة الحسن لولا حسن معنــاك — لما سرى في الدجى ركب لمغنـاك
نعم ولولا سواد الخيال منك لمــا — تسارع النـوق في البيـدا للقيـاك
ترفقـي بوفـود قد أتـوك وهــم — شعثا وغبرا يروموا يوم عباك (كـذا)
ارخي نقاب الحيا لا تستريه لقــد — هام البريـة من تكحيـل عينـاك
يا ربة الستـر ميسي في السواد فلا — تخشي نفـور البرايـا من محيـاك
تمايلي في الحلى، في الركب من طرب — قد هام فيك ولـيس الـقصد إلاك
تيهي دلالا علـى العشاق قاطبـة — وهتكـي كل حجـاج ونساك
إن كان يرضيك قتل الصب فيك جرى — يا حبـذا كل من في الكـون يرضاك
يا جنـة الخلـد لا زلت مزخرفـة — وكـل من في بقـاع الأض يهـواك
بحق حجـرك والميـزاب يا أملـي — وخـالك الأسود الزنجـي وركنـاك
وبالمقام الـذي صلـى الخليـل به — وزمـزم وحطيـم بغيـة الحـاك
وطـيب عيش قطعنـا معك في حرم — وسعينـا في صفـاك ثم مرواك
إني وان بعدت عنـي الديـار وإن — شط المـزار أمَنِّـي العيـن رؤيـاك
أواه لوسرت معهـم لو علـى بصرى — فكيـف لي والـقضا جار بأمساك
متى على بصرى أسعى إلـى بلـد — ثوى بهـا خيـر أبنـاء وأمـلاك
يا سيدا قد رقي السبع الطباق إلى — أن ارتقـي فوق أمـلاك وأفـلاك
وخـاطب الله جهـرا ثم عاد إلـى — فراشه والديـاجـي ذات أحـلاك
يا سيـدي يا رسول الله جئـتك من — أقصى البـلاد بآلامـي وأضنـاك
اشفـع لمـن قد أتى والـذنب أثقلـه — عسى يقولـوا غدا للنـفس بشراك
يا نفس لا تقنطـي فاللـه ذو كرم — ثقي به وارفعـي في الليـل يمنـاك

(16) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، درة، 3 : 249 رقم 1281.

(واستشفعي برسول الله ان له جاها عظيما تقر به عيناك)[17]
على بن مخلوق لا تخشى الذنوب فقد جانبت كل أثيم القلب أفاك
أنزه الله عن أهل وعن ولد وعن شبيه وعن ند واشراك
واستجير بخير الرسل كلهم فهو البشير النذير الشاهد الزاكي [18]]

ولنرجع إلى ما كنا بصدده، فمما حدثت به عنه — أيده الله تعالى — أنه لم ير الراءون أبر منه بأمه، حتى إنه مع عظيم ملكه وضخامة قدره أطوع الناس إليها، ويأتيها إلى منزلها في كل يوم ويقبل يديها ويفاوضها في أموره ولا ينصرف عنها لموضع إلا برضاها تماما. واتفق على هذا كله من خدمها، ودخل منزلها من النساء، وما كلمته قط في مسألة الا قضاها، أو في مغضوب عليه الا عفا عنه ولو استحق من العقوبة ما لم يوجب العفو عنه إلا أن يكون في حق الله تعالى. وقد صح عندي في جماعة وجبت عليهم العقوبة فلاذوا بجنابها الأعظم. فاستعفته منهم، فعفا عنهم، عملا بقوله — ﷺ — :

« الجنة تحت أقدام الأمهات [19] ».

وبالجملة فبركة دعائها معه في حضره وخلواته وحركاته وسكناته، وبره إياها أعظم من أن أحصيه أو أدخله تحت حصر، ولو كانت الأشجار أقلامي ومدادي البحر، هذا شأنه مع والدته — أيده الله تعالى —.

أما شأنه مع والده — رضي الله عنه — فيفيدك شأنه مع والدته ، هذا وقد كان في حياة والده — رضي الله عنه — صغيرا، وبره بوالديه شهير، فلا نطيل بأكثر مما ذكرناه — نفعه الله بذلك —.

(17) ما بين القوسين سقط من « ج ».
وقد ورد عجز البيت في « ز » هكذا :
جاها عظيما تقر لي فيه عيناك
وهو مختل وزنا، والتصويب من « م ».
(18) ما بن المعقوفين ورد متقدما في « ج ».
(19) أخرجه الخطيب في **الجامع**، والقضاعي في **مسند الشهاب**، عن أنس، انظر ج. السيوطي، **الجامع الكبير**، 1 : 41.

الباب الثاني عشر

* في عظيم فوائده
وهي مراعاته لاهل ود والده

---

* ورد العنوان في « ج » هكذا :
الباب الثاني عشر : في بره بوالده وأهل مودته، واقتداؤه في ذلك بسيرة جده وسنته.

أما فضيلة هذه الخصلة العظيمة، ففي **الصحيح** عن عبد الله بن عمر ــ رضي الله عنهما ــ أن النبي ــ ﷺ ــ قال : أبر البر أن يصل الرجل أهل ودأبيه [1] »، وعن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي [2] ــ رضي الله عنه ــ قال : بينا نحن جلوس عند رسول الله ﷺ اذ جاءه رجل من بني سلمة فقال : يا رسول الله، هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ قال : نعم، الصلاة عليهما، الاستغفار لهما، وانفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما [3] ».

ولا شك أن مولانا ــ أيده الله ــ أبر الناس بأهل ودأبيه، فقد كان لوالده خدمة وحشم، فأولادهم الآن هم أهل دولته وساسته، وأهل خاصته في رئاسته، وما ذلك إلا رعاية منه لما ذكرت، بل وفي خدمه الآن كثير من خدمة والده ــ رضي الله عنه ــ أجرى كلا على عادته الأولى وزيادة طلبا لمبرته بذلك، ومن بره به تعاهده قبره في كل جمعة كما قدمنا ذلك قبل ولما روي عنه ــ ﷺ ــ : « أنه جاء إليه رجل فقال : يا رسول الله، هل بقي علي من بر والدي بعد موتهما شيء ؟ قال : نعم، الصلاة لهما، الاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما،

---

(1) أخرجه مسلم في **الصحيح**، 8 : 6، عن ابن عمر، والترميذي في **السنن**، 3 : 177.

(2) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 6 : 134، والمصادر بالهامش 2.

(3) أخرجه أبو داود في **السنن**، 4 : 336، وأحمد بن حنبل في **مسنده**، 1 : 498، عن أبي أسيد الساعدي.

وقد قال عنه الشيخ محمد ناصر الدين الالباني في كتابه **نقد نصوص حديثية**، ص 19، : « قلت : اسناده ضعيف، فيه علي بن عبيد الانصاري، قال الذهبي : لا يعرف ».

وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما، ومن حقهما أت تزور قبرهما [4] ». وقال ـــ ﷺ ـــ : من زار قبر أبويه كل جمعة غفر له وكتب له براءة [5] »، ومن حقهما قضاء دينهما إإذا كان عليهما دين.

ومن بره به قيامه بضريح المكرم واجراؤه عليه الصدقات والأموال الطائلة للقراء عليه ليلا ونهارا، لا يمسكون عن ذلك، ومن لجأ إليه من خائف أو غيره أمن من خوفه، ما لم يكن في حقه الله عز وجل، ومن قيامه بضريحه : اقتراحه على كاتبه الأبيات التي تقدم ذكرها، التي تنقش على قبريته. ومن بره له عدم مضايقة خدمه ومناقشتهم في الحساب، وما يكون لي أن أحصي مآثره الصادرة منه في هذا القبيل التي لا يمكن حصرها ولا استقصاؤها، فحدث عن البحر ولا حرج، ولو تتبعث ما اتصف به من هذا المعنى لطال الكتاب جدا، والقصد ذكر المآثر جملة لا تفصيلا، والله الموفق.

ومما قيل في بر الوالدين لمؤلفه :

اعلـــم بـــأن رضـــاك للآباء	معلـوة جلـت عــن الاحصــاء
مقرونـــة جــاءت بطاعـــة ربنــا	إن المفـــاز مبـــرة الآبـــــاء
وإن انقضــوا وتغيبــت أجسامهـــم	في تربـة الأجـداث فـي الظلمــاء
فلأهــل ودهـم كلـه فـــي برهـــم	قد صـح ذا فـي مسنـد الآبــاء [6]

وبالجملة فبره لأهل وُدِّ أبيه شهير نفعه الله بذلك بمحمد وآله..

(4) أخرجه أبو داود في السنن، 4 : 336، لكنه توقف عند عبارة : واكرام صديقهما.
(5) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط باللفظ الآتي :
« من زار قبر أبويه أو واحد منهما في كل جمعة مرة غفر الله له وكتب برا.
انظر الجلال السيوطي، الجامع الكبير، 3 : 96.
(6) في « ج » الانباء.

الباب الثالث عشر

* في ملاحظته لأهل العلم وذويه وايثاره لمن اتصف به من أوليه

أما العلم في الجملة، ففضله عظيم، ومنصبه جسيم، [قال تعالى : ﴿شهد الله أنه لا اله الا هو، والملائكة، وأولو العلم﴾ الآية [1]، ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون [2]﴾ ﴿يرفع الله الذين آمنو منكم والذين أوتوا العلم درجات [3]﴾، ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء [4]﴾.

ومن هذا المعنى في كتاب الله كثير.

وجاء في فضله أحاديث كثيرة، فمنها ماروي عن معاوية ــ رضي الله عنه ــ قال : « قال رسول الله ــ ﷺ ــ : « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين [5] » ؛ متفق عليه، وروي عن سهل بن سعد الساعدي أن النبي ــ ﷺ ــ قال لعلي : « لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حُمْرِ النَّعَم [6]، وعنه ــ ﷺ ــ : « بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا، فليتبوأ مقعده من النار [7] »، وعنه ــ ﷺ ــ: « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة »، وعنه ــ ﷺ ــ : « ان الملائكة لتضع

---

(1) الآية 18 من سورة آل عمران.
(2) الآية 9 من سورة الزمر.
(3) الآية 11 من سورة المجادلة.
(4) الآية 28 من سورة فاطر.
(5) اخرجه مسلم في **الصحيح**، 3 : 95، والبخاري في **الصحيح**، 1 : 26، وكلاهما عن معاوية.
(6) اخرجه البخاري في **الصحيح**، 4 : 20، ومسلم في **الصحيح**، 7 : 122، وأبو داود في **السنن**، 3 : 322 باختلاف يسير في اللفظ.
(7) اخرجه ابن حبان في **صحيحه**، انظر ج. السيوطي، **الجامع الكبير**، 2 : 122.

أجنحتها لطالب العلم رغبة له فيما يطلب [8] »، وعنه ــ ﷺ ــ : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له [9] » ؛ رواه مسلم.

وأحاديث هذا الباب كثيرة جدا، لا يسعها مؤلف على انفرادها فكيف بهذه العجالة على صغر جرمها.

وللناس في فضله والحض عليه مقطعات وقطع، فمن ذلك ما للاستاذ ابن جابر حيث عقد حديثا، وهو : « أن تكونوا صغار قوم فستكونوا كبار آخرين [10] »، فقال :

أيا طالبي العلم لا تسأموا ... من العلم حتى تحوزوا الفخارا
فإنكم إن تكونوا صغارا ... لعلكم ستكونوا كبارا

ولبعضهم :

كن عالما وارض بصف النعال ... ولا تكن صدرا بغير الكمال
فان تصدرت بلا آلة ... صيرت ذاك (الصدر) صف النعال [11]

ولبعضهم :

تعلم إذا ما كنت لست بعالم ... فما العلم إلا عند أهل التعلم
تعلم فإن العلم أزين للفتى ... من الحلية الحسناء عند التكلم [12]

ولبعضهم :

كن ابن من شئت واكتسب ادبا ... يغنيك محموده عن النسب

---

(8) أخرجه أبو داود في السنن، 3 : 317، باللفظ الآتي : « من سلك طريقا يطلب فيه علما، سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم ــ الحديث ».
(9) اخرجه مسلم في **الصحيح**، 5 : 73 عن أبي هريرة.
(10) اخرجه أبو داود في **السنن** باللفظ الآتي : « ... تعلموا فإن تكونوا صغار قوم فعسى أن تكونوا كبار آخرين ».
(11) انظر الابشيهي، **المستطرف**، 1 : 22.
(12) نسبهما الأبشيهي في **المستطرف**، 1 : 21، لصالح اللخمي.

إن الفتـــى من يقـــول ها أنذا ... ليس الفتى من يقول كان أبـــي [13]

وللحريري :

لعمـــرك ما الانسان إلا ابـــن يومـــه ... على ما تجلّى يومه لا ابـــن أمسه
ومـا الفخـر بالعظـم الرميـــم وإنمـــا ... فخار الذي ينغي الفخار بنفسه [14]

ولبعضهم :

العلـــم نـــور وهـــدى ... فكـــن بجـــد طالبـــه
واحـــرص عليـــه واعتمـــد ... فيـــه الأمـــور الواجبـــه
مـــن لازم العلـــم عـــلا ... علـــى الأنـــام قاطبـــه

حكي عن القاضي أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسين العثماني قال : « رأيت بمنامي كأني جالس للاشغال وكتبي حولي على عادتي، فإذا خطاب فوق رأسي وقال لي : اكتب، فأخذت القلم وورقة وقلت : ما الذي اكتب ؟ فقال : اكتب :

تعلـم ما استطـعت لقصد وجهـي ... فإن العلـم من سفـــن النجـــاة
ولـيس العلـم في الدنيـا بفخـر ... إذا ما حل في غيـــر الثقَـــات
ومـــن طلب العلـوم لغيـر وجهـي ... بعيـــد أن تراه من الهـــداة [15]

ولبعضهم :

العلـــم زيـــن وتشريـــف لصاحبـــه ... فاطلـب، هديت، فنون العلـم والأدبا
العلـــم كنـــز وذخـــر لا نفـــاد له ... نعـم القريـــن إذا ما عاقـــلا صحبـــا
وجامـــع العلـــم مغبـــوط به ابـــدا ... فمـــا يحـــاذر من فَوْتٍ ولا سلبـــا

---

(13) انظر البيتين عند أ. الشريشي، شرح مقامات الحريري، 3 : 34. وينسب البيتان لعلي بن أبي طالب، انظر ديوانه، 19، والابشيهي، 1 : 34.
(14) البيتان في المقامة 25، المعروفة بالكرجية .
(15) انظر فهرس ابن غازي، ص 63، وم. القادري، نشر، 1 : 93.

يا جامع العلم نِعم الذخر تجمعه لا تعدلن به دُرّاً ولا ذهبا

وللشافعي (16) ــ رضي الله عنه ــ :

نعم لن تنال العلم إلا بستة، سأنبيك عن أسمائها ببيان :
ذكاء، وحرص، واجتهاد، وبلغة، وهمة أستاذ، وطول زمان (17)

ومما أنشدنيه شيخنا أبو راشد ما للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني (18) :

ولم أقض حق العلم إن كنت كلما بدا طمع صيرته لي سلّما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي لأخدم من لاقيت ؛ لكن لأُخدما
أأشقى به غرسا وأجنيه ذِلّةً إذن فاتباع الجهل قد كان أسلما
فان قلت : جد العلم كاب فإنما كبا حين لم يحرس حماه وأُسْلِمَا
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن اهانوه فهان، ودنسوا محياه بالأطماع حتى تجهما (19)

ولبعضهم :

إني رأيت الناس في عصرنا لا يطلبون العلم للعلم
الا مهابة لاصحابه وعدة للظلم والفهم

ولبعضهم :

أيها العالم إياك الزلل واحذر الهفوة فالخطب جَلَلْ

(16) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 4 : 163 ــ 169، والمصادر بالهامش 558 من الصفحة 163 من نفس المصدر.
(17) انظر **ديوان الشافعي**، ص 81.
(18) انظر ترجمته عند أ، بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 3 : 278 ــ 281، والمصادر بالهامش 426 من الصفحة 278 من نفس المصدر.
(19) انظر الابيات عند الراغب الاصبهاني، **محاضرات الادباء**، 1 : 24، والابشيهي، 1 : 20، وابن الأزرق، **البدائع**، 2 : 795.

هفـــوة العالـــــم مستعظمـــــة | إن هفا اصبــح في الخلــق مثــل
وعلــــى زلتــــــه عمدتهــــــم | فيهـــا يحتـــج من اخطــــا وزل
لا تقــل يستــر علمـــي زلتــــي | بل بهـــا يحصل في العلــم الخلــل
إن تكــــن عنـــدك مستحقـــرة | فهـــي عنـــد الله والنـــاس جبـــل
ليس من يتبعـــن العالــــم في | كل مادق من الأمـــــر وجـــــل
مثـــل من يدفـــع عن جهلـــه | ان اتـــى فاحشة قيـــل جهـــل
انظـــر الأنجـــم مهمـــا سقــطت | من رآهـــا وهـــي تهـــوى لم يـــل
فإذا الشمس بدت كاسفـــــــة | وجـــل الخلـــق لهـــا كل الوجـــل
وتـــــرامت نحوهـــا ابصارهــــم | في انزعـــاج واضطـــراب ووجـــل
وسرى النــقص لهـــم من نقصهـــا | فغــدت مظلمـــة منهـــا السبـــل
وكـــــذا العالـــــم في زلتـــــه | يفتـــــن العالـــــم طرا أو يصل
يقتـــدى منـــه بمـــا فيـــه هفـــا | لا بمـــا استـــعصم فيـــه واستقـــل
فهـــو ملـــح الخلـــق ما يصلحـــه | ان بدا فيـــه فساد أو خلـــل [20]

ولأبي القاسم خلق بن يوسف بن فرتون بن الابرش [21]، من أهل شنترين [22]، توفي بقرطبة في ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة [23] :

لو لم تكـــن لِيَ آبـــاء أسود بهـــم | ولـــم يثبت رجـال الغـرب لي شرفـــا
ولـم أنـل عنـد مَلْكِ الـعصر منزلـة | لكـان في سيبويـه الفخـر لي وكفـــى
فكيـف علـم ومجـــد قد جمعتهمـــا | وكـل مختلــف في مثـــل ذا وقفـــا

ولابراهيم بن خلف الهراوي [24] يحض على النحو :

---

(20) الابيات لأبي منصور الدمياطي.
انظر شهاب الدين الخفاجي، **ريحانة الالباء**، ص 81.
(21) انظر ترجمته عند ج. السيوطي، **بغية الوعاة**، 1 : 557 رقم 1171.
(22) شنترين : مدينة بالبرتغال، تسمى حاليا : SANTAREM.
توجد في شمال لشبونة وتبعد عنها بحوالي 78 كلم. قال عنها ياقوت الحموي في **معجم البلدان** : (مدينة متصلة الاعمال بأعمال باجة في غربي الاندلس ثم غربي قرطبة وعلى نهر تاجة، وهي حصينة بينها وبين باجة أربعة أيام، وهي الآن للافرنج، ملكت في سنة 543 هـ)، وانظر محمد الفاسي، **وحي البينة**، ص 121.
(23) ذو القعدة سنة 532 هـ يوافق يوليوز ــ غشت 1138
(24) في « م » : (النهراوي)، وعند الابشيهي، 1 : 23 : (المهداني)، **والابتهاج** للبلغيثي، 1 : 160 : (الهمداني)، والبيتان مثبتان هناك.

النحـــو يبسط من لســان الالكـــــن والمــرء تعظمــــه إذا لم يلحـــــن
واذا طلـــبت من العلـــوم اجلهـــا فأجلهـــا منهـــا مقيـــم الألسن

ولعلي بن بشار :

رأيت لسان المــرء وَافِــدَ عقلـــه وعنوانــه فانظـــر بمـــاذا تعنـــون
ولا تَعْـدُ اصلاح اللســـان فإنـــه يخبـــر عمـــا عنـــده ويبيـــن
ويعجبنـــي زيـــن الفتـــى وجمالـــه فيسقـط من عيني ساعة يلحـــن [25]

ودخل اعرابي السوق فوجدهم يلحنون فقال : سبحان الله، يلحنون ويربحون [26].

وقال أبو الأسود الدؤلي : إذا اردت إن تعذب عالما فاقرن به جاهلا [27].

وقيل : من لم يتعلم في صغره لم يتقدم في كبره [28].
وقيل : اذا فاتك الادب فالزم الصمت، فهو من اعظم الأدب منزلة.

حكي أن رجلا كان يجلس إلى أبي يوسف القاضي [29] ـــ رحمه الله ـــ فيطيل الصمت، فقال له أبو يوسف : ألا تتكلم ؟ فقل : بلى، متى يفطر الصائم ؟ قال : اذا غابت الشمس، فقال : فان لم تغب إلى نصف الليل ؟ فضحك أبو يوسف وقال : اصبت في صمتك واخطأت أنا في استدعائك، ثم تمثل قائلا :

عجـــبت لازراء العيـــيّ بنــــفسه وصمت الذي قد كان بالقول أعلما
وفي الصمت ستـــر للعيـــي وإنمـــا صحيفة لب المـــرء ان يتكلمـــا [30]

(25) انظر الأبيات عند الابشيهي، 1 : 23، **الابتهاج** للبلغيثي، 1 : 160.
(26) انظر **الابتهاج** للبلغيثي، 1 : 16، والابشيهي، 1 : 23.
(27) انظر الابشيهي، 1 : 23.
(28) انظر الابشيهي، 1 : 21.
(29) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 2 : 378 ـــ 390، والمصادر بالهامش 824 من الصفحة 378 من نفس المصدر.
(30) البيتان لحذيفة الخطفي، جد جرير.
انظر الجاحظ، **البيان والتبيين**، 1 : 243 وانظر القصة في **وفيات الاعيان**، 6 : 383، ومحمد الوشاء، **الموشى**، ص 17.

وكثيرا ما كان ينشدنا شيخنا أبو العباس المنجور :

إذا أعجبتك خصال امرىء — فكنها يكن منك ما يعجبك
فليس على المجد والمكرمات — إذا جئتها حاجب يحجبك (31)

وأنشدني :

دبت للمجد والساعون قد بلغوا — حدَّ النفوس وألقوا دونه الأُزُرَا (32)

وفي الحديث : إن العالم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وأن العلماء ورثة الأنبياء، وأن الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم، فمن أخذه، أخذ بحظ وافر.

فهذه الأحاديث كلها تدل على شرف العلم وعظيم مكانته] (33)، فمن اتصف به أو بوصف حامليه فهو اولى بالاكرام، ولهذا انزلهم — ايده الله — منازلهم، وراعاهم حقهم، ولما حصل له منه من الحظ الوافر، لا يعرف العلم وقدره إلا من سهرت عيناه في تحصيله وبجل بين اقرانه بتبجيله (34)، وكان يقول — ﷺ — : « فَلْيَلِني منكم ذوو الاحلام

---

(31) نسبهما الراغب، الاصبهاني في **محاضرات الادباء**، 1 : 310 لأبي العيناء.
وقد ورد البيتان ومعهما بيت ثالث عند أبي هلال العسكري في **ديوان المعاني**، 1 : 107، هكذا :

اذا اعجبتك خصال امرىء — فكنه تكن مثل ما يعجبك
فليس على الجود والمكرمات — حجاب إذا جئته يحجبك
هو المال إن أنت لم تخترب — أباح لك الدهر ما يخربك

(32) ما بين القوسين سقط من « م ».
والبيت من جملة ابيات أوردها أبو تمام في **حماسته** وقال عنها : إنها لرجل من بني أسد — سيوردها ابن القاضي كاملة في الصفحات الموالية — والابيات هي :

دبت للمجد والساعون قد بلغوا — حد النفوس وألقوا الازرا
وكابروا المجد حتى مل أكثرهم — وعانق المجد من أوفى ومن صبرا
لا تحسب المجد تمرا أنت آكله — لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

(33) ما بين المعقوفين سقط من « ج ».
(34) أخذه من قول الجلال المحلى : =

والنهى (35)، وعن جابر بن عبد الله (36) ــ رضي الله عنهما ــ : إن رسول الله ــ ﷺ ــ كان يجمع بين الرجلين، من قتلى أحد في القبر ثم يقول : أيهم أكثر أخذا للقرآن ؟ فإذا أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد (37) »، اخرجه البخاري وغيره، وعنه ــ ﷺ ــ : « إن من اجلال الله اكرام ذي الشيبة، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، واكرام ذي السلطان المقسط (38) »، وعنه ــ ﷺ ــ : « المرء مع من أحب (39) »، وعنه ــ ﷺ ــ : « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام، إذا فقهوا، والارواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف (40) »، واختصاصه ــ أيده الله تعالى ــ بهذه الخصلة العظيمة، التي هي مصاحبة العلماء وتعظيمهم واتخاذهم بطانة يشاورهم في الأمور الشرعية، ويشاركهم في السير المرضية، يرشدك إلى فضله وكماله وعلو عمته وجماله، وما ذاك إلا لما روي عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ ان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان ؟ بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصمه الله تعالى (41) »، ومخدومنا ــ أيده الله ــ أبر الناس والأمراء بأهل العلم، استخلصهم لنفسه، وجمعهم من سائر اقطار مملكته لمخاطبته وانسه، إذا سمع بمن له منزلة في العلم اقدمه على حضرته العلية، وإمامته العلوية، ويجري عليهم الجرايات، التي لا يصدر مثلها إلا من مثله، وقد شاهدت من ذلك ما لا يدخل تحت حصر لو تتبعتهم واحدا واحدا ويخرجنا عن المقصود من ذكر مآثره، واستقصاء بعض مفاخره، والله الموفق.

= احفظــوا العلــم وصونــوا أهلـــه ... عن جهـــول حاد عن تبجيلـــه
انما يعـــرف قدر العلـــم من ... سهـــرت عينـــاه في تحصيلـــه

(35) اخرجه مسلم في **الصحيح**، 2 : 30، وأبو داود في **السنن**، 1 : 180، وكلاهما عن أبي مسعود باللفظ الآتي : « ليلني منكم أولو الاحلام والنهى ».

(36) انظر ترجمته عند خ، الدين الزركلي، **الاعلام**، 2 : 93، والمصادر بالهامش 2.

(37) اخرجه البخاري في **الصحيح**، 2 : 94، وأبو داود في **السنن**، 3 : 196، وكلاهما عن جابر بن عبد الله.

(38) اخرجه الطبراني في **المعجم الكبير**، وابن أبي شيبة في **المسند**، وابن المبارك في **الزهد**، انظر ج السيوطي، **الجامع الكبير**، 1 : 474.

(39) اخرجه البخاري في **الصحيح**، 7 : 112، ومسلم في **الصحيح**، 8 : 43. [illegible] في **السنن**، 3 : 281، والرامهرمزي، **المحدث الفاصل**، ص 346، رقم 372 ، وكلهم عن عبد الله.

(40) اخرجه البخاري في **الصحيح**، 4 : 154، ومسلم في **الصحيح**، 8 : 41 ــ 42، وكلاهما عن أبي هريرة.

(41) اخرجه البخاري في **الصحيح**، 8 ــ 121 عن أبي هريرة.

الباب الرابع عشر

* فيما يؤثر من العلوم النافعة ويهتم به من فوائدها اللامعة

---

* انظر **فهرس** أ. المنجور الذي أجاز فيه المنصور، و ع. العزيز الفشتالي، **مناهل**، ص 188 — 191.

اعلم أنه — ايده الله تعالى — أحب الأشياء إليه : علم الحديث وسماعه، أخذه رواية (1)، [ودراية (2)] عن الشيخ العالم العامل الزاهد المحدث : أبو النعيم سيدي رضوان بن عبد الله الجنوي (3) توفي — رحمه الله — ثالث عشر ربيع النبوي سنة احدى وتسعين وتسعمائة (4)، وولد

---

(1) علم الحديث رواية يقوم على النقل المحرر الدقيق لكل ما اضيف إلى النبي — ﷺ — من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، ولكل ما اضيف من ذلك إلى الصحابة والتابعين على الرأي المختار.
انظر صبحي الصالح، **علوم الحديث ومصطلحه**، ص 187.

(2) ما بين المعقوفين سقط من « ج ».
وعلم الحديث دراية : مجموعة من المباحث والمسائل يعرف بها حال الراوي والمروي من حيث القبول والرد، ويطلق العلماء على علم الحديث دراية « علم اصول الحديث » ويندرج في اطاره عدة علوم أهمها :
أ — علم الجرح والتعديل
ب — علم رجال الحديث
ج — علم مختلف الحديث
د — علم علل الحديث
هـ — علم غريب الحديث
و — علم ناسخ الحديث ومنسوخه

انظر صبحي الصالح، **علوم الحديث ومصطلحه**، ص 107 — 114.

(3) الف برسمه تلميذه أحمد المرابي كتابه المسمى **تحفة الاخوان، ومواهب الامتنان، في مناقب سيدي رضوان**، مخطوط م. ع بالرباط رقم 114 ك، وانظر أيضا ابن القاضي **درة**، 1 : 274 — 275، رقم 424، **جذوة**، 1 : 197 رقم 157، **لقط**، ص : 310، وم. العربي الفاسي، **مرآة** ص 209، وم. المهدي الفاسي، **تحفة**، ص 39، وم. القادري، **الاكليل**، 22 ظ، وم. الحضيكي، **طبقات**، 1 : 213 — 221،وم. بن مخلوف، **شجرة**، ص 286 رقم 1092، و ع الحي الكتاني، **فهرس الفهارس**، 1 : 325 — 326، وم، الكتاني، **سلوة**، 2 : 257، والعباس بن ابراهيم، **الاعلام**، 3 : 227 — 236 رقم 439، وليفي بروفنسال، **مؤرخو الشرفاء**، ص 71، 166، 179، وم. حجي، **الحركة**، 2 : 359.

(4) 13 ربيع النبوي سنة 991 هـ تقابل 6 أبريل سنة 1584 م.

سنة اثنتي عشر وتسعمائة (5)، ودفن خارج باب الفتوح (6) من فاس ـــ كلأها الله تعالى بمنه، قدس الله ضريحه ـــ. ورضوان هذا يروي عن أبي زيد عبد الرحمٰن بن علي بن أحمد القصري، المعروف بسُقَّيْن العاصمي السفياني (7)، المتوفى سنة ست وخمسين وتسعمائة ، مولده كان سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة (8)، اخذ العلم عن ابن غازي وعن أبي الفرج الطنجي (9)، وعن أبي عبد الله السخاوي (10) وعن أبي فارس بن فهد (11) وعن الشيخ زكرياء الأنصاري المصري (12) أحد تلامذة ابن حجر، والسخاوي المذكور هو غير السخاوي الذي أجاز لابن غازي، وكلاهما يروي عن ابن حجر، وأخذ أيضا عن القلقشندي (13) وعن القاضي زكرياء، عن شهاب الدين

---

(5) 912 هـ توافق 1506 ـــ 1507 م.

(6) باب الفتوح : باب شهير بعدوة الاندلس من فاس، وهو أول باب بني بها، كان في أول الأمر يسمى باب القبلة، ولم يزل على حالته التي بناه ادريس الثاني عليها إلى أن هدمه الأمير المصلح دوناس بن حمامة بن المعز بن عاصبة الصنهاجي، فلما توفي في شوال سنة 452 هـ اقتسم ولداه الفتوح وعجيسة ملك فاس، فكان الفتوح بعدوة الاندلسيين وعجيسة بعدوة القرويين، وحدثت بين الأخوين نفرة وحروب، فبنى فتوح قصبة منيعة بالموضع المعروف بالكذان، وأعاد بناء باب القبلة ونسب إليه فصار بدعى باب الفتوح منذ ذلك التاريخ.
وقد أشار محمد الكتاني في **سلوة الانفاس** (2 : 163) في ترجمة البناد إلى أن قبره موجود عند قوس باب الفتوح الأول الذي سد عن يسار الخارج منه، فالظاهر أن هذا الباب هو الباب الزناتي الذي حل محل باب القبلة الادريسي، أما باب فتوح الكبير فهو من عمل الموحدين.
وتجدر الاشارة إلى أنه فتح في السنين الأخيرة بابان جديدان عن يسار الخارج من باب الفتوح، احدهما يسامت شارع الفخارين، والثاني مجاور لقصبة تمدرت. فهذان البابان فتحا حديثا ولا علاقة لهما بباب القبلة الادريسي، ولا بباب الفتوح الزناتي.

(7) انظر ترجمته عند أحمد المنجور، **فهرس**، ص 59، وابن القاضي ، **درة**، 3 : 96 ـــ 97، رقم 1022، **لقط الفرائد**، 301، وأبابا، **كفاية**، ص 51، وم. بن مخلوف ، **شجرة**، ص 279 رقم 1047 وم. الحجوي، **الفكر السامي** ، 4 : 102، وع. الحي الكتاني، **فهرس الفهارس**، 2 : 333 ـــ 334، وم. حجي، **الحركة**، 2 : 349.

(8) 973 هـ توافق 1565 ـــ 1566 م

(9) أبو الفرج الطنجي هو محمد بن محمد بن موسى الطنجي خطيب جامع الاندلس بفاس والمتوفى سنة 889 هجرية. انظر **فهرس ابن غازي**، 121 ـــ 122، **وفهرس المنجور**، 11، **وفهرس الفهارس**، 1 : 112.

(10) انظر ترجمته عند أ. المنجور، **فهرس**، ص 22، وم بن مخلوف، **شجرة** 1 : 255 رقم 926، **وفهرس ابن غازي**، 168 ـــ 169.

(11) انظر ترجمته عند نجم الدين الغزي، **الكواكب السائرة**، 1 : 238 ـــ 239، وابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، 8 : 100 ـــ 102.

(12) ترجم له ترجمة مطولة نجم الدين الغزي في **الكواكب السائرة**، 1 : 196 ـــ 207، وم. العابد الفاسي، **فهرس القرويين**، 1 : 77، 145 ـــ 146.

(13) انظر ترجمته عند نجم الدين الغزي، **الكواكب السائرة**، 1 : 108، وابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، 8 : 104 ـــ 105، وعبد الحي الكتاني، **فهرس الفهارس**، 2 : 214 ـــ 216.

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة، وقد أجازه أيضا شيخنا أبو العباس المنجور في أشياء من العلم وألبسه خرقة التصوف وسلسل له الأحاديث المسلسلات [14]، كالمسلسل بالأولية وغيره من المسلسلات، وقد أمر ــ أيده الله ــ بنسخة من البخاري [15] عملت لخزانته العلمية، وقد ضمن قائده أبو الحسن الشيظمي تاريخها في بيت من أبيات فقال :

للـــــه منهـــــا درة قد بدت	في غايـــة الاحكـــام والاحتفـــال
نسخـــة من فاق الـــورى همـــة	وخصهُ الله بارث المعـــــال
واكـــتسب المأثـــور فخـــرا به	والـــبس الـــرواة برد الجمـــال
للملك المـــنصور محيـــي الهـــدى	ابـــن رسول الله وفـــر الكمـــال
جادت بها الأيـــام في طالـــع	افـــاد عين الديـــن أوفى اكتحـــال
متـــى تشا تاريـــخ اتحافـــه	بالملك قل : آل النبـــي خيـــر آل

وكحديثي : المصافحة والتشبيك، كحديث الوضوء وغير ذلك، وفهرسة شيخنا التي ذكر فيها كل ما أجازه فيه وعدد فيها مشيخته، كانت بيدي وضاعت مني في محنتي، وله أجازات كثيرة، وحدثت أنه أجازه الشيخ أبو عبد الله محمد البكري من الديار المصرية بالكتب [16]، وقد أجازه غيره منها [17] ومن غيرها، وقد كنت تكفلت باجازات من المشرق عن الشيوخ الذين هنالك فعاقني الحال بالمحنة المتقدم ذكرها.

[ولا شك أن علم الحديث أشرف العلوم لأن شرف العلم بشرف معلومه، ومعلومه هو

---

(14) المسلسل من الاحاديث ما تتابع رجال اسناده على صفة فيهم، كأن يتفقوا في الأسم أو في الصفة أو في النسبة أو فعل من الافعال، يصدر عنهم في حال التحديث مثل أن يكونوا جميعهم مدنيين أو مكيين أو فقهاء أو نحاة، وكأن يشبكوا باليد حالة الرواية عن رسول الله، وكأن يتابعوا على صفة في الرواية، كالتحديث بسمعت أو بأخبرنا فلان والله، وما ضاهى ذلك، وخير المسلسلات ما دل على اللقى والاتصال لما فيه من مزيد الضبط والتوثيق.
انظر عبد الحفيظ الفاسي، **الآيات البينات في شرح وتخريج الاحاديث المسلسلات**، واحمد الشرقاوي، **مكتبة الجلال السيوطي**، ص 318، رقم 617، وصبحي الصالح، **علوم الحديث ومصطلحه**، ص 249 ـــ 253.

(15) وقف أ. المقري على هذه النسخة وبها اجازة رضوان الجنوي للمنصور.
انظر، **روضة الآس**، ص 35.

(16) انظر نص الاجازة عن ع. العزيز الفشتالي، **مناهل**، ص 192 ـــ 196.

(17) واجازه من مصر أيضا بدر الدين القرافي، انظر نص الاجازة عند ع. العزيز الفشتالي، **مناهل**، 192 ـــ 196.

كلام سيد الأولين والآخرين، وأفعاله وتقريراته، وسكوته أفضل شيء يتمسك به لأنه المبين عن الله والمرشد للخير، عن ابن عباس قال : « سمعت علي بن أبي طالب يقول : خرج علينا رسول الله ـــ ﷺ ـــ فقال : « اللهم ارحم خلفائي، قلنا : يا رسول الله، من خلفاؤك ؟ قال : الذين يروون أحاديثي وسنتي ويعلمونها الناس (18) »، وعنه ـــ ﷺ ـــ قال : نَضَّرَ الله امرءا سمع منا حديثا فبلغه غيره، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه (19) ». « ثلاث لا يغل عليهم قلب امرىء مسلم : اخلاص العمل لله، ومناصحته للامر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم (20) »، وعنه ـــ ﷺ ـــ أنه عهد في حجة الوداع فقال : « عليكم بالقرآن، وسترجعون إلى أقوام سيبلغون الحديث عني، فمن عقل شيئا فليحدث به، ومن قال علي ما لم أقل، فليتبوأ بيته ـــ أو مقعده ـــ من النار (21) ».

وأحق ما يشتغل به طالب الحديث أولا علم الحديث المتكفل ببيان اصطلاحات أهليه، **كألفية** عبد الرحيم بن الحسين العراقي التي اختصر فيها **كتاب ابن الصلاح**، أو **ككتاب ابن الصلاح** المذكور، أو **الالماع** (22) لعياض.

ثم بعد ذلك يشتغل بحفظ الحديث من **الصحيحين والموطأ**، لأن ارفع الصحيح ما اتفق عليه البخاري ومسلم وهو المراد بقولهم : متفق عليه، ثم ما انفرد به البخاري، ثم ما انفرد به مسلم، ثم ما حوى شرطهما معا، ثم ما حوى شرط البخاري فقط، ثم ما حوى شرط مسلم فقط. قال ابن الصلاح : ليس لأحد في هذه الاعصار تصحيح حديث، وقال يحيى القطان (23) : ذلك ممكن.

ثم بعد هذا كله يشتغل بأحاديث السنن، ثم بالمستدركات (24)، **كالمستدرك** للحاكم

---

(18) اخرجه الرامهرمزي في **المحدث الفاصل**، 163 رقم 2، وانظر أيضا القاضي عياض، **الالماع**، 17.

(19) اخرجه أبو دواود في **السنن**، 3 : 322، والترمذي في **السنن**، 3 : 372، وكلاهما عن زيد بن ثابت باختلاف يسير في اللفظ.

(20) اخرجه الشافعي في **مسنده** باختلاف يسير في اللفظ.
انظر الساعاتي، **بدائع المنن**، 1 : 14.

(21) رواه الرامهرمزي في **المحدث الفاصل**، 172 رقم 15، كما رواه ابن حنبل في **مسنده**، والطبراني في **المعجم الكبير** باختلاف يسير في اللفظ، ورجاله ثقات.
انظر مجمع الزوائد، 1 : 144.

(22) اسم الكتاب الكامل : **الالماع، في ضبط الرواية وتقييد السماع**، وقط طبع بمصر بتحقيق الاستاذ أحمد صقر سنة 1970.

(23) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 9 : 181، والمصادر بالهامش 1.

(24) المستدركات : جمع مستدرك، وهو ما استدرك، فيه ما فات المؤلف على شرطه.
انظر صبحي الصالح، **علوم الحديث ومصطلحه**، ص 124.

ابن البيع [25]، ثم بالمستخرجات [26]، كمستخرج أبي عَوانة [27] وغيره، يقدم الحفظ أولا والرواية، ثم التفهم ثانيا والدراية، وقد رتب شيخنا أبو العباس المنجور قراءة مولانا لكتب الحديث في حال مذاكرته إياه في **فهرسته**.

ومما كتب به أهل بغداد للبخاري :

المسلمون بخير ما بقيت لهم   وليس بعدك خير حين تفتقد

قال ابن عدي [28] : سمعت الحسن بن الحسين أبا علي البزاز البخاري يقول : ولد محمد ابن اسماعيل بن ابراهم بن المغيرة بن بردزبة البخاري يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة [29].

وقال ابن عدي أيضا : سمعت الحسن بن الحسين يقول : توفي محمد بن اسماعيل ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة الفطر، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر يوم السبت مستهل شوال من شهور سنة ست وخمسين ومائتين [30]. عاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما ــ رحمه الله ونفعنا به ــ.

وأما مسلم فيكنى أبا الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري رحل إلى العراق والحجاز والشام ومصر، وسمع من يحيى بن يحيى النيسابوري [31]، وقتيبة بن سعيد [32]، واسحاق بن ابراهيم [33]، وجماعة من غير هؤلاء، توفي مسلم عشية يوم الأحد ودفن يوم الاثنين

---

(25) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 4 : 280 ــ 281، والمصادر بالهامش 615 من صفحة 280 من نفس المصدر .

(26) موضوع المستخرج كما قال العراقي ــ : أن يأتي المصنف إلى الكتاب فيخرج احاديثه بأسانيد لنفسه من غير طريق صاحب الكتاب، فيجتمع معه أو من فوقه.
انظر صبحي الصالح، **علوم الحديث ومصطلحه**، ص 125.

(27) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 6 : 393 ــ 394 والمصادر بالهامش 826 من الصفحة 393.

(28) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي ، **الاعلام**، 4: 239، والمصادر بالهامش 1.

(29) 13 شوال سنة 194 هـ يوافق 20 يوليوز سنة 810 م.

(30) فاتح شوال سنة 256 هـ يوافق فاتح شتمبر سنة 870 م.

(31) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 9 : 223، والمصادر بالهامش 2.

(32) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 6 : 27 و المصادر بالهامش 2.

(33) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 1 : 199 ــ 201، والمصادر بالهامش 35 من الصفحة 199 من نفس المصدر.

لخمس بقين من رجب سنة احدى وستين ومائتين، فبين وفاتيهما أربعة أعوام وعشرة اشهر إلا خمسة أيام، اعني البخاري ومسلما.

وأما الترمذي [34] والنسائي [35] وأبو داود [36] وهما فقد أشار إلى وفاة الجميع أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الونشريسي بما انشدنيه شيخنا أبو راشد عنه له :

إذا رمت الحديث فلذ بخمس تكن مثل المشافه في الحياة
تعطر درعه مارض نسج بنور للمحدث والوفاة

ومن مفاخر المغرب عياض بن موسى اليحصبي [37]، صاحب **المشارق** [38]، وفيه يقول تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الشهرزوري المعروف بابن الصلاح لنفسه في هذا الكتاب، وكان لا يغب عن مطالعته والاستفادة منه بعد تعوده لاسماع الحديث في الدار الأشرفية بدمشق والمنشأة لذلك بأمر الملك الأشرف [39] من بني أيوب :

مشارق أنوار تبدت بسبتة وذا عجب كون المشارق بالغرب

---

(34) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 4 : 278، و المصادر بالهامش 613 من نفس الصفحة والمصدر.

(35) انظر ترجمته عند أ. خلكان، **وفيات الاعيان**، 1 : 77 — 78، والمصادر بالهامش 29 من الصفحة 77.

(36) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 2: 404 — 405، والمصادر بالهامش 272 من الصفحة 404 من نفس المصدر.

(37) يكاد يكون القاضي عياض أشهر الاعلام في تاريخ المغرب العلمي على الاطلاق، فقد طارت شهرته في عصره وبعد عصره بالمغرب والمشرق على السواء، وكتب الذيوع لمؤلفاته، ورزق بعضها — **كالشفا** — من الحظوة وحسن القبول والتلقي لدى الخواص والعوام ما لم يرزقه مؤلف مغربي آخر، آية ذلك هذه النسخ الخطية — **من الشفا** — التي تزخر بها الخزائن في كل مكان. وان من الاعلام من تسمو بسببهم أوطانهم وتذكر بفضلهم بلدانهم، وهذه حال قاضينا عياض الذي قيل فيه : « لولا عياض لما ذكر المغرب ».

(38) اسم الكتاب الكامل : **مشارق الانوار، على صحيح الآثار**، ويهتم فيه بالتنبيه على مواضع الاوهام والتصحيفات في **الموطأ والصحيحين**، فضلا عن تفسير الغريب، وضبط الألفاظ وأسماء الرجال. وقد نشر الكتاب في المطبعة السلطانية بفاس الجديد عام 1328 هـ في جزئين.
وانظر تحليلا للكتاب عند الدكتورة عائشة بنت الشاطىء، **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**، مقال بمجلة **المناهل**، العدد 19، دجنبر 1980 ، ص 57 — 154.

(39) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 8 : 280، والمصادر بالهامش.

ومرعـــى خصيب في جديب ربوعهـــا ألا فاعجبوا للخصب من منزلة الجدب (40)

جوابـــه :

وهـــل زيـــن الأرجـــاء إلا رجالهـــا والا فلا فضل لتـرب علـــى ترب (41)

ومؤلف صلة السمط (42) :

كأنـــي مذ وافـــى كتـــاب عيـــاض انـــزه طرفـــي في مريـــع ريـــاض
فاجنـــي به الأزهـــار يانعـــة الجنـــى واكـرع منـه في لذيـذ حيـــاض (43)

ولابي عمر بن الوزان المالقي (44) :

((40) البيت الأول لابن الصلاح كما ذكر المؤلف، وأما البيت الثاني فهو للخطيب أبي عبد الله بن رشيد الفهري ذيل به البيت السابق. أنظر **أزهار الرياض**، 4 : 343.

(41) انظر أ. المقرى، **أزهار**، 4 : 344.

(42) مؤلف **صلة السمط** هو محمد بن علي بن محمد بن علي بن عمر أبو عبد الله، المصري التوزري ويقال له : ابن الشباط (618 هجرية — 681 هـ)، (1221 م — 1282 م).
واسم الكتاب الكامل هو : **صلة السمط، وسمة المرط، في شرح سمط الندي، في الفخر المحمدي**، في ثلاثة أسفار، وهو كتاب في الأدب والتاريخ، جعله شرحا لتخميس « **القصيدة الشقراطيسـية** » في السيرة.
ويوجد السفر الأول مخطوطا بالخزانة الملكية بالرباط رقم 8042، كما يوجد السفر الثاني منه مخطوطا بالمكتبة العامة بالرباط تحت رقم 264 ق، ويتكون من 358 صفحة من الحجم الكبير، وهناك نسخة أيضا للسفر الثاني بنفس المكتبة تحت رقم 110 ق مكون من 240 صفحة من الحجم الكبير، ويوجد السفر الثالث مخطوطا بنفس المكتبة كذلك تحت رقم 110 — 3 ق. كما توجد نسخة مخطوطة للكتاب المكتبة الوطنية بتونس تحت رقم 3208.
والكتاب يحتوي على معلومات قيمة عن فتح المغرب.
ـ انظر ترجمته عند أبي سالم العياشي، **الرحلة العياشية**، 2 : 253 وم. بن مخلوف، **شجرة**، 191 رقم 642، وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 7 : 172 — 173.
ـ وانظر حول القصيدة الشقراطيسية، حاجي خليفة، **كشف الظنون**، 2 : 1339 — 1340، والعبدري، **الرحلة**، ص 44، وقد نشرها الاستاذ عبد الله كنون كاملة في مجلة **المناهل**، العدد 18، يوليو 1980، ص 13 — 31.

(43) انظر البيتين عند أ. المقري، **أزهار الرياض**، 4 : 347. وقد انشدهما المؤلف نفسه لتلميذه أبي عبد الله محمد بن أحمد بن حيان.

(44) انظر ترجمته عند أ. المقري، **أزهار**، 2 : 380.

ظلموا عياضا وهـو يحلـم عنهـم والظلـم بيـن العالميـن قديـم
جعلوا مكان الراء عينا في اسمه كي يكتموه وإنـه معلـوم
لولاه ما فاحت أباطح سبتـة والـروض حول فنائها معـدوم [45]

ولابي محمد محارب بن محمد بن محارب [46] من أهل وادي آش [47] :

غدا سَلِسَ القياد فما يُرَاضُ وعَمَّ جميع لِمَّتِهِ البياضُ
واضحى القلب لا تُصْبِيهِ هندٌ ولا سلمى ولا الحَدَقُ المِراض
ولا يشجيه طيب نسيم نجدٍ ولا يُسْلِيهِ بالزهر الرياض
وان غنى الحمام بغصن أيك فمن عض الزمان به عضاض
[وقائلة : أتكرع في ثماد وقد لاحت لرائدها حياض [48]]
إلى كم ذا تقول لكل خطب مقالة من الم به المخاض
وتنقبض انقباض العي حتى اضربك السكون والانقباض
ووجد بني عياض بالمعالي مدى الدنيا حديث مستفاض
اذا قُصدوا أثاروا الجود بحرا وسالوا بالمكارم ثم فاضوا
فقلت لها : ومن منهم عياذي فقالت ذاك سيدهم عياض
إمام زانه علم وحلم له بالخطة العُلْيا انتهاض
يقارض من أساء بحسن صبر وأمر الدين والدنيا قراض
ففي الآداب جدول ماء مزن وفي الآراء بحر لا يخاض
ويبرم ما يروم فليس يخشى على أمر وأبرمه انتقاض
يهيم بكل معلوة وفضل كما قد هام بالعليا مُضاض
ومَنْ تَعْلَقْ حِبالَ بني عياض يداه فلا يضام ولا يُهاضُ [49]

(45) انظر الابيات عند أ. المقري، أزهار، 5 : 81.
(46) انظر ترجمته عند المقري. أ، أزهار الرياض، 5 : 82، والتكملة، ص 736 رقم 1859.
(47) وادي آش (أو وادي الآشات Guadix) : احدى المدن الاندلسية تقع على نهر ينحدر من جبل (شلير) عند السفح الشمالي لجبل الثلج (سييرا نقادا) قريبا من غرناطة على بعد 53 كيلومترا إلى الشمال الشرقي منها.
(48) ما بين المعقوفين سقط من الأصل والاكمال من أزهار الرياض، 5 : 83.
(49) انظر القصيدة عند أ. المقري، ازهار الرياض، 5 : 83.

قوله في البيت الأول : وعم جميع لمته البياض :

هي فوق الوفرة إلى المنكبين من شعر الرأس، والعامة تقول هي اللحية، وما ينشد من قوله : وفاضت دموعي على لمتي، فهو خطأ صراح.

حكي أن الأمير أبا عنان سمع منشدا ينشد ما تقدم، فقال لمن كان معه: « قال رسول الله ــ ﷺ ــ : من سعادة المرء خفة لحيته (50) »].

ذكر أن معاوية بن أبي سفيان كان جالسا إذ مر به رجل طويل اللحية ؟ فقال عمرو بن العاص : أنا سمعت رسول الله ــ ﷺ ــ يقول : « اعتبروا عقل الرجل في ثلاث : في طول لحيته، وكنيته، ونقش خاتمه (51) »، فلما اتاه الرجل قال له معاوية : أما لحيتك فلسنا نسأل عنها، فما نقش خاتمك ؟ قال : « وتفقد الطير، فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين ؟ (52) » قال : فما كنيتك ؟ قال : أبو الكوكب الدري، فقال معاوية : كمل الرجل (53). وكان ــ ﷺ ــ يأخذ من لحيته من طولها وعرضها بالسوية، وروي عن عبد الله بن عمر ــ رضي الله عنه أنه كان يقبض على لحيته ويأخذ منها ما زاد على قبضته. وقال الحسن بن المثنى (54)، إذا رأيت الرجل له لحية طويلة فاعلم أن في عقله شيئا.

ذكر أن فلانا بن أحمد قال : رأيت رسول الله ــ ﷺ ــ في المنام، فقلت : يا نبي الله،

---

(50) ما بين المعقوفين سقط من « ج ».
والحديث اخرجه الطبراني في **المعجم الكبير**، وأبو عدي في **الكامل**، وكلاهما عن ابن عباس.
انظر **فيض القدير** المناوي، 6 : 14 رقم 7251.
وقد ذكر عنه المناوي عند شرحه للحديث : « بحاء مهملة وتحتية فمثناة فوقية على ما درجوا عليه لكن في **تاريخ الخطيب** عن بعضهم أنه تصحيف وانما هو لحييه بتحتيتين أي خفتهما بكثرة ذكر الله، ثم قال الخطيب لا يصح لحيته ولا لحييه، انتهى.
وجرى على رواية لحييه بتحتيتين الخطابي وابن السكيت وغيرهم، فالمراد خفة شعرها لأن لحية الرجل زينة له ومن ثم كانت عائشة تقسم فتقول : والذي زين الرجال باللحى، والزينة إذا كانت تامة وافدة ربما أعجب المرء بنفسه، والاعجاب مهلك كما جاء في الخبر، وفي خبر : شرما أعطى المسلم قلب سوء في صورة حسنة فإذا نظر لغزارة لحيته أعجب بها والاعجاب هلاك، فكانت خفتها بسبب ازارئه بها فكان فوزا وهي السعادة، ففي الخبر دلالة على أن خير الأمور في التزين الوسط وترك المبالغة ... ».
(51) الحديث غير موجود عند ج. السيوطي في **الجامع الكبير**، ولا عند أ. ي. ونسنك في **المعجم المفهرس**.
وقد أورده أحمد الشريشي في **شرح مقامات الحريري**، 1 : 44، اثناء استعراضه للقصة.
(52) الآية 20 من سورة النمل.
(53) انظر القصة في محاضرات اليوسي، ص 252.
(54) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 2 : 201، والمصادر بالهامش 1.

اشتهي لحية كبيرة، فقال رسول الله ـــ ﷺ ـــ : « لحيتك جيدة، وأنت تحتاج إلى عقل تام [55] ». وعن أبي العيناء ـــ رحمه الله ـــ قال : حدثني بعض أصحابنا قال : كان المامون جالسا بين ندمائه ببغداد مشرفا على دجلة وكانوا يتذاكرون أخبار الناس، فقال المامون : ما طالت لحية انسان قط إلا ونقص من عقله بمقدار ما طال من لحيته، وما رأيت عاقلا قط طويل اللحية، فقال بعض جلسائه : ولا مرد على أمير المؤمنين، قد يكون في طِوال اللِّحَى أيضا عقلاء، قال : فبينما هم يتذاكرون إذ اقبل رجل كبير اللحية حسن الهيئة، حسن الثياب، فقال المامون ما تقولون في هذا الرجل ؟ فقال بعضهم : هذا رجل عاقل، وقال آخرون : هذا يجب أن يكون قاضيا، فقال المامون لبعض الخدم : علي بالرجل، فلم يلبث أن اصعد إليه وأوقف الرجل بين يديه فسلم الرجل فأجاد السلام، قال : فاجلسه المامون واستنطقه فاحسن المنطق، فقال له المامون : ما اسمك ؟ قال : أبو حمدونة، قال : فما كنيتك ؟ قال : أبو علوية، فضحك المامون، وأقبل على جلسائه فغمزهم عليه ثم قال له : ما صنعتك ؟ فقال : أنا فقيه أجيد الشرح في المسائل، قال له المامون، نسألك عن مسألة، فقال له الرجل : سل عما بداك ؟ فقال المامون : ما تقول في رجل اشترى من رجل شاة، فلما تسلمها المشتري ومضى خرجت من استها بعرة، ففقأت عين الرجل، على من تكون الدية ؟ قال : فنكث باصبعه في الأرض طويلا ثم قال : تجب على البائع دون المشتري، قال المامون : ولم ؟ قال لأنه لما باعها لم يشترط في استها منجنيقا، قال فضحك المامون حتى استلقى على قفاه، وضحك من حضر من الندماء وانشأ المامون يقول :

ما أحـــــد طالت له لحيـــــة ... فزادت اللحيـــــة في هيئتـــــه
إلا ومـــا ينـــــقص من عقلـــــه ... أكثـــر ممـــا زيـــد في لحيتـــه [56]

ولآخر :

إذا عظـــمت للفتـــى لحيـــة ... فطـــالت وصارت إلـــى سرتـــه
فنـــقصان عقـــل الفتـــى عندنـــا ... بمقـــــدار ما زاد في لحيتـــــه

(55) الحديث غير موجود عند ج. السيوطي في **الجامع الكبير**، ولا عند أ. ي. ونسنك في **المعجم المفهرس**. وقد اورده احمد الشريشي في **شرح مقامات الحريري** : 44، اثناء استعراضه للقصة.

(56) انظر القصة عند احمد الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، 1 : 44 ـــ 45، و**محاضرات اليوسي**، 251.

[ولأبي الفضل عياض يمدحه — ﷺ — ورتبها على سور القرآن وهي (57).

في كل (فاتحة) للقول معتبرة حق الثناء على المبعوث (بالبقرة)
في (آل عمران) قد ما شاع مبعثه رجالهم و (النساء) استوضحوا خبره
قد مد للناس من نعماه (مائدة) عمت فليست على (الانعام) مقتصره
(اعراف) رحماه ما حل الرجاء بها الا و (أنفال) ذاك الجود مبتدره
به توسل اذ نادى (بتوبته) في البحر (يونس) والظلماء معتكره
(هود) و (يوسف) كم خوف به أمنا ولن يروع صوت (الرعد) من ذكره
مضمون دعوة (ابراهيم) كان وفي بيت الاله وفي (الحجر) التمس أثره
ذو أمة كَدَوِيِّ (النحل) ذكرهم في كل قطر فسبحان الذي فطره
(بكهف) رحماه قد لاذ الورى وبه بشرى ابن (مريم) في الانجيل مشتهره
سماه طه وحض (الأنبياء) على (حج) المكان الذي من اجله عمره
(قد افلح) الناس بالنور الذي شهدوا من نور (فرقانه) لما جلا غرره
اكابر (الشعراء) اللسن قد خرسوا (كالنمل) اذ سمعت آذانهم سوره
وحسبه (قصص) للعنكبوت أتى اذ حاك نسجا بباب الغار قد ستره
في (الروم) قد شاع ما أمره وبه (لقمان) وفق للدر الذي نثره
كم (سجدة) في طلى (الاحزاب) قد سجدت سيوفه فأراهم ربه عبره
(سبا)هم (فاطر) السبع العلا كرما لمن (بياسين) بين الرسل قد شهره
في الحرب قد (صفت) الاملاك تنصره (فصاد) جمع الا عادي هازما (زمره)
(لغافر) الذنب في تفصيله سور قد (فصلت) لمعان غير مختصرة
(شوراه) ان تهجر الدنيا (فزخرفها) مثل (الدخان) فيعشي عين من نظره
عزت (شريعته) البيضاء حين اتى (أحقاف) بدو وجند الله قد نصره
فجاء بعد (القتال) (الفتح) متصلا واصبحت (حجرات) الدين منتصره
(بقاف) و(الذاريات) الله اقسم في ان الذي قاله حق كما ذكره
في (الطور) ابصر موسى (نجم) سؤدده والافق قد شق إجلالا له (قمره)
أسرى فنال من (الرحمان) (واقعة) في القرب ثبت فيه ربه بصره

(57) علق أ. المقري على نسبة هذه القصيدة لأبي الفضل عياض بما يأتي : « .... وكثير من الناس ينسبها للقاضي الشهير عالم المغرب أبي الفضل عياض، وكنت أنا في أول الاشتغال ممن يعتقد صحة تلك النسبة، حتى وقفت على شرح **البديعية** الموصوفة لرفيقه أبي جعفر، فإذا هي منسوبة للناظم ابن جابر ». انظر **نفح الطيب**، 5 : 323 — 324، **وأزهار الرياض**، 4 : 253 — 254.

اراه اشياء لا يقوى (الحديد) لهـا ... وفـي (مجادلـة) الكفـار قد نصره
في (الحشر) يوم (امتحان) الخلق يقبل في ... (صف) من الرسل كل تابـع اثـره
كف (يسبح لله) الحصـاة بهـا ... فاقبل (اذا جاءك) الحق الذي قدره
قد ابصرت عنده الدنيـا (تغابنهـا) ... نالت (طلاقا) ولم يصرف لها نظره
(تحريمـه) الحب للدنيـا ورغبته ... عن زهرة (الملك) حق عند من ذكره
في (نون) قد حقت الامداح فيه بما ... اثنى به الله اذ ابدى لنا سيره
بجاهه سال (نـوح) في سفينته ... سفن النجاة وموج البحر قد غمره
وقالت (الجن) جاء الحق فاتبعوا ... (مزملا) تابعا للحق لن يذره
(مدثرا) شافعا يوم القيامة هل ... (اتى) نبي له هذا العلا ذخره
في (المرسلات) من الكتب انجلى (نبأ) ... عن بعثه سائر الاخبار قد سطره
الطافه (النازعات) الضيم في زمن ... يوم به (عبس) العاصي لما ذعره
اذ (كورت) شمس ذاك اليوم و (انفطرت) ... سماؤه ودعت (ويل) به الفجره
وللسماء (انشقاق) و (البروج) خلت ... من (طارق) الشهب والافلاك منتثره
(فسبح) اسم الذي في الخلق شفعه ... وهل (اتاك حديث) الحوض اذ نهره
(كالفجر) في (البلد) المحروس غرته ... و(الشمس) من نوره الوضاح مستتره
و (الليل) مثل (الضحى) اذا لاح في (الم ... نشرح لك) القول في أخباره العطره
ولو دعا (التين والزيتون) لابتدرا ... إليه في الحين (واقرا) تستبن خبره
في (ليلة القدر) كم قد حاز من شرف ... في الفخر (لم يكن) الانسان قد قدره
كم (زلزت) بالجياد (العاديات) له ... أرض (بقارعة) التخويف منتشره
له (تكاثرُ) آيات قد اشتهرت ... في كل (عصر) (فويل) للذي كفره
(الم تر) الشمس تصديقا له حبست ... على (قريش)، وجاء الروح إذ امره
(أريت) أن اله العرش كرمه ... (بكوثر) مرسل في حوضه نهره
و(الكافرون) (اذا جاء) الورى طردوا ... عن حوضه فلقد (تبت يدا) الكفره
(اخلاص) امداحه شغلي، فكم (فلق) ... للصبح اسمعت فيه (الناس) مفتخره
ازكى الصلاة على الهادي وعترته ... وصبحه، وخصوصا منهم العشره
صديقهم عمر الفاروق احزمهم ... عثمان ثم علي مهلك الكفره
سعد سعيد زبير طلحة وأبو ... عبيدة وابن عوف عاشر العشره
وحمزة ثم عباس وآلهما ... وجعفر وعقيل سادة خيره [58]

---

(58) سقط هذا البيت من الأصل، والاكمال من النفح، 7 : 326، وأزهار الرياض، 4 :258.

اولئك الناس آل المصطفى وكفى	وصحبه المقتدون السادة البرره (59)
وفي خديجة والزهرا وما ولدت	ازكى مديحي سأهدي دائما درره
عن كل أزواجه أرضى وأوثر من	اضحت براءتها في الذكر منتشره
اقسمت لا زلت اهديهم شذا مدحي	كالروض ينشر من اكمامه زهره

وحدثني شيخنا أبو العباس أحمد بن علي المنجور، أن عياضا لما جيء به مغلولا من سبتة إلى مراكش (60)

---

(59) سقط هذا البيت من الأصل، والاكمال من **النفح**، 7: 326، و**أزهار الرياض**، 4 : 258.

(60) يناقض هذا الخبر ما أورده أبو عبد الله محمد بن القاضي عياض في كتابه **التعريف**، ص 98، اذ قال : « وله ـــ رضي الله عنه ـــ ما قاله ببلد داي عند توجهه لحضرة سيدنا أمير المؤمنين، أنشدنيه غير واحد ممن كان معه حين صنعه وأخذه عنه غير أنه ضاع لي منها بيت واحد.

اقمرية الادواح بالله طارحي	أخا شجن بالنوح أو بغناء

الى آخر الابيات .... ».

وما ذكره أحمد المقري في **أزهار الرياض**، 4 : 267، نقلا عن ابن رشيد، أنه قال هذه الابيات حين ولي القضاء بمدينة داي ببلاد تادلة سنة واحد وأربعين وخمسمائة.

ملاحظة :

يدخل هذا في إطار موقف القاضي عياض من النظام الموحدي نتيجة علاقاته السابقة مع النظام المرابطي، وهو موقف يرتكز على أسس دينية سياسية.

أ ـــ مبررات موقفه الايجابي تجاه المرابطين :

1 ـــ طابع الزهد والتقشف والبساطة التي كان يتسم بها النظام المرابطي، وهي صفات كانت بدون شك تجعل القاضي عياض السني يرتاح إليها كثيرا.

2 ـــ دور الفقهاء والعلماء في تسيير دواليب الدولة إذ كان الأمراء يستشيرونهم باستمرار.

3 ـــ قوة السلطة المرابطية نتيجة توحيدها لاقطار المغرب العربي والاعمال الجهادية التي قامت بها ضد البرغواطيين وضد المسيحيين بالاندلس.

ب ـــ مبررات موقفه السلبي تجاه الموحدين :

من أهم مبررات موقفه تجاه الموحدين هو إن ما كان يدعيه الموحدون ويبثونه بين الناس (عصمة الامام، العلم بالغيبيات) كان لا يستقيم مع منطق العقيدة السنية التي ترفض عصمة أحد من الناس غير الأنبياء، كما أنها ترفض العلم بالغيب مما تكنه ضمائر الناس وما يخفيه الغد.

ومن هنا أيضا نفهم موقف القاضي عياض بوضوح من كتاب **الاحياء** للغزالي (الذي تتلمذ عليه مهدي الدعوة الموحدية ابن تومرت، إن عن طريق كتبه أو عن طريق الاتصال به مباشرة !) والذي خصص قسما من كتابه (لعلوم المكاشفة) وأشار إلى ذلك صراحة في كتابه **الشفا**.

فلما كانوا في اثناء الطريق في وادي يقال له داي [61]، فسمع قمرية تسجع فقال عياض عند سماعها :

= **الأحداث التاريخية :**

كان عبد المومن بن علي قد غزا سبتة ودافعه عنها القاضي عياض تأييدا منه للمرابطين، ولما قتل زعيمهم تاشفين بن علي وفتحت تلمسان وفاس واستفحل أمر عبد المومن بن علي بايعه أهل سبتة، وبادر القاضي عياض إلى لقاء عبد المومن فاجتمع به بمدينة سلا حين كان ذاهبا لفتح مراكش فأجزل صلته (**التعريف** لأبن القاضي عياض، ص 12)، وولي علي بن يوسف التينملي وساكن الموحدون أهل سبتة في ديارهم واطمأنوا إليهم، فلما انتفض المغرب على عبد المومن بسبب قيام محمد بن هود وما نشأ عن ذلك من الفتن والاضطرابات (**الحلل الموشية**، ص 146) انتفض أهل سبتة أيضا (وكان قيامهم عليهم برأي قاضيهم عياض، فقتلوا من بها من الموحدين وعمالهم وأحرقوهم بالنار، وركب عياض البحر إلى ابن غانية بالبيعة، وطلب منه واليا، فأرسل معه الصحراوي فدخلها وأقام بها أياما، فلما سمع برغواطة بخروج عبد المومن إليهم كتبوا إلى الصحراوي وإلى سبتة يستنصرون به، فأتاهم، فبايعوه واجتمعوا عليه وقاتلوا عبد المومن وهزموه، ثم كانت الكرة عليهم وهزمهم وقتلهم وسباهم، فهرب الصحراوي وراسل عبد المومن يطلب منه الامان، فأمنه وأتاه وبايعه وحسنت طاعته، فلما رأى ذلك أهل سبتة سقط في أيديهم وندموا على صنعهم وكتبوا بيعتهم إلى عبد المومن، وأتى بها أشياخ المدينة وطلبتها تائبين، فعفا عنهم وعن القاضي عياض...) (**القرطاس**، 191) وولاه القضاء بتادلا (ابن خلدون، 6 : 230، الناصري، 2 : 115) ثم دخل مراكش، ويقول ابنه في **التعريف**، ص 13 : (أمره ــ أي عبد المومن ــ بلزوم مجلسه، وأظهر تقريبه ومحبته، وكان يسأله فيستحسن جوانبه، فأقام على تلك الحال، ومنزلته تزداد عنده كل يوم سموا ورفعة إلى أن خرج ــ أدام الله تأييده ــ إلى غزوة دكالة، وخرج صحبته، فمرض بعد مسير مرحلة، فأذن له في الرجوع، فرجع إلى الحضرة فأقام بها مريضا نحوا من ثمانية أيام، ثم مات ــ عفا الله عنه ــ ليلة الجمعة ــ نصف الليل ــ التاسعة من جمادى الآخرة من عام أربعة وأربعين وخمسمائة ودفن بها في باب أيلان داخل السور... »
غير أن قضية وفاته ظلت غامضة ومثار كثير من التساؤلات، هل كانت وفاته عادية ؟ أم كانت بتدبير من النظام الموحدي.
فبحض الروايات الموحدية تزعم أن الغزالي بلغه رأي عياض في كتبه، فدعا عليه، فمات فجأة في الحمام يوم الدعاء عليه (**طبقات الشعراني**، 1 : 15)، وأخرى تقول أن المهدي هو الذي أمر بقتله بعد أن ادعى عليه أهل بلده بأنه يهودي، لأنه كان لا يخرج يوم السبت... فقتله المهدي لأجل دعوة الغزالي.
وبطيعة الحال فهذه روايات لا تستقيم مع منطق التاريخ خاصة إذا علمنا أن الامام الغزالي توفي سنة 505 هـ في حين بقي القاضي عياض حيا الى غاية 544 هـ؟
ونختم القول برواية تتسم ببعض الحذر وهي رواية النباهي في **تاريخ قضاة الأندلس**، ص 95، اذ قال : « ... ومنهم كان القاضيان أبو بكر بن عبد الله بن العربي وأبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، فجرت عليهما محن وأصابتهما فتن، ومات كل واحد مغربا عن وطنه، محمولا عليه من سلطانه، وقال بعضهم : سم ابن العربي، وخنق اليحصبي... ».

(61) داي : هو الاسم القديم لتادلا نظرا لمناخها غير الصحي والامراض العديدة التي كانت منتشرة بالمنقة، وقد=

أُقُمْرِيــــــةَ الأدواح بالله طارحـــــي	أخـــا شجــن بالنــوح أو بغنـــاءِ
فقــد أرقتنــي من هَدِيــلك رَنَّـــةٌ	تُهيِّــجُ من بَرْحــي ومــن بُرَحائــي
لعــلك مثلــي يا حمـــام فإننـــي	غريب بداي قد بَلِــــيتُ بداء
فكــم من فلاة بيــن داي وسبتــةٍ	وخَــرْقٍ بعيــد الخافقيـــن قَوَاءِ
تصفـــق فيهـــا للريـــاح لواقـــحٌ	كمـــا ضعضعتنـــي زفـــرة الصعــداء
يُذكرنــي سحُ (62) الميـــاه بأرضهـــا	دموعـــا أريـــقت يوم بنت ورائـــي
ويعجبنـــي في سهلهـــا وحزونهـــا	خمائـــــل أشجـــــار ترف رواء
لعــل الــذي كان التفــرق حكمــه	وسيجمع منا الشمل بعد تناءِ (63)

= عبر عند ذلك الحسن اليوسي في المحاضرات 142، عندما كان بمراكش قائلا :

ألا ليت شعــري هل أبيتـــن ليلـــة	بسهب الشنيـــن أو بسهب بنــــي ورا
وهــل تعبـرن نهـر العيــد ركائبـــي	وهــل تتركــن دايـــا وأواءهـــا ورا

وقال أيضا في الصفحة 143 :

« ونهر العبيد هو وادي العبيد المعروف، ومدينة داي هي المعروفة اليوم بالصومعة في تادلا، وإنما قال أدواؤها أي امراضها لانها كثيرة الأمراض والوخم.

ومن غريب ما اتفق لي في هذا البلد أني مررت به حين سافرت إلى ناحية مراكش في طلب العلم، فأصابتني الحمى منه، وذلك أول حمى أصابتني في عمري، ثم بقيت في تلك النواحي عدة سنين. فلما رجعت به أصابتني أيضا وكأنها كانت تنتظرني، ولذا كان من جملة التمني إن اترك هذه البلدة وامراضها ورائي بالمجاوزة إلى وطني ».

انظر أيضا م. حجي، **الحركة**، 2 : 504.

ولعل لصفتها هذه دورا في وفاة القاضي عياض، إذا أنه سوف يتوفى في سنة 544 هـ أي بعد سنة واحدة فقط من توليه قضاء تادلا.

(62) سح المياه : صب المياه الغزير المتتابع

(63) ورد في « ز » و « م » فقط البيتان الآتيان :

اقمريــــــــــة الادواح بالله طربي	أخـــا شجـــن بالنـــوح أو ببكـــاء
فكــم من فجـــاج بين داي وسبتـــة	وخـــرقٍ بعيـــد الخافـــقين سواء

وقد وردت الابيات في « ج » باستثناء البيت الأخير الذي ورد هكذا :

يذكـــر في سح الميـــاه بأرضهـــا	سيجمع منا الشمـــل بعـــد تنـــاء

وهو تصفيح، والتصويب من التعريف **بالقاضي عياض** لابي عبد الله محمد، ص 98 — 99، وأزهار **الرياض**، 267 — 268.

وانشدنيها أيضا الكاتب الأعظم أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي في يوم السبت الثاني والعشرين من ذي الحجة عام ستة وتسعين [64] بباب اغمات بالمحلة المنصورية ..... [65] خروج مولانا إليها.

وعياض — رحمه الله تعالى — استقر اجداده في القديم بجهة بسطة [66] من بلاد الأندلس، ثم انتقلوا عنها إلى سبتة وانتماؤهم في يحصب، وبالأندلس طلب العلم بعد أن أخذ بسبتة عن مشيختها، وولي القضاء بغرناطة، توفي — رحمه الله تعالى — سنة أربع وأربعين وخمسمائة [67]، ودفن بمراكش المحروسة — رحمه الله —.

ومما نسب لابي الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن ابراهيم السلفي الاصبهاني [68] نزيل الاسكندرية، زمانه سنة سبع وعشرين وخمسمائة [69]، له :

خير الاصاحب دفتر نادمته — فوجدته نعم النديم المقتنى
يسلي همومي ثم أودع صدره — سري فلا اخشى النميمة بيننا
فإذا سمحت به أضعت ذمامه — سفها، وذلك عندنا بئس الثنا [70]]

ولابي محمد جعفر بن أحمد السراج اللغوي البغدادي [71] يمدح أهل الحديث :

لله در عصابة — يسعون في طلب الفوائد
يدعون اصحاب الحديث — بهم حلت المشاهد

---

(64) يوم السبت 22 ذي الحجة عام 996 هـ يوافق 23 نونبر 1588 م.
(65) بياض بالأصل.
(66) بسطة : تسمى حاليا (BAZA) وكان اسمها أيام الرومان (BASTI) وهي من اخريات المدن التي استرجعها الاسبان في ناحية وادي آش وذلك سنة 1489، ولا تزال بها إلى الآن آثار عربية وهي تبعد عن مدينة وادي آش بحوالي 48 كيلو مترا شرقا.
انظر محمد الفاسي، من **وحي البينة**،ص 110.
(67) 544 هـ توافق 1149 /1150 م.
(68) أنظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**،1 : 105 — 107، والمصادر بالهامش 44 من الصفحة 105 من نفس المصدر.
(69) 527 هـ توافق 1132 /1133 م.
(70) ما بين المعقوفين ورد متأخرا في « ج ».
(71) أنظر ترجمته عند أ.بن خلكان، **وفيات الأعيان**،1 : 357 — 358 رقم 135، و ج. السيوطي ،**بغية الوعاة**، 1 : 385 رقم 1000، وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**،2 : 115.

طورا تراهـــــم بالصعيــــــ ـد وتـــارة في ثغـــر آمـــد
هم يبتغـــــون من العلـــــو م بكـــــل ارض كل شارد
فهـــم النجـــوم المقتـــدى بهـــم إلـى سبـل المقـاصد (72)

ولبعضهم :

أرع الحديث وعظـم أهلـه أبـدا واعلـم بأن لهـم فيـه ولايـات
ان كنت تطلبـه قم فائت صاحبـه فالعلـم يا سيـدي يوتى ولا يأتي (73)

ولآخر يحث على الرحلة في طلب الحديث :

علم الحـديث فضيلـة تحصيلهـا بالسعـي والتطـواف في الامصار
فإذا اردت حصولهـا بأجـازة فقـد استعضت الصفـر بالدينـار (74)

وللشريف الدمياطي (75) :

علـم الحـديث له فضل ومنقبـة نال العـلاء به من كان مقتنيـا
ما جـازه كامـل الا ونقّصَـهُ أو حازه عاطـل إلا به خليـا (76)

ولابي الحسن الشيرازي (77) :

عليك بأصحاب الحـديث فإنهـم على منهـج للديـن مازال مَعْلَمـا
ومـا النـور إلا في الحـديث واهلـه اذا ما دجا الليل البهيـم وأظلمـا

---

(72) أنظر الأبيات عند ابن مرزوق،**المسند**، ص 152 ـ 153.
(53) أنظر البيتين في المصدر السابق، ص 153.
(74) أنظر البيتين عند أبي عبد الله العبدري، الرحلة المغربية، ص 111، وابن مرزوق،**المسند** ،ص 153.
(75) أنظر ترجمته عند م. بن شاكر الكتبي،**فوات الوفيات**،2 : 409 ـ 411 ، والمصادر بالهامش 308 من الصفحة 409 من نفس المصدر.
(76) أنظر البيتين عند أبي عبد الله العبدري، **الرحلة المغربية** ص 137، وابن مرزوق، **المسند**، ص 153. وقد أنشدهما الشريف الدمياطي نفسه للرحالة المغربي محمد العبدي عندما زاره بالقاهرة.
(77) يقصد ابن القصار. أنظر ترجمته عند م. بن مخلوف،**شجرة**92، وم. العابد الفاسي،**فهرس القرويين**،1 : 439 ـ 441.

واعلى المزايا من إلى السنن اعتزى | واخزى البرايا من إلى البدع انتمى
ومن ترك الآثار ضل سعيه | وهل ترك الآثار من كان مسلما [78]

ولابي المظفر بن ابراهيم الكبيري يمدح البخاري :

صحيح البخاري واظب على | تحفظه واروه في المشاهد
فذاك المجرب درياقه | لدفع سموم افاعي الشدائد [79]

ولابي أمية اسماعيل بن عفير :

يا طالب الجمع بين الفقه والاثر | لقد طمحت إلى مرقى ذوي الأثر
ان شئت دون صريح انت ما خضه | ففي البخاري تلفى زبدة الخبر
بحر العلوم ولكن من صحائفه | اصدافه والمعاني فيه كالدرر
سهل المآخذ لا يحتاج ناظره | فيما افاد إلى استمداد دي نظر
شأن التألف اذا اربى مداه على (كذا) | ما طولت في وجير اللفظ مختصر
في أول الباب منه شرح آخره | واصرف نهاك إليه صرف مختبر
فلست تحرز كرعا في موارده | الا رويت ولم تشتق إلى الصَّدَرِ
يا حبذاه نجيا أن خلوت به | ناجيت بالفكر منه سيد البشر
لم يضطرب فيه استاذ ولا انحرفت | منه عبارة تأويل لمعتبر
جَرى الاله ابن اسماعيل جامعه | جزاء ماض على الآثار مقتصر [80]

حكى الدارقطني [81] أن زوجة ابن رواحة [82]. رأته على بطن سريته، فعاتبته فانكر، فالتمست منه القرآن لأن الجنب لا يقرأ، فقال هذه الابيات :

---

(78) انظر الأبيات في **فهرس** يحيى السراج ، ص 17 ، **ومسند** ابن مرزوق، ص 154.
(79) انظر البيتين عند ابن مرزوق ، **المسند** ، ص 154، وحمدون بن عبد الرحمان السلمي، **نفحة المسك الداري** ، الملزمة 15 صفحة 7.
(80) انظر الأبيات عند ابن مرزوق، **المسند** ، ص 154 .
(81) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان ، **وفيات الأعيان**، 3 : 297 ـــ 299 والمصادر بالهامش 434 من الصفحة 297 من نفس المصدر .
(82) يقصد عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري (ت. 8 هجرية / 629م) من الخزرج ، صحابي ، يعد من الأمراء والشعراء، الراجزين، كان يكتب في الجاهلية، وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وكان =

شهـــــدت بأن وعــــــد الله حق | وأن النـــــار مثـــوى الكافرينـــــا
وأن العـــــرش فوق المـــــاء طاف | وفـــوق العـــرش رب العالمينـــــا
وتحملـــــــه ملائكـــــــة شداد | ملائكـــــة الالـــــه مقربينـــــــا

فقالت : آمنت بالله وكذب بصري، فأعلم النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بذلك، فضحك حتى بدت نواجذه .

وقيل أنشدها :

شهـــــدت بإذن الله أن محمـــــدا | رسول الـذي فوق السمــوات من عل
وان أبـــا يحيـــى ويحيـــى كلاهمـــا | له عمـــــل من ربــــه متقبـــــــل

وقيل انشدها:

وفينـــا رسول الله يتلـــــو كتابــــه | كما انشق مشهور من الصبح ساطع
اتى بالهـدى بعــد العمــى فقلوبنــا | به موقنــــات ان ما قال واقـــــع
يـــبيت يجافـــي جنبـــــه عن فراشه | كما استثقلت بالمشركين المضاجع (83)

قال بعضهم : الأول ليس لابن رواحة، وهو شهد إلى آخره.....

حكى المبرد عن اسحاق بن المفضل الهاشمي، قال : كانت لي جارية وكنت شديد الوجد بها، وكنت أهاب ابنة عمي فيها، فبينما أنا ذات ليلة على السرير، اذ عرض لي ذكرها فنزلت من اعلى السرير أريدها اذ ضربتني في طريقي عرقب، فرجعت إلى السرير مسرعا وأنا أتأوه، فانتبهت ابنة عمي وسألتني عن حالي فعرفتها أن عقربا لذغتني فقالت : أعلى السرير لدغتك العقرب ؟ فقلت : لا، قالت : فاصدقني الخبر، فأعلمتها، فضحكت، وأنشدت :

وداري إذا نــــــام سكانـــهـــــا | تقيــم الحـــــدود بهـــا العقـــرب
إذا رام ذوو الحاجـــــــة غفلـــــة | فـــــإن عقاربهــــا ترقـــــــب

= أحد النقباء الاثنى عشر ، وشهد بدرا وأحد والخندق والحديبية. واستخلفه النبي ﷺ على المدينة في احدى غزواته .
انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 4 : 217، والمصادر بالهامش 2.

(83) انظر القصة عند الحصري، **جمع الجواهر**، ص 31، والصفدي ، **الغيث المسجم**، 1 : 78.

ثم دعت جواريها وقالت : عزمت عليكن ان قتلتن عقربا بقية هذه السنة [84].

وفي كل رمضان يختم بين يديه **صحيح البخاري** لأنه أول مصنف صنف في الصحيح، ورجح على سائر الكتب المصنفة فيه، وبعده في رتبة الصحة : **صحيح** مسلم بن الحجاج، وبعض المغاربة مع أبي علي النيسابوري فضلوا كتاب مسلم على البخاري، لو نفعهم تفضيلهم ، ولم يعما **الصحيح**، اعني : البخاري ومسلما. وقال ابن الأخْرَم [85] : ما فاتهما منه إلا القليل، ورد هذا بقوله البخاري، احفظ من الصحيح مائة ألف حديث، ولعله أرادها مكررة، واماما في **صحيحه** من ذلك، فأربعة آلاف حديث غير مكررة، والمكرر فوق ثلاثة آلاف حديث بمائتين واثنين وسبعين حديثا على ما هو معهود عند اهل هذا الشأن، وفضائل هذا الكتاب شاعت قديما وحديثا بين الناس في المشرق والمغرب ــ نفع الله مولانا بنيته في ذلك ــ، وكثيرا ما تقرأ بين يديه كتب الحديث والتاريخ والسير والفقه وغير ذلك من أنواع العلوم، عاكف منكب على هذا وهو دأبه في كل وقت غير الأوقات التي ترجع إلى قيامه بشؤون رعيته وما يجب عليه من حقوق نسوته كما هي السنة ــ زاده الله حرصا على الطاعات، وعلى القيام بمعالم الطيبات ــ، ولقد حدثني بعض من اثق به أنه ــ ايده الله ــ في شهري رجب وشعبان يعتكف على تلاوة القرآن وأنواع العبادات.

وجاء فيما ورد في ذلك من الثواب : « وليصلها برمضان المعظم » ــ عامله الله بأحسن مما يعامل به ــ.

ولمحمد بن صالح بن أحمد الكناني الخطيب [86]، أصله من الاندلس واستوطن بجاية، كان عالي الرواية، عالما بالنحو والأدب واللغة، له :

جعلت كتاب ربي لي بضاعة ... فكيف أخاف فقرا أو أضاعهْ
وأعددت القناعة رأس مالي ... وهل شيء أعز من القناعهْ

حكي عن الاستاذ أبي سعيد بن لب [87] شيخ الخطابة والفتوى بغرناطة [88]، توفي

(84) انظر القصة عند الصفدي، **الغيث المسجم**، 2 : 3.
(85) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 8 : 17.
(86) انظر ترجمته عند أحمد الغبريني، عنوان الدراية، ص 104، والبيتان مثبتان مع الترجمة .
(87) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 3 : 265 ــ 268 رقم 1317 **لقط.** ص 220، والمؤلف المجهول، **طبقات المالكية**، ص 425.
(88) غرناطة : اختلفت آراء الباحثين في أصل هذه التسمية، فيرى البعض أن اسم غرناطة يرجع إلى عهد =

سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة (89)، أنه لما انقطع إلى الله تعالى وتحير أمره في أي شيء يلزم به نفسه من أنواع العبادة، فرأى قائلا ينشده هذا البيت :

اذا الاحبــــاب فاتهــــم التلاقــــي فمــــا صلــــة بأفضل من كتــــاب

وبعده :

وان ورد الكتــاب علــى صديــق فحــق واجب رد الجــواب

ففهم عن الله أنه أراد منه تلاوة القرآن ـــ رحمة الله عليه ـــ، وما عسى أن أذكر من مآثره ـــ أيده الله تعالى بمنه ـــ، والله الموفق.

= الرومان وأنه مشتق من الكلمة الرومانية (اللاتينية) Granata ، ومعناها الرمانة، وأنها سميت كذلك لجمالها وكثرة حدائق الرمان التي كانت تحيط بها (العلامة زيبولد في Ency. de l'Islam تحت كلمته (Grenade). وهذا ما يقرره الجغرافيون العرب إذ يقولون : إن معنى غرناطة الرمانة بلسان عجم الأندلس، سمي البلد بذلك لحسنه (انظر معجم ياقوت تحت كلمة غرناطة)، ويرى المستشرق الاسباني (سيمونيت) في ذلك رأيا آخر، إذ يقول أن المرجح أن الاسم يرجع إلى عهد القوط، وأنه مزيج من كلمة «ناطة»، وهم اسم قرية قديمة كانت تقع على مقربة من البيرة و «غار» والمقطع الذي أضافه إليها المسلمون فصارت غرناطة، أو سماها البربر كذلك عند نزولهم بها وهو اسم لاحدى قبائلهم .

انظــر :

— Simonet : Descripcion de Reino de Granada, Granada, 1872, pp. 40 — 41.

وهي تقع في وادي عميق، تمتد من المنحدر الشمالي الغربي لجبال سيرانيفادا، ويحدها من الجنوب نهر شنيل رافد الوادي الكبير، ويخترق رافده المدينة في الوسط، وإلى يمينه يقع حي «البيازين» وتقع قصبة الحمراء في الناحية الأخرى .

وقد سقطت غرناطة بالتسليم في يد الملكين الكاثوليكيين : فرناندو، وايزابيلا في 2 ربيع الأول عام 897 هـ الموافق 2 يناير 1492، وهي خاتمة الفتوح التي توجت فتوح الاسترداد (La Reconquista) لذلك تحظى غرناطة بمنزلة خاصة في نفوس الاسبان، وكذا في التاريخ الاسباني، فهي المرقد الأبدي لفاتحيها الكاثولكيين، ولهذا حباها ملوك الاسبان برعايتهم وفي مقدمتهم الامبراطور شرلكان الذي أسس جامعتها الشهيرة .

وغرناطة اليوم ولاية ومدينة، فهي تشمل مساحة قدرها 5000 ميل مربع يحدها البحر من الجنوب ومن الشمال ولاية قرطبة وولاية جيان، ومن الشرق ولايتا المرية ومرسية، ومن الغرب ولاية مالقة، وتخترقها جبال سيرانيفادا، ويرويها كل من نهر الوادي الكبير ورافده نهر شنيل، وجوها حار ولا سيما في الوديان المنخفضة وباردة في التلال وتربتها خصبة جدا ولا سيما في الغرب والجنوب، ويبلغ سكان الولاية 1.500.000 نسمة، تقريبا، ويتبعها من المدن وادي آش، واشكر، وشلو بانية، واجيجر، وبسطة، ومترايل، والحامة، وستنافيه، ولوشة، وحصن اللوز، ومونتي فريو، والمنكب، وأرجية، وغرناطة المدينة اليوم تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي :

انتكيرويلا، وغرناطة، والبيازين، وهي مدينة زراعية صناعية، يبلغ عدد سكانها اليوم 150.000 نسمة، وتمتاز بكثرة منشآتها العلمية والفنية. وقد تأسست جامعتها عام 1531 في عصر الامبراطور شرلكان وبارك المشروع البابا كليمنت السابع، وأصدر مرسوما بإنشاء الجامعة .

(89) 782 هـ توافق 1380 / 1381 م.

الباب الخامس عشر :

* في طهارة مجالسه العظيمة
مما هو مذموم من الغيبة والنميمة

أما هما فمحرمان بإجماع الأمة، قال الله تعالى : « ولا يغتب بعضكم بعضا » (1)، و «ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد» (2). وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » (3)، وعن أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : « لما عرج بي ربي ــ عز وجل ــ مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخدشون بها وجوههم وصدورهم، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم » (4)، وعنه ﷺ : « إن الغيبة لتفسد الايمان كما يفسد الصَّبِر العسل » (5)، وفي **الصحيح** : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » (6)، متفق عليه، وعنه ﷺ : « من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة » (7)، وعنه ﷺ :

---

* يحمل هذا الباب في « م » رقم 14، وهو خطأ واضح، إذا انه كرر رقم 14 مرتين، مرة في الباب السابق والمرة الثانية في هذا الباب، ونتج عن ذلك أن الأبواب اللاحقة في « م » ستحمل أرقاما ليست هي أرقامها الحقيقية، وهكذا فالباب 15 مثلا سيكون هو الباب 16، والباب 16 سيكون هو الباب 17 وهكذا.....

(1) الآية 12 من سورة الحجرات.

(2) الآية 18 من سورة ق.

(3) أخرجه البخاري في **الصحيح**، 7 : 104، ومسلم في **الصحيح**، 1 : 49، وكلاهما عن أبي هريرة.

(4) أخرجه أبو داود في **السنن**، 4 : 269 ــ 270، عن أنس بن مالك.

(5) أخرجه الديلمي في **مسند الفردوس** باللفط الآتي : « الحسد يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل ». انظر المتقى الهندي، **منتخب كنز العمال**، 1 : 266.

(6) أخرجه البخاري في **الصحيح**، 1 : 8، ومسلم في **الصحيح**، 1 : 48.

(7) أخرجه البخاري في الصحيح، 7 : 184، عن سهل بن سعد.

« إذا قلت في أخيك ما فيه مما يكره فقد اغتبته، وإن قلت ما ليس فيه فذلك البهتان » [8].

وقال عدي بن حاتم [9] : الغيبة مرعى اللئام، ولهذا قال بعضهم :

احـــذر الغيبـــة فهـــي ال فسق لا رخصة فيـــــه
إنمـــا المغتـــاب كال أكـــل من لحـــم أخيـــه [10]

وقيل : أول من اغتاب إبليس اغتاب آدم.

قال محمد بن حرب [11] : أول من عمل الصابون سليمان، وأول من عمل السويق ذو القرنين، وأول من عمل [الحيس] [12] يوسف، وأول من خبز الجرادق نمروذ، وأول من كتب في القراطيس الحجاج، وهو أول من بنى المدائن في الاسلام.

ولمحمود الوراق :

تحـــر من الطُّـــرْق أوسطهـــا وعـــد عن المـــوضع المشتبـــه
وسمـــعك ضن عن سمـــاع القبيـــح كصون اللســـان عن القـــول به
فإنك عنـــد استمـــاع القبيـــح شريك لقائلـــه فانتبـــه [13]

فمجالس مخدومنا مطهرة ــ والحمد لله ــ من هذه النقيصة الذميمة، والخصلة اللئيمة، حتى أنه ــ أيده الله ــ من شيمته ألا يقبل غيبة في أحد من خلق الله تعالى.

وأما النميمة فقد جاء في ذمها مالا يحصى كثرة من الآي والأحاديث.
قال تعالى : « ولا تطع كل حلاف مهين » [14]، « هماز مشاء بنميم ــ الآية » [15].

(8) أخرجه باختلاف يسير في اللفظ : مسلم في **الصحيح**، 8 : 21، وأبو داود في **السنن**، 4 : 269 ومالك في **الموطأ**، ص 698 رقم 1808، والترمذي في **السنن**، 3 : 126، وكلهم عن أبي هريرة.
(9) انظر ترجمته عند خ، الدين الزركلي، **الاعلام**، 5 : 8، والمصادر بالهامش 2.
(10) انظر البيتين عند ابن مرزوق، **المسند**، ص 172.
(11) عند الابشيهي في **المستطرف**، 1 : 83، محمد بن حزم.
(12) بالأصل القراطيس والتصويب من المصدر السابق، نفس الصفحة.
(13) انظر الأبيات في **المسند**، 172.
(14) الآية 10 من سورة القلم.
(15) الآية 11 من سورة القلم.

[والهماز : المغتاب، الذي يأكل لحوم الناس، الطاعن فيهم.
وقال الحسن البصري ــ رضي الله عنه ــ : هو الذي يغمز بأخيه في المجلس وهو من اللمزة [16].

وقال علي والحسن البصري ــ رضي الله عنهما ــ : العتل الفاحش : السيء الخلق.

قال ابن العباس : العتل الفاحش : الشديد المنافق.

وقال الكلبي : الشديد في كفره.

وقيل : الشديد الخصومة.

والزنيم : هو الذي لا يعرف من أبوه ؟

قال الشاعر :

زنيـــم ليس يعـــرف من أبـــوه بغـــيّ الأم ذو حسب لئيـــم [17]

وفي **الصحيحين** ــ البخاري ومسلم : « لا يدخل الجنة نمام » [18].
وينبغي لكل من حملت نميمة إليه وقيل له : قال فيك فلان كذا الا يصدق من نم إليه، لأن النمام فاسق وهو مردود الخبر، وأن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله ويبغضه في الله فإنه بغيض عند الله، والبغض في الله واجب، وإن لا يظن بالمنقول عن السوء (كذا) لقوله تعالى : « اجتنبوا كثيرا من الظن » [19]، روي أن النبي ﷺ قال : ألا أخبركم بشراركم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله، قال : من شراركم المشاءون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون العيوب [20].

وأما السعاية للسلطان فهي الخصلة المهلكة، والفعلة الحالقة، لأنها تجمع الخصال الذميمة، من الغيبة والنميمة، وتزيد بالتغرير بالنفوس والأموال، وخلاء المنازل وتبديد الشمل والأحوال، وتسلب العزيز عزه وتحط المكين من مكانته، فليتق الله ربه رجل ساعدته الأيام أن يصغي لساع أو يستمع لنمام [21].

---

(16) **المستطرف**، 1 : 84.
(17) **المستطرف**، 1 : 84.
(18) أخرجه البخاري في **الصحيح**، 7 : 86، ومسلم في **الصحيح**، 1 : 71، بلفظ قتات عوض نمام.
(19) الآية 12 من سورة الحجرات.
(20) أخرجه أحمد بن حنبل في **مسنده**، 6 : 459، عن أسماء بنت يزيد.
(21) **المستطرف**، 1 : 84 ــ 85.

ولصالح بن عبد القدوس (22) :

قل للـــذي لست أدري من تلونـــــه	**أنـــاصح أم علـــى غشٍّ يداجينـــــي**
إنـي لأكثـــر ممـــا سمتنـــي عجبـــا	**يد تشج وأخـــرى منك تأسونـــــي**
تغتابنـــي عنـــد أقـــوام وتمدحنـــــي	**في آخريـــن وكـــل منك يأتينـــــي**
(هـــذا شيئـــان قد نافـــيت بينهمـــا	**فاكفف لسانك عن ستمي وتزييني)** (23)

وكان الفضل بن سهل (24) يبغض السعاية، وإذا أتاه ساع قال له : إن صدقناك أبغضناك، وإن كذبناك عاقبناك، وإن استقلتنا أقلناك.

من نم في النـاس لم تومن عقاربـــه	**على الصديق ولـــم تؤمـــن أفاعيـــه**
كالسيـل بالليـــل لا يدري به أحـــد	**من أيـــن جاء ولا من أيـــن يأتيـــه**
الويـل للعهـد منـــه كيـــف ينـــقضه	**والويـل للود منه كيـف يفنيـــه]** (25)

« ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » (26)، وعنه ﷺ : « لا يدخل الجنة نمام » (27)؛ متفق عليه، وعن ابن عباس — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ مر بقبرين فقال : « إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، بلى، إنه كبير، اما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من البول » (28) ؛ متفق عليه.

---

(22) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 2 : 492 — 493 رقم 303، وم. بن شاكر، **فوات الوفيات**، 2 : 116 — 117 رقم 197.

(23) ما بين القوسين سقط من « م »، وقد ورد الشطر الأول من البيت هكذا : (هذا شيئان شتى منهما) وهو تحريف، والتصويب من **المستطرف**، 1 : 85. وانظر أيضا الراغب الاصبهاني، **محاضرات الأدباء**، 1 : 291، والاسحاقي، **لطائف أخبار الأول**، مخطوط غير مرقم.

(24) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 4 : 41 — 44، والمصادر بالهامش 529 من الصفحة 41 من نفس المصدر.
وانظر القولة في **المستطرف**، 1 : 85.

(25) ما بين المعقوفين سقط من « ز »، وانظر الأبيات الأخيرة في **المستطرف**، 1 : 85. وقد نسب الراغب الاصبهاني البيت الأول لابراهيم بن المهدي، انظر **محاضرات الأدباء**، 2 : 399.

(26) الآية 18 من سورة ق.

(27) أخرجه البخاري في **الصحيح**، 7 : 86، ومسلم في **الصحيح**، 1 : 71، بلفظ قتات عوض نمام.

(28) أخرجه البخاري في **الصحيح**، 2 : 103، ومسلم في **الصحيح**، 1 : 166 وكلهم عن ابن عباس.

والنميمة هي الافساد بالقول بين الناس، وشي للاسكندر واش فقال له : إن شئت قبلناك على صاحبك بشرط أن نقبله عليك، وإن شئت أقلناك فقال له : أقلني، قال : أقلناك على أن تكف عن الشر يكف عنك الشر.

قال الزاهد أبو بكر بن الوليد [29] : من العجب الذي لا عجب بعده أن الرجل يشهد عندك في تافه فلا تقبله حتى تسأل عنه، هل هو من أهل الثقة والعدالة والأمانة أم لا ؟ ثم ينم لك بحديث فيه هلاك وفساد فتقبله، وفي المثل السائر : من أطاع الواشي ضيع الصديق.

ومولانا — أيده الله — لم يقبل نميمة في أحد من خدمته قط، ويقول : اعلم واحق أن ذلك من الحسد.

ولبعضهم :

بنو الدنيا بجهل عظموها ... وجلت عندهم وهي الحقيرَهْ
يهارش بعضهم بعضا عليها ... مهارشة الكلاب على العقيره [30]

ومما جاء في النمام والكذاب ما لمحمود بن مروان بن أبي الجنوب [31]، وقيل إن هذين البيتين لمنصور بن تميم، المتوفى سنة ست وخمسين وثلاثمائة [32] :

لي حيلة فيمن ينم ... وليس في الكذاب حيلهْ
من كان يخلق ما يقو ... ل فحيلتي فيه قليلهْ [33]

---

(29) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 4 : 262 — 265 رقم 605، وأ. بن فرحون، **الديباج المذهب**، 2 : 244 — 248، رقم 43، وابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، 3 : 162 وأ. المقري، **نفح**، 2 : 85 — 90 رقم 46، **أزهار الرياض**، 3 : 162.

(30) البيتان لابن السادة. انظر أ. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، 1 : 36.

(31) في **المستطرف** : ابن أبي الجنود (بالدال بدل الباء).

(32) 356 هـ توافق 966 م / 967 م.

(33) تنسبهما أ. بن خلكان في **وفيات الأعيان**، 6 : 172 — 173، إلى أبي عبد الله محمد بن منيع. وانظر أيضا أ. المقري، **أزهار الرياض**، 1 : 14، و **المستطرف**، 2 : 8، والمسند، 177.

ولبعضهم :

لا تقبلـــن نميمـــة من قائـــل ... وتحفظـــن من الـــذي انباكهـــا
إن الـــذي أهـــدى إلـــيك نميمـــة ... سينـم عنك بمثلهـــا قد حاكهـــا (34)

ومما قيل في الصدق :

علـــيك بالصدق ولـــو أنـــه ... أحـــرقك الصدق بنـــار الوعيـــد
وابـغ رضى اللـه فأغبـــى (35) الـــورى ... من أسخـط المولـــى وأرضى العبيـــد

ولبعضهم :

لا يكـــذب المـــرء إلا من مهانتـــه ... أو فعلـــه السوء أو من قلـــة الأدب
لمص جيفـــة كلب خيـــر رائحـــة ... من كذبة المرء في جد وفي لعب (36)

ولصالح بن عبد القدوس :

من يخبـــرك بشتـــم عن أخ ... فهـــو الشاتـــم لا من شتـــمك
ذاك شيء لم يواجـــــهك به ... إنمـا اللـــوم علـــى من أعلـــمك (37)

ولآخـــر :

إن يعلمـوا الخيـر أخفـوه وإن علمـــوا ... شرا أذاعوا، وإن لم يعلموا كذبـوا (38)

---

(34) المسند، 177.
(35) في « م » : فاعيا، وانظر البيتين في المستطرف، 2 : 7.
(36) المستطرف، 2 : 9.
وقد وردت كلمة (لبعض) بدل (لمص).
(37) المستطرف، 1 : 86.
(38) انظر البيت عند م، الوشاء، الموشى، ص 11، والمستطرف، 1 : 86.

ولآخـــــر :

إن يسمعوا ريبـة طاروا بهـــا فرحـــا، منى، وما سمعوا من صالح دفنـوا (39)

وقال الحسن : ستر ما عانيت أحسن من إشاعة ما ظننت (40)، وقال عبد الرحمن بن عوف (41) — رضي الله عنه — : من سمع بفاحشة فأفشاها فهو الذي أتاها.

سئل كعب الأحبار عن السلطان فقال : ظل الله في أرضه من ناصحه اهتدى، ومن غشه ضل.

وأما الغيبة والنميمة في الكفار وأهل الشرك إذا كان لهم قرب من الملك فلا تحرم لأنهم قد يدسون في السلطان شيئا لا يصلح بالمسلمين فيطمئن لقولهم، فيفسد الاسلام بذلك، بل يجب عليه أن يتحفظ منهم جهده ولا يجعل لأحد من أهل الحرب من نفسه موطنا. ولا يتركهم يطيلون الاقامة في أرضه لئلا يطلعوا على غرات المسلمين وعوراتهم.

ومن هذا المعنى ما حكي عن أبي بكر الطرطوشي — رحمه الله — مع بعض ملوك عصره، وقد أعمل يهوديا، بل أوزره، وكان اليهودي يسعى في إذاية المسلمين حتى بلغ به حاله إلى إذاية الشيخ، فدخل على الملك في صورة الغضب، فوجد اليهودي جالسا، فأنشده الشيخ :

يا ملكـــا طاعتــــه لازمـــــه وحبـــــه مفتـــــرض واجب
إن الـــــذي شرفت من أجلــــه يزعـــــم هذا انـــــه كاذب

ثم قال له : سله عن مصداق ما أقول، فاشتد غضب الأمير على اليهودي وأمر بسجنه وضربه حتى مات (42).

ومثل هذه الحكاية حدثني بها شيخنا أبو راشد أن السلطان أبا محمد عبد الحق بن أبي سعيد المريني استوزر يهوديا، ثم انه ذات يوم أمسك امرأة من أهل « البيت » وأخذ في

---

(39) **المستطرف**، 1 : 86.
(40) نفس المصدر والصفحة.
(41) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 4 : 95. وانظر الأثر في **المستطرف**، 1 : 86.
(42) وردت القصة بشكل مغاير عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 4 : 262 — 263، وابن الأزرق، **بدائع السلك**، 2 : 553، وتتفق رواية **المنتقى** مع رواية **المستطرف**، 1 : 91، والمسند، ص 253.

ضربها بين يديه وهي تقول : أنا في كفالة جدي رسول الله ﷺ فلم يكف عنها، ويقول لها : ادعيه ليخلصك من يدي، فبلغ ذلك لخطيب القرويين أبي فارس عبد العزيز الورياغلي (43)، فاشتد غضبه وثار من حينه مع العامة سنة تسع وستين وثمانمائة على السلطان، فخلعه وبايعوا لمزوار الشرفاء بها محمد بن علي بن عمران الجوطي (44).

لكن هذا لا يحل فعله وإن صدر من أبي فارس المذكور، لأن الشيخ الولي الزاهد الناسك : أبا العباس أحمد زروق (45) ترك الصلاة خلفه لهذا، ويقول : عبد العزيز الغندور ــ أي الشجاع ــ لا تجوز الصلاة خلفه. توفي أبو العباس سيدي أحمد زروق سنة تسع وتسعين وثمانمائة (46)، وقد أقام في الخلافة الشريف الحفيد مدة، ثم عادت لربها، وحكاية هذا مشهورة فلا نطيل بذكرها. والخطيب أبو فارس هو : أبو فارس عبد العزيز بن موسى الورياغلي صاعقة الأرض، توفي سنة ثمانين وثمانمائة (47).

---

(43) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 3 : 127 ــ 128 رقم 1070، **جذوة**، 1 : 452 رقم 459، **لقط**، ص 266.

(44) قام آخر ملوك المرينيين عبد الحق بن أبي سعيد المريني بمذبحة رهيبة ضد الوطاسيين، وأسند الوزارة إلى اليهوديين : هارون وشاويل انتقاما من أهل فاس الذين تأكد انحرافهم عنه، فساءت سيرة اليهوديين وكثر تعسفهما، ومصادرتهما لأموال تجار المسلمين، وانتهى الأمر بثورة شعبية قضت على حياة اليهوديين وعبد الحق جميعا (869 هـ / 1465 م)، وبويع الشريف الادريسي محمد بن علي بن عمران الجوطي، لكن إمارة الأدارسة لم تدم طويلا إذ سرعان ما قام محمد الشيخ الوطاسي الناجي من المذبحة يدعو لنفسه في أصيلا ثم في فاس، فكانت له ولابنه من بعده السلطة، وقد قامت في العصر الوطاسي حملات عنيفة ضد اليهود قام بها على الخصوص الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي في مطلع القرن العاشر / السادس عشر الميلادي، والذي استنكر سيطرة اليهود على الاقتصاد وما خولهم من شفوف ودالة على رجال السلطة، وقد ألف في ذلك كتابه المسمى : **ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار**، وظلت بعض أفكار المغيلي يتردد صداها في المغرب طوال العهد السعدي فكان أبو القاسم بن خجو في الريف، وعبد الله بن علي بن طاهر الحسني في تافيلالت وغيرهما من العلماء الذين يرون رأي المغيلي.
انظر **تاريخ الجنابي**، ص 510، **الاستقصا**، 4 : 99، والعباس بن إبراهيم، الاعلام، 8 : 41 ــ 44، وم. حجي، **الحركة**، 1 : 268 ــ 270.

(45) انظر ترجمته في **فهرسه**، مخطوط م. ع، بالرباط عدد 3185 ك ضمن مجموع (من الصفحة 57 إلى الصفحة 96)، وعند م. بن عسكر، **دوحة**، ص 48 ــ 51 رقم 33، وأ. ابن القاضي، **جذوة**، 1 : 128 ــ 131 رقم 66، **درة**، 1 : 90 ــ 91 رقم 126، وشمس الدين السخاوي، **الضوء**، 1 : 222، وأبابا، **نيل**، ص 84، وم. بن مريم، **البستان**، ص 45 ــ 50، وعبد الله كنون، **النبوغ**، 1 : 207 ــ 208، سلسلة ذكريات مشاهير المغرب، العدد 23، ومحمد بن شقرون، **مظاهر الثقافة المغربية**، ص 75 ــ 77 وكذلك كتابه بالفرنسية :

— La vie intellectuelle marocaine, PP. 373-384.

(46) 899 هـ توافق 1493 / 1494 م.

(47) 880 هـ توافق 1475 / 1476 م.

واليهودية في القديم كانت في حِمْيَر قبل الاسلام، وكانت اليهودية أيضا في بني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة، والنصرانية في ربيعة وغسان وبعض قضاعة، وكانت المجوسية في تميم، وكانت الزندقة في قريش أخذوها من الجزيرة. قيل : أول من غير الحنيفية عمرو بن لُحَيّ أبو خزاعة (48)، وهو أنه رحل إلى الشام فرأى العماليق تعبد الأصنام، فأعجبه ذلك فقال : ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدونها ؟ قالوا : هذه أصنام نستمطرها فتمطرنا ، ونستنصرها فتنصرنا فقال : أعطوني منها صنما أسير به إلى أرض العرب فيعبدوه، فأعطوه صنما يقال له : هبل، فقدم به مكة، فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه (49).

واعلمْ أن النميمة تفسد الدول وتخرب الملك، وتفسد القلوب، ومن استقرى هذا علمه، فإذا كانت مفسدة للبواطن فأحرى الظواهر لأنها توابع لها، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

---

(48) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 5 : 257.
(49) **المستطرف**، 2 : 88.

الباب السادس عشر :

* في اقالته العثرات
وعفوه وصفحه عن أكابر السيئات

* يحمل هذا الباب رقم 15 في « م »، وهو خطأ واضح، وذلك نتيجة للملاحظة السابقة أي تكراره رقم 14 بمرتين.
وقد سقط الباب بأتمه من « ج »، إذ يوجد بعد الباب الخامس عشر مباشرة بياض بمقدار 4/3 الصفحة وكتب فيها : « ها هنا سقط في النسخة المنسوخ عنها ».

أما فضيلة هذه المنقبة العظيمة فمعلومة عند كل أحد. قال الله تعالى : « ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة » (1)، وفي **الصحيح** عنه ﷺ انه قال : لا يستر عبد عبدا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة » (2)، ولبعض الحكماء : من ستر عورة أخيه ستر الله عورته.

اما مخدومنا أيده الله تعالى فهو الحظ الناس وأشدهم حياء وأرعاهم لذوي البيوتات وأشدهم اقالة بذوي العثرات، وهو متصف بهذا ظاهر للعيان، ويعلمه الخصوص والأعيان، ومن هذا المعنى أن بعض الناس وشي به عنده، وقيل عنه أنه مشتغل بأمور لا تليق في جانب السلطان — أبقى الله وجوده، وأدام سعوده — فاشتد خوفه لذلك وكان ببلاد الكفرة، فاجتمعت به حال اسري وذكر لي من أمره وخوفه من المخدوم — أيده الله تعالى ما هزه اهتزاز الورَق، وأذاب أكباده من الفَرَق، فأمنت روعته، وأسكنت غرته، وأعلمته بما لمولانا من الفضل والحلم والاغضاء والتجاوز عن الزلات، وعدم مؤاخذته بالسيئات، وانه ممن لا يقبل الغيبة والنميمة في أحد، فسكن حينئذ خوفه، وذهب حزونه وأرقه، فكاتبت مولانا — أيده الله — من بلاد العدو في شأن الرجل، فأمن روعته، وستر عورته، وعامله — أبقاه الله — بعد وصوله إليه بمعاملة جميلة، وراعاه أحسن مراعاة وقضى حوائجه كلها، والرجل المذكور هو الواسطة بيني وبين النصارى في خلاصي من ربقة

---

(1) الآية 19 من سورة النور.
(2) أخرجه مسلم في **الصحيح**، 8 : 21، عن أبي هريرة.

الاسر بمال المخدوم ــ أيده الله تعالى ــ.

فها أنا حسنة من حسناته، وما أنا في حسناته إلا واحد من جم، أو نقطة من يم، فانظر إلى عظمة هذا الملك ــ أعلى الله مقامه، وجعل أعيادا لياليه وأيامه ــ. ومن هذا النمط : قضية أبي عبد الله محمد بن أبي زيد عبد الرحمان سقين شيخ شيخه رضوان بن عبد الله الجنوي المتقدم ذكره، كان قد ولاه خطة النظارة على مال الأحباس بمراكش المحروسة وبقي في الخطة المذكورة أعواما، ثم أن قاضي الجماعة أبا القاسم بن علي الشاطبي أعلم المخدوم ــ أيده الله ــ بأمور توجب عزله من عدم قيامه بالأحباس وانه أضاع الأموال وبددها في غير وجهها وقد ترتب في ذمته منها ما ينيف على الخمسين ألفا. فلما علم بذلك ووقف على صحته، لم يحاسب الرجل حياء منه لكونه ابن شيخ شيخه، فتجاوز عنه وأبقاه على ديوان الرماة، لأنه كان بيده قبل ولم يواجهه بقبيح ولا جعل السبيل لا حد عليه بمحاسبته أو غيرها إلى الآن ــ أبقى الله وجوده للمسلمين بمحمد وآله ــ.

ومن هذا المعنى كثير لو تتبعته واحدا واحدا لطال الديوان، والمقصور انتهاز الفرصة من مآثره الجميلة، ومفاخره الجليلة، وما منعه من مثل ما تقدم، أي المؤاخذة، إلا الحياء والستر على الناس ــ عامله الله بكل جميل بأعضائه وستره على رعيته ــ.

هكذا هكذا والا فلالا

فانظر إلى هذه المنقبة العظيمة، والخصلة الكريمة، التي اختارها الله إليه، وجعلها مقصورة عليه.

الباب السابع عشر :

* في قبوله المعذرة
وعفوه بعد المقدرة

---

* يحمل هذا الباب رقم 15 في « م » وهو خطأ واضح وذلك نتيجة الملاحظة السابقة، أي تكراره الرقم 14 مرتين. وفي « ج » يحمل الباب رقم 18 وهو خطأ واضح كذلك ويرجع هذا، بالنسبة لنسخة « ج »، إلى البياض الموجود مباشرة بعد الباب الخامس عشر، إذ يبدو أن الناسخ لم يستطع أن يحدد بالضبط عدد المفقود من الأبواب، فقدرها ببابين عوض باب واحد.

أما هذه الخصلة العظيمة فقد روي فيها فضل عظيم، فمن ذلك ما روي عنه ﷺ انه قال : « من اعتذر إليه أخوه المسلم فليقبل معذرته ما لم يعلم كذبه » (1)، والآثار في الباب كثيرة، وعنه ﷺ : « ألا أنبئكم بشراركم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله، قال : من لا يقيل عثرة، ولا يقبل معذرة، ألا أنبئكم بشر من ذلكم ؟ قالوا : بلى، قال : من يبغض الناس ويبغضونه » (2).

وقال علي — رضي الله عنه — « الصحبة اقالة العثرة، ومسامحة العشرة، والمواساة في العسرة ».

وللبحتري (3) :

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا ... أبر فيما أتى من ذاك أو فجرا
فقد اطاعك من يرضيك ظاهره ... وقد أحبك من يعصيك مستترا

ولبعضهم :

وما كنت أخشى أن تُرى ليَ زلةٌ ... ولكنْ قضاء الله ما عنه مهربُ
إطا اعتذر الجاني محا العذر ذنبه ... وكل امرىء لا يقبل العذر مذنب (4)

---

(1) أخرجه الطبراني في **المعجم الكبير**، والبيهقي في **شعب الايمان** باللفظ الآتي :
« من اعتذر إليه أخوه بمعذرة فلم يقبلها منه كان عليه من الخطيئة مثل صاحب مكس ».
انظر الجلال السيوطي، **الجامع الكبير**، 3 : 31.

(2) أخرجه الطبراني في **المعجم الكبير** عن ابن عباس باختلاف يسير في اللفظ.
انظر ج. السيوطي، **الجامع الكبير**، 1 : 622.

(3) انظر **ديوان البحتري**، 2 / 1105 (بتحقيق كامل الصيرفي)، بزيادة بيت، وينسبان كذلك للشافعي، انظر **ديوانه**، 44 — 45، ونسبا في **ديوان الصبابة** لابن حجلة المغربي، ص 136، **وتزيين الأسواق** لداوود الأنطاكي، ص 208، لابن المعتز.

(4) انظر البيتين في **المسند**، ص 196.

وكان يقول : من وفق لحسن الاعتذار خرج من الذنب.

ومن حسن الاعتذار ما وقع لرجل مع المامون، ذكر أنه قال ليحيى بن أكثم (5) يوما : سر بنا نتفرج، فسار، فبينما هو بالطريق وإذا بمقصبة خرج منها رجل بغتة للمامون يتظلم له، فنفرت دابته فألقته على الأرض صريعا، فأمر بضرب ذلك الرجل، فقال : يا أمير المومنين، امهل علي حتى أكلمك وافعل ما بدا لك، فقال : قل وأوجز، فقال : يا أمير المومنين، ان المضطر يركب العصب من [الأمور] (6) وهو عالم بركوبه، ويتجاوز حد الأدب وهو كاره لتجاوزه، ولو أحسنت الأيام مطالبتي لأحسنت مطالبتك، ولأنت علي رد ما لم تفعل أقدر على رد ما قد فعلت، قال : فبكى المامون وقال : بالله أعد علي ما قلت، فأعاده، فالتفت المامون إلى يحيى [وقال] (7) : اما تنظر إلى مخاطبة هذا الرجل في أصغريه، والنبي ﷺ يقول : « المرء بأصغريه : قلبه ولسانه » (8) والله لا وقعت له إلا وأنا قائم على قدمي، فوقع له، وأمر له بصلة جزيلة، واعتذر إليه، فلما هم المامون بالانصراف قال : الرجل : يا أمير المومنين، بيتان حضرا، ثم أنشده :

ما جاد بالوفـر إلا وهـو معتـذر ... ولا عفـا قط إلا وهـو مقتـدر
وكلمـا قصدوه زاد نائلـه ... كالنـار يؤخذ منهـا وهـي تستعـر

ومن ذلك أيضا ما قيل : ان بعض الحكماء لزم باب كسرى في حاجة دهرا، فلم يصل إليه، فكتب أربعة أسطر في رقعة ودفعها للحاجب، فكان السطر الأول : الضرورة والأمل اقدماني عليك، والسطر الثاني : العديم لا يكون معه صبر عن مطالبة، والثالث : الانصراف من غير فائدة شماتة الأعداء، والرابع : إما نعم مثمرة، وإما لا مريحة. فلما قرأها كسرى وقع له في كل سطر بألف دينار (9).

---

(5) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 6 : 147 — 165، والمصادر بالهامش 793 من الصفحة 147 من نفس المصدر.

(6) ما بين العقوفين سقط من « ز ».

(7) ما بين المعقوفين سقط من « ز ».

(8) لا يوجد الحديث في المصادر الحديثة الواردة عند الجلال السيوطي في **الجامع الكبير**، ولا عند أ. ي. ونسنك في المعجم المفهرس، غير انه يوجد عند الابشيهي في **المستطرف**، 2 : 56. ويبدو من خلال ذلك أن ابن القاضي أخذ الحديث أثناء أخذه للقصة من المصدر السابق. وعلى كل فالقول يوجد عند الميداني في **الأمثال**، 2 : 250، وهو قول الشاعر :

وإنما المرء بأصغريه ... كل امرىء رهن بما لديه

(9) **المستطرف**، 2 : 57.

ولمحمـــود الوراق :

أرانـــي إذا ما زدت مالا ورغبـــة وخيرا إلى خيـر تدبـرت في الشر
فكيف بشكـر اللــه إذ كنت إنمـا أقوم مقـام الشكـر للــه بالكفـر
بأي اعتـــذار أو بأيـــة حجـــة يقول الـذي يدري من الأمـر ما أدري
إذا كان وجــه العـــذر ليس بواضح فإن اطراح العذر خيـر من العـذر (10)

ولبعضهم في الاعتراف لله تعالى :

أيـــا رب قد أحسنت بدءا وعـــودة إليَّ فلم ينـهض بإحسانك الشكـــر
فمــن كان ذا عذر لديك وحجـــة فعذريَ إقـراري بأن ليس لي عذر (11)

وللنابغة :

حلفتُ فلـم أتـرك لنـفسك ريبـةً ولـيس وراء اللــه للمـــرء مهـــربُ
فلست بمستبــــق أخاً لَا تَلُمُّـــهُ عَلَى شَعَثٍ أيُّ الرجال المُهَذَّبُ ؟ (12)

اعلم انه ــ أيده الله ــ لين الجانب، قليل العتاب، أسرع الناس قبولا للمعاذر وإقامة الحجج للجاني، وقد قدمنا ما هو عليه من الحياء، ولا شك ان الحياء والحشمة يمنعان المتصف بهما من استقصاء الزلات، وعدم اقالة العثرات، فحدث عن البحر ولا حرج، فهو الغيث إن استمطر، والليث إن استنصر، إن استقيل أقال، وإن استنيل أنال، فهو لرعيته رحمة ولمن ناواه وبال.

---

(10) المسند، ص 195.
(11) البيتان أيضا لمحمود الوراق.
انظر م. بن شاكر، فوات الوفيات، 4 : 81، والمسند، 196.
(12) البيتان من قصيدة يعتذر فيها النابغة للنعمان بن المنذر، مطلعها :

أرسما جديـــدا من سعـــاد تجـــنب عفت روضة الأجـداد منهـــا فيثـــقب

والبيتان المذكوران هما :
البيت 18 من القصيدة، والبيت 24 من نفس القصيدة انظر ديوان النابغة، ص 76 ــ 78.
ملاحظــــة :
رواية الديوان (مذهب) عوض (مهرب).

تمَّ الجزء الأوَّل ويليه الجزء الثاني.

المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور

لأحمد بن القاضي

دراسة وتحقيق

محمد رزوف

الجزء الثاني



ص.ب : 239 ـ الرباط.
الهاتف: 265.24

المنتقى المقصور
على
مآثر الخليفة المنصور

لأحمد بن القاضي

دراسة وتحقيق

محمد رزوف
كلية الآداب والعلوم الإنسانية (١)
الدار البيضاء

الجزء الثاني



ص.ب: 239 ـ الرباط.
الهاتف: 265.24

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الايداع القانوني
1986 / 228

الباب الثامن عشر:

* في قبوله للشفاعات ومبادرته لقضاء الحاجات

أما ما روي في هذا الباب ومن هذا القبيل قوله ﷺ : « من بَلّغَ حاجة من لم يستطع إبلاغها ثبت الله قدميه على الصراط يوم القيامة » (1) ، وعنه ﷺ :« اشفعوا تُؤجروا ــ الحديث » (2) ، وعنه ﷺ : « ليرفع إلي عرفاؤكم أمركم » (3) ، وعنه ﷺ : « استعينوا على حوائجكم بالكتمان ، فإن كل ذي نعمة محسود » (4) .

وقال خالد بن صفوان (5) : لا تطلبوا الحوائج عند غير أهلها ، ولا تطلبوها في غير حينها ، ولا تطلبوا ما لا تستحقون منها ، فإن من يطلب ما لا يستحق استوجب الحرمان (6) .

وقال بعضهم : إذا طلب عاقل إلى كريم حاجة قضيت لأن العاقل لا يطلب إلا ما يمكن ، والكريم إذا سئل ما يمكن لم يمنع (7) .

---

* سقط الباب بأتمه من « م » و « ج » ، ويوجد فقط في « ز » ، والنسخ الثلاث المذكورة هي النسخ المتوفرة لدينا لحد الساعة .

(1) ذكره القاضي عياض في **الشفا**،1 : 136، باللفظ الآتي : « أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغي فإنه من أبلغ حاجة من لا يستطيع إبلاغها آمنه الله يوم الفزع الأكبر » .

(2) أخرجه البخاري في **الصحيح**،2 : 118.

(3) أخرجه البخاري في **الصحيح**، 3 : 62، وأحمد بن حنبل في **مسنده**، 4 : 327، عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة، باللفظ الآتي : « فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم » .

(4) أخرجه الطبراني في **المعجم الكبير**، **والأوسط**، **والصغير** وأبو نعيم في **الحلية**، والبيهقي في **شعب الايمان**، وكلهم عن معاذ بن جبل. أنظر ج. السيوطي، **الجامع الكبير**،1 : 196.

(5) أنظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 2 : 338، والمصادر بالهامش 1.

(6) **المسند**، ص 198.

(7) نفس المصدر والصفحة .

ولبعضهم :

للخيـــر أهـــل لا تـــزا | ل وجوههـــم تدعـــو إليــــه
طوبـــى لمـــن جرت الأمـــو | ر الصالحـــات علـــى يديـــه

وقال رجل للعباس بن محمد [8] : أتيتك في حاجة صغيرة ، قال : اذن فاطلب لها رجلا صغيرا [9] .

قال يونس :

أنـــزلت بالحـــر إبراهيـــم مسألـــة | أنزلتهـــا قبـــل إبراهيـــم باللـــه
فإن قضى حاجتـــي فاللـــه يشكرهـــا | هو المقدرهـــا والآمر الناهـــي
إذا أبـى اللـــه شيئـــا ضاق مذهبـــه | على الكبير العريق القـدر والجـاه [10]

قال محمد بن واسع [11] لقتيبة بن مسلم [12] : إني أتيتك لحاجة رفعتها إلى الله قبلك ، فإن أذن الله فيها قضيتها وحمدناك ، وإن لم يأذن فيها لم تقضها وعذرناك . وقال جعفر بن محمد [13] ـــ رضي الله عنه ـــ : حاجة الرجل لمن أحب فتنة لهما ، إن أعطاه شكر من لم يعطه ، وإن منعه ذم من لم يمنعه [14] .

ومما قيل في سؤال الحاجة من الكريم :

وإذا طلـــبت إلـــى كريـــم حاجـــة | فلقـــاؤه يكفـــيك والتسليـــــم
وإذا طلـــبت إلـــى لئيـــم حاجـــة | فألـــح في رفـــق ولست ثريـــم [15]

(8) أنظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي ،**الأعلام** ،4 : 38، والمصادر بالهامش 3 .
(9) **المسند** ،ص 199 .
(10) **المسند**،ص 198 .
(11) أنظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي ،**الأعلام** ، 7 : 358، والمصادر بالهامش 1 .
(12) أنظر ترجمته عند أ. بن خلكان ،**وفيات الأعيان** ،4 : 86 ـــ 91 ، والمصادر بالهامش 542 من الصفحة 86 من نفس المصدر .
(13) أنظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي ،**الأعلام**،2 : 121، والمصادر بالهامش .
(14) **المسند**،ص 198.
(15) **المسند**، ص 199 .

ولبعضهم في منع طلبها من لئيم :

لا تطلبـــن إلـــى لئيـــم حاجـــة ... واقعـــد فإنك قائـــم كالقاعـــد
يا خادع البخــــلاء عن أموالهـــــم ... هيهات (تضرب في حديد بارد) [16]

أخذه من قول القائل :

إن كنت تطمع في عصيدة [جعفر][17] ... هيهات (تضرب في حديـــد بارد)

ويعني [بجعفر : جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي] [18] ، المهجو بقول الشاعر :

لقد غرنـــي من [جعفـــر] باب داره ... ولـــم أدر أن اللـــؤم حَشْوُ إهَابِـــهِ
ولست وإن أخطأت في مدح [جعفر] ... بأول إنسان خرى في ثيابـــــــه [19]

وأقبح منه فيه :

ياسائلـــي عن خالـــد عهــــدي به ... رطب العِجـــان وكفـــه كالجلمـــــد
(كالأقحـــوان غَداةَ غِبِّ سمائِـــــه ... جَفَّتْ أعاليـــه وأسفلـــه نَدِي) [20]

---

(16) نفس المصدر والصفحة .

(17) بالأصل (خالد) وهو تحريف ، وسيتضح فيما بعد أن المقصود هو جعفر لا خالد .

(18) جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي (150هـ ــ 187هـ / 767م ــ 803) وزير الرشيد العباسي وأحد مشهوري البرامكة ومقدميهم ، ولد ونشأ في بغداد واستوزره هارون الرشيد ملقيا إليه أزمة الملك، فانقادت له الدولة ، يحكم فيها بما شاء فلا ترد أحكامه إلى أن نقم الرشيد على البرامكة نقمته المشهورة فقتله في مقدمتهم ، وكانت لجعفر توقيعات جميلة ، وهو أحد الموصوفين بفصاحة المنطق وبلاغة القول وكرم اليد والنفس. أنظر **تاريخ الطبري** ،حوادث سنة 187 هـ ، وابن كثير ،**البداية والنهاية**،1 : 189، وأ. بن خلكان ،**وفيات الأعيان**، 1 : 328ــ346 رقم 132، **والنجوم الزاهرة**، 2 : 123.

(19) البيتان لأبي نواس قالهما في جعفر بن يحيى البرمكي .
أنظر **ديوان أبي نواس** ص 555، وبهاء الدين العاملي ، **الكشكول**، ص 685، والحسن اليوسي ،**المحاضرات**، ص 218.

مـلاحظـة :

بالأصل : (خالد) ، والتصويب من الديوان والمصادر الأدبية التي أوردت الخبر .

(20) البيتان لابن الرومي .
أنظر ابن رشيق ،**العمدة**، 2 : 65، وا. الحصرى، **زهر الآداب**،1 : 234 وصالح بن شريف الرندي، **الوافي**، ص 174 .
=

وأنشدنيه صاحبنا وما قبله : الفكاهة الحافظ إمام الدين القاسمي الحليلي ، وقد أقمت في صحبته ومعرفته سنين متعددة ، فلا يمر علي يوم معه إلا وأستفيد منه شيئا ما استفدته قبل ، وهذه من خصائصه .

وحدثني عن بعض الحلبيين أنه حلاه بمثل ما حلانيه به ، وبالجملة فالرجل باقعة دهره كالأرض الطيبة لا يعرفها إلا من خالطها .

أنشدني شيخنا أبو العباس المنجور ــ قدس الله روحه ، وبرد ضريحه ــ :

ولا بد من شكوى إلـــى ذي مروءة — يواسيك أو يُسْلـــيك أو يتوجَّـــعُ
وإياك والشكوى إلـــى ذي ملامـــة — يحاكيك أو يحكيك أو يتوقـــع [21]
.... — ....[22]
ثمورُ سمـــاء النَّقْـــع فوق جحافـــل — لها من عبـــاب العاديـــات سيـــولُ
وشُهْبُ القنافـــي جوهـــا تستعدُّهـــا — لرجـــم شياطيـــن العـــداة مُجـــولُ

ومنهـــا :

تخـــالُ قنابيـــل الكُمـــاة سحائبـــا — يقوم مقـــام الرعـــد فيهـــا صهيـــل
لبسن حديـــدا ثم ألـــبسن للعـــدا — حِدادا بهـــا غِنَـــا الغوانـــي عويـــل
إلـــى كل خرساء الكتـــائب جَرُّهَـــا — أمـــام شروب مرهـــق وأكـــول
إذا جَرَّدَ البيض الرقـاق كسا الـــردى — ببـــيضٍ ضِخـــامٍ ثكلهـــن جليـــل
يُعيـــنُ السيـــوف من بوادر عزمـــه — مَضَاءٌ يفـــل الجـــيش وهـــو يَهُـــولُ
همـــام تلازم المناجـــح رأيـــه — لزوم نتائـــج القيـــاس دليـــل

= وفي البيتين تضمين، إذ ضمنهما بيت النابغة من قصيدته التي يصف فيها المتجردة امرأة النعمان ، والتي مطلعها :

أمـــن آل ميـــة رائـــح أو مغتـــد — عجـــلان ذا زاد وغيـــــر مزود

أنظر **ديوان النابغة الذبياني**، ص 37 .

(21) أنظر البيتين عند أ. بن القاضي، **درة**، 1 : 162، والبلوي، **تاج المفرق**،1 : 271، والصفدي ،**الغيث المسجم** ،1 : 94.

(22) بياض بالأصل بمقدار صفحة، وهي الصفحة 181 من « ز » .

ومنها :

حليف الندى طورا بمال وتارة ... بماء الرقاب والمنايا تجول
يُفيضُ ينابيع النوال كما يرى ... يُضيف نسور الجَوِّ حين يصول
فكم أنبتت ورد الجراح جداول الـ ... صفاح وللموت الزؤام مَقِيلُ
بأيدي القنايجني النفوس وكل ما ... تناسل منها لِلْقِطَاف يؤول

ومنها :

هلموا إلى حوض النبوءة حوله ... من العدل دوح ظلهن ظليل
مضى زمن كان السواد شعاره ... وأقبل دهر بالبياض يدول
كما جَبَّ سيف الصبح أسنمة الدجى ... وفر أمام المرهفات ذليل
شعار بني العباس ليل وصحبه ... لذى بني بنت الرسول مثيل (كذا)
فتلك غياهيب الليالي تفرقت ... وهذى شموس مالهن أفول
أنجل الملوك الصيد صفوة هاشم ... شواهد هاتيك الفروع أصول
متون الليالي يمتطون سوابقا ... لها غرر من عدلهم وحجول
يشبون في أعلى ذرى المجد نارهم ... عقود الثناء ما عليها عدول

ومنها

إليك أتت تختال في حَلْيِ نَظْمِهَا ... تميل بها عند المشيد شمول
ألوفَةُ مَغْنًى من بديعك مُشْتَهىً ... لها بحماه بكرة وأصيل

ومنها :

فدم ولك النصر الذي دوخ الدنا ... قويا وعزم المعتدين هزيل
تغني بأوراق الندى سواجع الـ ... فصاح كَوُرْقٍ بينهن هديل
وحولك أوتاد البنين الألى بهم ... مطاليب فسطاط المعالي تطول
خصوصا ولي العهد والموئل الذي ... يبيت الثناء عنده ويقيل

ختامهـا :

فدونكهـا والثلـج في صفحاتهـا فإن بردت فالعذر فيها جميـل [23]

ووجه ختامه بما ذكر أن أمير المؤمنين قدم من حمراء مراكش المحروسة في أوان البرد والشتاء ، وجاز عليهم ثلج مفرط حتى كاد أن يتلف جل الجيش من ذلك ، ومات منهم جماعة لا يحصى عددهم كثرة ، وغيب الأخبية ، وأتلف دواب كثيرة لا تحصى وأموال طائلة ، وكان ذلك في أواخر صفر عام سبعة وتسعين وتسعمائة [24]، وكان من رأي مولانا السعيد — الذي أصلح به البلاد والعباد ، وسدده به إلى الرشاد — ما ألهمه الله من الرجوع لمكناسة الزيتون ، فأعتق بذلك رقاب المسلمين — أبقى الله وجوده ، وأدام سعوده — في أوائل ربيع النبوي من عام تاريخه [25]. ثم لما أن رفع الله ذلك ، وفد على المدينة البيضاء كلاها الله بمنه وكرمه في يوم ....[26] ، وقمت بين يديه بقصيدة في يوم الميلاد المذكور ، مطلعها :

هل بارق من حيكـم يتألـق أو وجه ليلى في الغياهب مشرق
إن الغريـرة قد تكامـل حسنهـا وزها على الأقطار منها الـمشرق
سلسلت مطلق عبرتـي شوقـا لهـا إنـي أسيـر حيث دمعـي مطلـق
جسمي جوى ضدين من كلفي بها طَرْفٌ غريـق لي وقـلب مُحْـرَقُ
فأخـال لمس الفرقديـن ميسرا ووصالهـا مع قربـه لا يلحـق
لكـن وإن بعـدت دياركـم فقـد يدنيكـمُ زور الأمانـي فأقلـق
يا جنة الفـردوس يا نيـل المنـى ما حيلتـي من عَبْـرَةٍ تترقـرق؟

---

(23) يبدو أن هذه القصيدة لمحمد بن علي الفشتالي، اعتمادا على ما يأتي :
أولا : قول ابن القاضي في **المنتقى** : « لما وجهه مولانا إلى الاسطنبول في سنة 997 هـ » ، والمعلوم أن المنصور أرسل محمد بن على الفشتالي صحبة أبي الحسن التمجروتي كسفير إلى السلطان العثماني مراد الثالث في نفس السنة .
أنظر **النفحة المسكية في السفارة التركية**، ص 11.
ثانيا : قول ابن القاضي : « ولد أبقاه الله — سنة 956هـ » وهي نفس السنة التي ولد فيها محمد بن علي الفشتالي .
أنظر **لقط الفرائد**، ص 302 .

(24) أواخر صفر عام 997 هـ يوافق شهر يناير عام 1589م .

(25) أوائل ربيع النبوي من سنة 997 هـ يقابل شهر يناير سنة 1589 م .

(26) بياض بالأصل .

إن كان يرضيكم هلاكي في الهوى فلحالتـــي رق العـــــدو الأزرق
تيهـي دلالا في جمـــالك وأرفلـــي إن عملك الـحسن فخـالك يعبـق
فبخـالك المسكـــيِّ والركنيـــن لا تُقْصي محبـا من فراقك مشفـــق
إنـــي أمنـــي النـــفس زورة حجركـــم وحطيمكـــم حيث الـــرضى يتدفـــق
هذا الــذي أبقـــى لنـــا رمقـــا به أنفاسنـــا بيـــن الجوانـــح تخفـــق
ياهـل ترى أسعى ولـــو عن مقلتـــي لضريـــح من بالمعجــــزات مُصَدَّقُ

ومنهـا :

يا من لواء الحمـــــد معقـــــود له أنت الـــرسول الهاشمـــيُّ المعـــرق
قد لَذَّلـــي ذُلِّـــي لعـــز جمالـــه وغرامـــه بيـــن الجوانـــح محـــرق

ومنهـا :

صلى عليك الله ما طلـعت ذُكـا وأميـــل في البستـــان غصن مورق

ومنها تخلصا :

يامـــن له ذنب عظيـــم مثقـــل انـــزل به المختـــار فهـــو الدريـــق
أو فاعْلَقَـــنْ ببنيـــه تظفـــر بالمنـــى لا خيـر في شخص بهـــم لا يَعْلَـــقُ
لا تقنطـــي يا نفس ممـــا قد مضى إنِّـــي عَلِـــقْتُ بهـــم وَإِنِّـــي مُعْتَـــقُ
إذ لُذْتُ بالمنصور نجلِ المصطفـــى طَوْدٌ إلـــى شمس المكـــارم مشرق
هل حمـــده المَـــنْشُوقُ إلا جوهـــرٌ بل حمـــده المَـــنْشُوقُ زَهْـــرٌ يَعْبَـــقُ

ومنهـا :

أبطـأت حِلْمًا إنْ تُؤاخـــذ من هفـــا لَكِـنْ إلى الصفـح الجميـــل تسبـــق

ومنهـا :

كم أضحك الخيـــرات وسط يمينـــه وأسال عبـــرة كل سيـــف يخفـــق
ليث الشرى غيث الـــورى لكـــن له جد كريـــم هاشمـــي معـــرق

أخصبتَ ربعـــا للمكـــارم ماجـــــد وبنـــيت ركنـــا للعـــــلاء مُنَمَّـــقُ
وافترَّ ثغر الدهر إذْ سُسْتَ الدنـــا إن العـــــراق لعدلكـــــــم يتشوق
أبـــديت في الآفاق عدلا ضافيــــا تقفوكـــم الأمـــلاك فيــــه وَتَعْلَـــقُ
سحـــبت به غر الليالــــي حُلّـــةً كالغانيـــات سَحَبْـــنَ بُرْداً يَأْلَـــقُ
يَهْنِيكم الميـــلاد من بيـــن الـــورى للقائكـــــم دون البريـــة يقلـــق
ضخـــم من الأيــــام أكـــرم وِرْدَهُ ضخـــم من الأمـــلاك غيث مغـــدق
قصدا به تعظيـــــم مولــــــد جده من حسنـــه منـــه الأزاهـــر تُنْشَقُ
لا زال في عيـن العلـــى حَوَراً وفـــي أنْفِ الهدى شمسا وعـــدلك يشرق
ما أعطفت عطف القضيب يد الصَّبَا والطير يرقص والميـــاه تصفـــق (27)

وأما الكاتب المذكور فله نظم رائق ، وغرر قصائده ضاعت مني في محنتي وما استدركتها بعد خروجي ، لعوائق منعت من ذلك ، لأن الليالي لا تصفو لأحد .

هيهات أن يُتدارك ما قد فات

ولقد خاطبه الفقيه أبو العباس بن علي الزموري ببيتين ، وهما :

أنجَـلَ عَلِـيٍّ نِعِـــمْتَ صباحـــا وخُـوِّلْتَ سعـــدا يُثيـــر فلاحـــا
فمالــــــي أراك قد أغفلتنــــــــي وحالـــي إلـــيك يروم ارتياحـــا

فأجابه بما نصه : « فهاك بعض مراجعة تحقق بعض ما أنا عليه من ودادك ، والبلغة ببعض فاضل زادك ، وإن كنت قد جاريت الوجيه (28) بهجين ، وقابلت الفالوذج بعجين » ،ثم أتبعه بأبيات فقال:

أعيـــذك من شر ليـــل العتـــاب فضوء السرور يلـــوح صباحـــا
رمتنـــي سهـــام القوافـــي علـــى براءة نفسي فأبـــقت جراحـــا
وإنـــي أطـــوف ببـــيت الـــرضى وأخْـــفِضُ للـــذل فيك جناحـــا

(27) أنظر أ. المقري، **روضة**، ص 244 ـــ 245.
(28) الوجيه : فرس شهير، والفالوذج طعام .

ناولني هذا بخطه في خامس عشر ربيع الثاني [29] من عام تاريخه، وأنشدني بظاهر القصر،لما وجهه مولانا إلى الاسطنبول ـــ القسطنطينية ـــ في ثالث عشر جمادى سنة سبع وتسعين [30]،لأبي نواس:

وإذا المَطِــيُّ بنــا بلغــن محمــدا فظهورهُــنَّ علــى الرجــال حرامُ [31]

وأخذ هذا المعنى ابن حمديس فقال:

إذا نظمت شمــل العــلا بمحمــد نثرنــا علــى علياه در المحامــد
وأضحت لديــه معتقــات ومتــعت بخضر المراعي بين زرق المـوارد [32]

وأخذه ابن الخطيب فقال :

إذا أنت بالبيضاء [33] قررتَ منزلــي فلا اللحم حِلٌّ ما حييت ولا الظهرُ[34]

وأنشدني أكثر من هذا من مقطعات وقصائد وحكايات مستملحة ضاعت مني في محنتي ،ولد ـــ أبقاه الله تعالى ـــ سنة ست وخمسين وتسعمائة . حدثني بهذا بالمدينة البيضاء سنة سبع وتسعين وتسعمائة .

ومن كتاب الانشاء ....[35] بحمراء مراكش المسمى الآن بالبديع ، فقد رأيت كثيرا ممن دخله ، وتقدمت له جولة في أقصى البلدان كمصر والشام والعراقين وغيرهما من

---

(29) 15 ربيع عام 997 هـ يوافق 3 مارس عام 1589.
(30) 13 جمادى الأولى سنة 997 هـ يقابل يوم الخميس 30 مارس سنة 1589 م .
(31) أنظر **ديوان أبي نواس** ،ص 408، وأنظر تعليق ابن خلكان على البيت في **وفيات الأعيان**،4 : 14.
(32) أنظر **ديوان ابن حمديس**، ص 23.
(33) البيضاء : فاس الجديد .
(34) أنظر **ديوان ابن الخطيب** ،ص 300. وأ. المقرى ،**نفح**، 5 : 86، والبيت من قصيدة مطلعها :

سلا هل لديهــا من مخبــرة ذكــر وهل أعشب الوادي ونم به الزهر

(35) بياض بالأصل .

البلاد ، ورأى ما اشتمل عليه من العبر والمصانع والنقوش في أنواع المرمر وغير ذلك من خطوط الذهب ، اتفق على أنه لم ير مثله ولا مثل ضخامة إنشائه . وأما اسطوانات المرمر المختلفة الألوان ، فقد حَدثني عنها بعض من له معرفة بالبناءات بأن كل واحدة على انفرادها قومت بألف مثقال ذهب . هذا ما في الاساطين فما بالك بما في القلب وبما في غيرها من القصور والمجالس وغير ذلك من عجائبه !

ولعبد الرحمان الناصر الأموي (36) صاحب الأندلس :

همـــم الملـــوك إذا أرادوا ذكرهـــــا	**من بعدهـــم فبـــألسن البنيـــــان**
إن البنـــــاء إذا تعاظـــــم شأنـــــه	**أضحـــى يدل علـــى عظيـــم الشان**

ولقد قالت الشعراء في وصفه قصائد ومقطعات نقشت في قببه وغيرها، فمن ذلك ما لأبي فارس عبد العزيز ليكتب في داخل القبة الخمسينية منه :

جمـــال بدائعـــي سحـــر العيونـــا	**ورونـــقُ منظـــري بهـــر الجفونـــا**
وقـــد حسنت نقـــوشي واستطـــارت	**سنـــا يُغشي عيـــون الناظرينـــا**
وأطلـــع سمكـــيَ الأعلـــى نجومـــا	**ثواقبَ لا تغـــور الدهـــــر حينـــا**
وجـــوِّي من دخـــان النَّـــدِّ ألقـــى	**علـــى أرضي الغيـــاهبَ والدُّجونـــا**
علـــوتُ دوائـــرَ الأفـــلاك سبعـــا	**لذاك الدهـــرَ ما ألـــفت سكونـــا**
فصغت من الأهلَّـــــةِ والحنايـــــا	**أساورَ والخلاخـــــــل والبُرينـــــا**
تكنَّفنـــــي حيـــــاضٌ مائحـــــاتٌ	**أمامـــي والشمـــالَ أو اليمينـــا**
يقيـــد جنحهـــا الطـــرف انفساحـــا	**ويجـــري الفـــلك فيهـــا والسفينـــا**
تدافـــع نهرهـــا نحـــوي فلمـــا	**تلاقـــى البحـــر في جريٍ دفينـــا**
ترى شهب السمـــاء بهـــن غرقـــى	**فتحسبهـــا بهـــا الـــدر المصونـــا**
وقد نثر الحبـــاب علـــى سماهـــا	**لآليء تزدري العقـــــد الثمينـــــا**
فخـــرت وحـــق لي لمـــا اجتبانـــي	**لمجـــــلسه أميـــــر المؤمنينـــــا**
هو المـــنصور حائـــز خصْلِ سَبْـــقٍ	**وبانـــي المجـــد بنيانـــا مكينـــا**
ولـــيث وغـــى إذا زأر امتعـــاضا	**يروع زئيـــره هنـــدا وصينـــــا**
إذا أمت كتائبـــــــــــه الأعادي	**بعثـــــن برعبـــــه جيشا كمينـــا**

---

(36) أنظر ترجمته عند خ . الدين الزركلي ،**الأعلام**، 4 : 99، والمصادر بالهامش .

يديــــر عليهـــــم من كل حرب تدقهـــم رحـــى أو منجنونـــــا
إمــــام بالمغــــارب لاح شمسا بهـــا الشرق اكـــتسى نورا مبينـــا
بقـيت بذى الـــقصور الغربـــدرا تلـــوح بأفقهـــن مدى السنينـــا
تحف بكم عواكــف عنـــد بابـــي ملائكـــــــه كرام كاتبونـــــــا
لك الـــبشرى أمـــر المؤمنيـــن اد خلوهـــــا في سلام آمنيـــــا(37)

وله أيضا مما كتب ببهوها، كتب بمرمر أسود في مرمر أبيض:

للـــه بهـــو عزَّ منـــه نظيـــر لما زهـا كالـروض وَهْـوَ نضيـرُ
رُصِفَتْ نقـوش بنـاه رصف قلائـد قد نضدتهـا في النحـور الحـور
فكأنهـا والتبـر سال خلالهـا وَشْيٌ وفضة تربهـا كافـور
وكـأن أرض قراره ديباجـة قد زان حسن طرازهـا تشجيـر
وإذا تصعـد نده نوءا ففـي أنماطـه نور به ممطـور
شأو القصور قصورهـا عن وصفـه سيـان فيـه خَوَرْنَـقُ وسديـر
فإذا أجلت اللحـظَ في جنباتـه ارتـدَّ وَهْـوَ بحسنـه محسور
وكـأن موج البركتيـن أمامـه حركـات سجـف صافحتـه دَبـور
صفت بضَفَّتِهـا تماثـل فضة ملك النفـوس بحسنهـا تصويـر
فتديـر من صفـو الـزلال مُعَتَّقـاً يسري إلـى الأرواح منـه سرور
مابيـن آساد يَهِيـجُ زئيرهـا وأساود يُسْلِـي لهـنَّ صَفِيـرُ
ودحت من الأنهـار أرض زجاجـة وأظلهـا فلك يضيء منيـر
راقت فمـن حصبائهـا وفواقـع تطفـو عليهـا اللؤلـؤ المـنشور
يا حسنـه من مصنـع فبهـاؤه باهى نجـوم الأفـق وهـي تنـور
وكأنمـا زهـر الريـاض بجنبـه حيث التَـفَّ كواكب وبـدور
وَلِدَسْتِـهِ الأسمـى تخيـر رَصْفَـهُ خيـر الـورى وإمامهـا المـنصور
ملك انـاف علـى الفراقـد رتبـةً وأقلـهُ فوق السِّمـاك سريـر
قطب الخلافـة تاج مفـرق دولـة رُمِـيت بجحفلهـا اللّهـام الكـور
وجرى إلـى أقصى العـراق لرعبهـا جيش علـى جسر الفـرات عبـور

(37) أنظر أ. المقري ،نفح ، 6 : 53 ــ 54 ،روضة، 135 ــ 136 ،وم . الأفراني، نزهة ، ص 106 ــ 107.

نجل النبي ابن الوصي سليل من
حقن الدماء وعفّ وهو قدير

بحر الندى،لكنه متموج
سيف العُلا،لكنه مطرور

طود يخف لحلمه ووقاره
ولجيشه يوم النزال ثبير

دامت معاليه ودام مجده
طوق على جيد العلا مزرور

وتعاهدته عن الفتوح بشائر
يغدو عليه بها المسا وبكور

مادام منزل سعده يرقى به
نصر يرف لواؤه المنشور

وجرت به مرحا جياد مسرَّةٍ
وأدار كأس الأنس فيه سمير (38)

ومما كتب خارجها:

سموتُ فخر البدر دونيَ مُنْحَطًا
وأصبح قُرْصُ الشمس في أُذُنِي قُرْطًا

وصغت من الاكليل تاجا لمفرقي
ونيطت بِيَ الجوزاءُ في عنقي سِمْطًا

ولاحت بأطواقي الثريا كأنها
نثِيرُ جُمانٍ قد تَتَبَّعَتهُ لَقْطا

وعدَّيتُ عن زُهر النجوم لأنني
جعلت على كيوان رَحْلِيَ منحطا

وأجريت من فيض السماحة والندى
خليجا على نهر المجرة قد غَطَّى

عقدت عليه الجسر للفخر فارتمت
إليه وفود البحر تغرف ما أنطى

تنضنض ما بين الغُروس كأنه
وقد رقرقت حصباؤه حية رقطا

حواليه من دوح الرياض خرائد
وَغِيدٌ تجر من خمائلها مِرْطا

إذا أرسلت لدن الفروع وَفَتَّحَت
جنىَ الزهر لاح في ذوائبها وَخْطا

يُرَنِّحُها مر النسيم إذا سرى
كما مال نشوان تَشَرَّبَ اسفنطا

يَشُقُّ رياضا جادها الجود والندى
سواء لديها الغيث أسكب أم أخطأ

وسلسلت بسلسال اللُّجَيْنِ حياضُه
بحارا غدا عرض البسيط لها شَطَا

تطلع منها وَسْطَ وسطاه دمية
هي الشمس لا تخشى كسوفا ولا غَمْطَا

حكت وحَباب الماء في جنباتها
سنا البدر حَلَّ من نجوم السما وسطا

إذا غازلتها الشمس ألْقَى شعاعها
على جسمها الفضي نهرا بها لُطّا

توسمت فيها من صفاء أديمها
نقوشا كأن المسك ينقطها نقطا

إذا اتسقت بيض القباب قلادةً
فاني لها في الحسن درتها الوسطى

---

(38) أنظر أ . المقري ،نفح ،6 : 51 — 53 ،روضة ،136 — 137 ، وم الأفراني ،نزهة ،107 — 108 ، وعبد الله كنون ،النبوغ، 786 — 787.

تكنفنـي بيض الدُّمَـى فكأنهـا عذارى نَضَتْ عنهـا القلائـد والرِّبْطَـا
قدود ولكـن زانهـا الـحسن عريهـا وأجمـل في تنعيمهـا النـحتَ والخرْطا
نمت صعـدا تيجانهـا فتـكسَّرَتْ قواريـرَ أفـلاكِ السمـاح بهـا ضغطـا
فيـالك شأوا بالسعـادة آهـلا بأكنافـه رحـل العـلا والهـدى حُطّـا
وكعبـة مجـد شادهـا العـز فانبـرت تطـوف بمغناهـا أمانـي الـورى شوطـا
ومسرح غزلان الصَّريـم كِناسهـا حنايا قبـاب لا الكثيـب ولا السقْطَا
فَلُكْنَ به ما طاب لا الأثـل والخمْطا وَوَسَّدْنَ فيه الوشيَ لا السِّدْرَ والأرْطَى
تراه من الـمسك الفتـيت مدبَّـرا إذا ما زَجَتْهُ السُّحب عاد بهـا خِلْطا
وإن باكرتـه نسمـة سَحَـراً سرى إلـى كل أنـف عرف عنبـره قُسْطـا
أقـرت له الزهـراء والخلـد وانتـقت أواويـن كسرى الفـرس تغبطـه غبطـا
جنـاب رواق المجـد فيـه مطـنب على خير من يعزى لخير الورى سبطا
إمـام يسيـر الدهـر تحت لوائـه وترسى سفائـن العـلا حيثمـا وطـا
وفتـاح أقطـار البـلاد بفيلـق يفلـق هامـات العـدا بالظبـى خبطـا
تطلـع من خرصانـه الشهب فانثـنت ذوائب أرض الزنج من ضوئها شمطا
كتـائب نصر إن جرت لملمـة جرت قبلهـا الأقـدار تسبقهـا فُرْطـا
إذا ما عقـدن رايـة علويـة جعلن ضمان الفتح في عقدهـا شرطا
فمـا للسمـا تلك الأهلـة إنمـا سنابكهـا أبـقت مثـالا بهـا خطـا
يطـاوع أيـدي المعلـوات عنانهـا فيعتـاض من قبض الزمان بهـا بسطا
يد لأميـر المؤمنيـن بكفهـا زمـان يقـود الفـرس والـروم والقبطـا
أدار جدارا للعـلا وسرادقـا يحوط جهات الأرض من رعيه حوطا(39)

ولما أن تقدم لنا كلام في مسألة لاعب الشطرنج قبل،فأقول: إن واضعه هو صِصَّه بن داهر الهندي (40) ، وكان للصولي أبي بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن صول (41) فيه يد طولى ، به يضرب المثل فيه ، واشهد بالله لقد رأيت يوما بالمحلة المنصورية رجلا من مماليك مولانا — أيده الله تعالى — يلعب على رقعتين وعيناه مغمضتان ، وهو يملي على ناحية من الرقعتين حتى غلب المقابلين له، وهذا أعظم ما يرى في زمننا. وأما النَّرْدُ وهو المسمى في العرف

(39) أنظر أ . المقرى، **نفح**، 6 : 51 — 52 ،**روضة**، 138 — 139 ،وم. الأفراني، **نزهة** ، 104 — 106 ، وعبد الله كنون، **النبوغ**، 784 — 786.
(40) أنظر **وفيات الأعيان**، 4 : 357 — 358.
(41) أنظر ترجمته عند أ . بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 4 : 356 — 361 ،والمصادر بالهامش 648 من الصفحة 356 .

اليوم (بالطبلة) ، فواضعه أردشير بن بَابَك أول ملوك الفرس الأخيرة جعله مثالا للدنيا وأهلها، فرتب الرقعة على إثنى عشر بيتا بعدد الشهور والمهارك ثلاثين بعدد أيام الشهر ، والفصوص مثل الأفلاك ورميها مثل تقلبها والنقط فيها بعدد الكواكب السيارة، كل وجهين منها سبعة ، لأن وجوه الفصوص ستة أوجه، فإن ابتديت من الواحد انتهت إلى ستة ، والواحد معها سبعة، ثم كذلك إلى آخرها، وجعل ما يأتي به اللاعب من النقوش كالقضاء والقدر، تارة له وتارة عليه، وهو يصرف المهارك على ما جاءت به النقوش، لكن إذا كان عنده حسن نظر عرف كيف يتحيل على الغلب، وكان بعضهم يقول: اللعب بالنرد خير من اللعب بالشطرنج ، لأن لاعبه يعترف بالقضاء والقدر،والشطرنج لاعبه ينفي ذلك،فهو أقرب إلى الاعتزال .

وما أحسن قول ابن دانِيَال (42) :

هذا وفـــــي الـــــــفُصوص لِعْبٌ غدا كالمثـــــــــــل
تلـــــوح في أكفهـــــا كالجوهــــــر المـــــفصل
تفعــــل فيمـــــا بيننـــــا فعــــل الــــقضا في الــــدول

وأما حكم اللعب والنرد أو بالشطرنج ، فقال ابن أبي زيد (43) : ويكره اللعب بالنرد والشطرنج.

ومحمل الكراهة اختلف فيه ، هل هو على التحريم ؟ أو هي على بابها من التنزيه؟ أو يكره في غير أوقات الصلوات ما لم يخرجها عن وقتها فيحرم ؟

وقيل: إن ابن عباس قبل أن يصاب في بصره كان يلعب بالشطرنج، وكذلك سعيد بن جبير (44)، والادمان عليها مما يقدح في الشهادة، واختلف في حد الادمان ماهو ؟والكلام عليه مشهور في مطولات الفقه وغيرها فلا نطيل به. ومن المنهي عنه أيضا الميسر، وسهامه عشرة ، أولها الفَذُّ. وهو الذي له نصيب واحد ، والثاني التَّوْأَمُ وله نصيبان ، والثالث الرَّقِيبُ وله ثلاثة أنصباء، والرابع الحِلْسُ وله أربعة أنصباء، والخامس النَّافِسُ وله خمسة انصباء، والسادس

---

(42) أنظر ترجمته عند م . بن شاكر ،**فوات الوفيات** ،3 : 330 — 339 والمصادر بالهامش 343 من الصفحة 330، وانظر الأبيات عند الصفدي ،**الغيث المسجم** ،1 : 52 .

(43) أنظر ترجمته عند ابن العماد الحنبلي ،**شذرات الذهب** ،3 : 13، وحاجي خليفة ،**كشف الظنون** ،1 : 841، وخ . الدين الزركلي ،**الأعلام** ، 4: 230 — 231، وم . بن مخلوف ،**شجرة** ، 96، وم . العابد الفاسي ، **فهرس** ،1 : 330 — 333.

(44) أنظر ترجمته عند أ . بن خلكان ،**وفيات الأعيان** ،2 : 371 — 374، والمصادر بالهامش 261 من الصفحة 371 من نفس المصدر .

المُسْبِلُ وله ستة أنصباء، والسابع المُعَلّى وله سبعة أنصباء، وثلاثة لا نصيب لها: السَّفيحُ، والمَنِيحُ، والوَغْدُ (45). والنهي عنه تحريم .لأن الله وصفه مع ما ذكر معه في الآية،فإنه رجس والرجس : النجس،ونهى عنه بصيغة:افعل؛ والله الموفق.

والشطرنج اختلف فيه هل هو مشتق من المشاطرة أو المساطرة؟ فيه خلاف معلوم. ولما أتى واضع الشطرنج به إلى ملك وقته الذي وضعه من أجله قال له الملك : تمن علي ما تريد ، أبلغك أمنيتك ، فكان مما طلب له أن يعطيه في البيت الأول حبة من قمح ، ثم كذلك بتدرج التضعيف من أولها إلى آخر الرقعة ، فغضب الملك لذلك ، كأنه فهم عنه أنه يسخر منه حيث يسأله مثل هذا إذ الملوك لا يسأل منهم إلا ماهو عظيم ، وأما ما هو حقير فلا يطلب إلا من مثله ، وأنفة الملوك تأبى هذا ، فلما فحص عن حقيقة ذلك وجد أنه لا تفي به خزائن الأرض ، فعظم عند الملك رأيه ، ووجه جميع ما في البيوت على هذا النحو : أن تأخذ الواحد الذي في البيت الأول وتزيد عليه واحدا ، فما بلغ تضربه في نفسه ، فما حصل فهو مجموع ما في الثاني وما قبله بزيادة واحد ، ثم تضرب ذلك في نفسه وتضعف البيوت للخارج فما كان فهو ما في الرابع وما قبله بزيادة وهو بنفسه ما في الخامس، ولا تزال تضرب ذلك في نفسه وتضاعف البيوت للخارج إلى أن تنتهي إلى آخر المفروض ، وهذا العمل له شروط ، وهو أن يكون الابتداء بالواحد ، وأن يكون التضعيف بالنصف وأن تكون البيوت زوج الزوج وهو عندهم ما انقسم بمتساويين وانتهى به التقسيم إلى الواحد كأربعة وستين ثم الاثنين ، ثم إلى الواحد (46) وخواص بيوت الشطرنج مسطورة في محلها عند صاحب الارثماطيقي (47)،فمن ذلك معرفة الأعداد التامة والزائدة والناقصة والمتحابة ، واعلم أن ضعف كل عدد تام عدد زائد ونصفه عدد ناقص ، وهذه الأعداد الزائدة والناقصة قد يوجد منها عددان تكون زيادة أحدهما كنقصان الآخر وكفضل ما بينهما يسميان العددين المتحابين والأكبر منهما هو الناقص والأصغر هو الزائد ، واعلم أن بين هذه العددين سرا غريبا وهو أن أجزاء كل واحد منهما مساوية للآخر ، وكل واحد موجود في

---

(45) نظمها ابن الحاجب في الأبيات التالية :

هي فذ وتـــــوأم ورقـــــيب	**ثم حلس ونـــافس ثم مسبـــل**
والمعلى والوغـــد ثم سفيـــح	**ومنيـــح وذي الثلاثـــة تهمـــل**
ولكـــل مما عداهـــا نصيب	**مثلـــه أن تعـــد أول أول**

أنظر وفيات الأعيان، 3 : 249

(46) وردت كلمة : (وخص) بعد كلمة (الواحد) ، ولا معنى لها هنا .

(47) الارثماطيقي : هو العلم الذي يبحث في خواص العدد .
أنظر حاجي خليفة ،**كشف**، 1 : 62 .

الآخر بالقوة ، وبسبب هذه الخاصة قيل فيهما متحابان ، ومثلهما: عشرون ومائتين مع أربعة وثمانين ومائتين ،فهذان العددان لا يوجد أقل منهما على هذه الصفة ، وكيفية استخراج هذه الأنواع الأربعة ، والعمل في وجدان كل واحد أن تضع الأعداد التي على نسبة الضعف وهي أعداد زوج الزوج والواحد معها على توالي ما أردنا منها وهكذا ، ونجمع منها أعدادا تكون جملتها عددا أولا غير مركب مثل أن نأخذ الواحد والاثنين والأربعة ومجموعها سبعة وهو أول ، فإن أردنا وجدان العدد التام ضربنا هذه السبعة في العدد الأكبر من تلك الأعداد المجموعة وهو المنتهى إليها ما يجمع ، وذلك ثمانية وعشرون عدد تام ، وإذا أردنا الزائد ضربنا السبعة فيما بعد الأربعة المنتهى إليها وهو ثمانية يخرج ما هو زائد ، وإن أردنا الناقص ضربنا السبعة فيما قبل الأربعة وهو إثنان ، فالخارج عدد ناقص وإذا أردنا وجدان العددين المتحابين وضعنا أعداد زوج الزوج المتوالي وننقص أيضا العدد الذي قبل المنتهى إليه فإن كان الخارجان في المنتهى إليه والخارج هو أحد المتحابين نجمع العدد الذي يلي المنتهى إليه في الجمع بعده مع العدد الذي قبله برابع منزلة وتضرب المجتمع في ضلعه الأكبر وهو العدد الذي يلي آخر الأعداد بعد والخارج يسقط منه واحد أبدا فإن بقي أولا بعد الاسقاط فهو ما أردنا وإلا تجاوزنا بالجمع حتى يكون عددا أولا ، فإذا وجدناه ضربناه في آخر الأعداد التي جمعنا والخارج هو العدد الثاني من المتحابين ، مثال ذلك : إذا جمعنا الواحد والاثنين والأربعة اجتمع سبعة ، تزيد عليها آخر الأعداد وهي الأربعة تصير أحد عشر ثم ننقص من السبعة أيضا إثنين يبقى خمسة فقد وجدنا الخارجين أولين فيضرب مسطحها في الأربعة يخرج الزائد منها ، ثم نجمع الثانية التي تلي الأربعة مع الواحد إذ هو رابع منزلة قبل الثمانية تصير تسعة نضربها في ضلعها الأكبر وهو الثمانية ،ونسقط من الخارج واحدا.........(48) منها وخواصهما لا تحصى كثرة (49) .

قال بعضهم :

لأهل [الهند] أمور سبقوا بها من سواهم : كتاب **كليلة ودمنة**، والشطرنج والتسعة أحرف التي تجمع أنواع الحساب .

ولنذكر شيئا من طرف ابن سودون ، وإن طال بنا الحال في هذه الترجمة لأن الحديث شجون .

---

(48) بياض بالأصل بمقدار سطر .

(49) للمزيد من الايضاح ، أنظر أ . بن خلكان ، **وفيات الأعيان** ،4 : 357 ــ 359، وكتاب الأستاذ أحمد الشرقاوي ، **لعبة الشطرنج في ماضيها الاسلامي** ،والصفدي ،**الغيث المسجم**، 2 : ص 53 وما بعدها .

فمن نظمه ـــ رحمة الله تعالى ـــ:

الهَـــمُّ زال وزار الـــبشر والفـــــرحُ والناس في البسط بعد القبض قد مرحوا
والزهـر نقـط وجـــه الأرض من طرب لِشَدْوِ قوم بالحـان الهـــوى صدحـــوا
فالزهـــر منطـــرح والنهـــر منطفـــح والطـــرف منسرح والقـــلب منشرح
والراح في الكـاس بالأرواح قد عبثت وطـــاب مغتبـــق منهـــا ومصطبـــح
تدور كالشمس في الكاسات مَعْ قمر أقـداحُ أحداقه في القـــلب تنقـــدح
وكـم عشيـرٍ حِذَا خضراءَ قد قتـــلت أمسى قتيـــلا بهـــا والأمـــــر متضح
بيـاض مقلتـــه في حمـــرة سطـــعت فالطـــرف منفتـــر والحلـــق منفتـــح
والمـوز في نهـــر الجـــلاب ثم غدا ممزقـــا فيـــه بالتخـــويص ينـــكسح
كم ذا القطائف في العسلول قد طرحت والنـاس في ذاك بالأموال قد سمحـوا

وله ـــ رحمه الله تعالى ـــ:

الفـــرح أقبـــل بالمنـــى مشمـــــولا واللــــــه فضلا بلّـــــغ المامـــــولا
والقـــلب أضحـــى بالسرور مشببـــا لمـــــا تبـــــدى بالمنـــــى موصولا
والبسط خصكـــمُ بفـــيض عمومـــه بظهـــــور بدر قد حوى تكميـــــلا
بدر الهنا قمـر المنـــى من قد غدا نظـــم الـــورى بظهــــوره مافـــولا
اللـــه يُمْتِعُكُـــمْ بطـــول بقائـــه لِتَقِـــرَّ عينكـــمُ بذاك طويـــــلا
ويريكـــمُ لرضاعـــه وفطامـــــه وطهـــوره وزواجـــــه المامـــــولا
أبـــدى لكـم يانـــاس يوم ولادتـــي قد زغرطـــوا لمـــا بكـــيت قليـــلا
لا تحسبونـــي كنت مثـــل صغاركـــم بل كنت حمـــلا ثم صرت فصيـــلا
وسقتنـــي أمـــي في رضاعـــي برهـــا وأكـــلت إذ طلـــع السنيـــن بليـــلا
ورأيت لمـــــا طهرونــــــي زفـــــة قد دوروا فيهـــا الـــزراف وفيـــلا
فيهـا رأيت النـــاس حولـــي قد مشوا هكـذا يمنونا وذا شملولا (كـــذا)
وعـرفت حيـن كبـرت أن أبي أبـــي وأنـــا ابـــن أمـــي بكـــرة وأصيـــلا
يا بخت أمـــي في الأيـــام سعدهـــا فازت بابـــن قد نمـــا عقلـــولا

ولـــه :

قد فاتكـــم يانـــــاس يوم طهـــــور والطيلخانــــة عندهـــــا بزمـــــور
والنـاس من حولي تلـــوح سيوفهـــم عريانــــة أعنـــــي بغيـــــر قشور

حتى وصلنا البيت راحوا كلهم ... وبقيت وحدي كالمنام الزور
وأتى المزين آه ما أقسى قلبه [50] ... بالموسى مسنونا لقطع سرور
شَخِيَتْ حشاكم ثيابي عندما ... عاينته بالموسى يقطع زبير (كذا)
لكن صغيرا كنت ما عمري سوى ... عشرين عاما أو وبعض شهور

وورخ فقال : وكتب صبيحة نهار الجمعة الحرام بعد صلاة التراويح من يوم عاشوراء في السابع والثلاثين من جمادى الأوسط سنة تاريخه .

ومن نكته النثرية أنه قال : مما شاع وذاع ، وامتلأت به الأسماع ، الكلام المشهور بين الاناث والذكور قولهم : أبو قردان [51] زرع فدان ملوخيا وباذنجان. وها أنا سأتكلم على بعض معانيه ، وإيضاح ذلك لمن يعانيه، وقد اخترت أن أجعل أول المتن آخر حرف منه وهو النون، وفي أول الشرح آخر حرف منه وهو الحاء ، وإنما اخترت الحرفين الأخيرين من دون الأولين إذا جمعا صارا: مش، والمش مرق الجبن الحالوم، الداء المسموم، والطعام الزقوم ،والأخيران إذا جمعا صارا: نح، والنح هو الدح الذي لا يقول طالبه أح، وهو كل ما فيه حلاوة وملاحة وطلاوة، وإذا علمت ذلك فأقول: ن أبو قردان ح . أما أبو فهو فعل وأصله أبوس .

قال الشاعر :

قالوا: حبيبك وَارَى ثغرُه صَدَفا ... فما تحاول إن أبداه؟ قلت: أبو

فحذفت منه السين وذاك لوجهين: الأول لقصد الالتباس على السامع وهذا هو الأليق عند الأدباء، والأقرب إلى السلامة من الواشين والرقباء، والثاني حذفت منه السين لأنها في

---

(50) صدر البيت مختل الوزن .

(51) أبو قردان طائر وقد ذكر عنه الأستاذ أحمد أمين في كتابه **قاموس العادات و التقاليد و التعابير المصرية**،ص 17، ما يأتي : « هو ذلك الطائر الأبيض المعروف وكان يرى في العهد الماضي أسرابا كثيرة ، يتبع الأرض المروية يلتقط ما فيها من الديدان والحشرات الصغيرة، وقد كان الفلاح يحرم إيذاءه لما يرى من منفعته. ثم كثر صيده فقل، وتنبهت الحكومة إلى منفعته فحرمت صيده، والعامة تقول في أمثالها (زي أبو قردان هايف ونظيف) لأن (أبو قردان) لا يهمل نفسه، فإذا ناله شيء من قذر اجتهد في إزالته فيحكه بمنقاره حتى يزيله، فهو دائما نظيف وعدوه (هايف) لقلة غنائه ، وللعامة أغنية في (أبو قردان) وهي : (أبو قردان زرع فدان ملوخيا وباذنجان ، نحت في الطين لقى سكين ، ذبح أولاده وطلع مسكين). وقد اجتهدت أن أفهم معناها فلم يتيسر لي » .

الجمل بستين، والستون في البؤس اسراف عند البعض. ن قردان ح: قردان جمع قراد، واعلم أن هذه الكلمة جزء من كلام طويل حذف ما قبلها وما بعدها وأصله في الكلام أبوس، والمس من حلت مراشفه ، ولانت معاطفه، وحاز من الحسن خصوصه وعمومه، وقيد على جسمه مطلق النعومة حتى لو رامت قراده تمشي عليه ما استطاعت وازلقتها نعومته وذلك كله لوجهين: الأول ما تقدم ذكره من قصد الالتباس على السامع بل ها هنا أولى لأن الستر إذا كان مطلوبا في البوس فما ظنك بما وراء ذلك ولهذا كثر هنا الحذف ليقوى الالتباس، والثاني حذف ذلك اكتفاء بقول كعب بن زهير:

يمشي القُـــرادُ عليهـــا ثم يُزْلِقُـــهُ منهـــا لَبَـــانٌ وأقـــرابٌ زَهاليـــلُ (52)

أي صدور وخواصر ملس نواعم يزلق لنعومتها القراد إذا مشى عليها، فإن قلت: قراد جمع قردان بكسر القاف كغلام وغلمان، وقردان المقصود بالشرح قافه مضمومة فلا مطالقة إذن بين المتن والشرح وعلى هذا فجميع ما قلناه غير صواب. أقول لعمري أنك لصادق فيما قلته إلا أني اعدل عن الصواب هاهنا لوجهين: الأول أن الأمر قد دار إذن إما على فساد اللفظ أو فساد المعنى، والذي ترجع عندي أن العبرة بالمعنى، وإذا صحت فلا التفات إلى الألفاظ، الثاني إنما ضممت القاف لأني لو كسرتها كما هو الصواب لتوهم السامع أنه تثنية قرد، والقرد لا يشتهى بوسه ولا لمسه، وهذا مما لا خلاف فيه، أو أقول: أن أبا قردان هو هذا الطائر المعروف ، ومعناه أبو برد قريب ، وأبو قردان أي برد دان أي قريب ، وإنما كني هذا الطائر بهذه الكنية لأنه لا يرى غالبا إلا إذا قرب الشتاء. ن زرع فدان خ : أما زرع فهو حرف جر ، وفدان مجرور ، وأبو قردان هو الجار لأنه إذا زرع الفدان جره إلى جرونه عند الحصاد ، فإن قلت : أجمعت النحاة على أن زرع فعل ماض ، فهو مخالف لما ذكرت . أقول : الجواب عن ذلك من وجهين ، الأول : ليس المراد بالحرف ما اصطلح النحاة عليه ، بل المراد النوع من الآداب والفنون ، كما يقال : صرعه بحرف كذا وغلبه بحرف كذا. الثاني : النحاة يروون عن سيبويه وأنا أروي عن سيبويه، فلا اعتراض ، وأما فدان فهو تثنية فد ، والفذ هو الفرد في اللغة والفقه الكسر فإن قيل الفذ الذي هو الفرد ذاله معجمة كما ذكره أئمة اللغة كالجوهري (53) وغيره ، وفد من فدان داله مهملة فلا يصلح ما قلت . أقول : إنما أهملت هذه الدال لمناسبة ما نحن بصدده، إذ هو من قبيل المهملات ، وقيل : إن النون في فدان ليست من أصل الكلمة فادى أي أعطى زرعه ن . ملوخيا

(52) أنظر **ديوان كعب بن زهير** ،ص 12.

(53) أنظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الأعلام**، 1 : 309 ــ 310 والمصادر بالهامش 1 من الصفحة 310 من نفس المصدر.

وباذنجان خ. حذفت الأولى لكثرة الاستعمال وتكون النون على هذا نون التوكيد المباشرة على أوقاف المارستان ، انتهى (54) .

وما أخذت ما ظفرت به من كلام ابن سودون وغيره إلا من معرفة الفضلاء والاجتماع بهم وجوب البلاد ، أفادني ذلك بعض المصريين .

ولا شك أن السفر أفضل ما يسفر عن أحوال الرجال والفضلاء والأماثل ، ورحم الله أبا الحسن بن الامام الغرناطي (55) حيث قال :

ياليت شعري والأماني كلها — برق يغرك أو سراب يلمع
هل تربعنَّ ركائبي في بلدة — أم هكذا خُلِقَتْ تخبُّ وَتُوضِعُ
في كل يوم منزل وأحبة — كالظل يُلْبَسُ في المقيل وَيُخْلَعُ

ولأبي الحسن علي بن زريق البغدادي (56) من قصيدته المشهورة :

يكفيك من لوعة التفنيد أن له — من النوى كل يوم ما يُرَوّعُهُ
ما آب من سفر إلا وأزعجه — رأيٌ إلى سفر بالعزم يُزْمِعُهُ

---

(54) أنظر علي بن سودون، **نزهة النفوس،** 87 — 89 ظ .

(55) هو أبو الحسن علي بن الامام الغرناطي ، كاتب تميم بن يوسف بن تاشفين . أنظر **النفح** ،4 : 12 رقم 492، والهامش 6 من نفس الصفحة والمصدر ، وانظر الأبيات عند الصفدي ،**الغيث المسجم،** 1 : 104.

(56) دار خلاف كبير حول مناسبة قول عينية ابن زريق ، فهناك رأي أول يزعم بأن القصيدة قالها الشاعر في الأندلس عندما ذهب إلى أبي عبد الرحمان الأندلسي يرجو العطاء فلما أعطاه نزرا شق ذلك عليه وحز في نفسه فقال هذه القصيدة قبل أن يعتل ويموت ، وممن يقول بهذا الرأي السراج في **مصارع العشاق** ،ص 23 — 24، حيث يقول : « أخبرنا أبو الحسين محمد بن علي بن محمد بن الجاز القرشي الأديب بالكوفة وأنا متوجه إلى مكة سنة إحدى وأربعين وأربعمائة بقراءتي عليه قال : حدثنا أبو الحسن علي بن حاتم بن بكير البزاز التكريتي قال : حدثني بعض أصدقائي أن رجلا من أهل بغداد قصد أبا عبد الرحمنْ الأندلسي وتقرب إليه بنسبه فأراد أبو عبد الرحمنْ أن يبلوه ويختبره فأعطاه شيئا نزرا فقال البغدادي : إنا لله وإنا إليه راجعون سلكت البراري والبحار والمهامه والقفار إلى هذا الرجل فأعطاني هذا العطاء النزر فانكسرت إليه نفسه واعتل فمات . وشغل عنه الأندلس أياما ثم سأل عنه فخرجوا يطلبونه فانتهوا إلى الخان الذي كان فيه وسألوا الخانية عنه فقالت : إنه كان في هذا البيت ومذامس لم أره فصعدوا فدفعوا الباب فإذا بالرجل ميتا وعند رأسه رقعة فيها مكتوب :

لا تعذليه فإن العذل يولعه — قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه
إلخ.. ....

=

تأبـى المطــالب إلا أن تُجَشِّمَـــــهُ　　للرزق كَدْحاً وكــم ممــن يودعـــه
كأنمـــا هو من ترحالـــه أبــــدا　　موكـــــل بفضاء الأرض يَذْرَعُـــــهُ
إذا الرحيـل أراه في السمــاع غِنــىً　　ولـو إلـى السد أضحى وهـو مَرْبَعُــهُ
ومـــا مجاهـــدة الانسان واصلــــة　　رزقــا ولا دعـــة الانسان تقطعـــه
واللـــه وزع بيـــن النـــاس رزقهـــم　　لم يخلـــق اللـــه مخلوقـــا يضيعـــه
لكنهـــم كلفـــوا رزقـــا فلست ترى　　مسترزقـــا وسوى الغايـــات يُقْنِعُـــهُ

فلما وقف أبو عبد الرحمان على هذه الأبيات بكى حتى اخضلت لحيته وقال : وددت أن هذا الرجل حي وأشاطره نصف ملكي . وكان في رقعة الرجل : منزلي ببغداد في الموضع المعروف بكذا والقوم يعرفون بكذا فحمل إليهم خمسة آلاف دينار وسفتجة وحصلت في يد القوم وعرفهم موت الرجل » .

وقد سار على نهجه جرجي زيدان في **تاريخ آداب اللغة العربية** ،2 : 574، وبروكلمان في **تاريخ الأدب العربي** ،2 : 66 — 67 ، ولعلهما اعتمدا في رأيهما على نص السراج السابق .
وهناك رأي ثان ينفي كون ابن زريق زار الأندلس أو كون القصيدة قيلت بالمناسبة السابقة بل يذكر مناسبة أخرى ، فقد ذكر الزياني — مثلا — في **الترجمانة** (ص 408 — 409) بمناسبة ذكر عينية ابن زريق ما يأتي : « ... وهذا أبو الحسن علي بن زريق الكاتب البغدادي كان من الأدباء الفضلاء ، وكان يهوى ابنة عمه وتهواه ، ولم يجد سبيلا للاجتماع بها ونكاحها لقلة ذات يده لجهازها ، فقصد أحد ملوك خراسان مستجديا ومدحه بقصيدة ، ولما قدمها له نقلها أبو عبد الله الحميري .»

وقد علق الأستاذ عبد الكريم الفيلالي على هذا في الهامش بما يأتي : « ... تناوله (ابن زريق) الدكتور جمال الدين أستاذ الأدب الأندلسي بكلية الآداب بجامعة بغداد مع الأدباء البغداديين بالأندلس بمناسبة احتفالات جامعة بغداد وكان الموضوع يحتاج إلى روية وتدبر ، قبل أن يصدر الدكتور حكمه ، ذلك أن ابن زريق لم يثبت أنه زار الأندلس . وذلك ما لم يستطع الكاتب اثباته في كل ما كتب حول ابن زريق . وما أقرب ما قاله الزياني عندما أورد قصيدته حيث قال : « وهذا أبو الحسن ..... » . والدكتور محسن يقول في ص 30 من الكتيب المذكور أعلاه : « لم أر في المصادر التي بين يدي نورا واضحا يدلني على أسباب فشل الشاعر البغدادي في سفرته الطويلة ، وضياع آماله هناك ، كما أني لم أستطع أن أتبين ملامح الخليفة أو الأمير الأندلسي الذي زاره شاعرنا ولم يحظ لديه بالخير والمنحة سوى ما ذكره لنا المرحوم جرجي زيدان (...) .

أما عن الافتراضات التي افترضها الكاتب للعهود التي زار فيها ابن زريق الأندلس فإنها غير قائمة على حجة ، إذ في الافتراض الأول نجد أنه زار الأندلس في عهد عبد الرحمان الناصر (300 هـ — 350 هـ) والتي يقول عنها (ورحلة ابن زريق لا يستبعد أنها كانت في مثل هذه الأحوال المضطربة) . إن ابن زريق توفي كما يقول الدكتور وقاله قبل غيره في حدود 420 هـ وحسب فرض الدكتور ففي أي مرحلة من مراحل حياة ابن زريق زار الأندلس أسن ما بعد الثمانية ، ونحن نعلم أن جل شعراء الغزل هدأت حرارتهم في أخريات العمر.

والحرص في الرزق والأرزاق قد قُسِمَتْ بَغْــيٌ ألا أن بغــي المــرء يصرعــه
والدهر يعطي الفتى من حيث يمنعه اربا ويمنعــه من حيث يطمعـــه (57)

قال الحافظ أبو عبد الله الحميدي (58) ـــ رحمه الله ـــ: من تختم بالعقيق ، وقرأ لأبي عمرو ، وتفقه للشافعي ، وحفظ قصيدة ابن زريق ، فقد استكمل الظرف .

لكن وإن كان للسفر فضيلة فصاحبه كاد ألا يسلي عن فراق الأحبة لا سيما عند التوديع .

وللعباس بن الأحنف :

سألونــا عن حالنــا كيــف أنتـــم فَقَرَنَّــــــا وداعنــــــا بالسؤال
ما حللنا حتى ارتحلنــا فمــا نفــ ـرق بيـــن النـــزول والترحـــال (59)

---

(57) تتألف القصيدة من 41 بيتا ، ومطلعها :

لا تعذليــه فإن العـــذل يوجعـــه قد قلت حقــا ولكــن ليس يسمعــه
جاوزت في لؤمـــه حدا أضربـــه من حيث قدرت أن اللـــؤم ينفعـــه

ويختمها بقوله :

وإن تنــل أحــد منــا منيتـــه فمــا الــذي في قضاء اللــه يصنعــه

وهي واردة عند ابن السبكي **طبقات الشافعية** ، 1 : 163 وما بعدها وعند ابن حجة الحموي في **ثمرات الأوراق** ، ص 43 وما بعدها ، وبهاء الدين العاملي، **الكشكول** ، ص 91 ـــ 93 .
وهي من القصائد التي أفردت بالشرح ، وخمست ، وشطرت من قبل الشعراء والأدباء ، ونذكر على سبيل المثال بعض النماذج :

ـــ شرح لعلي بن عبد الله العلوي (ت. 1119 هـ / 1785 م) على القصيدة المذكورة مخطوطة برلين 7607 رقم 3 (كارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، 2 : 66 ـــ 67).
ـــ شرح آخر لولي الدين يكن (ت. 1921)، (ذكره بروكلمان في **تاريخ الأدب العربي**، 2 : 66 ـــ 67).
ـــ تخميس لعلي بن ناصر الباعوني (ت. 816 هـ / 1413م)، مخطوطة برلين 7607 رقم 3 (ذكره كارل بروكلمان في **تاريخ الأدب العربي**، 2 : 66 ـــ 67.
وقد كان القدماء يقولون : « من قرأ لأبي عمرو، وتفقه بالشافعي، وكان أشعريا، ولبس البياض، وتختم بالعقيق، وروى نونية ابن زيدون، وعينية ابن زريق، فقد استكمل الظرف » .

(58) أنظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 4 : 282 ـــ 284، وابن العماد الحنبلي ،**شذرات الذهب**، 3 : 392، وأ. المقري، **نفح**، 2 : 112 ـــ 115 رقم 63.

(59) أنظر البيتين عند الراغب الأصبهاني، **محاضرات الأدباء**، 3 : 66 والحسن اليوسي، **المحاضرات**، ص 83.

وللعَكَوَّك [60] :

رصد الغفلـــة حتــــى أمكـــنت ورعــى السامــر حتـــى هجعـــا
كابـــد الأهــــوال في زورتـــــه ثم ما سَلَّـمَ حتـــى وَدَّعـــا [61]

وقريب من هذا المعنى موت الصغار ، وللناس في ذلك [أشعار]، فلابن عنين [62] في مرثية على لسان الناصر [63] في أخيه وقد توفي صغيرا:

خانتنــــي الأيـــام فيك فقـــرَّبتْ يوم الـــردى من ليلـــة الميـــلاد

ولبعضهم :

شرق وغرب تجـد من صاحب بدلا فالأرض من تربة والنـاس من رجـل

ولأبي العرب مُصْعَب الصقلي [64] :

إذا كان أصلــي من تراب فكلهـــا بلادي وكـل العالميـن أقاربـي [65]

ولأبي فراس :

من كان مثلــي فالدنيــا له وطـن، وكـل قوم ، غذا فيهــم ، عشائــرُهُ
ومـا تمـد له الأطنــاب من بلـــد، إلا تضعضع باديـــه وحـــاضره [66]

---

(60) أنظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 3 : 350 — 354 رقم 461 .

(61) أنظر البيتين عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 3 : 350، والحسن اليوسي، **المحاضرات**، ص 83، والصفدي، **الغيث المسجم**، 1 : 105. وقد وردت في وفيات الأعيان (ركب) عوض (كابد).

(62) أنظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 5 :14 — 19 رقم 684، وانظر كذلك مقدمة **ديوانه** وبها إشارات لأهم مصادر ترجمته .

(63) أنظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الأعلام**، 3 : 10 والمصادر بالهامش.

(64) أنظر ترجمته عند أ. المقري، **نفح**، 3 : 569 — 570 رقم 416، و 4 : 260 — 261، وخ . الدين الزركلي ،**الأعلام** ، 8 :151.

(65) أنظر البيت عند أحمد المقري، **نفح**، 3 : 570، والصفدي ،**الغيث المسجم**، 1: 69.

(66) أنظر **ديوان أبي فراس**، ص 169.

ولأبي تمام :

ومـــا ربـــع القطيعـــــة لي بربـــــع   ولا نادى الأذى منـــي بنـــــاد (67)

ومن أحسن ما في هذا الباب قول شهاب الدين العَزَازِي (68) :

عجبـــا لمولـــود قضى من قبـــل أن   يقضي لأيـــام الصبـــا ميقاتـــا
هجـر الحيـاة وطلـق الدنيـا وقـد   وافت بزخرفهـــا إليـــه بتاتـــا
فكأنـــه من نسكـــه وصلاحـــه   وهب الحيـــاة لوالديـــه وماتـــا

وللتّهامي (69) :

يا كوكبـــا ما كان أقصر عمـــره   وكـــذا تكـــون كواكب الاسحـــار

ولبعضهم — يرثي ولده وعمره دون سنة —:

يا راحـــلا عنـــي وكـــانت به   مخايـــل للـــفضل مرجـــوة
لم تكتمـــل حولا وأورثتنـــي   ضعفـــا، فلا حول ولا قوة

ولا شك أن مفارقة الصغار من أعظم البلايا التي ابتلى بها الانسان ، ورحم الله القائل :

وإنمـــا أولادنـــا بيننـــا   أكبادنـــا تمشي علـــى الأرض

---

(67) أنظر **ديوان أبي تمام**، ص 73.

(68) هو شهاب الدين بن عبد الملك العزازي (627 هـ 710 هـ / 1230 م — 1310 م) شاعر مصري يجمع بين القصيدة والموشح، وله**ديوان** مخطوط بدار الكتب المصرية رقم 479، 559 أدب .
أنظر ترجمته عند م. بن شاكر، **فوات الوفيات،** 1 : 95 — 105 والمصادر بالهامش 41 من الصفحة 95 من نفس المصدر.

(69) أنظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان،** 3 : 378 — 381، والمصادر بالهامش 471 من الصفحة 378 من نفس المصدر.

ولابن زهر (70) ـــ رحمه الله ـــ هو أبو مروان عبد الملك :

ولي واحـد مثـل فرخ القَطـاَ (71) صغيـر تَخَلّـفَ قلبـي إليـه
لقـد طال شوقـي فيـا وحشتـاه لذاك الشُخَيْص وذاك الوُجَيْهِ
تشوقنـي وتشوقتـه فيبكـي علـيَّ وأبكـي عليـه
لقـد تعب الشوق ما بيننـا فمنـه إلـي ومنـي إليـه (72)

ولنرجع إلى ما كنا بصدده من ذكر الكتاب ، فمنهم سليمان بن إبراهيم بن سليمان بن عبد الله بن عثمان التاملي (73) ، فقيه ، كاتب ، شاعر ، مطبوع ، فمن شعره :

باللـه إن وطـئت مراكشا قدمك وجزت قبـل علـى تلك البساتيـن
ألا تُقَـدِّم أمـرا قد همـمت به حتى تُحَيِّيَ سكـان المواسيـن (74)

(70) أنظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 4 : 434 رقم 272، وأ. المقري، **نفح**، 2 : 247 ـــ 253، ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، 4 : 320 .

(71) القطا : ذكره الدميري في **حياة الحيوان الكبرى**، 2 : 252 ـــ 256، بما يأتي : « طائر معروف واحده قطاة والجمع قطوات وقطيات، وممن ذكر أن القطاة من الحمام : الرافعي في كتاب **الحج والأطعمة**، ومن أهل اللغة : ابن قتيبة.
وسميت القطا بحكاية قولها فإنها تقول ذلك، ولذلك تصفها العرب بالصدق، قال الكميت في وصفها :

لا تكذب القول إن قلت القطا صدقت إذ كل ذي نسبـة لا بد ينتحـل

والقطا شديد الطيران، وإذا قصدت الماء اشتد طيرانها...
وتوصف القطا بالهداية، والعرب تضرب بها المثل » .

(72) وردت الابيات في **المطرب**، **والذيل**، وابن **أبي أصيبعة** ، وقد ورد صدر البيت الثاني في **وفيات الاعيان**، 4 : 435، هكذا : نأت عنه داري فيا وحشتا .
ووردت الابيات عند المقري في **النفح**، 2: 248 ـــ 249، هكذا:

ولي واحـد مثـل فرخ القطـاة صغير تخلـفت قلبـي لديـه
وأفـردت عنـه فيـا وحشتـا لذاك الشخـيص وذاك الوجيـه
تشوقـني وتشوقتـه فيبكـي علي وأبكـي عليـه
وقـد تعب الشوق ما بيننـا فمنـه ألي ومنـي إليـه

(73) انظر ترجمة عند أ. بن القاضي، **درة**، 3 : 312 رقم 1410.

(74) المواسين : حي من أحياء مراكش اشتهر بجامع الاشراف ومكتبته التي أسسها السلطان السعدي عبد الله الغالب حوالي 965 هـ / ـــ 1558 م، وانظر البحث في **نزهة الحادي**، ص 170.

وأنشدني [لأبي العباس بن عاشر][75] :

سلا كل ذي قلب وقلبـــي ما سلا　　أيسلـو بفـاس والأحبـــة في سلا
بهـا خيمـوا والقـلب خيـم عندهـم　　وأجـــروا دموعـــي مرسلا ومسلسلا

وله في زيارة مولانا لأغمات الأبيات التي هي :

ومحلـــة ملأ البسيطـــة حسنهــا　　وتشرفت بنزولهـــا أغمـــــات
أبـدت جمـالا في الربـى إذ خيـمت　　فكأنمــــا هي حولهـــا مرآة
أمَّ الامــام بهــا الزيــارة فاستـــوت　　في نفعهـــا الأحيـــاء والأمـــوات
ملك تباعـــد قدره عن أن تفـــي　　بكمالـــه ومديحـــه أبيـــات
فاللـــه يبقـــى مجـــده وعـــلاءه　　ما جُدِّدَتْ لزيـــارة نيـــات

إلا أن فيها بعض تكلف ، ونظمه لا بأس به ، وعثمان جد جده : هو والد أبي علي الحسن بن عثمان المتقدم ذكره في أشياخ والد مولانا ـــ قدس الله روحه ، وأسكنه من الجنان فسيحه ـــ وبيتهم بجزولة بيت عظيم .

ومنهم أبو زيد عبد الرحمان العنَّابي [76] ، صاحب الديوان ، وهو الذي يوقع على موقعَات مولانا ـــ ثبت في تاريخه ـــ التي تروح وتخرج إلى الأقطار البعيدة خوفا من التزوير ، ومحافظة على العلامة السلطانية ، وذلك في غاية الاتقان والضبط .

---

(75) بالاصل : (لابن الخطيب)، وهو تحريف، اذ البيتان لابي العباس بن عاشر.
انظر ـــ مثلا ـــ الناصرى، **الاستقصا**،4 : 21.
أما بيتا ابن الخطيب في سلا فهما :

وصلت حثيث السر فيمن فلى الفلا　　فلا خاطري لما نأى وانجلى انجلى
ولا نسخت كربـي بقلبـي سلـــوة　　فلمــا سرى فيـــه نسيـــم سلا، سلا

(76) أبو زيد عبد الرحمان العنابي (توفي حوالي سنة 989 هـ / 1581م) أحد رجالات الادب بالمغرب في العصر السعدى بالاضافة الى وظيفته ككاتب له مكانته الرفيعة في عصر المنصور، وما أورده ابن القاضي هنا هو أحد الادلة على ذلك، وقد كانت له علاقات وطيدة مع الشخصيات العلمية في عصره مثل عبد الواحد السجلماسي الذي ذكر له مناظرة حول هدية الكبش والعسل قائلا :

ومنهم أبو فارس عبد العزيز بن عبد الله بن سليمان السجتاني (77) ، وهو الذي هـ ابن عمر بقوله (78) :

« لما تقرر في الفطن السليمة، والسنة القويمة، ما يجب للعلماء من التعظيم، وعرف اطراد ذلك بين الناس في الحديث والقديم، أهدى الفقيه الأجل، سلالة الصالحين، ونجل العلماء العاملين ، أحد كتاب ديوان الخلافة، ومن له في السكون والوقار المزية والانافة، أبو زيد عبد الرحمان ابن الامام علم الاعلام، سيدي أبي محمد عبد الله العنابي — رضي الله عنه — ونحن بمحلة مولانا المنصور عسلا وكبشا لسيدنا قاضي الحضرة الفاسية، العالم الامام العلامة، واحد الفئة، وصدر صدور هذه المائة، ذي الاخلاق الحميدة، والمذاهب السديدة ، أبي محمد عبد الواحد الحميدي استجلابا لمودته وصالح دعائه، فكتب سيدنا القاضي المذكور إلى الفقيه أبي زيد المذكور أبياتا فتح بها الى المباسطة والمداعبة بابا على عادة الافاضل أمثاله فقال:

أيـــــــا كاتب السر يا من بدت — محاسنـــــه في الـــــورى باهـــــره
هديت إلـــى الشفـــا وصلـــــة — فأكـــرم بهـــا منحـــة ظاهـــــره
وكـــــبشا سمينــــــا له كلـــــوة — تفـــوق الكـــلا نعمـــة زاهـــــره
فلا زلت تثـــــبت كتب الامـــــام — سيوفـــــا لأعدائـــــه قاهـــــره

وطار صيت هذه الابيات بين من بالمحلة المنصورة من الادباء والكتاب ، وتلقوها بالبر والترحاب ، فلهج بها الشادي والبادي ، وغرد بها في اثر الركائب الحادي ....».

انظـر :

انظر أ. المقري ،**روضة** ، 176 — 177.
ع. العزيز الفشتالي ،**مناهل**، 129.
م. الافراني ،**نزهة** ، 121.
العباس بن إبراهيم ،**الاعلام**، 8 : 118 — 120 رقم 1106.
م. حجي ،**الحركة**، 2 : 540 — 541 .

(77) قال عنه ابن القاضي في **درة الحجال** ، 3 : 131 : الكاتب الناسخ له خطوط متعددة ، وله المشيخة على النساخين ، وهو المقدم لتعليم الخط بجامع الشرفاء من مراكش المحروسة ، كما هي العادة بالقاهرة وغيرها من بلاد المشرق .
وله نظم وعدة تصانيف الا انها لم تكمل ، أطلعني عليها » .
وانظـــر أيضا ، العبـــاس بن ابراهيـــم ،**الاعـــلام** ، 8 : 433 رقـــم 1260، وم . حجي ،**الحركة**،386:2 ، وم . المنوني ، الوراقة المغربية ، مقال بمجلة **البحث العلمي** ،العدد 18، السنة الثامنة، اكتوبر 1971، ص 17 — 18.

(78) يخالف هذا ما أورده الافراني في **النزهة** ، 170 — 171، إذ قال : « وأما قضاته (يقصد المنصور) فبمراكش ابو القاسم بن علي الشاطبي ولي القضاء مدة طويلة ، وله يقول الفقيه الاديب الناثر الناظم أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي :

تولى الــــــــــــــقضاء بمراكش — فقيـــــــــه له همة عاليـــــــــة
الـخ.................................... — ....

فأجابه أبو القاسم بقولـه :

اعبـــد العزيـــز القبيـــح الصفـــــات — تعـــرضت ويـــحك للمهلكـــــات
الـــخ....».

أعبـد العزيـز القبيـحَ الصفـات تعـرضت ويـحك للمهلكـات
أتطمـع يا نذلُ في خطتـي وأنت جهـول بحكـم الصلات
أمـا تذكـرنّ زمانـا مضى وأنت وعِـرْسُكَ عنـد الرُّمـات
فطـورا تقـود وطـورا تجـو د باستك يا شر ماض وآت
فكـن كأبـيك اللئيـم الـذي يواسي الـعصاة ويُـقصي الصُّفَـات
ولا تتعـرض إلـى خطـة فإن لسانـي يَشُقُّ الـحصات

وهو المعنى أيضا بقولي :

.... (79)

ومنهم أبو داود سليمان بن أبي بكر بن أحمد التاملي .

ومنهم أبو العباس أحمد بن .... (80) العلج الطيب .

ومنهم الكاتب أبو عبد الله محمد بن عبد الله السوسي .

ومنهم الكاتب أبو العباس أحمد بن سليمان الشيظمي (81) .

ومنهم الكاتب أبو الحسن علي بن محمد بن الحسين الرتناني (82) .

وأنشدني [لأبي العباس بن عاشر](83) :

سلا كل ذي قلب وقلبـي ما سلا أيسلـو بفـاس والأحبـة في سلا
بها خيموا والقـلب خيـم عندهـم وأجـروا دموعـي مرسلا ومسلسلا

---

(79) بياض بالاصل بمقدار سطرين.
(80) بياض بالاصل.
(81) انظر ترجمته عند أ . بن القاضي ،درة، 1: 173 — 175 رقم 223.
(82) يوجد قسم من **ريحانة الكتاب** لابن الخطيب ، يشتمل على الاسفار الثلاثة الاولى يجمعها مجلد واحد تحتفظ به الخزانة العامة تحت رقم 5567، وقد كتب في آخر السفر الثاني ما يأتي : « هذا السفر بخط الكاتب علي الرنتاري » ،ص 324.
ولم نقف له على ترجمة
(83) انظر التعليق رقم 75 من الباب الثامن عشر.

ومنهم الكاتب أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عيسى ، ولد عم الكاتب أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عيسى الذي مات في سجن مولانا — عافانا الله منه — وكان — رحمه الله تعالى — ناظما ، ناثرا ، مطبوعا ، فكاهة، وقد تقدم شيء من نظمه ، ومن نظمه يستمطر فضل مولانا [بما] لبعض بني الأحمر ملوك الأندلس، فقال :

أتـاك ابـن نصر مستغيثا ومالـه	متات إليك غير ما قلد (كذا) الدهر
وقـد جاء إبراهيم من قبـل جده	فأولى الذي أبقى مفاخره الذكر
أرى ابن الخطيب حين قام لحمده	.... (84)
(وهذا ابن نصر قد أتى وجناحه	كسيرٌ ومن عُلْيَاك يُلتمس الجَبْرُ)
غريب يُرَجِّي منك ما أنت أهلـه	فإن كنت تبغي الفخر قد جاءك الفخر (85)
يسير إليك ان تمد فروعه	بجودك إن أمُّو مقامك واضْطُرُّوا
وقـد علموا علما يقينا بأنـه	يصير إليك بعد أمرهم الأمر
وأنك تملك البلاد بأسرها	ويشملها منك الحياطة والقهر
فحقق رجاه واغتنم أجر جبره	ففي مثله يسارق العمل الأجر
فليس لأهل الفضل غيرك قبلة	فما دمت دام اليسر وانعدم العسر

ومنهم الكاتب أبو مروان عبد المالك العلج ، أحد أعلاج مولانا.

وأما كتبة الديوان ، فمنهم أبو محمد عبد الله بن أحمد الوجاني .

ومنهم أبو مهدي عيسى بن أحمد الشيظمي .

ومنهم الكاتب أبو القاسم بن علي الخصاصي (86) ، كاتب فكاهة مطبوع ، ذو مآثر حسنة ، وخصال مستحسنة ، له في الفضل قدم راسخ ، وناد شامخ ، وطرفه لا تحصى كثرة .

---

(84) بياض بالاصل.
(85) البيتان الرابع والخامس مضمنان ،وهما من قصيدة لابن الخطيب مطلعها :

سلا هل لديها من مخبرة ذكر ... وهل أعشب الوادي ونم به الزهر

انظر نفح الطيب، 5 : 86 — 89، و أزهار الرياض ،1 : 196.

(86) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي،درة، 3 : 354 رقم 1500.

وبالجملة فكتبة مولانا وأهل بساطه في غاية من الفضل والسماحة والنجدة التي لم يتقدم مثلها فيمن سواهم ، لكن شرفوا بشرفه ، واكتسبوا الظرف من ظرفه ، ولا يفد عليه وافد إلا وقلبه متشوق إلى مشاهدة طلعته السنية ، ومخاطبة حضرته العلية ، وما أولاه بانشاد ما لابن الفارض (87) :

يا ساكـــي البطحـــاء ، هل من عودة أحيـــا بهـــا، يا ساكنـــي البطحـــاء ؟
وإذا أذى ألَمٍ ألَمَّ بمهجتـــــــــــي فشذا أعيشاب الحجـــاز دوائـــي (88)

ولابن سرايا الحِلِّي عبد العزيز (89) في هذا المعنى :

إن لم أزر ربعكم سعيا على الحَدَقِ، فإن وُدِّيَ منسوبٌ إلـــــى المَلَـــــقِ
تبت يدي أن تثنتـــي عن زيارتكـــم بيض الصفاح، ولو سُدَّتْ بها طرقي (90)

ولابن مطروح (91) قريب من هذا المعنى :

ولقـــد ذكـــرتك والصوارم لُمَّـــعٌ من حولنـــــا والسمهريـــــة شرع
وعلى مكافحة العدو ففـــي الـحشا شوق إلـــيك تضيـــق عنـــه الأضلـــع
ومـــن الصبـــا وهلـــم جرا شيمتـــي حفـظ الـوداد فكيـف عنـه أرجـــع (92)

ولأبي الثناء محمـــود (93) :

ولقـــد ذكـــرتك والسيـــوف لوامـــع والموت يرقب تحت حصن المَـــرْقَب
والـخصر في شفـق الـدروع تخالـــه حسنـــــاء تَرْفُـــــلُ في رداء مُذْهَب

---

(87) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 3 : 454، والمصادر بالهامش 500 من الصفحة 454.

(88) انظر **ديوان ابن الفارض** ، ص 118 — 120.

(89) انظر ترجمته عند م. بن شاكر، **فوات الوفيات**، 2 : 335 — 350 والمصادر بالهامش 268 من الصفحة 335 من نفس المصدر.

(90) انظر **ديوان صفي الدين الحلي**، ص 107.

(91) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان** 6: 258، والمصادر بالهامش 811 من نفس المصدر .

(92) انظر الابيات عند الصفدي، **الغيث المسجم**، 1 : 23.

(93) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 2 : 525 رقم 71، وج. السيوطي، **بغية الوعاة**، 2 : 283 رقم 1985.

سامي السُّهَى مهما تطاول نحـــوه للسمـع مستـــرق ، رمـــاه بكـــوكب
والموت يلعب بالنفـــوس وخاطـــري يلهـــو بطـــيب ذكـــره المستعـــذب

وللحلي في هذا المعنى :

ولقــد ذكــرتك ، والعَجــاجُ كَأَنَّهُ ظل الغنـــي وسوء عيش المــــعسر
والشوسُ بيـــن مجـــدَّل في جنـــدل منـــا، وبيـــن مُعَفَّـــر في مِغْفَـــر
فظنـــنت أنـــي في صبـــاح مشرق، بضيـــاء وجـــهك أو مساء مقمـــر
وتعطـــرت أرض الكفـــاح ، كأنمـــا فُتِقَتْ لنا ريح الجـــلاد بعنبـــر (94)

ولــه :

ولقــد ذكــرتك، والجماجـــم وُقَّـــعٌ تحت السنـــابك، والأكـــف تطيـــر
والهَـــامُ في أفـــق العَجاجـــة حُوَّمٌ فكأنهـــــا فوق الـــــنسور نسور
فاعتادنـــي من طيب ذكـــرك نشوة وبــــدت علـــــي بشاشة وسرور
فظنـــنت أنـــي في مجـــالس لذتـــي والـراح تُجلَى، والكـــؤوس تدور (95)

ولو تتبعت ما لكتبته من الملح والطرف لطال الكتاب جدا ، والله الموفق .

---

(94) انظر ديوان صفي الدين الحلي، ص 407.
(95) انظر ديوان صفي الدين الحلي ، ص 408.

الباب التاسع عشر

* في مجازاته على الهدية

---

* سقط هذا الباب من « ز» و « م » و « ج » .
والنسخ الثلاث المذكورة هي النسخ المتوفرة لدينا لحد الساعة .

الباب العشرون

* في توفيقه للاستخارة

---

* سقط هذا الباب من « ز » و « م » و « ج » .
والنسخ الثلاث المذكورة هي النسخ المتوفرة لدينا لحد الساعة .

الباب الحادى والعشــرون

* في ذكر كتبه

---

* سقط هذا الباب من « ز » و « م » و « ج » .
والنسخ الثلاث المذكورة هي النسخ المتوفرة لدينا لحد الساعة .

الباب الثاني والعشرون

* في ذكر نظمه
الذي يدل على كماله وعلمه

* سقط الباب بأتمه من « م » و « ج » ، اذ يوجد فقط في « ز » ، والنسخ الثلاث المذكورة — كما ذكرنا ذلك سابقا — هي النسخ المتوفرة لدينا لحد الساعة .

اعلم ان الشعر في الانسان فضيلة عظيمة يدل على عقل صاحبه ، ورقة طبعه وسلامة ذهنه ولطافته ، والملوك تقوله ، لكن لا تقول الكثير منه .

وحقيقة الشعر : هو الكلام الذي قصد وزنه فارتبط لمعنى وقافية ، وتتبع فصول هذا الحد واحدا واحدا محله فن العروض ، ولو أتينا بما في ذلك لطال المحل ، ومما قيل في ذلك : ان قوله : الكلام الذي قصد وزنه ، احترازا من قوله تعالى : «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون» (1)، وهو المتزن لا الموزون ان عرض على أوزان العرب فاتزن ، وفي مثل هذا قال أبو نواس :

خط في الارداف سطـــــــــــر   من عروض الشعـــــــر موزون

(لن تنالـــوا البــــر حتـــــى   تنفقـــوا ممـــا تحبـــون)

حدثني شيخنا أبو راشد أن الشيخ ابن غازي لقي سيدي عثمان اللمطي في قرب درب ابن حيّون (2) ، فقال له :

أبـــو سعيـــد عثمـــان   أبـــو سعيـــد عثمـــان

---

(1) الآية 92 من سورة آل عمران .

(2) درب ابن حيون : بفاس ، درب شهير بحومة بوطويل أمام جدار جامع القرويين ، وكان في الاصل يعرف بدرب الغماري ، وقد ذكر م . الكتاني في **سلوة الانفاس** (1 : 211) انه منسوب لمحمد بن علي بن حيون الفاسي دارا الاندلسي أصلا ، ووصف هذا الرجل بأنه كان من أهل الخير والدين =

ومن ذلك ما أنشدنيه أبو راشد :

....	.... (3)
(نبـــيء عبـــادي أنـــي	أنـــا الغفـــور الرحيـــم) (4)

وأنشدني أيضا :

قل لقـــوم لا يتوبـــون	وعلـــى الـــذنب يصـــرون
[خففـــوا](5)ثقـــل المعـــاصي	(أفلـــح القـــوم المخففـــون) (6)
(لن تنالـــوا البـــر حتـــى	تنفقـــوا ممـــا تحبـــون)

وقال لي في كلام ابن أبي زيد [ما يوافق الرجز](7) : وهي التي أهبط منها آدم.

وقوله : من سبخة وحمأة ونحوها .

وفي كلام ابن الحاجب (8) في الشفعة :

= والصلاح واليقين ، وانه حبس كثيرا من الرباع على مسجد القرويين وغيره ، وكان يسكن بازائه بالدرب المعروف به .
وقد رجح الاستاذ عبد الوهاب بن منصور أن يكون ابن حيون المذكور هو محمد بن حيون ناظر الاحباس الشهير في بداية القرن الثامن الهجري (ملحق تحقيق **جنى زهرة الآس** ،ص 110) .
أما الاستاذ عبد الهادي التازي فذكر أن القصد هو (المحسن الكبير الشيخ عبد الملك بن حيون الاندلسي المتوفى سنة 599 هـ)
انظر **جامع القرويين** ، 1 : 97 .

(3) بياض بالأصل بمقدار سطرين .

(4) فيه اقتباس من الآية 49 من سورة الحجر .

(5) ما بين المعقوفين اكمال من **اخبار وتراجم اندلسية مستخرجة من معجم السلفي** (بتحقيق احسان عباس) ، ص 24 .
وتنسب الابيات لابن السيد الطليوسي

(6) فيه اقتباس من الحديث الشريف : نجا المخفون .
انظر **النهاية** لابن الاثير .

(7) بياض بالأصل ، وقد اثبتنا ما نعتقده الانسب .

(8) هو : عثمان بن عمر بن أبي بكر المصرى المعروف بابن الحاجب « ت . 646 هـ / 1248 م » ، له تآليف كثيرة في القراءات والنحو و الصرف والفروض والفقه والاصول ، وقد دخل مختصره الفقهي الى شمال افريقيا في آخر المائة السابعة على يد تلميذه ناصر بتونس أولا ، ثم انتشر فيما بعد بالمغرب .
انظر م . الحجوى ، **الفكر السامي** 4 : 66 . وقد شرحه في العصر السعدي عبد الواحد الونشريسي في أربعة أسفار .

أخذ الشريك حصة جبرا شراء (9) .

وفي كلام خليل ما يوافق الهزج :

وفي جنسية المطبوخ من جنسين قولان

وحدثني أن شيخه ابن هارون لما راح لتادلا — مع أبي العباس [المريني] — (10) جرى على لسانه من غير قصد :

وطئنا بساط الملوك ركوبا

فأجابه أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الونشريسي بقوله :

ولم أرتكب فيه سوء الأدب

ثم قال له الشيخ :

لئن (كذا) أتاك فما حله أجبني أيا مولعا بالأدب

ثم أجاب نفسه بأن قال :

نبات الى الكيميا ينتمي فطالع عليه شذور الذهب

وشذور الذهب اسم كتاب في التدبير (11) .

قوله : فارتبط لمعنى احترز به مما لا معنى له أصلا كقوله :

---

(9) انظر **مختصره الفقهي** ، باب الشفعة .

(10) بالاصل : (المرد) ، وهو تحريف ، والصواب ما أثبتناه ، وذهاب ابي العباس الوطاسي الى تادلا يدخل في اطار الصراع بين الوطاسيين والسعديين والذي أنتج معركة بوعقبة الشهيرة .
انظر ابراهيم حركات ، **المغرب عبر التاريخ** ، 2 : 201 — 203 .

(11) اسمه الكامل : **شذور الذهب في صناعة الكيمياء** ، لابي الحسن الانصارى الاندلسي الجياني نزيل فاس ، المتوفى سنة 593 هـ .
قال عنه ابن شاكر في **فوات الوفيات** ، 3 : 106 : « لم ينظم أحد في الكيمياء مثل نظمه بلاغة معاني وفصاحة الفاظ وعذوبة تراكيب ، حتى قيل فيه : ان لم يعلمك صنعه الذهب ، علمك صنعه الادب » . انظر أيضا أ . بن القاضي ، **جذوة** ، 2 : 481 — 482 رقم 541 ، و ع . العزيز بن عبد الله ، **الموسوعة المغربية** ، 1 : 94 .

وجهك ، يا عمرو ، فيه طول ، وفي وجوه الكلاب طول
والكلب يحمي عن الموالي ولست تحمي ولا تصول
بيت كما أنت ، ليس فيه شيء ، سوى أنه فضول
مستفعلن ، فاعلن ، فعولن ، مستفعلن ، فاعلن ، فعولن (12)

ومحل ما يتعلق بهذا فن العروض .

وبالجملة فقدر كل امرىء ما يحسنه ، ورُوي عن علي بن أبي طالب أنه قال : قيمة المرء ما يحسنه .

وقد نظم هذا ابن طَباطَبا العلوي (13) ، فقال :

حسود مريض القلب يُخْفي أنينه ويضحي كئيب البال عنه حزينَه
يلوم على أن رحت في العلم راغبا وأجمع من عند الرواة فنونه
فأعرف أبكار الكلام وعُونَه واحفظ مما أستفيد عيونه
ويزعم أن العلم لا يجلب الغنى ويحسن بالجهل الذميم ظنونه
فيا لائمي دعني أغالي بقيمتي فقيمة كل الناس ما يحسنونه (14)

وابن طباطبا المذكور : هو أبو القاسم أحمد بن محمد بن اسماعيل الشريف العلوي الزينبي المصري ، له شعر مليح ، توفي سنة خمس وأربعين وثلثمائة (15) .

وطباطبا لقب جده ابراهيم ، وانما قيل له ذلك لأنه كان ألثغ يجعل القاف طاء ، وطلب يوما ثيابه ، فقال له غلامه : أجيء بدراعة ؟ فقال له : لا طباطبا ، يريد قباقبا ، فلقب بذلك ، واشتهر به .

ومولانا ــ أيده الله ــ يحسن كل شيء ، وقد قدمنا أن الشعر يدل على فضل الرجل ،

---

(12) الابيات لابن الرومي ، انظر **ديوانه** .
(13) انظر ترجمته عند أ . بن خلكان ، **وفيات الاعيان** ، 1 : 129 ــ 131 ، والمصادر بالهامش 53 من الصفحة 129 من نفس المصدر .
(14) انظر الابيات عند كمال الدين الانبارى ، **نزهة الالباء** ، ص 269 ، والراغب الاصبهاني ، **محاضرات الادباء** ، 1 : 32 .
(15) 345 هـ توافق 956 م .

ولهذا حكي عن الاصمعي أنه قال : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : الانسان في فسحة من عقله ، وفي سلامة من أفواه الناس ، ما لم يضع كتابا أو يقل شعرا .

قال الحافظ أبو بكر بن ثابت الخطيب [16] : من صنف فقد جعل عقله على طبق ليعرضه على الناس .

قال حسان [17] :

وانما الشعر عقل المرء يعرضه على المجالس ان كَيْسا وان حُمُقا [18]

ويدُلك على عقل مولانا شعره العديم المثل في عصرنا هذا سنة سبع وتسعين وتسعمائة .

والبيت الذي قبل هذا :

وان أصدق بيت أنت قائله بيت يقال اذا أنشدته : صدقا

وتقييد الشعر أفضل شيء ، قال بعضهم لما رأى بعضهم مقيدا :

من ذا يساجل في العلا تلك الحلى وعلاء مفخرهن في تشييد
أطلقت عزمك للقريض مقيدا بوركت في الاطلاق والتقييد

وأما ما يعين على الشعر ، فقد قال بعضهم : ما استدعي شارد الشعر بمثل الماء الجاري ، والمشرف العالي ، والمكان الخالي .

وقال الخليل : الشعراء يتصرفون فيه أنى شاءوا ، وأجاز لهم فيه مالا يجوز لغيرهم من اطلاق المعنى وتقييده ومن تسهيل اللفظ وتعقيده .

---

(16) انظر ترجمته عند أ . بن خلكان ،**وفيات الاعيان** ، 1 : 92 ــ 93 ، والمصادر بالهامش 34 من الصفحة 92 من نفس المصدر .
(17) انظر ترجمته عند خ . الدين الزركلي ،**الاعلام** ،2 : 188 ، والمصادر بالهامش 1 .
(18) انظر **ديوانه** ، ص 277 .

وقال عمر بن الخطاب : ارووا الشعر فانه يدل على مكارم الاخلاق وينفي مساويها ، وتعلموا الانساب فرب رحم مجهولة قد وصلت بعرفان النسب ، وتعلموا من النجوم ما يدلكم على سبلكم في البر والبحر .

وقال أبو الزناد [19] ما رأيت أروى للشعر من عروة [20] ، فقلت له : ما أرواك يا أبا عبد الله ؟ فقال : وما روايتي مع رواية عائشة — رضي الله عنها — [21] .

ومن ملح الشعر بيت مشتمل على أربعين ألف بيت وثلاثمائة بيت وعشرين بيتا ، نظمه الفقيه زين الدين المغربي ، وهو هذا :

بقلبـــي حبـــيب مليـــــح ظريــــف بديـــع جميـــل رشيـــــق لطيـــــف

وهو من المتقارب ، ثمانية أجزاء ، كل جزء منها في كلمة يمكن أن ينطق بها مكان صاحبتها فتجعل كل كلمة في ثمانية مواضع بالتقديم والتأخير ، وان استقصاء هذه المسألة فهي في الفرق الثالث من **فروق القرافي** — رحمه الله تعالى — .

قال بعض الحكماء : العقل يحتاج الى مادة من الادب كما تحتاج الابدان الى قوتها من الطعام .

وقال علي — كرم الله وجهه — : الادب كنز عند الحاجة ، عون على المروءة ، صاحب في المجلس ، أنيس في الوحدة ، تعمر به القلوب الواهية ، وتحيا به الالباب الميتة ، وينال به الطالبون ما حاولوا ،وقيل عقل بلا أدب كشجاع بلا سلاح [22] .

وقال بعض الادباء : من كثر أدبه كثر شرفه ، فان كان وضعيا بعد صيته ، وان كان خاملا ساد ، وان كان غريبا كثرت حوائج الناس اليه وان كان فقيرا [23] .

---

(19) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي ، **الاعلام** ، 4 : 217 ، والمصادر بالهامش 1 .
(20) انظر ترجمته عند أ . بن خلكان ، **وفيات الاعيان** ، 3 : 255 — 258 والمصادر بالهامش 416 من الصفحة 255 من نفس المصدر .
(21) **المستطرف** ، 1 : 60 .
(22) المصدر السابق ،1 : 23 .
(23) المصدر السابق ،1 : 24 .

ولبعضهم :

لكـــل شيء زينـــــة في الـــــورى **وزينـــــة المـــــرء تمـــــام الأدب**
اذا انتمـــى منتـــم الـــى أحـــــد **فانـنـــي منتـــم الـــى أدبـــــي** (24)

وقيل : الفضل بالعقل والادب ، لا بالاصل والحسب (25) .

وقيل : المرء بفضيلته لا بفصيلته ، وبكامله ، وبآدابه لا بثيابه (26) .

وقيل لبعضهم : ما الفرق بين من له أدب ، ومن لا أدب له ؟ قال : كالفرق بين الحيوان الناطق وبين الحيوان الذي ليس بناطق (27) .

ولبعضهم في مؤدب نفسه ـــ وهو أحق بالاجلال من مؤدب الناس ـــ :

يأيهـــا الرجـــل المعلـــم غيـــره ! **لِمَ لا لنـــفسك كان ذا التعليـــم ؟**
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى **كيمـــــا يصح به وأنت سقيـــــم**
وأراك تصلـــح بالـــرشاد قلوبنـــــا **أبـــدا وأنت من الـــرشاد عديـــم**
ابـــدأ بنـــفسك فانهها عن غيهـــا **فاذا انتـــهت عنـــه فأنت حكيـــم**
فهنـــاك يقبـــل ما تقـــول ويقتـــدى **بالقـــول منك وينفـــع التعليـــم**
لا تنـــه عن خلـــق وتأتـــيَ مثلـــه **عار عليك ، اذا فعلت ، عظيـم** (28)

وله ـــ أيده الله ـــ نشر رائق ، وقد ألف كتابين ، أحدهما في سياسة الملوك سماه بـ **المعارف ، في كل ما تحتاج اليه الخلائف** (29) ، والآخر في الاوراد الواردة عن النبي ﷺ في

(24) انظر البيت الاول عند الابشيهي ، **المستطرف** 1 : 24 .
أما البيت الثاني فهو من المنسرح في حين ان البيت الأول من السريع ، ويوجد مكانه عند الابشيهي البيت الآتي :

قد يشرف المـــــرء بآدابـــــــه **فينـــا وان كان وضيـــع الـــنسب**

(25) **المستطرف** ، 1 : 24 .
(26) نفس المصدر والصفحة .
(27) نفس المصدر والصفحة .
(28) **المستطرف** ، 1 : 20 .
(29) كتاب **المعارف في كل ما تحتاج اليه الخلائف** لاحمد المنصور يعرف أيضا **بكتاب السياسة** ،
=

العبادات [30] ، والله أعلم .

فمن أبدع ماله — أيده الله تعالى — ما أنشدنيه بالمحلة المنصورية له وزير قلمه الاعلى ، وحائز القدح المعلى ، الكاتب الاعظم ، والخضم المفخم ، الناظم الناثر ، وحائز قصبات السبق في الدفاتر : أبو عبد الله محمد بن علي الفشتالي سنة اثنتين وتسعين [31] من المعمى ، وهما :

وصفوا اشتياقي للحبيب وسرهم   قول الحبيب أنا أنا فيه
قلبي له حجر ، فقلت مغالطا   للحاسد الواشي أنا فيه

[فسببهما أنه — أيده الله — لبس ذات يوم منصورية من الملف المسمى في عرف

وقد ذكر عبد العزيز الفشتالي أن الذي دعا السلطان الى تحرير هذا الكتاب مقصدان : العمل على مصالح العباد وحياطة البلاد ، لما يفيد ذلك من معرفة تحصين الحصون واختطاطها وتعبئة الحروب ومعرفة أنواع مدافع القذف والرجم وما الى ذلك ، والثاني الخروج عن المألوف في كتب السياسة القاصرة على ذكر مصطلحات الوزير والنديم والمشير وتنمية الخراج والعدل في الرعية وسيرة المملكة في الموكب والمركب والملبس ، كما فعل السلطان أبو حمو الزياني ملك تلمسان في كتابه **واسطة السلوك** ، وغيره ممن ظلوا في مرحلة القول والنظر ، فأراد أحمد المنصور أن ينتقل بكتابه الى مرحلة العمل والتطبيق .
والى ذلك أشار المنصور في خطبة الكتاب بقوله : « وبعد ، فبنا حاجة الى تكميل نفوسنا في الحكمة العقلية أولى بنا فيما نحن فيه ، وأعون على ما نجلبه لهذا الامر العلوى الفاطمي أو ننفيه ، فلنصرف أولا عنان القول اليها ، ولنوجف بالخيل والرجل في ميادين هذه الطروس عليها ... » .
انظر ع . العزيز الفشتالي ، **مناهل** ، 215 — 218 ، وأحمد بن القاضي ، **جذوة** ، 1 : 114 — 116 رقم 44 ، وأ . المقرى ، **روضة** ، 57 — 58 ، وم . الافراني ، **نزهة** ، 135 — 136 ، وعبد السلام بن سودة ، **دليل** ، 2 : 461 ، وم . حجي ، **الحركة** ، 1 : 167 .

(30) اسم الكتاب **العود أحمد** ، مخطوط م . م . بالرباط رقم 4911 ، وهي نسخة ملكية مذهبة كتبت لاحمد المنصور في قصر البديع بمراكش أواسط ذى الحجة عام 1009 هـ / 1601 م ، كتبت صفحات كاملة منها بمحلول الذهب ، وزخرف سائرها بالذهب والألوان ، والمجموع كله مكتوب بخط مغربي واضح . وقد رتب المنصور كتابه على ثمانية أبواب ، استعرض في أولها الوظائف اليومية والليلية من وقت الانتباه من النوم الى وقت الاضطجاع ، وأتى في الابواب التالية بالاذكار الخاصة بالصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد والنكاح والاكل والشرب والسفر ..... ، وختم بذكر فضائل سور القرآن ، وصيغ الصلاة على النبي — عليه السلام — والتعوذ بالله تعالى .
انظر ع . العزيز الفشتالي ، **مناهل** ، 217 — 219 ، أ . المقرى ، **روضة** ، 58 ،م . الافراني ،**نزهة** ، 135 ، م . حجي ،**الحركة** ، 1 : 148 .

(31) 992 هـ توافق 1584 / 1585 م .

الناس بقلب الحجر ، فهو المراد بقوله أنا فيه ، والمنصورية لباس لم يكن في المغرب قبل ، أبدعه ـــ أيده الله ـــ بحدسه وأخرجه الى الوجود بكيسه ، ولذلك نسبت له ، وقوله : أنا أنا فيه محتمل المعنيين ، قريب وبعيد كما هو معلوم في التعمية ، والبعيد هو المراد منهما ، لانه ان حمل على معناه القريب وهو الذي تتوجه اليه النفس بسرعة صح ويكون قوله : أنا أنا فيه من المنافاة ، وان حمل على ما أراد منه من معناه البعيد صح أيضا لان مراده منه أن يضرب عدد كلمة أنا بحساب الجمل وهو اثنان وخمسون في الهاء من قوله فيه ليخرج في الضرب ما يساوى قولك : هيماني وحقك ي ، وذلك مائتان وستون ، وقرينة ذلك هو حرف في الداخل على الهاء من فيه ، لانه جرت العادة عند أهل الحساب بدخول في على المضروب فيه وحينئذ يفهم ما أراد والمعنى كأنه يقول : استفدت من كلام محبوبي قولا يلائم السرور ويناقض الشرور وهو هيماني وحقك يرجع ، فاستفدت صدره وهو هيماني وحقك ى من أنا المضروب في الهاء ، واستفدت باقيه من قوله : قلبي له حجر لان لفظ حجر اذا قلب كان رجح فتم له من هذا ما فهم من محبوبه وما قصد من مطلوبه (32) .

ويعلم أن في هذين البيتين من بديع الصنعة وعظيم الغرابة ما يوجب كتبهما بماء الذهب لمن استطعم معناهما وما ذاك الا من سلامة ذهنه وعقله وفطنته وذكائه وفضله ، وأطلعني الكاتب المذكور عليهما بخطه ـــ أيده الله تعالى ـــ وكنت اثبتهما في **زهرة البستان** ، **المتضوعة بمحاسن أبناء الزمان** ، مع كثير من قصائده الشعرية ، وملحه النثرية ، وضاع ذلك مني في حال محنتي . ولما رجعت الى مراكش بعد خروجي من الاسر طلبت منه أن يمكنني من شيء من ذلك لأستدرك ما فاتني ، فلم يمكني بشيء منه] (33).

وله ـــ أيده الله ـــ نظم غير هذا ، فمن ذلك ما أنشدنيه الكاتب الاعظم ، والنحرير المفخم : أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي :

---

(32) الطريقة الابجدية المغربية تكون على الشكل الآتي :
أ : 1 ، ب : 2 ، ج : 3 ، د : 4 ، هـ : 5 ، و : 6 ، ز : 7 ، ح : 8 ، ط : 9 ، ى : 10 ، ك : 20 ، ل : 30 ، م : 40 ، ن : 50 ، ص : 60 ، ع : 70 ، ف : 80 ، ض : 90 ، ق : 100 ، ر : 200 ، س : 300 ، ت : 400 ، ث : 500 ، خ : 600 ، ذ : 700 ، ظ : 800 ، غ : 900 ، ش : 1000 .

مـلاحظـة :

هذا الترتيب يختلف قليلا عن الترتيب الشرقي .

(33) ما بين المعقوفين ورد متقدما في « ج » ضمن الباب الثاني .

ان يومــا لنـــا ظرى قد تبـــدّى فتملّـــى من حسنـــه تكحيـــلا
قال جفنـــي لصنـــوه : لا تلاقـــي ان بينـــي وبيـــن لقيـــاك ميـــلا (34)

وكأنه ـــ أيده الله ـــ أخذه من قول الصفدي في التعمية وأجاد في الأخذ غاية الاجادة :

ان كَحَّالَنـــا اذا ما تبـــدّى ترك اللحـــظ من سنـــاه كليـــلا
قال لا ترج أن تفـــوز بقربـــي ان بينـــي وبيـــن عينـــيك ميـــلا

وله ـــ أيده الله تعالى بمنه ـــ في اسم سُلاف من المعمى :

وأحـــورَ وَسْنـــان الجفـــون كأنمـــا سقـى لحظه من ريق فيـــه بقرقـــف
نَضَا صارمـــا لا فُلّ صارم جفنـــه تزايـــد منـــه منـــذ سُلَّ تلاه في (35)

ولما راح لزيارة أغمات في جمادى الاولى من عام ستة وتسعين [وتسعمائة] أنشأ ـــ أيده الله ـــ ابياتا اربعة ، وهي :

تبـدّى وزنـد الشوق تقدحـــه النـــوى فتوقـــد أنفـــاسي لظـــاه وتُضرِمُ
وهشَّ لتوديعـــي فأعـــرضت مشفقـــا علـــى كبـــد حَرَّى وقـــلب يُقَسَّمُ
ولـــولا ثواه بالـــحشا لأهنتهـــا ولكنهـــا تُعـــزى اليـــه فتكـــرم
فأعـجب لآساد الشرى كيـف تحجـم على أنـه ظبـي الكِنـاس ويقـــدم (36)

وذيلها أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الشريف الحسني المفتي ، فقال :

---

(34) انظر البيتين عند أ . المقرى ،**نفح** ، 7 : 75 ،**روضة** ، 46 ، وم . الافراني ،**نزهة**، 138 ، وأ . بن القاضي ، **درة** ، 1 : 115 .

(35) انظر البيتين عند أ . المقرى ،**نفح** ، 7 : 78 ، **روضة** ، 40 ، وم . الافراني ،**نزهة** ، 139 وأ . بن القاضي ، **درة** ، 1 : 113 .

(36) انظر الابيات عند أ . المقرى ، **نفح** ، 7 : 74 ـــ 75 ، **روضة** ، 52 ، وم . الافراني ، **نزهة** ، 138 ، وعبد العزيز الفشتالي ،**مناهل** ، 130 .

وأعجب من ذا طور صبريَ عندما تجلّى فدك والجنان متيم
تَحَمَّلَ مني القلب في شرك الهوى وحُلّ اصطباري وَهْوَ من قبل مبرم
وغادرني مضنًى حليفَ صبابة وَقِدماً بتعذيبي خليق ومغرم
فلله عينا من رآنا وبيننا رسائل شوق لا تُبِينُ وتكتم (37)

وذيلها الكاتب أبو فارس عبد العزيز الفشتالي ، فقال :

ألم يك هذا الخِشْفُ يألف وُجْرَهُ فما باله بالمنحنى يتلوَّمُ
صحبت أخاه البدرَ في الليل ساهرا تنافسني في لثم خديه أنجم
وقالوا : نظيرُ الخيزران قَوامُه فقلت : غلطتم انه منه أقوم
لقد وَسِعَ الأرضين صدريَ فسحة وضاق احتمالا بالذي منه يكتم (38)

وذيلها الكاتب أبو عبد الله محمد بن علي الفشتالي ، فقال :

خضوعيَ حاكمُ الغرام قضى به وشأن القضاة بالشهادة تحكم
فلو لم ير العدلان دمعي وزفرتي لما كان في رسم القضية يعلم
غزال يميس خُوطَ بَانٍ وانني لأُنْجِدُ دأبا في هواه وأُتْهِمُ
فهبني أروم كتم نار صبابتي فان لسان الحال عنها يترجم (39)

ولابي عبد الله محمد بن علي الهوزالي في تذييلها :

أخوض عباب الموت في حومة الوغى وسمر القنا بين الضلوع تحطّمُ
وأصدع قلب الفيلق المَجْرِ عنوة ويصدع قلبي أحورُ العين أفحم
وأحمي ذِمار الملك شرقا ومغربا ويحمي فؤادي وَهْوَ فيه محكم
وأكتم ما أنويه حتى عن الحشا وأودعت من بلواه ما ليس يكتم

---

(37) انظر الابيات عند عبد العزيز الفشتالي ، **مناهل** ، 130 .
(38) انظر الابيات عند ع . العزيز الفشتالي ، **مناهل** ، 131 ، وأ . المقرى ،**روضة** ، 55 .
(39) انظر الابيات عند ع . العزيز الفشتالي ، **مناهل** ، 132 وأ . المقرى ، **روضة** ، 55 .

تواي (كذا) به مابي أسى وصبابـة　　طواها فبات البين عنها يترجم (40)

وله ــ أيده الله تعالى ــ في اسم غزال من المعمى ، ونقلتها من خطه ــ أيده الله تعالى بمنه ــ :

وأملـد مطـويّ الحشا زال رِدْفُـهُ　　فلا خصْرَ إلَّا إنْ تصورتـه وهما
بنصف اسمه يرمي القلوب وعكس ما　　بقي أبدا أذن المحب به صما (41)

وله ــ أيده الله تعالى ــ في اسم آمنة ، وأجاد ، وهو من مخترعاته البديعة :

شادِنٌ نَمَّ الـي عطـره　　ما خلاصي من سهـام كَامِنَـهْ
أحـلالٌ فيـه انـي خائـف　　وغزالـي بعـد خوفـي آمِنَـهْ (42)

وللمشارقة في المعميات كثير ، فمن ذلك ما لابن سودون البشبغاوي في اسم حليمة وأجاد :

غرامـي فيـه أضنتنـي غريمـه　　بطـيب الـوصل باخلـةٌ كريمـهْ
تكلـم بالاشارة قلب صب　　حشاشتـه بهـا أمست كليمَـهْ

---

(40) هذا البيت نسبه الفشتالي في **مناهل الصفا**، ص 131 ، للكاتب أبي علي الحسن بن أحمد المسفيوى وجعله مطلع قطعة ذيل بها الكاتب المذكور قطعة مخدومه أبي العباس المنصور ، وقد أثبت الفشتالي القطعة هكذا :

تواي (كـذا) به ما بي اسى وصبابـة　　طواها فبـات البيـن عنهـا يترجـم
فهاجرني (كذا) اودي بحسن تبصري　　وذا جلـدي نهب لديـه ومغنـم
ليهنهـم مثـوى الضلـوع فانـه　　سليـم على حكـم الصبابـة مسلـم
فان يك تعذيب المتيـم في الهـوى　　فان فؤادى في هواهـم منعـم

(41) انظر البيتين عند أ . المقري ،**نفح** ، 7 : 77 ، روضة 39 ،وم . الافراني ، **نزهة** ، 142 ، وم . العزيز الفشتالي ، **مناهل**، 209 ، وأ . بن القاضي ، **درة** ، 1 : 113 .

(42) انظر البيتين عند أ . المقرى ، **نفح** ، 7 : 76 ، **روضة** ، 36 ، وأ . بن القاضي ، **درة** ، 1 : 109 .

وسيمــــة طلعـــــة وسمت فؤادي فياللـــــه واسمـــــة وسيمـــــه
اذا صالت بسيـــف اللحـــظ وَلّتْ جنـــود الصبـــر عنـــي في هزيمـــه
على الـــعشاق كم عطـــفت بحلــم ومـا أحلـى التعطـف من حليمـــه (43)

وله في اسم عزيزة :

فتـــــنت بظبيـــــة أضنت فؤادى محبتهـــا غدت عنـــدي عزيـــزَهْ
تُهَوِّنُ في الهـــوى قتلـــي وكـــم قد أهـــانت قبـــل ذا نفسا عزيـــزه

[ولمؤلفه في اسم عزيزة :

عزيـــــــزة ان نأت لسعت فؤادي وان وصلت فدريـــــــاق السليم
تبشر بالصبـــــاح بكـــــل وقت وان زارتك في الليـــل البهيـــم
تكلمنـــــي بلحـــــظ أو بلفـــظ وتـوجب في الهـوى مطـل الغريـم
كأن المسك اذ فاحت شذاهــــــا نسيم من نسيم من نسيم] (44)

وللحلي في اسم داود :

وثـــقتَ بأن قلبـــي من حديـــد، وفيـــه علـــى الهـــوى بأس شديـــد
فلان علـــى هواك ، ولا عجـــيب اذا داود لَانَ له الحديـــــــد (45)

وله في اسم حسين :

حنينـــــي وافـــر والشوق منـــــي طويـــل والهـــوى عنـــدي مديـــد
واعـــجب أننـــي أهـــوى حسينـــا، وشوقـــي في محبتـــه يزيـــد (46)

---

(43) انظر الابيات في نزهة النفوس ، روقة 36 ظ .
(44) ما بين المعقوفين ورد متقدما في « م » و « ج » ضمن الباب الثاني .
(45) انظر ديوان صفي الدين الحلي ، ص 458 .
(46) انظر ديوان صفي الدين الحلي ، ص 471 .

ولابن سودون في بركات :

رَشَأٌ يصيــــد الأُسْدَ باللفتــــات | قد فاق كل فتــى وكـــل فتـــاة
سكـــن الفـــؤاد فحــرك الاهـــوى به | عبثـا وسلسل مطلـــق العبــــرات
الوجـــه منـــه مبـــارك فاذا بدا | لا تيــأسن ياقــلب من بركــات (47)

[وله في حبشي مشروط الخدين :

يا من تسلـــط عابثـــا بجفونـــه | حتــى سبـــى الأرواح بالتسليـــط
طيرت بالمـــقصوص عقلـــي فانثنـــى | يأوى مقاصيـــر الجـــوى تخبيطـــي
مشروط خدك ظل شرطـــا في اللقـــا | انـــي ولست أراه بالتفريــــط
يابـــدر أفـــلاك الملاحـــة فاعجبـــن | من شأن خدٍّ شارط مشروط (48)

ولبعضهم في اسم ياقوت :

ياقوتُ ياقوتُ قلبــي المستهـــامِ به | من المـــروة ألا يمنـــع القـــوتُ
سكـــنت قلبـــي فلا تخشى تلهبـــه | وكيف يخشى لهيب النـــار ياقـوتُ] (49)

ولابن هائم (50) في اسم يونس :

لست لأغصان النقـــا مادحـــا | لان حبـــي قده أمـــيس
ولست بالأقمـــار مستـــأنسا | لأن عنـــدي قمـــر يونس

---

(47) انظر الابيات في **نزهة النفوس** ، ورقة 32 .
(48) انظر الابيات في المصدر السابق ، ورقة 31 .
(49) ما بين المعقوفين ورد متقدما في « م » و « ج » ضمن الباب الثاني .
وانظر البيتين الاخيرين عند أ . بن خلكان ، **وفيات الاعيان** ، 7 : 43 ، وبهاء الدين العاملي ، **الكشكول** ، ص 357 ، والصفدي ، **الغيث** ، 1 : 55 .
(50) انظر ترجمته عند خ . الدين الزركلي ، **الاعلام** ، 1 : 220 ، والمصادر بالهامش 3 .

وللمناوي (51) في اسم فرج الله :

أقــول لقلبـــي وقـــد ذاب في هوى شادن حاز حسنـــا غريبـــا
تصبــــــــــر اذا كنت في شدة عسى فرج اللــه يأتـــي قريبـــا

ولبعض للمشارقة في سافر عن وجهه :

أفديــه كالشمس المنيــرة وجهـــه بدر لا لبـــاب البريـــة قد قَمَـــرْ
سَفَرَ اللثام وقد أقام على الجفـا فاعـــجب لبـــدر في اقامتـــه سَفَـــرْ

ولابن الصائغ في هاجرة :

هجــرت فأحشائـــي توقـــد جمرهـــا هذا ولـيست في المحبـــة فاتـــرَهْ
وتظـل تحومني اقيـل بالجفا (كـــذا) ومـن الـذي يقــوى بنـــار الهاجِـــرَهْ

وللقاضي الفاضل (52) :

أشكـو اليك جفـون عينهـا أبـــدا عيـــن تترجـــم عن نيـــران أحشائـــي
كأن انسانهـــا وافـــى بمعجـــزة فصار من أدمعي يمشي على المـــاء

ولبعضهم :

ايلخصنا (كـذا) عليـه اللحـظ يجنـى ومـن خديـه أضحـى الـورد يُجْنَـــى

(51) انظر ترجمته عند خ . الدين الزركلي ، **الاعلام** ، 6 : 190 — 191 ، والمصادر بالهامش 1 من الصفحة 191 .

(52) بالاصل : الفاضل بن حجة وهو تحريف ، والصواب ما أثبتناه .
وانظر ترجمة القاضي الفاضل في **وفيات الاعيان**،3 : 158 — 163 ، والمصادر بالهامش 374 من الصفحة 158 .

قلـــوب العـــاشقين بكـــــل بحر   من الاهـــوال لَمَّـــا مِسْتَ غصنـــا

لجلال الدين القوصي :

أقـــول له ودمعـــي ليس يَرْقـــا   ولـي من عَبْرَتـي احـدى الوسائـلْ
جرحتُ الطيـف منك ببـيض دمعـي   فطرفـي منك محـــروم وسائـــلْ

للصفدي :

ان لم تصدقنـــي تصدق بالكـــرى   ليزورنـــى فيــه الخيـــال الزائـــلُ
وانظـــر الى فقـــرى لوصلك واغتنـــم   أجري وقـل للدمع قف يا سائـل (53)

[ولابن نباتة] (54) :

لمـــا تَبَـــدَّى في الحُنَيْـــــ   ـــن تحـــاربت كِبْـــدِي وعينـــي
فاعـــجب لهـــا من وقعـــة   جاءت ببـــدر في حُنَيْـــنِ

وللصفدي في ساق :

كَلَفـــي بساق كل وعـــد منـــه لي   مازال يُخْلفـــه علـــى الاطـــلاق

(53) انظر البيتين عند ابن حجة الحموي ، **خزانة الادب** ، ص 34 .
(54) بالاصل : لابن سناء الملك ، وهو خطأ ، اذ نسبهما الشهاب الخفاجي في **شفاء الغليل** ، ص 155 — 156 ، الى ابن نباتة في معرض حديثه عن القرطق قائلا : « قرطق لباس يشبه بالقباء ، جمعه قراطق ، وأصله بالفارسية كرته ، وهو لباس قصير تقول له العوام شاية ... وأخطأ عمر الوداعي فظن مقرطق بمعنى ذي قرط ... وانما هو مقرط كما في شرح الفصيح ، والمولدون يسمونه حنيني ، قال ابن نباتة :

لمـــا تبـــدى في الحنيـــــ   ـــن تحـــاربت كبـــدى وعينـــي
فاعـــجب لهـــا من غزوة   جاءت بـــدر في حنيـــي

وانظر أيضا ابن حجة الحموي ، **خزانة الادب** ، ص 396 .

حتى قطـعت مطامعـي من وعـده ونسيتُ عن قربـي بهـذا الساق

ولابن حجر في وقاد :

أحـبت وقـادا كبـدر طالـع أسكنتـه برضى الغـرام فؤادى
وأنا الشهـاب فلا يُعَنِّـفْ عاذلـي ان ملت نحـو الكـوكب الوقـاد

ولبعضهم في زائر :

أفديـه ظبيـا زارنـي في الدجـى وقـد غدا كالاسد الكـاسر
يزأر من عجب علـى عاذل فيالـه من أسد زائـر

وله في اسم شاهين :

يا من تسمَّـى بشاهيـن وشيمتـه صيد النفـوس وبالالحـاظ يسبينـا
قد اشتهينـاك معشوقـا لأنفسنـا فهل ترى أنت يا شاهيـن شاهينـا

ولابن الهائم في حمزة :

وليـل زار حمـزة في دجـاه وبـات معانقـي تحت الغطـاءِ
فبت أفـرق الأحـزان عنـي وأجمـع بيـن حمـزة والـكساءِ

وقريب منه لمحمد بن تميم (55) ، حيث كتب مع وردة :

سبـقت الـيك مع الحديقـة وردة واتـتك بل أوانهـا تطفيـلا
طمعت بلثـمك اذ رأتك فجمَّـعت (فمها الـيك كطالب تقبيـلا) (56)

---

(55) انظر ترجمته عند م . بن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 4 : 54 — 62 ، والمصادر بالهامش 504 من الصفحة 54 من نفس المصدر .

(56) انظر البيتين عند م . بن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 4 : 58 ، والصفدي، **الغيث المسجم** ، 1 : 72 .

وله في متعمم بشاش سكرى :

يا قاتل العشاق من جفنه ... والقد بالأبيض والأحمر
في سكّرى الشاش تبدو فيا ... لله ما أحلاك في السكرى

وله :

أهيفُ كالغصن له ريقة ... ببردها ذقت عذاب الحريق
أعطافه بالحَلْي قد أورقت ... واحيرتي منه بغصن وريقْ!

وله في ناموس :

ياسيدا ناموس منزله غدا ... جسمي يقاسي منه غاية (57) البؤس
ان عاش بالناموس غيري في الورى ... فأنا الذي قَدْ مت بالناموس

ومن اختراعات ابن لؤلؤ بدر الدين يوسف (58) في مليح يقط شمعة :

وذي قَوام أهيفٍ ... بين النُّدَامَى قد نَشِطْ
قام يَقُطُّ شمعة ... فهل رأيت الظبي قَطْ (59)

ولأمين الدين السليماني :

يا نظرةً ما جلت لي حسن طلعته ... حتى انقضت وأدامتني على وَجَلِ
(عاتبت انسان عيني في تسرُّعه ... فقال لي : خُلِقَ الانسان من عَجَلِ (60)

---

(57) (غاية) ينحرف معها الوزن ، والانسب كلمة مثل (جهد) .
(58) انظر ترجمته عند م . بن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 4 : 368 — 383، والمصادر بالهامش 597 من الصفحة 368 من نفس المصدر .
(59) انظر البيتين عند النواجي ، **حلبة الكميت** ، ص 207 .
(60) نسب بهاء الدين العاملي في **الكشكول** ، ص 379 ، البيتين الى شرف الدين شيخ الشيوخ بحماة ، وفي عجز البيت الثاني اقتباس من الآية 37 من سورة الانبياء .

وله : وهو قريب من المعنى :

قلت وقد عقرب صُدْغاً له عن مَشْقَةِ الحاجب لَمْ تُحْجَبِ
قدست يارب الجمال الذي أَلَّفَ بين النون والعقرب

ولنرجع الى ما كنا بصدده مما لمولانا ــ أيده الله تعالى ــ فله ــ أيده الله تعالى ــ ما اتفق له أنه ذات يوم دخل رياض المسرة فألفى بها وردة في غير أوانها ، فاستقطفها، فقطفت له، فوضعها في منديل مع أبيات ، وبعث بها الى حظية من حظاياه كانت ساعتئذ في تيه وصلف ، الا أنها منه في وجد وكلف ، والأبيات هذه هي :

وافى بها البستان صنوك وردة يقضي بها لما مطلت وعودا
أهدى البهار محاجرا وأتى بها في وقته كيما تكون خدودا
فبعثها مرتادة بنسيمها تثني من الروض النضير قدودا (61)

والورد لاشك أنه أظرف الأنوار في أوانه .

ولمسلم بن الوليد (62) في تفضيل الورد على النرجس :

كم من يد للورد مشهورة عندي وليست كيد النرجس
الورد ياتي ووجوه الربى تضحك عن ذي بَرَدٍ أملس
وقد تحلّت بعقود الندى نابتة في الروض لم تغرس
ولن ترى النرجس حتى ترى فيه الخُزامى رثة الملبس
وتُخْلِقُ النكباء ما جددت أيدى الغوادي في سنا السندس
هناك يأتيك غريب على شوق من الأعين والأنفس (63)

(61) انظر الابيات عند . ع . العزيز الفشتالي ، **مناهل** ، 221 ــ 212 ، وأ . بن القاضي ، **درة** ، 1 : 116 ، وأ . المقرى ،**نفح** ، 7 : 80 .

(62) انظر ترجمته عند خ . الدين الزركلي ، **الاعلام** ، 8 : 120 ــ 121 والمصادر بالهامش 1 من الصفحة 121 .

(63) انظر الابيات عند الصفدي ، **الغيث المسجم** ، 1 : 158 .

ولأبي بكر الصنوبري :

زعـم الـورد أنـه هو أزهـى — من جميـع الأزهـار والريحـان
فأجابتـه أعيـن النـرجس الـغض — بِذُلٍّ من قولهـا وهـوان
أيمـا أحسن التـورد أم مقـ — لة ريـمٍ مريضة الاجفـان
أم لمـاذا يرجـو بحمرتـه الـور — دُ اذا لم يكـن له عينـان
فزهـا الـورد ثم قال مجيبـا — بقيـاس مستـحسن وبيـان
ان ورد الخـدود أحسن من عيـ — ن بهـا صفـرة من اليرقـان (64)

ولابن الرومي يهجو الورد :

وقائلٍ : لِمْ هجوت الورد ؟ قلت له : — من شؤمه عند لُقْياَهُ ومن سَخَطِهْ
كأنـه سرم بغـل عنـد سكرجـة — بعد الوفاة وباقي الروث في وسطه (65)

وأين هذا التشبيه من قول الآخر :

كأنـه وجنـة الحبـيب وقـد — نَقَّطَهَـا عاشق بدينـار (66)

قال الصفدي :

فانظر الى هذا : وجنة وحبيب ودينار ، وذلك : سرم وبغل وروث .

---

(64) انظر الابيات في **ديوان أبي بكر الصنوبرى** ، ص 498 ، وكذلك م . بن شاكر ، **فوات الوفيات**، 1 : 123 ، والراغب الاصبهاني ، **محاضرات الادباء** ، 4 : 576 .

(65) البيتان من قطعة من ثلاثة أبيات ، هذا مطلعها :

يا مادح الورد لا ينـفك عن غلطـه — ألست تبصره في كف ملتقطـه

وقد ورد البيت الثاني **بالديوان** ، 4 : 1452 ، هكذا :

كأنـه سرم بغـل حيـن يخرجـه — عند الرياث وباقي الروث في وسطه

وانظر روايات أخرى في مصادر تخريج الابيات بالهامش 4 من نفس الجزء والصفحة .

(66) نسبه النواجي في **حلبة الكميت** ، ص 240 ، الى أبي الطاهر الرفا .

ولابن الرومي يفضل النرجس على الورد :

هذى النجـــوم الزهـــــر ربتهمـــــا بحيا السحاب كما يُربـي الوالـــد
فانظـر الى الولدين : من أدناهمـــا شبهـــا بوالـــده ، فذاك الماجـــــد
أيـــن العيـــون من الخـــدود نَفَـــاسَةً ورياسة لولا القيـــاس الفـــاسد؟
فصل القضيـــــــــة ان هذا طارد زهـــر الريـــاض وان هذا قائـــد (67)

وناقضه جماعة ، فمنهم أحمد بن يونس الكاتب :

ان القيـــاس لمـــن يصح قيـــاسه ، بيـــن العيـــون وبينـــه متباعـــد
ان قلت ان كواكبـــا ربتهمـــــا بحيا السحاب كما يربـى الوالـــد
قلنا أحقهما بطبـــع أبيـــه في الـــ جدوى هو الزاكي النجيب الـــراشد
زهـــر النجـــوم تروقنـــا بضيائهـــا ولهـــا منافـــع جمـــة وعوائـــد
ان كنت تنكـــر ما ذكرنـــا بعدمـــا ظهـــرت عليـــه دلائـــل وشواهـــد
فانظر الـى المصفـــر لونـــا منهمـــا وافطـن فما يصفـر الا الحـــاسد (68)

ولسعيد بن هاشم الخالدي (69) :

أبـــحث النـــرجس الورقـــيّ خدى ومالـــى باجتنـــاء الـــورد طاقَـــةْ

---

(67) انظر الابيات في **ديوان ابن الرومي** ، 2 : 644 ، وقد سقط البيت الأخير من **الديوان** .

(68) الابيات من قصيدة مطلعها :

يامـــن يشبـــه نرجسا بنواظـــــر دعـــج ، تنبـــه ان فهـمك راقـــد

انظر الحصري **زهر الآداب** ، 1 : 523 ـــ 524 ، والصفدي ، **الغيث المسجم** ، 1 : 157.

(69) هو : سعيد بن هاشم بن وعلة بن عرام من بني عبد القيس ، أبو عثمان الخالدي (ت 371 هـ / 981 م) شاعر أديب ، اشتهر هو وأخوه محمد بالخالديين ، وكانا آية في الحفظ و البديهة ، يتهمهما شعراء عصرهما بسرقة شعرهم . وأورد الثعالبي في اليتيمة قصائد لأحد معاصريهما في هذا المعنى وقال ابن النديم : « كانا اذا استحسنا شيئا غصباه صاحبه ، حيا أو ميتا ، لا عجزا منهما عن قول الشعر ولكن كذا كانت طباعهما » ، ولابي عثمان هذا ديوان شعر ، واشتركا في تصنيف كتب منها : **الاشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين** ـــ خ ، يعرف بحماسة المحدثين أو حماسة الخالديين ، وجمعا مما قيل فيهما في كتاب **التحف والهدايا** ـــ خ ، ومن كتبهما كذلك **أخبار أبي تمام ومحاسن شعره** ، الى غير ذلك من الكتب .
انظر ترجمته عند م . بن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 2 : 52 ـــ 57 والمصادر بالهامش 169 من الصفحة 52 من نفس المصدر .

كلا الأخويـــــن معشوق وانـــــــي أرى التفضيـــل بينهمـــا حماقَـــهْ
همـــا في عسكـــــر الأنـــوار هذا مقدمــــــة تسيـــــر وذاك ساقــــه

ومما أنشدنيه شيخنا أبو العباس أحمد بن علي المنجور في البنفسج — برد الله ضريحه ، وأسكنه من الجنان فسيحه — :

بنـــفسج جمـــعت أوراقـــه فحكـــى كُحْـــلًا تَشَرَّبَ دمعـــا يوم تشتـــيت
ولا زورديـــــةٍ تزهــــــو بزرقتهـــــا بيـن الرياض على حمـــر اليواقـــيت
كأنـــه وضعـــاف الـــقضب تحملـــه أوائل النار في أطراف كبـــريت (70)

ولبعضهم في البَهار :

حكاني بهار الـــروض لمـــا أَلِفْتُـــهُ وكـــل بهـــار للمــــحب مصاحبُ
فقـــلت له : ما بال لونك شاحبـــا فقـــال لأنـــي حيث أَقْلَبُ راهبُ (71)

وللناس في القلب مقطعات ، فمن ذلك ما لبعضهم :

جاذبتهــــا والريــــح تضرب عقربـــــا من فوق خد مثـــل قلب العقـــــرب
فتمايـــلت عجبـــا وصدت وانثـــنت وتستـــرت عنــــي بقـــلب العقـــرب

---

(70) الابيات لأبي العتاهية .
انظر — مثلا — النواجي ، **حلبة الكميت** ، ص 246 — 247 .

(71) نسبهما النواجي في **حلبة الكميت** ، ص 252، الى الفضل بن اسماعيل وانظر ايضا ابن حجة الحموى ، **خزانة الادب** ، ص 39 — 40 .

ملاحظة

للمزيد من التوسع حول الورد في الادب العربي انظر :
مصطفى القصري :
«بين انصار الورد وخصومه» ، مقال بمجلة **المناهل** ، العدد 2 ، مارس 1975 ، ص 155 — 179 .
«زهرة الورد في المصادر القديمة» ، بمجلة **المناهل** ، العدد 13 ، دجنبر 1978 ، ص 278 — 305 .

ولبعضهم في دملج :

الـــــي الـــنساء يلتجـــــي وعندهـــــــن يوجـــــــــد
الـــجسم منــــه فضــــة والقـــلب منــــه جلمـــد (72)

ولابن قزل في رمح :

أي شيء يكـــون مالا وذخـــــرا راق حسنــا عنــد اللقــاء ومَخْبَـــرْ
أسمـــرُ القــد ازرق السن وصفـــا انمـــا قلبـــه بلا شك أحْمَــــرْ

ولبعضهم في كمون :

يا أيها العطار لعطار أعــرب لنــا عن اسم شيء قل في سومك
تنظـــره بالعيـــن في يقظـــة كمـــا يرى بالقـــلب في نومك (73)

وفي الرياض لبعضهم :

لقد جال في جون الغمامــة أدهــم له البــرق سوط والشمــال عنــانُ
وَضَمَّخ رَدْعُ الشمس نَحْرَ حديقــةٍ عليــه من الطــل السقيــط جُمــانُ
وَنَـــمَّتْ باسرار الريـــاض خميلـــةٌ لهـــا النَّـــوْرُ ثغـــرٌ والنسيـــم لسانُ

لمحيي الدين بن قرْناص (74) :

قد أتينـــا الريـــاض حيـــن تجـــلّتْ وتحـــلت من النـــدى بجمـــان
ورأينـــا خواتـــم الزهـــر لَمَّـــا سقـــطت من أنامـــل التيجـــان

---

(72) انظر البيتين عند الصفدي ، **الغيث** ، 2 : 264 ، والابشيهي **المستطرف** ، 2 : 234 .
(73) **المستطرف** ،2 : 236 .
(74) انظر ترجمته عند اسماعيل البغدادي ، **هدية العارفين** ، 1 : 12 ، وخ . الدين الزركلي ، **الاعلام** ، 1 : 60 .

ولبعضهم :

تَبَسَّمَ ثغر الروض عن شَنَبِ القَطْرِ وَدَبَّ عذارُ الظل في وجنة النهر (75)

ولابن خفاجة :

ألا رب يوم خَتَتِ الكاس خطوَهُ ، فطار ، وأيام السرور قِصارُ
عثرت بذيل السكر فيه ، عشية ، وللريح في موج الخليج غبار
وقد فَضَّضَ النُّوار كل رباوةٍ ، وسال عليها للأصيل نُضارُ (76)

ولابن النبيه :

تَبَسَّمَ ثغر الروض عن شَنَبِ القَطْرِ وَدَبَّ عذار الظل في وجنة النهر (77)

وله :

والنهر خد بالشعاع مورد قد دب فيه عذار ظل البان
والماء في سوق الغصون خلاخِلٌ من فضة والزهر كالتيجان

الشريف أبو الحسن العَقِيلي (78) :

الغرب بالليل (79) مسك والشرق بالفجر نَدُّ

---

(75) انظر البلوي ، **تاج المفرق** ، 1 : 238، وقد ذكره بدون نسبة .
(76) انظر **ديوان ابن خفاجة** ، ص 113 .
(77) انشد ابن القاضي هذا البيت سابقا بدون نسبة ، والبيت لا يوجد في **ديوان ابن النبيه** ، ولكن يوجد بنفس النسبة في عدة مصادر ، منها :
ثمرات الاوراق لابن حجة الحموي ،2 : 244 .
خزانة الادب لنفس المؤلف ، ص 50 .
(78) انظر ترجمته عند م . بن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 3 : 18 — 23 ، والمصادر بالهامش 338 من الصفحة 18 من نفس المصدر .
(79) بالاصل (بالفجر) وقد أثبتنا ما **بالديوان** ، ص 108 ، لأنه أنسب .

وروضةُ الجَـــامِ فيهـــا من زهـــرة الـــراح ورد
فاشرب علـــى وجـــه أرض لهـــا من المـــاء خـــد
فجيـــد يومـــك فيـــه مـــن الملاحـــة عِقْـــدُ (80)

وقد أخذه من ابن خفاجة :

فما الأنس ، الا في مجاج زجاجـة ، ولا العيش ، الا في صريـر سريـر
واني ، وان جئت الـمَشيبَ ، لمولـعٌ بطـرة ظل ، فوق وجـه غديـر (81)

ولمحمد بن تميم :

وليلـة بتّ أسقـى في غياهبهـا راحـا تسل شبابـي من يد الهـرم
ما زلت أشربها حتى نظـرت الـى غزالة الصبـح ترعـى نرجس الظلـم

ولابن نباتة :

هذي الحمائـم في منابـر أيْكهـا تُملي الغنـا والطـل يكتب في الـورق
والـقضب تخْـفِضُ للسلام رؤوسهـا والزهر يرفـع زائريـه علـى الحـدق (82)

ولمجير الدين بن تميم :

انـي لأشهـد للحمـى بفضيلـة من أجلهـا أصبـحت من عشاقـه
ما زاره أيـام نرجسه فتـى الا وأجـلسه علـى أحداقـه

ولمولانا ــ أيده الله تعالى بمنه ــ وهو من التجنيس المركب :

---

(80) انظر الابيات في **ديوان الشريف العقيلي** ، ص 108 ــ 109 .
(81) انظر **ديوان ابن خفاجة** ، ص 142 .
(82) انظر البيتين في **ديوان ابن نباتة** ، ص 337 .

لما نأى المحبوب رقّ ليَ الدجى وأتى يعلّلني بزهر كواكبهْ
أولى غراب البين ودك يا حشا البين يدني الصباح كواك بِهْ (83)

والهجر من اصعب ما يكون ، ولابن المعتز فيه:

أكثرت هجرك غير أنك ربما عطفتك أحيانا علي أمور
فكأنما زمن التهاجر بيننا ليل وساعات الوصول بدور (84)

ولقد أخذه أبو القاسم أسعد بن ابراهيم بن بليطة الاندلسي (85) :

تتنفس الصهباءُ في لهواته كتنفس الريحان في الآصال
وكأنما الخيلان في وجناته ساعات هجر في زمان وصال (86)

ولبعضهم فيه :

أسفر ضوء الصبح من وجهه فقام خال الخد منه بِلال

---

(83) ورد البيتان عند أ . المقرى في **النفح** ، 7 : 76 ، **روضة** 38 ، هكذا :

لما نأى المحبوب رق لي الدجى وأتى يعللني برعي كواكبه
أولى غراب البين ردك ياحشا والبين مزني الصباح كواك به

وعند ع . العزيز الفشتالي في **المناهل** ص 208 ، ورد البيت الثاني هكذا :

أولى غراب البين ودك يا حشا البين مرئي الصباح كواكبه

(84) البيتان لا يوجدان في **ديوان ابن المعتز** .
(85) انظر ترجمته عند بهاء الدين العاملي ،**الكشكول** ، ص 326 ، وأ .المقرى ،**نفح** ، 4 : 51 — 52 — 100
(86) انظر البيتين عند ابن دحية ، **المطرب** ، 126 ، وابن سعيد **رايات المبرزين** ، وبهاء الدين العاملي ، **الكشكول** ، ص 326 ، وصالح بن شريف الرندي ، **الوافي**، ص 96 ، وهما في **المغرب** لابن سعيد ،2 : 99 ، لعبد العزيز بن خيرة المنفتل .

كأنمـــا الخـــال علـــى خده ساعـات هجـــر في زمـــان وِصال

ولتاج الدين بن الذهبي :

والحسن [87] داوى غُلّتي برحيقه فما زادني الا لهـيبَ حريـقِ
ومـن عجب أنـي خذلت بخـده وليـس سوى خال به وشقيـقِ

وللشريف العقيلي وأجاد :

وشارب مثـل نصف الصاد صاد به قلبـي رَشاً ثغـره أنْقَـى من البَـرَدِ
كأنمـا خالــه من فوق وجنتـه سواد عيـن بدا في حمرة الرمـد [88]

وللصفدى :

ما أبصرت عينـاي احسن منظـرا فيمـا يرى من سائـر الاشيـاء
كالشامـة الـخضراء فوق الوجنةالـ حمـراء تحت المقلـة السوداء

ابن العفيف [89] :

[قد] كان ذاك الخال لما غدا يلـوح في سلسلـة من عذارْ
أسيـودا يخـدم في جنـة قيـده مولاه خوف الفـرار

ولجعفر بن شمس الخلافة [90] :

---

(87) كلمة (الحسن) لا يستقيم معها الوزن ويحتاج صدر البيت الى كلمة مثل (أسمر) أو (أهيف) الى آخره ...
(88) انظر **ديوان الشريف العقيلي**، ص 120 .
(89) انظر ترجمته عند م . بن شاكر ، **فوات الوفيات**، 3 : 372 — 382 وامصادر بالهامش 459 من الصفحة 372 من نفس المصدر .
(90) انظر ترجمته عند أ . بن خلكان ، **وفيات الاعيان**، 1 : 362 — 363 رقم 139 .

خد الحبيب وقلبي فيهما شبهٌ مبين فلذاك القلب يهواه
توريده قد حكى اشراق حمرته والخال في وسط يحكي سويداه

ولابن نباتة :

بروحي عاطر الانفاس ألْمَى مليح الحسن خالي الوجنتين
له خالان في دينار خد تباع له القلوب بحبتين (91)

ولـه :

للـه خال على خد الحبيب له في العاشقين كما شاء الهوى عبث
أورثته حبة القلب القتيل به وكان عهدى أن الخال لا يرث (92)

وللوداعي (93) من الاختراعات البديعية على غير طريق التورية :

انظر الى الجنة في ثغره لا ريب في ذاك ولا شك
أما ترى فيه الرحيق الذي ختامه من خاله مسك

وللأرَّجَاني (94) :

وأغيدَ رَقّ ماء الوجه منه فلو أرخى لثاما عنه سالا
تبين سوادها الأبصار فيه فحيث لحظت منه حسبت خالا

---

(91) انظر **ديوان ابن نباتة** ، ص 490 .
وقد ورد الشطر الثاني من البيت الاول هكذا :
رشيق القد ساجي المقلتين .
(92) انظر **ديوان ابن نباتة** ، ص 85 .
(93) هو علي بن المظفر بن ابراهيم ، علاء الدين الكندى ، المعروف بالوداعي (640 هـ — 716هـ).
ظر ترجمته عند م . بن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 3 : 98 — 103 والمصادر بالهامش 362 من الصفحة 98 من نفس المصدر .
(94) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الارجاني الملقب ناصح الدين المتوفى سنة 544 هـ

ولبعضهم :

بنقطة الخال وطعم اللَّمَى وخضرة الشارب ياعاتبي
قد ملت للنقطة بعد التقى وقلت بالمشروب والشارب

ولآخر :

رحمت أسود ذاك الخال حين بدا في صفحة الخد مرجوما بابصار
كأنه بعض عباد الهنود وقد ألقى بمهجته في لجة النار

ولابن العفيف :

وبين الخد والشفتين خال كزنجي أتى روضا صباحا
تحيره الرياض فليس يدري أيجني الورد أم يجني الأقاحا

وللقاضي الفاضل :

لو لم يُعَطِّلْ خاطري من سلوة ما كان خدي بالمدامع حالي
أودعته قلبي فخان وديعتي بسواده في خده كالخال

ولمجير الدين بن تميم :

ومهفهف خيلانه وعذاره قد جاوزا حد الجمال فأفرطا
فكأنما كتب العذار بخده سطرا بحبات القلوب منقطا

بمدينة تستر بخوزستان التي كان قاضيا بها .
انظر ترجمته عند أ . بن خلكان ، **وفيات الاعيان** ، 1 : 151 — 155 والمصادر بالهامش 63 من الصفحة 151 من نفس المصدر .
وانظر البيتين عند الصقدي ، **الغيث** ، 1 : 258 .

ومن المرقص لعون الدين بن العجمي [الحلبي] (95) :

لهيب الخد حين بدا لعيني   هوى قلبي عليه كالفراش
فأحرقه فصار عليه خالا   وها أثر الدخان على الحواشي (96)

ولابن نباتة :

عرج على حرم المحبوب منتصبا   لقبلة الحسن واعذرني على سهري
وانظر الى الخال فوق الثغر دون لَمىً   تجد بلالا يراعي الصبح في السَّحَرِ (97)

وله :

سألته عن قومه فانثنى   يَعْجَب من افراط دمعي السخي
وأبصر المسك وبدر الدجى   فقال ذا خالي وهذا أخي (98)

وللصفدي :

بروحيَ خدُّه المحمرُّ أضحى   عليه شامة شرط المحبَّهْ
كأن الحسن بعشقه قديما   فنقطة بدينار وحَبَّهْ (99)

ولابن أيبك (100) :

---

(95) بالاصل (نور الدين العجمي) ، وهو تحريف .
انظر ترجمته عند م . بن شاكر، **فوات الوفيات** ، 2 : 66 ــ 68 رقم 175 ، وأ بن خلكان ، **وفيات الاعيان** ، 6 : 251 ــ 252 .
(96) انظر البيتين عند م . بن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 2 : 67 ، وأ . بن خلكان ، **وفيات الاعيان** ، 6 : 252 ، والدميري ، **حياة الحيوان الكبرى** ، 2 : 206 .
(97) انظر **ديوان ابن نباتة** ، ص 250 .
(98) انظر البيتين عند ابن حجة الحموى ، **خزانة الادب** ، ص 66 .
(99) انظر البيتين عند ابن حجة الحموى ، **خزانة الادب** ، ص 14 .
(100) يقصد صلاح الدين الصفدي المترجم له سابقا ، وقد نسبهما أيضا له الابشيهي في **المستطرف** ، 2 : 18 ، في حين نسبهما ابن حجة في **خزانة الادب** ، ص 14 ، لتقي الدين السروجي .

في الجـانب الأيمـن من خدهـا   نقطـة مسك أشتهـي شمهـا
حسبتـه لمـا بدا خالهـا   وجدتـه من حسنـه عمهـا

ولابن عفيـف :

يا خالَـه خضرةٌ بعـارضه   حرستهـا عن متيـم مُغْـرَى
كُفّ عن العاشقيـن مقـتصدا   هل أنت إلّا خُوَيْرِسَ الـخضرا (101)

ولجمال الدين بن ابراهيم :

وعـاكس بالليـل (102) بدر الدجـى   بخـده والخـال أهـواه
فالبـدر خال في محيـا الدجـى   والليـل خال في محيـاه

ولبعضهم مضمنا :

تنكـر الخـال علينـا عندمـا   سال عليـه العـارض الـمسلسل
فعنـه سلنـي ان تُرِدْ تعريفـه   (فانـه مُنَكّـرٌ ياَ رَجُـلُ)

---

(101) انظر البيتين عند م . بن شاكر ،**فوات الوفيات** ، 3 : 376 .

(102) بالاصل : وعاكس الليل بدون باء .
ولعل الانسب هو ما أثبتناه .
والواو واو رب ، وبدر معمول لاسم الفاعل عاكس منصوب على أنه مفعول ، والخال بالنصب معطوف على بدر ، يريد أن يقول : اني أحب جميلا انعكست فيه حال السماء ، فوجه الدجى على رقعة السماء أسود وعليه خال أبيض هو البدر ، أما الجميل فعلى عكس ذلك ، لان وجهه أبيض وخاله أسود .

ملاحظة

عند الصفدي في **الغيث** ، 1 : 161 ، ورد صدر البيت الأول هكذا :
وعاكس الليل وبـدر الدجى
كما ورد اسم قائل البيتين هكذا :
لابن امام الحرمين (جمال الدين ابراهيم الحنفي)

وللناس في التضمين مقطعات لا تحصى ، فمن ذلك :

يقول عارض حِبي حين مَرَّ على ... روض الخدود كمر الطيف في الوَسَنِ
(أصبحتُ ألْطَفَ من مر النسيم على ... زهر الرياض يكاد الوهم يؤلمني) (103)

القيراطي :

في خد من همت به شامة ... ما الند في نفحته نَدُّها
والعنبرُ الوردُ غدا قائلا ... (لَا تَدْعُنِي إلَّا بيا عَبْدَهاَ) (104)

ابن نباتة :

أفي كل يوم لي جوىً متواتر ... ولا حظ لي من عطفك المتدارك
فتنت بخال فوق خدك صانه ... أبوك، فويلي من أبيك وخالك (105)

ولبعضهم :

ليل عذار وصبح خدٍّ ... قالا لمن لا له عذار
(من لم يؤدبه والداه ... أدبه الليل والنهار)

الصفدى :

دبّ العذار فظن فيه لائمي ... أني أكون عن الغرام بمعزل

---

(103) البيت المضمن واحد من بيتين شهيرين ثانيهما :

في كل معنى لطيف أجتلي قدحا ... وكل ناطقة في الكون تطربني

ومن طريف ما جاء في البيتين أن أبا الفرج عبد الرحمان بن الجوزي أنشدهما في بعض مجالس وعظه ، فأراد بعض أهل الرعونة أن يعترض عليه فقال : ياشيخ ، فاذا كان الناطق حمارا؟ قال الشيخ : أقول له : أسكت يا حمار ! .

(104) في الشطر الثاني من البيت الثاني تضمين من صدر بيت غزلي هذا عجزه : فانه أشرف أسمائي .

(105) انظر **ديوان ابن نباتة** ، ص 359 ، وقد ورد البيت الاول هكذا :

أفي كل يوم لي إليك مطالب ... ولكنها محفوفة بمهالك

لا كان ذاك فانني من معشر (لا يسألون عن السواد المقبل) [106]

ابن أبي حجلة [107] :

يا صاح قد حضر المدام ومنيتي وحظيت بعد الهجر بالايناس
وكسا العذار الخد حسنا فاسقني (واجعل حديثك كله في الكاس)[108]

ولزكي الدين بن أبي الإِصْبع [109] :

له من ودادي ملء كفيه صافيا (ولي منه ما ضمت عليه الأناملُ)
ومن قده الزاهي وَنَبْتِ عذاره (صدور رماح أشْرِعَتْ و ذوابل)[110]

ولمحمد بن تميم :

---

(106) في عجز البيت الثاني تضمين مأخوذ من قول حسان بن ثابت في لاميته الشهيرة :
يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

(107) انظر ترجمته عند عادل نويهض ، **معجم أعلام الجزائر** ، ص 47 ـ 48 والمصادر بالهامش .

(108) في الشطر الثاني من البيت الثاني تضمين ، اذ ضمنه عجز بيت لابي نواس هذا صدره : وإذا جلست الى المدام وشربها .
وانظر البيتين عند ابن حجة الحموى ، **خزانة الادب** ، ص 34 ، والنواجي ، **حلبة** ، ص 30 ، والابشيهي ، **المستطرف** ، 2 : 16 .

(109) بالاصل (ابن الاصبع) ، وهو تحريف ، اذ المترجم هو عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر أبي الاصبع العدواني (585 هـ ـ 654 هـ) ، شاعر وأديب ، له تصانيف حسنة منها : **بديع القرآن** ـ خ ، و **تحرير التحبير** ـ خ ، و **الجواهر السوانح في سرائر القرائح** .
انظر ترجمته عند م . بن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 4 : 363 ـ 366 والمصادر باهامش 290 من الصفحة 363 من نفس المصدر .

(110) بالشطر الثاني من البيت الاول تضمين ، اذ ضمنه عجز بيت لجعفر بن علبة الحارثي ، من شعراء **الحماسة** . وهذا صدر البيت :
لهم صدر سيفي يوم بطحاء سحبل .
وبالشطر الثاني من البيت الثاني كذلك تضمين ، اذ ضمنه عجز بيت لجعفر بن علبة السالف الذكر ، وهذا صدر البيت :
فقالوا لنا ثنتان لا بد منهما .
انظر **شرح المرزوقي على الحماسة** ، 1 : 44 ـ 49 .
انظر البيتين عند الصفدي ، **الغيث** ، 1 : 72 .

وَطِرْفٍ تخطُّ الارض رجلاىَ فوقــه   اذا ما مشى ضاقت عليه المنــافسُ
ومــا أنــا الا راجــل فوق ظهــره   (ولكنني فيما ترى العين فارس) (111)

ولــه :

لو كنتَ في الحَمَّامِ والحِنَّــا علــى   أعطافــــه ولجسمـــــه لَأْلَاءُ
لرأيتَ ما يَسْبيك منــــه بقامــــةٍ   (سال النُّضار بها وقام الماء)(112)

وله في زهر اللوز :

أزهــرَ اللــوز أنت لكـــل زهـــر   من الازهـــار تاتينـــا امـــام
لقـــد حسنت بك الايـــام حتـــى   (كأنك في فم الدنيا ابتسام)(113)

ولشرف الدين بن زيان :

ولقد ظفــرت بحب ظبـــي أشقـــر   بعـــــــــذاره في خده لَأْلَاءُ
عايــنت منــه محاسنــا في وجنــة   (سال النضار بها وقــام المــاء)

ولــه :

قيــان ملاهــيك يلـــذّ سماعهـــا   ويطربنـــا منهـــن عود ومِزْهَـــرُ

(111) بالشطر الثاني من البيت الثاني تضمين اذ ضمنه عجز بيت لابي سعطرة البولاني من شعراء **الحماسة** .
وعجز البيت :
بأطيب من فيها وما ذقت طعمه .
انظر **شرح المرزوقي على الحماسة**، 3 : 1281.
وانظر البيتين عند الصفدي ، **الغيث** ، 1 : 72
(112) بالشطر الثاني من البيت الثاني تضمين ، اذ ضمنه عجز بيت للمتنبي هذا صدره :
وكذا الكريم اذا أقام ببلدة .
انظر **ديوان المتنبي** ، 1 : 147 .
وانظر البيتين معا عند م . بن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 4 : 56 ، والصفدي ، **الغيث** ، 1 : 72 .
(113) بالشطر الثاني من البيت الثاني تضمين ، اذ ضمنه عجز بيت للمتنبي هذا صدره :
لقد حسنت لك الاوقاف حتى .
انظر **ديوان المتنبي** ، 4 : 201 .
وانظر البيتين عند الصفدي ، **الغيث** ، 1 : 72 .

وأكثر ما ينشي (كذا) له السكر بيننا (أنابيب في أجوافها الريح تَصْفِرُ)(114)

وكتب مع قَدَحٍ أهداه :

أهديتـــه قَدَحـــاً فان أنصفتـــه أوليتـــه بجمالـــه تقبيـــلا
نَظَـمَتْ به الصهبـاءُ دُرَّ حَبابهـا (حتى تصيرَ لرأسهـا إكليـلا)(115)

وقال يرثي قَدَحاً :

أيا قَدَحـاً قد صَدَّع الدهـر شملـه وأصبح بعد الـراح قد جاور التربـا
سأبكيك في وقت الصَّبـوح واننـي لأكثر في وقت الغبـوق لك الندبـا
وان قطـبت شمس المـدام فحقُّهـا (لانك كنت الشرق للشمس والغربا)(116)

ولـه :

أفـدي الـذي أهـوى بفيـه شاربـا من بركـة طابت وراقت مشرعـا
أبـدت لعينـي وجهـه وخيالـه (فأرتنـيَ القمرين في وقت معا)(117)

---

(114) بالشطر الثاني من البيت الثاني تضمين ، اذ ضمنه عجز بيت من قطعة غزلية أوردها أبو تمام في **حماسته** .
وهذا صدر البيت :
وأخليتها من مخهـا فكأنهـا.
انظر **شرح المرزوقي على الحماسة** ، 3 : 1425 .
وانظر البيتين عند الصفدي ، **الغيث** ، 1 : 72 .

(115) البيتان لمجير الدين بن تميم .
انظر م . بن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 4 : 55 ، والصفدي ، **الغيث** ، 1 : 72 .
وبالشطر الثاني من البيت الثاني تضمين ، اذ ضمنه عجز بيت للمتنبي هذا صدره :
ويرد عفرته الى يافوخه .
انظر **ديوان المتنبي** ، 3 : 356 .

(116) الابيات لمجير الدين بن تميم .
انظر . بن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 4 : 55 .
وبالشطر الثاني من البيت الأخير تضمين ، اذ ضمنه عجز بيت للمتنبي هذا صدره :
فديناك من ربع وان زدتنا كربا .
انظر **ديوان المتنبي** ، 1 : 182 .

(117) انظر البيتين عند م . بن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 4 : 57 ، والنواجي **حلبة الكميت** ، ص 293،

وله في مليح ينظر في مرآة :

سقيــا لمــرآة الحبـــيب فانهـــا جُلِيَتْ بكــفٍّ مثــل غصن أينعــا
(واستقبلت قمــر السمــاء بوجهها) فأرتنيَ القمريــن في وقت معــا [118]

ولبعضهـم :

قف واستمع طربا فَلَيْلَى في الدجــى باتت معانقتــي ولكــن في الكـــرى
وجــرى لدمعــــي رقصة بخيالهـــا أتُرى درى ذاك الرقيب بمــا جرى ؟

الشهاب محمود [119] :

لا تلومانـــــي اذا أجــــرت لَظَــــى حرقتــــي من ماء عينــــي نهـــرا
فالـــذي قد راعنـــي من فقدكـــم يقـــتضي أكثـــر ممـــا قد جرى

ولــه :

سَخَوْا بروحي وشَحُّوا بالوداع علـــى عينـــي فمـــا زودوه منهـــم نظـــرا
ونَمَّ قلبي الى طرفــي بمــا كتمــوا عنهـــم فسار علـــى آثارهـــم وجـــرى

الصفدي :

أمـــلتُ أن تتعطفـــوا بوصالكـــم فرأيت من هجرانكــــــم مالا يُرَى

والصفدي ، **الغيث** ، 1 : 73 .
وبالشطر الثاني من البيت الثاني تضمين ، اذ ضمنه عجز بيت للمتنبي هذا صدره :
واستقبلت قمر السماء بوجهها .
انظر **ديوان المتنبي** ، 3 : 4 .

(118) ورد البيت الاول عند م . بن شاكر في **فوات الوفيات** ، 4 : 57 ، هكذا :

طوبــي لمــرآة الحبـــيب فانهـــا حمــلت براحــة غصن بان أينعــا

وانظر أيضا الصفدي ، **الغيث** ، 1 : 73 .

(119) انظر ترجمته عند م . بن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 3 : 82 ـــ 96 ، والمصادر بالهامش 508 من الصفحة 82 من نفس المصدر .

وعلمت ان بِعَاذكم لا بد أن يجرى له دمعي دما وكذا جرى [120]

ولـه :

لئن سمح الدهر البخيل بقربكم وَسَكَّنَ منا أنفسا وخواطرا
جعلنا ابتذال النفس شكرا لقربكم وقلنا لدمع العين يعمل ما جرى

ولـه :

أشكو اليك محاجرا قد طلّقت سِنَةَ الكرى
ومدامعاً أجريتها وغفلتُ عما قد جرى

ولله در القائل :

نَقَلَ الغمام حكايةً عن أدمعي واللهِ ما نقل الغمامُ كما جرى

ولآخر :

أهدى له البرق من أحبابه خَبَراً فبات ناظره يستعذب الخَبَرا
وحدثته نُسيمات الصبا سَحَراً فلا تَسَلْ عن حديث الدمع كيف جرى

شهاب الدين التَّلَّعَفْرِي [121] :

أأخا الغزالة والغزال صباحةً وملاحةً ها قد بقيتُ كما ترى
كم ذا أكتب له [122] في الهوى عن حالتي دمعي يفيض وأنت تسأل ما جرى

ابن قزل :

أما الرقاد فلست أدرى طعمه ما حال طيف خانه طيف الكرى
وسألت دمعي ان يزيد فقال لي يا ظالما أو ما كفى ما قد جرى؟

---

(120) **المستطرف**، 2 : 211 .

(121) انظر ترجمته عند م . بن شاكر ، **فوات الوفيات**، 4 : 62 — 71 ، والمصادر بالهامش 505 من الصفحة 62 من نفس المصدر .

(122) كلمة : (أكتب له) ، يختل بها الوزن .

ولنرجع الى الكلام على العذار ، فقد تكلم الناس فيه كثيرا ، وقد سبق شيء من ذلك .

ولنرجع اليه هنا ليكون هذا كالختام لما تقدم ، فمن ذ لك ما لمحمد بن تميم :

ومستتـــــرٍ من سنـــا وجهـــــه بوجـــــــــه له ذلك الصدغ فَيْ
كوى القـــلب منـــي بلام العـــذار فعرفنـــــــــــــــي أنها لام كَيْ

ولآخـــر :

ولما استقـــلت اعين النـــاس حولـــه تراقبـــــه حيث استقــــــل وسارا
تمثـــلت الاهـــداب في صفـــو خده خيـــالا فخالـــوا الشعـــر فيـــه عذارا

و لتميم بن المعز [123] :

أطلـــع الحسن من جبيــــنك شمسا فوق ورد من وجنتـــيك أطـــــلا
فكـــأن العـــذار خاف على الـــور د جفافـــا فمـــد بالشعـــر ظلا

ولابي الفرج بن هِنْدُو [124] :

عابـــوه لما التحـــــى فقلنـــــا عبتم وغـــــبتم عن الجمــــــال
هذا غـــــزال وهـــــل عجيـــــب تولَّـــــــــدُ المسك من غزال [125]

ولآخـــر :

ولما بدا خط بخد معــــــــــذبي كظلمـــة ليـــــل في ضيـــــاء نهار
تغلغـــــل قلبـــــي في هواه ولم أزل خليـــعَ عذار في جديـــــد عذار

---

(123) انظر ترجمته عند أ . بن خلكان ، **وفيات الاعيان** ، 1 : 304 — 306 رقم 126 ، وابن خلدون،**تاريخ العبر** ، 6 : 159 — 160 .

(124) هو : علي بن الحسين بن محمد بن هندو أبو الفرج (ت 420 هـ / 1029 م) من المتميزين في علوم والادب ، له شعر أورده له الثعالبي في اليتيمية ، له كتب منها : **الكلم الروحانية من الحكم اليونانية** ــ ط ، **وأنموذج الحكمة** ، و **الرسالة المشرقية** الى غير ذلك من الكتب . انظر ترجمته عند م . بن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 3 : 13 — 18 ، والمصادر بالهامش 337 من الصفحة 13 من نفس المصدر .

(125) انظر البيتين عند م . بن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 3 : 14 .

ولأبي المحاسن الشوَّاء (126) :

أرسل فرعـــا وَلَـــوى هاجـــــرا | صُدْغــاً فأعيـــا بهمـــا واصفَـــهْ
فخـــلت ذا من خلفـــه حيَّـــةً | تسعـــى وهـــذى عقـــرب واقِفَـــهْ
ذى ألـــــفٌ ليست لوصلٍ ، وذي | واو ، ولكـــن ليست العاطفـــه (127)

وليحيى بن مطروح :

قالت لنـــا ألـــف العـــذار بخده : | في ميم مبسمه شفـــاء الصادي (128)

ولآخـــر :

كأن عذاره المسكـــــــيَّ لامٌ | ومـــبسمَ ثغـــره الـــدري صادُ
وَمُسبـــلُ شعـــره ليـــل بهيـــمٌ | فلا عجب اذا سُلِبَ الرقـــاد (129)

ولآخـــر :

ولما استـــدارت أعين النـــاس حولـــه | تلاحظـــه حيث استقـــل وسارا
تمثـــلت الاهـــداب في ماء خده | فظنـــوا خيـــال الشعـــر فيـــه عذارا

ولآخـــر:

وَمُعِيـــرِ بدر التِّـــمِّ ما في وجهـــه | والـــغصن ما في قده المُتَـــأوِّدِ

---

(126) بالاصل : (لمحاسن الشوى) ، وهو تحريف .
انظر ترجمته عند أ . بن خلكان ، **وفيات الاعيان** ، 7 : 231 — 237 والمصادر بالهامش 850 من الصفحة 231 من نفس المصدر .
(127) انظر الابيات عند أ . بن خلكان ، **وفيات الاعيان** ، 7 : 234 ، والصفدي ، **الغيث** ، 1 : 75 .
(128) انظر البيت عند أ . بن خلكان ، **وفيات الاعيان** ، 6 : 260 ، والصفدي ، **الغيث** ، 1 : 75 .
(129) انظر البيتين عند ابن حجة الحموى ، **خزانة الادب** ، ص 359 ، والصفدي ، **الغيث** ، 1 : 77.

رَمِـــدَتْ جفونـــي من تورد خده		فكحلتهـا من عارضيـــه بِإثْمِـــدِ

شيخ حماة [130] :

ولقـد عجـبتُ لعاذلـي في حبـه		لما دجـا ليـل العـذار المظلـم
أو مادرى من سنتـــي وطريقتـــي		أنـــي أميـــل مع السواد الأعظـــم

ابن قرنــاص :

قد تبــدَّى لنـــا عذار حبـــيب		فوق خد كأنــــــــه غصن بان
فأرانـــا أواخـــر الـــورد لَمَّـــا		أدركتهـــا أوائـــل الريحـــان

ولمجير الدين بن تميم :

شبــهت خدك يا حبيبــي عندمـــا		أبــدى الجمـــال به عذارا أشقـــرا
تفاحــة حمــراء قد كتبــوا بهـــا		خطــا دقيقــا بالــنضار مُشعـــرا

ولــه :

قَبَّـــــــاتُ خط عذراه لما بدا		وَهَصَرْتُ لين قَوامــــه المَيَّـــاسِ
وطلـــبت لي من خده المحمرمـــا		يشفـــي قواى فجاءنــــي بالآس

---

(130) حماة : مدينة لها شهرتها وأصالتها في سوريا ، تقع على نهر العاصي احدى المراكز التجارية ، تتبعها كمحافظة من المحافظات سلمية ومصياف ، ويبلغ تعداد سكانها حاليا حوالي 420.000 نسمة ، ويرجع تاريخها الى القرن الالف الخامس قبل الميلاد تقريبا ، احتلها الميتاليون عام 550 .1 ق . م ثم الاراميون نحو 1.000 ثم دمرها الحيثيون ثم الآشوريون عام 720 ق . م ، ولكن الحياة عادت اليها في عصر السلوقيين ، الذين دعوها « ايبفانيا » ، حتى احتلها الرومان عام 64 ق . م ، وتلاهم البيزنطيون ، وأخيرا دخلت التاريخ العربي عندما فتحها القائد أبو عبيدة عام 639 م . هذا ، وتشتهر حماة بنواعيرها ، ومن آثارها المعروفة الجامع الكبير ، وجامع أبي الفداء .
انظر مصطفى زيادة وآخرين في **تاريخ العالم العربي وحضارته** ، ص 238 وما بعدها .

ابن الوردي [131] :

اقــــول إذ قال لي حبيبـــــي علا مَ فارقتنـــــــــي علا ما
خدك كان الصفــــا ولكـــــن قد أصبـــح المشعـــر الحرامـــا

أبـو حيان [132] :

سال في الخـــد للحبـــيب عذار فهــو لا شك سائـــل مرحـــوم
وسالت الثامـــــه فتجنـــــى فأنـــا اليــوم سائـــل محــروم [133]

وللصفــدي :

يقـــول محبـــوب قلبـــي في روضة تُتَفَــــــــــــرَّجْ
وأنت بعـــــد عـــــذاري تُرْضَى تشم البنــــــــــــفسج

ولبعض المشارقة :

بيــن البنـــان وصدغـــه المعقـــود خمـــران من كأس ومـــن عنقـــود
هذى تدار لنـــا بأبـــيض ناعـــم تُرِف وتـــلك تدار من توريـــد
ساق كأن جبينــــه في شعـــره ممـــن تَبَلّـــجَ في الليالـــي السود
غصن ترنـــح خصرُه في رِدْفِـــهِ فعجـــبت للمعـــدوم في الموجـــود
وضاح در الثغـــر معسول اللّمَـــى متضايـــق الاجفـــان رَحْبُ الجِيـــدِ
يلـــوي علـــى زر العـــذار لثامـــه كم فتنـــة بيـــن اللـــوى وزرود

ولعمـاد الديـن :

أرى (العقـد) في ثغره (محكمـا) يرينـــا (الصحـــاح) من الجوهـــر

---

(131) انظر ترجمته عند م . بن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 3 : 157 — 160 ، والمصادر بالهامش 383 من الصفحة 157 من نفس المصدر .

(132) يقصد أبا حيان النحوى المتوفى سنة 745 هـ والذي ترجمنا له سابقا .

(133) انظر البيتين عند لسان الدين بن الخطيب ، **الاحاطة** ، 3 : 58 .

و(تكملة)... (134) (ايضاحها) رويناه عن وجهك (الازهري)
ومنشور دمعي غدا أحمرا على آس عارضك الأخضر
وبعت رشادى بغي الهوى لأجلك يا طلعة المشتري (135)

ولابن المعتز :

ومهفهف ألحاظه وعذاره يتعاضدان على قتال الناس
سفك الدماء بصارم من نرجس كانت حمائل غمده من آس (136)

ولابن اسرائيل (137) :

وأسمرَ عسجديِّ اللون تحكي معاطفُ قَدِّه سُمْرَ العوالي
يدير على الشَّقِيقِ عذار آس وَيَبْسِمُ بالعقيق عن اللآلي (138)

ابن الدَّمَامِيني (139) :

لا ما عذاريك هما أوقعا قلب المحب الصَّبِّ في الحَيْنِ
فجد له بالوصل واسمح به مقيل (كذا) قد هام بِلَامَيْنِ

---

(134) بياض بالاصل .
(135) في هذه الابيات توريات بكتب مشهورة :
العقد ، ولعله يريد به **العقد الفريد** لابن عبد ربه القرطبي ، وورى **بالمحكم** وعنى به **محكم** ابن سيده في اللغة ، وورى **بالصحاح** للجوهرى وهو معجم شهير ، **والتكملة** في النحو لابي علي الفارسي — أو لعله أراد **تكملة** الصاغاني — وورى **بالايضاح** وهو كتاب في النحو لابي علي الفارسي ، وورى — أخيرا — بلفظ الازهرى ، وأراد به أبا منصور صاحب المعجم الشهير : **تهذيب اللغة** .
(136) البيتان لا يوجدان في **ديوان ابن المعتز**.
(137) انظر ترجمته عند م . بن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 3 : 383 — 389 والمصادر بالهامش 461 من الصفحة 383 من نفس المصدر .
(138) انظر البيتين عند بهاء الدين العاملي في **الكشكول** ، ص 370 .
(139) انظر ترجمته عند خ . الدين الزركلي ، **الاعلام** ، 6 : 282 .

وللصفدى في القول بالموجَب :

بدا في الخـــد عارضه فأضحـــى عليـــه مُعَنِّفـــي باللـــوم يُغْـــرِي
وحـــاول أن يرى منـــي سلـــوا فقال : لقـــد تعـــذر قلت صبـــري

وله من هذا الوادى :

ولقـــد أتـــيت لصاحبـــي وسألتـــه في قرض دينـــار لأمـــر كانـــا
فأجابنـــي واللـــه دارى ما حوت عينـــا ، فقـــلت له : ولا انسانـــا

ولـــه :

يقولـــون لمـــا رنـــا وانثنـــى وقـــد أخجـــل الـــغصن والجـــؤذرا
أتشتـــاق من طرفـــه أبـــيضا؟ فقـــلت : ومـــن خده أسمـــرا

ولـــه :

سألت نسيـــم أرضك حيـــن وافـــى وقلت : صف القـــوام ولا تحـــاش
فقال : يليـــن ، قلت : لكـــل ضد ، فقال : يميـــل ، قلت : لكـــل واش

ابن نبـاتـة :

مُبَقّـــلُ الوجـــه أدار الطِّـــلَا فقـــال لي في حبهـــا عاتبـــي
عن أحمـــر الـــمشروب ما تنتهـــي ؟ قلت : ولا عن أخضر الشارب (140)

وله ــ ايده الله تعالى ــ موشحات كثيرة ، ومن نظمه :

---

(140) انظر البيتين عند النواجي في **حلبة الكميت** ، ص 156.

رَيَّـــــانُ من ماء الصبـــــا أهيـــفُ ، ممتلـــيء البُـــرْدِ

كالـــغصن هزتـــه الصبـــا فوق الربـــى الشهـــب
قد قلت لمـــا ان سبـــى بحسنـــــه لبـــــي
مذ سَلّ من عينيـــه ظُبَـــى وغمـــــده قلبـــــي

أسرنـــي ماضـــي الشَّبَـــا أوْطَـــفُ ، مرنّـــح القـــد

يا فاضح الـــروض سنـــا بل مخجـــل البـــدر
وقاطعـــي ظلمـــا ومـــن مقـــره صـــدري
ان لم تكـــن شمس دنـــا فانهـــا تجـــري

عُلّقْتُـــهُ من الظبـــا أسْجَـــفُ ، يسطـــو علـــى الأسْدِ

قلت له وقـــد نَهَـــدْ وَجـــدٌ فـــي حربـــي
وغـــلب الظبـــي الأسَدْ ففـــاز بالغلـــب
الشمس برجهـــا الاســـد فاســـع الـــى قلبـــي
[قالت : وقـــد سبـــى منصف ، أمـــنت من صدى] (141)

قولـه ـــ نصره الله تعالى ـــ :

الشمس برجهـــا الاســـد فاســـع الـــى قلبـــي

كأنه أخذه من قول بعض المشارقة ـــ واجاد في أخذه ـــ :

قالوا الى الاسد : الشمس انتهت وله سارت وفي برجه حَلّتْ ولـم تُحِـدِ
فقلت : واعجبا للشمس كيـف غدت وهـــي الغزالـــة لا تخشى من الأسد

---

(141) ما بين المعقوفين سقط من النفح ، 7 : 72 .

ومن قول بعضهم من المُعَمَّى :

لا تعجبــن لظبــي قد دهـــى أسدا   فقد دهى أسدا من قبــل سحنــون

وسحنون في اللغة اسم طائر (142) .

وله ـــ ايده الله تعالى بمنه ـــ لما زار أغمات أربعة أبيات ، وذيلها جماعة من أهل حضرته العلية ، فان وجدت فهو محلها مع تذييلاتها :

وكيـــف بقـــلب في هواه مقـــلّبٍ   وَأَنّـــى له بين الضلـــوع مقـــامُ
فيا شادنا يرعى الحشا انت بالحشا   امــا لمحــل انت فيــه ذِمـــامُ

فكأنه ـــ ايده الله ـــ اخذه من قول بعضهم :

وسكـــنت قلبـــي خافقـــا   يا ساكنـــا في غيـــر ساكـــنْ

وقد أخذه ايضا معين الدين بن تولوا (143) ، فقال :

لم أنسه اذ قال أيـــن تُحِلُّنِـــي   حَذَراً علـــيَّ من الخيـــال الطـــارق
فأجبتـــه قلبـــي فقـــال تعجبـــا   أرأيت عمـــرك ساكنـــا في خافـــق

ابن سناء الملـك (144) :

أما والله لولا خوف [سخطك] (145)   لهان علي ما القـــى برهـــطكْ
ملـكت الخافقيـــن فتـــهت عُجْبـــاً   وليس همـــا سوى قلبـــي وقـــرْطِكْ

(142) ذكر عنه الدميري في **حياة الحيوان الكبرى** ، 2 : 17 ما يأتي :
« سحنون : بفتح السين وضمها طائر حديد الذهن يكون بالمغرب يسمونه سحنونا لحدة ذهنه ودهائه ، وبه سمي سحنون بن سعيد التنوخي القيرواني » .

(143) انظر ترجمته عند ج . السيوطي ، **بغية الوعاة** ، 2 : 133 رقم 1627 ، وأ . بن القاضي ، **درة** ، 3 : 206 ـــ 207 رقم 1206 ، وابن العماد الحنبلي ، **شذرات** ، 5 : 392 .

(144) انظر ترجمته عند أ . بن خلكان ، **وفيات الاعيان** ، 6 : 61 ـــ 66 رقم 777 ، وابن العماد الحنبلي ، **شذرات الذهب** ، 5 : 35 ـــ 36 ، وكذلك محمد ابراهيم نصر ، مقدمة **ديوان ابن سناء الملك** ، وبها دراسة وافية عن شعره وحياته .
مـلاحظـة :
البيتان لا يوجدان في **الديوان** ، ولكن يوجدان بنفس النسبة أيضا عند ابن حجة الحموى ، **خزانة الادب** ، ص 353 ، والصفدي ، **الغيث** ، 1 : 245 .

(145) بالاصل : (رهطك) ، وهو خطأ ، والتصويب من **خزانة الادب**، ص 353 ، **والغيث**، : 245 .

وطرف مولانا في مقطعاته أعظم من أن تحصى ، ولا يمكن أن تستقصى ، وقد ذكرت من نظمه — ايده الله — نبذة لتستدل بذلك على سلامة طبعه ، ورقة حاشيته — ابقى الله وجوده ، وادام سعوده — . ومن أراد استقصاء ما لمولانا من الموشحات فليطالع ذلك في **مدد الجيش** (146) للكاتب أبي فارس المذكور .

ومقطعاته موجودة أيضا في تاريخ الكاتب الذي أفرد فيه ذكر ساداتنا الشرفاء من أولهم الى مولانا (147) ، ولقد أجاد فيه ولو تتبعت جملة ماله — ايده الله — لطال الباب جدا ، وقصدنا التنقير على فضائله الحسنة ، وفواضله المستحسنة ، والله الموفق ، لا اله غيره ، ولا معبود سواه .

---

(146) ذكر الاستاذ محمد حجي في **الحركة الفكرية** ، 1 : 152 ، أن **مدد الجيش** كان كاملا ضمن مخطوطات مكتبة القرويين بفاس أوائل هذا القرن ، ثم استعاره بعضهم ولم يرده ، وأنه توجد منه الآن ست أوراق ضمن مجموع أدبي في مكتبة خاصة بسلا ، ورجح أن يكون بخط المؤلف نفسه .
ومدد الجيش هذا عارض به عبد العزيز الفشتالي **جيش التوشيح** للسان الدين بن الخطيب ، مستدركا عليه جملة من الموشحات الاندلسية التي أغفلها ، ومضيفا عددا وافرا من موشحات شعراء المغرب على عهد السعديين أناف ما يختص منها بمدح أحمد المنصور على ثلاثمائة موشح كما ذكر ذلك أحمد المقرى في **روضة الآس** ، ص 162 .

(147) يقصد **مناهل الصفا ، في مآثر موالينا الشرفا** .
انظر حول هذا الكتاب :
محمد حجي ، **مناهل الصفا** ، مجلة **دعوة الحق** ، السنة 9 ، يونيو 1966 ، العدد 8 ، ص 70 وما بعدها .
وكذلك عبد الله كنون ، مقدمة **مناهل الصفا** .
وعبد الكريم كريم ، مقدمة **مناهل الصفا** (طبعة الرباط » .
ومن كتب عبد العزيز الفشتالي أيضا التي ألفت بأمر من أحمد المنصور **ترتيب ديوان المتنبي** ، مخطوط م . ع . بالرباط رقم 609 ج ، رتبه حسب الابجدية المغربية ووضع له مقدمة أدبية رائعة ، وكتب عليه حواشي كثيرة تتعلق باللغة والبلاغة والسرقات الشعرية وغير ذلك .

الباب الثالث والعشرون

* في غزوته السعيـــدة
التي طن صيتها في الآفاق البعيدة

---

* سقط الباب بأتمه من « م » و « ج » ، اذ يوجد فقط في « ز » ، والنسخ الثلاث المذكورة هي النسخ المتوفرة لدينا لحد الساعة .

اعلم أن مولانا في غزوته هذه جاهد في الله حق جهاده ، وبالغ في نصح الرعية غاية اجتهاده ، فهو ـــ أيده الله ـــ أقوى الملوك في الله شكيمة ، وأقصاهم في الصالحات عزيمة ، وعصم بها أهل بلاده وملاذه ، وانفق فيها طارفه وتلاده ، فهمته راجحة ، ومراميه ناجحة ، ورماح أبطاله يومئذ نجوم هدى ، ورجوم عدا ، ما منهم الاشبل من ذلك [العرين][1] ، أو منتصر من ذلك اليمين .

والجهاد حكمه في الشرع فرض كفاية في أهم جهة كل سنة مرة ، وأوعد على تركه ولو مع وال جائر باتفاق العلماء ، وحكي عن سعيد بن المُسَيَّب [2] وابن شُبْرُمَة أنه فرض عين ، ومعنى فرض الكفاية : اذ قام به من فيه كفاية سقط الحرج والاثم عن الباقين ، فان تركه الجميع أثموا ، وهل يعمم الاثم أو لا يأثم الا من لا عذر له قولان ، وبتعيين الامام ....[3] ، وقد ورد في فضله أحاديث كثيرة ورغب فيه النبي ﷺ ، فمن ذلك وعيدا على تركه من القرآن ، قوله تعالى : « قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها ، أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فتربصوا حتى يأتي الله بأمره » [4] .

---

(1) بالاصل : (الفريق) ، ولعلها مصحفة عما أثبتناه .
(2) انظر ترجمته عند أ . بن خلكان ، **وفيات الاعيان** ، 2 : 375 ـــ 378، والمصادر بالهامش 262 من الصفحة 375.
(3) بياض بالاصل بمقدار سطر .
(4) الآية 24 من سورة التوبة .

ففي هذه الآية الكريمة من التهديد ، والتحذير والتخويف لمن ترك الجهاد رغبة وسكونا الى ما هو فيه من الاهل والمال ، ما فيه كفاية لمن تدبره وتأمله . وقال ﷺ : « هلك المعتلون بالآباء والأمهات » ، ذكره ابن سَبُع [5] . وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ، مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الدنيا في الأخرة الا قليل ، الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ، ولا تضروه شيئا ، والله على كل شيء قدير » [6] . وعن ابن عمر ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : « اذا تبايعتم بالعِينَةِ ، وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا الى دينكم » [7] ، والعِينَة أن يقول الرجل لرجل : اشتر سلعة كذا ، وأنا أشتريها منك بربح . وعنه ﷺ : « ما ترك أحد الأقوام الجهاد الا أذلهم الله ، وما ترك قوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الا عمهم الله بعقاب » ، ذكره في **شفاء الصدور** [8] . وأما الترغيب فيه ، فقد روى عنه ﷺ أنه قال : « ان قيام الرجل في سبيل الله أفضل من عبادته في أهله سبعين عاما » [9] ، وعن ابن مسعود ــ رضي الله عنه ــ قال ــ سألت رسول

---

(5) هو : ابو الربيع سليمان بن سبع ــ باسكان الباء وضمها ــ (انظر : **تاج العروس** مادة (سبع) ، والزرقاني على **المواهب اللدنية** 1 : 42، و **الرسالة المستطرفة**، ص 202) العجميسي أو العجيسي ، ويلقب بالخطيب (**التكملة** ، 2 : 679، **اختصار الاخبار** للانصاري ص 24، الزرقاني على **المواهب اللدنية** ، 1 : 42، **الرسالة المستطرفة** ، ص 202) . ولد بسبتة ، ونشأ بها وتعلم ، ونجهل كل شيء عن حياته ، فلا ندري متى ولد ؟ ولا متى توفى ؟ ومن هي أسرته ؟ ومن هم شيوخه وتلامذته ؟ وكتب التراجم تطبق بالصمت في هذا الصدد ، ولا نعرف مصدرا واحدا جاد بترجمته ، ولعله هو الذي يعنيه القاضي عياض في بعض رواياته : حدثني ابو الربيع ، عن عثمان البرغواطي (**التعريف** ، 41 ــ 42) . ويشير ابن الابار في **التكملة** (ص 672) ــ وهو يتحدث عن ترجمة أبي عبد الله محمد بن حسين بن عطية ، المعروف بابن الغازي ــ الى انه روى عن جده لأمه سليمان المعروف بابن سبع الخطيب ، كما أخذ عن جماعة من شيوخ الاندلس والعدوة وانه توفي في بضع وتسعين وخمسمائة .

انظر المزيد من الايضاح عند سعيد أعراب ، « أقدم عالم مغربي وصلنا تراثه : أبو الربيع سليمان بن سبع السبتي » مقال بمجلة **دعوة الحق** ، العدد 8، السنة 20، غشت 1979، ص 17 ــ 22. والكاتب المقصود هنا هو **شفاء الصدور** ، وسيذكره ابن القاضي فيما بعد .

(6) الآيتان 38 و 39 من سورة التوبة .

(7) أخرجه أبو داود في **السنن** ، 3 : 274 ــ 275، عن ابن عمر .

(8) **شفاء الصدور** : موسوعة في الحديث والسير ، جمع صنوفا من العلم ، وألوانا من الادب ، قضى مؤلفه في جمعة قرابة ثلاثين عاما ، يقع في خمسة عشر مجلدا ، هناك أجزاء منه ولا توجد ــ فيما نعلم ــ نسخة كاملة منه . ففي الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1383 ك مخطوطة تضمنت المجلد الأول وهو يحتوي أحد عشر جزءا ، تتخلل كل جزء منها أبواب وفصول . أما المخطوطة الثانية فتوجد بالمكتبة الملكية بالرباط عدد 5733، ويمكن أن تعتبر المجلد الاخير من كتاب **شفاء الصدور** . انظر المزيد عند الايضاح في المقال السابق .

(9) أخرجه ابن عساكر في **تاريخ دمشق** عن أبي هريرة باللفظ الآتي : « عدل يوم واحد أفضل من عبادة ستين سنة » . انظر المتقي الهندي ، **منتخب كنز العمال** ، 1 : 133.

الله ــ ﷺ : أي الاعمال أفضل ؟ قال : الصلاة على وقتها ، قلت : ثم أي ؟ قال : بر الوالدين، قلت : ثم أي ؟ قال : الجهاد في سبيل الله[10] ، رواه البخاري. وعن معاذ بن جبل[11] ــ رضي الله عنه ــ النبي ﷺ قال : « والذي نفس محمد بيده ما شُجَّ[12] وجه ، ولا اغبرت قدم في عمل يبتغى به درجات الجنة بعد الصلاة المفروضة ، كجهاد في سبيل الله ــ الحديث »[13].

وكان ابن عمر يرى الجهاد في سبيل الله بعد الصلاة أفضل الاعمال . وروي عنه ﷺ أنه قال : « تفتح أبواب الجنة عند صف الصفوف للصلاة ، وعند صف الصفوف للقتال ، فاذا ركبتم خيلكم ، وصاففتم عدوكم ، ركب الحور العين فكن خلفكم ، فاذا اقبلتم أقبلن معكم ، فاذا صرع أحدكم أقبلن يمسحن الدم والتراب عن وجهه ، ويقلن : اليوم تستريح من الدنيا وتنقضي همومك » [14]

ولبعضهم :

أبــــــواب عَدْنٍ مُفَتَّحـــــــات	والحـــــور منهـــــن مشرفـــــاتُ
فاستبقـــــوا أيمـــــا استبـــــاق	وبـــــادروا أيهـــــا الغـــــزاة
فبيـــــن أيديكـــــم جنـــــان	فيـــــه حســـــان منعمـــــات
من كل خـــــوْدٍ وذاتِ دَلِّ	تقصر عن وصفهـــــا الصفـــــات
يقبلـــــن والخيـــــل سابقـــــات	والبـــــيض في الحـــــرب مُصْلَتَـــــاتُ
نحـــــن جوار بنـــــات عدن	وَنَقْدُنـــــا الصوم والصلاة
ان تصبـــــروا تظفـــــروا فإنَّـــــا	مهورنـــــا الصبـــــر والثبـــــات
أو تجزعـــــوا تُخْدَعـــــوا وَيَشْمَتْ	بكـــــم عُدَاةٌ لكـــــم طُغـــــاةُ

---

(10) أخرجه البخاري في **الصحيح** ، 7 : 69، ومسلم في **الصحيح** ، 1 : 63، وكلاهما عن ابن مسعود .

(11) انظر ترجمته عند خ . الدين الزركلي ، **الاعلام** ، 8 : 166، والمصادر بالهامش 1، وهناك رسالة جامعية للحسين التاويل بعنوان : « **معاذ بن جبل واجتهاده القضائي** » محفوظة بدار الحديث الحسنية بالرباط .

(12) بالاصل شجت والصواب ما أثبتناه .

(13) الحديث غير موجود عند ج . السيوطي في **الجامع الكبير** ، ولا عند أ . ي . ونسنك في **المعجم المفهرس** .

(14) الحديث غير موجود عند ج . السيوطي في **الجامع الكبير** ، ولا عند أ . ي . ونسنك في **المعجم المفهرس** .

ولبعضهم :

جاهد عدوك أيها البَطّالُ ... فالخير أجمع حازه الأبطالُ
بذلوا النفوس لربهم شوقا له ... فلهم بأرض الاصطبار مجال
جعلوا السلاح صلاح أنفسهم فلم ... يَعْدُوهُمُ خوف ولا اهمال
ان أظلمت ليل الحروب فانما ... صفحات أوجههم هناك هلال
فهم الحماة لاهل دين محمد ... وهم الرجال وكلهم أبدال
سفكوا دماءهمُ لأجل حبيبهم ... وأتوا اليه وكلهم يختال
في زي ذُلّ واضعين سيوفهم ... فوق العواتق زانها الاقبال

وعنه ﷺ : « خير أعمالكم الجهاد » (15) . قال ابن أبي سكينة أملى علي عبد الله بن المبارك هذه الابيات بطرسوس (16) ، وأرسلها معي الى مكة الى الفضيل بن عياض سنة سبع وسبعين ومائة (17) ، وهي :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ... لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يَخْضِبُ خدَّه بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخضَّبُ
أو كان يتعب خيله في باطل ... فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا ... رَهجُ السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا ... قول صحيح صادق لا يكذب
لا يلتقي غبار خيل الله في ... أنف امرىء ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا ... ليس الشهيد بميت لا يكذب

فلقيت الفضيل بكتابه ، فلما قرأه ذرفت عيناه ثم قال : صدق أبو عبد الرحمان ، ونصحني .

---

(15) أخرجه الطبراني في **المعجم الكبير** عن بلال باللفظ الآتي : « إن أفضل عمل المؤمنين الجهاد في سبيل الله » .
انظر المتقى الهندي ، **منتخب كنز العمال** ، 2 : 263.

(16) طرسوس : Tarse، مدينة توجد حاليا في جنوبي تركيا الآسيوية .

(17) 177 هـ توافق 793 م / 794 م .

قيل : أول من سل سيفا في سبيل الله الزبير بن العوام ، وذلك أنه صاح أهل مكة ليلا ، فقالوا : قتل محمد ! فخرج متجردا وسيفه معه ، فتلقاه رسول الله ﷺ فقال له : « مالك يازبير ـــ الحديث » (18) ، والاحاديث في هذا كثيرة (19) .

---

(18) الحديث لا يوجد عند ج . السيوطي في **الجامع الكبير** ، ولا عند أ . ي . ونسنك في **المعجم المفهرس** .

(19) يعتبر الجهاد من أهم القضايا التي شغلت السعديين منذ قيام الدولة السعدية الى نهايتها اذ تواصلت حركة الجهاد طوال عهدهم ، وهذا ما يشهد لهم به مؤرخون معروفون بنزاهتهم مثل الافراني وغيره . هذا رغم أن بعض المراكز بقيت محتلة من طرف الاسبان في عهد المنصور مثل سبتة ومليلية وغيرهما ، مما جعل المؤرخ المجهول ـــ المعروف بتحامله على السعديين ـــ يجد الثغرة المناسبة ليبث فيها انتقاداته ، اذ قال عن المنصور في ص 65 من مؤلفه **تاريخ الدولة السعدية** ما نصه : « وكان له في الملك بخت ، ترك الجهاد وأخذ السودان » ، وقال عنه في ص 110 من نفس المصدر : « وكانت أيام أخيه مولاي أحمد صالحة الاحوال مع الحزم في الامور والتراخي والتغافل عن الجهاد » . لكن من الواضح أن هذا الموقف يدخل من جهة في اطار الخط العام الذي سار عليه المؤلف في كتابه ، ومن جهة أخرى تؤكد الوثائق التاريخية أن المنصور لم يكن أبدا متغافلا عن الجهاد ، بل يؤكد المؤرخون المعاصرون أنه لم يكتف فقط بمحاولة استرجاع الثغور المغربية ولكن أيضا كان يطمئن الاندلسيين بالمغرب والذين كانوا يطالبون المنصور باسترجاع الاندلس بأنه سيقوم بما هو ضروري لاسترجاعها ، ففي رسالة بعث بها الى أبي عبد الله البكري يخبره فيها بانتصاره على ابن أخيه الناصر بن الغالب بالله الذي ثار في مليلية بتحريض من الاسبان نجد أنه يذكر من جملة ما يذكر أنه عازم على تجديد الاسطول المغربي لاسترجاع الاندلس اذ يقول : « .... عسى الله آن يهون علينا فتح الأندلس ، وتجديد رسوم الايمان بها وأطلاله الدرس ، واستخلاص أقطارها من يد الكفر وأوطانها ، ورجوع كلمة الاسلام بها الى شبابها وعنفوانها ، بعز من له القوة والحول وبيده الخير والطول » .
« انظر **رسالة سعدية**، ص 59. »
وانما يمكن ارجاع بطء استرجاع الثغور المغربية الى ما يأتي :
أ ـــ كان المنصور يعمل لان يصير قويا مثل اسبانيا ليتمكن اذاك من مواجهتها ، وهذا ما يفسر لنا المحاولات العديدة التي كانت له مع انجلترا في محاولة منه للحصول على مساعدة لتكوين جيش قوي .
ب ـــ رغم طمأنة الاتراك للمنصور فانه لم يأمن جانبهم ، بل ظل دائما حذرا منهم ولهذا تجنب فتح جبهة جديدة ضد اسبانيا من شأنها أن تضعف جيشه أمام الاتراك .
ج ـــ هناك عملية السودان وما تطلبته من جهد ومال ، ثم ان عملية فتح السودان تعتبر عملية جهادية في حد ذاتها ورد فعل قوي ضد البرتغال والاسبان ، ذلك أن البرتغاليين كانوا قد وصلوا منذ أواسط القرن 15 الى مصب نهر السنغال ، وأسسوا مركزا تجاريا يحرسه حصن في جريرة Arguin بالقرب من الرأس الابيض ومنه أخذوا يتاجرون بالذهب والرقيق ، وبعد انهزام البرتغال في معركة وادي المخازن بدت منافسة قوية من طرف الاسبان في السواحل الغربية للسودان . وحسب الرسالة التي وجهها الاسباني Melchoir de Petoney الى Miguel de Moura فان جزيرة Arguin القريبة من الرأس الابيض عند مصب نهر السنغال في المحيط الأطلنتي والمناطق المجاورة لها بلاد غنية جدا بالقمح والشعير والماشية والفواكه وبمعادن الذهب ، وان أهالي المنطقة يجلبون ذهب بلادهم الى المغرب أو تمبوكتو ، فلو قام فيليب الثاني ملك اسبانيا وأرسل سفنا محملة بالمصنوعات الزجاجية والخناجر والثياب والمرايا وغيرها لمبادلتها مع الاهالي بالذهب لعاد ذلك بالنفع العميم على اسبانيا بدلا من ترك =

وأما غزوة مولانا فماريء مثلها قط ، اللهم الا في زمن الصحابة ـــ رضوان الله عليهم ـــ . فمما شاع وذاع ، وامتلأت به الآذان والاسماع ، أن عدد الكفرة مائة ألف وخمس وعشرون ألفا ، المائة ألف أسر جلها وقتل سائرها ، والخمس والعشرون بقيت في البحر في سفائنهم ، وكانت غزوة عظيمة حضرها جم غفير من أهل الله تعالى حتى إنها أشبه شيء بغزوة بدر ، حدثني شيخنا أبو راشد أنه حدثه بعض من يثق به أن الرجل من حاضري المعترك يستبق لينتهز الفرصة من قتل كافر فما يصل اليه حتى يجده ميتا من غير فاعل يرى لذلك (20) ، فعلم الناس أن موتهم انبهارا انما هو من بعض عباد الله تعالى ، فلم يتفق [لملك من الملوك كمثل ما اتفق] لهذا الملك الاعظم في هذه الغزوة العظيمة ، وكانت في يوم الاثنين منسلخ جمادى الأولى عام ستة وثمانين وتسعمائة بعدما أوجف عليهم ـــ أيده الله ـــ بخيله ورجله ، وأنهل من دمائهم من سيفه وأسله ، وأحاط بهم احاطة الهالة بالقمر ، والأكمام بالثمر ، فلم يمر عليهم مثل ما تقدم ذكره من الدرج الا وكأن لم يكونوا شيئا مذكورا ، والامام غدا ـــ بحمد الله ـــ على أعداء الله

=

هذه الخيرات للمولى أحمد ، وقد استولى الاسبان فعلا على الجزيرة المذكورة وأخذوا يتاجرون منها مع المناطق المجاورة .

انظـــر :

– H . de Castries , Sources inéd . 1ère Série Anglaise, 2 : 168.

فالمنصور اذن تدخل في السودان لقطع الطريق على الاسبانيين كما جاء في مناهل الصفا لعبد العزيز الفشتالي ، ص 61 : « وهو الآن ـــ أيده الله ـــ لهذا العهد من عام سبعة وتسعين وتسعمائة على قدم الأهبة والاستداد لذلك » . ونضيف الى هذا ما تورده الوثائق الانجليزية في هذا المضمار من أن سفارة مغربية الى انجلترا مكونة من السفير عبد الواحد بن مسعود وعضوية التاجر بن الحاج ميسا والحاج يهنت والترجمان عبد الله دودور الاندلسي الاصل حظي أعضاؤها بالمثول بين يدى الملكة اليزابيت الاولى بقصر Nonsash في يوم 22 غشت سنة 1600 ، وكان من ضمن المقترحات التي تقدم بها الوفد المغربي في اطار التعاون الانجليزي المغربي : اقتراح تعاون عسكرى مغربي ضد اسبانيا ، والمولى أحمد يرى مهاجمة الاسبانيين في :

ـــ المراكز التي تحتلها اسبانيا بالمغرب ، حيث يقوم المغاربة بتمويل كل الاماكن التي ستتمكن القوتان من تحريرها بشواطىء المغرب .

ـــ نقل الحرب الى اسبانيا وغزو الاسبان في عقر دارهم .

ـــ الهجوم على المستعمرات الاسبانية في غربي افريقيا وجزيرة Arguin وجزر الهند الشرقية . »

انظـــر :

– H . de Castries , Sources inéd . 1ère Série Anglaise , 2 : 222

(20) انظر أسماء قتلى وأسرى أعيان البرتغال عند :

– Chantal de la Véronne, Sources inéd. Archives et Bibliothèques d'Espagne, 3 : 489 – 528 .

ورسوله منصورا[21]

وللناس في هذه الغزوة العظيمة قصائد في أبطالها وكماتها وقنابلها وقناتها كادت ألا تحصى كثرة .

ورباط الخيل من أعظم أمور الجهاد ، ومن ربطها يفتقر لمعرفة سياستها من شربها في أوقاتها وغير ذلك ، روى عن مجاهد عن قتادة أنه قال : ان سليمان — على نبينا وعليه الصلاة والسلام — كان يسقي أنواع ألوان الخيل على هذا النحو يسقي الاحمر وبعده الأزعر — وقد لا يحمد تحسمه (كذا) — ، والادهم يشرب عند طلوع الشمس لأنه مشتق من يبوسات ، والاشقر عند الزوال لانه شديد العرض ، والاشهب مطلقا من الماء الجارى والراكد العشي ، والحديد في نصف الليل لانه له أهل ، والاشعل عند آخر الليل .

ولقد نظمت ذلك فقلت :

يا سائلـي سقـيَ الجيـاد الضُمَّـرِ ... ان الغـداة معـدة للأحمـر
والدُّهْـمُ ان بزغت ذُكَـاءٌ فاسقهـا ... أمـا الـزوال موقت للأشقـر
والشُّهْبُ تُسْقَي مطلقـا ممـا جرى ... من شبه دمعي من معيـن الأنهـر
من راكـد عنـد الأصائـل شربهـا ... وكـذا الحديـد بنصف ليـل أزهـر
فختامـه يُسْقَـى لديهـم أشْعَـلٌ ... فافهـم سقـاك اللـه ماء الكوثـر [22]

وممن امتدحها الاديب الناظم الناثر المطبوع : أبو عبد الله محمد بن علي الهوزالي ، من نظمه فيها قصيدة مطلعها :

قفا نشتكي ، هذى الربوع الدَّوَارِسُ ... لِمَـا جرعتهـنَّ الريـاح الـروامسُ
ربوع لهـا بيـن الضلـوع مرابـع ... تُماثِـلُ غيـرَ أنَّ تلك بسابسُ
فهل يُسْعِدُ المشتـاقَ فيمـا يبثـه ... خَلِـيٌّ له جفـن من الدمـع يابس
وهل تنبيء الأطلال أيـن أنيسهـا ... وتخبـر عن آرامهـن المكـانس
ومما يَشُبُّ في الـحشا ضَرَمَ الأسَى ... سؤالك قطنـي ليس فيـه مؤانس

(21) قارن ما أورده هنا ابن القاضي بما أورده في درة الحجال ، 2 : 223 — 225.
(22) انظر الابيات عند أ. المقري، روضة، ص 260، وقد سقط البيت الثاني منها .

ومنهـــا:

فما كل من يُبْدِي الملامـــة مَاحِضٌ ولا كل من يخلـــــو بسرك رامس
ولا كل من يـدي الشجاعـة واقـف اذا صافـحت بيض السيـوف القوانس
ولا كل من جَرَّ الجيوش الى الورى خبيـــر بأدواء الحـــروب ممــــارس
ولا كل من تسمو الى الملك نفسه نهـــوض بأعبـــاء الخلافـــة سائس

ومنهـــا :

فلولا نفَــاقُ الــدر كانت من الحصى كواسدهـــا تلك الــّــلآلي النفـــائس
تخطّفَهَا المنصور من مِخْــلَبِ الـردى وللنقـــع والبـــارود ليـــل غُدَامِسُ
حروب طوت ذكر البغاة [23] وملهم (كذا) ومـــات لها ذكـــر الـــبسوس وداحس
بها قَدْ وَدِدْنَـــــا أنــــــه مع جده بصفين يوم حاربتـــــه العنابـــــس
تَقَرُّبِهَـــا عين الـــوصي اذ سجـــا دجى النقـع والتَفَّتْ عليه الكـــرادس
لعمـــرك لا أنساه يومــــا شهدتـــه وقد سفرت بين الكمـــاة المَـــداعِسُ
يُرَبِّسُ لِلأقْـــــدَامِ كُلّ كتيبــــــة كما ربس المرجـــــان في السلك رابس
وحسبك في وادي المخازن وقعـــــة بها الشرك حتى آخـــر الدهـــر تاعس
بها عرفت أبنـــــــاء عِيصٍ بأنهم عبيد الـعصا مانــاس في الارض نائس
فدا نوالـــه حتـــى توقـــع بطشـــه برمتهم صلبـــانها والكنائـــــس

ومنهـــا :

بيمـــن أبي العبـــاس صالت سيوفنـــا على الشرك حتـــى ليس للشرك حارس

ومنهـــا :

فلا زال سيـــــف الحد في كف أحمدٍ يذود بها عن دينـــه ويُـــدَاعِسُ [24]
ولا زالت التثليث تقـــرع باسمـــه فتخرسَ في الاديار تلك النـواقس [25]

---

(23) عند ع. العزيز الفشتالي في المناهل، ص 301 : البعاث (كذا) .
(24) ورد البيت في المناهل ، ص 302، هكذا :
فجهـــز ما تحـــوي ذخائـــر ملكـــه يذود بهـــا عن نفسه ويـــداعس
(25) انظر القصيدة في المناهل، ص 301 — 302.

وله أيضـــا :

هاجت لواعـــج الصبابـــــة أدمعــــــي ... لِبِلًـــى أحـــال عهـــود تلك الأربـــــع
شُنَّتْ عليها للسحـــــــــــائب غارةٌ ... صَرَعَتْ معالمهـــــــــــــن أيَّ مُصَرَّع
لا تعجبــــــــــوا مما تصبب من دم ... من مقلتـــي فصبيـــه من أضلعـــي
وأسائـــل الاطـــلال وهـــي جوامـــد ... وَأَرُمَّ رَجْـــعُ جواب من لم يسمــــع
عهــــــــدي به والأنس في عَرَصَاتها ... يجلـــو القلـــوب بكـــل روض مُمْـــرِع
وأوانسٌ يُمضين أحكـــــــام الهوى ... رغمـــــا على المتعبـــــد المتـــــورع
فقـــدت كِنـــاسات الحمـــى آرامهـــا ... فقـد الكنـائس شعبها (كـذا) والبيـع (26)

ومنهـــا :

عصفت عليها للـــــــرشاد عواصف ... غادرن عرش الشرك اصفـــرَ بلقــــع
جالت عليها عصبـــــة علويـــــــة ... وقـــعت باهـــل الشرك أفظـــع موقــــع
لم يال (بستيـــان) في استصراخـــــه ... صُهْبَ الاعاجــــــم من بلاد شُسَّع
فأتت بنـــو الاصفـــر مقـــتصابهم ... لحمايـــة التثليـــث كل مهيـــــع (27)
فتجشمـــوا البحـــر المحيـــط ومـــادروا ... بمحيــــــــط بحر من عوال شُرَّع
بحر أبي العبـــــاس عَبَّ عُبابُـــــه ... بجنــــان ثَبْتٍ في الحروب مُشَيَّـــــع
وكتـــائبٍ حفتـــــه منصوريــــــةٍ ... تنقـــاد بالاسد الـــغِضابِ الجُـــوَّع
قد طال ما شهـدوا الحروب وكافـحت ... بهم الوقائـــع خل (كـــذا) كل مجمــع
بعـــــوازمٍ وعـــــــواسلٍ وصوارمٍ ... لدجـــى النـــوائب والعجالـــة دُفَّـــع
قُدَّامَهَـــا سحبٌ حملـــن صواعقـــا ... حديث الى الشك (كذا) الخصيب المرتع
متلـــوة بواعـــد انحت بها (كـــذا) ... للكفـــر قُنـــاتِ الجبـــال الفُـــرَّع
لَقِـــمَتْ موارجَ من جحيم فاغتـــدت ... للـــروم ترجُمهـــم بشُهْبٍ سُطَّـــع
حتـــى اذا الجمعـــان عايـــن بعضهـــم ... بعضا ولـــيس للـــردى من مَدْفَـــع
صبت على الكفـــار صبـــا عارضـــا ... هطِـــلا ولكـــن بالسمـــوم النُّقَّـــع
فتركـــن عبـــاد المسيـــح كأنهم ... أعجـــازُ نخل بالسيـــول مقلَّـــع

(26) عجز البيت مختل عروضا .
(27) عجز البيت مختل عروضا .

وأراد (بستين) النجـــاة بنــــفسه فزعــــا بحيث لات حين مفــــزع
هيهات هيهات النجــــاة وخلفـــــه عقبـــــان تهوي كالبروق اللُّمَـــــع

ومنهـا :

فسقــى ربى (اشبونــة) ورباضهــــا لنعائــه (كذا) زرق سوافك ادمــــع
دارت بطارقــــه الخبــــيث بشلـــــوه صرعــى بكـــاس من حمام متـــــرع

ومنهـا :

بيامــــــن المنصور لاحت للهــــــدى شمس لها في الغـــرب اسطــع مطلــــع

ومنهـا :

فرع بنـــــاه محمـــــد ووصيـــــــه هل من فخـــــار غير هذا أرفـــــع

ومنها ختامـا :

لازلت في افـــــق الخلافـــــة نيرا تختــــــــال بين كواكب لك خُضَّع

وللناس في هذه الغزوة العظيمة قصائد كثيرة ضاعت مني في محنتي ، ومن لم يشاهد ذلك اليوم لم يمكن وصفه له من كثرة السيوف والرماح والبنادق وغير ذلك والخيل، ولله در الصفدي صلاح الدين حيث قال :

وسيـــــــــوفٍ اذا مضت في جَراحٍ قلت هذي بنــــفسج في شقيــــــقِ
ينشد الجسم روحــــــه من ظُبَـــــاهُ ودِمَـــــاهُ بين النَّقَـــــا والعَقيـــــقِ

وريء في ذلك اليوم من مولانا من الشجاعة والبطش والاقدام ما كان كاد لا يكون في

طوق البشر ، وقاسى من الشدائد في ذلك اليوم ما لم يقاسه أحد ، وكأن محمد بن مهاجر اياه عنى بقوله :

ما لاح في دِرْعٍ يصول بسيفه — والوجه منه يُضيءُ تحت المِغْفَرِ
الا حسبت البحر مُدَّ بجدول — والشمسَ تحت سحائب من عنبر

ورحم الله القائل :

آثاره تغنيك عن أخباره — حتى كأنك بالعيان تراه
حلف الزمان ليأتين بمثله — أبدا ولا يحمي الثغور سواه (28)

وقاسى مشقة عظيمة في ذلك اليوم :

لولا المشقة ساد الناس كلُّهُمُ — الجودُ يُفْقِرُ والإقْدَامُ قَتَّالُ (29)

والصبر في الحروب من أعظم الخصال الجميلة لقوله ﷺ : « لا تتمنوا لقاء العدو ، واذا لَقِيتُمُوهُ فَاثْبُتُوا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » (30) .

وفي كتاب أبي بكر لخالد (31) — رضي الله عنهما — : احرصْ على الموت توهبْ لك الحياة .

---

(28) انظر البيتين عند لسان الدين بن الخطيب ، **الاحاطة** ، 2 : 108.
وقد ورد الشطر الاول من البيت الثاني هكذا :
تالله لا يأتي الزمان بمثله .
والنفح ، 3 : 189، 1 : 398، **الوافي في نظم القوافي** ، ص 19 — 20، **الحلة السيرا** ، 1 : 273.

(29) البيت للمتنبي من قصيدة مطلعها :

لا خيل عندك تهديها ولا مال — فليسعد النطق ان لم تسعد الحال

انظر ديوان المتنبي ، 3 : 406.

(30) أخرجه البخاري في **الصحيح** ، 4 : 9، ومسلم في **الصحيح** ، 5 : 143، وكلاهما باختلاف يسير في اللفظ .

(31) بالاصل : (أبي بكر بن خالد) ، والصواب ما أثبتناه .

وقال عمر ـــ رضي الله عنه ـــ : الجرأة والجبن غرائز يضعها الله حيث يشاء ، فالجبان يفر عن أهله وولده ، والجريء يقاتل عمن [لايناسب][32] الى رحله .

وقال خالد ـــ رضي الله عنه ـــ عند موته : لقد لقيت كذا وكذا زحفا ، وما في جسدي موضع قياس شبر الا وفيه طعنة أو ضربة أو رمية ، ثم ها أنا ذا أموت على فراشي حتف أنفي . فلا نامت أعين الجبناء .

ووقع في أبي فراس الحمداني نصل نشاب أقام في بدنه ثلاثين شهرا حتى خرج ، فقال :

فلا تَصِفَنَّ الحرب عندي فإنَّها ... طعامِيَ مُذْ بِعْتُ الصِّبَا وشرابي
وقد عرفتْ وقع المسامير مهجتي ... وشُقِّقَ عن زرق النصول إهَابِي
ولَجَّجْتُ في حلو الزمان ومره ، ... وأنفقت من عمري بغير حساب[33]

[وللمتنبي][34] :

وصرت اذا أصابتني سهامٌ ... تكَسَّرَتِ النِّصال على النِّصالِ
وهان فما أبالي بالرزايا ... لأني ما انتفعت بأن أبَالِي

---

(32) بالاصل (لا يوت) ، ولا معنى لها هنا ، ولعلها مصفحة عما أثبتناه ، خاصة وأن الناسخ استشكل عليه أمرها فكتب فوقها ص ، وهي في عرف الناسخين بمثابة علامة استفهام عندما يكون لهم أدنى شك في الكلمة المنسوخة .

ملاحظة

استأنسنا بما أورده ابن الازرق في **بدائع السلك** ، 1 : 410، حيث قال : « الشجاع يحمى عمن لا يناسب ، ويقي مال الجار والرفيق بمهجته ، والجبان معين على نفسه ، يفر عن أبيه وأمه وصاحبته وبنيه ، قال :

يفر جبان القوم عن أم نفسه ... ويحمي شجاع القوم من لا يناسب »

ولايناسب يقصد بها الشجاع الذي يحمي من ليس له به صلة نسب .

(33) انظر **ديوان أبي فراس الحمداني** ، ص 33.

(34) بالاصل : (وله)، أي أنه كان يقصد أبا فراس الحمداني ، في حين أن البيتين للمتنبي من قصيدته التي مطلعها :

=

والاقدام والثبات في الحروب من أعظم الخصال المحمودة ، حتى حكي أنهم كانوا يلوذون بمولانا في الغزوة ويتقون به العدو ــ أبقاه الله تعالى للمسلمين بمحمد سيد المرسلين ــ .

وما أولاني بانشاد ما لبعضهم فيه ــ أيده الله ــ في ذلك اليوم :

فَجَاءَتْ به سَبْطَ العظام كأنما عِمَامَتُهُ بين الرجال لِوَاءُ (35)

وللناس في الحماسة قصائد كثيرة ومقطعات ، فمن ذلك :

سأغسل عني العار بالسيف جالبا علَيَّ قضاءُ الله ما كان جالبا
وَأَذْهَلُ عن داري وأجعل هدمها لعرضي من باقي المذلة حاجبا
ويصغر في عيني تلادي اذا انثنت يميني بادارك الذي كنت طالبا
فان تهدموا بالغدر داري فانها تراث كريم لا يخاف العواقبا
أخي عزمات لا يريد على الذي يَهُمُّ به من مَقْطَعِ الأمر صاحبا
اذا هم لم تردع عزيمة همه ولم يات ما ياتي من الامر هائبا

=

نعد المشرفية والعوالي وتقتلنا المنون بلا قتال

انظر **ديوان المتنبي** ، 3 : 141 ــ 142.

ملاحظة

ورد صدر البيت الثاني بالاصل هكذا :
وها أنا ما أبالي بالرزايا
وهو تحريف ، والتصويب من **الديوان** .

(35) البيت واحد من ثلاثة أبيات حماسية أوردها أبو تمام في **حماسته** وقد قالها بعضهم يصف ابنا له. انظر **شرح المرزوقي على الحماسة** ، 1 : 269 ــ 271.
وسبط العظام : مستوي القوام . وأصل ذلك في الشعر ، يقال : شعر سبط أي ليس يجعد . ومنه يقال : « فلان سبط الكف ، وسبط البنان « أي كريم ، و « فلان جعد الكف » أي حيي . لأنه يقبض كفه دون الجود . يصف الشاعر بهذا البيت ابنا له بحسن القد وطول القامة واعتدالها .

فيـــا لرِزَامٍ رَشِّحوابـــــي مقدمـــا   الى الموت خَوَّاضاً اليـه الكتائبا
اذا هَمَّ ألقــى بيــن عينيـه عَزْمَــهُ   ونَكَّبَ عن ذكر العواقب جانبا (36)

ولعبيد الكلابي :

جَليـدٌ كريـمٌ خِيمُــهُ وطباعـــه   على خير ما تُبْنَى عليه الضرائبُ
اذا جاع لم يفـرح بأكلـة ساعـة   ولم ييتئس من فقدها وهو ساغب
يرى أن بعـد العسر يسرا ولا يرى   اذا كان عسر أنـه الدهـر لازب

ولابن الفُجَاءَة المازني (37) :

ألا أيهـا الباغـي النـزال تَقرَّبَـنْ   أُسَاقِيكَ بالموت الزعـاف المُقَشَّبَـا
فما في تساقي الموت في الحرب سُبَّةٌ   على شاربيه فاسقنـي منـه واشربـا

ولابي نصر عبد العزيز بن نباتة السعدي (38) :

خلقنـا بأطـراف القنـا لظهورهـم   عيوناً لها وقـع السيـوف حواجبُ
لَقُـوا نبلنـا سرد العـوارض وانثـوا   لأوجههم منهـا لِحًـى وشواربُ (39)

ولبعض بني عبس :

رأيت بني عمي الأُلـى يَخذُلُونَنِـي   علـى حدثـان الدهـر إذْ يَتَقَـلَّبُ
فهلا أَعَدُّونِي لمثلـي ، تفاقـدُوا ،   وفي الارض مبثوثا شجاعٌ وعقربُ (40)

---

(36) الأبيات من مختارات أبي تمام في **حماسته** ، وهي لسعد بن ناشب ، شاعر اسلامي.
انظر **شرح المرزوقي على الحماسة** ، 1 : 67 — 74.

(37) هو أبو نعامة قطري بن الفجاءة المازني ، أحمد رؤوس الخوارج ، فارس خطيب وشاعر ، توفي مقتولا سنة 78 هـ.
والبيتان المذكوران من مختارات أبي تمام في **حماسته**.
انظر شرح المرزوقي على الحماسة ، 2 : 682.

(38) انظر ترجمته عند أ . بن خلكان ، **وفيات الاعيان** ، 3 : 190 — 193 ، والمصادر بالهامش 386 من الصفحة 190 من نفس المصدر.

(39) البيتان من قصيدة أورد بعضها الثعالبي في **اليتيمة** ، 2 : 375.

(40) أي : هلا جعلوني عدة لرجل مثلي . (تفاقدوا) : دعاء عليهم بأن يفقد بعضهم بعضا .
و (الشجاع) : الخبيث من الحيات . وأراد بالشجاع والعقرب من يشبههما طباعا من الناس .

فلا تأخذوا عقلا من القوم انني أرى العار يبقى والمعاقل تذهب
كأنك لم تسبق من الدهر ليلة اذا أنت أدركت الذي كنت تطلب

وأشعار الناس في الشجاعة كثيرة ، لا يمكن أن تحصى ، وما عسى أن أذكر ما لمولانا في هذه الغزوة العظيمة ، ولو تتبعت ماله من المآثر فيها والمفاخر لطال المجموع جدا ، فحدث عن البحر ولا حرج .

الباب الرابع والعشرون

* في ذكر فقهاء العصر وأبناء الزمان
ومن اجتمعت
بهم في سفري من المشايخ والاخوان

---

* سقط الباب بأتمه من « م » و « ج » ، اذ يوجد فقط في « ز » ، والنسخ الثلاث المذكورة هي النسخ المتوفرة لدينا لحد الساعة.

=

أول من أخذت عنه بفاس المحروسة شيخنا ابو راشد يعقوب بن يحيى اليدري ، أخذت عنه الحساب والفرائض والعروض ، وأجازني في كل ذلك ، وفيما يجوز له عنه روايته بشرطه ، وكتب لي بذلك بخطه ، وهو عندي على ظهر نسخة من **كتاب ابي القاسم الحوفي** [1] ، وأشهد على ذلك الفقيه ابا مالك عبد الواحد بن احمد الشريف الحسني السجلماسي ، مفتي مراكش المحروسة ، والفقيه ابا سالم ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الشاوي الزيادي [2] ، ولد ابراهيم هذا سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة [3] ، وكل ما روى عن اشياخه من حكايات ومقطعات ، ولد متعنا الله برضاه سنة ثمان وتسعمائة [4] ، وأخذ عن ابي الحسن على بن هارون ، وأبي مالك عبد الواحد بن

- **ملاحظة :**

جرت عادة بعض المؤلفين قديما ان يضعوا مثل هذا الباب في الأخير.
انظر — مثلا — الجلال السيوطي في **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، وأ. بابا، **كفاية المحتاج**.

(1) انظر ترجمته عند. ابن فرحون، **الديباج**، 1 : 221 — 222، رقم 105، ابن الأبار، **التكملة**، 1 : 87 ، وأ. بن قنفذ، **وفيات**، ص 66، والمؤلف المجهول، **طبقات**، ص 338 — 339، وم. بن مخلوف، **شجرة**، 159 رقم 448 ،وم. العابد، **فهرس**، 1 : 462 — 463.

(2) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 1 : 202 ، رقم 276، والعباس بن ابراهيم، **الاعلام**، 1 : 184 رقم 30.

(3) 943 هـ توافق 1536 م / 1537 م

(4) 908 هـ توافق 1502 / 1503 م

احمد الونشريسي وجماعة ، حدثني ان شيخه ابن هارون ولد سنة سبع وثمانين وثمانمائة [5] ، وتوفي سنة خمسين وتسعمائة [6] ، وابو مالك المذكور توفي سنة ست وخمسين وتسعمائة ، وأما والده ابو العباس الونشريسي فتوفي سنة ست عشرة وتسعمائة [7] ، وحدثني أنه دخل من البادية الى حاضرة فاس المحروسة سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة [8] ، وفي تلك السنة قرأ **القرآن** على ابن ابراهيم المذكور ، وفي ثانيتها ابتدأ عليه قراءة الحوفي ، وفي ثالثتها كان يقرأ له **الرسالة والموطأ** ، ولازمه الى أن مات — رحمة الله عليه — ، ووقف لما أن مات الشيخ في **الموطأ** على جامع السلام ، وفي هذه السنة تزوج الشيخ زوجه التي هي عنده الآن ، ولما وقف على جامع السلام ضرب مطرقة العشاء بالقرويين فقال له : أهلك والليل . وكان هذا آخر عهدي به — رحمه الله تعالى — .

وسأورد ما أنشدنيه على نحو ما انشد لا على مراعاة ترتيب أو الفة بين السابق واللاحق وانما ذلك انشادات وافادات فقط .

وانشدني لما أردت السفر في البحر [لابن رشيق] [9] :

البحــــر صعب المــــرام جـــــدا   لا رُفـــعت حاجتـــي اليــــه
ألـــيس ماءً ونحـــن طيـــــن   فمـــا عسى صبرنـــا عليـــه

وانشدني ايضا :

وما مدرك الحاجات من حيث يبتغي   من النـــاس الا من أجـــاد وشمّـــرا
فسر في بلاد الله والتـــمس الغنـــى   تعش ذا يسار أو تمـــوت فتعــــذرا

---

(5) 887 هـ توافق 1482 / 1483 م
(6) 950 هـ توافق 1543 / 1544 م
(7) 916 هـ توافق 1510 / 1511 م
(8) 933 هـ توافق 1526 / 1527 م
(9) بالأصل : (لابن الحاجب)، وهو تصحيف، اذ البيتان لابن رشيق، انظر **ديوان ابن رشيق**، ص 212، وأ. المقري، **نفح**، 1 : 33.

وفي سابع عشر رمضان المعظم من عام سبعة وتسعين [10] أنشدني :

نصيبك مما تجمع الدهر كله رداءان تلوى فيهما وحنوط

وفي اليوم المذكور نفسه ابتدأت عليه ايضا قراءة **كتاب الحوفي** لما قدمت من الاسر . وحدثني ان ابا العباس المريني [11] عطس في مجلسه ، فشمته بعض من حضره ، فغضب الملك لذلك وقام فقال بعض خواصه : من الذي تمنى لمولاي الموت ؟

ويحكي عن ابي العباس المريني مع ابن عبد المنان المذكور اتيا في وقت لمكناسة من فاس – حرسها الله تعالى – ، ونزل ابو العباس احمد بن عبد المنان في مارستان مكناسة لكونه كان خاليا فكتب له السلطان ابو العباس المذكور بأبيات :

يا شاعرا قد خبرناه ففاض لنا بالشعر والكُتْبِ من تِلْقَاهُ بحران [12]
نُبِّئْتُ أنك قد بَدَّلْتَ دارك في مكناسةٍ فشجا من عنك أنباني
مازال يتبعك الغاوون مذ زمن حتى لقد همت في وادي المرستان

فأجابه الكاتب ابو العباس المذكور :

لما بدا لي في حمى مكناسةٍ مثوى الذين مضوا من الأتراب
أيقنت أني لست ذا عقل بما أتعبت نفسي في هوى وتصاب
فتركت داري لم أعرج نحوها ورأيت مارستانها أولى بي [13]

وحدثني ان ابن عبد المنان المذكور سافر من فاس الى مكناسة فأنشده جان بعد تشخصه :

---

(10) 17 رمضان سنة 997 هـ توافق 30 يوليوز سنة 1589.
(11) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 1 : 58 – 59 رقم 78، وابن العماد الحنبلي، **شذرات**، 6 : 345 – 346، وأ. الناصري، **الاستقصا**، 4 : 61 – 63، 65 ....
(12) تلقاه : يريد من تلقائه، قصره للضرورة.
(13) انظر القصة عند أ. بن القاضي، **درة**، 1 : 53، **جذوة**، 1 : 124 – 125.

أسرتـــم السابـــح في لجـــة ولـم تفتكـــمُ ذوات الجنـــاحْ
هذا وأنتـــم عرضة للفنـــا فكيـف لو خلدتـم يا قبـــاح

فأصلح الشيخ ابن غازي بيت الجان الاول بأن جعل تفلتوا مكان تفتكم ، ثم انشده ابن عبد المنان في الحال :

بالعقـــل قد فضلنـــا ربنـــا وسخـــر الفـــلك لنـــا والريـــاح
فالطيـــر والحـــوت متـــاع لنـــا وما علينـــا فيهمـــا من جنـــاح (14)

وسمعت بعده من شيخنا ابي العباس احمد المنجور بيتا وهو :

وانمـــا المـــوت فنـــاء لنـــا ونقلتنـــا لـــدار الفـــلاح

وهذا خلاف ما عند الصفدي ، فانظره .

وانشدني ايضا لغيره :

المـــال يذهب والاصحـــاب باقيـــة ان اللبيـــب الـــى الألفـــان كَسَّابُ
اصحب لنفسك من ترجـــو منافعـــه في كل ارض فإنّ الدهـــر جَلَّابُ

وأنشدنـي :

فان تسألونـــي بالـــنساء فانـــي بصيـــر بأدواء الـــنساء طبـــيب
اذا شاب رأس المـــرء أو قل مالـــه فمـــا ان له في ودهـــن نصيب

---

(14) ورد بعد هذين البيتين عند أ. المنجور في **الفهرس**، ص 47، وكذلك عند أ. بن القاضي في **الدرة**، 1. 54، ما ياتي :

وان غدونـــا عرضة للفنـــا ففـــي فنانـــا عطفـــة للجنـــاح
فانـــه يفضي الـــى عـــودة لدار خلـــد ليس عنهـــا بـــراح

وانظر القصة عند قاسم بن القاضي، **فهرس**، ص 183.

يُرِدْنَ ثراء المـــال حيث علمنــــه   وَشَرْخُ الشبـاب عندهـن عجيـب [15]

وقال لي النساء في الرجال على طرفين وواسطة الاتفاق عندهن على الطرفين والاختلاف في الواسطة .

الطرف الاول : شاب كثير ماله ، فانهن يحببنه بالاتفاق ، والطرف الآخر : شيخ قليل المال ، الاتفاق على بغضهن اياه ، ومثل لي ذلك الشيخ بنفسه على جهة المزح، وأما الواسطة : فان كان صغيرا فميلهن اليه اكثر ، وان كان شيخا مليا فرغبتهن عنه اكثر ، وشاهد الأول :

قالت بنـات العـم يا سلمـــى ، وَإِنْ   كان فقيــرا مُعْدِمـــاً ؟ قالت : وإِنْ

والثاني شاهده ما لمَيْسُون بنت بَحْدَل [16] زوجة معاوية :

وأمـــرد من بنـــي عمـــي نحيـــف   أحب الـــي من شيــــخ عليـــــف

وانشدني لابن المرحل ما استدعى به حبرا من بعض اصحابه بسبتة ــ أعادها الله للمسلمين ــ :

أيـــا من حوى الأدب المنتقـــى   ومـــن ظل تحمـــد آثــــاره
تفضلِ علـــيَّ بمقلـــوب ضدٌّ   مصحـــف قولـــي خَبَتْ نـــارُهُ

(15) الأبيات لعلقمة الفحل.
انظر ديوانه، ص 36.
ويقال ان امرىء القيس في بيته الذي يقول فيه :

أراهـــن لا يحببـــن من قل مالـــه   ولا من رأيـــن الشيب فيـــه وقـــوسا

احسن كثيرا لانه جمع في بيت واحد ما فصله علقمة في ثلاثة أبيات .

(16) انظر ترجمتها عند خ. الدين الزركلي، الاعلام، 8 : 298، والمصادر بالهامش.

وحدثني أن مالك بن المرحل خرج من سبتة يوما مع ابن ابي الربيع النحوي [17] الى بادية سبتة لموضع يقال له مجكسة وهي المعروفة اليوم بمذكسة [18] ، فاستضافا فقيها من فقهاء المحل المذكور ، فأضافهما ، وقدم في القرى اللبن ، وقال لهما : استعملا هذه اللطافة ، فاستغربا من اسماء اللبن اللطافة بعد أن نظر كل في صاحبه ، فقال أحدهما للآخر : اتحفظ هذا ؟ فقال له : لا أحفظ ، فلما جنهما الليل قال مالك بن المرحل لصاحبه لعله عنده **أشعار الستة** [19] ، وفسر اللطافة باللبن ، فصحف اللين باللبن ، فقال له : نعم ، الامر يحتمل ما ذكرت ، فلما أصبح قالا له : اصلحك الله يا فقيه ، اعندك من كتب اللغة شيء ؟ قال لهم : عندي **اشعار الستة** ، فقالا له : ائتنا بها لنتبرك بها ، فألفيا بها ما غاص عليه مالك بن المرحل — رحمه الله تعالى —

وأنشدني اجازة لابي مالك عبد الواحد الونشريسي ملغزا في حبل :

ما اسم من الأعلام منصوب وان تصفه بالرفع فما تعنف
ان زال من أحرفه ثلاثة فانما تبقى أداة تُعْطَف
صَحَّفْهُ فهو عاقل أو خَبِلٌ في العقل ذو السلب به لا يوصف
أو هو عن ذكر الصلاة شاغل لولاه ما كان المصلي يعرف [20]

---

(17) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 3 : 70 — 72 رقم 990، وأ. المقري، **نفح**، 2 : 210، 619، 8 : 7، وحاجي خليفة، **كشف**، 2 : 149، وإسماعيل البغدادي، **هدية العارفين**، 1 : 128، وعبد الحي الكتاني، **فهرس الفهارس**، 2 : 147 — 148، ورضا كحالة، **معجم**، 6 : 236

(18) مجكسة — مذكسة : قال عنها محمد السراج في كتابه **خلاصة تاريخ سبتة**، ص 175 : انها هي قبيلة الحوز اليوم، وأتى بوثيقة تاريخية تثبت ذلك.
ونص ما قاله : « توجد القبيلة الحوزية مجاورة لقبيلة انجرة شمالا وغربا وبقبيلة وادي رأس وبني يدر جنوبا بتطوان وشرقا بسهل مرتيل والبحر الأبيض المتوسط ومدينة تطوان واقعة بتراب هذه القبيلة تشهد بذلك رسومها القديمة، كانت القبيلة تسمى مجكسة وأهلها يغيرونها فيقولون مزيكسة .... وقد كنت أيام ولايتي قضاءها عثرت على رسوم بمدشر اجعابق تثبت ذلك » .
وانظر أيضا، عبد العزيز بنعبد الله، **الموسوعة المغربية**، معلمة المدن والقبائل، ملحق 2، ص 261 .

(19) يقصد الشعراء السابق ذكرهم في الفصل الرابع من مقدمة **المنتقى**، في بيتين :

علقمة وامرؤ القيس والنابغة عنترة طرفة وزهير وفي
هؤلاء ستة شهروا عندنا لفصاحة بشعرهم المقتفي

وقد شرح هذه الأبيات يوسف الاعلم الشنتمري، وابن عصفور الاشبيلي .
انظر يوسف سركيس، **معجم**، 1 : 459.

(20) انظر الابيات عند قاسم بن القاضي، **فهرس**، ص 179.

وانشدني لبعضهم :

لقـــد كنت فينـــا خليـــــلا وَدُوداً فصيــــــرك الدهـــــــر خِلًّا وَدُوداً

وأنشدنــي :

أطـــــوف ما أطـــــــوف ثم يأوي ذوو الأمـــوال منـــا والعديـــــمُ
الـــى حُفَـــرٍ أسافلهـــن جوف وأعلاهـــن صُفَّـــاحٌ مقيـــــمُ

وانشدني لبعض الخيبريين — لعنهم الله — :

ألـيس ورثـــا الكتـــاب الحكيـــــم على عهـد موسى فلـم نصطــف (21)
وأنتـــم رِعَـــاءٌ لِشَاءٍ عِجـــاف بسهـــل تِهامـــة والأَخْيَـــفِ (22)
ترون الرعايـــة مجـــد لكـــم لذا كل دهـــر بكـــم مجحـــف
فيـــا أيهـــا الشاهـــدون انتهـــوا عن الظلـــم المنطـــق المُوكِـــفِ (23)

فأجابه حسان — رضي الله عنه — :

هم أوتـــوا الكتـــاب فضيعـــوه فهـــم عُمْـــيٌ عن التـــوراة بُورُ (24)

---

(21) ورد البيت عند الماوردي في **الاحكام السلطانية**، ص 43، هكذا :

ألسنـــا ورثنـــا الكتـــاب الحكيـــــم على عهـــد موسى فلـــم نصرف

(22) عند الماوردي في **الاحكام السلطانية**، ص 43 : الاحنف .

(23) اورد الماوردي في **الاحكام السلطانية**، ص 43، البيتين الباقيين من القطعة، وهما :

لعـــل الليـــالي وصرف الدهـــر تديـــل من العـــادل المنصف
بقتـــل الـــنضير واجلائهـــا وعقـــر النخيـــل ولم تخطـــف

(24) يوجد في **ديوان حسان بن ثابت**، ص 253، قبل هذا البيت، البيت الآتي :

تعاهـــد معشر ولـــوا بكفـــر ولـــيس لهـــم ببلدتهـــم نصيـــر

كفرتـــم بالقُـــرَانِ فقـــد أبيتـــم بتصديـــق الـــذي قال النذيـــر
فهـــان علـــى سراة بنـــي لُؤيٍّ حريـــقٌ بالبُوَيْـــرَةِ مُسْتَطِيـــرُ

قوله : فهان إلى آخره ..... ، هو بيت حسان الذي في **ديوان سحنون** [25] المشار اليه بقول [ابن النحوي] [26] :

أصبحت فيمن له علم بـــلا أدب ومـــن له أدب عار عن الديـــن
أصبحت فيهم غريب الشكل منفردا كبيت حسان في ديـوان سحنـون

وأنشدني للحريري :

فقـلت لصاحبـي : أقْصِرْ فانـــي سأختـــار المَقـــام علـــى المُقـــام
وأنفـــق ما جمـــعت بأرض جَمْـــع وأسلو بالحَطِيـــم عن الحُطـــامِ [27]

---

(25) انظر ترجمته عند القاضي عياض، **ترتيب المدارك**، 4 : 45، أ . بن فرحون، **الديباج**، 2 : 30 ــ 37، وأ . بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 3 : 180 ــ 182 رقم 382، وابن العماد، **شذرات**، 2 : 94، **وطبقات أبـي العـرب**، 184 ــ 187، **وقضاة الخشنـي**، ص 227 ــ 236، **ورياض النفوس** ، 249، **ومعالم الايمان**، 2 : 77، و **دول الاسلام** للذهبي، 1 : 113، **ومرآة الجنان**، 2 : 131 ــ 132، وم . بن مخلوف، **شجرة**، ص 69 رقم 80 .

(26) بالاصل : (لعبد الوهاب)، وهو تصحيف، اذ المشهور ان البيتين لابن النحوي .
انظر ــ مثلا ــ ابن الزيات، **التشوف**، ص 72 ــ 74، **وفهرس ابن غازي**، ص 81، وأ . بابا، **نيل**، ص 349 ــ 351 .
وانظر ترجمته بالاضافة الى المصادر السابقة في :
الذيل والتكملة، ص 211، **جذوة الاقتباس**، 2 : 552 ــ 553، **والبستان**، 299، **والموسوعة المغربية** لعبد العزيز بنعبد الله، 2 : 133، وعند عبد الله الجراري، « أبو الفضل يوسف ابن النحوي المغربي » مقال بمجلة **دعوة الحق**، العدد السادس، السنة 18 يوليوز 1977، ص 60 ــ 62 .

(27) البيتان في المقامة الرملية، وهي المقامة 31 في ترتيب المقامات .
والمقام ــ بفتح الميم ــ أراد به مقام ابراهيم ــ عليه السلام ــ ، والمقام الثانية ــ بضم الميم ــ بمعنى الاقامة . ويريد ان يقول :
أني افضل الجوار على الاقامة بالوطن .
أما الحطيم فقد قال عنه الحميري في **الروض المعطار**، ص 195 : «بمكة، وهو ما بين الكعبة وما بين زمزم والمقام . قال الأخباريون : كان من لم يجد من الأعراب ثوبا من ثياب أهل مكة يطوف به رمى ثيابه هناك وطاف عريانا، فسمى الحطيم » .
وانظر أيضا الكرخي، 61، وابن حوقل، ص 220، و **نزهة المشتاق** 202 .

ويعني بأرض جمع : المزدلفة لانها تسمى جمعا ، وسميت بجمع لانه مجل اجتماع آدم وحواء ، وسميت بالمزدلفة من الازدلاف ، الذي هو القرب ، لان آدم قرب من حواء هنالك ، ومنه الازدلاف عند المنجمين (28) .

وحدثني عن ابي عبد الله محمد اليسيتني انه لما دخل تونس وجد بها الامام مغوش وجماعة ، فسأله اليسيتني وهو في مجلس اقرائه لابن الحاجب وكان يومئذ في باب القصر في مسألة اذا اقتدى المسافر بالمقيم ، حيث قال بناء على ترجيح الجماعة على القصر أو العكس ، فقال له في السؤال : هلا روعي هذا أولا قبل التلبس بالصلاة ، فان كانت الجماعة افضل دخل والا لم يدخل مع أن هذا لم ينص عليه احد ؟ .

فلم يأته مغوش بجواب مخلص ، وصار كل من الطلبة ان لقيه يقول له : أنا آتيك بجواب مسألتك ، وكان يقول اليسيتني : ما وقفت له على جواب اصلا . ومغوش المذكور هو ابو عبد الله محمد مغوش كان آية من آيات الله في المنقول والمعقول ، اشتهر حفظه في المشارق والمغارب ، وهو من اشياخ اشياخنا المصريين كالعلقمي والنجراوي وغيرهما من اشياخنا ، وسبب رحلته الى المشرق — فيما حدثني به بعض التونسيين — انه كان يوم جمعة في جماعة من المعاصرين له : كأبي الحسن العروسي ، وأبي الحسن الشريف ، وأبي محمد عبد الله سلطان ، وأبي عبد الله الرزين ، وكالفقيه : سالم بن منصور الهروي المتوفى سنة خمس وأربعين [وتسعمائة] ، في دار السلطان أبي [محمد] الحسن بن محمد بن الحسن بن مسعود بن عثمان بن عبد الله بن أبي فارس عبد العزيز بن العباس الحفصي ليث العلم ، لأنه كان من عادة ملوك ذلك الوقت أن يجمعوا الفقهاء في يوم كل جمعة للأخذ عنهم مع قاضي الوقت الى أن يحضر الغذاء فيتغذون وينزلون ، وكان القاضي يومئذ أبو الحسن الزنديوي ، فصدرت عنه في حال اقرائه للحديث النبوي هفوة ، فقال له مغوش : كفرت يا قاضي ! فأنف لذلك ، وبعث للترك في الحال أن يبعثوا بالرشيد أخي أبي [محمد] الحسن الحفصي ، فبعثوا به مع خير الدين ، فتولى البلاد ، ثم بعد ذلك أخفى الرشيد عن الناس وردّه لبلاد الترك ، واستقل بها لملك الترك ، وعظم حينئذ عند الترك لاجل فعله هذا ، فنم الزنديوي المذكور بمغوش ومن معه وقال لخير الدين : ان أردت استقلال الأمر فغرب مغوش لبلاد الترك ففعل ، وهذا سبب تغريبه للمشرق (29) .

وحكي عن السلطان أبي [محمد] الحسن المذكور انه لما ان أكمل الدار الجديدة التي بباردو جمع فيها هؤلاء المذكورين ، وقعد للهناء بها ، واجتمعوا عنده بها في يوم وليلة فأراد الخادم

(28) انظر الحميري، الروض المعطار، 171 — 172، والبكري، معجم ما استعجم، 2 : 392.
(29) سبق له أن تعرض للقصة.

المنور اقامة الشمعة بين أيديهم ، فسقطت ، فسكت المطربون عند ذلك ، فأزاح عنهم الخجل أبو عبد الله سلطان المذكور ببيتين ، وهما :

ما أدهش القوم الا شمعة سقــطت — على النَّمارِقِ حتى ألقت العَمَــدَا
خرَّتْ لوجهك دون الناس ساجــدة — كما يخر لوجه اللــه من سجــدا

ومن شعر الهروي المذكور :

صفــرا مشعشة تُجْلَــى قلائدهــا — ترى لها أثــرا في وجنــة الساقــي
مضى بها ما مضى من عقل شاربها — وفي الزجاجة باقٍ يطلب الباقي [30]

وحدثني ان الآبِلّي [31] والترجالي [32] قدما من تلمسان ونزلا عند ابن بري [33]،

---

(30) سبق له ان تعرض لهذه القصة كذلك.

(31) الآبلي : هو محمد بن ابراهيم بن احمد العبدري الآبلي التلمساني (681 هـ / 757 هـ)، شيخ العلوم العقلية والنقلية في عصره، وأشهر علماء المغرب الأوسط في القرن الثامن الهجري، وهو أحد أساتذة ابن خلدون وابن الخطيب، ولد بتلمسان وأصله من مدينة آبلة (Avila) في الشمال الغربي لمدريد.
انظر ترجمته عند أ. القاضي، **جذوة**، 1 : 304 — 305 رقم 311، وأ. بابا، **نيل**، ص 245 — 248، وأ. المقري، **نفح**، 5 : 244 — 248 رقم 26، وم. بن مخلوف، **شجرة**، ص 221، والعباس بن ابراهيم، **الاعلام**، 4 : 367 — 373 رقم 599، وعادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، ص 136 — 137، وعبد العزيز بن عبد الله، **الموسوعة المغربية**، 1 : 22.

(32) انظر ترجمته عند لسان الدين الخطيب، **الاحاطة**، 2 : 225، وأ. المقري، **نفح**، 5 : 246.
والترجالي : نسبة الى ترجالة Trujillo بالاندلس، اسمها اللاتيني Turris Julia، وهي في ناحية ماردة، بينهما 90 كلم شمالا.

(33) ابن بري : هو ابو الحسن علي بن محمد بن محمد بن الحسن المعروف بابن بري التازي (660 هـ / 730 هـ) ، عالم بالقراءات، اشتهر بنظمه المعروف **بالدرر اللوامع، في اصل مقرأ الامام نافع** (توجد منه عدة نسخ مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط، من أحسنها النسخ التي تحمل الارقام الآتية : 815 د، 908 د، 927 د، 1060 د، وقد تكرر نشرها بتونس).
وقد اخذ بمدينة تازة ـــ مدينته الاصلية ـــ ، معارفة الاولى على يد عدة مشايخ مثل علي بن سليمان وأبي الربيع سليمان حمدون، وفي سنة 724 هـ استقر بفاس حيث استدعاه السلطان المريني ابو الحسن علي كأستاذ له، وولي بعد ذلك رئاسة ديوان الانشاء وظل في هذا المنصب إلى أن توفي.
انظر اسماعيل البغدادي، **هدية العارفين**، 1 : 716، **ايضاح** 1 : 468، 2 : 259، وخ. الدين الزركلي ، **الاعلام**، 5 : 156، وعبد العزيز بن عبد الله، **الموسوعة المغربية**، 1 : 47،
M. Benchekroun , la Vie Intellectuelle Marocaine , PP. 117 – 221.

بتازة [34] ،فأخذ يناقشهما في مسائل العلم ، فسئما من أجل ما اصابهما من تعب الطريق ، فالقى عليه الآبلي بيتا من ابيات **المُغْني** فقال له : هذا البيت نص فيه أن جواب لما فيه حاصل ، فاطلبه — وهو — :

أقــول لعبــد اللــه لَمَّــا سِقَاؤُنَــا ونحـن بوادي عبـد شمس وهـاشم [35]

فخاض فيه ابن بري ليلته تلك ، ونام الآبلي وصاحبه المذكور طول ليلهما [36] .
وحدثني أن ابا عبد الله محمد بن ابي الفضل خروف التونسي [37] لما كان اسيرا كان يكاتب أبا عبد الله اليسيتني يتوسط فيه للمريني ابي العباس احمد الوطاسي [38] حتى اخرجه من الاسر ، فلما خرج من الاسر وبلغ الى مدينة فاس ، اتى الى دار القاضي ابي فارس عبد العزيز المكناسي مع اليسيتني ، فألقيا عليه قول بعضهم :

عافت المــاء في الشتــاء فقلنــا بَلْ رِدِيهِ تصادفيــه سَخِينَــا [38مكـرر]

---

(34) تازة : تبعد مدينة تازة عن فاس بحوالي 119 كلم، وتتمتع بموقع جغرافي هام، مما جعلها تتخذ على مر العصور قاعدة حربية هامة هكذا فعل ادريس الثاني، كما اتخذها عبد المومن الموحدي حصنا هاما ، وفي عهد بني مرين جعل منها ابو يعقوب المريني قاعدة لغزو تلمسان وهي قرب نهر اناون. من آثار المرينيين بها المدرسة والجامع الاعظم، وهما آيتان في روعة الفن الاندلسي العربي.
انظر لسان الدين بن الخطيب، **معيار الاختيار**، ص 32، وابا بكر البوخصيبي، **اضواء على ابن يجبش التازي**، ص 19 — 28.

(35) البيت للمعري.
انظر أ. المقري، **نفح**، 5 : 246.
وقد علق ابن هشام في المغني، 1 : 281 رقم 459، على هذا الشاهد بقوله : « ... فيقال اين فعلاها ؟ والجواب ان (سقاؤنا) فاعل بفعل محذوف يفسره وهي بمعنى سقط، والجواب محذوف تقديره قلت، بديل قوله أقول، وقوله (شم) أمر قولك (شمت البرق) اذا نظرت اليه، والمعنى لما سقط سقاؤنا قلت لعبد الله شمه ».

(36) انظر القصة عند لسان الدين بن الخطيب، **الاحاطة**، 2 : 225، وأ. المقرى، نفح، 5 : 246.

(37) انظر ترجمته في **فهرسه**، مخطوط م.ع . بالرباط عدد 135 ج، وعند تلميذه أ. المنجور، **فهرس**، ص 15 رقم 12، وأ. بن القاضي، **جذوة**، 1 : 322 — 323 رقم 336، **درة**، 2 : 203 — 209 رقم 653 ، **لقط الفرائد**، ص 297، 307، والمحبي، **خلاصة الأثر**، 4 : 121، وم. بن مخلوف، **شجرة** ، ص 281 — 282 رقم 1061، وعبد العزيز بن عبد الله، **الموسوعة المغربية**، 1 : 86.

(38) ترجم له ولتحركاته المؤرخ المعاصر محمد الكراسي في **عروسة المسائل**، ص 28 — 45، وأ. بن القاضي، **جذوة**، 1 : 114 رقم 43، **لقط الفرائد**، ص 291، 293، 299، وم. بن عسكر، **دوحة** ، ص 4 : 51 ، 52، 53، 59.....، والافراني، **نزهة**، ص 30 — 31.

(38مكرر) بالأصل : (تجديه) عوض (تصادفيه)، وقد أثبتنا الرواية المعروفة لأنها الصواب.

فلم يجب بشيء وكان معه بعض التونسيين ، فقال : أظن أن قائل هذا كان يعبث ، وكان خروف هذا فقيها معقوليا يشارك في خمسة عشر علما (39) ، وأبو الحسن الطنجي (40) شيخ السطي (41) من اجداد ابي فارس المكناسي المذكور ، ومنهم ابو العباس اليفرني(42) شارح **البرهانية** (43) ، والطنجي المذكور له اخوان ، احدهما ابو العباس المذكور ، والآخر رجل انتقل الى مكناسة وبذلك سمي المكناسي ، وهؤلاء اولاده ، ولم يبق منهم اليوم الا امرأة متزوجة ببعض بني عمي ، وهم اختاننا من القديم الى الآن وليسوا من بني

---

(39) قال عنه المحبي في **خلاصة الاثر**، 4 : 121 : « ... المتفرد بالمنطق والكلام وأصول الفقه والبيان بفاس جار الله محمد خروف الأنصاري التونسي.... ».
وقد كان محمد بن خروف بالفعل مالك ناصية العلوم العقلية دون منازع لكن تحاشاه عامة طلبة فاس حين قدم اليها، لغرابة مادة تخصصه وصعوبتها، ولانغلاق عبارته بشبه عجمة استولت على لسانه نظرا لطول مكثه في الاسر عند الاسبانيين.
وقد عرف قدر هذا العالم جماعة قليلة من نجباء الطلبة، كان يعقد هم مجالس مصغرة يتباحث فيها معهم اكثر مما يلقى عليهم من مسائل المنطق والأصول والبلاغة، ويستعملون اللوح (الابيض) بين يديه لشرح الاشكال والصور المنطقية، فحذقوا هذه العلوم ونشروها بنفس الطريقة في انحاء المغرب.
انظر أ. المنجور، **فهرس**، ص 15 رقم 12.

(40) ابو الحسن الطنجي : هو ابو الحسن بن عبد الرحمان بن تميم اليفرني، الشهير بالطنجي، المتوفى سنة 734 هـ، فقيه، أصولي، فرضي، وهو شيخ ابي عبد الله السطي.
انظر ترجمته عند أ. الونشريسي، **وفيات**، 108 وأ. بن القاضي **جذوة**، 1 : 228، ضمن ترجمته للسطي، والمؤلف المجهول، **طبقات**، ص 408.

(41) السطي : هو محمد بن علي بن سليمان السطي، المتوفى غريقا في اسطول ابي الحسن المريني سنة 749 هـ قرب بجاية بتونس، تتلمذ على عدة مشايخ منهم : ابو الحسن الصغير في الفقه، وأبو الحسن الطنجي في الفرائض، كانت له حظوة كبرى عند السلطان ابي الحسن المريني، اذ كان يدرس بحضرته، بل كان المفتي والخطيب أحيانا.
انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **جذوة**، 1 : 228 — 229 رقم 199، وأ. بابا، **نيل**، 243 — 244، وأ. المقري، **نفح**، 5 : 240 — 241 رقم 16، وم. بن مخلوف، **شجرة**، 221 رقم 785، والمؤلف المجهول، **طبقات المالكية**، 408،
M. Benchekroun , La Vie Intellectuelle Marocaine , PP. 234 - 237 .

(42) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 1 : 46 رقم 57، **جذوة**، 1 : 122 رقم 52، **لقط**، 206، وأ . بابا، **كفاية**، 12.

(43) **البرهانية** : منظومة شهيرة في علم العقائد لابي عمرو بن عبد الله السلالجي.
وقد أخطأ ابن القاضي هنا حين نسب شرحها لابي العباس اليفرني، اذ الشرح لابي الحسن الطنجي أخيه وقد سماه : **المباحث العقلية في شرح معاني العقيدة البرهانية**. فرغ من تأليفه في 9 ذي الحجة عام 728 هـ بفاس، وتوجد نسخ منه بخزانة القرويين بفاس والمكتبة الملكية بالرباط...
ملاحظة :
تراجع ابن القاضي عن الخطأ في **الدرة** و **الجذوة**، فلم يذكر الشرح لأبي العباس اليفرني.

يفرن اصالة وانما هم من مواليهم حلفاء ، وحدثني بطريق حباب التي هي في باب المدبر عن شيخه ابن غازي وعن شيخه عن ابي عبد الله المكناسي.[44] ، وحدثني أن شيخه ابن هارون لازم المكناسي المذكور في الحساب والفرائض نحوا من عشرين سنة ، ولازم ابن غازي تسعا وعشرين سنة في الحساب والفرائض وغيرهما ، وأنشدني لبعضهم ملغزا وأجاد :

وقـالت فتـاة المُنْحَنَـى ذات ليلـة — وقد سمحت من بعد صد واعـراض
اذا مر ممـا قد تبقّـى من الدجـى — ثلاثـة اسبـاع وتسع من المـاضي
اتيـتك لا يدري بذاك رقيبنـا — أجرُّ على مِرْطٍ[45] على الأرض فضفاض
فكـان تمـام الليـل عنـد مجيئهـا — فكم كان باقيه وكم كان ذا الماضي

أما عمل هذه المسألة بطريق الجبر ، فتجعل الليل مالا والماضي شيئا فتستثنيه منه ، فيكون مالا الا شيئا ، تأخذ تسعة وثلاثة اسباعه ، وذاك ثلاثة اسباع وسبعة اتساع ، السبع تعدل مالا الا شيئا ، فاجبر وقابل ، فتصير المسألة مالا يعدل شيئا وثلاثة اشياء شيء وسبعة اشياء ......[46] فتخرج الى الضرب الاول من الثلاثة الاول ، فاقسم على الاموال معادلها يكن واحد وثلاثة اسباع وثلث سبع ، واذا ضرب الواحد في المقامات كان الماضي من الليل وهو ثلاثة وستون ، فاذا بسطت الكسر على حدته كان الخارج أربعة وثلاثين وهو المطلوب ، ويصح جعله من ثلاثة واربعين وتسع ، ويكون الماضي ثمانية وعشرين والباقي خمسة عشر وتسع ، وهذا الاخير كان يرجحه ويقول : هذه تجربة الليل .

ولبعضهم :

أجب يا أيهـا الفـرضيُّ فيمـن — تخلّـف بعـده خالا وعمـا
فضم الخـال كل المـال ارثـا — ولـم يتـرك لذاك العـم سهمـا

جوابه :

ألا فاسمـع جوابك من لبـيب — حوى علمـا يصول به وفهمـا
وذلك أن للمـوروث حقـا — أخـا لأب سأذكـره مسمـى

---

(44) انظر ترجمته في فهرس المنجور، ص 44، وعند أ. بن القاضي، جذوة، 1 : 244 — 245 رقم 235، درة، 2 : 146 رقم 620، لقط، 282.

(45) المرط : كساء من صوف ونحوه يؤتزر به.

(46) بياض بالاصل.

تزوج جدة المـــوروث لمــــا رأى أن الــزواج عليــه حتمــا
فأولدهـــا غلامـــا صار خالا لذا المــوروث والمــوروث عمــا

ولبعضهم ،

ثلاثـــة اخـــوة لاب وأم وكلهـــم الـــى مال فقيـــر
أفادتهـــم صروف الدهـــر مالا وكـــان لميتهـــم مال كثيـــر
فحـاز الأكبـران هنـاك ثلثـا وباقـي المـال فاز به الصغيـر

فقلت مجاوبا له :

وذلك أن للاولاد عِرْســـا وحـاز نكاحهـا الولـد الصغيـر
وتـلك العــرس هي بنت عــم لأجمعهــم فأنت بهـا خبيـر

وأنشدني ايضا للقاضي عبد الوهاب (47) في حال قراءتي عليه للحوفي لما بلغنا السبع عشرية ، وهي سبع عشرة امرأة ورثن سبعة عشر دينارا بالفرض :

ألــم تسمـــع وأنت بأرض مصر بذكــــر فريضة للمسلمينـــا
بعشر من إنـــاث ثم سبـــع فخـــرت بهـــن عنــد الطالبينـــا
فحـــزن في الوراثـــة قَسْمَ حـــق سواء في حقـــوق الوارثينـــا(48)

وأنشدني لابن البنا (49) في فرض المحال :

يا معشر الـــحُسَّاب هل فيكـــم من عنـــده علـــم بهـــذا السؤالْ

(47) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 3 : 219 — 222 رقم 400، وم. بن شاكر، **فوات الوفيات**، 2 : 419 — 421 رقم 314، وأ. بن فرحون، **الديباج**، 2 : 26 — 29 رقم 3، وابن العماد **شذرات**، 3 : 223.

(48) انظر الأبيات عند قاسم بن القاضي، **فهرس**، ص 187.

(49) انظر ترجمته عند أ . بن القاضي، **جذوة**، 1 : 148 — 152 رقم 99، **درة**، 1 : 14 — 16 رقم 17، وأ . بابا، **نيل**، 65 — 68، وم . بن مخلوف، **شجرة**، 216 رقم 759، والعباس بن ابراهيم، **الاعلام**، 2 : 202 — 210 رقم 186، وعبد العزيز بن عبد الله، **الموسوعة المغربية**، 1 : 50 — 51، وم بن الموقت، **السعادة الأبدية**، 26 — 30،
M . Benchekroun , la Vie Intellectuelle Marocaine , PP . 178 – 185 .

ان قيـــل في العشريـــــن من خمسة بأنهـــا نصف بفـــرض المحـــــال
فتسعـــة من ستـــــة ما اسمهـــــا بذلك الفــرض الـــذي في المثـــال

فأجابه بعد موته بكثير — بمحضر الشيخ ابن غازي — أبو العلاء الريفي (50) بقوله :

امـــا اسمهـــا فالثمـــن مع نصفـــه هذا وحقكـــــــم جواب السؤال (51)

وأنشدني ايضا لابن البنـا :

قصدت الـــى الوجـــازة في كلامـــــي لعلمــــي بالصواب في الاخــــتصار
ولـــم أحـــذر فهومـــا دون فهمـــــي ولكـــــن خفت ازراء الكبـــــار
فشأن فحولـــة العلمـــــاء شأنـــــي وشأن الـــبسط تعليـــم الصغـــار (52)

وأبو العلاء هذا كان من تلامذة القوري من نظر (كذا) أو ابن غازي ، وهو الذي يعنيه في **منيته** (53) بقوله :

فصل وقـــد انشد بعض الـــــفضلا ممـــن لقيتــــه فجـــاد مقـــــولا

الـى آخره ....

وأنشدني لابن الياسمين (54) غير البيت الاخير فانه لِلَّجائي (55) ، وقيل للفشتالي ، الذي

(50) انظر ترجمته عند ابن غازي، **بغية**، ملزمة 30، ص 6 وأ . بن القاضي، **جذوة**، 1 : 164 رقم 115.

(51) انظر القصة عند ابن غازي، **بغية**، ملزمة 30، ص 6 وما بعدها .

(52) انظر الأبيات عند أ . بن القاضي، **جذوة**، 1 : 152، **درة**، 1 : 16، وأ . المقري، **أزهار**، 5 : 68.

(53) هو رجز في نحو خمسين ومائتي بيت، يشتمل — كما جاء في المقدمة — على أمهات علم الحساب ، توجد منه مخطوطات كثيرة من أحسنها مخطوط م . ع . بالرباط رقم 2243 ضمن مجموع ، ص 94 — 121، وقد شرحه المؤلف نفسه في مؤلف آخر سماه **بغية الطلاب على منية الحساب**، طبع على الحجر بفاس في 248 صفحة .

(54) انظر ترجمته عند ابن ابي زرع، **الذخيرة السنية**، ص 39 وأ . بن القاضي **جذوة**، 2 : 423 رقم 444 ، والعباس بن ابراهيم، **الاعلام**، 8 : 204 — 205 رقم 1160 .

(55) انظر ترجمته عند تلميذه أ . بن قنفد، **وفيات**، ص 85، وأ . الونشريسي، **وفيات**، 126، وأ . بن القاضي، **درة**، 3 : 82 رقم 1003، **جذوة**، 2 : 402 رقم 407، **لقط الفرائد**، 214، وأ . بابا، **نيل** ، 168، وعبد الله كنون، **النبوغ**، 214 — 215.

كانت سكناه بالسبع لويات بازاء القرويين وعرصته المقابلة لمسجد الشوك وهي التي على الوادي الذي يقابل المسجد ، والابيات في الكفّات :

وللكفّـات في المجهـول وجـه ... اذا هو قد بدا لم يـبق جهـلا
فخذ عددين واطرح منهما ما ... شرطت مقابـلا فصلا ففصلا
فينقص أو يزيـد فسم هذا ... خطا الكفات لا أخطأت فعـلا
فزائدهـن يثـبت فوق خـط ... وناقصهـن يثـبت منـه سفـلا
وأولـى كفتيك اضرب في نقـص ... من الخطأين [56] الأخرى في الاعلى
فحيث تخالـف الخطـآن فاجمـع ... وحـيث تجـانسا حط الأقـلا
وتقسم ما بقـي من بعـد حط ... على الباقي من الخطأيـن فضـلا
فيخـرج مالك الجهـول شمسا ... يريك الجهـل عنـه قد تولـى
بشرط تجـانس الامـوال فيهـا ... والا كان هذا القـول جهـلا [57]

وأنشدني لابي العلاء الريفي في العمل بكفة واحدة :

ان كنت عامـلا بكفـة فقـط ... فالكفة اضرب في الخطا والمشترط
اقسم عليـه يـق ما منهـا يحـط ... ان الخطـا زاد وزد ان هو حط
أو الخطـا والشرط فيهـا اجرذيـن ... واقسم على المشروط فضل الخارجين

وانشدني فيها لابن هـارون :

أو نسبـة الخطـا من المشتـرط ... منهـا بحذفهـا فزد منهـا احطـط

ويعني بالمشترط : الجزء المقابل به ، أي الذي تقابل به ما على القبة .

وللفشتالي المذكور في ضبط كفه واللغات فيها :

وقالـوا : كِفّـةٌ بالـكسر جاءت ... وغيـر الـكسر يأبـاه الفصيـح
فقلت : الفتح جاء عن الكسائـي ... ومـا برح النصيـح به يصيـح

---

(56) عن علم الخطأين، انظر حاجي خليفة، كشف، 1 : 706 ـ 707.
(57) انظر الأبيات عند ابن غازي، بغية، ملزمة 23، ص 1.

وجـاء عن الخليـل : الضم فيهـا فسيحـوا فالمجـال له فسيـح
ويـروى للمبـرد فيـه فرق لثعلب (58) في المقـال به جنـوح
وذاك اذا استـدار الشكـل فاكسر وان هو طال فالضم الفصيـح (59)

وانشدني لابي العباس احمد بن الحاج (60) وقد سمى علم الحساب [قسطاسا] ، اذ كان ميزان الصواب :

قسطـاس عدل مستفيـم يُرِي سليمـا من سقيـم

وانشدني من غير المعنى السابق :

فسل عن مودات الرجـال قلوبكـم فتلك شهـود لم تكـن تقبـل الـرُّشا
ولا تسألـوا عنهـا العيـون فربمـا أشارت بشيء غيرما أضمـر الـحشا

وانشدني لابن الحاجب في بعض اشياخه ، وهو احمد بن المُنَيِّر (61) :

لقـد سئـمت حياتـي العيـش لولا مبـاحث ساكنـي الاسكندريـة
كأحمـد سبـط أحمـد حيـن يأتـي بكـل مليحـة العبقريـه
تذكرنـي مباحثـه زمانـا واخوانـا لقيتهـم سريـه
زمانـا كان الأبيـاري فينـا يدرسنـا وتغبطنـا البريـه
قضوا فكأنهـم امـا منـام واما بكـرة أضحت عشيـه
فربي فاعـف عنـي واعـف عنهـم وجنبنـا من النـار الحريـه (62)

---

(58) انظر ترجمته عند خ . الدين الزركلي، **الاعلام**، 1 : 252 والمصادر بالهامش .

(59) انظر الأبيات عند علي بن محمد القلصادي، **انكشاف الحجاب، عن قانون الحساب**، مخطوط م . م . بالرباط رقم 4949، وابن غازي، **بغية**، ملزمة 21 : 6.

(60) انظر ترجمته عند ج . السيوطي، **بغية الوعاة**، 1 : 359 — 360 رقم 698، وأ . بن القاضي، **درة**، 1 : 43 رقم 52، **لقط الفرائد**، 199 ومحمد بن مخلوف، **شجرة**، 184، وعبد العزيز بن عبد الله، **الموسوعة المغربية**، 65.

(61) انظر ترجمته عند أ . بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 1 : 156 — 160 رقم 64، وابن العماد، **شذرات**، 4 : 146، وأ . بن القاضي **درة**، 1 : 9، والعبدري، **الرحلة**، 160، والمؤلف المجهول ،**طبقات**، 358.

(62) انظر الأبيات عند المؤلف المجهول، **طبقات**، 344 .

والابياري (63) من أشياخ ابن الحاجب ــ رحمهم الله تعالى بمنه ونفعنا بأمثالهم ــ .

ولبعضهم :

لقد جئت من أرض الحجاز مبادرا ... لميراث قوم كان فيهم تفكر
لوارثة بعلا وبعلين بعده ... وبعلا ابوهم ذو الجناحين جعفر
فكان لها من قسمة المال نصفه ... بذلك يقضي العالم المتدبر

وذلك أن مال الاول ثمانية ، والثاني ستة ، والثالث ثلاثة ، والرابع واحد .

وقلت في الجواب :

ثمانية مع ستة نصفها ... وواحد أنت بالمحاسن تظفر

وأنشدني للغزالي (64) :

وقال لي : كيف تفرقتما ؟ ... فقلت قولا فيه انصاف
لم يك من شكلي ففارقته ... والناس أشكال وألّاف (65)

وحدثني أن بعض الناس رأى طائرين مختلفين : غرابا وحماما ، فتعجب من الفتهما للمباينة التي بينهما ، فتحركا فرأى بهما عرجا بينا .

وأنشدني لصالح بن شريف الرندي في نسق أبحر الشعر ، وبيان أوزانها :

(طويل) اشتياقي عنده الليل طائل : ... فعولن، مفاعيلن، فعولن، مفاعلن
(لمديد) الحسن فيه آيات : ... فعلاتن، فاعلن، فاعلات

---

(63) انظر ترجمته عند أ . بن فرحون، **الديباج**، 2 : 121 ــ 123 رقم 30 وج . السيوطي، **حسن المحاضرة** ، 1 : 454 ــ 455، والمؤلف المجهول، **طبقات**، 344، وم . بن مخلوف، **شجرة**، 166 رقم 520.

(64) انظر ترجمته عند أ . بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 4 : 216 ــ 219 رقم 558، وابن العماد، **شذرات** ، 4 : 10 ــ 13، وخ . الدين الزركلي، **الاعلام**، 7 : 247 ــ 248.

(65) انظر البيتين عند الدميري، **حياة الحيوان الكبرى**، 1 : 261، وابن غازي، **بغية**، ملزمة 28، ص 2 .

(بسيــط) عذري ... (66) جلــي : مستفعلن، فاعلن، مستفعلن، فاعلن
ألا يا (وافريــن) ألا اقيلــوا : مفاعلتــن، مفاعلتــن، فعولــن
قصرت لياليكــم وليلــى (كامــل) : متفاعلــن، متفاعلــن، متفاعلــن
(وللأهــزاج) تذيــل : مفاعيلــن، مفاعيلــن
(أرجازنا) عن وصفكــم لا تعــدل : مستفعلــن، مستفعلــن، مستفعلــن
ان سعيــي في رضاكــم (رمــل) : فاعلاتــن، فاعلاتــن، فاعلــن
(سريــع) دمعــي منكــم همــل : مستفعلــن، مستفعلــن، فاعلــن

وأما المنسرح : فقد ضل عنه ما قال فيه .

يا (خفيفــا) اشواقــه مثقــلات : فاعلاتن ، مستفــع لن ، فاعلاتــن

ولم يحفظ على المضارع ولا على المقتضب .

(اجــتث) عنك الوشــاة : مستفعلــن ، فاعــلات

والمتقارب :

(تقـاربت) لو أن حِبِّــي وَصُول : فعولن ، فعولن ، فعولن ، فعول (67)

---

(66) بياض بالاصل .

(67) الواقع أن صالح بن شريف الرندي لم يذكر قصيدة أخرى في نسق بحور الشعر غير التي ذكرها في **الوافي**، وهي غير القصيدة التي ذكرها ابن القاضي في **المنتقى**، ومن المحتمل أن يكون ابن القاضي قد أخطأ النسبة خاصة وأن هفواته في هذا الميدان متعددة !
وعلى كل فهذا نص ما ذكره صالح بن شريف الرندي في **الوافي**، ص 312 : « ورأيت قوما قد نظموا في هذه الانواع أبياتا على أوزانها، في كل بيت اسم نوعه، فصنعت لكل نوع منها بيتا في المصراع الأول اسمه، وفي الثاني أجزاء وزنه، على ما يجوز فيه، وهي هذه :

مثال (طويل) الشعر ما أنا قائل : فعولن، مفاعيلــن، فعــول ، مفاعــل
(ومديــد) قد حكتــه الــرواة : فعلاتــن، فاعلــن، فاعــلات
الــخ ..... »

وحدثني ان الشيخ ابن غازي كان يقطع يوما قوله :

البطـــن منهـــا خميـــص والوجـــه مثـــل الهـــلال (68)

فدخل عليه بعض العامة ، وكان من شعراء العامة ، فزاد العامي المذكور فقال :

والثغـــر منهـــا شنيـــب والريـــق مثـــل المصـــال
والطـــرف منهـــا كحيـــل واللحـــظ مثـــل النصـــال (69)

ودخل العامي المذكور على الشيخ يوما وكان من عادة الشيخ يطعم الطلبة في كل يوم ، ويأتي العامي المذكور ليتغدى مع الطلبة فتأخر يوما حتى ظن الغداء حضرت ، فجاء وقال لهم : هل تغديتم ؟ فقال له الشيخ : يفطرون ان شاء الله ، فقال له العامي : هذه ياء الرجاء ، فقال الشيخ : لو سمعك سيبويه لا ثبتها في كتابه (70)

وأنشـدنـي :

النـار آخـر دينـار نطـقت به والهم آخر هذا الدرهـم الجـاري
والعبد بينهمـا ما لم يكـن ورعـا معذب القلب بين الهم والنار (71)

وأنشدنـي في معرضه :

اذا كنت في حاجـة مرسـلا وأنت بهـا كلـف مغـرم
فأرسل حبيبـا ولا توصـه وذاك الحبـيب هو الدرهـم (72)

---

(68) انظر البيت عند السكاكي، **مفتاح العلوم**، 234، وصالح بن شريف الرندي، **الوافي** ص 309.

(69) انظر البيتين عند حمدون بن عبد الرحمان السلمي، **نفحة المسك الداري**، ملزمة 18، ص 5 (طبعة حجَرية فاسية).

(70) طبع مرارا، وأحسن طبعاته هي التي ظهرت أخيرا بمصر سنة 1975 بتحقيق عبد السلام محمد هارون.

(71) انظر البيتين عند ابن يجبش التازي، **تنبيه الهمم**، ص 142، وقد ورد البيت الثاني هكذا :
والمرء بينهمـا ما لم يكـن حذرا مقـلب القـلب بين الهم والنـار

(72) البيتان لاحمد بن فارس اللغوي.
انظر مقدمة كتابه **معجم مقاييس اللغة**، وأ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 1 : 119، وج. السيوطي، **بغية الوعاة**، 1 : 352 ــ 353 رقم 680.

وأنشدني ما كان سبب رجوع ابن عباس عن القول بنكاح المتعة ، حيث كان سوق عكاظ ، فسمع المنشد وهو يقول :

قال المحدث لما طال مجلسنا : يا صاح هل لك في فتوى ابن عباس ؟
في بَضَّةٍ غَضَّةِ الأطراف ناعمة تكون مثواك حتى مرجع الناس

فلما سمعه ابن عباس نادى في الناس : أيها الناس ، أنا ابن عباس ، فمن عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فليعرفني ، الا أن نكاح المتعة حرام كالميتة والدم .

وسوق عكاظ كانت تجتمع اليه العرب في الجاهلية ، كما أن الموضع المسمى بفاس ، بحجر الفرح (73) ، كانت تجتمع اليه المجوس قبل الاسلام ، وتؤجج النيران حوله ، وتصنع الفرح عنده كل سنة مرة ، فسمي بذلك ، وكذلك درب حجر النار بالصاغة (74) ، صح عنه .

وأنشدني :

اذا العشرون من شعبان ولت فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغار فقد ضاق الزمان على الصفار (75)

وأنشدني :

وصل الحبيب جنان الخلد أسكنه وهجره النار يصليني بها النارا
فالشمس في القوس أمست وهي نازلة ان لم يزرني وفي الجوزاء ان زارا

وانشدني :

لئن كانت الدنيا تعد رفيعة فدار ثواب الله أبقى وأكمل
وان كانت الأقدار لله حكمها ففرض على العبد الرضى والتوكل

---

(73) حجر الفرج : مكان واقع بين عقبة الحبيل والجانب الغربي من طريق سيدي بوجيدة والنهر الكبير (وادي بو خرارب) ، وقد كان الى سنوات قليلة لا توجد به الا الحدائق والجنات، ثم حولت الآن الى دور للسكنى ودكاكين للتجارة وبرأس حجر الفرج أسس ادريس الثاني باب أبي سفيان الذي دعى فيما بعد باب بني مسافر، ثم باب سيدي بوجيدة.

(74) يقع قبالة مسجد القاضي عياض، كما في **السلوة**، 1 : 151.

(75) ينسب البيتان في بعض المصادر لأبي نواس.

وان كانت الارزاق من قبل قسمت | فترك الفتى للحرص في القلب أجمل
وان كانت الاجسام للموت انشئت | فموت الفتى بالسيف في الله أفضل
وان كانت الاموال للترك جمعت | فما بال متروك به المرء يبخل
فاختر قرينا من فعالك انه | قرين الفتى في القبر ما كان يفعل
الا انما الانسان ضيف لاهله | يقيم قليلا عندهم ثم يرحل

وانشدني :

وكم لله من لطف خفيٍّ | يدق خفاه عن فهم الذكيّ
وكم هَمٍّ تُساءُ به صباحا | وتعقبك المسرة في العشي
وكم عسر اعاد الله يسرا | يفرج لوعة القلب الشجي
اذا ضاقت بك الاسباب يوما | فثق بالواحد الصمد العلي (76)

وأنشدني :

الشعر صعب وطويل سُلَّمُهْ | اذا ارتقى فيه الذي لا يعلمهْ
زلت به الى الحضيض قدمه | يريد أن يُعْرِبَه فَيُعْجِمُهْ (77)

---

(76) انظر الأبيات عند الاسحاقي أخبار الأول، مخطوط غير مرقم، وابن مليح السراج، أنس الساري، 38.

(77) البيتان للحطيئة.
وقد ورد البيتان في الديوان، ص 239، هكذا :

فالشعر صعب وطويل سلمه
اذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به الى الحضيض قدمه
والشعر لا يستطيعه من يظلمه
يريد أن يعربه فيعجمه

وعند ابن رشيق في العمدة، 1 : 116، هكذا :

الشعر صعب وطويل سلمه | والشعر لا يستطيعه من يظلمه
اذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه | زلت به الى الحضيض قدمه
يريد أن يعربه فيعجمه

وانظر أيضا فوات الوفيات، 1 : 278.

وأنشدني :

قد أجمع الناس على بغض (لا) ولست أنسى أبدا حب (لا)
لأنني قلت له سيدي : تحب غيري أبدا ، قال : لا

قلت : هما وان كانا سلسين ، فمعناهما هجين جدا ، حيث انقلبت المحبة اذ العكس اولى ، أي العكس اللغوي ، فتأمله .

وأنشدني لابي عبد الله الخطيب [78] ، الملقب بالعُكْبَري [79] ، من اصحاب ابن غازي [80] ، المتوفى سنة نيف وأربعين وتسعمائة [81] ، محتقرا لزمانه ونفسه :

قد حزت علما وآدابا وحزت علا ثم دعيت بأستاذ الأساتيذ
ثم تصدرت للاقراء مختبرا فما وجدت سوى خبث التلاميذ

وأنشدني لابن المبارك :

قدم طعامك وابذله لمن دخلا واحلف على من أبى واشكر لمن أكلا
ولا تكن سامريّ الطبع محتشما من القليل فلست الدهر محتفلا

وأنشدني :

كيف احتيالي مع الضيف اذا نزلا علي يوما فقد ضاقت له حيلي
اخاف اكثار كل له فيخجله والصمت ينبئه مني على البخل

(78) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي **درة**، 2 : 189 — 190 رقم 642.
(79) بالاصل : (الكعبر)، وهو تحريف، والصواب ما أثبتناه.
انظر ترجمته الملقب به عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 4 : 208، والمصادر بالهامش.
(80) يقصد ابن غازي الابن.
انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 2 : 163 — 164 رقم 636.
(81) 940 هـ توافق 1534 م. وقد حدد ابن القاضي وفاته في سنة 943 هـ.
انظر **الدرة**، 2 : 163.

قال لي : ومن آداب المضيف ان يكثر على الطعام من حكايات .

وانشدني لمالك بن المرحل قصيدته التي مطلعها :

سلام علـــى سبتـــة المغـــرب أُخَيَّـــةِ مكـــة أو يثْـــرب
سلام علـــــى طور مينائهــــــا .... (82)

حدثني أن الاستاذ أبا عبد الله الصُّغَير (83) كان من اشياخ ابن غازي ، وكان يقول لولده :

لتقرعِــنَّ علـــي السن من نـــدم اذا تذكرت يوما بعض اخلاقـــي (84)

ويرويه هكذا بخطاب المؤنت ، اذ هو اصله ، لأنه جرى مجرى المثل ، كقوله :

---

(82) بياض بالاصل
وقد ذكر ابن القاضي في **درة الحجال**، 3 : 26، انها طويلة، وانه ذكرها في **المنتقى**.
كما أشار اليها أ. المقري في **أزهار الرياض**، 1 : 29، بقوله « ... قصيدة طويلة بديعة جدا، مطلعها :

سلام على سبتـــة المغـــرب أخيـــة مكـــة أو يثرب »

وقد بحثنا عن القصيدة طويلا لاكمال النقص ولكن لم نعثر لها على اثر، ولعلها ضاعت من جملة ما ضاع من آثار مغربية وأندلسية !

(83) الاستاذ ابو عبد الله الصغير : هو محمد بن الحسين النيجي الملقب بالصغير، المتوفى سنة 887 هـ، كان خطيبا بجامع الاندلس بفاس، أثنى عليه ابن غازي كثيرا في **فهرسته** (ص 36 ـــ 69)، اذ قال في حقه : « ما رأت عيناي قط مثله خلقا، وخلقا وانصافا، وحرصا على العلم، ورغبة في نشره، واجتهادا في طلبه، وادمانا لتلاوة التنزيل العزيز وحسن نغمة بقراءته وتواضعا .... وبلغ في علم النحو مبلغا لم يصل اليه أحد من أترابه ولا من أشياخه مع المشاركة في سائر العلوم الشرعية وحسن إدْراك ... » .
وانظر ايضا **فهرس احمد المنجور**، 17، وأبابا، **نيل** ، 321 ـــ 322، وأ. بن القاضي، **جذوة**، 1 : 243 رقم 228، **درة**، 2 : 139 رقم 600.

(84) انظر **فهرس ابن غازي**، ص 69.

أنشأت تطـــلب وصلنـــــا الصيـــف ضيـــعتِ اللبـــن [85]

توفي الاستاذ المذكور في أواخر التاسعة ، وكان القوري يقول له :

أوردهـــا سعـــد وسعـــد مشتمـــل ما هكـــذا تورد يا سَعْـــدُ الأبل [86]

وحدثني عن أبي الحسن على بن عيسى الراشدي [87] ، وكان من أقران أبي سعيد عثمان اللمطي، بحكاية عنه، عن الاستـاذ الصغير، انـه كانت تتعبـه ألفـاظ المرادي [88] حين كان يدرس بمدرسة العطارين [89] ، فدخل عليه الامام القوري فوجده على حالته وبازائه كتبه في الفن دائرة حوله ، فأنشده :

وعنـــد الشيـــخ أسفـــار كبـــار مجلـــدة ، ولكـــن ما قراهـــا
وان فاجـــاه في المعنـــى سؤال يحـــرك رأسه ويقـــول آهـــا

---

(85) يضرب هذا المثل لمن يطلب شيئا قد فوته على نفسه، وأصله أن دختنوس بنت لقيط كانت امرأة لعمرو بن عدس وكان شيخا. فأبغضته فطلقها وتزوجها فتى جميل الوجه، وأجدبت السنة، فبعثت الى عمرو تطلب منه حلوبة، فقال المثل.
انظر **القاموس المحيط**، 3 : 58.

(86) انظر الميداني، **الامثال**، 1 : 89.

(87) انظر ترجمته عند تلميذه احمد المنجور، **فهرس** 15، وأ. بن القاضي، **جذوة** 2 : 491، رقم 559، **درة**، 3 : 256 رقم 1299 **لقط الفرائد**، 304.

(88) انظر ترجمته عند ج. السيوطي، **بغية الوعاة**، 1 : 517 رقم 1070 وأ. بن القاضي، **درة**، 1 : 241 — 242 رقم 359.

(89) مدرسة العطارين على مقربة من جامع القرويين، وكان البدء في تشيدها عند مهل شعبان من عام 723 / 1323، ثم كملت عام 725 / 1324 — 25 (الرخامة الوقفية على هذه المدرسة)، وقد احتفل مؤسسها أبو سعيد الأول بعملية وضع الحجر الاساسي لبنائها، وذلك ما يسجله ابن أبي زرع في **روض القرطاس**، ص 412 — 413، اذ يقول : « وفي مهل شعبان منها (سنة 723) أمر أبو سعيد عثمان — أيده الله ونصره — ببناء المدرسة العظيمة بازاء جامع القرويين — شرفه الله تعالى بذكره — فبنيت على يد الشيخ المبارك عبد الله بن قاسم المزوار، ووقف أمير المسلمين على تأسيسها ومعه الفقهاء والصلحاء حتى أسست وشرع في بنائها... » .
وقد ظلت المدرسة نشيطة بالعصر السعدي.
انظر ابراهيم الجلالي، **تنبيه الولدان**، ص 16.

فقال له الاستاذ : هلم لنستعين على مسألة من النحو ، فقال له القوري : أنا سحابة أريد أن أضع حَملي أو حِملي ، ماذا أقول ؟ لأن ما في البطن حَمل وما على الظهر حِمل ، فوقف الاستاذ ولم يجب .

والراشدي المذكور توفي في حدود الستين وتسعمائة (90) .

وأنشدني :

لعمر أبيك ما نسب المُعَلَّى الى كرم وفي الدنيا كريم
ولكن البلاد اذا اقشعرت وصَوَّحَ نَبْتُها رُعِيَ الهَشِيمُ (91)

حدثني أن أبا الحسن بن القابسي (92) كان ينشدها لما جلس مجلس ابن أبي زيد بعده ، وكان يقول : أنا ذلك الهشيم .

وما أولاني بانشادها لما ولاني مولانا وقلدني خطتي القضاء والخطابة بالقصر (93) في يوم السبت الثامن من جمادى الأولى من عام سبعة وتسعين (94) ظنا منه — أيده الله — اني من أهل الخطتين — عامله الله بقصده ونيته — فقد أحيا — نصره الله — ما اندثر وعفا من بيت بني العافية .

وخطة القضاء كانت في اسلافنا منذ القديم الى دولة الوطاسيين من بني مرين ، وأما في دولة سادتنا الشرفاء فانا أول من ولي ذلك في دولتهم السعيدة من بني العافية في ايام مولانا — ابقى الله وجوده وأدام سعوده بمحمد وآله — ، وقد كنت أقلب قول بعضهم :

---

(90) عند أ. بن القاضي، في **الجذوة**، 2 : 491 رقم 559، و **الدرة**، 3 : 256، رقم 1299، انه توفي سنة 982 هـ، وهو تصحيف.
وقد اتفقت رواية **لقط الفرائد**، 304، مع رواية **المنتقى**، وهما الصواب.
ويقابل سنة 960 هـ / 1552 — 1553 م.

(91) انظر البيتين عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 3 : 321، وابن حجة الحموي، **خزانة الادب**، 311.

(92) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 3 : 320 — 322 رقم 446، وابن فرحون، **الديباج** ، 2 : 101 — 102 رقم 10، وأ. بن قنفذ، **وفيات**، 52، وم. بن مخلوف، **شجرة**، 1 : 97 رقم 230.

(93) لعله يقصد القصر الكبير — الذي يسمى ايضا قصر كتامة وقصر عبد الكريم — وهي المدينة المشهورة جنوبي العرائش، لأن مدينة القصر الصغير — التي تسمى ايضا قصر مصمودة وقصر المجاز بالقرب من سبتة — كانت مخربة آنذاك من طرف البرتغال الذين استولوا عليها في منتصف القرن الهجري التاسع.
انظر م. العربي الفاسي، **مرآة**، 145، وم. حجي، **الحركة**، 2 : 426.

(94) يوم السبت 8 جمادى الأولى عام 997 هـ يقابله 25 مارس عام 1589 م.

أبكـــي وأنـــدب ملـــة الأســـــلام　　اذ صرت تجلس مجــلس الحكـــام
ان الهمــوم كمـــا علــمت كثيــرة　　وأراك بعض حوادث الأيـــــــام (95)

أبدل تجلس بأجلس ، وأراك بوأراني .

وما أولاني بانشاد ما انشدنيه شيخنا ابو راشد ايضا من التكرير :

زمـــــانك والشهـــــــود وأنت قاض　　قريــب مــن قريـــب مـــن قريـــب

وللناس في هجو القضاة مقطعات ، فمن ذلك في قاض لعبت به صفراء ثم سوداء :

ولـــرب قاض أحمـــر من كعبـــه　　لم يحك عنــه في العبـــاد ثنـــاء
لعـــبت به الصفـــراء اول عمـــره　　والان قد لعـــــــــبت به السوداء

ولبعضهم :

لنـــــــا قاض فرأســــــــه　　من الخفـــــــة مملـــــــــوء
وفـــــــي اسفلـــــــه داء　　بعـــــد منكـــــم الســـــوء

ولأبي الطاهــر السِّلَفـي :

قضاة زماننـــا أضحـــوا لصـــوصا　　عمومـــا في الحقيقـــة لا خصوصا
فلـــو أنَّا لأمــــر صـافحونـــــا　　لسلـوا من خواتمنـــا الفصوصـــا

ولبعضهم :

اذا جار الاميــــــر وكاتبـــــــاه　　وقـــاضي الأرض داهــن في الــقضاء

(95)　انظر البيتين في **المستطرف**، 1 : 98.

فويـــل ثم ويـــل ثم ويـــل لقاضي الارض من قاضي السماء (96)

وانشدني في شيخنا القاضي عبد الرحيم اليزناسني (97) الذي ينسب اليه فرج القاضي بصواغة (98) وهو من أجداد بني الغرديس لأمهم :

ولـــيت الـــقضاء ببلـــدة فاس فأحـــدثت فيهـــا أمـــورا شنيعـــه
فتحت لنـــفسك (باب الفتـــوح) وأغلقت للنـاس (باب الشريعة) (99)

فكمله بعض الحاضرين :

فبـــادر سلطاننـــا فـــارس لعـــزلك عنهـــا فسد الذريعـــه (100)

---

(96) انظر قصة قولها عند الابشيهي في **المستطرف**، 1 : 97.

(97) انظر ترجمته عند أ. الونشريسي، **وفيات**، 140، وأ. بن القاضي، **لقط الفرائد**، 246.

(98) تقع صواغة بأحواز فاس.

(99) قامت حملة عنيفة ضد بعض القضاة في عهد الدولة المرينية الذين كانوا يأخذون الرشوة ولا يبالون بالأحكام الشرعية، وكمثال على ذلك في هذه الفترة نذكر ما أورده ابن القاضي في **الجذوة**، 1 : 230 ، في ترجمة محمد بن ابي حاج الجزولي قاضي فاس في عهد السلطان ابي سعيد عثمان المريني وابنه ابي الحسن المريني، اذ قال عنه : « .... يذكر عنه أن ابنه كان يأخذ الرشا في احكام القضاة ولا يغير عليه ويتم عليه العقود، ولذلك هجاه محمد بن يحيى ابي طالب بن ابي القاسم العزفي، وورى ببابين من ابواب المدينة فقال :

أقـــاضي فاس لقـــد شنتهـــا فأحـــدثت فيهـــا امـــورا شنيعـــة
ظلـــمت العبـــاد ورمت العنـــاد وخـادعت في الديـــن كل الخديعـــة
فتـــحت لنجـــلك باب الفتـــوح وأغلـــقت للنـــاس باب الشريعـــة
فبـــادر مولـــى الـــورى فارس بعـــزلك عنهـــا لسد الذريعـــة »

كما انتقد احمد المنجور انتقادا مرا خطة القضاء في عصره، وقال انها افلست في آخر أيام الوطاسيين عندما اسندت الى من لا تتوفر فيه الكفاية العلمية ولا النزاهة الاخلاقية، ثم ظهر داء القضاء من جديد أيام عبد الله الغالب ومن أتى بعده من الشرفاء.
انظر **فهرس** أ. **المنجور**، 53.

(100) الابيات لابي القاسم محمد بن يحيى العزفي.
انظر لسان الدين بن الخطيب، **الاحاطة**، 3 : 11.

وباب الفتوح وباب الشريعة [101] هما بابان من أبواب فاس المحروسة . وروي أن ابا علي عبد الباقي تولى قضاء البصرة وهو ابن خمس وعشرين سنة وأقام خمس سنين وهو القائل :

لعمـــري في الصبــــا والعنفـــوان وليت الحكـــم خمسا وهـــي خمس
فلـــم يضع الأعـــادي قدر شأنـــــي ولا قالـــــوا فلان قد رشانــــــي

وانشدنـي لعبـد المـلك بن حبيب [102] ، الفقيـه الانـدلسي ، من أصحـــاب مالك [103] ــ رحمه الله تعالى ورضي عنه ــ :

---

(101) باب الشريعة : هو باب المحروق الحالي، وقد سمى كذلك في الأول لأن الحكام كانوا يؤدبون به الناس ويقيمون عليهم الحدود الشرعية ثم سمي بعد ذلك باب المحروق، وهو باب شهير يخرج منه الى قصبة الشراردة وظهر الخميس، ولما بناه الخليفة الموحدي محمد الناصر بن يعقوب المنصور سنة 600 هـ اتفق ان ثار بجبال ورغة ثائر يدعى العبيدي، فقبض وسيق الى فاس فقتل وعلق رأسه على باب الشريعة في اليوم الذي تم فيه بناء الباب وركب مصراعه، وأحرق شلوه فسمي الباب من ذلك التاريخ باب المحروق، ويظن بعض الناس ان باب المحروق سمي كذلك لاحراق لسان الدين بن الخطيب به، ووجود ضريحه على بعد خطوات منه ، وليس ذلك بصحيح فان الباب سمي بذلك قبل قتل ابن الخطيب واحراق جسده بمائة وأربع وسبعين سنة، وقد اشتهر باب المحروق بكثرة ما كان يعلق فوقه من رؤوس الثوار والمغضوب عليهم من طرف السلاطين، حتى أصبح يقال في فاس (قطع لي رأسي وعلقه في باب المحروق)، وآخر الرؤوس التي علقت عليه رؤوس الثوار أصحاب الجيلالي الزرهوني المعروف ببو حمارة، علقت عليه بعد اعدامه واعدامهم سنة 1327 (1909).

(102) انظر ترجمته عند أ. بن فرحون، **الديباج**، 2 : 3 ــ 15 رقم 2، وج، السيوطي، **بغية الوعاة**، 2 : 109 رقم 1565، وابن العماد، **شذرات**، 2 : 90، وأ، المقري، **نفح**، 2 : 5 ــ 8 رقم 2، وخ، الدين الزركلي، **الاعلام**، 4 : 302.
وانظر المناقشات التي جرت حول شخصية عبد الملك بن حبيب، عند ابراهيم بن الصديق ، « فقيه الاندلس عبد الملك بن حبيب في ميزان المحدثين » مقال **بمجلة دار الحديث الحسنية**، العدد الأول ، 1979، ص، 15 ــ 35.

(103) تفيد هنا كلمة (من أصحاب مالك) ان عبد الملك بن حبيب اتصل فعلا بالامام مالك، وهذا ما قال به عدد من المصادر، فالحميدي في **جذوة المقتبس** (ص 263) يذكر : « يقال انه (عبد الملك بن حبيب) أدرك مالكا في آخر عمره » ، ونقل الضبي كلامه في **بغية الملتمس** من غير تعقيب (ص 364). لكن الواقع يثبت غير هذا، فعبد الملك ارتحل من الاندلس الى الشرق سنة 208 هـ في حين كان الامام مالك قد توفي سنة 179 هـ، مما ينفي قطعا هذا الاتصال و (الصحبة) ، وهذا ما تنبه له الحافظ السخاوي في **الاعلان بالتوبيخ**، ص 8، حين يقول : « ومن الغريب ذكر الخطيب عبد الملك بن حبيب في الرواة عن مالك مع كونه لم يرحل الا بعد موته بنحو ثلاثين سنة » .

أَلْفٌ من الحُمْرِ و أقْلِلْ بها لعالم أرْبَى على بُغْيَتِهْ
زرياب قد يأخذها دفعة وصنعتي أشرف من صنعته [104]

وكان زرياب [105] هذا من أصحاب آلات الطرب ، وهو زرياب المغني المشهور المتوفى سنة ثلاث أربعين ومائتين [106] ، ولما قدم عبد الملك على مصر وتلقاه اهله ، فاحتاروا في امره ، فبعض يقول : عليه سمة طبيب ، وبعض يقول : عليه سمة فقيه ، وبعض يقول : سمة محدث ، وبعض يقول : سمة عابد . فلما بلوه وجدوا الأوصاف كلها فيه .

وحدثني ان احمد بن المُعَذَّل [107] كان يقول في شيخه عبد الملك بن الماجِشُون [108] لما مات : لسان عبد الملك اذا تعايا ، افصح من لساني اذا تحايا ، ولقد صغرت الدنيا بين يدي كلما ذكرت لسان عبد الملك يأكله التراب [109] .

وكان يقول شيخه : وأنا كذلك ، اذا ذكرت شيخي ابن غازي ويبكي .

وانشدني ــ مما قيل في مالك ــ :

---

(104) انظر البيتين عند أ. بن فرحون، **الديباج**، 2 : 14، وأ. المقري **نفح**، 2 : 7.
وقد ورد البيت الثاني هكذا :

زرياب قد أعطيها جملة وحرفتي أشرف من حرفته

(105) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 5 : 180، والمصادر بالهامش.

(106) 243 هـ تقابلها 857 / 858 م.

(107) انظر ترجمته عند القاضي عياض، **ترتيب المدارك**، 4 : 5 ــ 6، وا. بن فرحون، **الديباج**، 1 : 141 ــ 143، والمؤلف المجهول، **طبقات المالكية**، 75.

(108) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 3 : 166 ــ 167 رقم 377 وا. بن فرحون، **الديباج**، 2 : 6 ــ 8 رقم 1، وابن العماد، **شذرات**، 2 : 28، وخ الدين الزركلي، **الاعلام**، 4 : 305.

(109) انظر القاضي عياض، **ترتيب المدارك**، 3 : 138.

يأبى الجواب فلا يراجع هيبة   والسائلون نواكسو الأذقان
أدب الوقار وعز سلطان التُّقَى   فهو المهاب وليس ذا سلطان (110)

ومما وَرَّى به بعضهم في أشهب (111) — رحمه الله تعالى — ، أحد تلامذة مالك — رحمه الله تعالى — ، فقال :

ميدان بحثك فيه (أشهب) واقف   اذ كنت فيه دائم الجريان
ضربت به الأمثال ما بين الورى   لا تنكروا (الأمثال للميداني)

وله أيضا :

يا قاري (التلقين) (112) يا مالكي   رجف الفؤاد بلحظك المسنون
ورأيتني لما جفوت ولم تصل   ميت الهوى فأخذت في التلقين

وله :

ومليحا (كذا) اذا النحاة رأوه   فضلوه على (بديع الزمان)
برُضَابٍ عن (المبرد) يروي   بنهود تروي عن (الرمان) ي (113)

---

(110) البيتان لعبد الله بن سالم بن الخياط المكي، وقد ورد البيت الثاني في المصادر الأدبية والتاريخية هكذا :

هدى التقى وعز سلطان النهى   وهو المهيب وليس ذا سلطان

انظر أ. الحصري، **زهر الآداب**، 1 : 75، **وديوان المعاني** لابي هلال العسكري، 1 : 144، وأ. بن فرحون، **الديباج**، 1 : 114.
وتوجد بنفس رواية **المنتقى** عند القاضي عياض في **ترتيب المدارك**، 2 : 161.

(111) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 1 : 238 — 239 رقم 100، وأ. بن فرحون، **الديباج**، 1 : 307 — 308 رقم 3 وم. بن مخلوف، **شجرة**، 1 : 59، وابن العماد، **شذرات**، 2 : 12 ، والقاضي عياض، **ترتيب المدارك**، 3 : 262.

(112) الكتاب المورى به هنا هو **التلقين** للقاضي عبد الوهاب.
انظر عن نسخه م. العابد الفاسي، **فهرس**، 1 : 340 — 342

(113) انظر ترجمة الرماني، المورى به هنا عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 5 : 134، والمصادر بالهامش.

فأنشده :

لقد فاتك الجَدْيُ يا ابن الحُباب وخبز سميذ كثير اللباب
ولم يبق منه سوى عظمه فذاك لعمري طعام الكلاب

فلما بلغ الامير الى قوله : فذاك لعمري طعام ، بادره ابن الحباب بأن قال له : طعامكم بكاف الخطاب والميم ، فواصله على ذلك وايقن بفطانته .

وانشدني في معرفة الكبيس من غيره من السنين العربية :

أيسليك خال بدا خده يديرك من لحظه قهوه

الا انه ضل عنه كيفية أخذها من البيت .

وأنشدني :

وحرمة المبعوث من آل لُؤَيْ ما ترك الأول للآخر شَيْ
الا لغوزا ورموزا وعقد و شُبَهاً ما إنْ لها من معتقد

وأنشدني [لابن الخطيب] :

ولما رأت عزمي حثيثا على السُّرَى وقد رابها صبري على موقف البين
أتت بصحاح الجوهري دموعها فعارضت من حيني بمختصر العين (114)

(114) أخطأ الناسخ فنسب البيتين الاولين (وحرمة المبعوث...) لابن الخطيب في حين ان البيتين التاليين هما اللذان ينسبان لابن الخطيب.
انظر **الديوان**.
وقد ورد عجز البيت الثاني عند أ. المقري في **النفح**، 6 : 506، هكذا :
فقابلت من دمعي بمختصر العين

وانشدني لابن غازي :

يفـــوق الأخ الجــــد في أربــــع　　نكـــاح ، ولاء ، صلاة ، حضانـــهْ
وفـــاق ابنـــه الجـــد فيهـــا سوى　　أخيـــر ، فللجـــد فيـــه مكـانـــه

وأنشدني له :

أبطـــل صنيـــع العبـــد والصبـــي　　للأب والسيـــــــد والوصـــــــي
و أوقفـــن فعـــل عديـــم واختلـــف　　في العرس والقاضي كمن به خلف

وأنشدني من التكرير لابي عبد الله بن عباد الصوفي ، خطيب القرويين :

مريـــدك والزمـــــان وأنت شيـــــخ　　قريب من قريب من قريب

وأنشدني لبعضهم يهجو يعقوب بن الرمال ، فقيه القصر :

تزاهـمت يا يعقـــوب حتـــى قتلتنـــي　　وأنت كأنـــواع الزهامـــة شامـــــل
سحين ودبين وللزرد فاعـل (كذا)　　فعولن ، مفاعيلـن ، فعولـن ، مفاعـل

وأنشدني لخُبَيْب الذي سن ركعتي القتل :

ولست أبالـي حيـــن أقتـــل مسلمـــا　　علـــى أي شقٍّ كان للـــه مصرعـــي
وذلك في ذات الالــــــه وان يشأ　　يبـارك على أوصال شِلْوٍ مُمَـزَّعِ [115]

وأنشدنـــي :

نصيبك ممـا تجمـــع الدهـــر كلـــه　　رداءان تلـــوى فيهمــــا وحنـــــوط

---

(115)　انظر قصة قول هذين البيتين عند البخاري في **الصحيح** 5 : 12.

وأنشدني للضرير المراكشي (116) :

وافـــرق بنحـــو عنـــدم وعـــن دم ومنـــه قول العالـــم المكـــرم
لفقـــد عينـــه ولامــه فقـــد ناب له الـــوصل منـــاب ما فقـــد

وأنشدني لابن عباد الصوفي ، بل هما في أول شرح الحكم (117) ، وهما قديمان :

ومـــن يحمـــد الدنيـــا لأمـــر يسره فذاك لعمـــري عن قريب يلومهـــا
اذا أدبـرت كانت على المـــرء حسرة وان أقبـــلت كانت كثيـــرا همومهـــا

وحدثني أن ابا عبد الله بن مرزوق (118) لما دخل على [ابن عرفة] (119) تكلم معه في (من) الموصولة ، هل تجزم أم لا ؟ فقال له [ابن عرفة] (120) لا تجزم ، فقال ابن مرزوق : بل تجزم ، واستدل له بالآية : « ومن يَعْشُ عن ذكر الرحمان نقيض له

(116) هو محمد بن عبد الرحمان الكفيف المراكشي المعروف بالضرير المتوفى سنة 807 هـ، عرف بنفسه في كتابه المشهور **اسماع الصم في اثبات الشرف من جهة الام**، ص 316 (مخطوط م. ع رقم 383 ك) .
انظر ترجمته عند معاصره احمد بن قنفذ، **وفيات**، 89، وأ. بابا، **نيل**، 248، والعباس بن ابراهيم، **الاعلام**، 5 : 26 — 30 رقم 620،
M . Benchekroun , la Vie Intellectuelle Marocaine , PP. 338 - 341 .

(117) اسم الكتاب الكامل : **غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية**، مخطوطاته متعددة، منها : مخطوطتا م. ع. بالرباط 1366 د، و 890 د، ومخطوطات المكتبة العامة بتطوان : 238، 783...
وانظر عن **الحكم العطائية**، حاجي خليفة، **كشف**، 1 : 675 — 676.

(118) يقصد ابن مرزوق الحفيد (المتوفي سنة 842 هـ / 1438).
انظر ترجمته عند شمس الدين السخاوي، **الضوء**، 7 : 50 — 51، وأ. بابا، **نيل**، 293 — 298 وم. بن مريم، **البستان**، 201 — 214، واسماعيل البغدادي، **هدية العارفين**، 2 : 191 — 192، وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 6 : 228، وعادل نويهض، **معجم**، ص 141 — 143، وعبد العزيز بنعبد الله ، **الموسوعة**، 2 : 111.

(119) بالاصل : (ابن عقيبة عالم قفصة)، وهو تحريف. وقد رجعنا الى المصدر الذي استقى منه ابن القاضي الخبر وهو المصدر الذي سيذكره فيما بعد باسم **انتهاز الفرصة، في محادثة عالم قفصة**، حيث يصرح فيه ابن مرزوق (الحفيد) بما يأتي : « حضرت مجلس شيخنا العلامة نخبة الزمان ابن عرفة... »، (الصفحة 21).
وقد نقل هذا الخبر أيضا ابن غازي في **فهرسه**، ص 68، وأ. المقري في **النفح**، 5 : 431، وم. السراج في **الحلل السندسية** 3 : 586 — 587.
أما علاقة ابن عقيبة بابن مرزوق فيتلخص في كون الأول كتب للثاني أسئلة أجابه عنها ابن مرزوق (الحفيد) في كتابه المشار اليه أعلاه.

(120) بالاصل : (ابن عقيبة). انظر التعليق السابق (التعليق 119).

(121) الآية 35 من سورة الزخرف.

ـــ الآية » [121] ، فقال له : انها شرطية ، ولو كانت موصولة لم تجزم . قال ابن مرزوق : وكنت قريب عهد بحفظ **التسهيل** [122] ، فأنشدته قول العرب :

فلا تحفرنْ بئـرا تريـد أخـا بهـا ... فانك فيهـا أنت من دونـه تَقَـعْ
كذاك الذي يبغي على النـاس ظالمـا ... تُصِبه على رغـم عواقب ما صنـع

فقال له [ابن عرفة] : ناشدتك الله ! أأنت ابن مرزوق ؟

فقال له : نعم ، فجدد السلام عليه وأكرم نزله ، وهذه الحكاية ذكرها في **انتهاز الفرصة في محادثة عالم قفصة** [123] .

وأنشدني لابن غازي في الفرق بين حِبّان و حَبّان في البخاري :

بالكسر حِبان بن موسى [124] يكتب ، ... وقبل ، عبد الله [125] جابلا نسب
وابن عطية [126]، ونجل العَرِقَة [127]، ... ومن بقي بالفتح ؛ فابـغ التفرقـه

---

(122) يقصد كتاب **تسهيل الفوائد، وتكميل المقاصد**، لابن مالك صاحب الالفية، وهو كتاب في النحو والصرف، تناول فيه المؤلف مسائلهما في ثمانين بابا، تتضمن مائتين وأحد عشر فصلا، وقد اتفق العلماء قديما وحديثا على أهمية هذا المؤلف، فقد قال أبو حيان ـــ المشهور بعدائه لابن مالك ومآخذه عليه ـــ : « خير الكتب النحوية المتقدمة كتاب سيبويه، وأحسن ما وضعه المتأخرون كتاب التسهيل... » . انظر **المدارس النحوية**، ص 320.
وقد حقق الكتاب الاستاذ محمد كامل بركات وقام بدراسة عنه.
وللتسهيل شروح متعددة، انظرها عند حسن جلاب، **أبو عبد الله الدلائي وآثاره**، رسالة جامعية غير منشورة، محفوظة بمكتبة كلية الآداب بالرباط، 2 : 357 ـــ 359.

(123) مخطوط م. ع. بالرباط عدد 429 ك، والاسكوريال 1743.
والمقصود هنا بعالم قفصة : ابن عقيبة. انظر ترجمته عند أ. بابا، **نيل**، 279، وأ. المقري، **نفح**، 5 : 429 ، وم. بن مخلوف، **شجرة**، ص 246.

(124) انظر ترجمته عند ابن العماد الحنبلي، **شذرات**، 2 : 77 ـــ 78.

(125) المقصود هنا عبد الله بن المبارك، انظر م. السخاوي، **فتح المغيث**، 21 : 234.

(126) انظر م. السخاوي، المصدر السابق، 2 : 233.

(127) نجل العرقة، : « بفتح العين وكسر الراء المهملة ثم قاف على المشهور وهاء تأنيث، وحكى ابن ماكولا عن الواقدي بفتح الراء وأن أهل مكة يقولون ذلك وصحح ابن ماكولا الكسر، وقيل لها ذلك لطيب رائحتها. امه ».
انظر م. السخاوي، المصدر السابق، 2 : 234.

وأنشدني لابن هارون شيخه في قوله ﷺ « لا يخطب الرجل على خطبة أخيه ـــ الحديث » (128) :

جمع الفاروق في دوس الخطاب ثم انثنى بولدين واصاب
وسنة جمعهم ان تفهموا انما الممنوع بعد الاقتراب

فالجيم من جمع لجرير بن عبد الله البَجَلي (129) ، والميم لمروان بن الحكم ، والعين لعمر و عبد الله بن عمر لأنه خطبها للثلاثة ولنفسه ، فاختارته وتزايد له منها ولدان ، وهي من دوس .

وانشدني لابن العزفي السبتي (130) :

وتستمر اربعين يوما فالزم بها استراحة ونوما

يعني السماء والليالي ، أي شدة الحر والبرد ، فأصلحه شيخه ابن هارون : فالزم بها قراءة وفهما .

وأنشدني

اذا كان يؤذيك يبس الخريف وحر المصيف وبرد الشتا
ويلهيك حسن زمان الربيع فجمعك للعلم قل لي متى ؟ (131)
[فخل] (132) الاماني وتغريرها فان الاماني تغر الفتى

---

(128) اخرجه البخاري في **الصحيح**، 3 : 24، ومسلم في **الصحيح**، 4 : 138.

(129) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 2 : 475، 6 : 431.

(130) يقصد أبا القاسم محمد بن يحيى العزفي (699 هـ ـــ 768 هـ / 1300 م 1366 م)، أمير سبتة، وقد وليها بعد وفاة أبيه سنة 719 هـ، وخلع في أوائل سنة 720 هـ، وانتقل الى فاس فكان كاتب الحضرة المرينية واستمر كذلك الى أن توفي بها. وكان فقيها شاعرا مكثرا، مليح الفكاهات، رقيق الموشحات ، تفوق على أهل زمانه، وهو آخر من ولي سبتة من بني العزفي.
انظر ترجمته عند لسان الدين بن الخطيب، **الاحاطة**، 3 : 11، وأ. بن القاضي، **جذوة**، 1 : 300 رقم 305، وأ. المقري، **أزهار الرياض**، 2 : 378، **نفح**، 6 : 242 ـــ 243 رقم 55، وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 8 : 9.

(131) البيتان الاولان لاحمد بن فارس اللغوى.

(132) بالاصل : (اعدي) ولا معنى لها هنا، والتصويب من **الابتهاج بنور السراج** لأحمد بن مامون البلغيتي ، 1 : 114.

وحدثني انه سمع هذه الابيات من شيخه في العام الذي ابتدأ عليه الحوفي الذي تقدم ذكره .

وأنشدني :

وكافـات الشتـاء يقـال خمـس   فكـاف الكـيس ان يحضر فكـاف

وكافات الشتاء من قول الحريري :

جاء الشتـاء وعنـدي من حوائجـه   سبع اذا القطر عن حاجاتنـا حبسا
كِنٌ وكـيس وكانـون وكـاس طِلا   بعد الكباب و كُسٌ ناعم وكسا (133)

ولبعضهم قريب مما تقدم قبل :

يقولـون كافـات الشتـاء كثيـرة   ومـا هو الا واحـد ليس اكثـرا
اذا كان كاف الكيس فالكـل حاضر   لديك (وكل الصيد يوجد في الفرا) (134)

وانشدني لبعضهم في الحجر الاسود :

---

(133) ذكرهما الحريري في المقامة الكرجية ونسبهما لابن سكرة الشاعر ويوجدان ايضا بنفس النسبة عند ابن حجة الحموى في **الخزانة**، ص 68، وأ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 4 : 412.

(134) البيتان لمحمود بن نعمة بن أرسلان الشيرازى النحوي.
وقد وردا عند ج. السيوطي في **بغية الوعاة**، 2 : 283، وابن حجة الحموى، **الخزانة**، ص 175، هكذا :

يقولـون كافـات الشتـاء كثيـرة   ومـا هو الا واحـد غيـر مفتـرى
اذا صح كاف الكيس فالكـل حاضر   لديك (وكل الصيد في جوف الفرا) (كذا)

وقد ضمن عجز البيت الثاني مثلا مشهورا. وأصله أن ثلاثة رجال خرجوا يصطادون فاصطاد أحدهم أرنبا والآخر ظبيا والثالث حمار وحش (الفرا) فاغتر الأولان وتطاولا، فقال الثالث : كل الصيد في جوف الفرا. أي أنه أعظم الصيد، من ظفر به أغناه عن كل الصيد.

وقالوا : اذا قبلت وجنة من تهوى ... فلا تُسْمِعَنْ صوتا ولا تعلن النجوى
فقلت : ومن يملك شفاها مَشُوقَةً ... اذا ظفرت يوما بغاياتها القصوى

وأنشدني :

اشاراتنا شتى وحسنك واحد ... وكل الى ذاك الجمال يشير

حدثني ان بعض الفاسيين يقال له : القبائلي (135) ، عمل مبيتة بداره ، بزنقة الحيلة بطالعة فاس ، فلم يجد في تلك الليلة على لسان المنشدين الا هذين البيتين :

أحسنت ظنك بالايام ، اذ حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وساعدتك الليالي ، فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر (136)

فلما اصبحت الليلة ، أخذ ، ونهبت داره .

وأنشدني لابن غازي نسق فيها من جمع القرآن حفظا على عهد رسول الله ﷺ في أبيات بسنده :

افتخر الخزرج بالقراء ... اما شفاها او على الاكفاء
زيد ابي زيد أبي ومعاذ ... وافتخر الاوس بسعد بن معاذ
وعاصم خزيمة وحنظله ... هَزاً حِمىً شهادة ومغسله

أراد بقوله : هزا : ان سعد بن معاذ (137) اهتز لموته عرش الرحمان ، وقيل : فرح له ، وفي ذلك انشد بعضهم :

---

(135) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 3 : 248 — 249 رقم 1279، **جذوة**، 2 : 474 — 475 رقم 527.

(136) ينسب البيتان لعلي بن أبي طالب.
انظر **ديوان**، ص 63.

(137) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 3 : 139، والمصادر بالهامش 2.

وما اهتز عرش الله من أجل ميت   سمعنا به الا لسعد أبي عمرو

وقوله : حمى : حمته الدَّبْرُ ، أي : الزنابير .

وقوله : شهادة : اشارة لخزيمة (138) ، وان النبي ﷺ قبل شهادته في شهادة رجلين .

قوله : ومغسلة : أي : حنظلة (139) غسلته الملائكة ، فهي من باب اللف والنشر المرتب .

وزيد في ثاني الابيات هو زيد بن ثابت (140) ، وأبو زيد هو ابو زيد الانصاري (141) .

وحدثني ان اجازته في **القرآن** انما هي من طريق ابي عن رسول الله ﷺ . حدثني ان أبا العباس القباب (142) دخل على ابن عرفة بتونس فاطلعه ابن عرفة على تأليفه في الفقه المشهور فقال له القباب : هذا التأليف لا ينتفع به المبتدي ولا يحتاج اليه المنتهي ، ومن ساعتئذ اخذ في بسط تأليفه .

وحدثني عن ابي القاسم العبدوسي (143) انه لما دخل تونس القى عليه مسألة تكبير العيد ، ايها الاحرام منها ؟ والمسألة لم ينص على تعيينها الا عبد الوهاب (144) والقاضي عياض في **قواعده** (145) ، فقال في الجواب لهم : عندنا كراسة معدة للصبيان ، وهي من كلام عياض ،

---

(138) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 2 : 351، والمصادر بالهامش 1.

(139) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 2 : 322 والمصادر بالهامش 2.

(140) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 3 : 95 — 96، والمصادر بالهامش 1 من الصفحة 96 .

(141) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 2 : 378 — 380 والمصادر بالهامش، 263 من الصفحة 378.

(142) هو احمد بن قاسم بن عبد الرحمان الجذامي ويعرف بالقباب، امام فقيه، ولي الفتيا بمدينة فاس ، وله نوازل مشهورة، وهو الذي الف فيه ابن الخطيب رسالته المشهورة **مثلى الطريقة، في ذم الوثيقة** (طبعت بالرباط سنة 1973) توفي سنة 779 هـ حسب تلميذه ابن قنفذ.
انظر ترجمته عند أ. بن قنفذ، **وفيات**، 85، وأ. بن قاضي، **جذوة**، 1 : 123 — 124 رقم 56، **درة**، 1 : 47 — 48 رقم 61 وأ. بابا، **نيل**، 72 — 73، وأ. بن فرحون، **الديباج**، 1 : 187 رقم 64، وم. بن مخلوف، **شجرة**، 1 : 235 رقم 845، وم. العابد الفاسي، **فهرس**، 344.

(143) انظر ترجمته عند أ. الونشريسي، **وفيات**، 141، وأ. بن القاضي **درة**، 3 : 281 — 282، رقم 1350 ، **لقط الفرائد**، 246.

(144) يقصد كتابه **التلقين**.

(145) يقصد كتابه **الاعلام بحدود قواعد الاسلام**، ص 27. وقد حققه الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي .

نص فيها على انها الأولى ، وقد تلقاه بالقبول ملكها وعامتها ، ثم ان فقهاءها حسدوه ، وأمروا من يسأله في مجلس تدريسه على رؤوس الاشهاد عن مسألة وهي زكاة الاموال : هل يجوز اعطاؤها الامير أم لا ؟ وقصدوا بذلك أحد الامرين : سقوطه عند العامة أو السلطان ، فأجابهم ، بأن قال لهم : انتم اعلم بأميركم ، فان علمتموه عدلاً فادفعوا له ، والا فلا .

وحدثني ان سيدي عمر الرجراجي (146) كان يقول : عليك **بقواعد القرافي** (147) ، واقبل منها ما قبله ابن الشاط ورد منها ما رده ، ويعني بابن الشاط : ابن الشاط السبتي (148) لا ابن الشاط التونسي (149) .

وحدثني ان ابا حفص الرجراجي كان يقرىء الفرائض ، وان اراد الطالب وضع اللوح للعمل يضربه بالقضيب على يده ، ويعمل المسائل هوائية ، وكان ابن غازي يستشكل هذا ، ان كان هذا في [مسائل] كمسائل التلمسانية فنعم ، أو في تصحيح مسائل الحوفي، واما مسائل الحوفي فلا يمكن عملها الا باللوح (150) .

---

(146) انظر ترجمته عند أ. الونشريسي، **وفيات**، 136، وأ. بن القاضي، **درة**،3 : 202 — 203، رقم 1197، **لقط الفرائد**، 235، وأ. بابا، **نيل**، 195 — 196، وم بن مخلوف، **شجرة**، 250.

(147) يقصد كتاب **أنوار البروق، في أنواء الفروق**، لشهاب الدين أحمد بن ادريس القرافي المتوفي سنة 684 هـ / 1285.

وقد طبع بمصر سنة 1344 — 1346 في أربعة أجزاء.

وانظر ترجمة القرافي عند ا. بن فرحون، **الديباج**، 1 : 236 — 239، وج. السيوطي، **حسن المحاضرة**، 1 : 316، وابن تغرى بردى، **المنهل الصافي**، 1 : 215، وأ. بن القاضي، **درة**،1 : 8 — 9 رقم 3، وم. بن مخلوف، **كشف**، 1 : 186، وم. بن مخلوف، **شجرة**، 188، ويوسف سركيس، **معجم المطبوعات**، 1501، وخ الدين الزركلي، **الاعلام**، 1 : 90، وبه مصادر أخرى بالهامش.

(148) انظر ترجمته عند أ. الونشريسي، **وفيات**، 105، وابن القاضي، **لقط الفرائد**، 180، **درة**، 3 : 270 — 271،وأ. بن فرحون، **الديباج**، 2 : 152 — 153 رقم 8، وأ. بابا، **نيل** 63، حيث يذكر ان له **فهرسة**، وم. بن مخلوف **شجرة**، 1 : 217 رقم 761، واسماعيل البغدادي، **هدية العارفين**، 1 : 829 — 830، **ايضاح**، 1 : 51.

(149) يقصد عيسى بن أحمد الهنديسي، المعروف بابن الشاط البجائي.

انظر ترجمته عند أ. بابا، **نيل**، ص 194.

من آثاره، **شرح صحيح مسلم**، مخطوطات م. م بالرباط بأرقام : 5456، 5536، 9005، ونسختان بالمكتبة العامة بالرباط بأرقام : 1791 و 1824 ك.

وله كذلك رسالة في العمل بالاسطرلاب، مخطوطات م. م. بالرباط تحت أرقام :6665، 6843، 5369.

(150) انظر **فهرس ابن غازي** ص 84.

وقال يستدل على ابي القاسم الحوفي : انه حيسوبي لا فرضي فقط من باب النصيب وباب دين الاجنبي .

وانشدني لابن غازي من قصيدته التاريخية التي هي :

افتتح العرب لسوس الاقصى موسى وطارق بمالا يحصى
سنة تسعين خلافة الوليد وبعد عامين خلا الفتح يزيد
وافترس الاندلس العقبان وبر في قسمه يليان
دخلها بعد الفتى المرواني في عام فلح عابد الرحمان
وعقدت رايته بالقضب وجاءنا ادريس عام قصب
الى وليلى المغرب القصي اذ قام صنوه على المهدي
وبعد ما سم سما النجل الأبي واختط فاسنا بعام قضب (151)
وعام ففقط مات مالك الرضى ثم قضى ابن قاسم عام قضى
واشهب والشافعي عندي ردا الى الله في عام ردي (152)

وأنشدني :

اذا لم يكن للمرء في دولة امرىء نصيب ولا حظ تمنى زوالها
وما ذاك عن بغض لها غير أنه يرجي بها خيرا فيهوى انتقالها (153)

---

(151) من الواضح هنا ان ابن غازي (ومعه ابن القاضي) يحدد تاريخ بناء مدينة فاس في 192 هـ (قصب) اعتمادا على من سبقه من المؤرخين.
وقد كشف ليفي بروفنسال عن هذا الخطأ وأتى برأي جديد مؤداه أن ادريس الاول هو الذي أسس المدينة سنة 172 هـ في الموضع الذي تقوم عليه عدوة الأندلسيين، وأن ادريس الثاني أسس بعد ذلك عدوة القرويين سنة 192 هـ غربي مدينة أبيه وعلى الضفة اليسرى من وادي فاس. اذ استبعد ان يؤسس ادريس الثاني مدينتين متجاورتين منفصلتين في آن واحد. كما دعم رأيه ببراهين منطقية وأدلة مستمدة من العملات التي ضربت في فاس عام 192 هـ، فضلا عن نصوص تاريخية وردت عند الرازي وابن الأبار وابن سعيد والقلقشندي والعمري وغيرهم، وكلها تشير الى تأسيس ادريس الأول مدينة حملت اسم فاس هي التي اسكن فيها ادريس الثاني أهل الربض الأندلسيين الذين قدموا عليه سنة 192 هـ، وكان قبل ذلك بعام قد أسس عدوة القرويين لايواء الجند العربي القادم من القيروان، فأصبح اسم فاس يطلق على العدوتين معا.
انظر مقاله (المترجم) « تأسيس مدينة فاس » مجلة **البحث العلمي**، العدد 31، السنة 16، اكتوبر 1980، ص 166 وما بعدها.

(152) انظر قاسم بن القاضي، **فهرس**، ص 183.

(153) نسبهما الصفدي في **الغيث المسجم**، 1 : 20 لأحمد بن أبي بكر الكاتب، وانظر أيضا الدميري، **حياة الحيوان الكبرى**، 1 : 161، بدون نسبة.

وأنشدني :

مات الكرام وولوا وانـــقضوا ومضوا — ومـــات في اثرهـــم تلك الكرامـــات
وخلفونـــــي في قوم ذوي سفـــــه — ان أبصروا طيف ضيف في الكرى ماتوا

وأنشدني :

تأن ولا تعجـــــل لأمـــــر تريـــــده — وكـن راحما بالنــاس تبلـــى براحـــم
ومـــا من يد الا يد اللـــه فوقهـــــا — ولا ظالـــم الا سيبلـــى بظالـــم

وحدثني ان شيخه لقي يوما استاذا من اساتيذ الغناء ممن يضرب بالعود ، يقال له الفارون (154) ، في تؤدة وهيئة ، الا انه ثمل ، ففهم عن الشيخ انه علم بسكرته ، فأنشده قول التقي الحمامي (155) على البديهة :

أصبـــــحت من خيـــــر الـــــورى — مستـــــــــبشرا بالفـــــــــرح
الخمـــــــــر عنـــــــدي ذهب — أكتالـــــــــه بالقـــــــــدح

فقال له مجيبا : هنيئا لك يا استاذ (156) .

وجاءه ايضا سكران لباب مسجد سيدي عثمان ، وقال له : ياسيدي ، ادع الله أن

(154) في **فهرس أحمد المنجور**، ص 47، مايلي : (الفاروز) بدل (الفارون). وذكر محق الفهرس الاستاذ محمد حجي أنه وجد في نسخة « م » (الفارون) بدل (الفاروز).
انظر نفس الصفحة هامش 38.

(155) هو : اسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر ابن شاهنشاه بن أيوب (الملك المؤيد، عماد الدين، ابو الفداء) صاحب حماة، عالم، أديب، شاعر، مشارك في أنواع من العلوم كالتفسير والاصلين والنحو والفقه والهيئة والمنطق والفلسفة والطب والعروض والتاريخ وتقويم البلدان تولى ملك حماة سنة 721 هـ. وتوفي في سنة 732 هـ.
من آثاره : **المختصر في أخبار البشر**، **تقويم البلدان**...
انظر ترجمته في **فوات الوفيات**، 1 : 183 ــ 188 رقم 71، و **الدرر الكامنة**، 1 : 396، و **البداية والنهاية**، 14 : 158، و **النجوم الزاهرة**، 9 : 292، و **الوافي الوفيات**، 9 : 173، و **طبقات السبكي** ، 6 : 84، و **معجم المؤلفين**، 2 : 282 ــ 283.

(156) انظر القصة في **فهرس أحمد المنجور**، ص47.
وقد علق الامام محمد القصار على هذين البيتين في طرة النسخة الأصلية من **فهرس المنجور** بقوله : « ما صنع شيئا بذكر هذه الحكاية الخاصة أي حض على أم الخبائث، فان صحت تحمل على أنه خاف شربها، وليته لم يكتبه. والنافع قوله :

ومـــا عسى في الخمـــر أن أقـــولا — بول مريض يذهب العقـــــــولا
=

يتوب علي ويلطف بي ، فأخذ في الدعاء له ، فلما فرغ من دعائه قال له الشمل : « قرنان أنت » . وانصرف عنه .

وأنشدني لبعض الأندلسيين :

سماعـــا يا عبـــاد اللـــــه منـــــي وكفـــوا عن ملاحظـــــة المــــــلاح
فان الـــــحب آخـــــره المنايــــــا وأولـــــه شبيـــــه بالمـــــزاح

وأنشدنـي :

كأننـــــا والمـــــاء من حولنـــــا قوم جلـــوس حولهـــم مـــــاء

وأنشدني بحكايتهما :

كم أنـــاس قد أناخـــوا حولنـــــا يمزجـــون الخمـــر بالمـــاء الــــزلال
لعب الدهـــر بهـــــم فانقرضـــــوا وكـذلك الدهـــر حال بعـــد حـــال

وأنشدني لعلي ــ كرم الله وجهه ــ :

فلا تصحب أخـــــا الجهـــــــل وايـــــــــــاك وايـــــــــــاه

= وقوله عوض الثاني :

من اعتمـــــــاد لي علـــــــىفضل العظيـــــــم المنـــــــح

قاله محمد القصار تاب الله عليه ».
وعلق محقق **الفهرس** الاستاذ محمد حجي على قول القصار بما يلي : « هكذا يبدو نقد القصار نقد فقيه متزمت لا يراعي سوى الجانب الخلقي، بينما تتجلى الحاسة الادبية الفنية عند أحمد المنجور وشيخه على بن هارون، وهما لا يقلان تقى وعفة وورعا عن القصار ».
انظر الصفحة 48 من **الفهرس**، هامش 38.
وقد وردت في الفهرس كلمة (أغنى) عوض (خير).

فكـــــم من جاهــــــل أردى حليمـــا حيــــن آخـــــاه
يقـــاس المـــرء بالمـــرء اذا ما المــــــــرء ما شاه
قيـــاس النعـــــل بالنعـــل اذا ما النعـــــــــل حاذاه
ولـــــلشيء علــــى الشيء مقايـــــــيس وأشبــــــاه
وللقـــلب علــــى القـــلب دليـــل حيـــن يلقــــاه (157)

وأنشدني :

أعــجب ما في الأمــور عنــدي اضمـــار ما تدعـــي القلـــوب
تأبـــى نفـــوس نفـــوس قوم ومالهـــا عندهـــا عيـــوب
وتصطفــــي انـــفس نفـــوسا ومالهـــا عندهـــا نصيب
ما ذاك الا لمضمـــــــرات يعلمهـــا الشاهـــد الرقـــيب

وأنشدني :

الآن لمــــا أن كبـــــر ت وصار وجـــهك كالصَّفَـــنْ
أقبـــلت تطـــلب وصلنـــا (الصيـــف ضيـــعت اللبـــن)

وأنشدني للحريري يشرب (كذا) مقاماته على مقامات الاسكندري :

باللـــه يا مهجـــة عينـــي قل لي : هل أبصرت عينـــاك قط مثلـــي ؟
ان يكـــن الاسكنـــدري قبلـــي ، فالطـــل قد يبـــدو أمـــام الوبـــل
والفضل للوابل لا للطـل

وأنشدني في نسق الفقهاء السبعة (158) :

(157) ورد مكان البيت الرابع في **ديوان علي بن ابي طالب**، 131، البيت الآتي :

وفـــي العيـــن غنـــى للعيـــن ان تنطـــــق افـــــواه

(158) ذكر محمد بن مخلوف في **الشجرة**، ص 19، عن هؤلاء الفقهاء ما يأتي : « الفقهاء الذين كانوا في المدينة في عصر واحد كانوا كثيرا وانما خص هؤلاء لاجتماع الناس على رأيهم واختصاصهم بفتاويهم لأنهم معروفون بالفضل والصلاح حتى كانوا لا يقضى في أمر حتى يرجع اليهم وصارت الفتيا لهم خاصة بعد الصحابة وكان الناس يتبركون بهم... ».

ألا كل من لا يقتـــــدي بأئمـــــة فقسمته ضيزَى عن الحـــق خارجـــة
فخذهم : عبيد الله ، عروة ، قاسم ، سعيد ، ابو بكر ، سليمان ، خارجه [159]

وأنشدنـــي :

أبلـــغ النعمـــان عنـــــي مَأْلُكـــــاً أنـــــه قد طال حبسي وانتظـــــاري
لو بغيـــر المــــاء حلقــــي شَرِقٌ كنت كالغصَّانِ بالماء اعتصاري [160]

وأنشدنـي :

ولست بنحـــويٍّ يلـــوك لسانــــه ولكـــن سليقـــيّ أقــول فأُعْرِبُ [161]

وحدثني عن بعض الناس من عامة أهل فاس يقال له الحاج بن الفقيه ، وكان شاعرا ، وكان يقرأ مع الشيخ الخزرجية [162] حتى وصلا لتقطيع قول الشاعر :

---

(159) انظر ترجمة هؤلاء الفقهاء بالتتابع عند م. بن مخلوف، **شجرة**، ص 19 ــ 20.

(160) البيتان لعدي بن زيد العبادي ــ بكسر العين وتخفيف الباء ــ نسبة الى العباد، وهم قوم الزموا انفسهم التخلي عن الدنيا والانشغال بالعبادة. شاعر جاهلي، تعلم الفارسية، وكان كاتبا لكسرى .
والبيتان قالهما في سجن النعمان بن المنذر.
والمألك ــ بضم اللام وفتحها ــ : الرسالة.
والغصان : الذي به غصة وهو وصف من غص بالطعام، اذا وقف في حلقـه.
والاعتصار : شرب سائل يزيل الغصة

(161) ينسب البيت في بعض المصادر لابي الاسود الدؤلي.

(162) **الخزرجية** لأبي محمد عبد الله بن محمد الخزرجي الانصاري في ست وتسعين بيتا من بحر الطويل ضمنها قواعد العروض والقوافي، وقد رمز فيها لتلك القواعد بحروف (الجمل) أول كل بيت للدلالة على ترتيب البحر وعلى أعاريضه واضربه. أما باقي كلمات البيت فيرمز كل منهما لشاهد تلك الاعاريض والاضرب التي رمز لها أول البيت بحروف (الجمل).
وقد قدر لها من الشهرة والعناية حد بعيد، فقد شرحها الشريف الادريسي محمد بن احمد السبتي (760 هـ)، ولعله من أوائل شراحها، وشرحها بدر الدين محمد المخزومي الدماميني (808 هـ) وسمى شرحه : **العيون الفاخرة الغامزة على خبايا الرامزة...**
انظر بقية الشروح عند حاجي خليفة، **كشف**، 2 : 1135 ــ 1136.

أزمـــان سلمـــى لا يرى مثلهـــا الـــ راؤون في شام ولا في عراق [163]

فأبدله بقوله :

أخلاق يحيى لا يرى مثلها الراؤون إلى آخر ......

ويعني به السراج [164] لانه ضيق الخلق جدا .

وأنشدنـــي :

اذا قل مال المـــــرء لانت قناتـــــه وهان على الأدنى فكيف الأباعد [165]

وأنشدنـــي :

الاهـــي عبـــدك العـــاصي أتاكـــــا مقـــرا بالذنـــوب وقـــد دعاكـــــا
فان تغفـــــر فأنت لذاك أهـــــــل وان تطـــرد فمـــن يرحـــم سواكـــــا

وانشدني :

ان تكـن ناسكـا فكـــن كَأُوَيْسٍ [166] أو تكـن فاتكـا فكـن كابـــن هانـــي
من تحلـــى بحليـــــة ليس فيــــــه فضحتـــــه شواهـــــد الامتحـــــان

(163) ورد البيت بالاصل هكذا :

أزمـــان سلمـــــى لا يرى الــــراؤون مثلهـــــــــا في شام ولا في عراق

وهو تحريف، والتصويب من المصادر المختلفة مثل **الخزرجية**وشروحها، و**مفتاح العلوم** للسكاكي، ص 231 وغيرها...

(164) انظر ترجمه عند أ. المنجور، **فهرس**، 79، وأ. بن القاضي، **درة**، 3 : 241 رقم 1468، **جذوة**، 2 : 540 ــ 541 رقم 626، **لقط الفرائد**، 230.

(165) انظر البيت عند ابي هلال العسكري، **ديوان المعاني**، 2 : 247، والابشيهي، **المستطرف**، 2 : 48 .

(166) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 1 : 375، والمصادر بالهامش.

وأنشدني لأبي نواس :

كأن كبرى وصغرى من فقاقعها حصباءُ دُرٌّ على أرض من الذهب [167]

وأنشدني :

أعاذلتي على إتعاب نفسي ورعيي في الدجى روض السهاد
اذا شام الفتى بَرْقَ المعالي فأهون فائت طيب الرقاد [168]

وأنشدني :

بلاد بها نيطت عليَّ تمائمي وأول أرض مس جلدي ترابها [169]

وأنشدني لابي الحسن علي بن عبد الكريم الأغصاوي [170] ، الذي شرح المدونة وأخوه شرح ابن بري [171] .

معاملة الانسان من جل ماله حلال لست فيه بآثم

وما بعده :

وقال ابن وهب [172] بالكراهة وامنعن لأصبغ [173] محتاطا لأجل المحارم
وان كان جل المال فاعلم محرما فمنع وان تكره فقول ابن قاسم

---

(167) انظر ديوان ابي نواس،ص 72.

(168) نسبهما ابو عبد الله محمد ابن القاضي عياض في التعريف ص 63، الى ابي القاسم بن نباتة السعدي.
وينسبان أيضا لعلي بن أبي طالب، انظر ديوانه، 44.

(169) انظر البيت عند ابن غازي، الروض الهتون، ص 2، وحسين خوجة، ذيل بشائر أهل الايمان، ص 11.
وينسب البيت لرقاع بن قيس الأسدي.

(170) انظر ترجمته عن م. بن عسكر، دوحة، 39 — 40 رقم 25، وم. الهبطي، المعرب، الفصل 15 ، وم. حجي، الحركة، 2 : 470 — 471.

(171) يقصد ارجوزته الدرر اللوامع في أصل مقرا الامام نافع، وقد تكرر نشرها بتونس ضمن شرحها للمارغيني.

(172) انظر ترجمته في ترتيب المدارك، 3 : 228، ووفيات الاعيان، 3 : 36، والديباج، 1 : 413، والشذرات، 1 : 347، والشجرة، 58 — 59.

وان لم يكن في المال حل فإنه حرام على ما قاله كل حازم
وقيل استبح ما نال بالارث والعطا وما ابتاعه فاقبل وبالفضل زاحم
وقيل مباح ان يعامل بقيمة بغير محاباة على رأي عالم
وسوغهُ الزهريّ (174) وابن مزينهم (175) فخذ واتبع ، لا تخش لومة لائم
حكى ذا الذي قلنا وأحكم نقله سليل ابن رشد ذي العلى والمكارم

وأنشدني في ألثغ :

وألثغ ما مثله ألثغ كأنه من فضة مفرغ
قلت له : يا سيدي ، ما تشتهي ؟ قال لي : الفالوذ والسكغ (176)

وأنشدني :

أبكي وتبكي الحمام لكن شتان ما بينها وبيني
العين منها بغير دمع والدمع مني بغير عيني

وأنشدني لاعرابية :

نشأت مع السِّخال وأنت طفل فمن أنباك أن أباك ذيب (177)

وذيله بعضهم :

اذا كان الطباع طباع سوء فليس بمصلح طبعا أديب (178)

---

(173) انظر ترجمته في **ترتيب المدارك**، 4 : 17، و**طبقات المالكية** لمؤلف مجهول، 95، و**الشجرة**، 66.
(174) انظر ترجمته في **ترتيب المدارك**، 3 : 347، و**الشجرة**، 57.
(175) انظر ترجمته في **ترتيب المدارك**، 4 : 238، و**الشجرة**، 75.
(176) ورد البيت عند أ. المنجور في **الفهرس**، ص 46 هكذا :

قلت له سيدنا فقال لي الفانيد والسكغ

(177) انظر قصة قول هذا البيت عند الابشيهي، **المستطرف**، 1 : 211.
والسخال : جمع سخلة، ولد الشاة. انظر **حياة الحيوان الكبرى**، 2 : 17.
(178) ورد عجز البيت في **المستطرف**، 1 : 211، هكذا :

فلا أدب يفيد ولا أديب

قال بعضهم : الرضاع يغير الطباع .

وأنشدني :

كم قوي قوي في تقلبــــــــــه مهذب الرأي عنــه الــرزق ينحــرف
وكــم ضعيــف ضعيــف في تقلبــه كأنــه من خليــج البحــر يغتــرف
هذا دليــل علـــى أن الالــــه له في الخلق سر خفــي ليس ينــكشف

وأنشدني للشريف المكي ــ الذي قدم في زمن ابن غازي واثنى عليه ــ في نسق حساب النيم :

ياريــم أيقــظ بليــل ساحـــرا نعسا كم جار زهــو التجنــي ضوء ما درسا
وأستحي صبا توى حزنــا ذوى قلقــا هيمان فارحــم عليــلا شاخصا خرِسا
غرامــــه ثابت ظمـــآن طائـــــره قد انتهــى لنصيب ربمــا وعسى (179)

وكان معاصرا للشريف ابي مناشف ، وكان هجاء ، قال له الشريف المكي يوما : أفأكلم السارية ، فأجابه وقال له : كان ماذا كلمها عمر ــ رضي الله عنه ــ .

يعني قوله : يا سارية ! الجبل (180) .

والشريف أبو مناشف المذكور اسمه عبد الله بن محمد بن أبي يحي بن ابراهيم بن أبي يحيى بن يحيى بن علي بن يوسف بن محمد بن مهدي بن علي بن عبد الرحمان بن عبد القادر بن يحيى بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي ــ كرم الله وجهه .

وحدثني[عن اليهودي مع أبي]مالك الونشريسي ، لأنه مرض ولده وطبه يهودي على مائة دينار ، فلم يجد ما يقضي به دينه لما شفي ولدِهِ ، فقال له : ادعها على التاجر الفلاني ، أنا

---

(179) انظر الأبيات عند ابن غازي، بغية، الملزمة 8، ص 5.

(180) يشير الى قصة عمر مع سارية، قائد احدى بعوثه الى مصر أو الشام عندما رآه عن طريق المكاشفة تعرض لكمين فحذره قائلا ــ وبينهما اميال ــ : ياسارية ! الجبل. فاعتصم سارية بالجبل ونجا من الكمين.

انظر عبد الكريم القشيري، **الرسالة القشرية**، ص 159 .

أشهد بذلك مع ولدي ، فادعاها اليهودي على التاجر المذكور ، فلما استدعي للأداء أنشد :

ان النـــاس غطونـــي تغطـــيت عنهـــم   وان بحثـــوا عنـــي ففيهـــم مَبــاحِثُ
وان حفـــروا بئـــري حفـــرت بئارهـــم   ليعلـم قوم كيـــف تلك النبـــائث (181)

كأنه انتحلها من قضية أبي دلامة ، انظر **حياة الحيوان الكبرى** (182) .

وأنشدني :

وأنا الـــذي اجتـــلب المنيـــة طرفُـــهُ   فمـن المطـالب والقتيـــل القاتـــل (183)

وأنشدني للقاضي عبد الوهاب :

يزرع وردا ناضرا ناظـــــــــــري   في وجنـــــة كالقمـــــر الطـالــــــع
فلـــم منعتـــــم شفتـــــي قطفهـــــا   والحكـــم أن الـــزرع للـــــــزارع

وأنشدني لابن غازي :

بيـــع الشروط : الحنفـــــي حرمَـــــهْ   وجائـــــز سوغ لابـــــن شُبْرُمَـــــهْ
وفصلت لابـــن أبـــــي ليلـــــى الأَمَهْ   ومـالك الـــى الثـلاث قسمـــــه (184)

وأنشدنـي له أيـضا :

تحصيـــل مذهب الكتـــاب عنـــــدي   فهـــــم الصقليّـــــن وابـــــن رشد
لا عفـــو الا باجتمـــاع في الدمــــا   ان يكـــن الـنساء أدنـــى رحمـــا

---

(181) البيتان لابي دلامة زند بن الجون.
انظر قصة قولهما عند أ. خلكان، **وفيات الاعيان،** 2 : 325 ـــ 326، وابن رشيق، **العمدة،** 1 : 54.

(182) **حياة الحيوان الكبرى** لكمال الدين محمد بن عيسى الدميري الشافعي، المتوفى سنة 808 هـ (مطبوع).
والقصة واردة في الجزء الأول، ص 144.
انظر ما كتبه عنه حاجي خليفة، **كشف الظنون،** 1 : 696 ـــ 697.

(183) البيت للمتنبي، انظر **ديوانه،** 3 : 367.

(184) انظر تفصيل المسألة عند ابي عبد الله محمد ابن القاضي عياض في **التعريف،** 29 ـــ 30.

أو حاز ارثــه الـــــنساء بالكمـــــال كالبـــنت والاخت واقسام الرجــــال
والفهـــــم بلا قسامــــــة وذر كامـــرأة ساوت بقُعْـــدِدٍ ذكـــــر

فقوله الصقليين : هم عبد الحق (185) ، وابن يونس (186) .

والقرينان اشهب وابن نافع (187) .

والصاحبان مطرف (188) وابن الماجشون .

والشيخان ابن ابي زيد والقابسي (189) .

ولقد جمعها بعضهم فقال :

هاك اصطلاحـــات جرت وانــــتشرت علـــى لسان من عزى النقــــل بدت
أولهـــا ابـــن نافـــع وأشهـــب همـــا القرينـــان لدى من ينسب
كذا مطـرف ونجـل الماجشـــون كلاهمـــا بالأخويـــن ناقلـــون
ونجـــل قصار (190) وعبـــد الوهـــاب قد لقبـا بالقاضييـــن في البـــاب
ونجل مواز (191) مع ابن سحنون (192) في العـــز بالمحمديـــن يعنـــون

(185) انظر ترجمته عند المؤلف المجهول، **طبقات**، 271، وم. بن مخلوف، **شجرة**، 116، وم. العابد الفاسي، **فهرس**، 348.

(186) انظر ترجمته عند المؤلف المجهول، **طبقات**، 310، وم. بن مخلوف، **شجرة**، 111، وم. العابد الفاسي، **فهرس**، 334 — 337.

(187) انظر ترجمته في **ترتيب المدارك**، 3 : 128، **شجرة**، 55، **الديباج**، 1 : 409، **وفيات الاعيان**، 1 : 280.

(188) انظر ترجمته في **ترتيب المدارك**، 3 : 133، **شجرة**، 57.

(189) انظر ترجمته في **ترتيب المدارك**، 4 : 169، **وفيات الاعيان**، 3 : 320 — 322 رقم 446، **الديباج**، 2 : 101، **معالم الايمان**، 3 : 168، **نكت الهيمان**، 217، **طبقات المالكية** لمؤلف مجهول، 228 — 229 ، **والشجرة**، 97.

(190) انظر ترجمته في **الشجرة**، 92.

(191) انظر ترجمته في **ترتيب المدارك**، 4 : 167، **شذرات**، 2 : 177، و **طبقات المالكية** لمؤلف مجهول، 93، و **الشجرة**، 68.

(192) انظر ترجمته في **ترتيب المدارك**، 4 : 204، و **الشجرة**، 70.

وابن ابي زيد الرضى والأبهري [193] قد لقبا الشيخين لست تمترى [194]
واعز من النقاد نحويين اي الكسا [195] وابن العلا الثبتين
وابن العلا [196] واليحصبي [197] لقبا بالعربيين فحصل تجتبي
ونافع [198] وابن كثير [199] عرفا بالحرميين فحصل تصطفى
.... [200]
عنوا محمد بن حماد بن زيد [201] ونحل سلمة [202] حمادا وقد

وأنشدني :

نقرت الباب حتى كَلَّمتني فما نطقت وما ردت جوابا
فقلت لصاحبي : قد كلمتني ولم أسمع لصاحبتي خطابا

وأنشدني :

تجنب صديقا مثل ما واحذر الذي يكون كعمرو بين عرب وأعجم
فان صديق السوء يُرْدِي وشاهدي (كما شَرِقَتْ صدر القناة من الدم) [203]

---

(193) انظر ترجمته في الشجرة، 91.
(194) كتب في الهامش ما ياتي :
وقد الحقت بيتا وهو ما ياتي :

ثم الصقليين عبد الحق ونجل يونس الشهير الصدق

(195) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 5 : 93، والمصادر بالهامش.
(196) **ترتيب المدارك**، 5 : 270.
(197) **ترتيب المدارك**، 3 : 310.
(198) خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 8 : 318.
(199) **الشجرة**، 59.
(200) بياض بالاصل.
(201) **ترتيب المدارك**، 4 : 294، و **الشجرة**، 65.
(202) **الشجرة**، 56 رقم 10.
(203) انظر البيتين عند الصفدي، **الغيث المسجم**، 1 : 247.

وأنشدني :

علـيك بأربـاب الصدور فمـن غدا مضافـا لأربـاب الصدور تصدرا
وايـاك ان ترضى بصحبـة ساقـط فتنحـط قدرا عن علاك وتحقـرا
فَرَفْـعُ أبـو مَنْ ثم خَفْضُ مُزَمَّـلِ يُبَيِّـنُ قولـي مغريـا ومحـذِّرا (204)

وأنشدني :

لا تُزْرِيَـنْ بامـرِيء أُماً تكـون له أم من الـروم أو سوداء عجمـاء
فانمـا أمهـات القـوم أوعيـة مستودعـات والأحساب آبـاء

وأنشدني :

فبينـا نسوس النـاس والأمـر أمرنـا اذا نحن فيهم سُوقَةٌ ليس نُنْصَفُ (205)

وحدثني ان ابا الفضل التونسي (206) كان يبدل الرواية ويقول :
اذا نحن فيهم سوقة نتنصف .

= وفي عجز البيت الثاني تضمين من قول الأعشى من قصيدة ميمية طويلة :

فلـو كنت في جب ثمانين قامـة ورقـيت أسبـاب السمـاء بسلـم
ليستدرجـنك القـول حتـى تهره وتعلـم اني لست عنك بمفحـم
فتشرف بالقـول الـذي قد أذعتـه كما شرقت صدر القنـاة من الـدم

وهو من شواهد النحو.

(204) انظر الأبيات عند الصفدي، **الغيث المسجم**، 1 : 248، وقاسم بن القاضي، **فهرس**، 177.

(205) البيت من بيتين لحرقة بنت النعمان.
والبيت الثاني هو :

فأف لدنيـا لا يدوم نعيمهـا تقـلب تارات بنـا وتصرف

انظر قصة قولهما عند الحميري، **الروض المعطار**، 207.

(206) هو ابو الفضل بن ابي القاسم البرشكي التونسي الفقيه، الخطيب بجامع الزيتون المتوفى سنة 992 هـ
انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 3 : 268 رقم 1321، **لقط الفرائد**، 319.

وأنشدني :

اذا اعطشتك أكف اللئام ... كفتك القناعة عزا وريا
فكن رجلا رجله في الثرى ... وهامة همته في الثريا
فان اراقة ماء الحياة ... لدون اراقة ماء المحيا (207)

وأنشدني لأبي مالك الونشريسي ــ بعث بها الى ابي العباس المريني لتادلا ــ :

ألقت اليك زمامها الأيام ... والسعد ثغره نحوكم بسام
وافتك في شهر المحرم تادلا ... من غير أن يُسْلَلْ بها صمصام
كم رام غيرك للعلى لكنه ... من دونه زلت به الأقدام

وأنشدني له ــ ما كتب في مربعة على جسر الرصيف (208) ــ :

جسر الرصيف ابو العباس جدده ... فخر السلاطين من أبناء وطاس
فجاء في غاية الاتقان مرتفقا ... لمن يمر به من عدوتي فاس
وتم تجديده في نصف عام (غنى) ... لهجرة المصطفى المبعوث للناس (209)

وأنشدني لابن نباتة :

سألته من ريقه شربة ... أُطفي بها من ظمئي حرَّهْ
فقال : أخشى يا شديد الظمأ ... ان تتبع الشربة بالجَرَّهْ

---

(207) انظر الأبيات عند ابن حجة الحموي، **خزانة الادب**، ص 26. وهي لابن عطاء الله.

(208) جسر الرصيق قنطرة كانت على وادي أبي طوبة (بوخرارب) بفاس تصل رحبة التبن بمدخل جزاء برقوقة، والرصيف المضاف اليه الجسر شارع شهير يبتدىء من القنطرة وينتهي بفندق الملح الفاصل بين البستيونية والحواتين، وقد هدم الجسر المذكور في الستينات عندما تقرر بناء طريق للسيارات فوق الوادي.

(209) انظر الأبيات عند أ. بن القاضي، **جذوة**، 1 : 49.

وأنشدني لأمين الدين السليماني :

أُضِيفَ الدجى معنى الى ليل شعره فطال ولولا ذاك ما خص بالجر
وحاجبه نون الوقاية ما وقت على شرطها فعل الجفون من الكسر (210)

وأنشدني لمجير الدين بن تميم :

وعَيَّرني بالشيب قوم أحبهم فقلت وشأن العاشقين التجمل
بعثتم الى هجري المشيب بهجركم ومهما أتى منكم على الرأس يُحْمَلُ

وأنشدني لابن عبد الظاهر (211) :

ياسيدي ان جرى من مدمعي ودمي للعين والقلب مسفوح ومسفوك
لا تخش من قَوَدٍ يُقتص منك به فالعين جارية والقلب مملوك

ولابن نباتة

يا قاتلي بلحاظ قتيلها ليس يُقْبَرْ
ان صَبَّروا عنك قلبي فَهْوَ القتيل المُصَبَّرْ

ومن مخترعاته العجيبة :

ذو قَوامٍ يجور منه اعتدال كم طعين به من العشاق
سلب القُضْبَ لينها فهي غيظا واقفات تشكوه بالأَوْرَاق

---

(210) انظر البيتين عند م. بن شاكر، **فوات الوفيات**، 3 : 42، والصفدي، **الغيث**، 1 : 39.

(211) انظر ترجمته عند م. بن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، 2 : 179 ــ 191 والمصادر بالهامش 222 من الصفحة 179 من نفس المصدر

ومن اختراعاته ايضا :

وبروحـــــي هَوِيتُـــــه عجميـــــا لِيَ ذَلَّتْ ألفاظـــــه الغتميَّـــــةْ
كم حلا عجمـــة فقــلت بخلـــــي خلنـــــي والحـــــلاوة العجميـــــه

وله ايضا :

سل سيفـــا من جفنـــه ثم أرخـــى وفـــرةً وَفَّـــرَتْ عليـــه الخميلـــةْ
ان شكـا الـخصر طولها غيـــرُ بِدْعٍ لنحيـــل يشكـــو الليالـــي الطويلـــةْ

ولمجير الدين بن تميم :

لمـــا لبست لبعـــده ثوب الضنـــــى وغـدوت من ثَوْبِ اصطبـاري عاريـــا
اجـريت واقـــف مدمعـــي من بعـــده وجعلتـــه وقفـــا عليـــه جاريـــا

وانشدني لابن هبة الله [212] :

تملـكت رقـي من عارضيـــه حاشيـــةْ بالـــــحسن اضحت زاهيـــــةْ
ورِقـــقت جسمـــي والشعـــر معـــا فصرت بالـــحب رقيـــق الحاشيـــةْ

وأنشدنـي :

تعـــذيب قلبـــي في هواك حلالـــــي هلا تَرِقُّ لِذِلَّتـــــي ولحالـــــي
كم ذا أداري في هواك عواذلـــــي ما للعـــــواذل في هواك ومالـــــي
زعـــم العـــواذل ان قلبـــي قد سلا تالـلـــه ما خطـــر السلـــوُّ ببالـــي
اصبـحت من وجـدي عليك ولوعتـي ونحـول جسمـــي كالخيـــال البالـــي

---

(212) انظر ترجمته في **فوات الوفيات**، 1 : 154 ــ 155 رقم 58، والمصادر بالهامش 58 من الصفحة 154.

وكتمت ما ألقاه من ألم الجوى … والدمع باح [213] ولم أفه بمقال
يا مانعا من مقلتي طيب الكرى … رفقا بقلبي قد رمي بنبال
أترى اراك مواصلي بعد الجفا … في ليلة وأعدها بليال

[ولابن النبيه] [214] :

قم يا غلام ودع نصيحة [215] من نَصَحْ … فالديك قد صدع الدجى لما صَدَحْ
خفيت تباشير الصباح فَسَقِّني … ما ضل في الظلماء من قدح القدح
صهباء ما لاحت [216] بكف مديرها … لمقطب الا تهلل وانشرح
والله ما مزج المدام بمائها … لكنه مزج المسرة بالفرح
وَضَحَتْ فلولا أنها تروي الظما … قلنا سراب أو شراب قد طَفَحْ
هي صفوة الكرم الكريم فما سرت … سراؤها في باخل الا سمح

ومنها :

من كف فَتَّان القوام بوجهه … عذر لمن خلع العذار أو افتضح
قمر شقائق مرج وجنته حِمِيً … ما شَفَّهُ سَرْحُ العذار ولا سَرَحْ [217]
وَلَّى بشعر كالظلام اذا دجا … وأتى بوجه كالصباح اذا وَضَحْ
يهتز كالغصن الرطيب على النقا … ذا خَفٍّ في طي الوِشَاحِ وذا رَجَحْ
النرجس الغض استحى من طرفه … وبثغره زهر الأقاح قد اتضح
فكأنه متبسم بعقوده … أو بالثنايا قد تقلد واتشح
في وصفه ومديح حبي [218] ، خاطري … متقسم بين الملاحة والملح [219]

---

(213) بالاصل : (فاح)، ولعل الأنسب ما أثبتناه.
(214) بالاصل : (وللبهازهير)، وهو خطأ.
(215) في الديوان : مقالة.
(216) في الديوان : لمعت.
(217) سقط هذا البيت من الاصيل، والاضافة من الديوان
(218) في الديوان : موسى .
(219) انظر بقية القصيدة ـــ المكونة من 28 بيتا في الديوان.

وأنشدني لعز الدّين بن عبد الرزاق :

قالت وقد صرت كطيف الخيال كيف ترى فعل الدمى بالرجال
وسددت سهما الى مقلتي تقول هل فيك لدفع النصال
رقيقة الجسم فلولا الذي يمسكه من قسوة القلب سال

وأنشدني :

ولما بدا لي أنه غير زائري وأن هواه ليس عني بمنجل
تمنيت أن يهوى ويجفى لعله يقاسي مرارات الهوى فيرق لي

وأنشدني لنور الدين بن سعيد المقري :

كم جفاني فرمت أدعو عليه فتوقفت ثم ناديت داهلْ (220)
لا شفى الله طرفه من سَقَامٍ وأراني عذاره وهو سَائِلْ

وأنشدني :

يارب ان قدرته بمقبل غيري فللمسواك ثم الأكؤس
واذا قضيت لنا بصحبة ثالث يارب فلتك شمعة في المجلس
واذا حكمت لنا بعين مراقب يارب فلتك من عيون النرجس (221)

وأنشدني :

تعبت حتى جوادي لا حراك به يكاد من همزه بالركض ينخذم
ولا يغرك منه سنه غلطا (ان الجواد على علاته هَرِمُ) (222)

---

(220) كذا بالاصل (داهل) بدال مهملة.
(221) الابيات للنجيب بن الدباغ.
انظر ابن حجة الحموي، **خزانة الادب**، 315، والنواحي، **حلبة الكميت**، 33.
(222) وقد ورد البيت الأول بالاصل هكذا :

تعبت تحت جواد لا حراك به يكاد من حزمه بالركض ينحزم

وقال أيضـا :

واهيف مثـل البـدر غصن قوامـه عليـه قلـوب العاشقيـن تطيـر
يدور عذاراه لتقبيـل وجنـة على مثلها كان الخطيب يدور [223]

وأنشدني للوأواء الدمشقي [224] :

قالت وقد عملت فينـا نواحظهـا كم ذا أما لقتيـل الـحب من قَوَدِ
فأمطـرت لؤلـؤا من نرجس وسقت وردا وعضت على العُنَّـابِ بالبَـرَدِ
انسانة لو رأتها الشمس ما طلـعت من بعد رؤيتها يومـا علـى أحـد
ثم استمرت وقالت وهي ضاحكـة قوموا لننظـر فعـل الظبـي بالاسد

وأنشدني لابن كُمَيْـل [225] :

غنـى ونحـن قعـود فيـا هنـاء الرقـود
ومنـذ غنـى غرامـا حسدت من في الصعيـد

= وهو تصحيف، والتصويب من المصدر السابق.
والشطر الثاني من البيت الثاني فيه تضمين من قول زهير بن أبي سلمى :

ان البخيـل ملـوم حيث كان ولـكن الجواد على علاتـه هـرم

وهذا من حوليته التي مطلعها :

قف بالديـار لم يعفهـا القـدم، بلـى وغيرهـا الارواح والديـم

انظر **الديوان**، 90.

(223) البيتان أيضا لمجير الدين بن تميم، انظر الصفدي، نفس المصدر والصفحة.

(224) انظر ترجمته عند م. بن شاكر، **فوات الوفيات**، 3 : 240 ــ 245 رقم 412، وانظر كذلك سامي الدهان، مقدمة **ديوان الوأواء الدمشقي**.

(225) انظر ترجمته عند شمس الدين السخاوي، **الضوء**، 7 : 28 ــ 30 رقم 57، **التبر المسبوك**، 122، وخ . الدين الزركلي **الاعلام**، 6 : 229.

وانشدني للعكوك :

بأبـــي من زارنـــي مكتتمـــا خائفـــا من كل شيء جَزِعـــا
[زائـــر نم عليـــه حسنـــه كيـف يخفـي الليـل بدرا طلعـا]
رصدا لغفلـــة حتـــى أمكـــنت ورعـى الساهـر حتـى هجعـــا
ركب الاهـــوال في زورتـــه ثم ما سلـم حتـى ودعـــا(226)

قلت : ومن هذا المعنى :

فلـــم يقـــم الا بمقـــدار أن قلت له : أهـلا وسهـلا ومـر (227)

وابلغ من هذا ما لمولانا ــ ابقى الله وجوده ، وأدام سعوده ــ :

لم أقل فا ان قلت فات فهمت (228)

ولبعضهم :

عرفت هواها قبل ان أعرف الهـوى فصادف قلبي خاليـا فتمكنـا (229)

---

(226) انظر الابيات عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 3 : 350.
وقد سقط البيت الثاني من الأصل.

(227) ورد البيت بالأصل هكذا :

فلـم يقـم إلا بمقـدار أن أقـول قلت له : أهـلا وسهـلا ومـر

ولعل الأنسب ما أثبتناه، والبيت من السريع.

(228) هو الشطر الثاني من بيت هذا صدره :

من شقائي قمته وهو خشف

انظر **درة الحجال**، 1 : 13، و **الروضة**، 40 .

(229) البيت لأبي المكشوح يزيد بن سلمة الخير، المعروف بابن الطثرية، الشاعر المشهور.
انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 6 : 367 ــ 375، ومصادر ترجمته بالهامش 322 من الصفحة 367 من نفس المصدر.

فقال آخر :

ولم يخل قلبي من هواها بقدر ما أقول رآه خاليا فتمكنا

وأنشدني للامير أمين الدين علي بن عثمان السليماني :

واني الذي أضنيته وهجرته فهل صلة أو عائد منك للذي

وأنشدني :

لا تهجروا من لا تعود هجركم وهو الذي بِلِبَانِ وصلكُمُ غُذِي
ورفعتمُ مقداره في الابتدا حاشاكُمُ أن تقطعوا صلةَ الذي (230)

ولما رحلت من مصر وقصدت مكة المشرفة والمدينة ــ على ساكنها الصلاة والسلام ــ على الصعيد ، ودخلت مدن الصعيد كجرجة ونحوها ، واجتمعت بمنى مع ابي العباس احمد القلفاط (231) فأنشدني :

أمعذبي هذا الحسام وهذه اعضاء جسمي كلها لك مفصل
فاضرب به حيث اشتهيت ولا تخف ثأري فانك عن دمي لا تُسأل
فلربما كانت هناك منيتي فارتاح جسمي واستراح العُذَّلُ

ودخلت جدة في أوائل ربيع الثاني من عام سبعة وثمانين وتسعمائة (232) ، ودخلت مكة في جمادى ، واجتمعت بها بأشياخ وأفاضل ، فممن لقيته بها وأخذت عنه ، من باب العيدين الى باب الايمان والنذور من كتاب خليل بن اسحاق ، ومن باب البيوع الى الفرائض ، أبو زكرياء

(230) انظر البيتين عند الصفدي، **الغيث**، 1 : 111.
وقد قطعت همزة الوصل ليستقيم الوزن.

(231) لم أقف على ترجمته في المصادر التي رجعنا اليها.

(232) أوائل ربيع الثاني من عام 987 هـ يوافق ماي ــ يونيو من عام 1579 م.

يحيى بن يحيى بن محمد بن عبد الرحمان الحطاب [233] ، وسمعت عليه شيئا من **الموطأ** رواية يحيى ابن يحيى الليثي [234]، ومناسك الشيخ خليل بأجمعها مع شرح والده [235] عليها، **والخزرجية** بشرحه عليها الذي سماه **بالعيون الغامزة على القصيدة الرامزة** [236] ، وأجازني في كل ذلك وفي الحديث ، ووصل لي اسناده [237] في الفقه الى مالك — رضي الله عنه — فيه ، وأجازني بخطه ، وقد ضاع مني في محنتي وهو الآن بيد الكفرة — دمرهم الله تعالى — توفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع النبوي عام خمسة وتسعين [238] . وممن أخذت عنه بها ابو زيد عبد الرحمان

---

(233) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 3 : 341 — 342 رقم 1469، **لقط الفرائد**، 321 ، وم. بن مخلوف، **شجرة** 1 : 279 — 280 رقم 1050، وأ. بابا، **نيل**، 2 : 214.

(234) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 6 : 143 — 146 رقم 792 وابن فرحون، **الديباج**، 2 : 352 — 353 رقم 2 وابن العماد، **شذرات**، 2 : 82 وأ. بن قنفذ، **وفيات**، 42، وأ. المقري، **نفح**، 2 : 9 — 12 رقم 2، وم. بن مخلوف، **شجرة**، 1 : 63 — 64 رقم 46، والقاضي عياض، **ترتيب المدارك**، 3 : 397، وهناك رسالة جامعية بدار الحديث الحسنية بعنوان « **يحيى بن يحيى الليثي رواية الموطأ** » لمحمد شرحبيل

(235) يقصد محمد بن عبد الرحمان الحطاب، المتوفى سنة 953 هـ حسب ابن القاضي، و 954 هـ حسب أحمد بابا.
انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **لقط**، 299، وأ. بابا، **نيل**، 337 — 338، وم. بن مخلوف، **شجرة**، 270.
والاسم الكامل لهذا الشرح هو : **مواهب الجليل لشرح خليل**.
نسخه متعددة، انظر الموجود منها بمكتبة القرويين عند م. العابد الفاسي، **فهرس**، 415 — 417.
وقد طبع الكتاب بالقاهرة سنة 1328 هـ.

(236) الواقع أن شرح **الخزرجية** هذا لأبي بكر الدماميني كما هو معروف، اذ لم يذكره احد من الذين ارخوا ليحيى الحطاب ولوالده، ومنهم من اتصل به مباشرة كالمؤلف المجهول في **طبقات المالكية** (ص 460)، فلا نجد له ذكراً مثلا عند أحمد بابا في **النيل** (ص 360) ولا نجده عند حاجي خليفة في **كشف الظنون** من ضمن شراح **الخزرجية**، ولا عند م. بن مخلوف، في **الشجرة** (ص 279). وقد استمر ابن القاضي في خطئه هذا في **درة الحجال**، ومن الغريب انه لم يذكر في ترجمته للدماميني (**درة**، 2 : 286) هذا الشرح في حين ذكر له مؤلفات أخرى، مما يدل على أنه كان يجهل أنه للدماميني. ويبدو أنه (ابن القاضي) قد تراجع عن خطئه في **لقط الفرائد** اذ ذكر شرح **مختصر خليل** لوالده محمد الحطاب وأعرض عن ذكر شرح **الخزرجية** يحيى الحطاب.

(237) السند من الألفاظ الاصطلاحية في علم الحديث، ويعني تسلسل الرواية من المحدث الى النبي ﷺ وكلما قل عدد الوسطاء في السلسلة كان السند أعلى وأوثق وأحب الى العلماء لذلك تجد المحدثين يستكثرون من الأسانيد ويبحثون عن أعاليها لتعدد وسائل اتصالهم بالرسول الكريم ومن أقرب الطرق الممكنة ثم توسع علماء المسلمين في السند فجعلوه لكل علم بل ولكل كتاب سندا يصلهم بواضع علم أو مؤلف الكتاب، ولذلك تجد في بعض الفهارس طرقا متشعبة كثيرة تصل أصحابها بمؤلفي الكتب المدروسة.

(238) ربيع النبوي من عام 995 هـ يوافق فبراير — مارس من عام 1587 م.

ابن عبد القادر بن عبد العزيز بن النجم عمر بن الحافظ تقي الدين بن محمد بن فهد الهاشمي (239) ، العارف المحدث ، عالية الزمان ، أخذت عنه البخاري ، و **مشكاة المصابيح** للتبريزي (240) ، وشيئا من **مقدمة ابن حجر** ، و **ألفية العراقي** ، وأخذت عنه المسلسلات بأسانيدها ، كالمسلسل بالاولية ، وأجازني بخطه وضاعت مني في محنتي ، توفي سنة خمس وتسعين ايضا ، وبها توفي أبو زيد عبد الرحمان المحاصري ، والولي ذو المآثر الحسنة ، والمكاشفات المستحسنة : أبو محمد عبد الوهاب الهندي ، وولده شيخنا أبو زيد المذكور سحر ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من ذي القعدة (241) ، وممن لقيته بها القاضي محمد بن عبد الحق المالكي ، والقاضي قطب الدين العجمي ، الأديب العلامة ، الناقد الفهامة ، توفي بعد التسعين وتسعمائة ، والقاضي حسين المكي ، والولي الصالح ابو عبد الله الحنفي وغيره من عباد الله تعالى ، وكأبي عبد الله محمد الحنفي من أهل المكاشفات أيضا . ودخلت المدينة المشرفة ــ على ساكنها الصلاة والسلام ــ في الثامن عشر من رجب عام سبعة وثمانين وتسعمائة (242) ، واجتمعت بها بأفاضل ، فمنهم : السيد حسن الشريف ، الاديب المحدث ، ومنهم الفقيه أبو عبد الله محمد القروي ، ومنهم ابو القاسم الاقليبي التونسي من تلامذة ابي عبد الله الاندلسي الذي تقدم ذكره ، وسيأتي التعريف به ، ان شاء الله تعالى ، والفقيه محمد بن سعيد التكروري ، وكالفقيه ابي محمد عبد القادر بن علي بن عبد القادر القروي ، وأنشدني والده علي بن عبد القادر المذكور :

ثلاث هن من سبب الحمـــام ، وداعيـة الأنـام الـى السقـام
دوام مدامـــة ، ودوام وطء ، وادخـال الطعـام علـى الطعـام

وغيرهم من الفضلاء .

وانشادات هؤلاء وافاداتهم مع انشادات المكيين وافاداتهم واجازاتهم ضاعت مني في محنتي ، فنسأل الله أن يجمعها علي .

ولما رجعت الى مصر قاصدا التغريب اجتمعت بعجوز ركبت معها الجمل من نقب

---

(239) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 3 : 99 رقم 1028 **لقط الفرائد**، 321.
(240) انظر ترجمته عند حاجي خليفة، **كشف**، 2 : 1026 واسماعيل البغدادي، **هدية العارفين**، 2 : 463 ، وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 8 : 165 ــ 166.
(241) 27 من ذي القعدة عام 995 هـ يوافق 29 اكتوبر عام 1587.
(242) 18 رجب عام 987 هـ توافق 10 شتنبر عام 1579 م.

علي الى ينبوع لاعياء جملي ، ثم ان الكَرِيّ (243) اركبني معها حتى يجد جملي راحته أو يأتيني ببدله ، فأول ما أنشدتنيه بعد ركوبي معها في خامس عشر محرم عام سبعة وثمانين (244) :

ثمانية تجري على المرء دائمـــا، وكل امريء لا بد يلقـــى الثمانيـــة
هموم وفرح (245) ، واجتماع وفرقة ، وعسر ، ثم سقــــم وعافيـــه

وأنشدني من الموال مواليا قالت فيه :

ثوب اصطبـــاري خلـــق اشكــــوك للخالـــق
ودمـــع عينـــي طلـــق من مقلتـــي طالـــق
اقسم بربب الفلـــــق حب النـــوى فالـــق
من يوم كنتـــم علـــق قلبـــي بكـــم عالـــق

ثم أنشدتني ايضا لما رأت شادنا تركيا قائلة لي : يا مغربي ، في مثل ذا قال ابن مطروح :

قد سبانـــي من بنـــي التـــرك رشا جوهـــري الثغـــر مسكـــي النـــفس
ناظـــري للـــورد منـــه غـــارس مالـــه لا يجتنـــي ممـــا غرس
لست أخشى سيفـــه أو رمحـــه انمـــا أرهب لحظـــا قد نعس
اختلسنـــا بعـــد جهـــد وصلـــه ان اهنـــا الـــوصل ماكـــان خلس
لمس الكـــاس لكـــي يشربهـــا فاعتـــراه هزة لمـــا لمـــس
ثم أدنـــى جوهـــرا من جوهـــر وتـــحسى الكـــاس في فرد نفس
وبـــدا يمسح بالمنديـــل ما ابـــقت الخمـــرة في ذاك اللـــعس
عجبـــا منهـــا ومنـــه قهقـــهت اذ حساهـــا وهـــو منهـــا قد عبس

---

(243) الكري : بوزن غني، وهو المكاري، وهو فعيل من الكراء الذي هو ايجار المنافع، نقول أكراني دابته أو منزله.

(244) 15 محرم عام 987 هـ يوافق 14 مارس عام 1579 م.

(245) ينبغي اسكان راء (الفرح) في هذه الرواية ليستقيم الوزن.
أما الرواية المشهورة فهي : سرور وحزن...

وأخذت منها أيضا :

خذوا قودي من أسيـــر الطلـــل | فوا عجبـــا لأسيـــر قَتـــل
وقولـــوا علـــي اذا نحتـــمُ : | طعيـــن القـــدود جريـــح المقـــل
ومـــا كنت اعلـــم أن القـــدود | وان لعيـــون الظُّبـــى والأسل
وبـــي قمـــر ما بدا في الدجـــى | وأبصره البـــدر الا أفـــل
يضل بطرتـــه من يشـــا | ويهـــدي بغرتـــه من أضـــل
وقـــد أخجـــل الشمس من حسنـــه | الـــم ترفيهـــا اصفـــرار الخجـــل
ويـــا فرحـــة الظبـــي لمـــا غدا | شبيهـــا له فى اللمـــى والكحـــل
لقـــد عدل الحسن في حكمـــه | على انـــه جار لما عدل
فخص معاطفـــه بالـــنشاط | وعـــم روادفـــه بالكســـل
وجـــاد الزمـــان به ليلـــة | فعمـــا جرى بيننـــا لا تسل
فأنحت قامتـــه بالعنـــاق | وذبـــلت مرشفـــة بالقبـــل
فكـــم تهت في غور حصر له | وأشرفت من فوق ذاك الكفـــل
وأذنت حين تجلى الصبـــاح | بحي على خير هذا العمـــل
وقـــد علـــم النـــاس اني امـــرؤ | احب الغـــزال واهـــوى الغـــزل
وهـــا أثـــر المسك في راحتـــي | وهـــذا فمـــي فيـــه طيب الـــعسل
فلا تكثر اللـــوم يا عاذلي | فلست اميـــل الى من عذل

وانشدتني اكثر من هذا ، الا اني ضاعت مني في محنتي . واجتمعت برشيد (246) والاسكندرية بأفاضل كأبي عبد الله الازهري وأبي القاسم التونسي وغيرهما ، ودخلت مدنا من بلاد الترك في رمضان عام ثمانية وثمانين (247) ، واجتمعت بقاضيها سجاع فلقة (248) ، رجل فقيه حنفي اديب ، مطالع متضلع بالعلوم كالمنطق والنحو والتصريف وغيره ، وجرت بيني وبينه مباحثات في التفسير والمنطق والنحو ، ووصاني في ربيع النبوي عام تسعة وثمانين بوصية قال لي فيها : أوصيك بتقوى الله في السر والعلانية ، وبقلة الطعام ، وقلة المنام ، وهجر المعاصي والآثام ، وترك الشهوات على الدوام ، واحتمال الجفاء من جميع الانام ، والمواظبة على الصيام ، ودوام القيام ،

---

(246) رشيد : بليدة على ساحل البحر والنيل قرب الاسكندرية
انظر ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 3 : 45.
(247) رمضان سنة 988 هـ يوافق اكتوبر — نونبر عام 1580 م.
(248) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 3 : 319، **لقط الفرائد**، 318.

وترك مجالسة السفهاء الطالحين اللئام ، وعليك بمصاحبة العلماء والكرام .

وقال لي : ما السر في كون القمر يزيد وينقص ، والشمس لا تزيد ولا تنقص ؟ فعجزت عن الجواب ، فأخرج بعض التفاسير ونظر في قوله تعالى : « والقمر قدرناه منازل ـــ الآية » [249] فأجاب بأن زيادة القمر ونقصانه لكونه لمعرفة الحساب ، والشمس لا تزيد ولا تنقص اذ هي لمعرفة أوقات الصلوات ، فالحساب لدنيوي ، والصلاة لديني ، فكان النقص والزيادة في الدنيوي دون الديني ، وهي نكتة لطيفة فتأمله ، والله اعلم .

وممن لقيته بها خطيبها ابو الثناء محمود بن عبد الله الرومي [250] اديب لغوي ، منطقي ، نحوي ، تصريفي ، انشدني للشافعي :

شيئان أحلى من عناق الخُرَّدِ	وألذ من شرب القراح الأسود
وأجل من رتب الملوك عليهمُ	وشي الحرير مطرزا بالعسجد
فهما اذا اجتمعا لشخص فارغ	نال المحامد في الحياة وفي الغد
سود الدفاتر ان اكون نديمها	طول المداء [251] ، وبرد ظل المسجد

وأنشدني بها بلسانه :

(مكتبي حسن ادثبير	كبر دم درم اب اقر) [252]
هذه جنات عدن	فادخلوها خالدين

وأنشدني في قص الاظفار :

فقلموا اظفاركم	بسنة وادب
يمينها (خوابس)	يسارها (او خسبب) [253]

---

(249) الآية 39 من سورة يٓسٓ

(250) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، درة، 2 : 325 رقم 876.

(251) المداء : كذا بالأصل، كأنه مد لفظ المدى بمعنى الغاية.

(252) البيت الاول بالفارسية، وقد اتصلنا في شأنه بالأستاذ محمد بن تاويت، أستاذ اللغات الشرقية بكلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، فأكد لنا أن التصحيف يكون قد عمل عمله، بحيث إن المعنى غير ظاهر تماما، وكل ما نحصل عليه عبارة عن ألفاظ متنافرة لا تجتمع على معنى.

(253) ما بين القوسين بالفارسية وتنطبق عليه الملاحظة السابقة.

وممن لقيته بها محمد بن علي شَلَبِي ، فقيه ، نحوي ، معقولي ، اديب ، أنشدني البيت الذي نظيره عند الصفدي :

اللـــه يقضي بكـــل يســـر ويــرزق الضيــف حيث كانـــا

وأنشدني بلسانه :

(ثبـــار الفهـــم ثبـــار ميم) (ثبار سين اكلام أرطسند اثير نقط)
(كم اقـــرس اشب خطـــيء افريـــن) (بـــرواج داريـــر لا راك بط)[254]

وممن لقيته بها محمد بن علي شلبي الرومي ، فقيه ، نحوي ، معقولي ، عروضي ، فعل معي خيرا كثيرا ، أعارني جملة من الكتب مدة اقامتي بها ، ويوم وداعي له ، زودني بزاد طيب ، وأوصى علي صاحب السفينة ، ولم يزل الرئيس يلاحظني لوصيته حتى بلغنا طرابلس الغرب في ربيع النبوي عام ثمانية وثمانين[255] ، فلقيت بها ابا عبد الله محمد بن ابراهيم الانصاري الاندلسي الثغري ثم التونسي[256] ، تلميذ ابي عبد الله العيسي ، ويوسف الاربضي ، وأبي عبد الله التركي الكفيف ، ولد الاندلسي المذكور سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة[257] ، ومن اقران الاندلسي بتونس أبو القاسم بن عبد الجليل عظوم القروي ، وأبو العباس احمد بن عبد الكريم ، والحاج سالم بن علي النفاتي[258] وأبو القاسم المقوزي ،وأبو سرحان مسعود بن عمر الملقب فتاتة ، وأبو عبد الله محمد ميلاد وغير هؤلاء ، والاندلسي هذا هو اليوم خطيب تونس المحروسة بجامع الزيتونة ، وأما ما بينه وبين ابن عرفة من الخطباء ، فان ابن عرفة لما توفي

---

(254) البيتان بالفارسية وتنطبق عليهما ايضا الملاحظة السابقة.
(255) ربيع النبوي سنة 988 هـ يوافق ابريل ــ ماي سنة 1580 م.
(256) لعل ابن القاضي لا يقصد هذا الشخص بالذات لأن ابا عبد الله الاندلسي الانصاري هذا كان قد توفي سنة 970 هـ، ثم إن الاشخاص الذين ذكرهم كأقران له ليسوا من طبقته.
(انظر م. بن مخلوف، **شجرة**، 1 : 282 رقم 1062).
ولعله يقصد ابا عبد الله الاندلسي المتوفى سنة 1017 هـ فهذا الأخير من طبقة الذين ذكرهم ابن القاضي كأقران له.
(انظر م. بن مخلوف، **شجرة**، 1 / 292 رقم 119).
(257) 938 هـ توافق 1531 / 1532 م.
(258) انظر ترجمته عند م. بن مخلوف، **شجرة**، 292 رقم 1121.

رحمة الله عليه أخذها بعده تلميذه البرزلي (259) ، ثم أخذها بعده أبو عبد الله الرصاع (260) ، ثم ولده أبو الفضل الرصاع ، ثم حسن الزنديوي ، ثم بركات عصفور ، ثم ابو اسحاق البنا ، ثم في حياته الحاج أبو عبد الله محمد التكابري ثم أبو عبد الله محمد عزوز ، ثم ابو الفضل البرشكي (261) وهو الذي وجدته أنابها وقت دخولي اليها ، ثم أبو عبد الله محمد بن أحمد السنوسي ، ثم علي عبيد ، ثم أبو عبد الله الاندلسي ، واجتمعت بها أيضا مع أخيه وجماعة من الفضلاء ، ثم رحلت الى جربة (262) ، فاجتمعت بها بأبي بكر بن محمد بن محمد بن أبي بكر الأموي العثماني (263) من تلامذة العيسي ايضا ، ولد سنة احدى وخمسين وتسعمائة (264) ، ثم الى صفاقس (265) ، فلقيت بها جماعة من الفضلاء ، وزرت بها قبر أبي الحسن اللخمي ، وهي مدينة قليلة الماء جدا ، وتابعت السفر الى ان بلغت الى مدينة فاس المحروسة ، وأقمت مدة فرحت الى مراكش المحروسة ، فاجتمعت بها بدائرة مولانا وطلبتها وفقهائها الفضلاء ، فمنهم أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الشريف الحسني السجلماسي ، فقيه أديب ، حافظ متفنن ، له اجازات في الحديث ، أجازه سيدي رضوان بن عبد الله الجنوي ، وأجاز له من المشرق اناس منهم : أبو زيد عبد الرحمان بن فهد (266) وجماعة .

أنشدني للمبرد مع القاضي اسماعيل (267) :

---

(259) انظر ترجمته عند أ. الونشريسي، **وفيات**، 142، وشمس الدين السخاوي، **الضوء**، 11 : 133 رقم 429، وأ. بن القاضي، **درة**، 3 : 282 رقم 1352، **لقط الفرائد**، 249،وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 6 : 6، وم. بن مخلوف، **شجرة**، 1 : 245 رقم 879. وقد كانت بعض النوازل المستخرجة من كتاب البرزلي : جامع مسائل الاحكام موضوع رسالة جامعية للأستاذ عبد العزيز خلوق التمسماني.

(260) ينظر عنه أو لا **فهرسه**، وكذلك أ. الونشريسي، **وفيات**، 152، وأ. بن القاضي، **درة**، 2 : 140 رقم 602، **لقط الفرائد**، 270، وشمس الدين السخاوي،**الضوء**، 8 : 287 — 288 رقم 793، وأ. بابا، **نيل**، 323 — 324، وم. بن مخلوف، **شجرة**، 1 : 259 رقم 952. واسماعيل البغدادي، **هدية العارفين**، 2 : 216، وخ الدين الزركلي، **الاعلام**، 7 : 228 وم. العابد الفاسي، **فهرس**، 302 — 304.

(261) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **لقط**، 319.

(362) جربة : إحدى الجزر التونسية التي تقع في الجنوب الشرقي لتونس.

(263) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 1 : 207 رقم 334.

(264) 951 هـ توافق 1544 / 1545 م.

(265) صفاقس : احدى المدن التونسية الواقعة في الجنوب الشرقي.

(266) أثبت ع. الواحد السجلماسي هذه الاجازة في ذيل **فهرسه**، ص 93 — 94. وهي مؤرخة في 18 شعبان 968 / 28 شتنبر 1580 بمكة المكرمة.

(267) انظر ترجمته عند القاضي عياض، **ترتيب المدارك**، 4 : 276 — 293، وابنه ابي عبد الله محمد، **التعريف**، 70، وأ. بن فرحون، **الديباج**، 1 : 282 — 290 رقم 1، وم. بن مخلوف، **شجرة**، 1 : 65 — 66 رقم 55.

فلمـــا بصرنـــا به مقبـــلا حَلَلْنـا الحُبـا وابتدرنـا القيامـا
فلا تنكـــرنَّ قيامـــي لـــه فان الكريـم يُجِـلُّ الكرامـا (268)

وأنشدني لمحمد بن علي المعروف بابن أبي الصقر الواسطي (269) :

علـة سمـيت ثمانيـن عامـا منعتنـي للأصدقـاء القيامـا
فاذا عُمِّـرُوا تمهَّـد عذري عندهم بالذي ذكرت وقاما (270)

وهو القائل لما عمر :

كل أمـر اذا تفكـرت فيـه وتأملتـه رأيت ظريفـا
كنت أمشي علـى اثنتيـن قويـا صرت أمشي على ثلاث ضعيفا (271)

وله أيضا — رحمه الله — في تعميره :

واللـه لولا بولـة تحرقنـي وقت السحـر
لمـا ذكـرت أن لـي ما بيـن فخـذيَّ ذكـر

توفي سنة ثمان وتسعين واربعمائة (272) ، وولد سنة تسع واربعمائة (273) .

وانشدني لابن دقيق العيد (274)

---

(268) انظر البيتين عند القاضي عياض، **ترتيب المدارك**، 4 : 284، وكذلك عند ابنه ابي عبد الله محمد، **التعريف**، 70.

(269) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 4 : 450 — 452 رقم 675.

(270) انظر البيتين عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 4 : 451.

(271) انظر البيتين عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 4 : 451، والعبدري، **الرحلة المغربية** ، 119.

(272) 498 هـ توافق 1105 م.

(273) 409 هـ توافق 1019 م.

(274) انظر ترجمته عند م. بن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**،3 : 442 — 450 رقم 486، وأ. بن فرحون، **الديباج**، 2 : 318 — 319 رقم 131، وابن العماد، **شذرات**، 6 : 5 — 6 وأ. بن القاضي، **درة**، 2 : 15 رقم 454، **لقط الفرائد**، 162.

كم ليلـــة فيك وصلنـــا السرى | لا نعـرف الغـمض ولا نستريـــخ
واختـف الأصحـاب ماذا الـــذي | يزيـــح من شكواهـــم أو يريـــح
فقيـــل لي تعريسهـــم ساعـــة | وقلت بل ذكراك وهـو الصحيـــح

وأنشدني في البلارج (275) :

وغريبـــة حنت الـــى اوطانهـــا | جاءت تبشر بالزمـــان المقبـــل
بسط الربيـــع لهـــا بساط زمـــرد | فمشت عليـــه من العقيـــق بأرجـــل
مدت جنـــاح الآبنـــوس مرصعـــا | بالعـــاج ثم تقهقـــهت بالصنـــدل

أنشدني هذا بالمنجانة من دار مولانا بالمدينة البيضاء في يوم الاربعاء حادي وعشرين ربيع النبوي من عام سبعة وتسعين (276) ، وقام في ميلاد هذه السنة بقصيدة مطلعها :

أمـــا آن من حال التصابـــي مَتَـــابُ | وحـن الـــى الصنـــع الجميـــل مآبُ
وللنـفس اقـــلاع عن الغـــي والصبـــا | فقد لاح شيب واضمحـــل شبـــاب
وأقبـل عُرْيـــانُ النَّذِيـــرِ (277) مُخَبِّـــراً | بأن مبـــادي العمـــر منـــي خراب

ومنها ختاما :

فعـــذرا أميـــر المؤمنيـــن فانـنـــي | كبرت فلا يقـرع صماخـــي عتـــاب

---

(275) هو الطائر المعروف باسم اللقلاق، كذا يسميه أهل الشمال الافريقي، وهو لفظ اغريقي.
ذكر ذلك الاب أنستاس ماري الكرملي في كتابه : **نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها**.

(276) 11 ربيع النبوي من عام 997 هـ يوافق 28 يناير 1589 م.

(277) النذير العريان : جاءت هذه العبارة في قوله ﷺ : « انما مثلي ومثلكم كمثل رجل انذر قوما جيشا، وقال : انا النذير العريان ».
فأما معناها فقد شرحه الامام أبو زيد عبد الرحمان السهيلي في كتاب **التعريف والاعلام بما أبهم في القرآن من الاسماء والاعلام**، فيقول : « يعني النذير العريان : الجاد المشمر، وكان النذير من العرب اذا اجتهد جرد ثوبه وأشار به مع الصياح تأكيدا في الانذار والتحذير.
وقيل : ان اصل قولهم : النذير العريان أن رجلا من خثعم أخذه العدو، فقطعوا يده، وجردوا ثيابه، فأفلت الى قومه نذيرا لهم، وهو عريان، فقيل لكل مجتهد في الانذار والتخويف : النذير العريان ».

وقد تقدم ما ذيل به الغماتية في نظم مولانا ، وهو مطبوع ، شاعر ، ناظم ، ناثر ، من أجلة الزمان ، وخصيصة الاعيان ، ولد يوم الاربعاء ثاني عشر رمضان المعظم سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة (278) ، وبيده الآن فتيا حمراء مراكش المحروسة ، وقد اجازني **بفهرسته** (279) وناولني منها نسخة ضاعت مني في محنتي .

ومنهم الفقيه العالم العلامة ، الحافظ الفهامة ، وحيد عصره ، ومصباح دهره ، القاضي الاعدل ابو القاسم بن علي بن مسعود الشاطبي ، له معرفة بالفقه والحديث وهو الذي يتولى سرد البخاري بين يدي مولانا في شهر رمضان بداره العلية ، وله نظم امتدح به مولانا في بعض المواسم الميلادية ، الا انه ضاع مني ، يشهد بفضله ، ولد بعد الثلاثين وتسعمائة (280) ، وهو الآن قاضي القضاة بالحضرة العلية المراكشية ، له على الحق غيرة شديدة ، [لا يخشى] (281) في الله لومة لائم ، ومعه على الحق غلظة ، وكذلك ينبغي للقاضي ان يكون لئلا يضيع حقوق الناس ان كان معه حياء في الشريعة والحكم .

ومنهم ابو عبد الله محمد السالمي (282) فقيه ، فرضي ، معقولي ، وهو الآن على مواريث بيت مال المسلمين . ومنهم الفقيه ابو علي الحسن بن مسعود الحيحي ثم الدمسيري (283) قاضي اغمات وعمالتها ، فقيه ، فرضي ، حافظ بالنوازل الفقهية ، ولد سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة (284) . وممن لقيته من الفضلاء ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله الرجراجي (285) قاضي تادلا ، ذا سمت حسن ، وحال مستحسن ، له معرفة بالفقه ، والنحو ، والمعقول من المنطق ، والعقائد ، والبيان وغير ذلك ، وهو من تلامذة شيخنا ابي العباس المنجور ، ذو نجدة كاد أن يقاتل بالسيف على اصدقائه ، وهو مطبوع الا انه ــ والله أعلم ــ لا يقول الشعر .

---

(278) 12 رمضان سنة 933 هـ يقابله 22 يونيو سنة 1526 م.

(279) توجد نسخة فريدة لهذه **الفهرسة** بمكتبة الأستاذ ابراهيم الكتاني بالرباط.

(280) 930 هـ توافق 1523 / 1524 م.

(281) بالاصل : (تلومه)، وقد استخدمنا اللفظة التي يستخدمها ابن القاضي نفسه في مصادره الأخرى.

(282) انظر ترجمته عند أ. المنجور، **فهرس** 79، وأ. بن القاضي، **جذوة**، 1 : 327 رقم 346 والعباس بن ابراهيم، **الاعلام**، 5 : 187 رقم 661.

(283) انظر ترجمته عند أ. المنجور **فهرس**، 79 وأ. بن القاضي، **درة**، 1 : 248 ــ 249 رقم 376.

(284) 923 هـ توافق 1517 ــ 1518 م.

(285) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 2 : 231 رقم 284 العباس بن ابراهيم، **الاعلام**، 5: 248 ــ 250 رقم 672.

ومنهم ابو سالم ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الشاوي ، فقيه ، حافظ متفنن ، من تلامذة شيخنا ايضا ، ولد سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة (286) .

وأنشدني :

رأيت علـــى صخـــرة عقربـــا وقـــد جعـــلت ضربهـــا ديدنـــا
فقـــلت لهـــا انهـــا صخـــرة وطبـــعك من طبعهـــا ألينـــا
فقـــالت : عرفت ولكننـــي أريـــد أُعَرِّفُهـــا من أنـــا

وأنشدني :

ولـــيس كهـــذي الداريـــا أم مالك ولكـــن أحـــاطت بالرقـــاب السلاسل
وعـاد الفتى كالكهـــل ليس بقائـــل سوى الحق شيئا واستراح العـــواذل

وحدثني ان المنصور بن ابي عامر (287) كان يتمثل كثيرا بما لبعض بني الاغلب :

ألا لحنيانـــي بالصهيـــل فانـــه غنائـــي ورقـــراق الدمـــوع مدامـــي
وحـط على الـــرمضاء رحلـــي فإنـــه مقيلـــي وخفْقـــان البنـــود خيامـــي

وانشاداته اكثر من هذا الا انها ضاعت مني في محنتي ــ آجرني الله في مصيبتي ، وأعقبني خيرا منها ــ . ومنهم الفقيه الناظم الناثر ، الأديب الحاج الابر الناسك : ابو عثمان سعيد المكنى ابو جمعة الماغوسي (288) له كتاب على **لامية العجم** (289) باسم الخزانة

(286) 943 هـ توافق 1536 / 1537 م.

(287) انظر محمد عبد الله عنان، **دولة الاسلام في الاندلس**، 2 467 ــ 480 ــ 483 ــ 509 ــ 511 ــ 528 .

(288) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 3 : 304 رقم 1390، وأ. المقري، **روضة**، 226 ــ 239 رقم 21.

(289) اسم الكتاب هو **ايضاح المبهم، من لامية العجم**، احسن مخطوطاته هى الموجودة ب م. م. بالرباط رقم 2000، وهي نسخة ملكية مذهبة.
وقد قرظه جماعة منهم قاضي قضاة المالكية بمصر بدر الدين القرافي، الذي قال عنه بعد مقدمة طويلة =

العلية ــ عمرها الله تعالى بمنه ــ . وممن لقيته بها من الادباء ــ الا انه ليس منها ــ امام الدين بن محمد بن يوسف بن علاء الدين بن قاسم البطائحي الخليلي الخزرجي الشافعي ، أديب ، حافظ لأنواع الادب ، وهو ممن وفد على ايالة مولانا ــ ابقى الله وجوده ، وأدام سعوده ــ ، أنشدني من دائرة :

قطــن الــعشق بقلبـــي دائمـــا لم يدع للصب في جسمـــي رمـــق
قمـر منـه اختــفت شمس الضحـــى أكحل الجفــن بسحــر قد نطــق

وأنشدني لابن حجر :

مرضت جوى فواصلنـــي حبيبـــي وعـاد الـى الجفــاء فعــاد مابـــي
فقلت : أعد وصالك ، قال : كلا فهــا أنــا مت من رد الجــوى بي

وأنشدني :

اذا كنت طالب علـــم فــــلا تكونـــن يومـــا بلا محبـــره
فلا بد أن تلتقـــــي بعض ما تود لنـــفسك ان تسطـــــره

وأنشدني لبعضهم ــ يقرأ طولا وعرضا ــ :

إنّ سُؤْلي	بدرتم	ان تبدّى	هو حسبي
يا عذولي	حين ولّى	وتجنَّى	لا لذنبي
مارثى اذ	رام هجري	وجفاني	بعد حبي
قلت : عج بي	بعد عَتْبٍ	شَبَّ قلبي	مَلّ قربي

= واطراء كبير للماغوسي : «... قد تمتع فكري وخاطري، وأحاط سمعي وناظري، بما أبدعه وأبداه في شرح **لامية العجم**، وكشف بها من مغلقاتها ما انعجم، فكان لراقم بردها المؤيد الطغرائي به الجد الأتم، والفخر الأشم، لما اشتمل عليه من جواهر وفرائد، وأزاهر غرر وفوائد، قد أبدع فيه وأعرب، وأجاد فيما بين تراكيبه وأغرب، وأبدى فيه من العجائب ما أنشى وأطرب، وأشرق في هذا القطر المصري ما به أقرب، وأشاد بنيان ما ألف، وجمع القلوب على ذلك وألف... ».
انظر أ. المقري، **روضة**، 235 ــ 236.

وأنشدني لشهاب الدين البرلسي المصري (290) يهجو القاضي جوى زاده (291)، المتوفى سنة اربع وتسعين وتسعمائة، حيث اكرم ابن ثور الشامي ومحمد الجمل المصري، فقال فيه:

ان ابـن اليـاس غدا كعبـة الـ ... أنعـام والانعـام عنـه عَدَلْ
ألا ترى مُذْ حَلّ في أرضنـا ... طاف به أثوارهـا والجمـل

وأنشدني ايضا:

وعنـد النـوم فاستنظـف والا ... بدت في العيـن آثـار العمـاء
وقلـل ان أكـلت ولا تكثـر ... فقلتـه يزيـدك في الذكـاء
وجامـع مرة في كل شهـر ... قبيـل الصبـح لا بعـد العشاء

وانشدني لاسماعيل بن أبي بكر الشافعي المُقْرِي (292) ما كتب في شباك القبة الكريمة بقلم حديد:

يا خير من دفنت بالترب أعظمـه ... فطاب من طيبهن القـاع والأكـمُ
نفسي الفـداء لقبـر أنت ساكنـه ... فيـه العفاف وفيـه الجـود والكـرم
ومـا ملاذي في دنيـا وآخـرة ... من ذا سواك به الملهـوف يعـتصم
سل الاقالـة والغفـران من ملأ ... كبائـر الـذنب في غفرانهـم لَمَمُ (293)
عليك منـه صلاة لا انتهـاء لهـا ... ولا يحيـط بهـا لوح ولا قلـم
وخصت الآل والاصحـاب واتصلت ... بالمسلميـن وعمتهـم جميعهـم (294)

---

(290) انظر ترجمته عند ابن العماد، **شذرات**، 8 : 316، ونجم الدين الغزي، **الكواكب السائرة**، 2 : 119.

(291) انظر ترجمته عند ابن العماد، **شذرات**، 8 : 436 — 437، وفيها انه توفي سنة 995 هـ، وانظر ايضا نجم الدين الغزي، **الكواكب السائرة**، 2 : 28 — 29 وفيها انه توفي سنة 954 هـ.

(292) انظر ترجمته عند شمس الدين السخاوي، **الضوء**، 2 : 292، وج. السيوطي، **بغية الوعاة**، 1 : 444 رقم 909، وخ الدين الزركلي، **الاعلام**، 1 : 306.

(293) لمم : بفتحتين، صغار الذنوب.

(294) انظر الأبيات عند ابن مليح السراج، أنس الساري، 99.

وانشدني للفارضي [295] ايجازة :

تزود حكمـــــة منـــــي وخـــل القيـــل والقـــالا
فساد الديـــن والدنيـــا قبـــول الحاكـــم المـــالا [296]

وله يخاطب بعض الامراء — قد ولى عليها بعض الذميين — :

لقـــد ولـــيت ذميـــا علينـــا ولـــم تشكـــر لرب العـــرش مِنَّـــة
ألـــم تسمـــع كلام اللـــه يُتْلَـــى (ومـن يتولهـم منكـــم فانـــه) [297]

وأنشدني للامام البكري — لما سقط القلم من يده — :

رام أن يجعـــل البسيطـــة طرسا حيـــن لم تغنـــه بطـــون الطـــروس

ومنهم ابو فارس عبد العزيز بن ابراهيم الدمناتي [298] ، فقيه ، نحوي ، حيسوبي . ولد بعد الاربعين وتسعمائة فيما اظن .

ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن عثمان بن أبي بكر الغساني [299] ، فقيه نحوى ، دين لين ، ولد سنة ثمان وخمسين وتسعمائة [300] .

---

(295) انظر ترجمته عند ن. الدين الغزي، **الكواكب**، 3 : 83 — 85، وابن العماد الحنبلي، **شذرات**، 8 : 393 — 395، وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 7 : 217.

(296) انظر البيتين في **الكواكب**، 3 : 85، وقد ورد صدر البيت الأول هكذا : ألا خذ حكمة مني.

(297) يقصد الآية 50 من سورة المائدة :
« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء — الاية ».

(298) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 3 : 131 رقم 1075، و ع. العزيز الفشتالي، **مناهل**، 189.

(299) انظر ترجمته عند ابن القاضي، **درة**، 3 : 60 — 61 رقم 189.

(300) 958 هـ توافق 1551 م.

وأنشدني :

ومن خدم الأقوام يرجو نوالهم فاني لم أخدمك الا لأخدما
فأثنوا علينا لا ابا لأبيكم باحساننا ان الثناء هو الخلد [301]

وأنشدني :

ازرع جميلا ولو في غير موضعه ما خاب قط جميل أينما زرعا

ومن أغرب الاتفاق اني قبل ان ينشدني هذا البيت ، قلت بيتا قريبا من هذا ، وقع فيه الحافر على الحافر ، وهو :

ضع الجميل ولو في غير موضعه فلا يضيع الجميل أينما وضعا

وأنشدني للامام البكرى في القهوة :

أدر القهوة في كاس البها	قهوة البن وناهيك بها فاسقني يا صاخ	هي حل ما نهي عنها نهى
انها شرب الأجلاء الفحول	اولياء الله ارباب الوصول بحمى الفتاح	شنف الكاس على رغم العذول
ما علينا من عذول جاهل	مفتر زور كلام باطل راح من راح	خامل الذكر وميت زائل
أن يقل تنشي أقل سكر القلوب	مثل ما تشهد ارباب الغيوب ادر الأقداح	قد يؤدي الامر فيها للوجوب
انما ينكر ما يقترن	بأمور مثلها لا يحسن. في احتساء الراح	اتبع سنة قوم احسنوا

(301) انظر البيتين عند م. اكنسوس، الجيش العرمرم، 5، وأ. المقري، نفح، 2 : 363.

وأنشدني للبكري ايضا :

هذه القهـــــــــوة هذي ليست المنهـــــــيُّ عنهــــــا
كيـــف تُدعـــى بحـــرام وأنـــــا أشرب منهـــــا (302)

وانشدني لبعض الفضلاء رادا على الامام ابن عبد الحق ، إذ افتى بتحريمها فقال :

أهـــــل مصر قد تعـــــدوا والبَـــــلا منهم تأتّـــــى
حرمـــوا القهـــوة جهـــلا فحـــــوروا ذلا ومقتـــــا
ان طلبنـــا النقـــل قالـــوا : ابـــن عبـــد الحق أفتـــى
يا ذوي اللطـــف اشربوهـــا واغنمـــوا خانـــا (كذا) ووقتـــا
ودعوهـــــم في هواهـــــم يضربـــــون الماء حتـــــى

وأنشدني لبعض التلمسانيين لما دخل بيته ، وترك الطلبة بالدرس ينتظرون قدومه ، فلما اقبل قال لأحدهم : اكتب :

دخلت البيت اطلب فيه خبزا فجاءوني بسنـــدان الدقيـــق
وقالـوا : قد فنـــى ما كان فيـــه فأظلـم ناظـراي وجــف ريقـــي
وأنسيت القضايـــا اذ رواهـــا صديق عن (مغيرة) عن (شقيق) (303)
ونـــاح محابـــري وبكـــى دواتـــي ولـم اعـرف عدوي من صديقـــي
اذا فقـد الدقيـق فقـدت عقلـــي فوا أسفـــي لفقـــدان الدقيـــق

وله ايضا :

[قد] جلت أرضا فأرضـــــا وجـــــبت طولا وعرضـــــا
ومـــا ظفـــرت بخـــل من غيـــر غل فأرضـــــى

---

(302) انظر البيتين في الكواكب، 3 : 25.
(303) انظر ترجمَة شقيق ـــ المورّى به هنا ـــ عند خ. الدين الزركلي، الاعلام، 3 : 249 ـــ 250، والمصادر بالهامش 1 من الصفحة 250.

حدثني انه سمع من نور الدين العسيلي (304) جليس البكري انه قال : خرج الحفصي سلطان تونس ذات يوم ، وخرج وحظاياه في قبابهن ، فالتفت اليهن وقال محاجيا :

لمن القباب الغاديات مع الضحى محمية بالسمهرية والظُبَى

فكان وزيره أسرع قائل :

لفتى له في كل منبت شعرة أسد يمد الى الفريسة مِخلَبَا

قال العسيلي المذكور : ان كان هذا البيت للوزير فما يكون أبلغ ، وأحد ذهنا منه ، وان كان لغيره فما سمع باسرع استحضارا منه لهذا الجواب .

وللعسيلي المذكور :

ياربنا إنّا أتينا نشتكي ما بالصعيد بنا من الأضرار
فأزل شكايتنا ، فقُوصُ بحرها تحكي لَظًى ، وقِنَا عذاب النار

وقِنَا هذه ، قرية من قرى الصعيد ، وكذلك قُوص (305) .

قلت : وعند الصفدي هذين البيتين لغيره .

وانشدني للصفدي صلاح الدين — من رد العجز على الصدر — :

أضاع نسكي عذار مسك فكيف تركي لحاظ تركي
قد شك قلبي برمح قد قَدّ فؤادي بغير شك (306)

---

(304) انظر ترجمته عند نجم الدين الغزي، **الكواكب السائرة**، 3 : 180 — 181، وابن العماد، **شذرات**، 8 : 434 — 435.

(305) الحميري، **الروض المعطار**، 484.

(306) انظر البيتين عند الصفدي، **الغيث**، 1 : 124.

وما لعلي بن الجهم (307) :

وليلـةٍ كُحِـلَتْ بالنِّــقْسِ مقلتهـــا ألـقت قنـاع الدجى في كل أخـدود
قد كاد يغرقنـــي أمـــواج ظلمتهـــا لولا اقتباسي سنا من وجه داوود (308)

وممن لقيته بها ابو علي منصور بن [محمد] المريني السوسي (309) فقيه ، نحوي ، معقولي ، أخذ عن شيخنا ابي العباس المنجور ، وعن القاضي سعيد بن علي الهرغي ، ولد ابو علي المذكور في ذي الحجة سنة ست وخمسين (310) . حدثني ان شيخه ابا عثمان سعيد ولد في حدود اثنى عشر (311) ، وهو ياخذ عن ابي القاسم الشيخ تلميذ ابي العباس احمد الونشريسي ، وشارك ابو عثمان في شيخه ابي القاسم المذكور الولي الصالح ابو عبد الله محمد بن مهدي الجراري (312) ، المتوفى ليلة اثنتين وعشرين من جمادى الأولى من سنة تسع وسبعين وتسعمائة (313) . نقلت هذا من خط بعض تلامذته، وهو احمد بن احمد بن ابراهيم الدادسي الحاج الناسك ــ لطف الله بنا وبجميع المسلمين ــ . وممن لقيته بها ابو القاسم ابن محمد الوزير ، انشدني لعوف بن محلِّم الحرَّاني (314) في عبد الله بن طاهر :

أفــي كل عام غربـــةٌ ونــــزوحُ أمــا للنــوى من وَنْيَـــةٍ فتريـــحُ
لقـد طَلَّحَ البيـن القـــذوف ركائبـــي فهــل أرينَّ البيـــن وهـــو طليـــح
وأرَّقنـــي بالــــريِّ نوح حمامـــــة فنحت وذو الشجـو الغريب ينـــوح
ونـاحت وفرخاهــا بحـــيث تراهمــا ومـــن دون أفراخـــي مهامـــه فيـــح
على انهــا ناحت ولـــم تذْرِ عبـــرةً ونـــحت واسراب الدمـــوع سفـــوح

---

(307) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 3 : 355 ــ 358 رقم 462، وكذلك مقدمة محقق **الديوان**.
(308) انظر **ديوان علي بن الجهم**، ص 128.
(309) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 3 : 10 ــ 11 رقم 895.
(310) ذو الحجة سنة 956 هـ يوافق دجنبر ــ يناير 1549 / 1550 م.
(311) 912 هـ توافق 1506 / 1507 م
(312) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 2 : 214 رقم 662، **لقط الفرائد**، 311، وم. بن مخلوف، **شجرة**، 1 : 285 رقم 1083.
(313) 22 من جمادى الاولى سنة 979 هـ توافق 12 اكتوبر سنة 1571 م.
(314) انظر ترجمته عند م. بن شاكر، **فوات الوفيات**، 3 : 162 ــ 164 رقم 385، وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 5 : 278.

عسى جود عبد الله ان يعكس النوى   فتضحي عصا التسيار وهي طريح
فان الغنى يدني الفتى من صديقه   وعدم الغنى بالمُقْتَرِينَ نزوح (315)

وهو القائل لما كلفه مرة اخرى بعد كبر سنه — أنشدنيها اخي محمد بمراكش حين المرة التي توفي بها — :

وبدّلتني بالشَّطَاطِ انحنا   وكنت كالصَّعْدَةِ تحت السِّنَانْ
وبدلتني من زَمَاعِ الفتى   وهمه هم الجبان الهِدَانْ
وانشأت بيني وبين الورى   عَنَانَةً من غير نَسْجِ العَنَانْ
ولم تدع في لمستمتع   الا لساني وبحسبي لسان
أدعو به الله وأثني به   على الامير المصعبيّ الهِجَانْ
فَقَرِّبَانِي بأبي أنتما   من وطني قبل اصفرار البنان
وقبل منعاي الى نسوة   أوطانها حَرَّانُ والرقمتان (316)

وانشدني [لابي البقاء] (317) صالح بن الشريف الرُّندي (318) :

---

(315) انظر الابيات عند م. بن شاكر، **فوات الوفيات**، 3 : 168.

(316) انظر الابيات في **فوات الوفيات**، 3 : 164، و **أمالي القالي**، 1 : 49 — 50.
والبيتان الأولان هما :

يا ابن الذي دان له المشرقان   طرا وقد دان له المغربان
ان الثمانين وبلغتها   قد احوجت سمعي الى ترجمان

الشطاط : حسن القوام والاعتدال
الصعدة : القناة المستوية، تنبت كذلك لا تحتاج الى تثقيف
الزماع : المضاء في الأمر والعزم عليه
الهدان : الاحمق الجافي، الثقيل في الحرب
العنان : بفتح العين، السحاب، واحدته عنانة، يشير بها الى ضعف بصره وأنه لا يرى الورى الا من وراء سحابة
الهجان : الكريم.

(317) بالاصل : ابي التقى، وهو تحريف.
ونسبته كما وردت في مختلف المصادر هكذا :
صالح بن ابي الحسن يزيد بن صالح بن موسى بن ابي القاسم بن علي بن الشريف، يكنى بأبي الطيب وأبي البقاء.
انظر — مثلا — أ. المقري، **نفح**، 4 : 486، **والذيل والتكملة** 4 : 137.

(318) الرندي : نسبة الى رندة (Ronda)، وتوجد غرب مالقة على بعد 98 كلم وشمال جبل طارق =

بلــغ لانــدلس السلام وصف لهـــا ما بي منَ أشواق وبعـــــد مزار
واذا مررت برنــبـدةٍ ذات المنـــى والتـــاج والدَّيْمُـــوسِ واللـــوزَارِ
سلــم علــى تلك الديـــار واهلهـــا فالقـوم قومي والديـــار ديـــاري (319)

وأنشدني ايضا غير هذا.

واجتمعت بها باجلة فضلاء غيره ، كالحاج ابي عبد الله محمد آدوك ، والشاعر محمد ابن الحسن الحيحي، وكالأديب ابي عبد الله محمد بن يعقوب الأيسي، ناظم ناثر، وكان عندي جملة من نظمه ضاعت مني ، وكأبي العباس احمد بن محمد السالمي (320) ، وكأبي محمد عبد الله بن [علي] بن طاهر الشريف السجلماسي (321) ، وغير هؤلاء ممن لا يحصى عددهم من أجلة الطلبة .

وانتقلت عنها وقصدت رحلة لمصر فركبت البحر في أواخر رجب عام أربعة وتسعين (322) واسرنا في اليوم الرابع عشر من شعبان من العام المذكور ، وأسر معنا جماعة من

= على بعد 108 كلم وقد كانت من اهم القواعد الأندلسية كما كانت من اهم مدن غرناطة، وتعتبر الحصن الذي يحمي مالقة من ناحية الغرب، ولذلك لما سقطت رندة في ايدي الاسبانيين في جمادى الاولى سنة 890 هـ ابريل من سنة 1485، اضحى الطريق سهلا لاستيلاء القشتاليين على مالقة، وبالفعل فقد سقطت هذه الأخيرة في ايديهم بعد قليل (شعبان 892 هـ / غشت 1487)، وتشرف المدينة على منطقة عالية من الربى ويشقها من وسطها وادي ليبين وقد وصف ابن بطوطة رندة حينما زار الاندلس سنة 1350 م بقوله : « وهي من أمنع معاقل المسلمين وأجملها وصفا ». وتوجد الى الآن عائلات الرندى بالمغرب.

(319) انظر الأبيات في كتابه **الوافي في نظم القوافي**، ص 129، والأبيات تحتل بالتتابع أرقام : 5 — 6 — 7 من قصيدته.

(320) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 1 : 173 رقم 218.

(321) بالاصل : عبد الله بن طاهر، وهو تصحيف والصواب ما اثبتناه.
انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 3 : 60 رقم 976، وم. الافراني، **صفوة**، 3 — 4، وم. العربي الفاسي، **مرآة**، 186، وأ. سالم العياشي، **رحلة**، 1 : 15، وأ العلوي، **الأنوار**، 65 — 66، وح. اليوسي، **المحاضرات**، 113، وم. بن العياشي، **زهر**، 62، وم. القادري، **الاكليل**، 55 ظ ، **التقاط الدرر**، 19، وم. الحضيكي، **طبقات**، 2 : 213 — 215، وادريس الفضيلي، **الدرر البهية**، 1 : 163 — 265، وأ. المدغري، **فتح القدوس**، كله، وع. الحي الكتاني، **فهرس الفهارس**، 1 : 352 — 354، وم. العلوي، **شرفاء سجلماسة**، 5 — 6، ول. برفانصال، **مؤرخو الشرفاء**، 103، وم. حجي، **الحركة**، 2 : 522 — 523.

(322) رجب عام 994 هـ يوافق يونيو — يوليوز سنة 1586 م.

التجار ، وبعض الأدباء من أهل الجزائر يقال له ابو عبد الله محمد بن ....(323) العنابي ، أنشدني ونحن في البحر :

اذا كنت في أمر فكن فيه محسنا — فعمـا قليـل أنت ماض وتاركـة
فكم دحت الأيام ارباب دولة — وقد ملكوا اضعاف ما انت مالكه (324)

وأنشدني ما في البخاري :

الحرب أول ما تكون فتية — تسعى بزينتها لكل جهول
حتى اذا اشتدت وشب ضرامها — ولت عجوزا غير ذات خليل
شمطاء تنكر لونها [وتغيرت] (325) — مكروهة للشم التقبيل

حدثني أنه لما تخرب سد ابي طوبة (326) وكان الشامي ممن يقول بعدم اصلاحه ،

---

(323) بياض بالاصل.
ولم نقف له على ترجمة.

(324) انظر البيتين عند الدميري، **حياة الحيوان، الكبرى**، 1 : 161، وابن مليح السراج، **أنس**، 133، وقد ورد البيتان في هذا المصدر الأخير هكذا :

إذا كنت في أمر فكن فيه محسنا — فأنت قريب راحل ثم تاركه
فكم خانت الأيام أرباب دولة — وقد ملكوا أضعاف ما أنت مالكه

(325) بالأصل : (لكنها)، ولا معنى لها هنا، والتصويب من **صحيح البخاري**، (8 : 96) الذي روى منه ابن القاضي الأبيات.
وقد وردت هذه الابيات منسوبة لامرىء القيس في رواية ابن النحاس **لديوانه**، ص 353، وقد وردت الأبيات هكذا :

الحرب أول ما تكون فتية — تسعى بزينتها لكل جهول
حتى إذا استعرت وشب ضرامها — عادت عجوزا غير ذات خليل
شمطاء جزت رأسها وتنكرت — مكروهة للشم والتقبيل

(326) انظر وصفا للسد في الوثيقة التي نشرها علوش في مجلة **هسبريس**، لسنة 1934، المجلد 18، القسم الأول، ص 49 — 63.
وقد أعاد الأستاذ محمد مزين نشرها في ملحق دراسة عن **فاس وباديتها في العصر السعدي**.

[وهو][327] علي الشامي[328] من هؤلاء الشاميين[329] الذين بفاس ، فدبر المريني احمد تدبيره فيه ، وتبعه ابن عبد الحليم ، فقال في ذلك ابن هارون :

لقـد سدد اللـه رأي العمـاد ... وأبطـل في سد رأي الجهـول
فطـردا وعـكسا لسان ينـادي ... (عقـول الملـوك ملـوك العقـول)

ثم قال ابو مالك الونشريسي :

فيا أهـل فاس سدد اللـه سدكـم ... برأي ابـي العبـاس حامي حمـى فاس
وأحيـا به أشجاركـم وثماركـم ... على رغـم قوم منكريـن من النـاس
فدام ودام السعـد يخـدم مجـده ... وفـاز من الشكـر الجميـل بأجنـاس

ثم قال المطغري في ذلك :

ألا سدد اللـه رأي الـذي ... بتسديـده سد سدا حصينـا
امـام الهـدى أحمـد المـرتضي ... مبيـد العـدا عمـدة المسلمينـا[330]

وحدثني ان ابا مالك الونشريسي لما كانت ليلة بنائه بزوجه وكانت الزفة ساعتئذ تطوف بالليل ، وكان من العادة ان يكتب العرس لأعيان البلد بالمبيت عنده تلك الليلة لحضور الزفة

---

(327) بالاصل : (هي)، وهو تصحيف.
(328) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **لقط الفرائد**، 289.
(329) ذكر م. الافراني في **نزهة الحادي**، 168، ان لهم مصاهرة مع المنصور.
(330) نسبهما الناصري في **الاستقصا**، 4 : 115، لأبي زكريا يحيى السراج.

ملاحظة :

يدل ما أورده هنا ابن القاضي حول سد أبي طوبة على أن مشكل الماء كان حادا وعلى أنه كان يسبب صراعا عنيفا بين مختلف الفئات الاجتماعية بفاس.
انظر أيضا الوثيقة التي نشرها الأستاذ محمد مزين في **مجلة كلية الآداب بفاس**، العددان الثاني والثالث لسنتي 1979 ــ 1980، ص 389 ــ 402.

وما كانت كعادتنا اليوم في اول النهار ، وانما احدثها في اول النهار اولاد ابن الشيخ اللمطيين ، فكان ممن كتب له الطبيب ابو الحسن علي الغرافي (331) ببيتين :

يا سيـــدي يا أبــا علــى الحسنــا اجعل فديتك عندي الليلة الوسنــا
فالشهر بدر الدجى يخفـــى بآخـــرة وانت منـــه لنــا بدر يلـــوح سنــا

وقد روى شيخنا عنه هذين [البيتين] بغير واسطة ، وقد روى بدل الشطر الاخير عن واسطة ، وهو أبو العباس احمد بن حسون :

وانت من دونه بدر لنا وسنا

وانما امليت غالب ما انشدنيه وافادنيه ليكون كالتذكرة لما أنشدني ، وكالبرنامج لما افادني ـــ لطف الله بنا وبه ، آمين بمحمد وآله ـــ ، وأتيت بذلك على نحو ما انشدنيه في المجالس ولم أراع فيه الفة اصلا .

ومن اهل العصر ايضا بالمغرب الاقصى شيخنا ابو العباس احمد بن علي بن عبد الرحمان المنجور المكناسي ، كان ـــ رحمه الله تعالى ـــ آية في الحفظ والاتقان للعلوم والانصاف ، له تآليف حسان لا يأتي الزمان بمثلها ، فمنها **مراقي المجد ، على آي السعد** (332) ، ومنها ما له على نظم ابن زكري المغراوي (333) في علم الكلام من الشرحين الاكبر والاصغر ، ومنها ثلاثة على **قواعد الزقاق** المسمى **بالمنهج المنتخب ، الى قواعد المذهب** (334) ، ومنها **حاشية كبرى** (335) على **كبرى الشيخ السنوسي** واخرى **صغرى** (336) ، ومنها **فهرسته** (337) التي عملها باسم

---

(331) انظر ترجمته عند أ. بن قنفذ، **وفيات**، 76، وأ. الونشريسي، **وفيات**، 96، وابن القاضي، **لقط الفرائد**، 184، **درة**، 3 : 244 رقم 1262.

(332) **مراقي المجد، على آي السعد** : تفسير للآيات الكريمة الواردة في شرح سعد الدين التفتازاني **لتلخيص المفتاح**.
مخطوطات م. م بالرباط، اعداد 176، و 5038 و 5302.

(333) لم ترد هنا نسبته الى تلمسان مع أنه يدعى التلمساني ويختصر نظمه أحيانا فيقال **التلمسانية**.

(334) طبع على الحجر بفاس في جزءين، في 495 صفحة.

(335) هي التي امر المنصور بتخريجها.
مخطوطة م. م. بالرباط عدد 1511 في مجلد ضخم، ومخطوطة ثانية بنفس المكتبة عدد 575، كتبت في جمادى الثانية عام 1000 هـ .

(336) مخطوطة م. م بالرباط عدد 8054.

(337) هناك عدة مخطوطات **لفهرس أ. المنجور** منها : =

مولانا وغير ذلك من نوادره (338)، ولقد اجازني فيها كلها وفي كل ما له من نظم ونثر بشرطه المعتبر عند اهله ، وبه انتفعت في العقائد والمنطق والبيان وعلم اصطلاح الحديث **كالماع عياض وكتاب ابي عمرو عثمان بن الصلاح** ـــ فسح الله ضريحه ، وأسكنه من الجنان فسيحه ـــ . ذكر لي انه ولد عام أربعة وعشرين وتسعمائة ، وأما وفاته فقد تقدمت . وذكر مشيخته في **فهرسته** فلا نطيل بذكرهم ، فهم اشهر من أن يجهلوا ، فما انشدنيه ـــ رحمة الله عليه ـــ ما كان سببا في موت [ابن] الجوزي :

أخـــذت باعضادهـــــم اذ نأوا   **وخلـــفك القـــوم اذ ودعـــوا**
فأصبـــحت تنهـــى ولا تنتهـــي   **وتسمـــــع قولا ولا تسمـــــع**
ايـــا حجـــر الشحـــذ حتـــى متـــى   **تسن الحديـــــد ولا تقطـــــع**

وأنشدني ،

فليـــتك تحلـــو والحيـــاة مريـــرة ،   **وليـــتك ترضى والأنـــام غضاب**

= أولا : **الفهرس الكبير**، ويظن أنه بخط المؤلف، وعليه تعليقات بخط كل من الامام محمد القصار، وأحمد بن القاضي، وهو الآن في ملك الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني بالرباط.
ثانيا : **فهرس صغير** كذلك، يوجد بالمكتبة الملكية بالرباط عدد 5164، كتب بخط اندلسي سنة 1188 هـ.
وقد طبع **الفهرس** اخيرا بالرباط (سنة 1976) بتحقيق الاستاذ محمد حجي.

(338) ألف احمد المنجور ثلاثة عشر كتابا عدا **الفهرس**، والكتب الباقية التي لم يذكرها ابن القاضي هي :
نظم الفرائد ومبدي الفوائد، لمحصل المقاصد : وهو شرح لقصيدة احمد بن زكري التلمساني في التوحيد.
مختصر نظم الفرائد، أي مختصر الشرح السابق.
مخطوطة م. م. بالرباط، عدد 4147، نسخة عتيقة كتبت في أواخر ذي القعدة عام 997 هـ.
شرح نظم علاقات المجاز ومرجحاته لأبي الفضل بن الصباغ المكناسي. مخطوطة م. ع. بالرباط عدد 1032 د.
المختصر المذهب، من شرح المنهج المنتخب.
شرح المختصر، من ملتقط الدرر.
شرح ايضاح المسالك، الى قواعد الامام ابي عبد الله مالك، وهو شرح لقصيدة عبد الواحد الونشريسي.
أجوبة مجموعة في الفقه والكلام.
المخطوط المصور ب. م. ع. بالرباط عدد 318.
أجوبة في القراءات.
مخطوط م. م بالرباط عدد 8011، وهو بخط عبد العزيز بن الحسن الزياتي
تقريب لفهم شواهد الخزرجي، وهو تقييد موجز لأهم أبواب العروض، يأتي للبحر بما له من أعاريض وأضرب ثم يستشهد ويأتي بالتفاعل. مخطوط م. م بالرباط عدد 603.

وليت الذي بيني وبينك عامر   وبيني وبين العالمين خراب
اذا صح منك الود فالكل هين   وكل الذي فوق التراب تراب [339]

وأنشدني،

فلا تدخلن السوق ما دمت مفلسا   فتزداد هما يا قليل الدراهم

وأنشدني [للمبرد] [340] :

فلما بصرنا به مقبلا   حَلَلْنا الحُبَا وابتدرنا القياما
فلا تنكرنّ قيامي له   فان الكريم يُجِلُّ الكراما

وانشدني للجُنَيْد [341] :

لا يعرف الله الا الله فاتئدوا   فالله حق ودون الحق اشراك
فانف النقائص عنه ، فالكمال [342] له   والعجز عن درك الادراك ادراك

وحدثني ان الاستاذ ابا سعيد بن لب [343] لما ان انقطع الى الله واحتار فيما يشتغل به من أنواع العبادات ، فرأى قائلا في النوم ينشده :

اذا الاحباب فاتهم التلاقي   فما صلة بأفضل من كتاب

---

(339) البيتان الأولان لأبي فراس. انظر **الديوان**، ص 27.
(340) بالاصل : لابي سعيد بن لب، وهو تحريف، وقد سبق ان نسبها ابن القاضي نفسه سابقا في المنتقى للمبرد.
انظر — مثلا — **التعريف** لابي عبد الله محمد بن القاضي عياض، 70.
(341) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الأعيان**، 1 : 373 — 375، والمصادر بالهامش 144 من الصفحة 373 من نفس المصدر.
(342) بالاصل : (والكمال)، ولعل الأنسب ما أثبتناه، اذ الموضع للفاء لا للواو.
(343) انظر ترجمته عند أ. الونشريسي، وفيات، 129، وأ. بن القاضي، **لقط الفرائد**، 220، درة، 3 : 265 — 268 رقم 1317.

ففهم عن الله انه أراد منه الاشتغال بتلاوة القرآن ففعل .

وبعد البيت المتقدم :

اذا ورد الكتـــاب علـــى صديـــق فحـــــق واجب رد الجـــــواب

وأنشدني لابن مرزوق :

نصحت فلـم أفلـح وخانـوا فأفلحـــوا فأسكننـــــي نصحـــــي بدار هوان
فان عشت لم أنصح وان مت فالعنوا ذوي النصح من بعدي بكـل لسان

وأنشدني :

(اذا كنت في حاجـــــة مرسلا) وأنت بهـــــا كلـــــف مغـــــرم
(فارسل حكيمـــــــا ولا توصه) وذاك الحكيـــم هو الدرهـــم (344)

وأنشدني :

يا أيهـــا الرجـــل المُرْخـــي عِمامتـــه هذا زمانك ، اني قد مضى زمنـــي
أبلغ خليفتنـــا ، ان كنت لاقيـــه ، أني لدى الباب كالمصفود في قَرَنِ (345)

وأنشدني :

دَبَبْت للمجـد والساعـــون قد بلغـــوا حدّ النفـــوس وألقَـــوْا دُونَـــهُ الأُزُرا
وكابـروا المجـد حتـــى ملّ اكثرهـــم وعانـق المجـد من أوفـى ومـن صبـرا

(344) البيتان لأحمد بن فارس اللغوي، انظر ــ مثلا ــ **وفيات الاعيان**، 4 : 264.
وفيهما تضمين من قول عبد الله بن جعفر :
اذا كنت في حاجـــــة مرســــــلا فأرسل حكيمــــــا ولا توصـــــــه

(345) البيتان لجرير. انظر **ديوانه**، ص 588.

لاتحسب المجد تمرًا أنت آكله | لن تبلغ المجد حتى تلْعَق الصَّبِرا (346)

وأنشدني :

اذا أعجبتك خصال امريء | فكنه يكن منك ما يعجبكْ
فليس على المجد والمكرمات | اذا جئتها حاجب يحجبك

وأنشدني للزمخشري (347) :

يا من يرى مَدَّ البعوض جناحها | في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى نِياطَ عروقها في نحرها | والمخ في تلك العظام النُّحَّلِ
ويرى ويسمع حس ما هو دون ذا | في قعر بحر زاخر في جندل
ما ان يغادره ولا يخفى له | من خلقه مثقال حبة خردل
الا ويعلمه ويعلم خلقه | سبحانه من خالق متفضل
يامن أحاط بكل شيء علمه | وعليه في كل الامور معولي
امنن علي بتوبة تمحو بها | ما كان مني في الزمان الأول

وأنشدني :

أرح قلبك المهموم في اليوم مرة ، | ونفسك عللها بشيء من المَزْح
ولكن اذا أعطيتها المزح فليكن | بقدر الذي تعطي الطعام من الملح
وكونن مع الاخوان ان كنت مازحا ، | ولا تعط للعوام شيئا من السمح

---

(346) الأبيات لرجل من بني اسد، أوردها ابو تمام في **حماسته**.
انظر **شرح المرزوقي على الحماسة**، 3 : 1511 ــ 1512.

(347) يقصد انشاد الزمخشري لهذه الابيات في **الكشاف**، اذ الابيات ليست له كما صرح هو نفسه في كتابه : « أنشدت لبعضهم... ».
وقد نسب ابن كثير الأبيات في **البداية والنهاية** لأبي العلاء المعرى.
وانظرها في **المستطرف**، 2 : 116، **حياة الحيوان**، 1 : 129، و **وفيات الاعيان**، 5 : 173، و **أزهار الرياض**، 3 : 297.

لأنك ان تكثر من المـــزح تزدرى ، وان أنت لم تمزح هرمت من النزح (348)

وحدثني ان سمنون بن حمزة [الزاهد] (349) لما ادعى استغراق المحبة في ذات الله ، وكان كثيرا ما ينشد :

ولـــــيس لي في سواك حـــــق عذب بمـــــا شئت فاختبرنـــــــي

فابتلاه الله بحبس البول ، وصبر في أول حاله ، ثم انه اصبح ذات ليلة والناس يقولون : مسكين سمنون ، أصيب بحبس البول ، ففهم عن الله أنه اراد منه التضرع اليه ، وأن يظهر ما هو شأن العبد من التضرع والخضوع الى مولاه ، فجعل يطوف بالمكاتب ويقول للصبيان : دعاؤكم لعمكم سمنون الكذاب . حدثني بهذه الحكاية في عشية الجمعة ، الحادي والعشرين من رجب من عام ثلاثة وتسعين (350) وفي هذه العشية ناولني **كتاب ابن الصلاح** لما اكملته عليه بالقراءة وأجازني ــ رحمه الله ــ على ظهر ، وهو الآن بيد الكفرة ــ دمرهم الله تعالى ــ ، وخطه على ظهره .

وانشدني :

الناس أكيس من أن يمدحوا رجلا ما لم يروا عنــد آثــار احسان (351)

---

(348) البيتان الأولان لأبي الفتح محمد بن علي البستي، نسبهما اليه الثعالبي في **اليتيمة**.
أما البيتان الثالث والرابع، فلم نقف عليهما منسوبين لابي الفتح وأظنهما اضافة من بعض ضعاف الشعراء، فان لغتهما تكاد تكون عامية.

(349) بالاصل : الزيات، وهو تحريف.
انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 2 : 144، 4 : 295، وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 3 : 204.

(350) 21 رجب عام 993 هـ يوافقه 19 يوليوز عام 1585.

(351) ورد الشطر الثاني من البيت في **فهرس ابن غازي**، ص 78، و **نيل الابتهاج**، 42، هكذا :
من غير ان يجدوا آثار احسان
وفي **الاتحاف** لابن زيدان، 4 : 484 :
ما لم يروا عنده آثار إحسان
وفي **وفيات الاعيان** :
ولم يروا فيه من آثار إحسان
والبيت لعبد الملك بن الحميد.
(انظر : ابن خلكان، في ترجمته يوسف بن عبد البر)

وانشاداته رحمه الله ، لي وافاداته اكثر من هذا كله لكن ضاعت مني في محنتي .

ولما خرجت من الاسر وجدته في مرضه الذي مات منه ليلة النصف من ذي القعدة عام خمسة وتسعين وتسعمائة (352) ، ودفن خارج باب الفتوح بازاء شيخه اليسيتني ، ورحت لثغر تطاون أؤدي ما علي من دين الكفرة دمرهم الله تعالى — ، فاختطفته المنية ، ورزئت (353) ، فيالها من رزية ! ورحم الله القائل :

من يتمنى العمر فليتخذ صبرا على فقد أحبائه
ومن يعمر يلق من دهره ما يتمناه لأعدائه

ورثيته بقطعة مطلعها :

يا عين جودي بالدموع السُّكَّب ان الدموع بغير ذا لم تطلب
أهمي دموعك دون [غيض] (354) بعد أن قد حل بالأجداث قطب المغرب
شيخ الجماعة احمد المنجور من شهدت له علياؤه بالمنصب
بحر تدفق بالعلوم بأسرها مبدي المسائل كالضيافي الغيهب
ناحت عليه مساجد ومدارس ومسائل من معضلات المذهب
سكب الاله على ضريحه صيِّباً من رحمةٍ او نفحةً من يثرب

وما اولاني في رزيتي اياه بانشاد ما [للحكم المستنصر] (355) :

عجبت لمن ودعته كيف لم أمت وكيف انثنت بعد الوداع يدي معي
فيا مقلتي العبرا عليه اسكبي دما ويا كبدي الحرا عليه تقطّعي (356)

(352) ذو القعدة عام 995 هـ يوافق اكتوبر — نونبر عام 1587 م.
(353) بالاصل : (أرزيت)، وهو تحريف والصواب ما أثبتناه.
(354) بالاصل : (غير)، ولعل الانسب ما أثبتناه.
(355) بالاصل : (الحاكم بن المستنصر) وهو تحريف، والصواب ما أثبتناه.
انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 2 : 295، والمصادر بالهامش.
(356) انظر البيتين عند محمد عبد الله عنان، **دولة الاسلام في الاندلس**، العصر الاول، القسم الثاني، 463.

وما اولاني ايضا بانشاد :

انظر الى جبل تمشي الرجال به — انظر الى القبر ما يحوي من الشرف
انظر الى صارم الاسلام منغمدا — انظر الى درة الاسلام في صَدَفِ

ورحم الله شرف الدين بن زيان حيث قال :

وجيران ألفتهم زمانا — فأبعدهم نوى الحَدَثان عني
أثاروا عيسهم فجرت دموعي — كأن العيس كانت فوق جفني (357)

ولما جرى في هذا البيت الأخير ذكر الدموع فاردت أن أذكر بعض ما للناس في جريان الدمع :

ضلالي في تعشقها رشاد — وقتلي في محبتها شهادة
فنار القلب يخبر عن (شهاب) — ودمع العين يروي عن (قتادة)

الشريف الرضي (358) :

طأطأت لحظ العين حين خطا — والبين يرمقني ويرمقه
وأذبت دمعي يوم ودعني — في صحن خد ذاب رونقه
واللثم يركض في سوالفه — وتكاد خيل الدمع تسبقه (359)

ابن دَمَرْدَاش (360) :

ما أبطأت أخبار من أحبته — عن مسمعي بقدومه ورجوعه
الا جرى قلبي اليه خافقا — وشكا اليه تشوقي بدموعه

(357) انظر البيتين عند الصفدي، **الغيث**، 1 : 72.
(358) انظر ترجمته عند ابن خلكان، **وفيات الاعيان**، 4 : 414 — 420 رقم 667.
(359) انظر **ديوان الشريف الرضي**، 2 : 554.
(360) انظر ترجمته عند م. بن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، 3 : 276 — 283، والمصادر بالهامش 423 من الصفحة 276 من نفس المصدر.

ابراهيم النظام (361) :

ذكـــرتك والــــراح في راحتــــي ... فَشُبْتُ المـــدام بدمـــع غزيـــز
فان تُنْفِـــدِ الدمـــــع نار الأسى ... بكـــتك الـــحشا بدمـــوع الضميـــر

ابن حِجَّة (362) :

خاض العواذل في حديث مدامعـــي ... لمـــا جرت كالبحـــر سرعـــة سيـــره
فحبستـــــه لأصون سر هواكـــــم ... (حتى يخوضوا في حديث غيره) (363)

ولبعضهـم :

ارحمـــوا سائـــل الدمـــوع وباللـــــ ... ـــه عليكـــم لا تنهـــروا السائلينـــا
واذا ما نهرتـــم الدمـــــع نهـــــرا ... (لا تخوضوا فيه مع الخائضينا) (364)

بدر الدين حسن الزغاري (365) :

فتـــنت بأسمـــرَ حلـــو اللَّمَـــى ... لسلوانـــــه الصب لم يستطــــــع
تقطَّـــع قلبــــي ومــــارق لــــي ... ودمعـــــي يرق ومــــا ينقطــــــع

عز الدين الموصلي :

عينــــي افــــاضت دموعـــــــي ... من طول صد وبيــــــــــــــن
ووجنــــة الـــحِبِّ قالــــــت : ... رأيت غسلـــــــي بعينـــــــي

---

(361) بالاصل : (ابراهيم بن النظام) وهو تحريف، والصواب ما أثبتناه.
انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 1 : 36، والمصادر بالهامش.

(362) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 2 : 43، والمصادر بالهامش.

(363) فيه اقتباس من الآية 68 من سورة الانعام « واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في الحديث غيره ».
وانظر البيتين عند الابشيهي، **المستطرف**، 2 :45.

(364) اقتباس من الآية 45 من سورة المدثر :
« وكنا نخوض مع الخائضين ».

(365) انظر ترجمته عند النواجي، **حلبة الكميت**، ص 183.

عماد الدين السمدباوي :

ولئن بكيت وأنت طَوْدٌ للعلى فلقد تسيلُ من الجبال عيون

وله أيضا :

قال لي عاذلي : دموعك تجري من عذاب الهوى وفيه سكون
قلت : قلبي يذوب وهو جليد ولذوب الجليد تجري العيون

ابن نباتة :

أفني جفاكم كثير دمعي لكن بقي في القليل نشْطَة
وكنت أروي عن (ابن بحر) فصرت أروي عن (ابن نُقْطَة) [366]

ولنرجع الى ذكر مآثر الشيخ — رحمه الله تعالى ، وبرد ضريحه ، واسكنه من الجنان فسيحه — ، وانما ذكرنا هذا الذي تقدم على وجه التلميح للمحل فقط ، والاحماض به .

ونص ما أجازني به :

« الحمد الله كما يجب لجلاله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الكريم وآله .

يقول العبد الراجي مغفرة ربه ورحماه ، أحمد بن علي المنجور — كان الله له في دنياه وأخراه وجبر حاله ، وأصلح باله ، وجعل الجنة مآله : حضر لدي الفقيه النجيب ، الفطن ، المتفنن ، اللبيب ، الحيي الأسمى ، الاسنى ، النبيه ، الحسيب الاصيل ، الجليل النزيه : أبو العباس سيدي أحمد بن الفقيه الجليل الفاضل المقدس ، سيدي محمد المدعو شقرون بن القاضي المكناسي [367] دولا [368] ، وبعضها بقراءة لفظه من **المدونة** و**الرسالة** ، وفرعي ابن

---

(366) انظر **ديوان ابن نباته**، 287.
وانظر ترجمة ابن بحر المورى به هنا في **شذرات الذهب**، 2 : 81 وترجمة ابن نقطة في **وفيات الاعيان** ، 4 : 392.

(367) انظر ترجمته عند أ. المنجور، **فهرس**، 79، وأ. بن القاضي، **درة**، 2 : 215 رقم 664، **جذوة**، 1 : 349 — 350 رقم 249 **لقط الفرائد**، 312.

(368) دول : جمع دولة، وهو القدر الذي يقرأ من الكتاب في مجلس واحد.

الحاجب وأصليه ، **وجمع الجوامع** لتاج الدين السبكي [369] ، **وصحيح مسلم** ، **وتلخيص المفتاح** [370] ، **وارشاد أبي المعالي** ، **وعقائد** الشيخ المحقق الصالح سيدي محمد بن يوسف السنوسي ، كالمقدمات والصغرى وصغراها الوسطى ، **ومحصل المقاصد** للشيخ الامام سيدي أحمد بن زكري المغراوي التلمساني ، **وتلخيص ابن البنا** في الحساب ، **وفرائض الحوفي** ، **ومقدمة الشيخ السنوسي** في المنطق **والمنهج المنتخب الى قواعد المذهب** [371] للامام أبي الحسن الزقاق الفاسي [372] ، وأجزت له ــ أبقاه الله ، ونفع به ــ جميع التآليف المذكورة ، وسائر ما ثبت لديه أني رويته بسماع أو قراءة أو إجازة أو مناولة ، وما صح عنده اني لفقته من نثر أو نظم في أي فن فليروعني من ذلك ما شاء ، كيف شاء ، متى شاء ، وحيث شاء على الشرط المعتبر عند أهله .

قال هذا وكتبه بخط يده الفانية : أحمد بن علي بن عبد الرحمان بن عبد الله المنجور ــ غفر الله له ذنبه ، وستر في الدنيا والآخرة عيبه ــ حامدا الله تعالى ، مصليا على نبيه الكريم مسلما في أوائل جمادى الاولى عام ستة وتسعمائة » [373] .

وكانت قراءتي عليه باشارة من الشيخ ابن غازي في النوم ــ رحمه الله ، ونفعنا به وبأمثاله . وممن أخذت عنه بعض شيء بفاس أبو زكرياء يحيى بن محمد السراج الحميري النفزي بعض أبواب من مختصر خليل بن اسحاق المالكي ، وشيئا من ألفية ابن مالك ، وشيئا من مغني

---

(369) هو عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، (727 هـ / 771 هـ)، قاضي القضاة، المؤرخ ، الباحث. ولد في القاهرة وانتقل الى دمشق مع والده، فسكنها وتوفي بها. وقد تعصب عليه شيوخ عصره، فاتهموه بالكفر واستحلال شرب الخمر، وأتوابه مقيدا مغلولا من الشام الى مصر. ثم افرج عنه، وعاد الى دمشق حيث توفي بالطاعون.
وكتابه المذكور **جمع الجوامع**، كتاب في اصول الفقه، وهو مطبوع (انظر عنه معجم سركيس ع 1003).
وقد نظم هذا الكتاب عبد الهادي بن عبد الله بن علي بن طاهر الحسني، وشرحه شرحا موسعا. مخطوط خاص بالرباط.

(370) **تلخيص المفتاح** لمحمد بن عبد الرحمان القزويني (ت 739 / 1339) قاضي الشام ومصر. أقبل المغاربة على تلخيصه منذ أواخر المائة الثامنة. وفي العصر السعدي نظمه عبد الهادي بن طاهر السجلماسي وشرحه فيما بعد (انظر **الدرر البهية**، 1 : 265).

(371) مخطوط م. ع بالرباط عدد 1040 د.

(372) هو : على بن قاسم بن محمد الزقاق التجيبي المتوفى سنة 912 هـ / 1506 م.
انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **جذوة**، 2 : 476 ــ 477 رقم 532، **درة**، 3 : 252 رقم 1289، **لقط** ، 280، وم. بن عسكر، **دوحة**، 55. رقم 37، وأ. بابا، **نيل**، 211، وم. الكتاني، **سلوة** ، 2 : 84، وم. الحجوي، **الفكر السامي**، 4 : 98 رقم 722.

(373) جمادى الاولى من عام 986 هـ يقابلها يوليوز ــ غشت سنة 1578 م.

اللبيب ، وما لازمته تلك الملازمة ، وانما كانت ملازمتي للشيخين السابقين . ولد أبو زكرياء هذا بعد نيف وعشرين وتسعمائة ، ولا مدخل له في الأدب أصلا ، سمعت منه غير مرة يقول : لا أقدر على تلفيق بيت واحد . غير انه فقيه صرف ، يعرف الفقه معرفة تامة ، والنحو ، وألفاظ خليل يحكها حكا جيدا (374) ، أخذ عن أبي مالك الونشريسي والزقاق وغيرهما ، وهو أكبر أصحابنا الفاسيين ، غير أبي راشد المذكور فانه اسن منه ، وهو رجل دين فاضل ، لا [يخشى] في الله لومة لائم ، الا أن معه بعض طيش فقط مع شيء من ضيق الخلق ، وتصحبه غفلة في بعض الاوقات ، تولى الخطابة بالقرويين والفتيا بفاس ـــ عمرها الله تعالى بمنه ـــ .

وممن أخذت عنه أيضا بعض بويبات من مختصر خليل القاضي أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الحميدي ، قاضي الجماعة بفاس ـــ أمنها الله تعالى ـــ . ولد سنة سبع وعشرين وتسعمائة ، وهو مطبوع يقرض الشعر ويحفظ مقطعات وغيرها حافظ لمسائل المذهب ، أنشدني بحكايته :

أيا جود معن ناج معنا بحاجتي   فمالي الى معن سواك شفيع

وأنشدني :

تركت الخلق طرافي رضاكا   وأيتمت الوليد لكي أراكا
ولو قطعتني اربا فاربا   لما حن الفؤاد الى سواكا

وممن لقيته وأخذت عنه بعض شيء : الفقيه النحوي الاديب أبو العباس أحمد بن علي الزموري ، اخذت عنه بعض بويبات من خليل وابن الحاجب ، وهو فقيه حافظ ، مطبوع ، يقرض الشعر ، وقد تقدم شيء من نظمه ، وأنشدني لمالك بن دينار (375) ـــ لما اتى المقابر ـــ :

---

(374) يشير بذلك الى طريقة حك المسائل، وهي الطريقة الغالبة في العصر السعدي. يهتم أصحابها بالالحاح في بحث المسائل وتقليب وجوه النظر فيها، وايراد الاستشكالات أو افتراضها، وجلب النقول ومناقشتها، لتتكون ملكة البحث عند المتعلمين.
انظر مزيدا من الايضاح عند م. حجي، **الحركة**، 1 : 96.

(375) انظر ترجمته عند أ بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 4 : 139 ـــ 140 والمصادر بالهامش 551 من الصفحة 139 من نفس المصدر.

أتـــيت القبـــــور فناديتهـــــا — فأيـــن المعظــــم والمحتقـــرْ
وايـــن المعــــز بسلطانـــــه — وأيـــن العزيـــز اذا ما افتقـــرْ
وايـــن الملبّـــى اذا ما دعـــا — وايـــن المطــاع اذا ما أمـــر (376)

فسمع مجيبا ولم يره :

تفانـــوا جميعـــا فلا مخبـــر — وماتــوا جميعـا ومـــات الخبـــر
ايـــا سائـــلا عن أنـــاس مضوا — أمـــالك فيمـــا ترى معتبـــر !
تروح وتغـــدو بنـــات الثـــرى — فتمحـــو محـــاسنَ تلك الصور
وصاروا الـــــى ملك قادر — فامـا نعيــم وامــا سقـــر (377)

وهو اصغر السابقين سنا ، الا اني لا أذكر ولادته الآن .

---

(376) وردت الابيات عند ابن العربي في **محاضرة الابرار** ــ نقلا عن زكي مبارك في كتابه **التصوف الاسلامي**، 1 : 235 ــ هكذا ·

أتـــيت القبـــور فناديتهـــا — فأيـــن المعظـــم والمحتقـــر
وأيـــن المـــدل بسلطانـــه — وايـــن العزيـــز اذا ما قـــدر
وأيـــن الملبـــى اذا مادعـــا — وأيـــن العزيـــز اذا ما افتخـــر

(377) وردت الابيات عند ابن العربي في **محاضرة الابرار** ــ نقلا عن زكي مبارك في كتابه **التصوف الاسلامي**، 1 : 235 / 236، هكذا :

تفانـــوا جميعـــا فمـــا مخبر — وبـــادوا جميعـــا وبـــاد الخبر
تروح وتهدوا بنـــــات الثرى — فتمحـــــو محاسن تلك الصور
فيـــا سائلي عن أنـــاس مضوا — أمـــالك فيما مضى معـــتبر !

مـلاحظـة :

ورد البيت الثالث من **المنتقى**، بالاصل هكذا :

تمـــر وتغـــدو بنـــات الثـــرى — وامـــحت محـــاسن تلك الصـــور

وقد أثبتنا رواية ابن العربي لأنها أنسب.

وممن اجتمعت به ايضا واخذت عنه : ابو العباس احمد بن قاسم القدومي (378) ، اخذت عنه بعض **الفيه ابن مالك** ، وشيئا من **مختصر خليل** ، وكان لا يقرض الشعر ، وانما كان نحويا حافظا له ولعلله ، وله من تقاييده تأليف حسن هو الآن بخزانة مولانا ـ عمرها الله تعالى ـ وهو في غاية الحسن سماه **بالهادي في حل الفاظ المرادي** ، اشتمل على مجلدات نحو الاربعة ، وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في يوم الاربعاء الخامس عشر من شعبان المعظم من عام اثنين وتسعين وتسعمائة ، ودفن خارج باب الفتوح أحد ابواب فاس المحروسة ، وكانت له نية صالحة في تعليم العلم ـ نفعه الله بنيته ـ .

وممن اخذت عنه بفاس المحروسة شيخنا : أبو العباس احمد بن عثمان بن عبد الواحد ، عرف باللمطي المكناسي ، الميموني ، من قبيلة مكناسة ، ولد ـ حفظه الله تعالى ـ بعد سنة تسعمائة واربعين (379) وأما والده ابو سعيد فولد سنة ثمان وثمانين وثمانمائة (380) ، وتوفي سنة خمس وخمسين وتسعمائة (381) ، واخوه ابو فارس بن عبد الواحد (382) ولد سنة تسعين وثمانمائة (383) ، اخذت عنه الفية ابن مالك ، وهو رجل زاهد خاشع ، فقيه ، استاذ ، يقرض الشعر ، نقي الجانب والشيبة ، عظيم الهيبة ، لا [يخشى] في الله لومة لائم ، ولا يبالي بأحد في الحق ، وله نية صالحة في التعليم ـ نفعه الله بنيته ـ ، أنشدني في فضل الفاتحة :

اذا ما كنت ملتمسا لرزق	ونجح القصد من عبد وحر
وتظفر بالذي ترجو سريعا	وتأمن من مخالفة وغدر
ففاتحة الكتاب فان فيها	لما ترجوه سرا أي سر

---

(378) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 1 : 156 رقم 184، **جذوة**، 1 : 135 رقم 77، **لقط الفرائد** ، 319، و ع. الرحمان التمنارتي، **الفوائد**، 50، وم. القادري، **الاكليل**، 7، **نشر**، 1 : 43 ـ 44، وم. الكتاني، **سلوة**، 2 : 281، وم. حجي، **الحركة**، 2 : 359.

(379) كتب بالهامش : كذا بياض في خط المؤلف.
ويبدو من خلال ذلك ان ابن القاضي لم يكن متأكدا من تاريخ ولادة احمد بن عثمان اللمطي فاستدركها في **درة الحجال**، 1 : 168 رقم 200، ولكنه ايضا لم يحدد تاريخ ولادته بالضبط فاستعمل عبارة : ما بعد 940 هـ، ولم يؤرخ له في لقط الفرائد ضمن اللمطيين.

(380) 888 هـ توافق 1483 / 1484 م

(381) 955 هـ توافق 1548 / 1549 م.

(382) ترجم له ترجمته مطولة تلميذه أحمد المنجور في **فهرسه** ، 35 ـ 38، وأ. بن القاضي، **درة**، 3 : 132 ـ 133 رقم، 1080، **جذوة**، 2 : 453 رقم 491.

(383) 890 هـ توافق 1484 / 1485 م.

فلازم درسهـــــــا في كل وقت — وفـي صبـح وفـي ظهـر وعصر
وعنـد صلاة مغـرب كل ليـل — الـى تسعيـن تتبعهـا بعشر
تنـل ما شئت من عز وجـاه — وعظـم مهابـة وعلـو قدر
وسر لا تكـدره الليالـي — بحادثـة من النـقصان تجـري
وتوفيـق وأفـراح ورفـق — وأمـن نكايـة من كل شر
ومـن فقـر وعسر وانقطـاع — ومـن بطش لذي نهـي وأمـر
فانك ان فعـلت اتـاك آت — بمـا ترجـوه من سر وجهـر
وكـنت معظمـا في كل وقت — وعشت منعمـا في طول عمـر

ترتيبها : الصبح عشرون ، الظهر خمسة وعشرون ، العصر خمسة وعشرون ، المغرب عشرة ، العشاء عشرون .

وأنشدني أبياتا أخرى في فضلها وعلى ترتيب آخر :

اذا ما أردت الجاه والعـز والغنـى — وتيسيـر حاجـات وقهـر عداتكـا
ففاتحـة القـرآن لازم تلاوة — وبسمـل وأمـن قاف الـر صلاتكـا
ثلاثيـن صبحـا ثم خمسا تحطهـا — لكـل صلاة بعـد فامض كذلكـا
وكـن شافعيـا في التـلاوة كلهـا — فهـذا لعمري فيـه أغيـا صلاحكـا

وأنشدني :

ان الملـوك بلاء حيثمـا حلـوا — فلا يكـن لك في اكنافهـم ظل
ماذا تؤمـل من قوم اذا غضبـوا — جاروا علـيك وان أرضيتهـم مَلّـوا
وان مدحتهـم ظنـوك تخدعهـم — واستثقلوك : كما يستثقـل الكَـلُّ
وان أتيتهـم تبغـي زيارتهـم — رجـعت مستـنقصا من دينك الكُـل
فاستغن باللـه عن ابوابكـم ورعـا — ان الوقـوف علـى ابوابهـم ذل [384]

---

(384) وردت الابيات عند م. بن الازرق في بدائع السلك، 2 : 623 ــ 624، باختلافات يسيرة.

وأنشدني :

بتقـوى الالـه نجـا من نجـا وفـاز وصار الـى ما رجـا
(ومـن يتـق اللـه يجعـل له) كما قال من امره (مخرجا) [385]
(ويرزقـه من حيث لا يحتسب) وان ضاق امـر به فرجـا [386]

وأنشدني

وما المـرء الا كالشهـاب وضوئـه يَحُورُ رمـادا بعـد اذ هو ساطـع
ومـا المـال والأهلـون الا وديعـةً ولا بد من يوم تردُّ الودائـع [387]

وأنشدني لابي حيان ـ في نسق المواضع التي يحذف فيها الفاعل ـ :

وحذفـه للخـوف والابهـام والـوزن والتحقيـر والاعظـام
والعلـم والجهـل والاخـتصار والسجـع والوفـاق والايثـار

وأنشدني :

لو كان غيري سليمى الدهر غيـره وقـع الحـوادث الا الصارم الذكـر

حدثني ان الشيخ ابن غازي كان ينشد في رزق الطلبة :

---

(385) اقتباس من الآية 2 من سورة الطلاق
(386) اقتباس من الآية 2 من سورة الطلاق.
(387) البيتان للبيد العامري، من قصيدة مطلعها.

بلينـا ومـا تبلى النجـوم الطوالـع
وتبقـى الجبـال بعدنـا والمصانـع

انظر الديوان، 89.

ورزقــــه مرخمـــــا منـــــادى (كيا سعا فيمن دعا سعادا) (388)

وقبلـه :

الفقهـــــاء كلهـــــم من سادا منهـــم فلـيس يبلـــغ المـــرادا

وأنشدني :

من خالـــط الاشراف نال تشرفـــا من خالــــــط الأرذال لم يتشرف
ما ان ترى الجلـد الحقيـر مقبـــلا بالثغر لما صار جار المصحف (كذا)

وأنشدني ،

عليك بأربـــاب الصدور فمـــن غدا مضافـــا لاربـــاب الصدور وتصدرا

الـى آخـره ...

وأنشدني لوالده ـــ في الذي يرفع المضارع ـــ :

فبالتعـــري ارتفـــع الـــمضارع من ناصب وجــــازم وتابــــع
وقيـــل لا بل بحروفـــه وقيـــل وقوعـــه موضع الاسم ونقـــل
أولهـــا عن المبـــرد ومـــا تلاه للكسائـــي حقـــق وافهمـــا
ثالثهـــا عن سيبويـــه نقـــلا وهـــو الاصح عنـد جل النبـــلا

---

(388) ضمنه شطرا من ابيات **الخلاصة** لابن مالك، يقع في باب الترخيم منها، وقبله :

ترخيمـــا احـــذف اخير المنـــادى كياسعـــا فيمـــن دعـــا سعـــادا

وأنشدني في الافعال التي تفيد الظن واليقين من كلام ابن مالك [389] :

اربعـــة هي بمعنـــى علمـــا   رأى ، تعلم ، ووجد ، درى ، افهما
ومـــا سواه فبمعنـــى الظـــن   فافهـــم هداك اللـــه هذا الفـــن

وأنشدني :

وهـــاك ما بمعنـــى ظن حسبـــا   عد زعـــم حجـــا كذاك وهبـــا
خلا كذاك مثلهـــا في المعنـــى   لا غيـــر هذا فافهمـــن ما قلنـــا

وأنشدني :

دعاني الغواني عمهـــن ، وخِلْتُنِـــي   لِيَ اسم ، فلا أدْعَى به وَهْـــوَ أولُ

وأنشدني لعمه ابي فارس عبد العزيز :

الظـــن تجويـــز الفتـــى أمريـــن مَعْ   رجحـــان واحـــد لديـــه أن يقـــعْ
فالطـــرف الراجـــح ظنـــا يسمـــى   والطرف المرجـــوح يدعـــى وهمـــا
والشك تجويزهمـــا علـــى السوا   عنـــد المجـــوز فحقـــق ما حوى

وأنشدني :

وكنـــا حسبنـــا كل بيضاء شحمـــة   عشيـــة لاقينـــا جذامـــا وحميـــرا

---

(389) انظر ترجمته عند ج. السيوطي، **بغية الوعاة**، 1 : 130 — 137 رقم 224، وم. بن شاكر، **فوات الوفيات**، 3 : 407 — 409 رقم 472، وأ. المقري، **نفح**، 2 : 222 — 133 رقم 144، وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 7 : 111.

وأنشدني :

(لقد هُزِلَتْ حتى بدا من هُزَالِهَا كُلَاها وحتى سامها كُلُّ مُفْلِسِ)
وقُدِّمَ للتدريس كُلُّ مُهَوَّسٍ بَليدٍ يسمى بالفقيه المدرس [390]

وأنشدني

(قد قيل ما قيل ، ان صدقا ، وان كذبا فما اعتذارك من قول اذا قيلا ؟)
ومن تعرض للقول القبيح فقد قَوَّى الظنون وان كانت أباطيلا [391]

الا ان هذا البيت الاخير ليس هو بتال للاول وانما هو تلوه وبدله في الحكم المنظومة .

---

(390) البيتان معهما ثالث على الترتيب الآتي :

تصدر للتدريس كل مهوس بليد تسمى بالفقيه المدرس
فحق لأهل العلم أن يتمثلوا ببيت قديم شاع في كل مجلس
« لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس »

والثالث منها قديم، وهو تضمين في الشعر.
وتنسب الابيات في بعض المصادر لابي حيان النحوي، كما نسبت في مصادر اخرى الى ابي الحسن علي بن محمد الفالي، المتوفى سنة 448 هـ.
ومن هذه المصادر :
بهاء الدين العاملي في **الكشكول**، ص 702.
والعبدري في **الرحلة المغربية**، 70، اذ قال :
« وأنشدني ايضا قال : أنشدني أبو عمرو بن الشقر، عن احمد السلفي، عن الخطيب أبي زكرياء يحيى بن علي التبريزي، عن أبي الحسن علي بن محمد الفالي لنفسه وهو بالفاء اخت القاف واللام المشددة كذا وجدته بخط ابن شقر ومنه نقلت السند والشعر. تصدر للتدريس..... » .
وم. السراج، **الحلل السندسية**، الجزء الاول، القسم الاول، 267.

(391) البيت الاول من قطعة أنشدها النعمان، مطلعها :

شرد برحلك عني حيث شئت ولا تكثر علي ودع عنك الاباطيلا
فقد ذكرت بشيء لست ناسيه ما جاورت مصر أهل الشام والنيلا

انظر القصة في **الاغاني**، 15 : 295 في ترجمته لبيد.

اذا شاب الغـراب أتـيت أهلـي ... وصار القـارُ أبـيضَ كالحلـيب
عَسَى الكـرب الـذي أمسيت فيـه ... يكـون وراءة فرج قريب (392)

وأنشدني :

ولو سئل الناس التـراب لأوشكـوا ... اذا قيـل هاتوا أن يملوا ويمنعوا (393)

وأنشدني لعلي :

في أي يومـيَّ من المـوت أفِـرّْ ... أيـوم لَمْ يُقْـدَرَ أم يوم قُدِرْ ؟ (394)

وأنشدني :

اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد ... اليـه بوجـه آخر الدهـر ترجـع (395)

وأنشدني :

لتقعـدنَّ مقعـد القصـي ... منـي ذي القـاذورة المقلـيّ
أو تحلفـي بربك العلـيّ ... أنـي أبـو ذيـالك الصبـي (396)

---

(392) في البيتين اقواء، ويروى الشطر الثاني من البيت الاول هكذا :

وصار القـار كاللبـن الحليب

ويروى برفع الباء من الحليب على القطع والبيت من شواهد النحو.
(393) البيت من شواهد النحو في باب افعال المقاربة.
(394) انظر ديوان على بن أبي طالب، 54.
(395) البيت من شعر معن بن أوس.
وهو آخر قطعة مطلعها :

لعمـرك ما أدري واني لا وجـل ... على أينـا تغـدو المنيـة أول

انظر الحماسة.
ملاحظة :
بالحماسة (تقبل) بدل (ترجع)، وهو الذي يناسب قافية الشعر.
(396) يتكرر ذكر البيتين في شروح شواهد النحو، باب أسماء الاشارة.

وأنشدني جوابها شيخنا ابو راشد :

ما مسنـــي بعـــدك يا صفيّـــي غيـــر امرئيـــن من بنـــي عديّ
وآخريـــن من بنـــي بَلِـــيّ وستـــة كانـــوا مع الطـــوي
وخـــمسة جاؤوا مع الـــعشي وغيـــر تركـــي ونصرانـــي [397]

وانشدني :

واحكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت الـــى حمـــام سراعٍ وارد الثَّمَـــدِ
يَحُفُّـــهُ جانبـــا نِيـــقٍ وتتبعـــه مثل الزجاجة لم تكْحَلْ من الرمـــد
قالت الا ليتمـــا هذا الحمـــام لنـــا الـــى حمامتنـــا ونصفـــه فَقَـــدِ
فَحَسَبُـــوه فألفـــوه كمـــا حسبت تسعا وتسعين لم تنـــقص ولـــم تزد
فكمـــلت مائـــة فيهـــا حمامتهـــا وأسرعت حِسْبَةً في ذلك العـدد [398]

وما افادنيه اكثر من هذا ، ولو تتبعته لطال الكتاب جدا والله الموفق للصواب .

وممن أخذت عنه الفقيه مبارك بن علي بن ابراهيم الجزولي ، الرجل المسن ، التارختي [399] ، شاركت فيه اشياخنا المتقدمين كالحميدي والزموري وغيرهما ، وقراءته لخليل بصورة المسألة فقط كعادة اهل مصر والمشرق ، وحدثني شيخنا ابو راشد ان قراءة الزقاق

---

(397) من باب الالف اللينة مادة (ذا)، وانظره ايضا في شواهد النحو باب الاشارة.

(398) الأبيات للنابغة الذبياني من قصيدته التي مطلعها :

يا دار ميـــة بالعليـــاء فالسنـــد أقوت وطال عليهـا سالـف الأبـد

انظر **ديوانه**، 14 — 16.
وقد علق الاصمعي على أبيات النابغة بقوله : « هذه زرقاء اليمامة نظرت الى قطا وارد في مضيق الجبل فقالت : يا ليت هذا القطا لنا ومثل نصفه معه الى قطاة أهلنا فيكمل لنا مائة قطاة، فاتبعت وعدت على الماء فاذا هي ست وستون. قال أبو عبيدة : رأته من مسيرة ثلاثة أيام، وأرادت بالحمام : القطا، فقال ذلك » .
انظر الدميري، **حياة الحيوان**، 1 : 257.

(399) انظر ترجمته عند أ. المنجور، **فهرس**، 78 — 79، وأ. بن القاضي، **جذوة**، 1 : 334 رقم 349، **لقط الفرائد**، 311، وأ. بابا، **نيل**، 343، وم. القادري، **نشر**، 1 : 46 — 48.

وسيدي علي بن هارون كانت كذلك ايضا ، فهي افيد لطالب العلم — نفعهم الله بقصدهم — توفي — رحمه الله تعالى — في شوال سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة (400) .
دخل مدينة فاس سنة ثلاث وأربعين (401) وهي سنة ابي عقبة (402) ، اخذ بفاس عن ابي مالك الونشريسي ، وببلاد السوس عن أبي علي الحسن بن عثمان الجزولي المعدود في مشيخة والد مولانا فيما تقدم .

---

(400) شوال سنة 982 هـ، يقابله يناير — فبراير من سنة 1575 م.

(401) 943 هـ تقابلها 1536 م.

(402) بوعقبة : احد مشارع وادي العبيد بتادلا، يشير ابن القاضي بذلك الى المعركة التي وقعت على هذا النهر. وهي من أعظم المعارك التي جرت بين الوطاسيين والسعديين، ولعظمها ظلت العامة تتحدث بها في أنديتها مدة طويلة، وتبالغ في وصفها، كما نظمها الشعراء في ازجالهم الملحونة وبقوا يحفظونها فيما بينهم (قصيدة الحربي لابن عبود الفاسي). وقد تعددت الروايات فيما يتعلق بهذه المعركة. ويبدوا ان المعركة جرت كما يلي : لما عظم أمر السعديين بحوز مراكش وأصبحوا يهددون دار الملك بفاس نهض اليهم السلطان ابو العباس الوطاسي أواخر سنة 942 هجرية ولما سمع ابو العباس السعدي بذلك نهض هو ايضا ومعه قبائل الحوز بجيش بلغ تعداده سبعة آلاف فارس ومائتين من حملة المكاحل بينما بلغ عدد الجيش الوطاسي ثمانية عشر الف فارس وألف من حملة المكاحل وثمانية عشر من مدافع الميدان، وكان نزول الجيش بمشرع بوعقبة، ولم يكن يفصل بينهما الا وادي العبيد، وكان كل من الخصمين ينتظر أن يجتاز الوادي اليه خصمه ليتمكن من ضربه بعنف والحاق افدح الخسائر به نظرا لعمق النهر ووعورته، وبعدما ظل الجيشان المتعاديان يرمي احدهما الآخر ثلاثة ايام، قرر سلطان فاس — بناءا على رأي قواده — أن يجتاز النهر الى خصومه السعديين، فقسم جيشه الى ثلاثة أقسام :
القسم الاول اسند قيادته الى احد اولاده معززا اياه بالسلطان أبي عبد الله بن الاحمر آخر ملوك المسلمين بالاندلس، والثاني اسند قيادته الى صهره مولاي ادريس معززا اياه بعامله العطار، واحتفظ لنفسه بقيادة القسم الثالث، وكان معه كثير من القواد والوجهاء. وقد اجتاز النهر ابو عبد الله بن الاحمر بطليعة الجيش الوطاسي، واجتاز المصاعب التي واجهته حتى انتهى الى السهل وزحزح بعض رماة المكاحل السعديين عن مراكزهم، لكن السعديين سرعان ما كروا عليه، وكانوا قد قسموا جيشهم الى فرقتين : فرقة الرماة بقيادة محمد الشيخ امير سوس، وفرقة الفرسان بقيادة احمد الاعرج امير مراكش، وردوا الوطاسيين على الاعقاب، وقتل ابن السلطان وعدد من الرؤساء، وارتبك الوطاسيون وأخذوا يرمون بأنفسهم في النهر وبأمتعتهم محاولين النجاة، فغرق اكثرهم، وامتلأ النهر بجثتهم وجثث الخيل، كما توفي ابو عبد الله بن الاحمر من تأثير هذه المعركة ايضا.
اما ابو العباس الوطاسي الذي لم يكن في مقدوره ان يعيد النظام الى جيشه فقد فر تاركا في الميدان ابنه وعددا من قواده وامتعته ونساءه، والتجأ الى تادلا قبل ان يلتحق بفاس.
ولم تكن هذه الهزيمة هزيمة كلية بالنسبة للوطاسيين، بل ظلت القوات متكافئة بين الطرفين رغم الخسائر التي لحقت بالوطاسيين، وهكذا فقد عقد صلح بين الوطاسيين والسعديين، هو المعروف بصلح بوعقبة، في نفس السنة قسم المغرب بمقتضاه الى شمال للوطاسيين وجنوب للسعديين.
وقد خلد هذه المعركة المؤرخ المعاصر محمد الكراسي في منظومته التاريخية بأبيات منها : =

هؤلاء مشيختي من أهل فاس — وأما من شاركنا فيهم ، فجماعة من طلبة العلم ، فمنهم ابن عمنا قاسم بن محمد بن قاسم بن علي بن العافية ، الشهير بابن القاضي المكناسي (403) ، نسبة الى قبيلة مكناسة . وأما مكناسة الزيتون فبشرذمة من أجدادنا سميت مكناسة من باب تسمية المحل باسم الحال ، لانها لما ان نزله طائفة منا ، وهم من مكناسة ، سميت مكناسة (404) ، هكذا حدثني شيخنا ابو راشد . وقاسم هذا نحوي ، فرضي ، حيسوبي ، فقيه ، استاذ ، وهو اكبر مني سنا لاني ولدت سنة ستين في جمادى الاولى منها (405) وهو سنة تسع وخمسين (406) ، له شرح مفيد على **الفية ابن مالك** انتفع به كثير من الطلبة ، وآخر على **الجرومية** ، ما في اصحابنا الفاسيين اليوم احفظ منه لعلل (407) النحو والتصريف ، آخذ فيما يعنيه[ومقبل](408) عليه ، معروف بقول الحق .

= **وبعد ذا صال امام فاس — وكان حاركا بكل الناس**
ولم يدع في العرب من ملجوم — وادي العبيد الحد المحتوم
وجد في العدوة جند الشرفا — وجيشهم وراءهم قد صففا
يشبه في عدده النجوما — والبحر في امواجه قدوما

انظر :

محمد الكراسي، **عروسة المسائل**، 32 — 39

ابن القاضي، **لقط الفرائد**، 295، درة، 2 : 163.

م. الافراني، **نزهة**، 20 — 21

المؤرخ المجهول، **تاريخ الدولة السعدية**، 8

أ. الناصري، **الاستقصاء**، 4 : 153 — 154

م. القادري، **نشر**، 1 : 152

والمؤرخ الاسباني المعاصر :

Marmol Carvajal, l'Afrique, 2 : 182.

(403) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **لقط الفرائد**، 303، وم. بن مخلوف، **شجرة**، 1 : 297 رقم 1149، وعبد العزيز بن عبد الله، **الموسوعة المغربية**، 2 : 88.

(404) انظر المزيد من الايضاح عند أ. بن غازي، **الروض الهتون**، مواضع متفرقة.

(405) جمادى الاولى سنة 960 هـ يقابله ابريل — ماي سنة 1553 م.

ملاحظة :

يؤكد ابن القاضي في كل مصادره على انه ولد سنة 960 هـ، كما يؤكد ذلك معاصروه أو الذين أتوا بعده،لكن نلاحظ انفراد النسخة المطبوعة من **اللقط** بسنة 962 هـ (ص : 305)، ونعتقد ان هذا تحريف واضح من الناسخ، وأن هذه الترجمة وضعت في غير مكانها، وقد أحسن صنعا أستاذنا الدكتور محمد حجي عندما وضع الترجمة بين قوسين، كما أكد في الهامش أن هذه الترجمة لا توجد في مخطوطتي م. غ بالرباط وفاس، فالصواب هنا اذن مع نسختي م و ع من **اللقط**.

(406) 959 هـ تقابلها 1552 م

(407) بالاصل : (بعلل).

(408) بالاصل : (قابل).

وأنشدني في الافعال التي هي على حرف واحد ، وقد جمعها (409) قول بعضهم :

انـي أقول لمـن ترجـى وقايتـه : قِ المستجيـر قيـاه قوه قي قينـا
وان هم لم يعوا قولي اقول لهم : عِ القول ويك عياه عوه عي عينا
وان وشى غير ثوبي قلت في ضجر : شِ الثوب ويك شياه شوه شي شينا
وان صرفت لوال شغل آخر قل : لِ الأمر ويك لياه لوه لي لينا
وان قتلت امرءا يوما على خطأ ، دِ من قتلت دياه دوه دي دينا (410)

وأنشدني في موانع الصرف :

عدل ووصف وتأنيث ومعرفة وعجمة ثم جمع ثم تركيب
والنون زائدة من قبلها ألف ووزن فعل وهذا القول تقريب

ومنهم ايضا في ابي العباس ابو عبد الله محمد بن احمد الجنان الأندلسي (411) ، طالب مطبوع ، له فهم جيد في المسائل ، معقولي ، نحوي ، فرضي ، عددي ، ولا له نظم ، حدثني انه لا يقدر على عقد بيت واحد ، عاقل لبيب ، متعفف ، مقبل على ما يعنيه ومنكب على أشغاله .

ومنهم ابو زيد عبد الرحمان بن عبد العزيز بن عبد الرحمان بن ابراهيم الدكالي المشنزائي ، فقيه ، مطبوع ، معقولي ، بياني ، أديب ، ناظم ناثر ، ولد في يوم الجمعة خامس عشر محرم عام تسعة وستين وتسعمائة (412) ، انشدني لنفسه اجازة قصيدته التي قام بها بين يدي مولانا في ميلاد ثمانية وتسعين وتسعمائة التي مطلعها :

---

(409) بالاصل : (جمع).

(410) هناك عشرة افعال ثلاثية يأتي الأمر مِنْهَا على حرف واحد، وهي : وأدى، ودى، ولي، وني، وعى ، وفى، وقى، وشى، وَهَى، رأى.
ونظمها ابن مالك في عشرة أبيات، والأبيات الخمسة التي أوردها ابن القاضي هنا من جملة ما نظمه ابن مالك.

(411) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 2 : 236 رقم 693، وع. الحي الكتاني، **فهرس الفهارس** ، 1 : 220.

(412) 15 محرم عام 969 هـ يوافق 29 شتنبر عام 1561 م.

مهمـا تذكـرت النـدى والنـادي يهتـز من طرب اليـه فؤادي

ومنهم ابو عبد الله محمد بن احمد بن محمد ، عرف بابن عزيز التجيبي الاندلسي (413) ، ولد سنة ست وخمسين وتسعمائة ، فقيه صرف ، ويشارك في النحو والادب .

ومنهم ابو الحسن علي بن [عبد الرحمان بن] عمران السلاسي (414) ، وله فهم جيد ، مشارك في الفقه والنحو والمعقول ، الا انه لا يقول الشعر ، وانشدني يوما ببستان مولانا المعروف بصهريج المنارة بشعبان عام خمسة وتسعين [وتسعمائة] :

سقانـي خمـرة من ريـق فيـه وحيـا بالعـذار ومـا يليـه
وبـات معانقـي خدا بخـد غزال في الأنـام بلا شبيـه
وبـات البـدر مطلعـا علينـا سَلُـوهُ لا ينـم علـى أخيـه (415)

ومنهم أبو علي الحسن بن محمد الدرعي (416) ، رجل عاقل ، فاضل متقشف ، فقيه نحوي ، معقولي استاذ .

وأنشدني لابن مرزوق :

ومـا حوى من القضايـا لا كذا مركبـا أو خص امكانـا خُذَا
ومـا عرى عن ذيـن فالبسيـط فادع لمـن قرب يا نشيـط

والشيء يذكر بالشيء ، ومما لفقته في معرفة الكم والكيف :

يا سائـلا طبعـه للعلـم منحـرف وقلبه باصطـلاح النـاس مشغـوف
الكـم كليـة جزئيـة ذكـروا والكيـف بالسلب والايجـاب موصوف

(413) انظر ترجمته عند أحمد بن القاضي، درة، 2 235 — 236 رقم 691.
(414) انظر ترجمته عند ابراهيم الكلالي، تنبيه، 252، وأ. المقري، روضة، 332 — 335، وأ. بن القاضي ، درة، 3 : 255 — 256 رقم 1296، وم. العربي الفاسي، مرآة، 80 و 162، وم. الافراني، صفوة، 137، وم. حجي، الحركة، 2 : 486 — 487.
(415) انظر قصة انشاد هذه الابيات عند ابن حجة الحموى، ثمرات الأوراق، 49 — 50.
وشعبان من سنة 995 هـ يوافق يوليوز — غشت من سنة 1587.
(416) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، درة، 1 : 242 رقم 362.

ومنهم أبو حفص عمر بن عبد العزيز الحطاب الزرهوني (417) ، طالب ذكي ، فطن ، اديب ، نحوي ، فقيه ، وله نظم رائق مطبوع ، ومن نظمه مضمنا :

فكم خاف جسمي ما به فعل الهوى | وكم جال طرفي في هواه على حَذَرْ
اذا بدواعي الحب هاجت بلابلي | فانشأت والقلب المعذب في سقر
اخاف سطاه وهو ذخرى وعدتي | ومن عجب شيء يخاف ويدخر

ومنهم أبو علي الحسن بن مهدي الزياتي ، أديب أريب ، نحوي ، فقيه .

ومنهم ابو عبد الله محمد بن مهدي الزياتي ، نحوي ، محقق .

ومنهم ابو زيد عبد الرحمان بن احمد بن محمد بن عثمان المكناسي (418) ، فقيه نحوي ، ومن نظمه ما انشدنيه :

رفقا على القلب اذ في القلب سكناك | وارع ذمامي فان الله يرعاكا
وارفق بطرف كئيب أنت ناظره | قد طال ما شهدت عينيه عيناكا
وعامل الجسم بالاحسان يا أملي | اذ هو مأوى لقلب هو مأواكا
واعكس ظنون أناس طال ما زعموا | قطعك عني وذاك الظن حاشاكا

وله من مواليا :

قاسوا الذي هد قلبي بتجافيه | فالبدر هيهات ما في البدر ما فيه
وبي بخديه ورد قلت أقطفه | قالوا : فان سهام العين تخفيه

وأنشدني :

يا ناصبا علم الحساب حِبَالَةً | ليصيد ظبيا ساحر الألباب
ان كنت ترزق بالحساب وصاله | (فالله يرزقنا بغير حساب) (419)

---

(417) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، درة، 3 : 206 رقم 1205.
(418) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، درة، 3 : 100 رقم 1031.
(419) اقتباس من قوله تعالى ﴿ والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ ، الآية 38 من سورة النور.

ومنهم ابن عمنا اخو قاسم المذكور : عبد العزيز بن محمد بن ابي العافية الشهير بابن القاضي (420) ، فقيه صرف .

أنشدني للمعري :

اذا كنت تبغي العيش فابغ توسطا فعند التناهي يقصر المتطاول
تُوَقَّى البدور النقص وَهْيَ أَهِلَّةٌ ويدركها النقصان وَهْيَ كوامل (421)

وأما مكناسة الزيتون ، فأخذت بها الحساب والفلك على ابي سالم ابراهيم بن الاكحل السويدي (422) داهية الانسان ، وفيلسوف الزمان ، له عقل لفهم المسائل ثاقب ، وعلى الحق والصواب ناقب ، له قدم راسخ في التعديل والهيئة ، ما أظن ان احدا في زماننا اليوم يصله . حدثني شيخنا ابو العباس المنجور انه اخذ عنه علمه وقال لي : كانت المسائل في فنه تشكل على محمد الصغير بن الحاج ، ويوجهها له ويقول : السويدي لها ، أو كلاما يقرب من هذا . وهو في غاية التقشف والزهد حتى إن الناس من كثرة زهده نسبوه الى صنعة الكمياء ولا أصل لما نسبوه اليه .

وممن شاركنا في أبي راشد من أهل مكناسة ابو عبد الله محمد بن محمد الغماري الملقب العربي (423) عاقل ، فقيه ، نحوي ، فرضي ، ولا خلطة له بالادب اصلا .

ولنذكر من لقيناه بمصر والحرمين ، وبلاد الترك ، وبلاد المغرب الأوسط وغيره .

ولنبدأ بأشياخي من أهل الديار المصرية ، والقاهرة المعزية .

فمنهم شيخنا ابراهيم بن عبد الرحمان بن علي بن ابي بكر العلقمي النجار ، المصري الدار ، فقيه شافعي المذهب ، أعلى راوية سندا في زماننا اليوم ، واضبط حافظ للحديث في

---

(420) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، درة، 3 : 132 رقم 1078.

(421) البيتان من القصيدة السقطية التي مطلعها :

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل عفاف واقدام وحزم ونائل

(422) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، درة، 1 : 202 رقم 278.

(423) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، درة، 2 : 236 رقم 692، جذوة 1 : 327 رقم 347، لقط الفرائد، 318.

وقتنا ، أديب مطبوع ، عالم نحرير ، اصولي ، اجازني في البخاري والحديث وألفية العراقي ، وغير ذلك في الحديث ، ما رأيت مثله في حل اشكال معارضات الحديث ولا احفظ منه باللغة ، ولقد ضاعت مني اجازته التي أجازني بها بخطه في حال محنتي ، وهي اليوم بيد الكفرة ـــ دمرهم الله تعالى وأخزاهم ـــ .

وأنشدني في ذي القعدة سنة ست وثمانين وتسعمائة (424) بداره من القاهرة المعزية من الديار المصرية :

وشاكية للبين قلت لها : اقصري ... فللموت خير من حياة على فقر
سأطلب علما أو أموت ببلدة ... يقل بها وقع الدموع على قبري
وليس طِلاب العلم يا نفس فاعلمي ... لميراث آباء كرام ولا صهر
ولكن لقَى اللذات من راح واغتدى ... ليطلب علما بالتجلد والصبر
فان نال علما عاش في الناس سيدا ... وان مات قال الناس بالغ في العُذر
اليس من الخسران ان لياليا ... تمر بلا نفع وتحسب من عمري (425)

وأنشدني [لعبد الملك بن حبيب] (426) :

أحب بلاد الغرب والغرب موطني ... الا كل غربي الي حبيب

وهو يأخذ عن الشيخ عبد المجيد السامولي ، وعن الشيخ عبد الحق السنباطي (427) ، وعن ابن حجر ، ويروي عن اخيه محمد بن عبد الرحمان (428) الذي [شرح] الجامع

---

(424) ذو القعدة سنة 986 هـ يوافق دجنبر / يناير 1578 ـــ 1579.

(425) انظر الابيات عند أ. بن القاضي، **درة**، 1 : 204.

(426) بالاصل للباجي، وهو تصحيف، اذ البيت من قصيدة لعبد الملك بن حبيب.
انظر ترجمته عند أ. بن فرحون، **الديباج**، 2 : 8 ـــ 15 رقم 2، والمصادر بالهامش من الصفحة 8 من نفس المصدر.
وانظر القصيدة أيضا عند لسان الدين بن الخطيب، **الاحاطة**، 3 : 548 ـــ 552.

(427) انظر ترجمته عند شمس الدين السخاوي، **الضوء**، 4 : 37 ـــ 39 رقم 117، ونجم الدين الغزى، **الكواكب**، 1 : 221 ـــ 223، وابن العماد، **شذرات**، 8 : 179.

(428) انظر ترجمته عند نجم الدين الغزى، **الكواكب**، 2 : 41، وابن العماد، **شذرات**، 8 : 338 ـــ 339 .

[**الصغير**] (429) للاسيوطي وغيره ، وطريقه في الحديث ايضا من جهة الحجار شيخ ابن حجر في شيخه ابن حجر يوازي القاضي زكرياء الانصاري تلميذ ابن حجر لانه يتابع ابن حجر في شيخه ، فالمتابعة بينه وبينه في ابي العباس الحجار ، واما من طريق ابن حجر فيروي عن اخيه ، عن زكرياء الانصاري ، عن ابن حجر ، وهو ذو سن عالية ــ ابقى الله وجوده للمسلمين بمحمد وآله ــ .

ومنهم الشيخ سالم بن عبد الله السنهوري (430) ، الفقيه المالكي ، اخذت عنه **ألفية العراقي** في علم الحديث ، وهو فقيه وأصولي ، معقولي ، نحوي ، يروي الحديث عن نجم الدين الغيطي ، عن زكرياء الانصاري ، عن ابن حجر ، والفقه عن الشيخ الصالح الصوفي ، الزاهد الناسك ، بركة الناس : سيدي ابي عبد الله محمد البنوفري (431) ، المتوفى سنة ثمان وتسعين وتسعمائة في صفر (432) .

ومنهم الشيخ منصور المنوفي (433) ، اخذت عنه شيئا من **الفية العراقي** ، و **التصريف العزي** (434) ، وغير ذلك من الحديث والسير .

---

(429) بالاصل : (... الذي ألف الجامع بين الصحيحين)، وهو تحريف والصواب ما أثبتناه.
وقد تراجع المؤلف عن خطئه في **درة الحجال**، 1 : 203.
واسم هذا الشرح الكامل هو : **الكوكب المنير، شرح الجامع الصغير**، ويوجد مخطوطا بالتيمورية، ودار الكتب المصرية، وبالاسكوريال.

(430) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 3 : 314 رقم 1413، والمحبي، **خلاصة الاثر**، 2 : 204، ومحمد بن مخلوف، **شجرة**، 1 : 289 رقم 110، وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 3 : 116.

(431) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 2 : 230 رقم 683، **لقط الفرائد** 322 ــ 323، ونجم الدين الغزى، **الكواكب**، 3 : 82، وم. بن مخلوف، **شجرة** : 281 رقم 1058، والمؤلف المجهول، **طبقات المالكية**، 461 ــ 462.

(432) صفر 998 هـ يوافق دجنبر ــ يناير 1589 ــ 1590 م.

(433) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، 3 : 10 رقم 894.

(434) هو : عبد الوهاب بن ابراهيم بن عبد الوهاب الخزرجي الزنجاني (توفي سنة 655 هـ / 1257 م)، من علماء العربية.
وكتابه المذكور هنا في مبادىء الصرف، وهو مطبوع.
انظر ترجمته عند ج. السيوطي، **بغية الوعياة**، 2 : 122 رقم 1597، وحاجب خليفة، **كشف**، 2 : 1139، ويوسف سركيس، 1 : 977، وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 4 : 330.

وممن لقيته بها واخذت عنه الشيخ الشريف ابو عبد الله محمد بن محمد بن ابي الخير الشريف الميقاتي (435) ، المعروف بالطحان ، أخذت عنه كتاب **المجسطي** (436) في الهندسة ، **والجغميني** (437) في **الهيئة** فقيه مالكي ، منطقي ، له كيس ونباهة ، يصنع بيده الربع المُجَيَّب وغيره من آلات الميقات .

وممن لقيته بها من طلبة العلم : الشريف ابو يعقوب يوسف بن محمد الزرقاني (438) ، طالب مطبوع ، أديب ، فمما أنشدني :

حلفت ليلى يمينا أنها — في ميادين التجني تمرح
حرمت ليلى علينا وصلها — ليتها بالطرف يوما تلمح
حَمَّلَت قلبي تباريح الجوى — وغدت ليلى ببحر تسبح
حبست قلبي بسجن ضيق — ثم قالت لي : تسلي تفلح

وأنشدني :

بالله يا قلب أما قلت لك — اياك أن تهلك فيمن هلك !
حركت من نار الهوى ساكنا — ما كان اغناك وما أشغلك !
وأنت يا ورد بخديه كم — تشرب من قلبي وما أذبلك ! (439)
.... — **..........................** **عدلك** (440)
مولاي حاشاك تُرى غادرا — ما أقبح الغدر وما أجملك !

---

(435) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 2 : 104 رقم 538.

(436) المجسطي Al Mageste ومعناها الاكبر. أقدم كتاب في الفلك وصل الينا للمفكر والجغرافي اليوناني المشهور بطليموس Ptotémé، وقد عربه عن اليونانية حنين بن اسحاق المترجم المشهور، المتوفى سنة 620 هـ. انظر أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 2 : 217 — 218، وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 2 : 325، وحاجي خليفة، **كشف**، 1594.

(437) انظر ترجمته عند حاجي خليفة، **كشف**، 2 : 1819 — 1820، واسماعيل البغدادي، **هدية العارفين**، 2 :410، وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 8 : 59 — 60.
وكتاب الجغميني في الهيئة ترجم الى الالمانية، ونشر في مجلة جميعتها الشرقية.

(438) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 3 : 353 رقم 499.

(439) يوجد مكان هذا البيت **بدرة الحجال**، 3 : 353،ما يأتي :

ولي حبيب لم يدع مسلكا — يشمت بي الاعداء الا سلك

(440) بياض بالاصل.

وأنشدني مواليا :

رأسي صدَّعها الهوى يا مهجتي قاس   قاسي كساني الضنى افديه من كاسي
كاسي سقوه لغيري عمـــدا لا ناسي   ناسي غدوا عدت في بحر الهوى راسي

وانشدني منه :

لماَ رحلتم عقـود الصبـر حليتـم   وفي صميم الحشا والقلب حليتـم
ما ضركم لو لمـر العيش حليتـم   عندي حرام وعنـد الغيـر حليتـم

وايضا مواليا :

يا سيـــدي هل بما أو ربما أو ما   تأتي صباحـا وتـأتي مؤنسي يومـا
يامن بسيف اللحـاظ عن قتلي او ما   صف لي ترى دمعتي هل دمي اوما [441]
رحنا بليلي وحاجـر يا حداة الارض   صبنا الظبي في محاجن يقطعون الطرح (كذا)
سحبوا علينـا خناجـر السنتها زرق   رحنا بطعن الخناجر في دمانا غرقا (كذا)

وان اختصرته كان :

رحني بليلى وحاجر صبنـا الظبـى   في محاجر رحني بطعن الخناجر (كذا)

وأنشدني في مليح :

[علـــة] [442] عمت وخصت   في حبـــيب ومـــحب
دب في كفيـــــه ما من   حبـــه دب بقلبـــي
فهـــو يشكـــو حر حَبّ   واشتكائـــي حر حُـــبّ

---

(441) البيت مختل عروضا.
(442) بالاصل : (بلواه) ويختل معها الوزن، والتصويب من ديوان الوأواء الدمشقي، ص 57.

وممن لقيته بها من الطلبة ايضا ، أبو عبد الله الدمياطي (443) الحنفي ، طالب مطبوع ، أنشدني في مليح سقطت شمعه على فيه وأحرقته في شفته :

أتـــدرون شمعتنـــا من هوت ومـــالت الـــى ذا الـــرشا الأكحـــل
درت أن لي فيـــه من شَهْدِهَـــا فمـــالت الـــى طبعهـــا الاول

ومن لقيته بها الشيخ محمد المأموني (444) ، منطقي ، مالكي ، نحوي ، تصريفي .

ومنهم ابو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله الغزي ، بياني ، نحوي أديب .

ومنهم ابو عبد الله محمد بن عبد الحق السنباطي .

ومنهم الشيخ صالح البلقيني (445) ، امام معقولي ، منطقي ، مقبل على ما يعنيه .

ومنهم الشيخ محمد البنوفري .

والشيخ ابو عبد الله البكري .

ومنهم ابو عبد الله محمد بن الطبلاوي (446) .

والشيخ ابو عبد الله الرملي (447) .

وممن أخذت عنه شيئا من المحادي (كذا) على **الفية** ، لابن هشام (448) : الشيخ محمد النجراوي الحنفي ، فقيه ، نحوي ، لغوي ، استاذ .

وممن أجازني ايضا في الحديث ابو الحسن نور الدين علي بن احمد بن علي الانصاري القرافي الشافعي ، وأجازني بفاتحة الكتاب بسند قريب من طريق الجان ، عنه عن

---

(443) انظر ترجمته عند المحبي، **خلاصة الأثر**، 4 : 270 — 271.

(444) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 2 : 74 رقم 516.

(445) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 3 : 32 رقم 929، والمحبي، **خلاصة الأثر**، 2 : 237.

(446) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 2 : 229 رقم 678، **لقد الفرائد**، 320.

(447) انظر اجازة أبي عبد الله الرملي لابن القاضي مؤرخة ب 1003 هـ في فهرسه **رائد الفلاح**، مخطوط غير مرقم.
وانظر ترجمة الرملي عند م. القادري، **نشر**، 1 : 56 — 57.

(448) لعله يقصد كتاب ابن هشام : « **أوضح المسالك، الى ألفية ابن مالك** ».

التتائي [449] عن برهان الدين اللقاني [450] عن سليمان معلم أولاد الجان ، عن القاضي شمهروس الاحمر ، عن النبي ﷺ ، برواية ابي عمرو بن العلاء ، بمد مالك .

وانشدني :

ما للشتـــــا الا الفــــــرا من لم يصدق يشتــــــــــر

وأجازني فيها بخطه، وقد ضاع من محنتي، وكانت بيدي نسخة منه، اجزت بها ابن عزيز بفاس ، وإن سهل الله اللقاء معه آخذها ، وهذا محلها ــ ان شاء الله تعالى ــ ، ونص الاجازة من خط الامام المذكور : « الحمد لله العظيم الأمجد ، والصلاة والتسليم على اشرف العالمين احمد ، وعلى آله وأصحابه واتباعه واحزابه على الدوام سرمد .

وبعد ، فقد قرأ علي المولى الاجل ، العالم العلامة : ابو العباس احمد بن مولانا ابي عبد الله محمد بن القاضي المغربي ، الفاسي ــ نفع الله تعالى به فاتحة الكتاب المبين ــ ، بقراءتها مني على مولانا قاضي قضاة المالكية بمصر أبي عبد الله محمد التتائي المالكي ، شارح مختصر مولانا الشيخ خليل ، وغير ذلك من كل مؤلف جليل ، بقراءته اياها على شيخه مولانا شيخ مشايخ الاسلام برهان الدين اللقاني المالكي ، بقراءته اياها على الشيخ علم الدين سليمان معلم أولاد الجان ، بقراءته اياها على شمهروس قاضي الجان ، بقراءته اياها على رسول الله ﷺ سيد ولد عدنان ، وسمع ذلك علي بقراءته مولانا احد مشايخ الاسلام ، الشيخ زين الدين ابي بكر الغمري ، وولده النجيب محمد ، وكذا الشيخ العالم العلامة ، زين الدين عبد الرحيم بن عبد الله [451] من أعمال فاس ، واجزت كل من ذكر منهم بها ، وبجميع ما يجوز لي وعني روايته بشرطه المعتبر عند أهل الحديث والاثر في صبيحة يوم الجمعة المبارك حادي عشر ذي قعدة الحرام سنة ست وثمانين [452] ، وكتبه علي بن أحمد

---

(449) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 2 : 162 رقم 634، **لقط الفرائد**، 295، وأحمد بابا، **نيل** ، 335 ــ 336، وم. بن مخلوف، **شجرة**، 1 : 272 رقم 1008، والمؤلف المجهول، **طبقات**، 459، وم . العابد الفاسي، **فهرس**، 437، 445، 414.

(450) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 2 : 153 رقم 631، **لقط الفرائد**، 302، وأ. بابا، **نيل**، 335، وم. بن مخلوف، **شجرة**، 1 : 271 رقم 1006.

(451) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **درة**، 3 : 116 رقم 1054.

(452) 11 من ذى القعدة سنة 986 هـ يقابل 9 يناير من سنة 1579.

ابن علي الانصاري القرافي الشافعي حامدا مصليا مسلما ، انتهى بنصه » .

وممن رويت عنه اشعارا كثيرة ومقطعات : أبو عبد الله الوحداني لأبي نواس :

يا قمـــرا أبصرت في مأتـــم   ينـــدب شجـــوا بيـــن أتـــراب
يبكـــي فيـــذري الـــدر من نرجس   ويلطـــم الـــوردِ بعنـــاب (453)

وأنشدني :

ما برحت يوم وداعـــي لهـــا   تضمنـــي ضمـــة مستـــأنس
حتـــى تثنـــى الـــغصن فوق النقـــا   وانتشـــر الطـــل علـــى النـــرجس

وأنشدني :

وليـــل بتـــه من ثغـــر حِبّـــي   ومـــن كاسي الـــى فلـــق الصبـــاح
أقبـــل أقحوانـــا في شقيـــق   وأشربهـــا شقيقـــا في أقـــاح

وأنشدني للمطوعي (454) :

ومـــعشوق الشمائـــل قام يسعـــى   وفـــي يده رحيـــق كالحريـــق
فناولنـــي رحيقـــا حَشْوَ دُرٍّ   ونُقْلَنِـــي (455) بدر في عقيـــق

وأنشدني لأبي الدر ياقوت الرومي (456) ، الكاتب المستعصمي :

للـــه أيـــام تَقَضّتْ بكـــم   ما كان أحلاهـــا وأهناهـــا
مرت فلـــم يبـــق لنـــا بعدهـــا   شيء سوى أن نتمناهـــــا

---

(453) انظر **ديوان أبي نواس**، 242.
(454) انظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 5 : 215، والمصادر بالهامش 2.
(455) نقّلني : قدم لي النقل، وهو ما يتناول بين فترات الشراب من فاكهة أو لحم.
(456) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 6 : 122 من نفس المصدر.

وأنشدني للصفدي :

سين الثنايا حوتها ميم مبسمه طوبى لمن ذاق منها كاس تسنيم
ومن عجائب وجدي أن بي سقما ما برؤه غير تلك السين والميم (457)

ولأبي الطيب :

وما الحسن في وجه الفتى شرف له اذا لم يكن في فعله والخلائق (458)

وللشريف الرضي :

لا تجعلنَّ دليل المرء صورته كم مَخْبَرٍ سَمِجٍ في منطق حسن (459)

وأنشدني في مدح مصر لزين الدين عمر بن الوردي :

بلاد مصر هي الدنيا وساكنها هم الانام فقابلهم بتقبيل
يا من يباهي ببغداد ودجلتها مصر مقدمة والشرح للنيل

وله :

وأغيدٍ يسألني ما المبتدا وما الخبر ؟
بمثلهما لي مسرعا قلت له : أنت القمر (460)

وأنشدني لشهاب الدين بن عبد الملك العزازي :

ان لم أمت في هوى الاجفان والمقل فواحيائي من العشاق واخجلي
ما أطيب الموت في عشق الملاح كذا لا سيما بسيوف الاعين النُّجُلِ

(457) انظر البيتين عند الصفدي، الغيث، 1 . 78.
(458) انظر ديوان المتبي، 3 :62.
(459) انظر ديوان الشريف الرضي، 2 : 948.
(460) انظر البيتين عند الصفدي، المصدر السابق، 2 : 70.

يا صاحبيَّ اذا مامت بينكما دون الشهين ورد الخد والقبل
فاستغفر الى وقولا عاشق غَزِلٌ قضى صريع القدود الهِيفِ والمقل
رَاشَ الفتورُ له سهما فأخطأه حتى أتيح له سهم من الكَحَلِ
وللعيون اللواتي هن من أسد الى القلوب سهام هن من ثُعَلِ (461)

وأنشدني لابن الساعاتي (462) :

فاضح الظبي اذا الظبي رنا مخجل البدر اذا البدر كَمَلْ
فارسيٌّ ، فاذا خاف سَطا نظرةٍ لاذ بطرف من ثُعَلْ

ولابن تيمية (463) من معاصري الصفدي :

فما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدهر بالدهر الذي كنت أعرف

وأنشدني للحِلّي :

ان لم أزر ربعكم سعيا على الحدق ، فان وديَ منسوب الى المَلَقِ
تبت يدي ان ثنتني عن زيارتكم بيض الصفاح ، ولو سُدَّت بها طُرُقِي (464)

وأنشدني لابن قرناص :

أتى الحبيب مائسا والردف قد أقلقه
يرشق ثم ينثني للـه ما أرشقه

---

(461) انظر الابيات عند الصفدي، المصدر السابق، 2 : 9.
(462) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 3 : 395 — 397 والمصادر بالهامش 478 من الصفحة 395 من نفس المصدر.
(463) انظر ترجمته عند م. بن شاكر، **فوات الوفيات**، 1 : 74 — 80، وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 1 : 140 — 141.
(464) انظر **ديوان صفي الدين الحلي**، 107.

وأنشدني للنور الاسعردي (465) مضمنا :

نديميَ لا تهزأ بمشمولـــــــــــة وان بدا لك منها بهجـــــة وشمائـــــلُ
وراقك منها رقـــــة من قَوامهــــــا ولا حت كشمس أضعفتها الأصائـــل
ولا تغتـــــــــــرر منها بلين فانها (دُوَيْهيةٌ تصفـر منها الأنامـــل) (466)

وأنشدني لبدر الدين حسن بن علي الغَزِّي :

وصفـراءَ حال المَـزْج يصبـغ ضوؤهـــا أكـفَّ النَّدامى وَهْـــيَ في الحال ناصلُ
وتهفـــو بألبـــاب الرجـــال لأنها (دويهيـــة تصفـــر منها الانامــــل)

وأنشدني لأبي الحسن بن الجزار (467) :

وزيـــــــر ما تقلـــــد قط وِزراً ولا دانـــاه في مثـــوى أثـــامُ
وكل فعالـــــه صادات بـــــــــر صلات أو صلاة أو صيـــــــامُ

---

(465) انظر ترجمته عند م. بن شاكر، **فوات الوفيات**، 3 : 271 — 276 رقم 422 وابن العماد، **شذرات**، 5 : 284، وخ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 7 : 257.

(466) في الشطر الثاني من البيت الاخير تضمين، والبيت المضمن :

وكل أنـاس سوف تدخـل بينهـمدويهيـة تصفـر منهـا الانامـل

والبيت من قصيدة للبيد يرثي فيها النعمان بن المنذر.
انظر **ديوانه**، 131.
والدويهية : تصغير للتعظيم أي داهية كبيرة، تصفر الأنامل أي الأظفار وصفرتها لا تكون الا عند الموت.
وانظر الابيات عند الصفدي، **الغيث**، 1 : 46.

(467) انظر ترجمته عند م. بن شاكر، **فوات الوفيات**، 4 : 277 — 293 رقم 571، وابن العماد، **شذرات**، 5 : 364 — 365، وأ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 1 : 198، هامش 1.
وانظر البيتين عند الصفدي، **الغيث**، 1 — 96.

وأنشدني لآخر :

كتـــبت وشينـــات حالي غلبـــن   الى سيـــــد جل عن مشبـــــه
فشوقي اليــــه وشكـــــري له   وشعـــري فيــــه وشغلي به [468]

وللصفدي :

كتــــــــــبت لمولى نأت داره   وسينـــات حالي وقـــوف لديــــه
فسعيـــــــي اليــــه سموي به   سؤالي عنـــه سؤالي عليـــــه [469]

وأنشدني :

كتــــــــــبت ودالات حالي كما   تراهـــا الى سيـــــد لم اخنــــه
دعـــــالي ودمعــــــي ودأبي له   ودادي عليــه وفيــه ومنـــه [470]

وأنشدني لابن نباتة :

ولما جنـى طرفي ريــاض جمالكــم   جعلتم سهـادي في عقوبـة ما جنـى
أأحبابنـــا ان عفتـمُ السَّفْـحَ منــزلاً   وأخلـيتم من جانب الجِـزْع موطنـا
فقــد حزتم دمعـي عقيقـا ومهجتـي   غَضًا وسكنتم من ضلوعي مُنْحَنَى [471]

---

(468) البيتان لابي منصور الثعالبي صاحب **اليتيمة**، انظر **ديوانه**، 147، مجلة **المورد** ــ المجلد السادس ــ العدد الاول، 1397 ــ 1977، بتحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو.
وقد ورد الشطر الثاني من البيت الاول بالديوان، هكذا :

علي لمن جل عن مشبـه

(469) انظر البيتين عند الصفدي، **الغيث**، 1 : 96.
(470) الصفدي، المصدر السابق، 1 : 97.
(471) انظر **ديوان ابن نباتة**، 488. والسفح، الجزع، العقيق، الغضا، المنحنى : من الامكنة التي يكثر الشعراء التغزل بها وبمن يسكنها من الاحبة، وقد أصبحت بالتالي مقترنة بمعنى الحب.

حدثني ان الاصمعي قال : رأيت اعرابيا بمكة يصيح : وا ويلاه ! وا ثكلاه !

فقلت له : ما ثكلك يا اعرابي ؟

قال : تسعة من الذكور في تسعة من الشهور كأنهم البدور .

قلت : لا أخا لك الا قلت في ذلك شعرا .

قال : أجل ، ثم أنشدني :

ألا يزجر الدهر عنا المنونا — فيبقي البنات ويفني البنينا
وكنت ابا تسعة كالبدو — ر قد فقأوا أعين الحاسدينا
فمر على حادثات الزمان — كمر الدراهم بالناقدينا
اضربهم ريب هذا المنو — ن حتى ابادهم أجمعينا
وحتى بكاهم حسادهم — فقد اقرحوا بالدموع الجفونا
وحسبك من حادث امريء — ترى حاسديه له راحمينا (472)

قلت : وقد اتفق لي اعظم مما اتفق للاعرابي ، فقد عضني ناب الدهر في ثلاثة من البنين ، اثنين في يومين ، وثالث بعدهما بشهر ، فانا لله وانا اليه راجعون في مصائبنا .

وأنشدني ايضا لناصح الدين الأرجاني :

سعيي اليكم في الحقيقة ، والذي — تجدون عنكم فهو سعي الدهر بي
أنحوكُمُ ويرد وجهي القهقرى — دهري فسيري مثل سير الكوكب
فالقصد نحو المشرق الاقصى له — والسعي رأيَ العين نحو المغرب (473)

---

(472) الابيات للعتبي، انظر الراغب الاصبهاني، **محاضرات الادباء**، 4 : 530.

(473) وردت الأبيات عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 1 : 153، هكذا :

ما جبت آفاق البلاد مطوفا — الا وأنتم في الورى متطلبي
سعيي اليكم في الحقيقة، والذي — تجدون عنكم فهو سعي الدهر بي
أنحوكم ويرد وجهي القهقرى — عنكم فسيرى مثل سير الكوكب
فالقصد نحو المشرق الأقصى لكم — والسير رأي العين نحو المغرب

وأنشدني لابن وكيع (474) :

لقـــد رَضِيَتْ همتـــي بالخمـــــول ولـــم ترض بالــــرتب العاليـــة
ومـــا جهـــلت طيب طعـــم العـــلا ولكنهــــا تطــــلب العافيـــــه
بقــدر الصعـــود يكـــون الهبــــوط فايــــاك والــــرتب العاليـــــه
فكـــن في مكـــان اذا ما وقـــعت تقـــوم ورجـــلاك في عافيـــــه (475)

وأنشدني في ذم الدنيا :

هذه الدنيـــا وهــــذا شأنُهـــا أتـــعب النـــاس بهـــا أعوانُهـــا
فذوو الأحــــلام قالـــو : انهـــا حلـــم يقضي بهـــا نقصانهـــا (476)

وأنشدني لبعض المشارقة :

أبكـــي وتبكـــي الحمـــام لكـــن شتـــــان ما بينهـــــا وبينـــــي
تبكـــي بعيـــن بغيـــر دمـــع ابكـــي بدمـــع بغيـــر عيـــن

وأنشدني للصفدي — في مليح يقابل معه كتابا — :

حنـــــيت خـــــدك وردا غضـــــا وقـــــدك ذابــــــل
فهـــــا أنـــــا كل وقت أجنـــــي وأنت تقابــــــل

وأنشدني لابن كُمَيْـل :

وليـــــل تغـــــوص براغيثــــــه بلحمـــــي وناموســـه أغـــوص
اذا شربـــوا من حُمَيَّـــا دمـــي ترى ذا يغنـــــــي وذا يرقص

---

(474) انظر الابيات عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 2 : 104 — 107 رقم 171.
(475) انظر الابيات عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 2 : 105 — 106، بهاء الدين العاملي، **الكشكول**، 255، والصفدي، **الغيث**، 1 : 27.
(476) انظر البيتين عند الصفدي، **الغيث**، 1 : 28.

وأنشدني له ايضا في مليح ومليحة :

وذي جمـــال وذات حســـن ... قد اقبـــلا بكـــرة عليـــا
فقـلت : من منكمـا حبيبـي ؟ ... فجـاء يسعـى الفتـى اليـا
وقـال : ما شئت خذ ولكـن ... البـدر ابهـى من الثريـا

وأنشدني :

ولـدتك اذ ولـدتك امك باكيـا ... والقـوم حولك يضحكـون سرورا
فاعمل ليـوم أن تكـون اذا بكـوا ... في يوم موتك ضاحكـا مسرورا

وأنشدني :

المـوت لا بد آت فاستعـد له ... ان اللبيب بذكر المـوت مشغـول
وكيـف يلهـو بعـيش أو يلـذ له ... من التراب علـى خديـه مجعـول

وأنشدني :

تبكـي عليـه بشجـو ... فقـلت : لا تندبيـه
هذا زمـان عسيـر ... قد عاش من مات فيـه

وأنشدني :

لعمـرك ما هذا الزمـان بطائـل ... لدي ولا مقـداره بكبيـر
ولما احتقرت الدهر هانت صروفـه ... علي فلـم اعمـل بفعـل صغيـر

وأنشدني لبعضهم ــ مما كتب على برادة سلطانية ــ :

ان كان يسقـي الأرض غمامهـا ... فأنا التـي أسقـي غمـام الجـود

قابلت من وجـه ابـن نصر قبلـة فلها ركوعي دائما وسجـودي (477)

وأنشدني مما كتب على باب حمام :

يا حسن حمـام حكـى جنـة وألـفت أوصافـه شافيـةْ
يا طالعـا من بعـد غسل به هُنِّـئْتَ بالصحـة والعافيـةْ

وأنشدني لابن المعتز في الرقيب :

وابلائـي من محضري ومغيبـي وحبيبٍ منـي بعيـد قريـب
لم تَرِدْ ماء وجهـه العيـن شرقت قبـل ريهـا برقـيب (478)

وللصاحب بن عباد (479) ـــ حيث الرقيب بالصلة والمحبوب بالذي ـــ :

ومهفهف ذي وجنة [كالجنبذ] (480) وسهـام لحـظ كالسهـام النُّفَّـذِ
قد نلت منه مراد قلبـي في الهـوى وملكتـه لو لم يكـن صلـة الـذي

وبالغ بعضهم في ملازمة الرقيب حيث قال :

أنـا والـحِبُّ ما خلونـا ولا طر فةَ عيـن الا علينـا رقـيبُ

---

(477) البيتان لابن الخطيب، انظر ديوانه، 224.
(478) انظر ديوان ابن المعتز، 52.
(479) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، وفيات الاعيان، 1 : 228 ـــ 233 رقم 96، وابن العماد، شذرات، 3 : 113 ـــ 116، وج. السيوطي، بغية الوعاة، 1 : 449 ـــ 451 رقم 918، ومحمد حسن آل ياسين ، مقدمة ديوان الصاحب بن عباد.
(480) بالاصل : (كالجندب)، وهو تحريف، والتصويب من الغيث، للصفدي، 1 : 229.

مـلاحظـة :

البيتان لا يوجدان في ديوان الصاحب بن عباد. وقد نسبهما له أيضا الصفدي في المصدر السابق.

ما اجتمعنا بحـيث يمكـن الدهـ ر بأنـي اقـول : انت الحبـيب
بل خلونا بقدر ما قلت : انت الـ ح ، فوافى فقلت : كيـم الطبـيب

حكي ان الصاحب ابا القاسم بن عباد رأى أحد نمائه متغير السحنة، فقال له : ما الذي بك ؟ قال : حمى، فقال له الصاحب : قه، فقال له النديم : وه، [فاستحسن] (481) الصاحب ذلك منه وخلع عليه .

وأنشدني للصفدي في الاخوان :

واخـوان وثـقت بهـم فأضحـى أذاهـم يعترينـي كل حيـن
ولمـا ان أسأت الظـن كفـوا فيـا عجبـاه من ظن يقينـي (482)

وأنشدني :

ايـاك والاتـراك ان لبعضهـم اشخـاص غزلان وفعـل أسود
هم أورثوا الجسم السقـام وكحلـوا أجفاننـا بالدمـع والتسهيـد
أرعـى الكـواكب مُغْـوِلًا فكأننـي وكـلت بالبعـداء والتعديـد

وأنشدني في مليح أعـور :

أهيـف كالبـدر له مقلـة واحـدة قامت مقـام اثنيـن
قد سرق الرقـدة من ناظـري وقـال : ما جئـتك الا بعيـن

وأنشدني للقيراطي :

قالـوا : عشقت الشبـاب جهـلا فعـلك هذا هو القبيـح
قلت : فقـد قيـل كل شيء يأتـي علـى وجهـه مليـح

---

(481) بالأصل : (فاستحقر)، ولعلها تصحيف، اذ السياق يقتضي (استحسن) لا (احتقر)، فلو لم يستحسن الصاحب منه ما قاله لما خلع عليه، ومعنى (خلع عليه) : قدم اليه خلعة.
(482) انظر البيتين عند الصفدي، **الغيث**، 1 : 247.

وأنشدني للتلعفري :

كم قد لهوت بمن بكى في منزل — حتى بكيت منازلا وربوعا
بمدامع لوان (جعفرها) له — (فضل) لا نبت في الخدود (ربيعا)

وأنشدني للقيراطي :

يا هاجرا أوقعني هجره — وصده في حالة صعبهْ
أخذت قلبي بالتجني وما — تركت لي منه ولا حبهْ

وانشدني للصفدي ــ مضمنا ــ :

يقول لنا المِقياس والنيل هابط — لنقطع اوصال المنى والمطامع
ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض — على الماء خانته فروج الاصابع (483)

وأنشدني في مشيب عذار الحبيب :

قال الحبيب وقد وصفت مشيبه — والناس قد وصفوه لما عذرا
(قطف الرجال القول عند نباته — وقطفت أنت القول لما نَوَّرَا)(484)

وأنشدني له في الرحبة :

بالرحبة انهد ركني — وذاب عظمي وجلدي
لصيفها حر حر — وللشتا برد برد (485)

(483) انظر البيتين عند الصفدي، **الغيث**، 1 : 75.
(484) البيت الثاني تضمين، وهو للمتنبي في مدح ابن العميد ووصفه بالبلاغة والقدرة على الكلام الجيد، وهو من قصيدته التي مطلعها :

باد هواك صبرت أم لم تصبرا — وبكاك ان لم يجر دمعك أو جرى

انظر ديوان المتنبي، 2 : 273.
انظر البيتين عند الصفدي، **الغيث**، 1 : 75.
(485) انظر البيتين عند الصفدي، **الغيث**، 1 : 70.

وأنشدني لـه :

عدمت بالرحمـة اكتسابـي فلا قَرِيضٌ ولا قُرَاضَهْ
وَكَلّ طرفـي بهـا وفكـري فلا رِيـاضٌ ولا رِيـاضَهْ [486]

ولـه فيهـا :

تَبًّا لهـا من بلـدة لا أرى فيهـا مقامـي واضح النهـج
لأنهـا في وجـه سكانهـا وأهلهـا تَبْصُقُ بالثلـج [487]

وأنشدني للشريف العقيلي :

نحن الذين غدت رحى أحسابهم ولهـا علـى قطب الفخـار مدار
قوم لغصن نداهـم من رفدهـم ورق ومـن معروفهـم أثمـار
من كل وضاح الجبيـن كأنـه روض خلائقـه له أزهـار [488]

وأنشدني لبعضهم :

ان تاه جزاركـمُ عليكـم لفطنـة في الـورى وكَـيْسِ
فلـيس يرجـوه غيـر كلـب ولـيس يخشاه غيـر تَيْسِ

حكي عن بعضهم انه قال : كنت ذات ليلة جالسا مع بعض ولاة الطرق وقد جاء غلمانه برجلين مخمورين ، فقال لاحدهما : من أبوك ؟ فقال :

أنا ابن الذي لا تنزل الدهر قدره وان نزلت يومـا فسوف تعـود
ترى النـاس افواجـا علـى باب داره فمنهـم قيـام حولهـا وقعـود

---

(486) نفس المصدر والصفحة.
(487) نفس المصدر الصفحـة.
(488) انظر ديوان الشريف العقيلي، 159.

فقال : ما كان ابو هذا الا كريما ، ثم قال للآخر : من ابوك ؟

فقال :

انـــا ابـــن من ذَلّتِ الرقـــاب له ما بيـــن مخزومهـــا وهاشمهـــا
خاضعـــةً أذعـــنت لطاعتـــه يأخـــذ من مالهـــا ومـــن دمهـــا

فقال الوالي : أما الاول فكان ابوه يبيع الباقلا المصلوقة ، وأما الثاني فكان أبوه حجاما ، فقال :

كن ابـن من شئت واكـتسب ادبـا يغنـــيك [مردوده] عن الـــــنسب
ان الفتـــى من يقـــول ها أنـــاذا ليس الفتى من يقول كان أبي (489)

ولعتبة الاعور ، يهجو أبا اسحاق الثقفي ، وكان ابوه حجاما :

ابـــوك أوْهَـــى النجـــاد عاتقـــه كم من كمـــيٍّ أودى ومـــن بطـــل
يأخـــذ من مالـــه ومـــن دمـــه لم يمس من نَذْرِهِ علـــى وجـــل
له رقـــاب الملـــوك خاضعـــه من بيـــن حاف وبيـــن منتعـــل

وانشدني للحصري (490) :

أرى اولاد آدم أبْطَرَتْهُـــــــمْ حظوظهـــمُ من الدنيـــا الدنيـــهْ
فَلِـــمْ بَطِـــروا وأولهـــم منـــيٌّ اذا افتخـــروا وآخرهـــم منيَّـــهْ

وأنشدني لابن الوردي في بغداد :

---

(489) انظر القصة عند النواجي في **الحلبة**، 46، والصفدي، **الغيث**، 1 : 60 وقد وردت بالاصل كلمة (في وده)، ونعتقد أنها تصحفت عما اثبتناه.
وبالاضافة الى الرواية المثبتة، هناك روايات أخرى للبيت مثل : محموده، ومضمونه...

(490) انظر ترجمته عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 1 : 54 ــ 55، والمصادر بالهامش 16 من الصفحة 54 من نفس المصدر.

وفـــي بغـــداد سادات كرام ولكـــن بالسلام بلا طعـــام
فمـا زادوا الصديـق علـى سلام لهـــذا سمـــيت دار السلام

وأنشدني للمتنبي :

وكـل امرىء يولي الجميـل محـبب وكـل مكـان ينبت العـز طيب (491)

ولعبد الوهاب القاضي المالكي في بغداد :

بغـداد دار لأهـل المـال طيبـة وللمفالـيس دار الضنك والضيـق
اقـمت فيهـا مضاعـا بيـن ساكنهـا كأنني مصحـف في بيت زنديـق (492)

وللحلي في بغداد :

لهفـي علـى بغـداد من بلـدة كانت من الأسقـام لي جُنَّـة
كأنـي عنـد فراقـي لهـا آدم لمـا فارق الجنـة (493)

وأنشدني [لعبد المطلب] (494) :

لنـا نفـوس لنيـل المجـد عاشقـة ولـو تَسَلَّتْ أسلناهـا علـى الاسلِ
لا ينـزل المجـد الا في منازلنـا كالنوم ليس له مأوى سوى المقـل

---

(491) انظر ديوان المتبي، 1 : 308.

(492) انظر البيتين عند أ. الشريشي، شرح مقامات الحريري، 3 : 31، والصفدي، الغيث، 1 : 68، وقاسم بن القاضي، فهرس، 193.

(493) لم يرد البيتان في الديوان.
وانظرهما عند الصفدي، الغيث، 1 : 68.

(494) بالاصل : (لأبي الطيب)، وهو تحريف، والصواب ما أثبتناه.
انظر ــ مثلا ــ الصفدي، الغيث، 1 : 57، وابا محلي، الاصليت، 105.

وأنشدني :

اقـــول اذا قالـــوا : نراك مقطبـــا ... اذا ما ادعى ديـن الهوى غيـر اهلـه
يحـــق لدود القـــز يقتـــل نفسه ... اذا جاء بيت العنكبـــوت بمثلـــه

ولقاسم الواسطي :

حق دود القـــــز ينـــــــي ... بيتـــــه ثم يمـــــوتُ
بعـــد ما سدّى وقـــد صـــا ... ر يُسَدِّي العنكبـــوتُ (495)

وأنشدني :

لم يـــق شيء من الدنيـــا يسر به ... الا الدفاتر فيهـــا الشعـــر والسيـــر

وأنشدني لبدر الدين يوسف :

كنـــا اذا جئنـــا لمـــن قبلكـــم ... أنصف في الترحـيب بعـد القيـام
والآن صرنـــا حيـــن نأتيكـــم ... نقنـــع منكـــم بلطيـــف الكـــلام
لا غيـــر اللـــه بكـــم خشيـــة ... من أن يجـــي من لا يرد الســـلام

وأنشدني لصفي الدين الحلي :

يا ما جرى من مدمعـــي وصبيبـــه ... أصبحت مفتونـــا لمـــن وَصَبَـــي به
والقـــلب ذاب من الجـــوى ولهيبـــه ... يا حسرتـــا لو عاد من ولهـــي به
انـــا مغـــرم ومتيـــم تجـــري به ... سفـن الهـــوى والـــحب في تجريبـــه
يا جانيـــا في الـــحب من تجنيبـــه ... دعني فلست اخـــاف ما تجنـــي به
يا آسرا قلبـــي عنـــد اسري به (496) ... قَسمي عليـــك بحـــق من أسري به

(495) انظر البيتين عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 7 : 41، والصفدي، **الغيث**، 1 : 53.
(496) هذا الشطر غير مستقيم وزنا.

يامــن حكــى تغريبــه كن محسنــا لغــريب من يهـــواك في تغريبـــه
صل مغرمــا يهـــواك في تدريبـــه قد مات شوقــــا انت ما تدري به

ومنهــا :

يا حاديَ الاظعــان سر واحــدي به انـا في جـيب مغـرم وحــدي به
امهــل قليـــلا في السرى فلعلنــــي ارتـاح في الامهــال من وجــدي به
فمتــى اراك مكــان نجــد والنقــا فيهـم مليــح كامــل شغفــي بـــه
أعنــي رسول اللــه ساكــن طيبــة ان زرت تربتـه فيــا فرحــي به [497]

وأنشدني :

موتــي حياتـــي في هواك فان أمت فالمــوت قاض والدمــوع شهـــود

وللحلـي ايضا :

عندمــا أَلّفَنَــا الدهـــر وطبنـــا وفرحنـــا بالتلاقــــي وسررنـــــا
هجـــم التفريـــق ما اصعبــــه يا ترى ما شيــع التفريـــق منـــا
يا زمانـــا طاب فيـــه عيشنـــا آه لو طاب لنا العيش المهنــا [498]

وأنشدني في طيبة ــ على ساكنها الصلاة والسلام ــ :

مدينـة خيـر الخلـق تحلــو لناظــري فلا تعذلوني ان فتنت بهــا عشقــا
وقـد قيــل في رزق العيــون شآمــة وعنـدي أن اليمـن في عينهـا الزرقــا

وانشدني :

تقـــوس بعـــد طول العمـــر ظهـــري وداستنــــــي الليالـــــــي أيَّ دوس
فامشي والـــــعصا تمشي امامــــــي كأن قوامهـــا وتـــــر لقــ ــوس [499]

---

(497) لا توجد القصيدة في ديوان صفي الدين الحلي.
(498) لا توجد الابيات في ديوان الحلي.
(499) البيتان لابي علي الحسن بن علي بن اسحاق بن العباس، الملقب بنظام الملك قوام الدين الطوسي.
انظر وفيات الاعيان، 2 : 130.

وللصنوبري :

بسطت أنامـــل لؤلـــؤ أطرافهـــــا فيهـــا تطاريـــف من المرجـــان
وتقنعت لك بالدجى فوق الضحـــى وتنقـبت بشقائــق النعمـــان (500)

وأنشدني :

يا لؤلـؤا يسبـــي العقـــول أنيقـــا ورشا بتقطيـــع القلـــوب خليقـــا
ما ان رأيت ولا سمـــعت بمثلـــه درا يعـــود من الحبـــاب عقيقـــا
واذا نظـرت الـــى محـــاسن وجهـــه ألفـــيت وجـــهك في سنـــاه غريقـــا
يا من تقطـــع خصره من رقـــة ما بال قلبك لا يكـون رقيقـــا (501)

وأنشدني :

أبــديت مكنـــون الهـــوى لمـــا بدا للعيـــن لؤلـــؤ ثغـــره المكنـــون
والقـــلب مقـــرون بكـــل بليـــة مذ لاح ذاك الحـــاجب المقـــرون

وأنشدني :

واذا سألت الـــى كريـــم حاجـــة فأبـــى فلا تعقـــد عليـــه بحـــاجب
فلربمـــا منـــع الكريـــم ومـــا به بخـــل ولكـــن سوء حظ الطـــالب

---

(500) انظر **ديوان الصنوبرى**، 503.

(501) الابيات لابن عبد ربه القرطبي صاحب **العقد الفريد**.
وعند ياقوت في **معجم الادباء**، 4 : 222 ــ 223، وردت بالنسبة للبيت الاول كلمة (رفيقا) بدل (خليقا)، كما ورد عجز البيت الثاني هكذا :

وردا يعـود من الجناء عقيقـا

وهو أوفق لفظا ومعنى.
وقد ورد عند الفتح بن خاقان في **مطمح الأنفس**، 59 ــ 60، هكذا :

درا يعود من الحياء عقيقا

وانظر أيضا **النفح**، 7 : 51 ــ 52، وم. بن تاويت، **شعر ابن عبد ربه**، ص 63.

وأنشدني :

يا خصره كم جفـــاء تبـــدي وأنت نحيـــل
يا ردفـــه نـــح عنـــه مـــا انت الا ثقيـــل

وأنشدني لابن عفيـف :

تلاعب الشعـــر علـــى ردفـــه أوقـع قلبـي في العـريض الطويـلْ
يا ردفـــه جرت علـــى خصره رفقـــا به ما أنت الا ثقيـــل

وأنشدني للحلي :

مليـح يغيـر الـغصن عنـد اهتـــزازه ، ويخجـل بدر التـم عنـد شروقـــه
فمـا فيـه معنـــى ناقص غيـــر خصره ولا فيـه شيء بارد غيـــر ريقـــه (502)

ولابن خفاجـة :

الا رب يوم حَثّتِ الكـاس خطـــوَهُ ، فطـــار ، وأيـــام السرور قصـــارُ
عثرت بذيـل السكـــر فيـــه عشيـــة وللريـــح في موج الخليـــج عِثـــارُ
وقـــد فَضَّضَ النـــوارُ كل ربـــاوةٍ ، وسال عليهـــا للاصيـــل نُضارُ (503)

وأنشدني :

أنت الحيـاة وأنت السمـــع والـــبصر كيـف احتيالي ومالي عنك مصطبر
لو فارق الحجـــر القـــاسي أحبتـــه لذاب من حر نار الفرقـــة الحجـــر
فارقتـــي فنهـــاري كلـــه حـــرق وغبت عنـــي فليلـــي كلـــه سهـــر
اذا تذكـــرت ايامـــا بقربكـــم ولت تطايـــر من أنفـــاسي الشرر

---

(502) انظر ديوان صفي الدين الحلي، 394.
(503) انظر ديوان ابن خفاجة، 113.

ايكتـم الصب اشواقـا فيظهرهـا — دمع على صفحات الخد ينحـدر
لا كان في الدهـر يوم لا أراك به — ولا بدت فيـه شمس لي ولا قمـر

وانشدني :

قسما بمبسمه الشنيب ومـا حوى — ما ضل قلبـي عن هواه ومـا غوى
رشأ اذا ما عز عزة طامـع — فأنا الذليل وهكذا حكـم الهـوى
يا عاذلـي كن عاذري لا عاذلـي — في حب من كل الملاحـه قد حوى

وأنشدني :

فؤاد لا يقـر له قـرار — وقـلب لا يفارقـه افتكـار
ودمـع لا يُكَيَّـفُ اذ تَبَـدَّى — لنـا تلك المعالـم والديـار
أأحبابـي وكيـف الصبـر عنكـم — لمشتـاق وقـد بَعُـدَ المـزار
ولـو نعطـى التخيـر ما افترقنـا — ولكـن ليس للمـرء اختيـار

وأنشدني :

يا قامـة الـغصن وعيـن الغـزال — سبحان من اعطـاك هذا الجمـال
البـدر في التـم له ليلـة — وأنت طول الدهـر بدر الكمـال
ثغـرك يا حبـي حوى ستـة — شاهدتهـا منـه ليالـي الوصـال
در وياقـوت وطـيب شـذا — والشهـد والكافـور برد زُلَالْ

وانشدني :

لا يراك اللـه الا محسنـا — فاعـلا في النـاس فعـلا حسنـا
كل شيء تنـقضي آثـاره — كل شيء ينقضـي الا الثنـا

فك الله اسره وخفف إصْرَهُ بمحمد وآله ، وكتب لي كتابا من بلاد الكفرة وهو يعاتبني على عدم كتبي له :

غبنا فمـا منكـم علـم ولا أثـر ولا كتاب أتـى منكـم ولا خبـر
ولا رسول عن الأحـوال يخبرنـا ولا جواب بأي العـذر نعتـذر

ولما خرجت من الاسر وقصدت الحضرة العلية ، أنشدني ابن عمي محمد الملقب : الصغير بن عبد القادر بن عبود بن علي بن ابي العافية بتامدغست من تامسنا (504) :

صاد الاسود غزال لحظـه غزِلٌ يُدمي القلوب وتُدمي خده المقـل
من نار قلبـيَ نور فوق وجنتـه ومـن همومـيَ في أجفانـه كَحَـلُ
لا عطف في قلبه والصدغ منعطف لا عدل في حكمه والقـد معتـدل
يثني النسيم له عِطفاً يليـن ومـا يثنـي الـنسيب له قدا ولا الغـزل
ويح المحبين جادوا بالنفوس ومـا نالوا المنى وصلوا نارا وما وصلـوا
هل قبست من فؤادي وهـو ملتـهب أم درجت (505) بدموعي وهـي تنهمل
لهفي على الورد فوق الخد تغرسه من العيون ولـم تستجنـه المقـل
كحلت بالسهد طرفي مذ نظرت الى مهفهف طرفـه بالسحـر مكتحـل
يا وجنـة عذبتنـي وهـي ناعمـة تندى بمـاء الصبـا طورا وتشتعـل
أبـدا عذاره عذري في الغـرام له وأقسم الـحسن ألا يقبـل العَـذَلُ

وأنشدني :

ولمـا رأى وردا بخديـه يُجْتَنَـى وخاف عليه القطف دون اختيـاره
أقـام عليـه صارمـا من جفونـه وسل عليـه أزرقـا من عذاره (506)

وأنشدني في اسم ياقوت :

---

(504) تامسنا : كانت تطلق على المنطقة السهلية الممتدة ما بين وادى أبي رقراق شمالا ونهر أم الربيع جنوبا. انظر ع. الرحمان بن زيدان، **العز والصولة**، 1 : 156 هامش 1.
(505) كلمة (درجت) في البيت غير مناسبة، ولعلها مصحفة عن كلمة أخرى لم نهتد الى قراءتها. ويبدو ان هذا البيت واقع في غير موضعه، والانسب أن يقع بعد قوله : يا وجنة عذبتني...... وعندئذ ينتظم سياقه ويصبح المعنى هكذا :
أيها الخد الذي يجول فيه ماء الصبا مرة ويشتعل بحمرة الخجل مرة أخرى هل أخذت حمرتك عند الخجل من لهيب شوقي ؟ وهل تنديت في الحال بماء دموعي.
(506) (الازرق) : يريد به الرمح.

ياقوتُ ياقوتَ قلبــي المستهــامِ به — من المــروءة ألا يمنــع القــوتُ
سكـــنت قلبـــي فلا تخشى تلهبـــه — وكيف يخشى لهيب النار ياقوتُ [507]

وأنشدني يومئذ ايضا اخي بن ابي محمد بن محمد بن محمد بن أحمد القاضي بن علي بن عبد الرحمان بن عبد العزيز بن أحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن محمد بن علي بن احمد بن داوود بن علي بن أحمد بن ابي العافية لبعض أهل فاس من سماط الشهود ، وهو ابن سعيد المكناسي [508] يمدح النبي ﷺ وعارض به هل درى .... لابن سهل، [وجادك الغيث] ...... لابن الخطيب ، التوشيحين المعلومين :

يا عُرَيْبَ الحــي من حي الحمـــى — أنتـــمُ عيـــدي وأنتـــم عُرُسِي
لم يَحُــلْ عنكــم ودادي بعدمـــا — حُلْتُـــمُ لا وحيـــاةِ الأنفـــس

من عذيري في الـذي أهديتـــه [509] — قد ملك قلبي [510] سديـد البُرَحـــا
بدر تم أرسلت مقلتـــــــــه — سهـــم لحـــظ لفـــؤادي جرحـــا
ان بدَّى أو تثـــــى خلتـــــه — غصن بان فوقـــه شمس ضحـــى

تطْلُـــعُ الشمس عشاء عندنـــا — تنجلـــي [511] منــه بأبهـــى مَلْـبَسِ
وتـــرى الليـــل مضى [512] منهزمـــا — وتـــرى الصبـــح اضا في الغـــلَسِ

يا حياة النـــفس صل بعــد النـــوى — والهـــا مضنـــى شديـــد الشغـــف
قد براه السقـــم حتـــى ذا الهـــوى — كاد أن يفضي به للتلــــــــف
آه من ذكـــر [513] حبـــيب باللـــوى — وزمـــان بالمنـــى لم يسعـــف

---

(507) انظر البيتين عند أ. بن خلكان، **وفيات الاعيان**، 7 : 43.
(508) انظر ترجمته عند أ. بن القاضي، **لقط الفرائد**، 263، **جذوة**، 1 : 128 رقم 65، **درة**، 1 : 89 رقم 123.
(509) **النفح**، 7 : 63، و **أزهار الرياض**، 2 : 229 أحببته.
(510) **أزهار الرياض** : ملك القلب.
(511) **أزهار الرياض** : تتحلى.
(512) **النفح**، **أزهار** : أضـا.
(513) **أزهار** : ذكرى.

كنت أرجو الطيـف ياتـي حلمـا عائــــدا يا نفس من ذا فا يأسي
هل يعـود الطيـف صبـا مغرمـا ساهـــرا أجفانـــه لم تنعـــس

همت في اطـلال ليلـى وأنـــا ليس في الاطـلال لي مـــن أرَبِ
ما مرادي رامــة [514] والمنحنـــى لَا ولا ليلــى و سُعْــدى مطلبــي
انمــا سؤلـــي وقصدي والمنـــى سيــد العجـــم وتــاج العـــرب

خاتــم الــرسل الكريــم المنتقـــى طاهـر الاصل زكـــيُّ النَّفَـــسَ [515]
خيــرُ من وافــى اليـــه كرمــا بكـــلام اللـــه روح القُـــدُسِ

أحمـد الهـادي الـرسول المجتبـى دوحــة المجــد وينبـــوعُ الشَّرَفْ
الكريـــم الاصل أمــــا وأبــــا وعطايـــا وسجايـــا وسلـــف
هو في الآباء أعْلَـــى نسبـــا وهـــو في الأبنـــاء أزكاهـــم خَلَـفْ

ابــن عبــد اللـــه نجــل الكرمــا لابسيـــن المجـــد أسنـــى ملـــبس
هم شمـــوس وبـــدور في سمـــا والـــورى أنجمهـــا في الغَلَـــس

والموشحتان السابقتــان :

مطلع هل درى ....لابن سهل [516] :

هل درى ظبـي الحمـى ان قد حمـى قلب صب حلـــه عن مكـــنس
فهـو في خفـق وخــوف مثلمــا [517] لعــبت ريـــح الصَّبـــا بالقَـــبَسِ

---

(514) رامة : موضع بالعقيق في طريق البصرة الى مكة.
انظر البكري، **معجم ما استعجم**.
(515) عند هذا الحد توقف المقري في **النفح** و **أزهار الرياض**.
(516) هذه هي الموشحة التي شرحها م. الافراني، في كتابه **المسلك السهل، في شرح توشيح ابن سهل** ، المطبوع بفاس سنة 1324 هـ. وحققه كذلك الاستاذ محمد العمري، رسالة جامعية محفوظة بمكتبة كلية الآداب بالرباط.
(517) ورد الشطر الاول في **ديوان ابن سهل**، 283، وفي **النفح**، 7 : 61، هكذا :

فهو في حر وخفق مثلما

وفي **أزهار الرياض**، 2 : 213 .

فهو في نار وخفق مثلما

يا بدورا أطلعت يوم النوى غررا تسلك في نهج الغرر
ما لعيني [518] في الهوى ذنب سوى منكم الحسن ومن عيني النظر
اجتني اللذات مكلوم الجوى والتداني [519] من حبيبي بالفِكَرْ

واذا اشكو بوجد بسما كالربى من عارض منبجس [520]
إذْ يقيم القطر فيه مأتَمَا وهو من بهجته في عُرُس

وأما موشحة ابن الخطيب التي عارض بها : هل درى ..... :

جادك الغيث اذا الغيث همى يا زمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك الا حُلُما في الكرى أو خلسة المختلس

اذ يعيد الدهر أشتات المنى تنقل الخطو على ما ترسم [521]
زُمَراً بين فُرادى وثُنا مثلما يدعو الوفود الموسم [522]
والحياة قد جلل الروض سنا فثغور الزهر منه تبسم [523]

وروى النعمان عن ماء السما كيف يروي مالك عن أنس
فكساه الحسن ثوبا معلما يزدهي منه بأبهى ملبس [524]

---

(518) في الديوان، 283، و النفح، 7 : 61، وردت كلمة (لقلبي) بدل (لعيني)، وهو الانسب.
(519) في الديوان، 283، و النفح، 7 : 61، وردت كلمة (التذاذى) بدل (التداني).
(520) ورد البيت في الديوان، 283، و النفح، 7 : 61، هكذا :

كلما أشكوه وجدا بسما كالربى بالعارض المنبجس

(521) ورد البيت في النفح، 7 : 12، و أزهار الرياض، 2 : 213، هكذا :

اذ يقود الدهر أشتات المنى ينقل الخطو على ما يرسم

(522) بالاصل : مثلما يدي الفؤاد الموسم، وهو تحريف، والتصويب من النفح، 7 : 12، و أزهار الرياض، 2 : 213.
(523) بالاصل : فسنا الازهار به تبسم، وهو تحريف، والتصويب من النفح، 7 : 12، و أزهار الرياض، 2 : 213.
(524) بالاصل : فكساه الروض حلى مثلما، وهو تحريف، والتصويب من النفح، 7 : 12، و أزهار الرياض، 2 : 213.

وأنشدني :

لا تأمن الدنيا على حالة ... ان كنت فيها معسرا أو غني
واحذر مصافيها ولا تلتفت ... الى متاع أو عقار دني
قد كشرت أنيابها للردى ... وفتكت بابن أبي مدين

وابن ابي مدين من أصحاب ابي الحسن المريني [525] ، ومن خواصه ، وأدرك دولة أبي عنان ، وأبو عنان هو الذي سجن ابن مرزوق .

وأنشدني :

مررتُ بقبر داثر وسْطَ روضة ... عليه من الأزهار مثل النمارِقِ
فقلتُ لمن هذا فكَلّمني الثرى ... ترحَّم عليه إنه قبر عاشقِ

---

(525) وقع هنا ابن القاضي ارتباك جعله يخلط بين ابن أبي مدين وابنه.
فالذي كان (من أصحاب أبي الحسن المريني)وعاصره هو : محمد بن عبد الله بن أبي مدين، وهذا بصريح عبارة ابن القاضي نفسه في **الجذوة** (2 : 461) في ترجمة السلطان أبي الحسن المريني عندما ذكره من بين كتابه فقال : « ... ومحمد بن عبد الله بن أبي مدين... » . وترجم له ترجمة منفردة في **الجذوة** (1 : 232 ـــ 233 رقم 205) ولم يذكر انه مات مقتولا.
أما الذي (فتك) به فهو الاب : عبد الله بن أبي مدين في عهد السلطان ابي الربيع سليمان بن عبد الله، وهو ما وضحه ابن ابي زرع في **روض القرطاس** (ص 393)، اذ قال : « ... كاتبه (يقصد سليمان) كاتب أخيه عبد الله بن أبي مدين، وهو المدبر لدولته الى أن قتله).
وانظر سبب هذه النكبة عند ابراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، 2 : 38.

الباب الخامس والعشرون
* فيما صرفت فيه همته العلية
من تمهيد الطرق بسيره المرضية

* يحمل هذا الباب رقم 17 في « م » و 19 في « ج » ، وهو خطأ واضح ، وذلك نتيجة فقدان النسختين المذكورتين للأبواب السابقة ، والتي لا توجد إلا في « ز » .
=

اعلم أن مخدومنا أولى ما صرفت إليه همته تمهيد الطرق على المسافرين بمنازل وخيام أمر بسكناها على الطريق ، بين المنزلة والمنزلة ما يقرب من أربعة وعشرين ميلا ، يسكنها أهل البادية ،، فقد أجرى لهم على ذلك من اقطاع الأرض ما يكفيهم ثوابا لهم على سكناهم هنالك وأمرهم ببيع الشعير ، والطعام ، واللحم ، والعسل ، وغير ذ لك مما يحتاج إليه المسافر ودوابه ، وفي بعض المنازل من يصنع أطعمة جيدة ويبيعها ممن يستحقها ، وإن باتت لديهم قافلة يحرسونهم طول

= ملاحظـة :

ما أورده ابن القاضي في هذا الباب يعتبر من الحقائق التاريخية الجديدة التي تبرز كيف استطاع المنصور أن يضمن لرعيته الازدهار الاقتصادي مع السلم الاجتماعي ، خاصة وأن الناس في عهد الدولة المرينية ــ عامة وعلماء ــ كانوا قد استنكروا استنكارا شديدا « مظالم الرتب » التي أحدثت بطرق المسافرين وأعمال السلب والنهب التي تصاحب ذلك . ونورد هنا فقرات من رسالة نصيحة رفعها الامام ابن عباد إلى السلطان المريني عبد العزيز الأول في هذا الصدد وهي توجد ضمن مجموعة رسائل نادرة لابن عباد ، مخطوط م . م عدد 255 : « وقد كنت طلبت منكم ــ في آخر كتاب كتبته لكم ــ أن تزيلوا مظالم الرتب التي أحدثت بطرق المسافرين ، وأخبرناكم بما شاهدنا فيها من المفاسد المشينة لحسن دولتكم ، والمكدرة صفاء حالكم ، فلم تسعفوا طلبنا ، وشاء الله بقاءها . وأنا ــ الآن ــ أجدد الرغبة إليكم في ذلك والأخبار بحالها فاعلم ــ ياأمير المؤمنين ــ أن من تولى ذلك من أهل الفساد والشر قد انتشروا في بسيط الأرض ، وقطعوا طرقاتها على المساكين والمستضعفين ، وحازوا منهم الأموال الحرام بالنهب والغصب ما استعانوا به على ارتكاب الكبائر والفواحش ، حيث لا تنالهم أحكامكم وهم أراذل الناس وسفهاؤهم ، لم يدينوا لله بدين ولا دخلوا في غمار المسلمين ، ولو رأيتم ــ يا أمير المؤمنين ــ حالي معهم عند قدومي من فاس ، وما كنت فيه من الذل والمسكنة بين أيديهم ، وكنت أعدى عدو لكم ــ والعياذ بالله ــ لأدركتكم شفقة الايمان على كل من يبتلى بها حيث لا ناصر له ولا معين ...... » .
وهكذا يتجلى أن الرتب بهذا الشكل كانت معروفة في العصر المريني ، ولا شك أنها بقيت إلى العصر الأول للدولة السعدية ، نظرا لاضطرار الدولة آنذاك لذلك ، غير أن المنصور توفرت له أسباب جعلته يستغني عنها .

وقد أكد هذه الحقيقة الأخيرة المؤرخ المجهول في**تاريخ الدولة السعدية** ،ص 66 : « وأخذ معهم في الانفاق على تأمين الطرق ، وكل شيخ ضمن ما يضيع في ترابه ، وأخذ العهود على رؤساء القبائل بذلك » .
هذا على المستوى الداخلي .
أما على المستوى الخارجي ، فقد وصلت الضرائب المفروضة على الواردات ــ في عهد المنصور ــ الى 30%، وعلى الصادرات الى 10% .
أنظر في هذا الصدد : H. de Castries, Sources, 1ère Série anglaise, 1 : 347.

الليل ، ويحوطون أمتعتهم ، وإن ضاع شيء فيما بينهم ضمنوه لربه حتى لم يبق له درهم واحد ، وإن كان ضياعه فيما بين المنزلتين ضمنه أقربهما منه أي من كان ذلك في حدوده الملزوم ، فتجد المسافر في حال ذهابه وإيابه كأنه في بيته وبين أهله ، ولقد ضاع من بعض أصحابي حمل (ملف) مرة وثمنه ما يقرب من ثمانمائة أوقية ، فأعطاني ذلك كله قائد قواده ودعامة اعتماده : أبو سالم القائد إبراهيم بن محمد السفياني عن آخره . ومثل هذه اتفق لبعض التجار : ذهب لهم شيء سرق بقرب بعض المنازل فرفعوا أمرهم إليه — أيده الله تعالى — فأعطاهم ذلك من بيت ماله إلى أن يخلفه من أهل المنزل ، وتوجهت يمين على التجار على أن الذي ضاع منهم قدره كذا ، فعافاهم منها وأدى لهم المال عن آخره أعني القدر الذي حددوه لأنفسهم، وهذا دأبه أبدا مع رعيته. وليست بلاده كبلاد المشرق التي لا يقدر أحد أن يسافر فيها في البر إلا مع قافلة عظيمة محتوية على آلاف من الناس الحاملين للأسلحة ، وقد يعرض لهم من العرب من يقاومهم فينهب أموالهم ويستبيح دماءهم ، وأما ما جرت به عادة أهل المشرق من توظيف الامكاس على أموال التجار عند الوصول إلى كل مدينة ، وشبه ذلك من المسمى بالغفر (كذا) عند العرب فليس في بلاده — أيده الله تعالى — شيء من هذا القبيل أصلا ، حتى أن الانسان يكون في احماله من التبر والياقوت ولا يخشى عليها في الطريق شيئا ولا يعطي على ذلك كله إلا ربع درهم [1] على كل حمل في باب المدينة ، فهذا مما تشرف به المغرب على كل الأقطار ، لا كما هو معهود في الاسكندرية ومصر والشام وجدة وغيرها من البلاد ، فقد طهر إمامنا ومخدومنا مملكته من هذه النقيصة العظيمة التي عمت بها البلوى وحصل بها في الاسلام داهية دهياء ، لا سيما وهم يولون اليهود على أمكاسهم ، فتجدهم يدخلون أيديهم في أمتعة المسلمين وفي جيوبهم لعلهم اخفوا شيئا من السلعة عن المكاس ، ولهم في ذلك على المسلمين اليد الطولى ، ويقصدون نكاية المسلم بتبديد أسبابه وأثاثه مما لا تحل رؤيته ، وإن كان في القافلة نساء أدخلوا أيديهم أيضا في جيوبهن ليبحثوا هنالك عن السلعة المخبأة ، وان لحقت زوجها غيرة فما يقدر على دفع جولان يد اليهودي في جيب زوجته ، ولا نكير عليهم في ذلك ، ولو تتبعنا شماتات البلدان فيما يقرب من هذا المعنى لطال الكتاب جدا

وبالجملة ، فاعلم أنه لو أمكن منه — أيده الله تعالى — جور فهو عدل غيره — أبقى الله وجوده للمسلمين ، وأثابه وعامله بجميل صنعه بجاه سيد الأولين والآخرين — .

---

(1) كان الدينار الذهبي المغربي خلال القرن السادس عشر يساوي 10 ريالات إسبانية من الفضة ، وكان إلى غاية سنة 1561 يساوي 14 درهما مغربيا من الفضة ، وبعد هذا التاريخ أصبح يساوي 21 درهما .
وقيمة العملة المغربية تعطينا نظرة واضحة عن القوة الشرائية آنذاك : ففي سنة 1549 كان ثمن 50 كلغ من القمح بقيمة دينارين إثنين و 50 كلغ من الشعير بدينار واحد ، وثمن الكبش بعشرة دراهيم .
أنظـر :
Andrzej Dziubinski , Hespéris - Tamuda , VOL . XIII - Fascicule unique , 1972 , P . 85

الباب السادس والعشرون

* في عظيم سلطنته
وما شوهد من جميل شيمه وعلو همته

---

* يحمل هذا الباب رقم 18 في « م » و 20 في « ج » ، وهو خطأ واضح ، وذلك نتيجة فقدان النسختين المذكورتين للأبواب السابقة والتي لا توجد إلا في « ز » .

لا خفاء على كل ذي خبرة ومعرفة بأخبار الملوك الماضية ، والقرون الخالية ، أن مخدُومنا ــ أيده الله ــ أضخم الملوك ملكا، وأعلاهم همة . لقد انتهى إليه من الملك ما لم ينته لغيره ممن تقدمه ، وقد ضم من الجيش ما لم يضمه غيره [1] ، وخطب له على منابر المغرب بأسره ، ودخل في طاعته مالم يدخل في طاعة غيره ، كصقعي تيجورارين وتوات ، وما اتصل بذلك من بلاد السودان وغير ذلك ، مما يدل على شهرة سلطنته ، وضخامة مملكته ، واتساع

---

(1) تقدر بعض المصادر الانجليزية عدد أفراد جيش المنصور في مجمله ، من نظاميين ومتطوعين ، بنحو 40.000 جندي ، وكان الجنود النظاميون موزعين في ثلاثة مراكز أساسية هي : مراكش وفاس وتارودانت ، وقد تعددت المجموعات السلالية لهؤلاء الجنود ، فهناك العرب، والبربر،والسود، والأتراك، والأندلسيون والاوروبيون من أصل إسباني أو برتغالي أو يوناني الذين دخلوا إلى الاسلام حديثا ، ويرجع هذا الاقبال على الجيش إلى ما كان يعطي لأفراده من أرزاق .ونذكر بهذا الصدد كمثال أن الجنود النظاميين كانوا يتقاضون راتبا سنويا يتراوح بين 50 دينار و 300 دينار ، هذا مع العلم أن القنطار من القمح ــ مثلا ــ كان ثمنه 4 دنانير.

أنظــر :

ع. العزيز الفشتالي ،مناهل،161 ــ 166.
م. الأفراني ، نزهة ، 115 ــ 118.
— H. de Castries , Sources , 1ère Série anglaise, 2:222.
— Andrzej Dziubinski , l'Armée et la Flotte de guerre marocaine à l'Epoque des sultans de la dynastie saâdienne . Hespéris — Tamuda , VOL . XIII , Fascicule unique , 1972. PP. 69 — 85.

ايالته ، وأن الله تعالى مهد له البلاد ، وحسم به مادة أهل الزيغ والشر والفساد (2) .

ومما شوهد منه ــ أيده الله وأبقاه ــ أنه خطر في باله أخذ ملك السودان والاستيلاء عليه (3) ، فأمر بتجهيز جيش عرمرم عظيم من جنوده المظفرة المنصورة (4) في خامس عشر ذي القعدة [سنة ثمان وتسعين وتسعمائة]، فأخرجت المحلة ذلك اليوم ، فلم يمر لها بباب مراكش إلا شهر أو أقل ، فتوجهت بعدد وعدد من الابل التي لا يمكن حصرها ، ورحلوا من مراكش قاصدين بلاد السودان من طاعة اسكيا (5) ، أعظم ملك هنالك في طاعته ما ينيف على مسيرة

(2) عرف عصر المنصور عدة ثورات كان مصدرها إما عناصر من الأسرة المالكة نفسها أو من بعض القبائل ، وهذه الثورات إما كانت مغربية محضة أو كانت فيها أيد أجنبية ــ من طرف الاسبان والأتراك ــ لكن المنصور استطاع بما كان يتوفر عليه من وسائل مادية ومعنوية أن يبعد هذا الخطر ، وقد سجل عبد العزيز الفشتالي بعض هذه الثورات في المناهل بكل دقة وبين مراحل القضاء عليها ، أنظر مثلا :
ثورة الأمير داوود، 29 ــ 32.
ثورة ابن قراقوش بجبال الهبط وجبال غمارة، 46 ــ 48.
ثورة عرب الغرب من الخلط وسائر قبائل أزغار 109 ــ 125.

(3) يمكن إرجاع أسباب استيلاء المنصور على السودان إلى الأسباب الآتية :
أ ــ أسباب جغرافية سياسية : تواجد إسبانيا القوية في الشمال ، والأتراك في الشرق فلم يبق له إذن إلا الاتجاه نحو الجنوب .
ب ــ أسباب اقتصادية : ضمان موارد كافية من الذهب .
ج ــ أسباب دينية : قوله بأحقيته في الخلافة على كافة المسلمين نظرا لنسبه القرشي ، وتوحيد جميع المناطق الاسلامية للوقوف بها صفا واحدا ضد الغزو المسيحي .
د ــ أسباب نفسية : ثقة المنصور بنفسه إثر الانتصار العظيم الذي حققه وادي المخازن ، وهكذا كان دائما يبحث عن مجال آخر يشغل به قواته الظافرة والتي كان يحرص على أن تكون دائما على أهبة الاستعداد للحرب والقتال .

(4) تقدر بعض المصادر الاوروبية المعاصرة عدد أفراد الجيش السعدي لحملة السودان ب 4000 جندي منها 2000 من جيش الأندلس أصحاب الأسلحة النارية و 500 من السباهي ، و 1500 من جيش العرب الرماة. وتؤكد المصادر المغربية أنهم اختيروا من أحسن عناصر الجيش المغربي.

أنظـر :

— H. de Castries, la Conquête du Soudan par El Mansour, Hespéris, Tome III, 4e trimestre, Année 1923, PP. 433 — 488.

(5) يقصد أسكيا إسحاق الثاني الذي حكم مملكة سنغاي من 1588 إلى 1591 وهو آخر ملوك الأسكيين الذين ابتدأ حكمهم سنة 1493 بصعود محمد أسكيا الكبير وأسكيا إسحاق الثاني هذا هو الذي سيدخل في خلاف مع المنصور ينتهي بغزو القوات المغربية للسودان سنة 1591.
أنظر عبد القادر زبادية، **مملكة سنغاي**، 31 ــ 54 .

ستة أشهر ، فركبوا مهامه فيح البيداء وقصدوه (6)، ورئيس الجند إذ ذاك جؤذر الخصي (7) ، أحد مماليكه — أيده الله تعالى بمنه — فأمهم إسحاق ملك السودان بما ينيف على مائة ألف من جنوده، فنصر الله جنود مولانا ، وأظهرهم عليه ، ولم تمر عليه ساعة إلا وهو مسلوب مما لديه ، وهذه منقبة عظيمة لا شك فيها عند كل من له خبرة بأخبار الملوك الماضية ، والقرون الخالية ، أنه لم يخطر قط ببال ملك ممن مضى التوجه للسودان حتى توجه له — أيده الله — وظفر به وخطب له على منابره كلها — أيده الله وأبقاه — ، ولا شك أن هذا الفتح معجزة وغرة في جبين الدهر ، هيأه الله له ، فهو من صنع الله له الذي لم يتفق لأحد قبله ، ووطئت عساكره تخوم ممالك لم يخطر لأحد من الملوك إليها على بال (8) .

---

(6) سلكت الحملة العسكرية طريقا عرف فيما بعد بطريق جؤذر ، وهذه الطريق تتجه من مراكش نحو لاكتاوا ومنها إلى تندوف فتغازي وتاوديني فقرية كابارا التي تقع على نهر النيجر غربي العاصمة تومبوكتو .
أنظـر :
— H.de Castries, la Conquête du Soudan, 4e trimestre, tome III, Année 1923, P. 447.

(7) ذكر المؤرخ السوداني أن القائد جؤذر كان معه عشرة من القواد وهم « القائد مصطفى التركي ، والقائد مصطفى بن عسكر ، والقائد أحمد الحروسي الأندلسي — وهو أول قائد جعل على بلد كاغو ، ومات مع الباشا محمود بن زرقون حين قتل في الحجر — ثم القائد بوشيبة العمري، والقائد بوغيت العمري والكاهيان : الكاهية باحسين فرير العلجي على اليمين، والكاهية قاسم ورودي الأندلسي على الشمال ».
أنظـر **تاريخ السودان**،138.

(8) اختلف الدارسون في تقييم عمل المنصور بالسودان ، وقد كانت الاختلافات تدور أساسا حول تساؤلات عديدة يمكن حصرها في ثلاثة :
أ — ما مدى تجاوب السودانيين مع الفاتحين المغاربة ؟
ب — وإلى أي حد حافظ المغاربة على مقومات السودان الرئيسية ؟ وما مدى عدالة حكمهم ؟
ج — ومن المسؤول عن خراب البلاد ؟
جوابا عن السؤال الأول نقول : أنه رغم العنف الذي صاحب عملية الفتح فإن الأمر سرعان ما تمهد بعد ذلك ، وبتوالي الأيام ازدادت الصلات بين المغاربة والسودانيين ، وتعددت مجالات تعاونهم ، وهذا ما أكده الفشتالي في **المناهل** ،ص 80 — 81 ،إذ يقول : « وانحشرت عوالم من دهمائهم لمشاهدتها وارتاع لها أقاصيهم وأدانيهم » . هذا على المستوى الشعبي ، أما على مستوى الحكام ، فنلاحظ أن هناك العديد من حكام المناطق الذين رحبوا بالفاتحين وتعاونوا، كما أعلنت العواصم الكبرى بيعة المنصور كتمبوكتو ودجيني. « أنظر عبد الرحمان السعدي ، **تاريخ السودان** ،157 — 158 — 162 »، وأيد الفاتحين أيضا عدد من العلماء السودانيين ، وفي مقدمتهم قاضي تومبوكتو عمر بن محمود بن عمر ، وخطيب كاغو محمود رامي.
« أنظر عبد الرحمان السعدي ،**تاريخ السودان** ،141 ».
وجوابا عن السؤال الثاني نقول :
بناء على المؤرخين السودانيين أنفسهم فإن سلوك أغلبية المسؤولين المغاربة كان محمودا إلا ما كان من
=

ومما يشهد بعظم سلطنته قصره الذي شاد بنيانه بحمراء مراكش المسمى الآن بالبديع ولو تتبعت ما للشعراء في مصانعه من النظم المنقوش في الجدران بالذهب والمرمر واللاّزَوَرْد وغيره ،

= هفوات معدودة « أنظر **تاريخ السودان**، 139 » ولما أخذت الأمور تستقر نسبيا للفاتحين المغاربة حرصوا على الحفاظ على مقومات البلاد ونظمها ، بل وقع اندماج بين العادات والتقاليد المغربية والعادات والتقاليد السودانية. ومن الذين أشادبهم المؤرخ السوداني السعدي من الحكام المغاربة : الباشا منصور « كان رجلا مباركا عدلا ذا حكم شديد في الجيش وأمسك أيدي الظلمة والفسقة عن المسلمين فصار يحبه الضعفاء والمساكين ويبغضه الفسقة والظالمون » ، « **تاريخ السودان**، 177 » .
وجوابا عن السؤال الأخير نقول :
إن خراب البلاد يرجع إلى أسباب منها :
عناد الأسكيا ، ومن ذلك تخريب اسحاق للعاصمة كاغو، « **مناهل الصفا**، 82 ».
قيام بعض الحكام المجاورين للسودان بالهجوم على أطراف البلاد في محاولة للتوسع «**تاريخ السودان** 143 »
المجاعة التي كانت تنتاب البلاد بين الآونة والأخرى ، ولا سيما في السنوات العشر الأخيرة من القرن العاشر الهجري ، والمضاعفات الخطيرة التي تخلفها في شتى مجالات الحياة .
تخلف المستوى الحضاري لبلاد السودان .
ولقد أظهر المغاربة منذ اليوم لفتح السودان حرصا كبيرا على إقرار الأمن في البلاد ولم يتوانوا عن ملاحقة الخارجين عنهم ، الذين حاولوا بث الرعب والقيام بأعمال القتل والتخريب .
وخلال هذه العمليات أظهر بعض المغاربة نوعا من الشدة والصرامة استنكرها المنصور نفسه لما اطلع عليها وسعى إلى معاقبة مرتكبيها ، ولم يغفل الفاتحون المغاربة عن دورهم الرئيسي في حماية الاسلام والقيام بنشره في المناطق النائية من بلاد السودان خاصة تلك التي كانت تتعرض لغزو التبشير المسيحي .

أنظـر :

— ع. العزيز الفشتالي، **مناهل**، 58 — 92 .
— أ. بابا، **كفاية المحتاج** ، مواضع متفرقة.
— محمود كعت، **تاريخ الفتاش** ،مواضع متفرقة.
— عبد الرحمان السعدي، **تاريخ السودان** ،مواضع متفرقة.
— م. الأفراني، **نزهة**، 88 — 99.
— عبد القادر زبادية، **مملكة سنغاي**،مواضع متفرقة.
— أ. القاسم الزياني، **الترجمان المعرب**، 362.
— عبد الكريم كريم ،**المغرب في عهد الدولة السعدية** ،145 — 173 .
— شوقي الجمل، أ . بابا، مجلة **المناهل**، العدد السادس، السنة الثالثة، يونيو 1976، ص 144 — 177.
— H. de Castries, la Conquête du Soudan, 4e trimestre, année 1923, Hespéris, PP. 434 — 488.
— ch .A. Julien, l'Histoire de l'Afrique du nord, 2: 211 — 216.
— H. Terrasse, l'Histoire du Maroc, 2: 202 — 205.
— E.W.Bovill , Caravans of the old Sahara
— E.W.Bouil , the golden trade of the Moors.

ترجم هذا الكتاب الأخير الدكتور زاهر رياض باسم : « **الممالك الاسلامية وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى** » طبع بالقاهرة سنة 1968» .

لألفت من النظم تأليفا حسنا ، فضلا عن ذكر مصانعه على التفصيل .
ومن ذلك ما للقائد أبي الحسن الشيظمي في تاريخ باب من المرمر من أبواب البديع :

الحسن لفظ وهذا القصر معناه ... ياما أميلح مرآه وأسناه
فهو البديع الذي راقت بدائعه ... وطابق اسم له فيها مسماه
صرح أقيمت على التقوى قواعده ... ودل منه على التاريخ معناه
ولاح أيضا وعين الحفظ تكلؤه ... تاريخه من تمام قل هو الله [9]

وله في تاريخ مستراح القبة الخمسينية — وهو بيت الخلاء — :

اكتنف الحسن محلي ولاح ... تاريخه من لفظ هو المستراح

ومن آخر قصيدة كتبت بنباحات قبة الزجاج :

إن شئت تاريخ إكمال البديع فقل : ... إيوان أحمد إيوان السعادات [10]

وله في تاريخه أيضا :

باب أتى كبراعة استهلال ... وكأنما القصر القصيد [11] التالي
ولذاك سمي (بالبديع) وجاء بالـ ... اغراق والتجنيس والايغال [12]
وأتى التمام فقلت في تاريخه ... بيتا بلا عقد ولا اشكال
صرحي على تقوى من الله ابتنى [13] ... في طالع للسعد والاقبال

(9) أنظر الأبيات عند أ. المقري ، روضة ،175 .
(10) أنظر البيت عند أ . المقري روضة ، 175 .
(11) في « ج » : المشيد .
(12) في « ج » : الأرقال.
وقد ورد الشطر الثاني من البيت هكذا :
بالتجنيس والاغراق والايغال
ويختل معه الوزن ، والتصويب من النزهة ،111 .
(13) في « ج » : صرح على التقوى من الله ابتنى.

ولكن إن فسح الله في أجلي أضع — إن شاء الله — تأليفا على ما اشتمل عليه من أنواع البناءات ، وما سطر فيه من النظم ، ومساحة قببه ، وقصوره ، وجداول مائة وصهاريجه ، وأشجاره ، وما فيه من أنواع الطير والوحوش وغير ذلك من العجائب ، لأن أفراده بالذكر في تأليف أشمل وأبلغ في استقصائه جملة لا تفصيلا .

ومن عظيم ملكه قيامه بأساطيل المسلمين ، وسد (14) الثغور بالحصون العظيمة ، فمنها الحصن العظيم الذي شاده بمرسى العرائش (15) للمسلمين رحمة ، وعلى الكافرين

---

(14) بالأصل : شد — بالشين المعجمة — صوابه سد — بالسين المهملة — وهو المستعمل في مثل هذا المقام ، ودليله قول العرجي :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

أنظر النقاش الذي جرى حول « سداد الثغر » عند الأنباري ، **نزهة الألباء**، 74، والحصرى ،**زهر الآداب**،1: 559 ، والدميري ، **حياة الحيوان الكبرى**، 1: 140 — 141 .

(15) — يرجع اهتمام المنصور بتحصين العرائش وما حولها إلى الأطماع التي كانت تحوم حولها من طرف الأتراك والاسبان . فالأتراك طالما سعوا للحصول على هذا المرفأ الهام لجعله محطة للقرصنة ضد السفن المسيحية ، والاسبان كان إلحاحهم أكبر ، إذ كانوا يرغبون في الحصول على العرائش مهما كلفهم من ثمن ، وذلك لتدعيم مراكز القوات الاسبانية في شمال المغرب ، ولمواجهة القرصنة التي تكبد التجارة الاسبانية مع العالم الجديد والشرق الاقصى أفدح الخسائر في الاموال والارواح .
وهكذا دخل الاسبان في مفاوضات طويلة مع المنصور لتسليم العرائش ، بل اقترحوا عليه التنازل عن الجديدة مقابل ذلك .

أنظـر :

— H. de Castries, dynastie saâdienne, pays— Bas, 1 : 191— 194.
— H. de Castries, dynastie Saâdienne, France, 1: 512.
— Bernardo Rodrigues , Anais de AZZILA CROCICA inedita do Seculo XVI par B. Rodrigues publicada por ordem da Academia des Sciencias de Lisboa e sob a direcça de David lopez, « Lisboa » 1915 — 1920. t. 1, PP. 440 et 496, t. 2. P. 209.

عن :

— Hespéris — Tamuda,Vol. XIII. Fascicule unique , 1972. P.91.

أنظر أيضا كتاب (العرائش) لمؤلفيه : طوماس غرسيا فيغيراس وكارلوس رودريغث خوليا — بالاسبانية — .

نقمة ، ومن ذلك التسعة (16) التي حصن بها مدينتي فاس البيضاء والقديمة ، وغير ذلك مما لا يحصى .

---

(16) بالأصل : (التسع)، وهو تحريف ،والصواب ما أثبتناه ،إذ المقصود الابراج (جمع برج).
ولا يزال يشاهد من هذه الأبراج خمسة : إثنان خلف أسوار القصر الملكي في مواجهة وادي فاس والمدينة الجديدة (أولها برج الطويل وثانيها برج الشيخ أحمد ويجاور هذا الأخير القصبة السعدية التي شيدت عام 1589) وواحد يمنه الخارج من باب الجياف (برج سيدي بونافع) ورابع يطل على شارع الحرية الحالي (برج المهراس) وخامس خلف السور المار بالبستان العمومي (برج باب السبع) في مقابلة الداخل له من الباب الكبير بشارع أبي الجنود ، وقد كان أكبر هذه الأبراج التسعة هو الواقع أمام باب السبع (مناهل ، 184)، ولم يبق له أثر ، وقد يكون مكانه هو مركز الباب الحسني المقابل — شمالا — لباب السبع .

أنظـر :

م. المنوني ، فاس الجديد مقر الحكم المريني ، مقال لمجلة **البحث العلمي**، عدد مثنى 11 — 12 ، السنة الرابعة، ماي /دجنبر 1967 ، ص 189.
م . مزين ،فاس وباديتها، ص 243 — 244 .

الفصل الأول

في علو همته

اعلم أنه لا يخفى على كل ذي لب ما اتصف به ــ أيده الله ــ من الهمة العالية ، والأخلاق العالية ، فمن ذلك الخصة العظيمة التي حبسها على مسجد القرويين من فاس المحروسة ، بعث بها من مراكش ، وبلغت فاسا في أواخر رجب سنة ست وتسعين [1] ، ولما بلغت إلى حصن المسجد ، وكان هنالك من عامة البلد وخصوصه جم غفير ، أخذوا في الدعاء له بالنصر والتمكين ، والفتح المبين ، وبأن يمهد الله له الأرض ، وبعث معها أيضا بتنور رائق من المرمر توضع عليه في صحن القرويين ، وخمن وزنها بعض الناس مع تنورها بمائة قنطار من المرمر .

حدثني بعض الناس أنها استقامت عليه بمال عظيم لا يكيف .

ومما قلته ــ وقد اقترح علي ليكتب في قبتها عن لسان حالها ــ :

إمــام ديــن الهدى المنصور شيــدني ... بحر المكــارم من أبنـــاء عدنـــان [2]
حزت المفاخـــر بالمنصور أجمعهـــا ... ومــن علاه سنـــام المجد أوطـــاني

---

(1) رجب 996 هـ يوافق ماي ــ يونيو 1588 م.
(2) ورد البيت عند أ. المقري في الروضة، 21 هكذا :

كهـف الملـوك أبـو العبـاس أنشأنـــي ... بحـر المكـارم من معـد بن عدنـــان

وورد بعده مباشرة البيت الآتي :

عيــن السلاطيــن من أبنــاء فاطمـــة ... انسان عيــن غدا في عيـــن انسان

وقد اتفقت رواية المنتقى مع رواية الأفراني في النزهة ، 160.

من جاء يشكو الظما يوما وقبلني / أضناه ما قد همى من صوب أجفان
لا تنكرن وجود الدمع من فرحي / فالعين تدمع من افراط سلوان
واشرب هنيئا من السلسال لا حرج / فعين دمعي جرى من بيض خلجان
فخر السلاطين من أبناء فاطمة (3) / أشاع صيتي في أطراف عمان
ومد جرت مقلتي حاكت سحائبها / كف الخليفة من أبناء زيدان
لازال للدين والدنيا يسوسهما / ما هيجت عاشقا ورق بأفنان
إذ شادني زمن التاريخ والفقه / للدين والأجر بحر الجود سواني (4)

فقولي : للدين ... إلى آخر البيت ، مشتمل على تاريخها ، وذلك بحساب الجمل ستة وتسعون وتسعمائة ، باعتبار ياء الاطلاق والحرفين المضعفين أعني الواو والدال كل من حرفين ، والله الموفق .

ونظم لذلك الكاتب الأرفع أبو العباس أحمد بن محمد الغرديس التغلبي :

حسن سنا منظري يستوقف النظرا / وفائق الصنع مني طرز الطررا
حباب ماء من الدر النثير غدا / وصواب وردي من ذوب اللجين جرى
لاينثني راشف لغري من ظمأ / إلا ويحمد مني الورد والصدرا
من أمّ قربي بفرض أو بنافلة / يجد معيني معينا للطهور سرى
ابن نبي الهدى المنصور أبدعني / من فيض نعماه ما بين الورى انتشرا
فعال بره لا يحصى تعدده / وخُبْرُ آثاره يصدّق الخبرا (5)

إلا أنه لم يضمن شعره التاريخ ، وقد أجاد في نظمه ـــ أعزه الله تعالى ـــ ، فهمته أبدا تتوق إلى المعالي ، حتى حازمنها مالم يحزه غيره ممن تقدمه ، فحدث عن البحر ولا حرج ، ولولا الاطالة لتتبعت مآثره في هذا القبيل ، والله الموفق .

---

(3) ورد صدر البيت في الروضة ، 21 ، هكذا :
فخر الخلائف والأقيال من مضر
وقد اتفقت رواية المنتقى مع رواية النزهة.
(4) في الروضة ، 21 : أجراني بدل سواني.
وقد اتفقت رواية المنتقى مع رواية النزهة.
(5) انظر الأبيات عند أ. المقري، روضة، 22.

الفصـــل الثـانـي

فيما وضع الله له في القلوب من المحبة

ومن ضخامة ملكه ما وضع الله له في القلوب من المحبة .

اعلم أن وضع القبول في القلوب للعبد دليل على محبة الله عز وجل إياه ، روي عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا أحب الله عبدا نادى جبريل أن الله يحب فلانا فأحبه ، فيحبه جبريل ، فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في أهل الأرض » (1) .

ولهذا قال بعضهم :

فإذا أحب الله يوما عبده   ألقى عليه محبة للناس

فمحبة الشيء : الميل إليه ، وهي بهذا المعنى على الله تعالى محال ، لأنه لا يتصف بمثل ما ذكر إلا الحوادث ، ومولانا ــ جل جلاله ــ هو المحدث ، الآمر الناهي ، فمحبته هي إرادته الخير بعبده ، فعبر بالملزوم عن اللازم ، فهي على هذا من صفات الذات لأن مرجعها إلى الارادة ، وقيل هي من صفات الأفعال ، وهذا مقرر في فنه من علم الكلام .

فلنرجع إلى المقصود فنقول : لاخفاء على من له عقل سليم ، وطبع مستقيم ، أن مولانا ــ أبقى الله وجوده ، وأدام سعوده ــ أجرى على ألسنة العام والخاص مديحه ووطن في القلوب

---

(1) ورد الحديث بالأصل هكذا : « إذا أحب الله عبدا أمر جبريل في ملائكة السماء أن الله يحب فلانا ، فأحبوه ، ثم يضع له القبول في الأرض » . وبه اضطراب في اللفظ اضطررنا معه إلى الرجوع إلى المصادر التي استقى منها ابن القاضي الحديث ، وهكذا رجعنا إلى **صحيح البخاري**، 7 : 83، و**صحيح مسلم**، 8 : 41، وكلاهما أخرجه عن أبي هريرة .

محبته ، ولقد حضرت مجالس ذكر فيها ، من مصر ، والاسكندرية ، والصعيد ، وجدة ، ومكة ، والمدينة ــ على ساكنها الصلاة والسلام ــ لما طنت في آفاق العالم حصاته ، وتعبت عن حمل حسناته بغزوته حفظة القول وحصاته ، فكأدت قلوب الناس أن تنفطر إليه شوقا وودا ، أن يكونوا تحت رايته ، ومن الذين دخلوا في سلك بيعته ، وكثير من أهل المشرق الذين عليهم الحل والربط حلف لي بالايمان المغلظة التي لا يمكن نقضها أنه لو رأى جارية من جواري مولانا أقبلت بالدعاء لطاعته والأنقياد إليه لكان أول مطيع لها هو وأهله في لحظة ، ولأتاها بجيش عظيم كسبعة آلاف فارس أو ما يقرب من ذلك لشدة وطئته على عرب مصر والصعيد وبعض عرب إفريقية ، وما هذا إلا لمحبتهم فيه ، واشتياقهم لطلعته السنية ، وإمامته العلوية ، وحدثني بعض من أثق به أنه جلس ذات يوم بجرجة من بلاد الصعيد قاعدة إمارة بني عمر مع أميرها يونس بن عمر ، وتفاوضا في غزوة مولانا وماله من العدل والمآثر الحسنة ، والسير المستحسنة ، فتأوه لذلك وتاقت نفسه للدخول في سلك بيعته ، واعلمه يونس المذكور أن خبر الغزوة دخل عليه وهو مسجون برودس (2) ، وأعلمه والحاضرين أن أمرها عظم على الترك جدا غيرة منهم أن يكون مثلها على يد أمير عربي ، فامتلأوا منها غيظا وامتلأ العرب منها سرورا .

ومما شاهدته من مبرة أهل المشرق بأهل قطرنا حينئذ لما انتهى إليهم أمر غزوته العظيمة ما يكل عن وصفه اللسان ، ولا يحيط به بنان ، وترى الواحد منا بينهم كأنه أعجوبة عظيمة يشار إليه قائلين : هذا من أهل الغزوة المشهورة ! مما لا يدركه إلا من شاهد ذلك ، وصار لنا بذلك بينهم حظا عظيما ، ووقارا جسيما ، وصار العرب من كل مملكة يفخرون بذلك على الترك بهذا الملك العظيم ــ أبقي الله وجوده ، وأدام سعوده بمحمد وآله ــ ، ولما أردت القفول من مكة إلى المغرب استكتبت شيخنا أبا زكرياء يحيى بن محمد الحطاب ليوصي مولانا بنا وبأهلنا ، فأجابني إلى ذلك في لحظة ، شوقا منه لمخاطبته ــ أيده الله ــ فلاحظني ــ أيده الله ــ لذلك ملاحظة شديدة ، فلما حصل لي منه حظ كاتبت شيخنا ــ برد الله ضريحة ، وأسكنه من الجنان فسيحه ــ بما حصل لي منه ــ أيده الله تعالى ــ لمكة المشرفة ــ رحمه الله ورضي عنه ــ وكتابه ــ رحمه الله ــ هو سبب معرفتي به ــ أيده الله تعالى ــ .

فياله من كتاب ، ما أسعده !

توفي شيخنا أبو زكرياء يحيى بن محمد الحطاب في شهر ربيع النبوي ، سنة خمس وتسعين وتسعمائة .

---

(2) ردوس : إحدى جزر الأرخبيل اليوناني في البحر الأبيض المتوسط جنوب غربي تركيا. وقد كانت آنذاك خاضعة للأتراك العثمانيين.

وبالجملة فأهل المشرق قلوبهم بأجمعها مقبلة عليه ، واحداقهم ناظرة إليه ـــ نفد [كذا] الله به كسادهم وأصلح به فسادهم ـــ لما يجدونه من ألم الترك ، وكثيرا ما ينشدون :

لا تركنـــن لتركـــي وإن عظـــمت من العبـادة حتـــى طار في السحب
إن جاد يوما فكـان الجـود عن غلـط وإن تنمـــــــر [3] عن أم له وأب

وحق لهم ذلك لما يلحق العرب من الذلة والهوان وغير ذلك مما لا يعلمه إلا من خاض البلاد وجالها، ولا ينبئك مثل خبير :

لا يعــرف الشوق إلا من يكابـــده ولا الصبابــــة إلا من يعانيهــــــا

ولو تتبعت ذلة العرب مع الترك ، وفعلهم بصبيانهم ونسائهم ، لأتيت من ذلك بما لا يصبر ذو همة على سماعه ، فضلا عن رؤيته ، ولقد حضرت أيضا مجالس ذكر فيها بأرض العدو الكافر فأثنوا عليه لاحسانه وشهامة ملكه وشماخته وإن كان عدوا لهم ، فشرفوه بذلك ، وأثنوا على ما منحه الله من الخصال ، وما خصه به من الخلال :

ومليحـــة شهـــدت لهـــا ضراتهـــا والـــفضل ما شهـــدت به الأعـــداء

وهذا كله مما يدلك على عظيم ملكه ، وعلو همته ، ومن ذلك أيضا إخلاء النصارى أصيلا من غير قتال [4] ، خوفا منه ـــ أبقاه الله تعالى ـــ ليلة الأحد ثالث عشر ذي القعدة عام سبعة

---

(3) في « ز» : تتمر ـــ بتائين مهملتين ـــ ولا معنى لها في سياق الشعر ، ويبدو أن الكلمة تصحفت من تنمر ، إذا أشبه النمر في شراسته .
وفي « ج » : تنصر .
وورد البيتان عند م . الأفراني في **النزهة 43**، هكذا :
لاتأمنـــن تركيـــا فيمـــا يقـــول ولـــو من العبـــادة حتـــى طار في السحب
إن لك جاد فذاك الجـــود من غلـــط وإن تمـــــــــرد عن أم له وأب

(4) منذ أن سقطت أصيلا في أيدي البرتغال في ربيع الأول سنة 876هـ 20 غشت 1471 والمغاربة يحاولون استرجاعها على الصعيدين الشعبي والرسمي ، فعلى الصعيد الشعبي نذكر بالخصوص أن العلماء هم الذين كانوا يتزعمون الحركة الجهادية ويقسمون أوقاتهم بين الجهاد والتدريس ، ونذكر من هؤلاء العالم المجاهد محمد بن يجبش التازي الذي شارك مشاركة فعالة في هذه العمليات الجهادية ، وألف كتابا يدعو فيه الناس إلى الجهاد ، وبالخصوص يدعو فيه إلى تحرير أصيلا ، حيث يقول :
فقصة آصيـــــلا عرفتم جميعهـــــا وما فعـــل الأعـــداء من شر غدوة
مساجدهـا تبكـــي على فقـــد أهلهـــا كأن لم يكـــــن فيها مردد سورة =

وتسعمائة (5) ، وقلت قصيدة ولم أبعثها للمقام العالي ، وهي :

يأيها المنصور أبشر بالعلى	فالله بلغ في العدا المأمولا
أنضاكمُ سيفا لحتف عداته	وبكم غدا سيف الردى مفلولا
وهزمتمُ الشرك المتين بعزمكم	من غير ما سيف يرى مسلولا
وأذبت أكباد الخبيث مهابة	وفتحتمُ آرامه آصيلا
وغدت من الناقوس صفرا بلقعا	يتلى به فرقاننا ترتيلا
أبشر لواء الفتح معقود لكم	فاشكر إلاهك بكرة وأصيلا
أكرم به من مالك بل صالح	أضحى لبارود العداة خليلا
لازال في أنف الهدى شمسا وفي	عين العلاء يشاكل التكحيلا (6)

وسبب قولي :

لبارود العداة خليلا ، أن النصارى لما أرادوا الخروج منها عملوا مكيدة للمسلمين من جعلهم البارود تحت قصبتها ، وجعلوا فتيلة نار تبلغ البارود عند دخول المسلمين إليها ، فعصمهم

= مجالس أهل العلم ياصاح ، بدلت بتلبيس رهبان ، ورجس الأقسة

« أنظر محمد بن يجبش التازي ، **تنبيه الهمم العالية** ،146، وم . بن عسكر ،**دوحة**،66 — 71 رقم 54 » .

أما على الصعيد الرسمي فنسجل أن بعض الملوك الوطاسيين أيضا لم يذخروا وسعا في محاولة تحرير المدن المغربية من أيدي البرتغال ومن ضمنها أصيلا رغم امكانياتهم الضعيفة ، وهكذا نذكر كمثال ما قام به محمد البرتغالي منذ سنة 914هـ / 1508م ، حيث استنفر جنوده في حملة على أصيلا مكنته من الدخول إلى المدينة ، ولم ينج من البرتغال إلا الذين تمكنوا من الدخول إلى الحصن القديم وظلوا يقاومون إلى أن أتتهم الامدادات العسكرية ، واضطر محمد البرتغالي إلى الرجوع إلى فاس لكن بعد أن حرر جميع المغاربة الذين كانوا قد سقطوا أسرى في أيدي البرتغال ، وظل يراوح أصيلا ويغاديها طوال سبع سنوات دون أن يتمكن من فتحها .

وفي عهد السعديين وإن لم يهاجموا أصيلا مباشرة فإن انتصاراتهم على البرتغاليين في مواقع متعددة جعلت هؤلاء الأخيرين ينكمشون في مواقع معينة لتجميع قواتهم فيها إلى أن حصلت معركة وادي المخازن ، حيث انتقلت المراكز البرتغالية إلى الاسبان ، ولكن جدوث معركة الأرمادا في 10 غشت سنة 1588، والتي انتهت بانهزام الأسطول الاسباني أمام الأسطول الأنجليزي جعلت إسبانيا تحاول تجميع قواتها في مراكز معينة واخلاء أخرى كأصيلا ، ونضيف إلى ذلك عوامل أخرى من ضمنها :

— تواجد (دون كرستوف) بن (دون أنطونيو) بالمغرب كرهينة .

— محاولة ضمان حياد المنصور في أي حرب تقع بين إسبانيا وانجلترا ، صديقة المغرب ، وزعيمة المعسكر البروتستانتي المعادي للمعسكر الكاثوليكي بزعامة إسبانيا .

(5) 13 ذي القعدة عام 997هـ يوافق 13 شتنبر عام 1589م .

(6) أنظر الأبيات عند أ. المقرى ، **روضة** ،246.

الله من مكيدتهم من بركة مولانا ــ أبقى الله وجوده ، وأدام سعوده ــ .

اللهم أني أتوسل إليك بمنزلته عندك أن تيسر له كل يسير ، وأن تدفع عنه كل عسير، وأن تطوعه العباد ، وتمهد له البلاد . وفي هذه الخصال التي منحه الله تعالى التي لا يكون مثلها إلا لولي ، لاسيما والملك في مقام القطب إن عدل وفي مقام الولي إن لم يعدل ، ما يدلك على عظيم قدره ، وقد تقدم من عظيم ما اتصف به من العدل ، وحسن الخلق والسيرة وإصلاح السريرة ، ما فيه كفاية لأولي الألباب.

هذا وهو من أبناء فاطمة ــ على أبيها الصلاة والسلام ــ :

إنــي بأبنــاء البتــول تفاخــري	**فبمثلهــم يتفاخــر المتفاخــر**
من ذا يساجل في العــلاء حلاهــمُ	**وَنَمَتْهُ من بحـر الـرسول عنــاصر**

فأشياء كثيرة تدلك على عناية الله تعالى به وبقدره ، وناهيك بما تقدم من ذكر غزوته العظيمة ، وتوليته على عباد الله تعالى ، ففيها عبرة للمعتبرين ، وفكرة للمتفكرين ، ومن اعتناء الله تعالى به ، أعانته على الباغية من الثوار، فإن المغرب كثير الثوار لضعف عقول البرابر الذين بشواهق الجبال ، فكثيرا ما يصدر ذلك منهم فيكسر شوكتهم ، قبل أن تصل إلى الرعية شكتهم ، ولقد قتل من الثوار عددا كثيرا ، لأني ما رأيت أصعب من قبائل المغرب ، ليسوا كقبائل المشرق في الطاعة وعدم الثوران ، لكن مولانا ــ أيده ــ درياقهم بيده ــ أعانه الله على كل فضيلة ، وأذل له كل قبيلة ، بمحمد وآله ــ .

وهذا آخر ما قصدناه من الأبواب ، فلنشرع في الخاتمة معتصما بمن له الجود ، ومتوكلا على الله المعبود ، والله الموفق.

خاتمة

* في ذكر نكت غريبة وطرف بديعة عجيبة

---

* أورد الناسخ في « ج » الفصول الواردة في المقدمة في كل من « م » و « ز » وهذه الفصول هي :
فصل : في ذكر حقيقة الخلافة
فصل : في فضل الامامة .
فصل : في وجوب طاعته ، وتحريم مخالفته
فصل : فيما يجب على الخليفة .
فصل : في ذكر نكت وحكم بديعة غريبة ، وطرف جيدة .
وأضاف الناسخ زيادة على الفصول المذكورة في نسختي « م » و « ز » في المقدمة فصلا آخر قال عنه :
« فصل : أردت أن أذكر فيه شيئا من النوادر الحسنة ، والملح المستحسنة ، وأضيف إلى ذلك من إفادات الانشادات والحكايات المستفادة ، إنشادات كنت أنشدتها ، وحكايات كنت استفدتها ، ليكون ذلك أعون على مطالعة للكتاب ، والله الموفق » .
وهذا الفصل الأخير خليط من الأبواب السابقة .
ومن الواضح أن هذا تصرف واضح من الناسخ لأن ابن القاضي نفسه حدد المنهج الذي سيتبعه في المنتقى تحديدا واضحا لا غموض فيه ، لكن هذه المقدمة المنهجية سقطت من « م » و « ج » وتوجد فقط في « ز » ، فأخر حيث يجب أن يقدم وقدم حيث يجب أن يؤخر وإلا فما معنى أن يورد فصلا في الأخير يذكر فيه بأنه سيورد نكتا وطرفا لتكون أعون على مطالعة الكتاب في حين يكون القارىء قد انتهى من قراءة الكتاب ووصل إلى الخاتمة ! ؟
ثم ان نهاية هذه الخاتمة تنتهي بأبيات ليست فيها أية إشارة إلى أن المؤلف انتهى من كتابة أو دعاء أو أي شيء من هذا القبيل يمكن أن نستنتج منه النهاية .
وعلى العموم فالخاتمة في « ج » تنتهي بأبيات توجد في الباب السادس في كل من « م » و « ز » والأبيات هي :

لك في القلوب منازل ومقام ... لا العقل يدركها ولا الأفهام
ولقلبي المشتاق فيك صبابة ... لا الدهر ينفدها ولا الأيام
وسرت إلى الأرواح منك نسيمة ... سكروا بها العشاق فيك وهاموا
من أصبحت خطرات ذكرك قوته ... وفؤاده مأواك كيف ينام
ومن التجا بجناب عزك ذلة ... واستمسك بعراك كيف يضام
ما الوجد وجدان عداك ولا الهوى ... إلا هواك ولا الغرام غرام
وإذا خلت منك الخيام وأصبحت ... مأوى سواك فما الخيام خيام

ونتيجة لاقحام هذا الفصل الأخير في الخاتمة ، فإن هذه الأخيرة شغلت حيزا كبيرا في « ج » بلغ 66 صفحة من أصل 176 صفحة « من 110 إلى 176 » في حين شغلت المقدمة 16 صفحة « من 1 إلى 17 » .

اعلم أن مخدومنا ــ أيده الله ــ لا تحصر فضائله ، ولا تنضبط في الملوك محاسنه وفواضله ، وما عسى أن أذكر منها؟ فإن التعرض لذلك مما يعجز البنان ، ويزري بالبيان ، ولو كان من فصاحة سحبان .

فلما رأيت ذلك أردت أن أذكر شيئا من النوادر الحسنة ، والملح المستحسنة ، ليكون ذلك أعون على مطالعة الكتاب ، والله الموفق للصواب ، وأضيف إلى ذلك انشادات أنشدتها ، وحكايات وافادات استفدتها .

ولنبدأ بنوادر الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ فمن بعدهم .

قال ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ : أربعة لا أجد لهم مكافأة : رجل أغبرت قدماه للتسليم علي ، ورجل ضاق مجلسي فوسع علي ، ورجل ظمئت فسقاني ، ورجل وهو الرابع لا يكفيه عني إلا الله ــ سبحانه وتعالى ــ ، رجل طرقه أمر فبات له أرقا لحاجته ، فوجدني لها أهلا .

وقال محمد بن الحنفية (1) : لا تلم من لا قوت له على طلب قوته ، فمن عدمه عدم عقله ، وكان أكثر كلامه عليه لا له ، فإن كان عاقلا جهلوه ، وإن كان أديبا سفهوه ، ولا يسمع كلامه ، ولا يعرف مقاله ، ويبغضه أهله وجيرانه .

وقال الصديق ــ رضي الله عنه ــ : إياكم والفخر ، فما فخر شيء خلق من التراب ومصيره إلى التراب ، وهو اليوم حي وغداً ميت .

وقال علي ــ رضي الله عنه ــ :إرحم من البلاء أخاك ، وأحمد الذي عافاك .

---

(1) أنظر ترجمته عند أ . بن خلكان ، **وفيات الأعيان** ، 4 : 169 ــ 173 ، والمصادر بالهامش 559 من الصفحة 169 من نفس المصدر .

وقال : من بالغ في الخصومة ظلم ، ومن قصر فيها ظلم .

وقال : كدر الجماعة خير من صفاء الفرقة .

وكتب إلى معاوية — رضي الله عنه — : غرك عزك ، فصار قصارى ذلك ذُلّك ، فاخش فاحش فعلك ، فعلّك بهذا تهدأ ، والسلام .

وهو من الجناس المصحف .

حدثني شيخنا أبو راشد أن عليا — كرم الله وجهه — كان سريع الجواب ، قيل له : كم بين السماء والأرض ؟ فقال : دعوة مستجابة ، وقيل له : كم بين المشرق والمغرب ؟ فقال : مسيرة الشمس في يوم واحد . وكما قال في المنبرية المشهورة عند الفراض ، وهو على المنبر لما سئل عنها بديهة : مسكينة ، مسكينة صار ثمنها تسعا (2) .

وكان لعلي — رضي الله عنه — أربعة خواتم يتختم بها : ياقوته لنبله ، وفيروزج لنصره ، وحديد صيني لقُوَّته ، وعقيق لحِرْزه . كان نقش الياقوت : لا إله إلا الله ، الملك الحق المبين . ونقش الفيروزج : الله الملك . ونقش الحديد : العزة لله جميعا . ونقش العقيق ثلاثة أسطر : ماشاء الله ، لا قوة إلا بالله ، أستغفر الله (3) .

---

(2) أنظر قاسم بن القاضي ، **فهرس** ، 185 .

(3) من العلوم القديمة التي كان يهتم بها العرب القدماء علم الخواص ، وقد عرفه حاجي خليفة في **كشف الظنون** بقوله : « إن خواص الأشياء ثابتة وأسبابها خفية ، لأننا نعلم أن المغناطيس يجذب الحديد ولا نعرف وجهه وسببه وكذلك في جميع الخواص ، ثم أن تلك الخواص تنقسم إلى أقسام كثيرة ، منها : خواص الأسماء ، وخواص الحروف ، وخواص الأدعية ، وخواص البروج والكواكب ، وخواص المعدنيات ... إلى آخره . »
وهكذا فالياقوت — مثلا — هو المعدن المعروف — ذكر له القدماء خواصٌ ، جاء في كتاب **نخب الذخائر** لابن الأكفاني ، ص 11 : « إذا علق من أي أصنافه كان على الانسان أكسبه مهابة في أعين الناس وسهل قضاء حوائجه » ، « إن التختم به يدفع حدوث الصرع » ، « من علق عليه الياقوت الأبيض اتسع رزقه وحسن تصرفه في المعاش .» أما الفيرزوزج ، فقد عرفه الأكفاني في **نخب الذخائر** ، ص 55 ، بقوله « هو أحد الأحجار النفيسة ، اسمه بالفارسية : النصر ، ولذلك سمي حجر الغلبة وسمي أيضا : حجر العين ، لأن حامله يدفع عنه شرها » .
وعن العقيق قال القزويني في **عجائب المخلوقات** ،ص 267 : قال أرسطو : أصنافه كثيرة ، وأجودها ما يجلب من اليمن وأحسنها ما اشتدت حمرته ، وصفت صفرته ، فمن لبس من أحسنه سكنت حدته عند الخصومة ، وعن النبي ﷺ : من تختم بعقيق لم يزل في بركة وسرور » .
ونشير في الأخير إلى أننا لا نعتقد أن الامام علي كان يثق بمثل هذه الأمور ويتكل عليها بصفة استسلامية لتسيير أموره .

وحكمه ــ رضي الله عنه ــ لا تحصى ، وقد ضمن بعض حكمه علي بن سودون البشبغاري في قصيدته ، وهي :

وطن بشكرك ما أوليت من نعم ... ولا تنفره بالكفران ينفصم
ما اعتاد يطلبه منك اللسان ولا ... تُعَوِّدَنْهُ بغير الصدق يستقم
لا تنظرن إلى من قال محتقرا ... وانظر سلمت إلى ما قال من حكم
والمرء في الناس مخبوء ومستتر ... تحت اللسان إذا لم يُبْلَ بالكَلِم
ومن حلا كلما لسانه كثرت ... إخوانه وسما فيهم بذا وسم (كذا)
بالخير يستعبد الحر الكريم ولا ... يبقى مع الشح ذكر بل مع الكرم
ياجامع المال بخلا ذب ومت أسفا ... لوارث شامت أو حادث عمم
إياك والكبر إذ أهلوه قد حرموا ... حسن الثناء وقد باءوا بخزيهم
لا راحة لحسود في معيشته ... وليس يظفر ذوبغي بمغتنم
شاور سواك تصب في كل حادثة ... ولا تمار محبا ترم بالشيم
ما ليس يعنيك إن تطلبه فاتك ما ... يعني وقلبك إن أكرهت (4) منك عم
من أكثر المزج في الناس استخف به ... وليس يسلم من آفات حقدهم
من أكثر الفكر في عقبى الأمور فذا ... لم تلفه بطلا في الناس ذا قدم
وليس يغني إذا حل القضا حذر ... وظل رأي ذوي التدبير في ظلم (5)
ما يضمر المرء يبدو من شمائله ... قولا وفعلا وأمسى غير مكتتم
ياسامعا غيبة المغتاب أنت له ... مشارك في ارتكاب الاثم فانجزم
كفاك بالظفر سعيا شافعا لفتى ... وافى بقلب من الزلات منثلم
أغنى الغنى لذوي الألباب علمهم ... والجهل أفقر فقر في ذوي القيم
مساوىء العيب ظل الشر يجمعها ... وذواللسان لذي الاحسان في بكم
قلب اللبيب حمى فيه اللسان ثوى ... وقلب الأحمق جهلا قد ثوى بفم
تصدقن إذا ما كنت متجرا ... مع الاله تنل من فيضه الدِّيَم (6)

---

(4) في « ج » : الرهب .

(5) ورد البيت في « ج » هكذا :

وليس يغني إذا حل القضا قدر ... وضل رأي ذوي التدبير في ظلم

والخلل واضح في عروضه ، إذ وردت كلمة (قدر) عوض (حذر) .

(6) الديم : جمع (ديمة) ، مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق ، والمقصود هنا الخير العميم الذي يأتي بدون مشقة أو تعب .

اللـــه يرحـــم نفسا قدرهـــا عرفت لم تعد عن طورها والكبر لم ترم [7]

ومن نوادر عمر — رضي الله عنه — : تكثروا من العيال ، فإنكم لا تدرون بمن ترزقون .

وقال ﷺ : «إذا وضع الخير فارتعوا ، وخير مراعيكم الخير ، وكل شيء له مرعى ، ومرعى بني آدم الخير » [8] .

وقال : « أكرموا البقرة سيدة البهائم ، فإنها لم ترفع رأسها إلى السماء مذ عبد العجل حياء من الله تعالى » [9] .

وقال : خوفوا المؤمنين بالله ، والمنافقين بالسلطان ، والمرائين بالناس [10] .

ومن نوادر التابعين — رضي الله عنهم — :

قال قتادة [11] : إنما خلق الله الموت ليعز به نفسه ، ويذل به عباده .

عبد الله بن عمرو بن العاص : موطنان لا أستحيي من ألقى فيهما ، إذا خاطبت جاهلا ، وطلبت حاجة لنفسي .

ميمون بن مهران[12] : لا تطلبن إلى بخيل حاجة ، وإذا طلبتها منه فأجله حتى تروض نفسه .

الزُّهْري [13] : ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة ، حكيم من أحمق ، وبر من فاجر ، وشريف من دني.

عبد اللهُ بن الحسن [14] قال لابنه : إيك ومعاداة الرجال ، فإنه لن يعدمك مكر حكيم ، ومفاجأة لئيم .

---

(7) أنظر القصيدة في **نزهة النفوس** ،ورقة 8 — 9 .

(8) الحديث غير موجود عند ج . السيوطي في **الجامع الكبير** ، ولا عند أ . ى . ونسنك في **المعجم المفهرس**.

(9) الحديث غير موجود ج . السيوطي في **الجامع الكبير** ،ولا عند أ .ى . ونسنك في **المعجم المفهرس**.

(10) الحديث غير موجود عند ج . السيوطي في **الجامع الكبير**،ولا عند أ .ى . ونسنك في **المعجم المفهرس** .

(11) أنظر ترجمته عند أ . بن خلكان ،**وفيات الأعيان** ،4 : 85 — 86 والمصادر بالهامش 541 من الصفحة 85 من نفس المصدر .

(12) أنظر ترجمته عند خ . الدين الزركلي ، **الأعلام** ،8 : 301 ، والمصادر بالهامش 1 .

(13) أنظر ترجمته عند أ . بن خلكان ،**وفيات الأعيان** ،4 : 177 — 179 ، والمصادر بالهامش 563 بالصفحة 177 .

(14) أنظر ترجمته عند خ . الدين الزركلي ،**الأعلام** ،4 : 207 ، والمصادر بالهامش 2 .

هرم بن حيان [15] قال : ما عصى الله كريم ، ولا آثر الدنيا على الآخرة حكيم .

أبو عمرو بن العلاء : من عرف فضل من فوقه عرف فضل من دونه .

الحسن بن علي — رضي الله عنه — : المومن أخذ من الله أدبا حسنا ، إذا وسع عليه وسع، وإذا أمسك عليه أمسك .

مُطرف [16] : عقول الناس على قدر تقواهم ، وتذللوا عند أهل الطاعة ، وتعززوا عند أهل المعصية .

ومن نوادر الشعبي — رحمه الله تعالى — : لا تستشر أحدا لا يكون في بيته دقيق .

وقال : من طلب الدنيا لزمه العبودية لأهلها .

وقال : ثلاثة إن أكرمتهم أهانوك : العبد ، والسفيه ، والنبطي .

وقال : أظلم الظالمين من تواضع لمن لا يكرمه ، ويرغب في مودة من لا ينفعه .

وقال : الطرب عقل وكرم ، فمن لم يطرب فليس بعاقل ولا كريم .

وقال : الفقر في الأوطان غربة ، والمال في الغربة أوطان .

وقال : الكيس العاقل هو الفطن المتغافل [17] .

وقال : إن الله تعالى جعل البركة في الصناعات كلها إلا الحاكة ، فإن الله نزع منهم البركة .

وقال : كل أزرق ، وأحول ، وأعور ، وأحدب ، وأعرج ، فاحذرهم .

حكي أن امرأة جميلة تقدمت إلى الشعبي وهو في مجلس قضائه ، فادعت عنده ، فقضى لها ، فقال الأشجعي :

فُتن الشعبي لما رفع الطرف إليها
فتنته ببنان كيف لَوْزًا معصميها

(15) أنظر ترجمته عند خ . الدين الزركلي ،**الأعلام**،9 : 76 — 77 والمصادر بالهامش 1 من الصفحة 77 من نفس المصدر .

(16) أنظر ترجمته عند خ . الدين الزركلي ،**الأعلام**،6 : 154 ، والمصادر بالهامش 2 .

(17) أنظر الراغب الأصبهاني ،**محاضرات الأدباء**، 1 : 25 .

ومشت مشيـــــا رويـــــدا ثم هزت منكبيهـــــــا
فقضى جورا علـــى الـــخصـ ـم ولـــم يقض عليهـــا

فتناشدها الناس وتداولوها حتى بلغت الشعبي ، فضرب الأشجعي ثلاثين سوطا . قال ابن أبي ليلى (18) : انصرف الشعبي يوما من مجلس القضاء ونحن معه فمررنا بخادمه يغسل الثياب ويقول :

فتـــن الشعبـــي لمـــا فتـــن الشعبـــي لمـــا

ولا يعرف بقية البيت ، فقلته ، وقال : رفع الطرف إليها .

ثم قال : أبعده الله ! أما أنا فما قضيت إلا بحق (19) .

ومن نوادر أبي حنيفة (20) ــ رضي الله عنه ــ : إذا أتتك معضلة ، فاجعل جوابها منها .

وقال : من لم يحترم العلماء ، ولم يعظم الكبراء ، فلا تلوموه ، ولوموا أمه .

وقال : كل ملك لا يكون له سخاء لم يصلح لذلك الأمر .

ولم يقل في مدة عمره شعرا سوى هذا البيت :

كفـى حَزَنـاً ألّا حيـاةَ لَذِيـذَةٌ ولا عَمـلٌ يَرْضَى به اللـه صالـحُ

وقال : المرأة الصالحة تشبه الوالدة ، والأخت ، والصديق ، والمرأة السوء تشبه الربة والعبد ، والسارق .

---

(18) أنظر ترجمته عند أ . بن خلكان ،**وفيات الأعيان**،3 : 126 ، والمصادر بالهامش 320 من الصفحة 126 .
(19) أنظر القصة عند م . الأبشيهي ،**المستطرف**،1 : 98 .
(20) أنظر ترجمة عند أ . بن خلكان ، **وفيات الأعيان**،5 : 405 ــ 415 ، والمصادر بالهامش 765 من الصفحة 405 .

وقال : من لم يستظهر بالاخوان عضه ناب الزمان .

معاشرة الأضداد تفتت الأكباد .

حق على العاقل ألا يستخف بثلاثة : بالعلماء ، والسلطان ، والاخوان ، فمن استخف بالعلماء ذهبت آخرته ، ومن استخف بالسلطان ذهبت دنياه ، ومن استخف بالاخوان ذهبت مروءته .

وقال : العاقل خادم الأحمق أبدا ، كيف كان ، إن كان فوقه لم يجد بدا من مداراته ، وإن كان دونه لم يجد بدا من احتماله .

ومن نوادر مالك وأحمد [21] — رضي الله عنهما — :

قال مالك — رضي الله عنه — : من ترك عيب أخيه نسي عيبه ، ومن اشتغل بعيب أخيه ظهرت له عيوب .

وقال أستاذه ربيعة بن عبد الرحمان فروخ [22] : كف من بخت خير من أوقار علم .

وقال : من قال لفقيه أو عالم من أنت ؟ أو ما قدرك ؟ فقد استخف بالشريعة .

وقال أحمد — رضي الله عنه — : لا أصحب الناس لخشية الفراق .

وقال : إذا كان الرجل صادقا في حديثه لا يكذب ، متع بعقله .

وقال : الجاه زكاة الشرف ، والمعروف زكاة النعم، والمرض زكاة البدن، فَكُلٌّ مَا أديت زكاته فقد أمنت الخسران فيه .

ذم العقلاء أشد من ضرب السلطان ، فإن هذا خذلان ، وذاك تعزيز .

قال الشافعي : عجبت لمن يدخل الحمام قبل أن يأكل ، ثم يؤخر الأكل بعده ، كيف لا يموت .

الثوري [23] : عليك بعمل الأبطال ، الكسب من الحلال ، والانفاق في العيال .

---

(21) أنظر ترجمته عند أ . بن خلكان، **وفيات الأعيان** ،1 : 63 — 65 ، والمصادر بالهامش 20 من الصفحة 63 .

(22) أنظر ترجمته عند أ . بن خلكان ،**وفيات الأعيان** ،2 : 228 — 290 ، والمصادر بالهامش 232 من الصفحة 228 .

(23) أنظر ترجمته عند أ . بن خلكان ،**وفيات الأعيان** ،2 : 386 — 391 والمصادر بالهامش 266 من الصفحة 386 .

ومن نوادر الصوفية :

قال سَرِيُّ السَّقَطي (24) — رحمه الله تعالى — :

خمسة أشياء من جواهر النفس ، فقير يظهر الغنى ، وجائع يظهر الشبع ، ومحزون يظهر الفرح ، ورجل بينه وبين رجل عداوة يظهر المحبة ، ورجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يظهر الضعف .

قالوا : الندامة أربعة ، ندامة يوم ، وندامة سنة ، وندامة عمر ، وندامة الأبد .

فندامة اليوم : أن يخرج من المنزل قبل الغداء ، وندامة سنة : الزارع يترك زرعه ، وندامة العمر : أن يتزوج بامرأة غير موافقة ، وندامة الأبد : أن يترك أمر الله .

حاتم الأصم (25) : مصيبة الدين أعظم من مصيبة الدنيا .

عبد العزيز بن أبي رواد : ابرار الدنيا الكذب ، وقلة الحياء ، ومن طلب الدنيا بغير أهلها فقد أخطأ الطريق . وابرار الآخرة : الصدق ، والحياء ، ومن طلب الآخرة بغير أهلها فقد أخطأ الطريق .

يحيى بن معاذ (26) : فساد الخلق من ثلاثة أشياء : بطن شبعان من ألوان الطعام ، وقلب فرح مسرور ، وجوارح مستريحة عن العبادة ، تعبة في جمع الدنيا .

لقمان قال لابنه : استغن بالكسب عن الفقر ، فما افتقر أحد إلا أصابه ثلاث خلال مكروهة : رقة في دينه ، وضعف في عقله ، وذهاب مروءته ، وأعظم من هذه الثلاثة : احتقار النأس له .

فضيل بن عياض : إذا لم تستطع الصوم والصلاة ، فاعلم أنك مكبل بالذنوب .

ومن نوادر الحكماء :

ثلاثة لا يستطاع فسادهن من الحيل : العداوة بين الأقارب ، والتحاسد بين ذوي الأكفاء ، وغضب الملوك على مفشي سرها .

---

(24) أنظر ترجمته عند أ . بن خلكان ،**وفيات الأعيان**،2 : 357 — 359 ، والمصادر بالهامش 256 من الصفحة 357 من نفس المصدر .

(25) أنظر ترجمته عند أ . بن خلكان ،**وفيات الأعيان**،2 : 26 — 29 ، والمصادر بالهامش 148 من الصفحة 26 من نفس المصدر .

(26) أنظر ترجمته عند أ . بن خلكان ،**وفيات الأعيان**،6 : 165 — 168 ، والمصادر بالهامش 794 من الصفحة 165 من نفس المصدر .

وثلاثة لا يشبع منهن : الحياة ، و العافية ، والمال .

احذر أربعة غارات : غارة ملك الموت على روحك ، وغارة الورثة على مالك ، وغارة الدود في القبر على بدنك ، وغارة الخصماءِ على حسناتك .

اصنع الخير عند إمكانه يبقى لك جهده بعد زوال أيامه .

واحسن والدولة لك ، يحسن لك والدولة عليك .

ما أضعف طمع صاحب السلطان في السلامة .

من خير الاختيار صحبة الأخيار ، ومن شر الاختيار صحبة الأشرار .

الاغترار بالأعمار من شيم الأغمار .

من زرع العدوان حصد الخسران .

قيل لحكيم : لِمَ تجمع المال وأنت حكيم ؟ قال : لأصون به عرضي ، وأؤدي منه الفرض ، وأستغني به عن القرض .

قال الأحنف : العجلة في خمسة أشياء محمودة : في الكريمة إذا خطبها الكفء ، وفي الميت حتى تخرجه ، وفي عيادة المرضى ، وفي الصلاة إذا دخل وقتها حتى تؤدى ، وفي الضيف إذا نزل حتى يقدم إليه الطعام .

قبل يد عدوك إذا لم يمكنك قطعها .

يجب على من اصطنع معروفا أن ينساه من ساعتها ، ويجب على من أسديت له نعمة أن يكتبها بين عينيه أبدا .

عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت : قال رسول الله ﷺ : « يا عائشة ، أنشديني أبياتا في الشكر ، فأنشدته :

ارفع ضعيفك لا [يسوءك] ضعفه   يوما فتدركه العواقب قَدْ نَمَا (27)
يجزيك أو يثني عليك وأن من   أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

---

(27) بالأصل : (يحزنك) ، وهو تصحيف ، والتصويب من **محاضرات الأدباء** للراغب الأصبهاني ،2 : 570 .

قالت : فقال رسول الله ﷺ : اما أن جبريل — عليه السلام — أخبرني أن الله يوقف عبدا من عبيده يوم القيامة بين يديه ، فيقول : أسدى إليك فلان نعمة فلم تشكره عليها ، فيقول : يارب ، أنا شكرتك لأنك أجريت تلك النعمة على يديه ، فيقول الله تعالى : لم تشكرني إذ لم تشكر الذي أجريتها على يده » . ويشهد لهذا قوله ﷺ : « من لم يشكر الناس ، لم يشكر الله » (28) .

وأنا أشهد الله وملائكته ، وجميع عباده إني أشكر مولانا — أيده الله — على ما أسدى إلي من نعم إذ أخرجني من الأسر العظيم النقم .

وعن ابن عباس — رضي الله عنه — أنه سمع النبي ﷺ يقول : « من أسدى إلى قوم نعمة فلم يشكروه ، استجيب له فيهم » (29) .

قال عبد الله بن المبارك : ثم أقبل خضر بن يسار ، فقال : اللهم إني أسديت إلى بسام نعمة فلم يفوا لي بشكرها ، فاجعل موتاهم قتلى بالسيف . قال ابن المبارك : فبلغني أنه قتل منهم سبعون رجلا .

وعن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال : رسول الله ﷺ : « إذا قال الرجل لأخيه جزاك الله خيرا ، فقد بالغ في الثناء » (30) . وعن ابن عباس — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : إن في الجنة شجرة يقال لها : خيرا ، أصلها في منزل رجل من قريش لا أسميه لكم ، وفرعها في سائر الجنة ، فإذا قال الرجل لأخيه : جزاك الله خيرا ، فإنما يعني بها تلك الشجرة » (31) .

قال بعضهم : اجتمع الحكماء على خصلة واحدة تكفي الانسان ، فقيل : الصبر وقيل : القناعة .

ومن الملح المذكورة عن الملوك :

حكي أن سابور ذا الاكتاف ملك في بطن أمه لما هلك أبوه هرمز ، ولم يكن له ولد يجعل مكانه ، فشق على قومه ، فقالت امرأته : إن بي حملا ، فسر بذلك قومه وعقدوا التاج على بطنها

(28) الحديث غير موجود عند ج . السيوطي في **الجامع الكبير** ،ولا عند أ . ى . في **المعجم المفهرس** .
(29) أخرجه الشيرازي في **الألقاب** عن ابن عباس ، أنظر ج . السيوطي ، **الجامع الكبير** ،3 : 22 .
(30) أخرجه الخطيب في **مكارم الأخلاق** عن أبي هريرة ، أنظر ج . السيوطي ،**الجامع الكبير** ،1 : 145 .
(31) الحديث لا يوجد عند ج . السيوطي في **الجامع الكبير**، ولا عند أ . ى . ونسنك في **المعجم المفهرس** .

على أن يملكوا من في بطنها ، ذكرا كان أو أنثى ، فولدته وملكوه ، وكانت سيرته فيهم محمودة ، وأيامه مشهورة .

أول ملك ملك في الاسلام معاوية — رضي الله عنه — ، عشرين سنة أميرا ، وعشرين سنة خليفة ، فولايته أربعون سنة .

ليلة ولد فيها خليفة ، ومات فيها خليفة : ليلة ولد فيها المامون ، ومات فيها الهادي ، وتولى الرشيد .

خليفة جرت أحواله على ثمانية : المعتصم بالله (32) ، لقب بالمُثَمَّن ، لأن الله — سبحانه وتعالى — قضى له في كل أمر عدد الثمانية ، فهو الثامن من ولد العباس — رضي الله عنه — وثامن الخلفاء ، وموروثه ثمانية آلاف دينار ، وثمان عشرة ألف دابة ، وفتح ثمان مدن .

أربعة إخوة كل واحد منهم أسن من الأخر بعشرة سنين : هم طالب وعقيل (33) ، وجعفر (34) ، وعلي ، بنو طالب (35) .

أب وابن بينهما تقارب شديد : عمرو بن العاص بينه وبين ابنه عبد الله ثلاث عشرة سنة .

ومن المعمرين : أربعة نفر عاشوا حتى ولد من صلب كل واحد منهم مائة مولود ، أنس بن مالك الأنصارى — رضي الله عنه — ، وفلان السعدي ، وعبد الله بن عمر الليثي ، وجعفر بن سليمان الهاشمي .

ومن بديع ما اتفق أن النبي ﷺ ولد يوم الاثنين ، وبعث يوم الاثنين ، ونزل : « اليوم أكملت لكم دينكم — الآية » (36) يوم الاثنين ، وتوفي يوم الاثنين ﷺ .

ومن غريب الاتفاق أيضا ما حكي أن طويسا (37) ، الذي يضرب به المثل في الشؤم والأسى ، ولد يوم موت النبي ﷺ ، وفطم ليلة مات أبو بكر ، وبلغ الحلم يوم قتل عمر ، وتزوج

(32) أنظر ترجمته عند ابن شاكر ، **فوات الوفيات** ،4 : 48 — 50 ، والمصادر بالهامش 500 من الصفحة 48 .
(33) أنظر ترجمته عند خ . الدين الزركلي ، **الأعلام** ، 5 :39 — 40 والمصادر بالهامش .
(34) المصدر السابق ،2 : 118 ، والمصادر بالهامش .
(35) المصدر السابق ، 4 : 315 ،والمصادر بالهامش .
(36) الآية 4 من سورة المائدة .
(37) أنظر ترجمته عند أ . بن خلكان ،**وفيات الأعيان** ، 3: 506 — 507 ، والمصادر بالهامش 519 من الصفحة 506 من نفس المصدر .

يوم قتل عثمان ، وولد له في الليلة التي قتل فيها علي — كرم وجهه — ، وكان يقول :

يا أهل المدينة ، ما دمت فيكم ، فتوقعوا خروج الدجال ، فإذا مت فأنتم آمنون .

الموالي من فقهاء السلف — رضوان الله عليهم :

ابن أبي ليلى الكوفي ، والحسن ، وابن سيرين [38] .

فقهاء مكة : عطاء [39] ، ومجاهد [40] ، وسعيد بن جبير [41] وسليمان بن يسار [42].

وتسمى بكة — بالباء — وأم القرى ، وقيل : إنما سميت بأم القرى لأنها أول الأرض وأصلها ، ومنها دحيت أي بسطت ، وقيل : لأن أهل القرى يؤمونها ، أي يقصدونها . وأما الكعبة فأول من بناها بعد الطوفان إبراهيم عليه السلام ، قال الله تعالى : « وإذا بوأنا لابراهيم مكان البيت » [43] .

قال أبو عبيد : أي اريناه أصله .

فكان إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ، فبنى الكعبة من خمسة جبال : من طور سينا ، وطور زيتا ، ولبنان ، والجودي [44] . وبنيت قواعد البيت من حراء فبقي صخر واحد ، فذهب إسماعيل يبنيه ، فوجد الحجر قد ركب في مكانه ، فقال لابراهيم : يا أبتي ، من أتاك بهذا الحجر ؟ قال : أتاني به من لم يكلني إليك ، ثم قال لاسماعيل : ائتيني بحجر حسن أضعه على الركن ، فيكون علما للناس ، فناداه أبو قبيس يا إبراهيم ، إن لك عندي وديعة ، فهاكها ، فأخذ إبراهيم الحجر الأسود من أبي قبيس وركبه في موضعه .

---

(38) أنظر ترجمته عند أ . بن خلكان ، **وفيات الأعيان** ، 4 : 181 — 183 ، والمصادر بالهامش 575 من الصفحة 181 من نفس المصدر .

(39) أنظر ترجمته عند أ . بن خلكان ،**وفيات الأعيان** ،3 : 261 — 263 ،والمصادر 419 من الصفحة 261 من نفس المصدر .

(40) أنظر ترجمته عند خ . الدين الزركلي ،**الأعلام** ،6 : 161 ، والمصادر بالهامش 2 .

(41) أنظر ترجمته عند أ . بن خلكان ،**وفيات الأعيان** ،2 : 371 — 374 والمصادر بالهامش 261 من الصفحة 371 من نفس المصدر .

(42) أنظر ترجمته عند أ . بن خلكان ،**وفيات الأعيان** ،2 : 399 ، والمصادر بالهامش 270 من الصفحة 399 من نفس المصدر .

(43) الآية 26 من سورة الحج .

(44) أنظر البكري ،**معجم ما استعجم** ،2 : 304 ، والحميري ،**الروض المعطار** ،ص 181 .

قال الله تعالى : « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ، ربنا تقبل منا أنك أنت السميع العليم » (45) .

وعن نبيط بن شريط ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ﷺ أنه قال : « أول من أضاف الضيف إبراهيم ــ عليه السلام ــ وأول من لبس السراويل ، وأول من اختتن بالقَدوم وهو ابن عشرين ومائة سنة ، وهو أول من رأى الشيب وهو أول من خبز الكعك للأضياف ، وكان إذا أكلوا طعامه قال لهم : هاتوا ثمنه ، فيقولون : وما ثمنه ؟ فيقول : تحمدون الله تعالى » (46).

حكى العزفي أن خاتم إبراهيم ــ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ــ كان نقشه لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أفوض أمري إلى الله ، وألجىء ظهري إلى الله وحسبي الله ، فأوحى الله إليه ، تختم بهذا ، أجعل النار عليك بردا وسلاما .

قال ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ : لو لم يتبع بردها بسلام لمات إبراهيم من بردها ، ولم ينتفع أحد في ذلك اليوم بنار ، وظنت كل نار أنها المأمورة . وكان إبراهيم حينئذ من ست عشرة سنة .

يروى أن عبد الله بن عمر قال لمجاهد أتدري من أشار بحرق إبراهيم ــ عليه السلام ــ ؟ قال : لا ، قال : رجل من أعراب فارس ، فقال : وهل للفرس أعراب ؟ قال : نعم ، الكرد .

ولما رفع إبراهيم ــ عليه السلام ــ ليقذف في النار سألت الأرض وكل من عليها ، غير الثقلين ، ربها ــ تبارك وتعالى ــ أن يأذن لها نصرة إبراهيم ، فقال : إن استغاث بشيء منكن فأغيثوه ، وإن لم يدع غيري فأنا وليه ، فرفع إبراهيم رأسه وقال : اللهم أنت الواحد في السماء ، وأنا الوحيد في الأرض ، فقال : الله تعالى حينئذ : « يا نار كوني بردا وسلاما » (47) ، فنظر إبراهيم في روضة خضراء سواء النار ، أي وسطها ، ورأسه في حجر رجل وهو يمسح له العرق عن وجهه ، وهو ملك الظل .

ومن بركة دعاء إبراهيم لأهل مكة حببت لكل من دخلها ، وكثر تشوقه إليها إذا فارقها ، وأهل مكة أقوى الناس افهاما ، وأزكاهم أحلاما ، وأوردهم من حياض المعارف أحلاما .

فمما أطلعني عليه صاحبنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحكيم التونسي رقعا مشتملة على نظم ونثر من امرأة مكية كانت تراسله بذلك ، ومن خطها نقلت ، فمن ذلك نثر : لينهى

---

(45) الآية 127 من سورة البقرة .
(46) الحديث لا يوجد عند ج . السيوطي في **الجامع الكبير**، ولا عند أ . ى . في **المعجم المفهرس**.
(47) الآية 69 من سورة الأنبياء .

بعد بث الشوق الجزيل إلى الذات المحروسة ، والطلعة البهية المانوسة ، من لا تسمع بعض شوقي اليه الطروس، وتشتاق لذكره القلوب والنفوس، وتقرب عند مقابلة طلعته البدور والشموس .

وبعد ، فإن المملوكة على ما يعهدها سيدها من الحب القديم ، والود المستقيم ، الذي لا تغيره الليالي والأيام ، ولا عذل الوشاة من الأنام ، وأقول :

سواك ببالـــــيَ لا يخطـــــر إذا ما نسيــــتك من أذكـــــر
ويـــــوم سروري يومــــا أراك أظـــل برؤيــــاك مستـــبشر
إذا غاب شخصك عن ناظــــري فمـــن ذا الـــذي بعـدك استنظــر

ثم قالت : من المحب المخلص في الوداد، إلى مالك القلب والفؤاد :

وما نظرت عيني التي أنت نورهــا إلــى أحــد إلا وشخصك ماثـــل
وما هجعت إلا رأيتك في الكـرى فإنك فيمـــا بيـــن جفنـــيّ نازل

ولها أيضا ــ أي في مكتوبها ــ :

يقبــل الأرض والأقـــدام معتقــــد صب على الحب والاخلاص لم يزل
إن حال بدر الدجى واسودَّ أبـيضه فإنني عن قديــم العهــد لم أحــل

ومنها أيضا :

أقبّـــلُ الأرض مولاي والقدمــــا مودة بعض ما أوليتـــي قدمـــا
إن الدموع على تكرار ذكــرك قد ظلت تصب على خد المشوق دما

ومنها :

يا من بألحاظه المرضى أراق دمـــي ومن إليه باتــلاف سعـى قدمـــي
ومـــن أهـــم علـــى أنـــي أعاتبــه خوفا عليه من الــواشي أضم فمــي
وقاتلـــي بتجنيـــه وقسوتــــه وتاركي في الهوى لحما على وضم
وناظري في الهوى إن مال يوما إلى خل سواك تجافـاه الكـرى فعمــي

فاعرض وعرض وصل واهجر وصد وصل ... واخش ولن وارض واغضب واعف وانتقم
كن كيف شئت فما قصدي سواك ولا ... أسلو هواك ولا السلوان من شيمي

ولما راح إلى الطائف كتبت إليه بعد البسملة ما نصه :

ينهى بعد مزيد السلام ، وبث لواعج الشوق والغرام ، إلى من هو نور المقل ، وغاية الأمل ، وثمرة الفؤاد ، ومالك القياد ، وتوحشت لنور طلعته البلاد والعباد :

أيا غائبا عني قريب مكانه ... تباعدت عن عيني وأنت قريب
وخلفتني للسقم بعدك والضنى ... أكابد عيشا ما أراه يطيب
وحيدا فريدا باكيا متأسفا ... عليك كأني قد بقيت غريب
فوا أسفي إذ صرت عني مغيبا ... وقد كنت نصب العين ليس تغيب

ومنهما :

غبتم فما سرني أنسي بإنسان ... إني وذكركم للخلق إنساني
وما تذكرت منكم ما سررت به ... إلا وجدد ذاك الذكر أحزاني

ومنها :

أنتم على عهدكم في القلب سكان ... وفي فؤادي لكم ربع وأوطان
وأنتم في سويدا القلب منزلكم ... مني وفي موضع الأركان بنيان
فلا تظنون أني قد نسيتكم ... أيضا وضاع لكم عهد وإيمان
والله والله ما حالت مودتكم ... يوما ولا رقدت لي قط أجفان

ومنها :

سلام عليكم ما أمر فراقكم ... فياليتنا من قبل فرقتكم متنا
ترى عادة الأيام تجمع شملنا ... وترجع أيام السرور كما كنا

ومنها ، وهي لمحمد بن علي المعروف بابن أبي الصقر الواسطي ، ولد سنة 409 (48) وتوفي سنة 498 (49) :

---

(48) 409 هـ توافق 1019م .
(49) 498 هـ توافق 1105م .

وحرمـــة الـــود مالــي عنكـــم عوض ولــيس لي في سواك بعدكـــم غرض
ومـن جنوني بكـم قالـــوا : به مرض فقلت : لا زال عني ذلك المرض [50]

ومنها :

إن غاب شخصك عن عيني ولم أره فإن حبك في مكنـــون اضمـــــار
وإن تكلـــمت لم أنطـــق بغيركـــم وحـــيث كنتـــم فأنتـــم عقـــد أسرار

ثم كتبت من المحب الهالك ، إلى السيد المالك :

أحبابنــــــا وحياتكـــــــمْ سر الهـــوى عنــــدي مصونْ
غيــــري يخـــون حبيبـــه وأنـــا الأميـــن فلا أخـــون
وأنـــا الـــذي ألقـــى الالـــ ـه بحبكـــم وبـــه أديـــن
ولكـــم عرضت عليكـــم روحـــي وكـــــنت لهـــــا أصون
واخترتكـــــم لمودتـــــي فلكـــم لهـــا عنـــدي ديـــون
لا تحسبـــوا قلبـــي سلا لا كان ذاك ولا يكـــــون
وحياتكـــم وهـــي التـــي ما مثلهـــا عنـــدي يميـــن

ومنها:

إذا فات يوم أو تعـــرض مانـــع ولـــم أركـــم فيـــه فعمـــري ضائـــع
حبيبي علـى الدنيـــا إذا غبت وحشة ويا قمري قل لي : متى أنت راجـع؟
إذا لم أعــد إنسان عينـــي بأنـــه يراك قريبـــا أغرقتـــه المدامـــع
فعدنـــي ومنينـــي أقـــول وعدتنـــي فأصبـــح مسرورا بوعـــدك قانـــع
وفي البعد عنكم واسع الأرض ضيق وفي القرب منكـم ضيـق الأرض واسع
وكـــل محب ما اهتـــدى بجمالكـــم فذاك محب في الضلالـــة ضائـــع
أيـــا مودعـــا وسط الفـــؤاد سريـــره وحقك لا ضاعت علـــيك الودائـــع

ثم أتبعتها بما نصه : وأنا أقسم عليك بالعهد والايمان الذي بيننا ألا تزيد في الغيبة عما

(50) أنظر البيتين عند أ . بن خلكان ،**وفيات الأعيان**،4 : 450 — 451 .

ذكرت ولا تخون العهد ، وحاشاك من ذلك ، فإنما ينقض العهد غير كافرة أو كافر بجحيم موعود .

وقد ضاع مني في محنتي كثير مما كتبت به إليه .

ومما حدثني به ابن الحكيم المذكور عن المكية المذكورة أنها تحسن اللعب بالشطرنج وتضرب بآلة من آلات الطرب بمكة يقال لها الدريج ، لها أوتار كثيرة . وأما خطها الذي نقلت منه فخط مشرقي رائق .

حكي عن الأصمعي أنه قال : بعث إلي محمد الأمين وهو ولي العهد ، فسرت إليه ، فقال : إن الفضل بن الربيع [51] كتب عن أمير المؤمنين — يعني هارون الرشيد — بأمر حملك إليه وبين يديه محمد السندى بن شاهك [52] ، فقال له : خذه فاحمله ، وجهزه إلى أمير المؤمنين فوكل به السندى خليفته عبد الجبار . قال فجهزني وحملني حتى أوصلت إلى الفضل بن الربيع ، فقال : لا تلقين أحدا ولا تكلمه حتى أوصلك إلى أمير المؤمنين وأنزلني منزلا أقمت فيه يومين أو ثلاثة ، ثم استحضرني فقال : جئني وقت المغرب حتى أدخلك على أمير المؤمنين ، فجئته ، فأدخلني على الرشيد وهو جالس منفرد ، فسلمت ، فاستدناني وأمرني بالجلوس ، فجلست فقال : ياعبد الملك ، وجهت لك بسبب جاريتين أهديتا إلي وقد أخذتا طرفا من الأدب ، أحببت أن تبلو ما عندهما وتشير علي فيهما بما هو الصواب ، ثم قال : ليمض إلى عاتكة فيقال لها : أحضري الجاريتين ، فأحضرت الجاريتين ما رأيت مثلهما قط ، فقلت لاحداهما : ما اسمك ؟ قالت : فلانة ، قلت ما عندك من العلم ؟ قالت : ما أمر الله في كتابه ، ثم ما ينظر الناس فيه من الأشعار والأدب والأخبار ، فسألتها عن أحرف القرآن ، فأجابتني كأنها تقرأ الجواب من كتاب ، وسألتها عن النحو والعروض فما قصرت في جوابي في كل فن أخذت فيه ، فقلت لها : فإن كنت تقرضين الشعر فأنشدينا شيئا ، فاندفعت في هذا الشعر :

ياغيـاث البـلاد في كل مَحْـل	ما يريـد العبـاد إلا رضاكـا
لا ومـن شرف الامـام واعلـى	ما أطـاع الالـه عبـد عصاكـا

---

(51) أنظر ترجمته عند أ . بن خلكان ،**وفيات الأعيان**،4 :37 — 40 ، والمصادر بالهامش 528 من الصفحة 37 من نفس المصدر .
(52) **أنظر وفيات الأعيان** ، 1 : 337 ، 338 ، 2 : 199 ، 5 : 310 .

ومرت في الشعر إلى آخره ، فقلت : ياأمير المؤمنين ، ما رأيت امرأة في مَسْك [53] رجل مثلها ، وسألت الأخرى فوجدتها دونها ، فقلت : ما تبلغ هذه منزلتها ، إلا أنها إن ووظب عليها لحقت بها . فقال : ياعباس ، فقال الفضل : لبيك ياأمير المؤمنين ، قال : لترد إلى عاتكة ، ويقال لها تصنع [54] هذه التي وصفتها بالكمال لتحمل إلى الليلة [55] ، ثم قال لي : يا عبد الملك ، أنا ضجر ، وقد جلست أحب أن أسمع حديثا أتفرج به ، فقلت : لأي الحديث يقصد أمير المؤمنين ؟ قال : لما شاهدت وسمعت من أعاجيب الناس ، وظريف أخبارهم ، فقلت : ياأمير المؤمنين ، صاحب لنا في بدو بني فلان كنت أغشاه ، وأتحدث إليه ، وقد أتت عليه ست وتسعون سنة ، أصح الناس ذهنا ، وأجودهم أكلا ، وأقواهم بدنا ، فغبت عنه زمانا ثم قصدته ، فوجدته ناحل البدن ، كاسف البال متغير الحال ، فقلت له : ما شأنك ؟ أصابتك مصيبة ؟ قال : لا ، قلت : فمرض عراك ؟ قال : لا ، قلت : فما سبب هذا التغير الذي أراه بك ؟ فقال : قصدت بعض القرابة في حي بني فلان ، فألفيت عندهم جارية قد لاثت [رأسا] ، وطلت بالورس ما بين قرنيها إلى قدميها ، وعليها قميص وقناع مصبوغان ، وفي عنقها طبل توقع عليه وتنشد هذا الشعر :

محاسنهـــا سهـــام للمنايـــا ... مريشة بأنـــواع الخطـــوب
برى ريب المنـــون لهـــن سهمـــا ... يصيب بنصلـــه مهـــج القلـــوب

قال : فأجبتها :

قفي شفتي في موضع الطبل ترتعي ... كما قد أبحت الطبل في جيدك الحسن
هبينـــيَ عودا أجوفـــا تحت تينـــة ... تَمَتَّعَ فيما بين نحرك والذقـــن [56]

فلما سمعت الشعر مني نزعت الطبل ، فرمت به في وجهي وبادرت إلى الخباء فدخلت ، فلم أزل واقفا إلى أن حميت الشمس على مفرق رأسي ، لا تخرج ولا ترجع إلي جوابا ، فقلت أنا معها والله كما قال الشاعر :

فواللـــه ياسلمـــى لطـــال اقامتـــي ... علـــى غيـــر شيء ياسليمـــى أراقبـــه

---

(53) عند ابن الأنباري في نزهة الألباء :مسلك ، ص 94 .
(54) في نزهة الألباء :تصلح ، ص 94 .
(55) أنظر القصة عند ابن الأنباري ، نزهة الألباء ،93 ـــ 94 .
(56) في نزهة الألباء ،95 : الدمن .

ثم انصرفت سخين العين ، قرح القلب ، فهذا الذي ترى بي من التغير من عشقي لها ، فضحك الرشيد حتى استلقى ، وقال : ويحك ياعبد الملك ، ابن ست وتسعين يعشق ؟ قلت : قد كان هذا ياأمير المؤمنين ، فقال : أعط عبد الملك مائة ألف درهم ، ورده إلى منزلة السلام ، فانصرفت فإذا خادم يحمل شيئا ومعه جارية تحمل شيئا ، فقال : أنا رسول إبنتك — يعني الجارية التي وصفتها — وهذه جاريتنا تقرأ عليك السلام ، ويقول لك : إن أمير المؤمنين أقر لي بمال وثياب ، هذا نصيبك منها فإذا المال ألف دينار ، ولم تزل تعهدني بالبر الواسع الكثير إلى أن كانت فتنة محمد . فانقطعت أخبارها عني ، وأمر لي الفضل بن الربيع بعشرة آلاف درهم من ماله [57] .

قال الأصمعي : بت ليلة في البادية وحيدا مغموما ، فلما انتهى الليل سمعت قائلا لم أر شخصه يقول :

فرج البــلاء بكــف مــن … بقضائــه نزل البــلاء
فاصبــر فكــل شديــدة … لابــد يتبعهــا رخــاء

وذكر الأصمعي قال : بينا أنا بطرقات البصرة إذا أنا بكناس يكنس كنيفا ، وإذا هو يقول :

فايــاك والسكنــى بأرض مذلــة … تعد مسيئا فيـه إن كنت محسنـا
ونفسك أكرمها وإن ضاق مسكــن … عليك بها فاختر لنفسك مسكنـا

قال الأصمعي : فوقفت عليه ، فقلت : والله ما بقي من الهوان شيء إلا وقد أهنتها به ، فما الذي بلغت من كرامتها ؟ فقال : والله لكنمي الكنيف أيسر من القيام على باب مثلك .

الأصمعي : هو أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيْب بن عبد الملك بن علي بن أصمع بن مظهر بن رياح بن عمرو بن عبد شمس بن أعيا بن سعد بن عبد بن غنم بن قتيبة بن معن بن مالك بن سعد بن قيس عيلان ، وهو صاحب غرائب الأشعار ، وغرائب الأخبار ، والتأنق في ملح الحكايات ، والتفنن في طرف الانشادات ، حتى صار قدوة الفضلاء ، وقبلة الأدباء ، قوله حجة ، ونقله حجة ، وكان من أهل البصرة — رحمه الله تعالى —، مات سنة خمس عشرة ومائتين [58] ، ويقال : سنة ست عشرة، ويقال : سنة سبع عشرة .

---

(57) أنظر القصة عند ابن الأنباري ،نزهة الألباء ،95 — 96 .
(58) 215 هـ توافق 830 / 831 م .

قال الحافظ أبو بكر بن ثابت الخطيب : بلغني أن الأصمعي بلغ ثمانيا وثمانين سنة ، وكانت وفاته بالبصرة — رحمة الله عليه — .

حكي عن الفرزدق قال : لما دخلت بلاد بني عقيل ، ووردت ماء من مياههم ألفيت بيتا عظيما ، وإذا فيه امرأة سافرة في الظل لم أر كحسنها وهيئتها فدنوت وقلت : أتأذنين في الظل ؟ قالت : أنزل ، فلك الظل والقوى ، فأنخت وجلست إليها ، فدعت جارية لها سوداء كالراعية وقالت : الطفيه شيئا ، واسعي إلى الراعي فردى علي شاة أذبحها له ، قال : فأخرجت إلي تمرا و زبدا ، قال : فحادثتنا فوالله ما رأيت مثلها قط ، ما أنشدتها شعرا إلا أنشدتني أحسن منه ، قال : وأعجبني المجلس والحديث إذ أقبل فتى بين فردين ، فلما رأته دعت ببرقعها فوضعته على وجهها ، وجلس الفتى وأقبلت عليه بوجهها وحديثها ، فدخلني من ذلك غيظ فقلت للحين : يا فتى ، هل لك في الصراع ؟ فقال : سوءة، إن الرجل لا يصارع ضيفه ، قال : فألححت عليه ، فقالت : ما عليك لو لا عبت ابن عمك ، فقام وقمت ، فلما رمى ببرده إذ خلق عجيب ، فقلت : هلكت و رب الكعبة ! . فقبض على يدي ، ثم ضمني إليه فصرت في صدره ، ثم حملني ، فوالله ما اتقيت الأرض إلا بظهر كفي ، وجلس على ظهري ، فآل نفسي أن ضرطت ضرطة منكرة . قال : ووليت على ظهر راحلتي ، فقال : أنشدك الله الظل والقرى ، وقالت المرأة : عافاك الله الظل والقرى ، فقلت : أخزى الله ظلكم وقراكم ، فبينا أنا أسير إذ لحقني الفتى نجيب بجنب نجيب برحله وزمانه ، وكان رجلا من أحسن الرجال ، فقال : يا هذا ، إنه والله ما يسرني ما كان ، فخذ هذا النجيب وإياك أن تخدع عنه ، فقد — والله — أعطيت فيه مائتي دينار ، فقلت : نعم آخذه ، ولكن أخبرني من أنت ؟ ومن هذه المرأة ؟ فقال : أنا تَوْبَة بن الحُمَيِّر (59) ، وهذه ليلى الأَخْيَلِيَّة (60) .

الفرزدق : هو أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة ، وقيل هميم بالتصغير ، التميمي ، وأمه ليلى بنت حابس أخت الأقرع بن حابس (61) — رضي الله عنه — ، وجده صعصعة في عداد الصحابة . والفرزدق شاعر إسلامي .

قال الجوهري : الفرزدق : جمع فرزدقة ، وهي القطعة من العجين ، وإسمها بالفارسية

---

(59) أنظر ترجمته عند م . بن شاكر ،**فوات الوفيات** ،1 : 959 — 260 ، والمصادر بالهامش 89 من الصفحة 259 من نفس المصدر .

(60) أنظر ترجمتها عند م . بن شاكر ،**فوات الوفيات** ،3 : 226 — 228 ، والمصادر بالهامش 406 من الصفحة 226 من نفس المصدر .

(61) أنظر ترجمته عند خ . الدين الزركلي ،**الأعلام** ،1 : 343 والمصادر بالهامش .

« برآزره » ، لشبه وجه الفرزدق بالخبرة ، فسمي فرزدقا ، وهو من التابعين ، أدرك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — ، وروى عن أبي هريرة وعبد الله بن عمر ، وأبي سعيد الخدرى — رضي الله عنهم — ، قال أبو عبيد الله : لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب ، وذكر سليمان بن يسار ، قال : لقي الفرزدق حسينا — رضي الله عنه — بالصباح ، فسلم عليه ، فوصله بأربعمائة دينار ، فقالوا له : يا أبا عبد الله ، تعطي شاعرا مبتهرا ؟ قال : إن خير ما امضيت من مالك ما وقيت به عرضك ، الفرزدق شاعر لا يؤمن ، فقيل لسليمان : وما عسى أن يقول في الحسين ومكانه ، وأبوه وأمه من قد علمت ، قال : اسكتوا ! فإن الشاعر ملعون ، إن لم يقل في أبيه وأمه يقل في نفسه .

ومعنى مبتهرا : أي قاذفا لمن هو برىء .

ذكر معاوية بن عبد الكريم ، قال : دخلت على الفرزدق ، فتحرك ، فإذا في رجليه قيد ، فقلت : ما هذا يا أبا فراس ؟ قال : حلفت ألا أخرجه من رجلي حتى أحفظ القرآن .

وذكر أبو شَفْقَل (62) أن الفرزدق طلق امرأته النَّوار ثلاثا ، وقال لي : يا أبا شفقل ، امض بنا إلى الحسن البصري نشهده على طلاق النوار ، فقلت له : أخشى أن يبدو لك فيها ، فيشهد عليك الحسن فتجلد ويفرق بينكما ، فقال : لابد منه ، فمضينا إلى الحسن وهو في حلقته ، فقال له الفرزدق : يا أبا سعيد ، علمت اني طلقت النوار ثلاثا ، فقال له الحسن : شهدنا عليك ، ثم بدا له بعد فشهد عليه الحسن وفرق بينهما ، فأنشأ يقول :

ندمتُ ندامة الكُسَعِيِّ (63) لما ... غدت عني مطلقة نَوَارُ
وكانت جنتي فخرجت منها ... كآدم حين أخرجه اضطرار
فلو أني ملكت يدي وقلبي ... لكان علي للقدر الخيار (64)

---

(62) بالأصل : (أبو شغفل) ، وهو خطأ ، صوابه : أبو شفقل . قال الزبيدي في **التاج** ، مادة شكل : شفقل كجعفر أهمله الجوهري .
وقال ابن دريد في **جمهرة اللغة** ،3 : 344 : وأبو شفقل راوية الفرزدق .
وقال ابن منظور في **اللسان** ،مادة شكل : شفقل ، وأبو شفقل راوية الفرزدق . وقال ابن خالويه : إسم راوية الفرزدق شفقل .

(63) الكسعي : هو محارب بن قيس الكسعي ، شاعر يضرب به المثل في الندامة ، ويذكرون من خبره أنه كانت له أقواس رمى بها بعض حمر الوحش ، فأصابها وظن أنه أخطأها ، فكسر الأقواس ، ثم قال :

ندمت ندامة لو أن نفسي ... تطاوعني إذن لقطعت خمسي
تبين لي سفاه ارأي مني ... لعمر أبيك ، حين كسرت قوسي

أنظر خ . الدين الزركلي ،**الاعلام** ،6 : 168 ، والمصادر بالهامش 1 .

(64) أنظر الأبيات عند أ . بن خلكان ، **وفيات الأعيان** ،6 : 100 ، والأبشيهي ،**المستطرف** ،2 : 260 .

توفي الفرزدق سنة أربع عشرة ومائة بذات الجنب .

روي الأصمعي أنه رىء في المنام ، فذكر أنه غفر له بتكبيرة كبرها بالمقبرة عند قبر غالب .

وقيل : رىء في النوم ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي بإخلاصي في كلمة لا إله إلا الله ، وقال لي : لولا شبيك لعذبتك بالنار .

ذكر ابن الهيثم (65) قال لما نعي الفرزدق إلى جرير ، وهو بالبادية ، اعترض الطريق ، فإذا أعرابي على قَعود له ، فقال له جرير : من أين ؟ وممن ؟ قال : من البصرة ، ومن بني حنظلة ، قال : هل من جائبة (66) خبر؟ قال : نعم بينا أنا بالمربد فإذا بجنازة قد حفل بها الناس فيها الحسن بن أبي الحسن البصري ، فقلت : من مات ؟ فقالوا : الفرزدق ، فبكى جرير بكاء شديداً ، فقال له قومه : أتبكي على رجل يهجوك وتهجوه منذ أربعين سنة ؟ فقال : إليكم عني ، فوالله ما تساب رجلان ، ولا تناطح كبشان ، فمات أحدهما إلا تبعه الآخر عن قريب .

وأنشد ابن الأنباري (67) :

(لعمري لئن كان المُخبِّر صادقا) لقد عظمت بلوى تميم وجَلَّتِ (68)
فلا حملت بعد الفرزدق حرة ولا ذات حمل من نفاس تعلّتِ
هو الوافدُ المحبوّ و الراقع الثأى إذا النعل يوما بالعشيرة زَلَّت (69)

يروى أنه قيل لجرير بن عطية بن حذيفة الخطفي : من أشعر الناس ؟

---

(65) أنظر ترجمته عند ج . السيوطي ،**بغية الوعاة**،1 : 563 رقم 1179 ، وخ . الدين ،**الأعلام**،3 : 11 .

(66) بالأصل : (هل من جانب خبر) ، وهو خطأ ، صوابه : هل من جائبة خبر ، والجائبة : الخبر الطريف النادر ، قال في **القاموس** ،مادة جوب : الجوائب : الأخبار الطارئة ، هل من جائبة خبر أي طريفة خارقة .

(67) أنظر ترجمته عند م . بن شاكر ،**فوات الوفيات**،2 : 282 — 295 والمصادر بالهامش 262 من الصفحة 292 .

(68) في البيت تضمين من قطعة يرثي الشاعر فيها أخاه أربد ، مطلعها :

لعمري لئن كان المخبر صادقا لقد رزئت في سالف الدهر جعفر

(69) الأبيات لجرير ، وقد سقط البيت الأول من **الديوان** .
أنظر **ديوان جرير** ،88 .

قال : أنا ، لولا هذه الفاعلة ، يعني الخنساء (70) ، قيل : فبما فضلتك ؟

قال : بقولها :

إن الزمـان ومـا تفنـى عجائبـه — أبقى لنا ذنبا واستؤصل الراسُ
أبقـى لنـا كل مجهـول وفَجَّعَنـا — بالحالميـن فهـم هام وأرمـاسُ
إن الجديديـن في طول اختلافهمـا — لا يفسدان ولكن يفسد الناس (71)

والخنساء هذه اسمها تُماضر بنت عمرو بن الحارث ، والخنساء لقبها ، ولها أخ ، وهو صخر بن عمرو ، قيل أنه طعن يوم الكلاب ، ويقال أيضا يوم ذي الاثل ، والكلاب : اسم ماء للعرب كانت عنده وقعة لهم ، ويقال طعنه ربيعة بن ثور الأسدي ، فأدخل جوفه حلقا من الدرع ، فاندمل عليه حتى شق عنه بعد سنين ، فكان سبب موته ، وكان أجمل العرب ، ولأخته الخنساء فيه مراثي .

حكي عن يونس بن عبيد (72) قال : صحبت الحسن بن أبي الحسن البصري ثلاثين سنة ، ما سمعته قط خاض في شيء مما يخوض فيه الناس من أمر الدنيا إنما كان أكثر ذكره الموت ، حتى أتته امرأة يوما ناهيك من امرأة ، شبابا وجمالا ، وشحما ولحما ، يدفع بعضها بعضا ، فجلست بين يديه وقالت : يا شيخ ، أيحل للرجل أن يتزوج على امرأة وهي شابة جميلة ولود ، قال : نعم ، أحل الله له أربعا ، قال : فكشفت عن وجه لم ير مثله حسنا ، وقالت : أو على مثلي ؟ قال : نعم ، قالت : سبحان الله بعيشك يا أبا سعيد لا تفت الرجال بهذا ، ثم قامت منصرفة ، وأتبعها الحسن بصره ثم قال : ما ضر امرءاً كانت هذه عنده مافاته من دنياه .

وأنشد أبو الفرج في كتاب النساء (73) للأسود الخاقاني ، وقد عاتبته امرأته على هوى له :

ويك أن الملام يغـرى الملومـا — ليس جرمي كما زعـمت عظيمـا
إن أكـن عاشقـا فلـم آت إلا — ما أتتـه الرجـال قبلـي قديمـا
إنمايكثـر التعـجب ممـن — كان من فتنـة النساء سليمـا

---

(70) أنظر ترجمتها عند خ . الدين الزركلي ،**الاعلام** ،2 : 69 ، والمصادر بالهامش 1 .
(71) أنظر **ديوان الخنساء** ،88 .
وقد ورد صدر البيت الأول **بالديوان** هكذا : إن الزمان ومايفنى له عجب
(72) أنظر ترجمته عند خ. الدين الزركلي، **الاعلام**، 9 : 346، والمصادر بالهامش 3.
(73) يقصد كتاب عبد الرحمان بن علي بن الجوزي : **أحكام النساء** .
أنظر عنه حاجي خليفة ، **كشف** ،1 : 21 .

حكي أن عبد الرحمان بن عبد الله بن أبي عمار من بني جشم بن معاوية ، كان ينزل مكة ، وكان من عباد أهلها فسمي القَس لعبادته فمر ذات يوم يدار سلامة المغنية المعروفة بسلامة القس [74] ـــ وإنما سميت به ـــ وهي تغني فوقف فتسمع غناءها ، فرآه مولاها فدعاه إلى أن يدخله إليها ليسمع منها ، فأبى ، فقال له : إني أقعدك في مكان تسمع ولا تراها ولا تراك ، قال : أما هذه فنعم ، فأدخله داره ، وأجلسه حيث يسمع غناءها ، ثم أمرها فخرجت إليه فلما رآها علقت بقلبه ، فهام بها ، واشتهر وشاع خبره ، وجعل يتردد إلى منزل مولاها مدة طويلة ، ثم ان مولاها خرج يوما لبعض شأنه وخلفه مقيما عندها ، فقالت له : والله إني لأحبك ، فقال لها : وأنا والله كذلك ، قالت : فما يمنعك ؟ فوالله إن المكان لخال ، قال : يمنعني منه قول الله تعالى « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين » [75] ، فأكره أن تتحول مودتي لك عداوة يوم القيامة ، ثم نهض فخرج وهو يبكي فما عاد إليها بعد [76] .

وكان علي بن أبي طالب يتمثل كثيرا بقول الشاعر :

تبقـــى عواقب سوء في مغبتهـــا لا خير في لذة من بعدها النـار [77]

ومن طرائف الاتفاق خمسة من الأنبياء ـــ عليهم الصلاة والسلام ـــ كل منهم ذو اسمين محمد وأحمد ، وعيسى والمسيح ، وذو الكفل واليسوع ، وإسرائيل ويعقوب ، وذو النون ويونس .

ملكان إسلاميان أول اسم كل واحد منهما عين ، قتل كل واحد منهما ثلاثة من الملوك أول اسمائهم عين :

عبد الملك بن مروان قتل عبد الله بن الزبير ـــ رضي الله عنهما ، وعمرو بن سعيد الأشدق [78] ، وعبد الرحمان بن الأشعت [79] . والمنصور ، وهو عبد الله بن محمد [80]

---

(74) أنظر ترجمته عند خ . الدين الزركلي ، **الاعلام** ،3 : 163 ، والمصادر بالهامش 1 .
(75) الآية 67 من سورة الزخرف .
(76) أنظر القصة عند م . الوشاء ،**الموشى** ،68 ، وم . الأبشيهي ،**المستطرف** 2: 168 ـــ 169 .
(77) أنظر **ديوان علي بن طالب** ،61 .
(78) أنظر ترجمته عند م . بن شاكر ، **فوات الوفيات** ، 3 : 161 ،والمصادر بالهامش 384 من نفس الصفحة واالمصدر .
(79) أنظر ترجمته عند خ . الدين الزركلي ،**الاعلام** ،4 : 98 ـــ 99 ، والمصادر بالهامش .
(80) يقصد أبا جعفر المنصور ، ثاني خلفاء العباسيين ، أنظر ترجمته عند خ . الدين الزركلي ،**الاعلام** ، 4 : 259 ، والمصادر بالهامش 1 .

قتل عمه عبد الله بن علي (81) ، وعبد الرحمان بن محمد بن مسلم (82) ، وعبد الجبار بن عدي (83) والي خرسان .

من بقي في بطن أمه أكثر من تسعة أشهر :

الضحاك بن مزاحم (84) ، ولد لستة عشر شهرا .

شعبة ولد لسنتين .

هرم بن حيان : بقي في بطن أمه أربع سنين ، ولذلك سمي هرما .

مالك بن أنس إمام دار الهجرة — رضي الله عنه — : بقي في بطن أمه أربع سنين .

محمود بن عجلان : بقي في بطن أمه أربع سنين ، وولد وقد نبتت أسنانه وشعره .

وامرأة في بني عجلان تضع في أربع سنين فسميت حاملة الفيل .

وموسى بن عبد الله بن حسين : حملت به أمه وهي بنت ستين سنة .

وفي بني عجلان امرأة وضعت سنين .

يروى أن من ولد لأكثر من تسعة يكون لبيبا عاقلا .

ومن الطرف التي أفادنيها أبو محمد الوجداني المصري بالقاهرة المحروسة ما أنشدنيه من قطع ابن سودون البشبغاوى ، فمن شعره :

وافـي يقبـل أرضا قلبـه سعـدت بلثم أقدامكـم عبـد علـى البـاب
على الدعاء لكم أوقاتـه اشتمـلت سرا وجهـرا بإيجـاز واطنـاب

وأنشدني :

أدنـى الغـرام فؤاد الصب للتلـف بأغيـد قد سبـى بالتيـه والصلـف
في طرفـه دعـج في ثغـره فلـج أردافـه لجـج والـخصر في هيـف

(81) أنظر ترجمته عند خ . الدين الزركلي ،**الاعلام** ،4 : 241 ، والمصادر بالهامش 1 .
(82) أنظر ترجمته عند أ . بن خلكان ، **وفيات الأعيان** ،3 : 145 — 155 ، والمصادر بالهامش 372 من الصفحة 145 من نفس المصدر .
(83) أنظر ترجمته عند خ . الدين الزركلي ،**الأعلام** ،4 : 48 ، والمصادر بالهامش 1 .
(84) أنظر ترجمته عند خ . الدين الزركلي ،**الاعلام** ،4 : 310 ، والمصادر بالهامش 3 .

أعطافه أبدا باللين قد وصفت وقلبه كحديد غير منعطف
كالغصن في مَيَدٍ والظبي في غَيَدٍ والزهر في ترف والبحر في شرف

وأنشدني له :

ماضر من بفؤاد الصب قد رحلوا لو أنهم صحبوه ساعة ارتحلوا
بل خلفوه طريحا في ديارهم مفرغر الدمع لا تهدا له مقل
يظل يهتف والأشواق تزعجه يا ليت شعري بقلبي أيَّة نزلوا
قد زاد وجدي وزال الصبر وانهملت مدامع الطرف والأحشاء تشتعل
فالقلب مشتعل والطرف منهمل والصبر منفصل والوجد متصل
يا من بفرقتهم ذاب الفؤاد أسى رفقا على من به قد ضاقت الحيل
يظل يهتف في بيت يبيت به جفونكم بلذيذ النوم تكتحل
ما ضر أن ترحموا من قل ناصره وضاق منكم عليه السهل والجبل

وأنشدني له :

يا عاذليَّ سلا عن المضنى سلا أن تحسباه على الأحبة قد سلا
ودعا ملامة مغرم أجفانه قد أوضحت من حاله ما أشكلا
لبس الخلاعة عندما خلع الحيا ورأى التهتك في هواه تجملا
يامن أباح دمي بقطع وصاله وبهجره عقد اصطبار حللا
شملي تشتت بعد بعدك في الهوى حتى لأعضاء الشتات توصلا
في الشرق جسمي والفؤاد من الهوى للغرب صار مع الهوى مترحلا

وأنشدني له :

ألاح وجهك أم ذا البدر في الغسق أم بارق أم تلالا وجهك النسق (كذا)
يا جارح القلب رشقا باللحاظ لقد أحييته بالقوام الأهيف الرشق
بالقد والخد كلمت المتيم أو باللفظ واللحظ أو بالحدق والحدق (كذا)
رعاك ربي ما أبهاك من قمر تفوق حسا بدور التم في الأفق
بالسحب تستتر الأقمار من خجل إذا تبديت والأغصان بالورق
خصصت بالحسن والاحسان مرتفعا أوج المراتب في خلق وفي خلق

فجوهــــر اللفـــظ منظوماومنــــتشرا بغير مدحك يا ذا الـفضل لم يلــق
وفــي بيــان معانــيك البديعـــة لو نحـوت بالمنطــق الاحصاء لم أطــق
كسرات جفنك نوم الصب قد رفـعت لمــــا جزمت بنصب العيــــن للأرق
من رقة الخصر أو لين المعاطف لو علـمت قلـبك ما امسيت ذا قلــق
[أرسلت] (85) مطلق دمعي في هواك فمن وثـاق أسرك قلبــي غيــر منطلــــق
حذرت قلبـي إذا أغــــراه طرفك من وصف الغرام فلم يعطف ولم يفـق
ومــن توحـل فيمــا ليس يحملـــه غدا يناديك جد عطفـا علـى رمـق
فدتك روحي من في الحب عذبنــي هل ذاك حل نعم فيما مضى وبقــي
يا حبــذا منك ما ترضاه يا أملـــي من ذاك أحلى ، رعاك الله ، لم أذق
بغيــر هجــرك لا أشكــو له ألمــا ولست منــه مدى الأيـــام في فرق
تبت يد الهجر قد أضحى أبو لهب أعــوذ منــه برب النـــاس والفلـــق

وأنشدني له في دمل :

ومـــــا شيء إذا نال انبساطـــــا وجــدت الـنفس منــه في انقبـاض
قبيــل الفجــــر يشرع في ارتفـــاع وبعــد الـعصر يشرع في انخفــاض

وأنشدني له :

يا من بعقرب صدغيه الحشا لسعـــا لو أمكن الصب سعي للرقي لسعــى
عرى من الصبـــر مذحــل الغــرام به ألمته (كذا) بعقود الحب ثم دعا
يامعرضا عن وصال الحب من صلف يظل تيهــا علــى الـعشاق مرتفعــا
إن لم أكن للمنى أهلا فجد كرمــا وكن ، سلمت ، لما قد قيل مستمعا
ضع الجميل ولو في غيــر موضعـــه فما يضيع جميل أينمـــا وضعـــا (86)

وأنشدني له :

يا ليلــة منـــحت قلبــــي أمانيـــه فدتك أيـــام عمــــري مَعْ لياليــــه
هل راجــع منك وقت مر حيــن حلا أحيـــا فؤادى المعنـــى من تفانيــــه

---

(85) بالأصل : (سلت) ، ولعلها مصحفة عما أثبتناه ، (أي أن الكلمة سقط منها الألف والراء) .
(86) أنظر نزهة النفوس ،ورقة 18 .

وقت حباني على غيظ الحسود بما لم ألق في أملي أني ألاقيه
من أنس ظبي ظبى [87] الحاظه رضيت تلاف صب غدت تابي تلافيه
أصداغه عطفت تغري به عبثا ومنه تحذير قلبي غير واقيه
من ضل في ليل شعر من سوالفه فبارق من لآلي الثغر هاديه
قوامه الغصن روض القلب مغرسه، سلسال جدول ماء الحسن ساقيه
عليه بالسعد اطيار الهوى صدحت تقول إن نطقت : سبحان باريه
إن ماس من هيف أو مال عن دنف من ذا يقاسيه من ذا يقاسيه [88]
يزداد حسنا ويزداد الفؤاد هوى والصبر ينقص ما حالي ترى فيه
محكم في ولاه الجمال على رق الفؤاد فأمسى من مواليه
مذ خصني بعموم الفكر فيه غدا بديع مدحي بيانا عن معانيه
من شر ما خلق المولى أعوذه بقل أعوذ برب الناس باريه

وأنشدني له رثاء :

ترى قلبي ترى طرفي معيني بحسن الصبر والدمع المعين
وهل لي راجع نوما شرودا ينفره الشتات من الجفون
لقد فقد الجمال من البرايا وواجد فقده وجد الحزين
وقد أمسى التراب له وسادا وصافح صفحة الخد المصون
وغيب فيه كرها عن عيان مصاب القلب من سهم المنون
وعاد يسيل دمعي في خدود عيون من عيون في عيون
فدته الروح من صلف كثيف عفيف طاهر سمح أمين
سقى الرحمان قبرا حل فيه سحائب رحمة في كل حين
وأسكنه جنانا غير فان تنعمها بولدان وعين [89]

وأنشدني له :

نظرت إلى السماء وقد تبدت كوجه البدر مبدعة الجمال
فوافق أن رأيتهما جميعا وكل قد تبدى في جلال

---

(87) ظبي : جمع ظبة ، بضم الظاء وباء مخففة ، حد السيف أو السنان ونحوهما .
(88) الشطر الثاني مختل الوزن .
(89) أنظر **نزهة النفوس** ،ورقة 17 .

فقـلت لهـا : بأيكمـا تلافـي ؟ فأومــأت احتشامــا للهــلال
وتعلــم أن ما قصدى سواهــا ولكــن دافعتــي بالمحــال

وأنشدني له :

أبـدا لوصلكـم تحـن ضلوعـي وبطـيب ذكركـم يطـيب ولوعـي
متعت ألحاظـي ببـعض جمالكـم فسرى الغرام جميعـه بجميعـي [90]
قد كان يؤنسنـي المنـام بطيفكـم حتـى منعتـم بعـد ذاك هجوعـي
فجفا الكرى جفني وأوصله الهوى عنـد التفكـر فيكـم بدموعـي
يا من أعزهـم الهـوى وأذلنـي رفقا لذلـي في الهـوى وخضوعـي
عن غيركم لكـم رجـعت أحبتـي لا كان عنكم ما حييت رجوعي [91]

وأنشدني له :

عن المحبـة لا العـذال تلوينـي ولا صفائـي ممـزوج بتلويـن
وإن أطـيب أوقاتـي وأنعمهـا ساعـات قربك يامـن حبـه دينـي
يدني لي الحـزن يومـا لا أراك به ويـوم رؤيـاك للأفـراح يدنينـي
ولست أسلـو وفـاء كنت تعهـده ولا عن القرب طول الدهر تقصيني
يا بدر تم إذا ما لاح مكتمـلا وغصن بان إذا ما ماس في ليـن
ياقـرة العيـن ياسؤل النفـوس ويـا من قد غدا في الورى بالحسن يسبيني
هاديتـي بمديـح فيك أجمعـه إلى وفـائك إن ضلـلت يهدينـي
جزمت فيـه برفـع الكسر فانـتصبت روحـي لابـراز در فيـك مكنـون
يـدي بديـع بيـان والبيـان غدا بنشرطـي جميـل الـوصف يغرينـي
تسكيـن قلبي بتحريك الغرام وَهَـا صبـري وهـي بيـن تحـريك وتسكيـن
شوقي إليك وصبري عنك ذاك وذا بالمـد والـقصر كل ظل يعيينـي
إن الفـؤاد ، رعـاك اللـه ، يا أملـي تدري الأحبـة والأعـداء تثين(كـذا)
فسل فؤادك عنـي فهـو يشهـد لي بصدق قولي وحسبي ذا ويكفيني [92]

---

(90) بالأصل : (في جميعي) بدل (بجميعي) .
(91) أنظر نزهة النفوس ،ورقة 18 .
(92) أنظر نزهة النفوس ،ورقة 22 .

وأنشدني له :

عبـــثت بمهجـــــة صبك الأشواق — لمـــا رمتـــه بسحرهـــا الأحـــداق
وبـــدا بورد الخـــــد ورد يانــــــع — خلــع الجمــــال لغصنـــــه أوراق
يا من بعقرب صدغـــه لدغ الـــحشا — هل من رضا بك للـــحشا دريــــاق
لك يا علـــي القـــدر ثغــــر عمــــه — بالـــحسن خال صانــــع الخـــلاق
فالثغـــر كأس والـــرضاب رحيقـــــه — والخـــــال منك ختامــــــه عبـــــاق
يا سيـــدا أصبـــحت عبـــد جمالـــه — لا كان منك الدهــــر لي اعتــــاق
سلطان حسن مذ سطا بذوي الهوى — ذلت لعــــــزة شانـــــــه الـــــعشاق
أطلـــقت أدمــــع مقلتــــي فتسلسلت — بقيـــود فكـــر دأبهـــــا الاطـــلاق
وأثرت نار الوجـــد تحت جوانحـــي — رفقـــا ، فهـــذا منك ليس يطــــاق
فانظر ، سلمت ، لمقلة ولمهجـــة — أضناهمـــــا الاغـــــراق والاحـــــراق

وأنشدني له مداعبا :

لموت أمـــي أرى الأحـــزان تحنينـــي — فطـــال ما لحسنتـــي لحس تحنيـــن
وطـــال ما ولـــعت في حال تربيتـــي — ولـــم أجـــد بعدهـــا أمـــا تربينـــي
أقول : نمنم ، تجيب الأكل تطعمني — أقـول: أنبـو، تجيب المـاء تسقينـــي
إن صحت في ليلة ، وي وي ، لأسهرها — تقـــول : هاهـــا بهزكـــي تنينـــي
كم كحلتني ولي جبهتـــي جعـــلت — صوصو بنيـــل وكـــم كانت تحنينـــي
وربما شكشكتـــي حيـــن أغضبهـــا — وبعـد ذا كشكشتـــي كي ترضينـــي
ومـن فقيهـــي أن أهـــرب ورام أبـــي — مسكـــي وبعثـــي له كانت تخبينـــي
وزغـرطت في طهوري فرحة وغدت — تنشر الملـــح من فوقـــي وترقينـــي
وفي زواجي تصدت للجـــلاء عسى — علـــى المـــنصة تلقانـــي بتزيينـــي
وربت أولادا من بعـــدي كتربيتـــي — وبعـد ذلك ماتت، آه وأنيـن (كـــذا)
وخلفتـــي يتيماابـــــن أربعــــة — وأربعيـــن سنينـــا في حسايـــن [93]

وله مداعبا :

البحـــر بحـــر والنخيـــل نخيـــل — والفيـــل فيـــل والـــزراف طويـــل
والأرض أرض والسمـــــاء خلافهـــا — والطيـــر فيهـــا يـــن يـــن تجـــول

---

(93) أنظر نزهة النفوس ،ورقة 52 ـــ 53 ظ .

وإذا تعـاصفت الريـاح بروضة فالأرض تثبت والـغصون تميـل
والمـاء يمشي فوق رمـل قاعـد ويـرى له مهمـا جرى سيلـول
من ظن أن المـاء يشبـع جوعـه هذا لعمـري جائـع بهلـول
لكـن من قد خاض فيـه بثوبـه تلقـاه بل وثوبـه مبلـول
يا ما أحيـى المـوز وهـو مقشر يرخـى عليـه اللـوز والعسلـول
آه يا لكنائـف بالسكاكيـر تبلت [94] قلبـي لفقـدك في الهـوى متبـول
يا قاتـلا لحشيشة قتلتـه يا مشكـاح أنت القاتـل المقتـول
إن شئتهـا تجيـبك أحسن قتلهـا واستكثـرن فلا يفيـد قليـل
اسمع أخـي فوائـدا صحت فعـن أهـل التجـارب كل ذا منقـول

وله من المذيل [95] :

أيـا عرجـون موز كالنمـارق إلـى لقيـاك قلبـي قد نمـارق
وجـد بوفـا وعـود فتـى مواف تجـد لك قلبـه أبـدا موافـق
وكـن عن وصل غيـر آب ورد عليـه قلبـا فيك آبـق
إلـى كم ذا تتيـه وأنت عال علـى الأغصان بالأوراق عالـق
فأنت بلـون معلـول لراء ولكـن طعـمك المشكـاح رائـق
أراك نويعمـا في كل حال فهـل مرت عليـك مواس حالـق
طويت علـى الـغصون وأنت عاش بروض نشره كم سر عاشق
ألا يامـوز منك دان ولـو لم يحـظ زمـان بدانـق
قلـيب المـوز نحـو القطـر سار وقلبـي ليتـه للكـل سارق
ترى يا قطـر يروى منك صاد غدا يُبْـدِي ودادك وهـو صادق
وحـقك ليس ذو عقـل بنـاه لمثلي عنك بل هو ذاك ناهـق [96]

---

(94) الشطر الأول مختل الوزن .
والكنائف : جمع كنافة ، نوع من الحلوى اشتهرت به مصر والشام (أحمد أمين ،**قاموس العادات والتقاليد**، 339) .
وتبلت الطعام : جعلت فيه التابل مفرد التوابل . أراد إذا سحق السكر وذرر عليها .

(95) أنظر عن المذيل ابن حجة الحموى ، **خزانة الأدب**، 28 ــ 29 .

(96) أنظر القصيدة في **نزهة النفوس**، ورقة 45 ــ 46 .

وأنشدني لبعض المنطقيين يهني بهما والد تقي الدين بن دقيق العيد به ، لما ولد بساحل الينبع :

هنيت بالبـــر التقـــي ومـــن يكـــن برا تقيـــا مثـــل ذلك ينتـــج
إن المقدمتيـــن مهمـــا كانتـــا صدقـــا فمثلهمـــا النتيجـــة تخـــرج

توفي تقي الدين سنة ثلاث وستمائة (97) . وقيل : إن الله تعالى جدد به الدين على رأس المائة السابعة ، قال بعضهم : بعث الله على رأس المائتين ، الشافعي ، وعلى رأس المائة الثالثة :أبو العباس بن سريج (98) ، ولذلك قال بعضهم :

إثنـــان قد مضيـــا فُبـــورك فيهمـــا عمـــر الخليفـــة ثم حلـــف السؤدد
الشافعـــي الألمعـــي محمـــد أرث النبـــوة وابـــن عم محمـــد
أبشر أبـــا العبـــاس إنك ثالث من بعده سقيـــا لتربـــة أحمـــد (99)

فلما سمع بذلك ابن سُريج صاح وقال : لقد نعى لي نفسي ! وكان على رأس الأربعمائة أبو حامد الأسفرايني (100) ، وعلى رأس الخمسمائة الغزالي ، وعلى رأس الستمائة الحافظ عبد الغني (101) ، وقيل فخر الدين الرازي (102) ، وعلى رأس السبعمائة ابن دقيق العيد .

قال بعضهم : وعلى رأس المائة التاسعة : أبو العباس الونشريسي ، وقيل : الأسيوطي . ومن نظم ابن دقيق العيد :

لعمـــري لقـــد قاسيت بالفقـــر شدة وقـــعت بهـــا في حيـــرة وشتـــات
فإن بحت بالشكوى هتكت مروءتي وإن لم أبـــح بالضر خفت مماتـــي

---

(97) 603 هـ توافق 1206 / 1207 م .
(98) أنظر ترجمته عند أ . بن خلكان ،**وفيات الأعيان**،1 : 66 — 67 ، والمصادر بالهامش 21 من الصفحة 66 من نفس المصدر .
(99) أنظر الأبيات عند الصفدي ،**الغيث**،1 : 62 .
(100) أنظر ترجمته عند أ . بن خلكان ،**وفيات الأعيان**،1 : 72 — 74 والمصادر بالهامش 86 من الصفحة 72 من نفس المصدر .
(101) أنظر ترجمته عند أ . بن خلكان ،**وفيات الأعيان**، 3 : 223 — 224 ، والمصادر بالهامش 401 من الصفحة 223 من نفس المصدر .
(102) أنظر ترجمته عند أ . بن خلكان ، **وفيات الأعيان**،4 : 248 — 252 ، والمصادر بالهامش 600 من الصفحة 248 من نفس المصدر

فأعظـــــم به من نازل بملمــــــة يزيـل حيائي أو يزيــل حياتـــي (103)

ويعني بالمقدمتين في بيتي التهنية بابن دقيق العيد : مقدمتي القياس ، وهو عند أهل المنطق قول من أقوال متى سلمت لزمت عنها لذاتها قول آخر ، وهو على قسمين : اقتراني واستثنائي ، وذلك لأن النتيجة لابد أن يكون القياس ملزوما لها بأن يكون مشتملا عليها أو على نقيضها، وذلك الاشتمال إما بالفعل بأن يصرح فيه بالنتيجة أو بنقيضها أولا بالفعل بل بالقوة ، وذلك حيث لا يصرح في القياس بالنتيجة ولا بنقيضها ، والأول هو الاستثنائي ، والثاني هو الاقتراني ، مثال الاستثنائي أن نذكر فيه النتيجة بالفعل قولنا : « كلما كانت الشمس طالعة فالنهار موجود » ، لكن الشمس طالعة ينتج : فالنهار موجود ، فهذه النتيجة مذكورة بالفعل وفي القياس إذ هي عين تالي الشرطية ، ولو قلت في الاستثنائية لكن ليس بموجود ، لكانت النتيجة : فالشمس ليست بطالعة ، وهذه النتيجة قد ذكر بالفعل في القياس نقيضها وهو الشمس طالعة لأنه مقدم الشرطية ، ومثال الاقتراني قولنا: « كل إنسان حيوان وكل حيوان جسم » ، ينتج كل إنسان جسم ، وليست هذه النتيجة ولا نقيضها مذكورا في القياس بالفعل بل بالقوة لاشتمال الكبرى عليها، والموجود بالفعل هو الذي يوجد بمادته وصورته ، والموجود بالقوة هو الذي يوجد بمادته لا بصورته ، والمكرر بين مقدمتي القياس يسمى حدا أوسطا ، وموضوع المطلوب يسمى حدا أصغرا ومجمولة يسمى حدا أكبرا ، والمقدمة التي فيها الأصغر تسمى الصغرى ، والمقدمة التي فيها الأكبر تسمى الكبرى وهيئة التأليف من الصغرى والكبرى تسمى شكلا والأشكال على ما تقرر في فنه أربعة ، لأن الحد الأوسط إن كان محمولا في الصغرى موضوعا في الكبرى فهو الأول وعكس الرابع ، وإن كان محمولا فيهما فالثاني ، أو موضوعا فيهما فالثالث ، وأبينهما الأول لأنه أقرب إلى الطبع كقولك : « العالم متغير وكل متغير حادث » ينتج : العالم حادث ، وقد يؤدي لانتاجه الغلط ، فمن ذلك قولك : « الفول يغذو الحمام ، والحمام يغذو البازي » ، فلا ينتج الفول يغذو البازي ، لأنها كاذبة مع المقدمتين ، وقد ذكرها أحمد بن إدريس القرافي (104) في **أنوار البروق** (105) . وقد نشأ الغلط من عدم اتحاد الأوسط لأن المحمول في الصغرى إنما هو لفظة يغذو إلى آخره .....وليس هو

---

(103) أنظر الأبيات عند م . بن شاكر ،**فوات الوفيات** ،3 : 445 ــ 446 ، وأ . بن القاضي ،**لقط الفرائد** ،162 ، والصفدي ، **الغيث** 1 : 79 .

(104) أنظر ترجمته عند أ . بن فرحون ، **الديباج المذهب** ،1 : 236 ــ 239 رقم 124 ،وأ . بن القاضي ،**درة** ،1 : 8 ــ 9 رقم 3 ، وم . بن مخلوف ،**شجرة** ،1 : 188 ــ 189 رقم 627 ، وخ . الدين الزركلي ،**الاعلام** ،1 : 90 ، وم . العابد الفاسي ،**فهرس** ،1 : 346 .

(105) الجزء الأول ، ص 59 .

الموضوع في الكبرى ، فتألمه . ونظيره زيد مكرم عمرا ، وعمرو ، مكرم خالدا ، ومن ذلك أيضا الوتد في الحائط والحائط في الأرض ، لا يلزمه الوتد في الأرض . ومحل استيفاء ما يتعلق بهذا الفن فن المنطق .

حكي أنه ذكر عن عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — : أيهما أطيب الرُّطَب أم العنب ؟ [فقال عمر : أرسلوا إلى أبي حثمة ، فقال يا أباحثمة ، أيهما أطيب : الرطب أم العنب ؟] (106) ، فقال : ليس كالصَّقْر في رؤس الرَّقِل ، الراسخات في الوَحْل ، المطعمات في المَحْل ، تحفة الصائم ، وتَعِلَّةِ الصَّبِيِّ ، ونُزْل مريم ابنة عمران ، ويَنْضَجُ ولا يُعَنَّى طابخُهُ ، ويحترش به الضَّبُّ من الصلعاء ، ليس كالزبيب إن أكلته ضَرِست ، وإن تركته غَرِثْتَ (107) .

وذكر أن ملك الروم كتب إلى عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — : قد بلغني أن بأرضكم شجرة تطلع على مثل آذان الحمر ، ثم تنشق على مثل اليقق الأبيض أو الدر الأبيض ، ثم تخضر على مثل الزبرجد الأخضر ، ثم تصفر مثل الذهب الأصفر ، ثم تحمر على مثل الياقوت الأحمر ، ثم ترطب فتكون أحلى فالوذج أكل ، ثم تيبس فتكون قوتا للمقيم وزادا للمسافر ، فإن صح ذلك فهذه شجرة من الجنة . فكتب إليه عمر — رضي الله عنه — بما معناه : ما اخبرتك به رسلك صحيح ، وهي الشجرة التي أمر الله عز وجل مريم ابنة عمران أن تهز بجذعها حين نفست بعيسى — عليه السلام — فاتق الله ولا تتخذه إلاها من دون الله .

قال أبو حاتم : من فضيلة النخل أنه لم يجعله الله في بلاد كفر ، وما منه شيء إلا في بلاد الاسلام ، وما قد وصل إليها الاسلام .

ولبعض الأعراب :

وَتَمْــرٍ كأطفــال الزنــوج أتــوابها ... وقـد عَمَّمُـوا بالزبـد منها رءوسهــا
فما زالت الأنيــاب تفــري بطــونها ... كما فرت الآساد يومــا فريسهــا

---

(106) ما بين المعقوفين سقط من « ز » .
(107) أنظر أمالي القالي ،56 — 57 .
قال أبو علي القالي :
الصقر : الدبس بلغة أهل الحجاز .
الرقل : الطوال من النخل ، واحدتها رقلة .
يحترس : يصاد .
الصلعاء الأرض التي لا نبات بها .
النزل : ما يقدم من الطعام .

حكي عن الفقيه القاضي أبي محمد عبد الله بن عمر البسكري (108) ، عن الشيخ الصالح أبي الفضل البسكري (109) أنه قال : صعدت المنار بتوزر (110) مع الفقيه أبي الحسن ابن التقيوسي ، فأشرفنا على الجنات ، فقال الفقيه أبو الحسن :

أما ترى النخل قد هزت ذوائبها .

فقلت :

كالراقصات لوت أكمامها طربا .

فقال أبو الحسن :

كأنما ألبست من سندس حللا .

فقلت :

وقلد الله في أجيادها ذهبا.

وللكاتب أبي علي بن إبراهيم في وصف توزر — قاعدة بلاد الجريد — :

خير البلاد لمن أتاها توزر ... يا حبذا ذاك الجناب الأخضر
والنخل مثل عرائس مَجْلُوَّةٍ ... في سندسيات اللباس تبختر
نشأت لآليءُ سِلْكِها من ذاتها ... وتحولت لزبرجد يتطور
وترى الزبرجد عسجدا ويواقتا ... ذا أحمر قان وذلك أصفر
فإذا انتهى أرطابه أبصرته ... متزججا والأزيُ منه يقطر
رطب يريك نواه وهو دوينها ... من دونه لشفيفه إذ يبصر

---

(108) أنظر ترجمته عند عادل نويهض ،معجم أعوام الجزائر ،101 ، والمصادر بالهامش .

(109) أنظر ترجمته عند ابن الزيات ،التشوف ،72 — 78 رقم 9 ، وأ . بن قنفذ ،وفيات ،60 ، 60 ، وج . السيوطي ،بغية الوعاة ،2 : 362 رقم 2196 وأ . بن القاضي ،جذوة ،2 : 552 — 553 رقم 643 ، وأ . بابا ، نيل ،349 — 351 ، وم . بن مريم ، البستان ،299 ، وعادل نويهض ،معجم أعلام الجزائر ،207 ، وخ . الدين الزركلي ،الاعلام ،9 : 325 — 326 .

(110) توزر : مدينة تقع في الجنوب التونسي . قال عنها ياقوت الحموى مدينة في أقصى إفريقيا من نواحي الزاب الكبير من أعمال الجريد ، معمورة بينها وبين نفطة عشرة فراسخ ، وأرضها سبخة ، بها نخل كثير ، وهي أكثر بلاد إفريقيا تمرا.
أنظر معجم البلدان ،2 : 57 — 58 .

يجنيك من تمر صنوفا جمة ... لا يستقل بوصفها متفكر
أحلى من العسل المصفى طعمه ... ومذاقه لا يدعيه السُّكّر
والدوح قد لبست غلائل سندس ... تختال في أيدي النسيم وتخطر
حلت هواديها عقود أزاهر ... فتبرجت عجبالمن يتبصر
ملكت عيون الناظرين بحسنها ... فرنا إليها كل طرف ينظر
والطير قد رقيت منابر قُضْبِها ... خطباؤها تشدو بلحن يسحر
والقضب يثنيها النسيم فتنثني ... بعضا يقبل بعضها ويقهقر
كعقائل تبغي السرار فتلتقي ... لصفي الحديث وتارة تتأخر
والأرض عاطرة تزف كأنها ... مسك يضوع خلالها أو عنبر
وكأن ريحان الحياة وروحها ... مستنشق من عرفهاومعطر
وكأنما كسيت بساط زبرجد ... نثرت يواقيت عليه وجوهر
زهر كزهر كواكب لألاؤها ... يزهى به ذاك البساط الأخضر
ذا أبيض يقق وأصفر فاقع ... في أزرق زاه وهذا أحمر
والماء تبعثه إليك جداول ... قد مدها النهر الزلال الأكبر
نهر تَقَسَّمَ بالسواء ثلاثة ... في كل ثلث ستة لا أكثر
تلك الجداول تسعة مع مثلها ... كل على حد السواء مقدر
صاف على صفة المها يجري على ... رمل النقا عذب قراح كوثر
وكأنما حصباؤه في رونق الـ ... ماء الذي يجري عليه جوهر
وخلاله سمك كصيفة خنجر ... وكأنه من فضة متصور
ومسارح ومزارع ومباقل ... وفواكه من كل نوع يذكر
وجداول تنساب بين أزاهر ... كأراقم هجماتها لا تذكر
زرق ... (111) يرف في أرجائها ... زهر كزهر كواكب إذ تزهر

ومما أنشدني شيخنا أبو العباس أحمد بن أبي سعيد عثمان اللمطي في «كاد» على القول الذي ليس بمشهور فيها :

أنحوي هذا العصر ما هي لفظة ... جرت في لساني جُرْهم وثمود
إذا استعملت في صورة النفي أثبتت ... وإن أثبتت قامت مقام جحود (112)

(111) بياض بالأصل .
(112) البيتان لأبي العلاء المعري .
وأنظر البيتين عند قاسم بن القاضي ،**فهرس**، 173 ، وم. القادري ،نشر، 1 : 182 — 183 .

و«كاد» وضعت لمقاربة الفعل ، والصحيح أن نفيها نفي ، وإثباتها إثبات . قال ابن الأنباري [113] : (كدت) معناه قاربت الفعل ولم أفعله، وما كدت أفعل معناه فعلت بعد بطء ، وشاهده : « وما كادوا يفعلون » [114] ، وأصلها لمقاربة الفعل كما ذكرنا ، ولهذا قالوا : كاد النعام أن يطير لوجود جزء من الطيران فيه ، والفصحاء لا يذكرون معها (أن) بمعنى لا يقولون : كاد النعام أن يطير لأن (أن) تدل على تراخي الفعل ووقوعه في الزمان المستقبل ، فإذا وقعت بعد (كاد) نافت معناها الدال على اقتراب الفعل ، وحصل في الكلام ضرب من التناقض ، ولهذا قال ابن مالك في رجزه [المسمى بالألفية] [115] :

وكونـــه بدون أن بعـــد عسى نزرٌ وكـــاد الأمـــر فيـــه عُكِسَا

وقد نطقت العرب بعدة أمثال في (كاد) ألفيت في جميعها ، فقالوا : كاد العروس يكون ملكا ، وكاد المنتعل يكون راكبا ، وكاد المريض يكون عبدا ، وكاد الفقر يكون كفرا ، وكاد البيان يكون سحرا ، وكاد البخيل يكون كلبا ، وكاد السيء الخلق يكون سبعا.

ومما يروى من خزعبلات العرب أن امرأة من الجن قصدت لمُحَاجَاةِ العرب ، وكانت تقف على كل محجة وتحاجي كل من تلقاه فلا يثبت لمحاجاتها أحد إلى أن تعرض لها أحد فتيان العرب ، فقال لها : حاجيتك ، فقالت : قل ، فقال لها : كاد ،قالت : كاد العروس يكون ملكا ، فقال لها : كاد ، قالت : كاد المنتعل يكون راكبا ، فقال لها : كاد ، قالت : كاد النعام يكون طائرا ، ثم أمسك ، قالت له : حاجيتك ، فقال لها : قولي ، قالت : عجبت، قال : عجبت من السبخة كيف لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها، فقالت : عجبت ، قال : عجبت للحصى كيف لا يكبر صغيرها ولا يهرم كبيرها ، فقالت : عجبت ، قال عجبت لحفرة بين فخذيك كيف لا يدرك قعرها ولا يمل حفرها قال : فخجلت من جوابه وتولت عنه ولم تعد إلى ما كانت عليه .

ومما حدثني به صاحبنا الفقيه الحافظ الطبيب الماهر المتفنن [116] أنه ذات يوم

---

(113) لعله يقصد عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله الأنصاري ، أبا البركات كمال الدين بن الأنباري ، النحوي ، صاحب كتاب **نزهة الألباء** ،الذي ترجمناه سابقا .
(114) الآية 71 من سورة البقرة .
(115) ما بين المعقوفين سقط من « م » ، و « ز » ، ويوجد فقط في « ج » .
(116) يقصد أباالقاسم الوزير الغساني ، الذي ترجمنا له سابقا .

اجتمع بأبي حفص عمر بن العزيز الخطاب (117) فأراد اختباره في النحو ، فسأله هل يقال هَلُمَّ أو هَلُمُّوا ؟ وإن قلت : هلموا ، فلِمَ تحملت الضمير وهي من أسماء الأفعال ؟ فلم يجد جوابا في الحال، فانطلق [فبحث] (118) عليها في مظانه ونظم حكمها في أبيات وأتى بها إليه ، وهي :

أيا سائلا أضحى يُعمى على الورى — فدونك ما فيــه الشفــا لسقيــم
هلــم لدى أهــل الحجــاز منوبــة — عن الفعل وَهْي عند أهــل تميــم
من الفعل حقا فالضمائــر تعتــري — أواخــرهُ، فالحــظ بطــرف سليــم
ولــيس يُرَى ذا سابقــا الذكــر أولا — فديتك من خل لنــا وحميــم (119)

فأجابه الفقيه أبو القاسم المذكور :

لقد فقت أرباب العقول أمــن غدا — مشارا له في عصرنــا بفهيــم
شفيت غليــلا في هلــم ولــم تدع — مقــالا لذي علــم بهــا وعليــم
فلا زلت تسمــو يا أخــيَّ وترتقــي — وحــظك موفــور بكــل علــوم
فللــه من فرع بدا وأصولــه — موطــدة من سيــد وكريــم (120)

ومما أنشدني شيخنا أبو راشد لأبي سعيد السلوى (121) المعاصر للشيخ ابن غازي :

---

(117) أنظر ترجمته عند أ . بن القاضي ،درة ،3 : 206 رقم 1205 .
(118) ما بين المعقوفين سقط من « م » و « ز » .
(119) أنظر الأبيات عند أ . المقري ،روضة ،221 .
(120) أنظر الأبيات عند أ . المقري ،روضة ،221 .
(121) هو : القاضي أبو سعيد بن أبي محمد بن أبي سعيد السلوى « توفي حوالي 920 هـ /1514 م » ،من أعيان سلا وأدبائها ، ومن أكابر علمائها ، وقد تكون نفس تكوين ابن غازي ،وكان من أصدقائه ، يتصل معه باستمرار مرة في مكناس وأخرى في سلا لمناقشة المسائل الدينية والأدبية ، وقد ذكرة ابن غازي في شرح ألفية ابن مالك في باب الفاعل ، 88 ، قائلا : « ورد علينا أيام كوننا بمكناسة الزيتون ــ كلأها الله ــ من أعيان سلا الأديب المجيد أبو سعيد محمد بن بن أبي سعيد فحاجاني وذلك زمن شبيبته بقوله :

يا قارىء النحو من ألفيــة جمــعت — في النحو معظم ما في النحو قد قيلا
إن كنت تفهمهــا فهمــا تجيــد به — أسرارهــا حيث تخفــى والأقاويــلا
فأي فعــل بهــا قد جاء فاعلــه — فعــلا ومــا فاعــل قد جاء مفعــولا

فألقى الله في روحي أنه أراد : ويرفع الفاعل فعل ، فقلت مجاوبا : =

لا تأسفنَّ على مافات من عَجَلِ   فربما كان في التأخير خيرات
إن المقر به لما تأخر عن   قسم العقار بدت تلك الزيادات (122)

وأشار بقوله : إن المقر إلى آخر ... إلى ما ذكره أبو القاسم الحوفي في باب الأقرار من قوله : وإذا كانت التركة عرضا وأقر بالوارث بعض الورثة بعد قسمة العروض ، فإنه يأخذ نصيبه من يد المقر به ونسبته من يد المنكر .

ولنختم الكتاب بنادرة لبعض الصالحين لأن بذكرهم تنزل الرحمة .

حكى الأستاذ أبو القاسم بن هوازن القشيري (123) في كتابه (124) ، قال : حكي عن أبي القاسم بن مروان النهاوندي (125) ، قال : كنت أنا وأبو بكر الوراق مع أبي سعيد [الخراز] (126) على ساحل البحر نحو صيدا ، فرأى شخصا من بعيد فقال : اجلسوا لا يخلو أن يكون هذا الشخص وليا من أولياء الله تعالى ، فما لبثنا أن جاء شاب حسن الوجه بيده رَكوة ومعه محبرة وعليه مُرَقَّعَة ، فالتفت إليه أبو سعيد منكرا عليه لحمله المحبرة مع الركوة ، فقال له : يا فتى ، كيف الطرق إلى الله تعالى ، فقال : يا أبا سعيد أعرف إلى الله طريقين ،

= يا حسن أحجية في باب فاعلها   من بعد أربعة في النظم تكملا
فأقر أنه ما أراد إلا ذلك وأظهر استعظام المعثور على ذلك » .
ورغم منصب القضاء الذي كان يتولاه بمدينته ، والأستاذية التي كان يمارسها ، فإنه كان مع ذلك شغوفا بالرحلات ، والاتصال بالشخصيات العلمية لتبادل الآراء معها .
أنظر ترجمته عند ابن غازي ، **شرح ألفية ابن مالك**، 88 ء وأ . المقري ، **نفح**، 5 : 348 ، ومحمد بن علي ،**الاتحاف الوجيز**، 79 — 80، وع. الحي الكتاني،**فهرس الفهارس**،1 : 110 ، وم. حجي،**الحركة**،2 : 443 .

(122) نسبهما أ . بن القاضي في **الجذوة** ،1 : 164 ، إلى إدريس بن يخلف البوفرحي الصنهاجي الريفي ، أحد شيوخ ابن غازي .
وقد ورد صدر البيت الأول هكذا :
لا تأسفن على مالم يكن عاجلا

(123) أنظر ترجمته عند أ . بن خلكان ،**وفيات الأعيان** ،3 : 205 — 208 ،والمصادر بالهامش 394 من الصفحة 205 من نفس المصدر .
(124) يقصد **الرسالة القشيرية** ،وهي في التصوف .
أنظر عنها : أبو العلاء عفيفي ،**تراث الانسانية** ،1 : 459 — 470 .
(125) أنظر **الرسالة القشيرية**، 167 .
(126) بالأصل : (الوراق) ، وهو تصحيف ، والتصويب من **الرسالة** ،167 .

طريقا خاصا ، وطريقا عاما . فأما الطريق العام ، فالذي أنت عليه ، وأما الطريق الخاص فهلم ، ثم مشى على الماء حتى غاب عن أعيننا ، فبقي أبو سعيد حيران مما رأى [127].

والله الموفق لا رب غيره ، ولا معبود سواه ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

(127) أنظر القصة في الرسالة القشيرية، 167 — 168 .

تمّ الكتاب .



الفهارس العامة

أولا : فهرس موضوعات الدراسة

ثانيا

فهـــارس المتـــن

فهرس الأبواب

فهرس الوثائق

فهـــرس الأعـــلام

حرف الألف

حـرف البـاء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حــرف النـــون

حــرف الصـــاد

حرف الضاد

حرف العين

حـرف الغيـــن

حـرف الفـــاء

حرف القاف

حرف السين

حـرف الشيـن

حـرف الهـاء

حـرف الـواو

حـــرف اليـــاء

فهرس الطوائف والجماعات

فهرس الكتب

فهرس الأماكن

فهرس القوافي الشعرية

قافية الألـــف

قافية الباء

قافية التاء

قافيـة الحـاء

قافيــة الخـــاء

قافيــة الــدال

قـــافيـــة الذال

قافية الراء

قافية الزاي

عجوز	الوافر	-	465
يفوز	الوافر	سالم بن المنصور	465
عزيزه	الوافر	ابن سودون	631

قافية الطاء

أخطا	الطويل	ابن الغرديس التغلبي	412
مغتبط	البسيط	علي بن لبال	444
يغلط	الكامل	سالم بن المنصور	466
قرطا	الطويل	عبد العزيزر الفشتالي	590
بالتسليط	الكامل	ابن سودون	632
نشط	مجزوء الرجز	ابن لؤلؤ	636
سخطه	البسيط	ابن الرومي	638
فأفرطا	الكامل	محمد بن تميم	647
برهطك	الوافر	ابن سناء الملك	663
حنوط	الطويل	-	687
المشترط	الرجز	أبو العلاء المعري	700
احطط	الطويل	-	717
نشطه	مجزوء البسيط	ابن نباتة	777

قافية الكاف

مالك	الطويل	الانفاسي الكفيف	291
فتك	الوافر	ابن الصائغ	339
تباكت	الوافر	عز الدين الموصلي	344
المليك	الوافر	أبو نواس	394
أبيكما	الكامل	مهلهل بن ربيعة	627
أبلاك	الكامل	اسحاق الموصلي	479

قـــافيـــة الـلام

قـافيــة الميــم

قافية النون

قافيــة الصــاد

قافيــة الضــاد

قافية العين

قـافـيـة الغـيـن

قـافـيـة الـفـاء

قـافـيـة الـقـاف

قافية السين

قافية الشين

قـافـيــة الـهــاء

قـافـيــة الـواو

قافية الياء

فهرس الموشحات والمخمسات والمواليا

1 ـــ الموشحات

2 ـــ المخمسات

3 ـــ المواليا

فهرس آي الذكر الحكيم
حسب السور

فهرس الأحاديث النبوية
حسب الحروف الأبجدية
المغربية

الألـــف

ـــ إذ وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت : قدموني ! قدموني ! وإن كانت غير صالحة قالت : يا ويلها أين تذهبون بها، يسمع صوتها كل شيء إلا الانسان ولو سمعه صعق.	أبو سعيد الخدري	399
ـــ إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة.	ابن عباس	440
ـــ إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف ومالا يعطي على سواه.	عبد الله بن معقل	440
ـــ أحب عباد الله إلى الله أنفعهم لعباد الله.	(السيوطي)*	440
ـــ ابن آدم ليس من مالك إلا ثلاث : ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو أعطيت فأمضيت وما تركت فللوارث.	أبو مطرف	445
ـــ انتظار الفرج بالصبر عبادة.	ابن عمر وابن عباس	456
ـــ الايمان بضع وسبعون بابا، فأفضلها : قول لا إلاه، إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الايمان	أبو هريرة	483
ـــ إذا لم تستح فافعل ما شئت.	أبو مسعود	484
ـــ إن الشيطان يخاف منك يا عمر، ما رآك في فج إلا سلك فجا غيره، إن هذه كانت تضرب ودخل هؤلاء وهي تضرب فلما دخلت أنت ألقيت الدف من يدها.	بريدة	485

* ـــ ما بين القوسين نقصد به المخرج

البـــاء

التـــاء

ـ كان رسول الله ـ ﷺ ـ يجتهد في رمضان مالا يجتهد في غيره.	عائشة	
ـ تفتح أبواب الجنة عند صف الصفوف للصلاة وعند صف الصفوف للقتال فإذا ركبتم خيلكم وصاففتم عدوكم ركب الحور العين فكن خلفكم فإذا صرع أحدكم أقبلن يمسحن الدم والتراب عن وجهه ويقلن : اليوم تستريح من الدنيا وتنقضي همومك		669

الثاء

ـ ثلاث لا يغل عليهن قلب امريء مسلم : اخلاص العمل لله، ومناصحته للأمر ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط من وزائهم.	(الشافعي)	536

الجيم

ـ الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك.	عبد الله بن مسعود	400
ـ جاءه رجل فقال : يا رسول الله، من أخص الناس بحسن صحابتي ؟ فقال : أمك، قال، ثم من ؟ قال : أبوك.	أبو هريرة	

الحـاء

الخـاء

الكـاف

الـــلام

الميم

النـــون

العيـــن

الفـــاء

الـقـاف

الســـين

الـــواو

اليــــاء

ثالثا : فهرس المصادر والمراجع

أ ــ باللغة العربية

ــ ابن ابراهيم عباس (ت. 1378/1959)

* **الاعلام، بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام** (الاعلام)، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية بالرباط 1974 ــ 1977، 8 أجزاء.

ــ ابن أبي دينار محمد (ت. 1092/1681)

* **المؤنس، في أخبار افريقية وتونس** (المونس)، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، 1967.

ــ ابن أبي زرع علي (ت . بعد 726 هـ/1326)

* **الأنيس المطرب، بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب، وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور، بالرباط، 1973.
* **الذخيرة السنية، في تاريخ الدولة المرينية**، دار المنصور بالرباط، 1972.

ــ ابن أبي محلي أحمد (ت. 1022/1613).

* **أصليت الخريت، في قطع بلعوم العفريت النفريت** (أصليت)، مخطوط م . م . بالرباط، عدد 100.

ــ ابن أبي الصلت أمية (ت . 5 هـ/626 م)

* **ديوان أمية بن أبي الصلت**، دراسة وتحقيق بهجت عبد الغفور الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، 1975.

ــ ابن أبي الضياف أحمد (ت . 1874)

* **اتحاف أهل الزمان، بأخبار ملوك تونس في عهد الأمان**، تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار بتونس، 1963 ــ 1968، 8 أجزاء.

ــ ابن الأزرق محمد أبو عبد الله الأندلسي (ت . 896/1491).

* **بدائع السلك، في طبائع الملك**، دراسة وتحقيق محمد بن عبد الكريم مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس 1977، جزآن.

ــ ابن تاويت محمد ومحمد الصادق عفيفي

* **الأدب المغربي**، مطبعة دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1960.
* **شعر ابن عبد ربه**، دار المغرب، الدار البيضاء، 1978.

— ابن حجة الحموي أبو بكر بن علي (ت . 1433/837)
* **ثمرات الأوراق**، طبعة بيروت دون تاريخ.
* **خزانة الأدب**، دار القاموس الحديث، بيروت، دون تاريخ.
— ابن حجر أحمد (ت . 1449/852)
* **أنباء الغمر، بأنباء العمر**، تحقيق حسن حبشي، نشر المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، القاهرة، 1969 — 1972، 3 أجزاء.
* **الدرر الكامنة، في أعيان المائة الثامنة**، القاهرة، 1966/1385، في 5 أجزاء.
— ابن حزم علي (ت . 1064/456)
* **جمهرة أنساب العرب** (**جمهرة**)، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، 1962.
— ابن حنبل أحمد (ت . 855/241)
* **مسند الامام أحمد بن حنبل**، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ودار صادر، بيروت، دون تاريخ، 6 أجزاء.
— ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله (ت . 1374/776)
* **الاحاطة، في أخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1973 — 1978، 4 أجزاء.
* **ديوان ابن الخطيب**، تحقيق محمد مفتاح، رسالة جامعية غير منشورة محفوظة بمكتبة كلية الآداب بالرباط.
* **اللمحة البدرية، في الدولة النصرية**، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، 1978.
* **معيار الاختيار، في ذكر المعاهد والديار**، تحقيق محمد كمال شبانه، نشر المعهد الجامعي للبحث العلمي بالرباط، 1977/1397.
— ابن خلدون عبد الرحمان (ت. 1406/808)
* **المقدمة**.
* **كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** (**العبر**)، مطبعة دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1961/1956 في 7 أجزاء.
— ابن خلكان أحمد بن محمد (ت . 1282/681)
* **وفيات الأعيان، وأنباء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1972/1968، 8 أجزاء.
— ابن خفاجة ابراهيم (ت . 1138/533)
* **ديوان ابن خفاجة**، تحقيق كرم البستاني، دار صادر ودار بيروت، 1961/1381.

— ابن الرومي على بن العباس (ت . 896/283)

★ **ديوان ابن الرومي،** تحقيق حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973 — 1978، 4 أجزاء.

— ابن الزيات يوسف التادلي (ت . 627/29 — 1230)

★ **التشوف، إلى رجال التصوف،** نشره أدولف فور بالرباط سنة 1958.

— ابن زيدان عبد الرحمان (ت . 1946/1365)

★ **اتحاف اعلام الناس، بجمال أخبار حاضرة مكناس (اتحاف)،** المطبعة الوطنية بالرباط، 1348 — 19330/1352 — 1933 في 5 أجزاء.

★ **العز والصولة، في معالم نظم الدولة (العز)،** المطبعة الملكية بالرباط، 1962/1382 في جزءين.

— ابن الطقطقا محمد بن علي (ت . 709 هـ)

★ **الفخري في الآداب السلطانية، والدول الاسلامية،** دار صادر، بيروت، 1966/1386.

— ابن ماجه محمد بن يزيد (ت . 887/273)

★ **سنن ابن ماجه،** تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبع عيسى الحلبي، 1952/1372.

— ابن مرزوق محمد (ت . 1380/782)

★ **المسند الصحيح الحسن، في مآثر مولانا أبي الحسن (المسند)،** مخطوط م . ع . بالرباط، رقم 111 ق.

— ابن مريم محمد (ت . بعد 1605/1014)

★ **البستان، في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان (البستان)،** المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908.

— ابن مليح محمد (ت . بعد 1632/1042)

★ **أنس الساري والسارب، من أقطار المغارب، إلى منتهى الآمال والمآرب، سيد الأعاجم والأعارب (رحلة)،** مطبعة محمد الخامس فاس، 1970/1390.

— ابن منصور عبد الوهاب.

★ **أعلام المغرب العربي (أعلام)،** المطبعة الملكية بالرباط، 1979.

★ **قبائل المغرب (قبائل)،** المطبعة الملكية بالرباط، 1968/1388.

— ابن المعتز عبد الله بن محمد (ت . 909/296)

★ **ديوان ابن المعتز،** تحقيق كرم البستاني، دار صادر ودار بيروت، بيروت، دون تاريخ.

— ابن معصوم علي (ت . 1707/1119)

★ **سلافة العصر، في محاسن الشعراء بكل مصر (سلافة)،** مطبعة الجمالي الخنجي، القاهرة، 1953/1373)

ابن الموقت محمد (ت . 1953/1373)

★ **السعادة الأبدية، في التعريف برجال الحضرة المراكشية السعادة**، المطبعة الحجرية بفاس، دون تاريخ، في جزءين.

ابن ميمون محمد الجزائري (ت . بعد 1710/1122)

★ **التحفة المرضية، في الدولة البكداشية، في بلاد الجزائر المحمية**، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972/1392.

ابن ميمون علي (ت . 1511/917)

★ **بيان غربة الاسلام، بواسطة صنفي المتفقهة والمتفرقة من أهل مصر والشام، وما يليها من بلاد الأعجام (بيان).**

★ **رسالة الاخوان، من أهل الفقه وحملة القرآن** (رسالة الاخوان)، مخطوط م . ع . بالرباط، رقم 1780 د.

★ **الرسالة المجازة، في معرفة الاجاز (الرسالة المجازة)**، مخطوط م . القرويين بفاس، ميكروفيلم م . ع . بالرباط رقم 1343.

ابن النبيه علي بن محمد (ت . 1222/619)

★ **ديوان ابن النبيه**، تحقيق عمر محمد الأسعد، دار الفكر، دمشق، 1969.

ابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمان (ت . 643)

★ **المقدمة**، منشورات دار الحكمة، دمشق، 1972.

ابن عجيبة أحمد (ت . 1224/9 — 1810)

★ **أزهار البستان، في طبقات الأعيان (أزهار البستان)**، مخطوط م . م . بالرباط، رقم 3347 ز.

ابن العماد أبو الفلاح عبد الحي (ت . 1089)

★ **شذرات الذهب، في أخبار من ذهب**، بيروت، دون تاريخ، 8 أجزاء.

ابن عسكر محمد (ت . 1578/986)

★ **دوحة الناشر، لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر (دوحة)**، تحقيق محمد حجي، دار المغرب بالرباط، 1976.

ابن عيسى محمد (ت . 1582/990)

★ **أدبيات ابن عيسى (أدبيات)**، مخطوط م . م . بالرباط، رقم 5408.

ابن عيشون محمد بن محمد الشراط (ت . 1697/1109)

★ **الروض العاطر الأنفاس، في أخبار الصالحين من أهل فاس (الروض)**، مخطوط م . ع . بالرباط، رقم 525د.

— ابن غازي محمد (ت . 1513/919)
* **بغية الطلاب، في شرح منية الحساب**، طبع على الحجر بفاس، دو ن تاريخ.
* **التعلل برسوم الاسناد، بعد انتقال أهل المنزل والناد (فهرس)**، تحقيق محمد الزاهي، دار المغرب، 1979.
* **الروض الهتون، في أخبار مكناسة الزيتون (الروض الهتون)**، المطبعة الملكية بالرباط، 1964.

— ابن فرحون ابراهيم (ت . 1397/799)
* **الديباج المذهب، في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، 1974/1394.

— ابن القنفذ أحمد (ت . 1406/809)
* **أنس الفقير، وعز الحقير**، نشره محمد الفاسي بالاشتراك مع أدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1955.
* **الفارسية، في مبادىء الدولة الحفصية**، تحقيق محمد الشاذلي النيفر، وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968.
* **شرف الطالب، في أسنى المطالب**، تحقيق محمد حجي، دار المغرب، الرباط، 1976/1396.

— ابن القاضي أحمد (ت . 1616/1025)
* **جذوة الاقتباس، فيمن حل من الأعلام مدينة فاس (جذوة)**، دار المنصور، 1973 — 1974، في جزءين.
* **درة الحجال، في أسماء الرجال (درة)**، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، مطبعة الحضارة العربية بالقاهرة، 1974/1970 في 3 أجزاء.
* **رائد الفلاح، بعوالي الأسانيد الصحاح (فهرس)**، مخطوط مكتبة الأكاديمية الملكية التاريخية بمدريد، عدد 17 (كينكس).
* **لقط الفرائد، من لفاظة حقق الفوائد (لقط)**، تحقيق محمد حجي، دار المغرب، 1976.
* **المنتقى المقصور، على مآثر الخليفة المنصور (المنتقى)**، دراسة وتحقيق رزوق محمد.

— ابن القاضي محمد (ت . 1631/1040)
* **(أدبيات) ابن القاضي (أدبيات)**، مخطوط م . م . بالرباط، رقم 7248.

— ابن القاضي قاسم (ت . 1614/1023)
* **تنوير الزمان، بقدوم مولانا زيدان (فهرس)**، مخطوط م . م . بالرباط، رقم 255.

— ابن القاسم الأنصاري محمد بن محمد (ت . بعد 825 هـ)

* **اختصار الأخبار، عما كان بثغر سبتة من سني الآثار**، المطبعة الملكية بالرباط، 1969/1389.

— ابن السكاك محمد بن أبي غالب (ت . 1415/818)

* **نصح ملوك الاسلام**، طبعة فاس، دون تاريخ.

— ابن سودة عبد السلام (ت . 1980)

* **دليل مؤرخ المغرب الأقصى (دليل)**، مطبعة دار الكتاب بالدار البيضاء، 1960 — 1965 في جزءين.

— ابن شاكر الكتبي محمد (ت . 1363/764)

* **فوات الوفيات**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1973 — 1974، 4 أجزاء.

— ابن هشام عبد الله (ت . 1360/761)

* **مغني اللبيب، عن كتب الأعاريب**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة، دون تاريخ، جزآن.

— ابن يجبش محمد بن الرحيم التازي (ت . 1514/920)

* **تنبيه الهمم العالية (تنبيه الهمم)**، تحقيق أبو بكر البوخصيبي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1976.

— أبو خلفة محمد عبد السلام

* **الطريق لمعرفة القصر الكبير**، المطبعة المهدية بتطوان، 1972.

— أبو داود سليمان بن الأشعث (ت . 889/275)

* **سنن أبي داود**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء السنة النبوية، 4 أجزاء.

— أبو زهرة محمد

* **تاريخ المذاهب الاسلامية**، دار الفكر العربي، القاهرة 1971، جزآن.

— أبو نواس الحسن بن هانىء (ت . 814/198)

* **ديوان أبي نواس**، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

— أبو فراس الحمداني (الحارث بن سعيد، ت . 968/357)

* **ديوان أبي فراس**، دار صادر ودار بيروت 1966/1385.

— أبو الفرج الاصبهاني (ت . 967/356)

* **الأغاني**، دار الثقافة، بيروت، 25 جزءا.

— ابراهيم شحاته حسن

* **معركة وادي المخازن في تاريخ المغرب**، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1979.

— الأبشيهي محمد بن أحمد (ت . 850 هـ 1446)
* **المستطرف، في كل فن مستطرف**، دار التراث العربي، بيروت، دون تاريخ، جزآن.
— أحمد بابا بن أحمد السوداني (ت . 1627/1036)
* **كفاية المحتاج، لمعرفة من ليس في الديباج (كفاية)**، مخطوط م . م . بالرباط رقم 681.
* **نيل الابتهاج، بتطريز الديباج (نيل)**، مخطوط م . م . بالرباط عدد 1896، وطبعة المعاهد بالقاهرة، 1932/1351.
— الأخطل التغلبي (غياث بن غوث ت . 90 هـ/708 م)
* **ديوان الأخطل التغلبي**، تحقيق إيليا سليم الحاوي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1968.
— الأخضر محمد
* **الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية**، الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1977.
— الأزهري محمد البشير (ت . 1907/1325)
* **اليواقيت الثمينة، في أعيان مذهب عالم المدينة**، مطبعة الملاجىء العباسية بالقاهرة، 1908/1325
— الادريسي ادريس بن الماحي (ت 1971/1391)
* **قائمة المطبوعات المغربية**، مخطوط مصور م . ع . بالرباط رقم 3866.
— أكنسوس محمد (1877/1294)
* **الجيش العرمرم الخماسي، في دولة مولانا علي السجلماسي**، مخطوط م . ع . بالرباط 965 د، وقد طبع على الحجر بفاس عام 1336.
— الألباني محمد ناصر
* **نقد « نصوص حديثية في الثقافة العامة »**، مطبعة الترقي بدمشق، دون تاريخ.
— الألغي ابراهيم
* **تاريخ الأدب العربي والأندلسي**، المطبعة المهدية بتطوان، 1955/1375.
— الانباري أبو البركات عبد الرحمان (ت . 1181/577)
* **نزهة الألباء، في طبقات الأدباء**، تحقيق ابراهيم السمرائي، مكتبة الأندلس، بغداد، الطبعة الثانية، 1970.
— أفندي ابراهيم (ت . بعد 1272 هـ)
* **مصباح الساري، ونزهة القاري**، مخطوط م . ع . بالرباط عدد 95 ج، وقد طبع ببيروت سنة 1272 هـ.
— الافراني محمد (ت . 27/1140 — 1728)
* **المسلك السهل، شرح لموشح ابن سهل**، دراسة وتحقيق محمد العمري، رسالة جامعية غير منشورة محفوظة بمكتبة كلية الآداب بالرباط.

* **نزهة الحادي، في أخبار ملوك القرن الحادي (نزهة)**، الطبعة الثانية، 1977، منشورات بردى، بالرباط.
* **صفوة من انتشر، من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر (صفوة)**، المطبعة الحجرية بفاس، دون تاريخ.

— الاسحاقي محمد بن عبد المعطي (ت . 1650/1060)
* **لطائف أخبار الأول، فيمن تصرف بمصر من أرباب الدول**، مخطوط م . ع . بالرباط عدد 2409 ك، وقد طبع بالقاهرة سنة 1315 هـ.

— الأهواني عبد العزيز
* **الزجل في الأندلس**، مطبعة الرسالة بالقاهرة، 1957.

— البحتري الوليد بن عبيد (ت . 897/284)
* **ديوان البحتري**، دار صادر ودار بيروت، بيروت 1962.

أ— البخاري محمد بن اسماعيل (ت . 870/256)
* **صحيح البخاري**، دار الفكر، بيروت، 8 أجزاء.

— بروكلمان كارل (ت . 1956)
* **تاريخ الأدب العربي**.

* الأجزاء الثلاثة الأولى صدرت بترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف بمصر، 1961 — 1962.
* الجزآن الباقيان بترجمة أبي بكر يعقوب، دار المعارف بمصر، 1977.

— البطوئي عيسى بن محمد (ت . بعد 1631/1040)
* **مطلب الفوز والنجاح، في آداب طريق أهل الفضل والصلاح**، مخطوط م . م . بالرباط، رقم 1667.

— البكري محمد بن أبي السرور (ت . 1087 هـ/1676 م)
* **نصرة الايمان، بدولة آل عثمان**، مخطوط م . ع بالرباط عدد 527 د.

— البلغيثي أحمد بن المامون (ت . 1930/1348)
* **الابتهاج بنور السراج**، مطبعة م . أفندي بالقاهرة، 1901/1319 في جزءين.

— البلوي أحمد بن علي (ت . بعد 1495/900)
* **ثبت الشيوخ**، مخطوط م . الاسكوريال، رقم 1725.

— بنعبد الله عبد العزيز
* « البحرية المغربية والقرصنة »، مقال بمجلة **تطوان**، العددان 3 — 4، لسنتي 58 — 1959، ص 59 — 71.
* **تاريخ المغرب**، نشر مكتبة السلام بالدار البيضاء ومكتبة المعرف بالرباط.

* **الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية**، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1395 — 1975/1396 — 1976، 3 أجزاء.
* **الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية** :

1 — معلمة المدن والقبائل، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1397*1977.

2 — معلمة الصحراء، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1976/1396.

* « **الفكر الصوفي والانتحالية بالمغرب** »، **مجلة البينة**، المقال الأول، في العدد 4، السنة الأولى، غشت 1962، ص 39 — 52، والمقال الثاني بالعدد 6، السنة الأولى، أكتوبر 1962، ص 58 — 64، والمقال الثالث، العدد 7، السنة الأولى، نوفمبر، 1962، ص 90 — 102.

— البعقيلي محمد (ت . بعد 1611/1020)

* **مناقب البعقيلي**، مخطوط م . م . بالرباط، رقم 3772 ز.

— بنسعيد سعيد

* **دولة الخلافة**، مطبعة دار النشر المغربية، 1979.

— بنشريفة محمد

* **أمثال العوام بالأندلس**، مطبعة محمد الخامس بفاس، 1391 — 1971/1395 — 1975 في جزءين.
* **التعريف بالقاضي عياض** — تحقيق — ، مطبعة فضالة بالمحمدية، المغرب، 1974.

— بغداد أحمد

* **دراسة عن القاضي عياض**، رسالة جتمعية محفوظة بمكتبة دار الحديث الحسنية بالرباط.

— البغدادي اسماعيل (ت . 1920/1339)

* **إيضاح المكنون، في الذيل على كشف الظنون (إيضاح)**، مطبعة وكالة المعارف باسطمبول، 1947، في جزءين.

— بوشارب أحمد

* **دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء آسفي وآزمور قبل 28 غشت 1481 — أكتوبر 1542.**

رسالة جامعية غير منشورة محفوظة بمكتبة كلية الآداب بالرباط.

— التازي عبد الهادي

* **جامع القرويين**، مطبعة دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1972 في 3 أجزاء.
* « قصر البديع بمراكش »، مقال بمجلة **البحث العلمي**، العدد 28، السنة 14، يوليوز — دجنبر، 1978، ص 163 — 188.

- الترمذي محمد بن عيسى (ت . 892/279)
  * **جامع الترمذي**، نشره الحاج حسن ايراني، دار الكتاب العربي، بيروت، دون تاريخ.
- التمكروتي علي (ت . 94/1003 — 1595)
  * **النفحة المسكية، في السفارة التركية**، طبع مصورا في باريس، دون تاريخ.
- التمنارتي عبد الرحمان (ت . 1650/1060)
  * **الفوائد الجمة، في إسناد علوم الأمة، (الفوائد)**، مخطوط مصور م . ع . بالرباط، رقم 1420 د.
- التواتي عبد الكريم
  * **التاريخ المفترى عليه في المغرب**، مطبعة الصومعة بالرباط 1969.
- **مأساة انهيار الوجود العربي في الأندلس**، دار الرشاد، الدار البيضاء، 1967.
- التوفيق أحمد
  * **المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (اينولتان من 1850 إلى 1912)**، مطبعة دار النشر المغربية 1978 — 1980، في جزءين.

الثعالبي أبو منصور عبد الملك (ت . 1038/429)
  * **يتيمة الدهر، في شعراء أهل العصر**، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، القاهرة، 1956.
- الجابري محمد عابد
  * **العصبية والدولة**، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1971.
- الجراري عباس
  * **القصيدة**، نشر مكتبة الطالب بالرباط، 1969/1388.
- الجراري عبد الله
  * **من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين الرباط وسلا**، مطبعة الأمنية بالرباط، 1971 في جزءين.
- جرير بن عطية بن الخطفي (110 هـ/728 م)
  * **شرح ديوان جرير**، جمع وتحقيق محمد اسماعيل الصاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
- الجزنائي علي (ت . بعد 766 هـ)
  * **جنى زهرة الآس، في بناء مدينة فاس**، المطبعة الملكية، الرباط 1967
- جلاب حسن
  * **أبو عبد الله محمد المرابط الدلائي**، رسالة جامعية غير منشورة محفوظة بمكتبة كلية الآداب بالرباط.

— جلبي أحمد بن عبد الغني (ت . بعد 1150 هـ)

* **أوضح الاشارات، فيمن ولي مصر القاهرة من الوزراء والباشات**، تقديم وتحقيق وتعليق، فؤاد محمد الماوي، دار الأنصار، القاهرة، 1977.

— الجمل شوقي عطا الله

* « **أحمد بابا التمبكتي السوداني في ضوء بعض مخطوطاته بدار الوثائق بالرباط**»، **مقال بمجلة المناهل**، العدد السادس، السنة الثالثة، يوليوز 1976، ص 44 — 177.
* أضواء على حياة الحسن بن محمد الوزان، مقال بمجلة **المناهل**، العدد التاسع، السنة الرابعة، يوليوز 1977، ص 104 — 145 .
* **تاريخ كشف افريقيا واستعمارها**، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1971.
* « محمد العياشي وجهاده ضد الاسبان والبرتغال »، مقال بمجلة **المناهل**، العدد التاسع، السنة الرابعة، يوليوز 1977، ص 104 — 145 .
* **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث**، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1977.

— الجنابي مصطفى بن حسين التركي (ت. 1590/999)

* **البحر الزخار، والعيلم التيار**، مخطوط م. م رقم 1507 .

— الجيلالي عبد الرحمان

* **تاريخ الجزائر العام**، الجزائر، المطبعة العربية 1954، في جزءين .

— حاجي خليفة (ت. 1657/1067)

* **كشف الظنون، عن أسامي الكتب والفنون (كشف)**، مطبعة وكالة المعارف باسطمبول، 1360 — 1941/1362 — 1943 في جزءين .

— الحجوي محمد (ت. 1956/1376)

* **الفكر السامي، في تاريخ الفقه الاسلامي**، مطبعة ادارة المعارف بالرباط، والبلدية بفاس... 1345 — 1926/1349 — 1930 في 4 أجزاء.

— الحجوي محمد المهدي (ت. 1968/1388)

* **حياة الوزان الفاسي واثاره**، المطبعة الاقتصادية بالرباط، 1935/1354 .

— حجـي محمـد

* **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين (الحركة)**، منشورات دار المغرب بالرباط، 1976 — 1978 .
* **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**، المطبعة الوطنية بالرباط، 1964/1384 .
* « مصادر التاريخ المغربي في المكتبات »، مقال **بالمجلة التاريخية المغربية** (تونس)، العددان 13 — 14، يناير 1979، ص 33 — 41 . وقد أعيد نشره بمجلة **دعوة الحق**،

السنة 20، مارس 1979، العددان 3 ــ 4، ص 66 ــ 71.
* « مناهل الصفا، في أخبار موالينا الشرفا »، مقال بمجلة **دعوة الحق**، السنة 9، يونيو 1966، العدد 8، ص 70 وما بعدها .
* « المنتقى المنصور، على ماثر المنصور » ، مقال بمجلة **دعوة الحق**، السنة 10، نونبر 1966، العدد 1، ص 100 وما بعدها .

ــ حركات ابراهيم
* « أحمد المنصور الذهبي كرجل دولة »، مقال بمجلة **دعوة الحق**، السنة 19، العدد 8 ، غشت 178، ص 30 ــ 32.
* **المغرب عبر التاريخ**، الجزء الثاني، دار الرشاد الحديثة، 1978.

ــ الحطيئة جرول بن أوس (665/30)
* **ديوان الحطيئة**، دار بيروت ودار صادر، بيروت 1967.

ــ الحلي صفي الدين (ت. 1349/750)
* **ديوان صفي الدين الحلي**، تحقيق كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

ــ الحميري بن عبد المنعم (ت. 1326/726)
* **الروض المعطار، في خبر الاقطار**، تحقيق احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975 .

ــ الحصري ابراهيم (ت. 1061/453)
* **جمع الجواهر، في الملح والنوادر**، المطبعة الرحمانية بمصر دون تاريخ.
* **زهر الآداب، وثمر الألباب**، تحقيق على محمد البجَاوي دار احياء الكتب العربية، القاهرة، 1953 .

ــ الحضيكي محمد (ت. 1775/1189)
* **طبقات الحضيكي (طبقات)**، المطبعة العربية بالدار البيضاء، 1938/1357 في جزئين.

ــ الحفناوي محمد (ت. بعد 1906/1324)
* **تعريف الخلف، برجال السلف**، مطبعة بيير فونطانيي بالجزائر، 1906 في قسمين .

ــ حسن ابراهيم حسن (ت. 1968/1388)
* **انتشار الاسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى شرقي القارة الافريقية وغربيها**، مطبعة البيان العربي القاهرة، 1957.
* **تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة السابعة، 1964 ــ 1967.

ــ حسن حسني عبد الوهاب (ت. 1968/1388
* **خلاصة تاريخ تونس**، الدار التونسية للنشر ومؤسسة الوحدة، تونس 1976.

★ **ورقات عن الحضارة العربية بافريقية**، مطبعة المنار بتونس،1965 ــ 1972 في 3 أجزاء

ــ حسن عثمان
★ **منهج البحث التاريخي**، دار المعارف بمصر، 1970.

ــ الحوات سليمان (ت . 1817/1233)
★ **البدور الضاوية، في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية**، مخطوط م . ع . بالرباط، رقم 261 د.

ــ الخطابي محمد العربي
★ « **أمير سعدي في خدمة البلاط الاسباني** »، **مقال بمجلة المناهل**، العدد 13، السنة 5 ، دجنبر 1978، ص 68 ــ 96، والقسم الثاني في العدد 14، ص 53 ــ 70.

ــ الخنساء تماضر بنت عمرو (ت . 645/24)
ــ ديوان الخنساء، تحقيق كرم البستاني، دار صادر ودار بيروت، بيروت 1963/1383.

ــ الخفاجي شهاب الدين (ت . 1069/58 ــ 1659)
★ **خبايا الزوايا، فيما في الرجال من البقايا**، مخطوط م . ع . بتطوان، رقم 237.
★ **ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا**، مطبعة بولاق بمصر، 1866/1283.

ــ خوجة حسين (ت . 1756/1169)
★ **ذيل بشائر أهل الايمان، في فتوحات آل عثمان**، تحقيق وتقديم الطاهر المعموري، مطبعة الشركة التوتونسية لفنون الرسم، تونس 1975.

ــ داود محمد
★ **تاريخ تطوان**، مطبعة كريماديس بتطوان، 1379 ــ 1959/1390 ــ 1970 في 6 أجزاء.

ــ الدميري كمال الدين (ت . 1405/808)
★ **حياة الحيوان الكبرى**، المكتبة الاسلامية، بيروت، لبنان، دون تاريخ.

ــ الراغب الاصبهاني أبو القاسم (ت . 1108/502)
★ **محاضرات الأدباء، ومحاورات الشعراء والبلغاء**، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1961.

ــ رافق عبد الكريم
★ **بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونبارت**، الطبعة الثانية، دمشق 1968.

ــ الرندي صالح بن شريف (ت . 1285/684)
★ **الوافي، في نظم القوافي**، تحقيق محمد الكانوني، رسالة غير جامعية محفوظة بمكتبة كلية الآداب بالرباط.

الرصاع محمد بن قاسم (ت . 1489/894)
★ **فهرس الرصاع**، تحقيق محمد العنابي، نشر المكتبة العتيقة بتونس 1967.
روسي ايتوري (ت . 1955)
★ **طرابلس تحت حكم الاسبان وفرسان مالطا**، ترجمة خليفة محمد التليسي، مؤسسة الثقافية الليبية، طرابلس ـــ ليبيل، 1969.
الريسوني علي
★ **أبطال صنعوا التاريخ**، المطبعة المهدية، تطوان، 1975/1395.
زبادية عبد القادر
★ **مملكة سنغاي في عهد الأسقيين**، نشر الشركة الوطنية بالجزائر، 1971.
الزجالي محمد بن القاسم (ت . 1662/1072)
★ **كناشة**، ميكروفيلم م . ع . بالرباط عدد 67 (عن مخطوط الأستاذ محمد الفاسي).
الزركلي خير الدين (ت . 1976)
★ **الاعلام**، قاموس تراجم (الاعلام)، الطبعة الثالثة، بيروت 1969،13 جزءا.
زكي مبارك (1952/1371)
★ **التصوف الاسلامي في الأدب والأخلاق**، دار الجيل ـــ بيروت، لبنان، دون تاريخ، جزآن.
زمامة عبد القادر
★ « أبو العباس بن القاضي »، مقال بمجلة **البحث العلمي**، عدد مثنى، 14 ـــ 15، السنة السادسة، يناير/دجنبير 1969، ص 201 ـــ 213.
★ « أبو العباس بن القاضي »، مقال بمجلة **اللقاء**، العدد 18 أكتوبر 1969، ص 66 ـــ 68، وهو ملخص للمقال السابق.
★ « أبو العباس بن القاضي مؤرخ دولة المنصور »، مقال **بمجلة كلية الآداب** بفاس، العددان الثاني والثالث، لسنتي 1979 ـــ 1980، ص : 7 ـــ 22.
★ **أبو الوليد ابن الأحمر**، دار المغرب، الدار البيضاء 1978/1398.
زنيبر محمد
★ « ابن الخطيب والتجديد في المنهاج التاريخي »، مقال **بمجلة كلية الآداب** بالرباط، العدد 2، 1977، ص 79 ـــ 126.
★ « الصورة التاريخية للمثقف المغربي التقليدي : ابن زاكور على حقيقته »، مقال **بمجلة كلية الآداب** بالرباط، العددان الثالث والرابع، 1978، ص 97 ـــ 128.
زهير بن أبي سلمى (ت . 13 ق . هـ . / 609 م)
★ **ديوان زهير بن أبي سلمى**، تحقيق كرم البستاني، دار صادر ودار بيروت، بيروت

.1964/1384

— الزياتي عبد العزيز (ت. 1645/1055)

— **الجواهر المختارة، فيما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة**، مخطوط م. ع. بالرباط، رقم 66 ج.

— الزياني ابو القاسم (ت. 1877/1249)

* **البستان الظريف، في دولة أولاد مولاي علي الشريف (البستان الظريف)**، مخطوط م.ع. بالرباط، رقم 1577 د.
* **الترجمان المغرب، عن دول المشرق والمغرب (الترجمان)**. مخطوط م.ع. بالرباط، رقم 658 د.
* **جوهرة التيجان، وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان، في ذكر الملوك العلويين وأشياخ مولاي سليمان**، مخطوط م.ع. بالرباط 112 ك.
* **الروضة السليمانية، في ملوك الدولة الاسماعيلية، ومن تقدمها من الدول الاسلامية (الروضة السليمانية)**.

— زيدان جرجي (ت. 1914/1332)

* **تاريخ آداب اللغة العربية**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 4 أجزاء
* **تاريخ التمدن الاسلامي**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 5 أجزاء.

— الكانوني محمد (ت. 1938/1357)

* **آسفي وما اليه قديما وحديثا**، مطبعة مصطفى محمد بالقاهرة، 1934/1353.
* **جواهر الكمال، في تراجم الرجال**، المطبعة العربية بالدار البيضاء 1937/1356.

— الكتاني محمد ابراهيم

* «جولة في المخطوطات العربية باسبانيا» مقال بمجلة **دعوة الحق**، العددان 9 — 10، يوليوز، 1966، ص 82 — 87. وقد أعيد نشر المقال بمجلة **البحث العلمي**، العدد العاشر، السنة الرابعة، يناير/ أبريل 1967، ص : 30 — 32.

— الكتاني محمد بن جعفر الفاسي (ت. 1926/1345)

* **الرسالة المستطرفة، لبيان مشهور كتب السنة المشرفة**، دار الكتب العملية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية 1400 هـ.
* **سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس، بمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس (سلوة)**. المطبعة الحجرية بفاس 1900/1318، في 3 أجزاء.

— الكتاني عبد الحي (ت . 1962/1382)

* **التراتيب الادارية**، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان دون تاريخ.
* **فهرس الفهارس والاثبات، ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات (فهرس**

الفهارس)، المطبعة الجديدة بفاس، 1927/1346 في جزئين.
— كحالة عمر رضى
★ **معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب** (**معجم**)، مطبعة الترقي بدمشق 1961/1380 في 15 جزءا.
★ **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، المطبعة الهاشمية، دمشق 1949.
— كراتشكوفسكي اغناطيوس (ت. 1951/1370)
★ **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، تعريب صلاح الدين هاشم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، 1963.
— الكراسي محمد (ت. 1557/1964)
★ **عروسة المسائل، فيما لبني وطاس من الفضائل**، المطبعة الملكية بالرباط، 1963/1383.
— كريم عبد الكريم
★ **المغرب في عهد الدولة السعدية**، شركة الطبع والنشر، الدار البيضاء، 1977/1397.
★ « من وثائق معركة وادي المخازن »، مجلة **دعوة الحق**، السنة 19 العدد 8، غشت 1978، ص 33 — 36.
— الكلالي ابراهيم (ت . 1637/1047)
★ **تنبيه الصغير من الوالدان، على ما وقع في مسألة الهارب والهاربة من الهذيان، لمدعي استحقاق الفنوى آجليان (تنبيه)**، مخطوط م . ع . بالرباط 571 ك.
وقد نشر الأستاذ محمد المنوني قسما منه بعنوان « بمجلة **البحث العلمي**، العدد السابع، السنة الثالثة، يناير، أبريل 1966، ص 241 — 266.
— كنون عبد الله
★ **ذكريات مشاهير رجال المغرب**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الجزآن الأول والثاني.
★ **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، بيروت 1961.
— الكعاك عثمان (ت . 1977/1397)
★ **مراكز الثقافة في المغرب من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر**. المطبعة الكمالية بالقاهرة، 1958.
— كعب بن زهير (ت . 645/26)
★ **شرح ديوان كعب بن زهير**، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة، 1950/1369.
— كعت محمود (ت . 1593/1002)
★ **تاريخ الفتاش، في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس**، تحقيق هوداس ودولافوس، طبعة آنجي عام 1913.

— طاش كبري زاده أحمد بن مصطفى (ت . 1561/968)
* **الشقائق النعمانية، في علماء الدولة العثمانية (الشقائق)**، مطبعة بولاق بالقاهرة، 1882/1299.
— طرازي فيليب (ت . 1956/1375).
* **خزانة الكتب العربية في الخافقين**، نشرته وزارة التربية الوطنية بلبنان، 1947 في 3 أجزاء.
— طربين أحمد
* **التاريخ والمؤرخون العرب في العصر الحديث**، مطبعة الانشاء بدمشق، 1970.
— لبيد بن ربيعة العامري (661/41)
* **ديوان لبيد**، دار صادر، بيروت، لبنان، 1966/1385.
— لقبال موسى
* **الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971.
— ليفي بروفنسال افارست (ت . 1956)
* « تأسيس مدينة فاس » نشر معربا من طرف سعيد النجار وأحمد اليابوري، بمجلة **البحث العلمي**، العدد 31، السنة 16، أكتوبر 1980، ص 157 — 185.
* **مؤرخو الشرفاء**، تعريب عبد القادر الخلادي، دار المغرب بالرباط، 1977/1397.
— مالك بن أنس (ت . 795/179)
* **الموطأ**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبع بمصر سنة 1370 هـ.
— الماوي فؤاد محمد
* « الوضع المالي لولاة مصر من 1517 إلى 1798 »، مقال بمجلة **المناهل**، العدد 11، السنة 5، مارس 1978، ص 325 — 353، والقسم الثاني بالعدد 12، ص 323 — 337، والقسم الثالث بالعدد 13، ص 347 — 373.
— المتنبي أبو الطيب (أحمد بن الحسين ت . 965/354)
* **ديوان المتنبي**، تحقيق عبد الرحمان البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، 4 أجزاء.
— المتقي الهندي على بن حسام الدين (ت . 1567/975)
* **منتخب كنز العمال، في سنن الأقوال والأفعال**، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر، دار صادر، بيروت، 6 أجزاء، دون تاريخ.
— مجهول (ت . بعد 91/1000 — 1592)
* **طبقات المالكية**، مخطوط م . ع . بالرباط عدد 3928 د.
— مجهول
* **تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية**، نشره جورج كولان ضمن منشورات معهد

الدروس العليا بالرباط 1934/1353.
المحبي محمد (ت . 1699/1111)
* **خلاصة الأثر، في أعيان القرن الحادي عشر**، دار صادر، دار بيروت، دون تاريخ، 4 أجزاء.
مخلوف محمـــد (ت . 1936/1355)
* **شجرة النور الزكية، في طبقات المالكية (شجرة)**، المطبعة السلفية بالقاهرة، 1930/1349.
المدني أحمد توفيق.
* **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا**، مطبعة البعث بالجزائر، دون تاريخ.
* **كتاب الجزائر**، المطبعة العربية بالجزائر، 1931/1350.
* محمد عثمان باشا دار الجزائر، نشرته المكتبة العصرية بالجزائر، 1937/1356.
المرزوقي أحمد بن محمد (ت . 1030/421)
* **شرح ديوان الحماسة**، نشر الأستاذين أحمد أمين وعبد السلام هارون، القاهرة، 1951 ــ 1953، 4 أجزاء.
مزين محمـــد
* **فاس وباديتها من سنة 1549 إلى 1637**، رسالة جامعية محفوظة بمكتبة كلية الآداب بالرباط.
المكلاتي محمد (ت . 31/1041 ــ 1632)
* **تكميل وفيات الفشتالي (تكميل)**، مخطوط م . م . بالرباط، 139 ز.
المكناسي أحمد (ت . 1965/1385)
* **أهم مصادر التاريخ والترجمة في المغرب**، الطبعة الأولى، المكتبة التجارية، القاهرة، 1938/1357، 6 أجزاء.
المنجور أحمد (ت . 1587/995)
* **فهرس**، تحقيق محد حجي، دار المغرب، الرباط، 1976/1396.
منصور عبد الحفيظ.
* **فهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية بتونس**، خزانة جامع الزيتونة، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت 1969.
المنوني محمـــد
* « أساتذة الهندسة ومؤلفوها في المغرب السعدي »، مقال بمجلة **دعوة الحق**، العدد الثاني، السنة التاسعة ، ص 101 ــ 104، دجنبر 1965.
* **التيارات الفكرية في المغرب المريني**، مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية، فاس،

المغرب، 1972/1391.

* **ركب الحاج المغربي**، نشر معهد مولاي الحسن بتطوان، 1953.
* « الطابع الخاص للحضارة المغربية في العصر الوسيط »، مقال **بمجال كلية الآداب** بالرباط، العددان الثالث والرابع، سنة 1978، ص 81 — 96.
* « ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي » مقال بمجلة **دعوة الحق**، السنة 10، العدد 3، يناير 1967، ص 74 — 91.
* « الكناشات المغربية » مجلة **المناهل**، العدد الثاني، مارس 1975، ص 196 — 232.
* **ملامح من تطور المغرب العربي في بداية العصور الحديثة**، نشر مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بالجامعة التونسية، تونس 1979.
* **العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين**، دار المغرب بالرباط، الطبعة الثانية 1977/1397.
* **وثائق ونصوص عن أبي الحسن علي بن منون وذريته**، المطبعة الملكية بالرباط، 1976/1396.
* **ورقات عن الحضارة المغربية في عصرين مرين**، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1979/1399.
* « وثيقتان جديدتان من ذيول معركة وادي المخازن »، مقال بمجلة **دعوة الحق**، السنة 19، العدد 8، غشت 1978، ص 30 ـ 32.

— المغيلي محمد بن عبد الكريم (ت . 909 هـ).

* **أسئلة الاسقيا وأجوبة المغيلي**، تحقيق عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974، الجزائر.

— المقري أحمد (ت . 1041/31 — 1632)

* **1. أزهار الرياض، في أخبار عياض (أزهار)**، 5 أجزاء، الأجزاء الثلاثة بتحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي، الطبعة الثانية، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1978/1398.
  الجزء الرابع بتحقيق سعيد أحمد أعراب ومحمد بن تاويت. نفس المطبعة والتاريخ.
  الجزء الخامس بتحقيق عبد السلام الهراس وسعيد أحمد أعراب، نفس المطبعة 1979/1399.
* **2. روضة الآس العاطرة الأنفاس، في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس (روضة).**
* **3. نفخ الطيب، من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب (نفح)**، نشره إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968/1388 في 8 أجزاء.
* **4. فتح المتعال، في مدح النعال**، مطبعة حيدر أباد بالهند، 1915/1334.

مسلم بن الحجاج (ت . 875/261)
* **صحيح مسلم**، منشورات المكتب التجراي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
ميارة محمد (ت . 875/261)
* **الدر الثمين، والمورد المعين، في شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين**، دار الفكر، بيروت، دون تاريخ.
* **ذيل وفيات المكلاتي**، مخطوط م . م . بالرباط، رقم 3139 ز.
الميداني أحمد (ت . 1124/518)
* **مجمع الأمثال**، طبع بمصر سنة 1352 هـ، جزآن.
المهماه مصطفى عبد السلام.
* **المرأة المغربية والتصوف في القرن الحادي عشر الهجري**، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1978.
موسنيي رولان.
* **القرنان السادس عشر والسابع عشر**، نقله إلى العربية يوسف أسعد داغر، وفريد م . داغر، منشورات عويدات، بيروت، 1966.
النابغة الذبياني (زياد بن معاوية ت . نحو 18 ق . هـ/604)
* **ديوان النابغة الذبياني**، صنعه ابن السكيت، تحقيق شكري فيصل، دار الفكر، دمشق 1968/1388.
الناصري أحمد (ت . 1897/1315)
* **الدرر المرصعة، بأخبار أعيان درعة**، مخطوط م . ع . بالرباط، رقم 265ك
* **الرياحين الوردية، في الرحلة المراكشية**، مخطوط م . ع . بالرباط، رقم 88 ج.
نجمي عبد اللـه.
* « العكاكزة » مقال بمجلة **كلية الآداب** بالرباط، العددان الخامس والسادس، 1979، ص 59 — 94.
* « من تاريخ التصوف المغرب في القرن العاشر الهجري : الملامتية » مقال بمجلة **تاريخ المغرب**، العدد الأول، 1981، ص 15 — 57.
النسائي أحمد بن علي (ت . 915/303)
* **سنن النسائي**، تحقيق الشيخ حسين محمود المسعودي، المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة، دون تاريخ.
النواجي شمس الدين (محمد بن حسن 1455/859)
* **حلبة الكميت**، طبعة القاهرة، 1276.
نوار عبد العزيز سليمان.
* **الشعوب الاسلامية**، دار النهضة العربية بيروت، 1973.

— نويهض عادل.
* **معجم أعلام الجزائر**، مطبعة المكتب النجاري، بيروت، 1971.
— صبحي حسن
* **محاضرات في التاريخ الأوروبي الحديث**، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الاسكندرية، 1975.
— صبحي الصالح
* **مباحث في علوم القرآن**، دار العلم للملايين، بيروت، 1977.
* **علوم الحديث ومصطلحه**، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثامنة، 1975.
— الصفدي خليل بن أيبك (ت . 1363/764)
* **الغيث المسجم، في شرح لامية العجم**، المطبعة الأزهرية المصرية، سنة 1305 هـ .
* **الوافي بالوفيات**، دار النشر فرانز شتايز بفيسبادن، 1962 — 1971، 8 أجزاء.
— الصومعي عبد الرحمان (ت . بعد 1601/1010)
* **التشوف الصغير**، مخطوط م . ع . بالرباط، عدد 1103 د .
— العاملي بهاء الدين محمد بن الحسين (ت . 1622/1031)
* **الكشكول**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ.
— العباسي عبد الرحيم (ت . 1555/963)
* **معاهد التنصيص، على شرح شواهد التلخيص**، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1947.
— عبد الباقي محمد فؤاد.
* **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، مطبعة دار الكتب المصرية، 1945/1364، القاهرة.
— العبدري محمد (كان بقيد الحياة عام 1289/688)
* **الرحلة المغربية**، تحقيق محمد الفاسي، منشورات وزارة الثقافة، الرباط، 1968.
— عبد المنعم سيد عبد العال.
* **معجم شمال المغرب (تطوان وما حولها)**، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968/1388.
— عبد السلام هـارون.
* **تحقيق النصوص ونشرها**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1954.
— عتيـق عبد العـزيـز
* **علم العروض والقافية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1974.
— عثمان عثمان اسماعيل.
* « من تاريخ العمارة الدينية في عصر الاشراف السعديين » مجلة **دعوة الحق**، السنة

19، العدد 5، ماي 1978، ص 70 — 75 والقسم الثاني يوجد بالعددين 6 — 7، ص 79 — 82.
علقمة الفحل (ت . نحو 20 . هـ/603 م)
* **ديوان علقمة الفحل**، تحقيق لطفي الصقال، دار الكتاب العربي بحلب، 1969.
علوش ا . س . وعبد الله الرجراجـي.
* **فهرس المخطوطات العربية بالرباط**، المطبعة الشرقية والأميريكية بباريس، 1954 — 1958 في جزئين + جزء ثالث لمؤلف آخر، مطبعة التومي بالرباط، 1973.
العلوي أحمد (ت . بعد 1689/1100)
* **الأنوار السنية، في نسبة من بسجلماسة من الأشراف المحمدية**، مطبعة فضالة بالمحمدية، 1966/1385.
علي بن أبي طالب (ت . 661/40)
* **ديوان علي بن أبي طالب**، جمع وترتيب عبد العزيز كرم، دون ذكر مكان ولا تاريخ الطبع
العمراني عبد الله
* **مولاي اسماعيل بن الشريف**، مطبعة ديسبريس، تطوان، 1978.
عنان عبد الله
* **تراجم اسلامية شرقية وأندلسية**، الطبعة الثانية، القاهرة، 1970.
* **دولة الاسلام في الأندلس**، الطبعة الثالثة القاهرة، 1950، جزآن.
* **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**، الطبعة الثالثة، القاهرة، 1965.
* **فهارس الخزانة الملكية**، المجلد الأول، فهرس قسم التاريخ وكتب الرحلات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1980
العقاد صلاح
* **المغرب العربي**، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة 1969، الطبعة الثالثة.
العقيقي نجيب (ت . 1982)
* **المستشرقون**، مطبعة دار المعارف بالقاهرة، 1964 — 1965 في 3 أجزاء.
العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت . بعد 1005/315)
* **ديوان المعاني**، طبع القدسي، 1352.
عياض القاضي بن موسى السبتي (ت . 544 هـ)
* **الاعلام، بحدود قواعد الاسلام**، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، الطبعة الثالثة، المطبعة الملكية — بالرباط.
* **ترتيب المدارك، وتقريب المسالك، لمعرفة أعلام مذهب مالك**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 5 أجزاء.

* **الشفا، بتعريف حقوق المصطفى**، دار الفكر العربي، بيروت، جزآن.
— العياشي أبو سالم عبد الله (ت . 1679/1090)
* **الرحلة العياشية أو ماء الموائد**، طبعة ثانية، وضع فهارسها محمد حجي، دار المغرب بالرباط، 1977/1397، جزآن.
— الغبريني أحمد (ت . 1315/714)
* **عنوان الدراية، فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1970.
— الغزي محمد نجم الدين (ت . 1651/1061)
* **الكواكب السائرة، بأعيان المائة العاشرة (الكواكب)**، المطبعة الأميريكية ببيروت، 1945 في 3 أجزاء.
— العزي الهادي حمودة
* **الأدب التونسي في العهد الحسيني**، الدار التونسية للنشر، 1972.
— الفاسي محمد
* « انقاذ تونس من يد الاسبان في أواخر القرن العاشر الهجري »، مقال بمجلة **آفاق**، السنة الأولى، العدد الثالث، يونيو — غشت — شتنبر 1963، ص 7 وما بعدها.
* « موقعة وادي المخازن الحاسمة » مقال بمجلة **البحث العلمي**، العدد التاسع، السنة الثالثة، شتنبر/دجنبر 1965، ص 217 وما بعدها.
* **وحي البينة**، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1970.
— الفاسي محمد البشير (ت . 1963/1382)
* **قبيلة بني زروال**، مطبعة المنشورات التقنية بشمال افريقيا، الرباط، 1962.
— الفاسي محمد العابد (ت . 1976/1396)
* **الخزانة العلمية بالمغرب**، مطبعة الرسالة بالرباط، 1960/1380.
* **فهرس مخطوطات خزانة القرويين**، الجزء الأول، دار الكتاب، 1979.
— الفاسي محمد العربي (ت . 1642/1052)
* **مرآن المحاسن، من أخبار الشيخ أبي المحاسن**. (**مرآة**)، المطبعة الحجرية بفاس، 1906/1324.
— الفاسي محمد المهدي (ت . 1698/1109)
* **تحفة أهل الصديقية، بأسانيد الطائفة الجزولية والزروقية**، مخطوط م . ع . بالرباط رقم 76 ج.
* **روضة المحاسن، الزاهية بمآثر الشيخ أبي المحاسن**، مخطوط م . ع . بالرباط، رقم 976 ج.

★ **ممتع الأسماع، في ذكر الجزولي والتباع، وما لهما من الاتباع (ممتع)**، المطبعة الحجرية بفاس، 1896/1313.

— الفاسي عبد الرحمن (ت . 1685/1096)

★ **ابتهاج القلوب، بخبر الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب (ابتهاج)**، مخطوط م . ع . بالرباط، رقم 326 ك.

— الفاسي عبد الله (ت . 1719/1131)

★ **الاعلام بمن غبر، من أهل القرن الحادي عشر (الاعلام بمن غبر)**.

★ مخطوطتان مبتورتان :

1) — عام 1012 — 1027 — في م . ع . بالرباط رقم 1080 ك.

2) — عام 1050 — 1100 — في م . م . بالرباط، رقم 3637 ز.

— فريد بك محمد المحامي (ت . 1919/1338.

★ **تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجيل، بيروت، 1977/1397.**

— **الفضيلي ادريس (ت . 1898/1316)**

★ **الدرر البهية، والجواهر النبوية، في الفروع الحسنية والحسينية (الدرر البهية)**، المطبعة الحجرية بفاس، 1896/1314 في جزءين.

— الفشتالي عبد العزيز (ت . 1622/1031)

★ **مناهل الصفا، في أخبار الملوك الشرفا (مناهل)**، نشره عبد الله كنون في المطبعة المهدية بتطوان، 1964/1384.

— فيشر هربرت

★ **أصول التاريخ الأوروبي الحديث**، ترجمه إلى العربية أحمد عبد الرحيم مصطفى، وزينب عصمت راشد، دار المعارف بمصر 1965.

— القادري محمد (ت . 1773/1187)

★ **الاكليل والتاج، في تذييل كفاية المحتاج (الاكليل)**، مخطوط م . م . بالرباط، رقم 1897

★ **التقاط الدرر، ومستفاد المواعظ والعبر، من أخبار أعيان المائة الحادية والثانية عشر (التقاط)**، تحقيق هاشم القاسمي العلوي، رسالة جامعية غير منشورة محفوظة بمكتبة كلية الآداب بالرباط.

★ **نشر المثاني**، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، الجزء الأول، دار المغرب، الرباط 1977.

— القادري عبد السلام (ت . 1698/1110)

★ **الدر السني في بعض من بفاس من أهل النسب الحسني (الدر السني)**، المطبعة الحجرية بفاس، 1892/1309.

* **المقصد الأحمد، في التعريف بسيدنا ابن عبد الله أحمد**، المطبعة الحجرية بفاس، 1932/1351.
— القبلي محمد
* « مساهمة في تاريخ التمهيد لظهور دولة السعديين »، مقال بمجلة **كلية الآداب** بالرباط، العددان الثالث والرابع، سنة 1978، ص 7 — 59.
— القلقشندي أحمد (ت . 1418/821)
* **صبح الأعشى، في كتابة الانشا**، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1331 — 1338[1913 — 1920 — في 14 جزءا.
— القصار محمد (ت . 1603/1012)
* **فهرس القصار**، مخطوط م . م . بالرباط، رقم 3730.
— قششتيليو محمد
* **محنة الموريسكوس في اسبانيا**، مطبعة ديسبريس، تطوان 1980.
— القشيري عبد الكريم بن هوازن (ت . 1072/465)
* **الرسالة القشيرية في علم التصوف**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دون تاريخ.
— سامح عزيز
* **الأتراك العثمانيون في شمال افريقيا**، بيروت 1969/1389، 3 أجزاء في مجلد واحد.
— الساعاتي أحمد عبد الرحمان البنا (ت . بعد 1950/1369)
* **بدائع المنن، في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن**، دار الأنوار للطباعة والنشر، 1950/1369، القاهرة.
— السجلماسي عبد الواحد (ت . 1595/1003)
* **الاعلام، ببعض من لقيته من علماء الاسلام (فهرس)**، مخطوط خاص بالرباط.
— السخاوي شمس الدين (محمد بن عبد الرحمان (ت . 1497/902)
* **التبر المسبوك، في ذيل السلوك**، نشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة، دون تاريخ.
* **الضوء اللامع، لأهل القرن التاسع**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان 12 جزءا.
— السراج الحاج محمد
* **خلاصة تاريخ سبتة**، مطبعة ديسبريس، تطوان، 1976.
— السراج محمد الوزير (ت . 1149 هـ)
* **الحلل السندسية، في الأخبار التونسية**، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، تونس 1970، الجزء الأول في 4 مجلدات وقسم من الجزء الثاني.
— سركيس يوسف (ت . 1932/1351)

* **معجم المطبوعات العربية والمعربة** (**معجم المطبوعات**)، مطبعة سركيس بالقاهرة، 1928/1346 في جزءين.

— السعدي عبد الرحمان (ت . بعد 1655/1066)

* **تاريخ السودان**، طبعة باريس 1898.

— السوسي محمد المختار (ت . 1963/1383)

* **ايليغ قديما وحديثا**، المطبعة الملكية بالرباط، 1966/1386.
* **خلال جزولة** (**خلال**)، المطبعة المهدية بتطوان، دون تاريخ، في 4 أجزاء.
* **المعسول**، مطبعة النجاح بالدار البيضاء، 1380 — 1960/1383 — 1963 في 20 جزءا.
* **سوس العالمة** (**سوس**)، مطبعة فضالة بالمحمدية (المغرب)، 1960/1380.

— السيوطي جلال الدين عبد الرحمان (ت . 1505/911)

* **بغية الوعاة، في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة 1954/1384، جزآن.
* **الجامع الكبير**، مخطوط م . ع . بالرباط عدد 3,3872 أجزاء.

— الشابي علي

* « مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية »، **المجلة التاريخية المغربية** (**تونس**)، العددان، 13 — 14، يناير 1979، ص 55 — 81.

— الشاذلي عبد اللطيف

* **الحركة العياشية**، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، أطروحات ورسائل 10، 1982

— الشافعي محمد بن ادريس (ت . 820/204)

* **ديوان الشافعي**، تحقيق محمد عفيف الزعبي، دار النور بيروت، 1971/1391.

— الشرقاوي اقبال أحمد.

* **لعبة الشطرنج في ماضيها الاسلامي**، مطبعة النجاح، الدار البيضاء،1969.
* **مكتبة الجلال السيوطي**، دار المغرب بالرباط، 1977/1397.

— الشريف الرضي (محمد بن الحسين ت . 1016/406)

* **ديوان الشريف الرضي**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1310 هـ.

— الشريف عبد الله محمد

* « أضواء على المخطوطات العربية » مقال بمجلة **دراسات عربية**، العدد، السنة 17، نونبر 1980، ص 82 — 100.

— الشريشي أحمد بن عبد المومن (ت . 1223/619)

* **شرح مقامات الحريري**، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، مطبعة المنيرية 1953
— شلبي محمود
* **تاريخ التربية الاسلامية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1973.
أ— الشعراني عبد الوهاب بن أحمد (ت . 1565/973)
* **لواقح الأنوار، في طبقات السادة الأخيار (الطبقات الكبرى)**، المطبعة الأزهرية بمصر، 1925/1343، في جزءين.
— الهبطي محمد (ت . 92/1001 — 1593)
* **المعرب الفصيح، عن سيرة الشيخ الرضى النصيح (المعرب)**، مخطوط خاص بالرباط.
— الهبطي عبد الله (ت . 1556/963)
* **الألفية السنية، في تنبيه العامة والخاصة على ما أوقعوه من التغيير في الملة الاسلامية**، مخطوط م . م . بالرباط، رقم 3607 ز.
— الوادي آشي (محمد بن جابر، ت . 1338/749)
* **برنامج الوادي آشي**، دراسة وتحقيق محمد محفوظ، دار الغرب الاسلامي، أثينا — بيروت، 1980/1400.
— واينرب . جيروم
* « المغرب وقراصنته المغربة في القرن السابع عشر »، تعريب طارق العسكري وعبد الهادي التازي، مجلة **البحث العلمي**، السنة 16، العددان 29 — 30، ص 13 — 36.
— الوزان الحسن بن محمد (ليون الافريقي ت . بعد 1550/957)
* **وصف افريقيا**، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، مطبعة ووراقة البلاد، الرباط 1980/1400، الجزء الأول.
— ونسنك أرندجان (وآخرون) (ت . 1939/1358)
* **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي**، مكتبة بريل في مدينة ليدن، 1936 — 1969.
— الونشريسي أحمد (ت . 1508/914)
* **وفيات الونشريسي**، (ضمن كتاب ألف سنة من الوفيات)، تحقيق محمد حجي، دار المغرب، الرباط، 1976/1396.
— الوشاء محمد (ت . 937/325)
* **الموشى**، دذار صادر ودار بيروت، 1965.
— ياقوت الحموي (ت . 1226/626)
* **معجم البلدان**، دار صادر ودار بيروت، 1957/1376، 5 أجزاء.

يحيى جلال
* **المغرب الكبير، العصور الحديثة وهجوم الاستعمار**، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1966

اليوسي الحسن (ت . 1692/1102)
* **الرسائل**، جمع وتحقيق ودراسة فاطمة خليل القبلي، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1981.
* **زهرة الأكم، في الأمثال والحكم**، تحقيق : محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1981.
* **المحاضرات**، طبعة ثانية، أعدها للطبع محمد حجي، دار المغرب بالرباط، 1976/1396.
* **فهرس**، مخطوط م . ع . بالرباط، عدد 1234 ك.

ب — باللغة الأجنبية

* — Abbou (I. D.)

— Musulmans — Andalous et judéo - musulmans, Casablanca, 1953.

* — L'Africain (J.L.)

— Description de l'Afrique, trad. de l'italien par Epaulard, A. Edit. Maisonneuve, Paris 1956 en 2 vol.

* — Aimel (G.)

— Le Palais d'El-Badi, Arch. ber, III. 1918.

* — Bataillon (M.)

— Le rêve de la conquête de Fès et le sentiment impérial portuguais du XVI siècles, Etude sur le portuguais au temps de l'humanisme, Coimbra, 1945.

* — Benchekroun (M.)

— Le vie intellectuelle marocaine sous les mérinides et les Watasides, Imp. Mohamed V -Fès, 1974.

* — Berque (J.)

— Al youssi, problèmes de la culture marocaine au XVII siècle, Mouton et Co, Paris — La Haye, 1958.

— Les mawazils de muzaraâ du miyar d'al Wazzani, Edit. félix Monche, Rabat, 1940.

* — Berthier (P.)

— Les anciennes sucreries du Maroc et leurs réseaux hydraulitques, Imp. françaises et Marocaines, Rabat, 1966, en 2 vol.

* — Bovill (E. W.)

— The battle of Alcasar, london, Batchworth, édit. 1952.

* — Braudel (F.)

— La méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de philippe II, Paris, Arm. Colin, 2 édition, 1967.

— Les espagnoles en Afrique du nord de 1492 — 1577, Revue Africaine, 1928, PP. 184 — 351.

— Les espagnoles en Algérie (1492 — 1792), in Histoire et Historiens de l'Algérie, Paris 1931, pp. 231 — 266.

* — Brignon (J.) et co - auteurs
— Histoire du Maroc, édit. Hatier, Paris et librairie nationale, Casablanca, 1967.
* — Brockelmann (C.)
— Geschicht der arabischen litterature, Weimar et Berlin, 1898 — 1902 en 2 vol. nouvelle, édit. Leiden 1943 — 1949,
— Suppléments, Leiden, 1937 — 1942, 3 vol.
* — Burethes (J.D.)
— Contribution à l'histoire du Maroc par des recherches numismatiques, Casablanca, 1939.

* — Caillé (J.)
— Ambassades et missions marocaines au pays — bas à l'époque des sultans saâdiens, Hesp — Tamuda, N° IV fascicule I et II, 1963, pp. 5 — 67.
— Le commerce anglais avec le Maroc pendant la seconde moitié du XVI siècle, Revue Africaine, p. 34, 1940.
* — Charles dominique (P.)
— La pénétration économique de l'europe au Maroc à l'époque saâdiens, 1472 — 1660.
* — Castries (H. de)
— La conquête du Soudan par El-Mansour, Hesp. 1923, t. III 4 trim.
— Une description du Maroc sous le règne de moulay Ahmed el-Mansour, texte portuguais et trad. Fran., Paris, 1909.
— Frappe de la monnaie à mohammadia, Hesp. 1922, t. II, 3 trim.
— Les signes de validation des chérifs Saâdiens. Hesp. 1922, t. I, 3 trim.
* — Cattenoze (H. G)
— Tables de concordance des ères chrétienne et hégirienne. Edit. Techniques nord — africaines, Rabat, 1961.
* — Coindreau (R.)
— Les corsaires de Salé, Paris 1948.
* — Colin (G. S.)
— Note sur le système cryptographique du sultan Ahmed El-Mansour, Hesp., 1927, t. I. 2 trim.
* — Cour (A.)
— L'établissement des dynasties des chérifs du Maroc et leur rivalité avec les turcs de la régence d'Alger (1509 — 1830), Paris 1904.

* — Dan (P.)
— Histoire de la barbarie et ses corsaires, 1937, 2 1dit — 1649.
* — Delafosse (M.)
— Relations entre le Maroc et le Soudan à travers les âges, Hesp. 1924, t. IV. ; 2 trim.
* — Delphin (G.)
— Fas son université et l'enseignement supérieur musulman, Paris 1880.
* — De soussa (L.)
— les portuguais et l'Afrique du nord de 1521 à 1557. Extraits des annales de Jean III, Trad. Fran. avec introduction et commentaire R. Ricard, lisbonne 1940.
* — Despois (J.) et Rynal (R.)
— Géographie de l'Afrique du nord-ouest. Payot, Paris 1975.
* — Deverdun (G.)
— Marrakech, des origines à 1912, Edit. Techniques Nord-Africaines, Rabat, 1959 — 1966 en 2 vol.
* — Diego de Zorres
— Histoires des chérifs, trad. de l'espagnol, Paris, 1650.

* — Dozi (R.)
— Supplément aux dictionnaires arabes, 3 édit. Leyde — Pari, 1677, en 2 vol.
* — Dziubinski (A.)
— L'armée et la flotte de guerre marocaine à l'époque des sultans de la dynastie saâdienne, Hesp. Vol. XIII, Fasc. Unique, pp. 61 — 94, 1972.

* — Erckmann (J.)
— Le Maroc moderne, Paris 1885.
* — Galibert (L.)
— L'Algérie ancienne et moderne, Paris, 1884.
* — Godart (L.)
— Description et histoire du Maroc, Paris, 1860.
* — Gois (D. de)
— Les portuguais au Maroc de 1495 à 1521, Trad. Franç. R. Richard, Rabat, 1937.
* — Grammont (H. de)
— Histoire d'Alger sous la domination turque, Paris, 1887.
* — Guay (F.)
— La ville de Fès et ses rapports avec le monde musulman nord-africain.

* — Julien (ch. A.)
— Histoire de l'Afrique du nord de la conquête arabe à 1830, 2 édit. Revue et mise à jour par Roger le Zourneau, Paris 1975.
* — Justinard (col.)
— Notes sur l'histoire du sous au XVI siècle, Arch. Maroc., XXIX, 1933.

* — Laroui (A.)
— L'Hstoire du Maghreb, un essai de synthèse, Edit. François Maspero, Paris, 1970.
— Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain, Edit. François Maspero, Paris 1977.
* — Lapeyre (H.)
— Les manorchies européennes du XVI siècle, P.U.F, Paris 1967.
* — Le tourneau (R.)
— Fès avant le protectorat, étude économique et sociale d'une ville de l'occident musulman, Casablanca, 1949.
— Fès et la naissance du pouvoir saâdien, Al-Andalous, Vol. XVIII, Fasc 2, 1953.
— Les débuts de la dynastie saâdienne jusqu'à la mort de m'hammed ash-Shaykh, 1557, Alger, 1954.
* — Marmol (C.)
— L'Afrique, Trad. espagnole, 3 vol. 1867.
* — Martin (A. G. L.)
— Quatre siècles d'histoire marocaine au sahara de 1504 à 1902, Paris, 1923.
* — Maslou (B.)
— Le Maroc dans les premières années du XVI siècle, Typogr. Adolphe jourdan, Alger, 1906.
* — Masson (P.)
— Histoire des établissements du commerce français dans l'Afrique barbaresque, 1560 — 1793, Paris, 1903.
* — Mathan (A.)
— Voyages au Maroc (1640 - 41), journal de voyage, la haye, 1866.

* — Mauro (F.)
Le XVI siècle européen, aspects économiques, P.U.F. Paris, 1966.
* — Mezzine (L.)
— Contribution à l'histoire de Zafilalt, Doctorat du III cycle, Paris, 1976.
* — Meunier (J.)
— Le grand riad et les batiments saâdiens du badi à Marrakech selon le plan publié par Wandus, Hesp. 1 et 2 trim. 1957.
* — Michaux bellaire (E.)
— Essai sur l'histoire des confréries marocaines, Paris, 1921.
* — Mouette (G.)
— Histoire des conquêtes de Moulay Archyd connu sous le nom du roy de Zafilalt, son frère, et son successeur à présent réguaut, Paris, 1683.
* — Moulieras (A.)
— Le Maroc inconnu ; exploration du Rif et des Djballah, Paris - Oran 1895 - 99.
* — Mourre (M.)
— Dictionnaire Encyclopédique d'histoire, 8 tomes, Bordas, Paris, 1978.

* — Oumlil (A.)
— L'histoire et son discours, Edit. Techniques nord-africaines, Rabat, 1979.
* — Péchot (L.)
— Histoire de l'Afrique du nord avant 1830, imp. Alger, 1914, Vol. 3
* — Pirenne (H.)
— Les villes du moyens âge, P.U.F. Paris, 1971.
* — Prescott (A.)
— History of the ferdinand and Isabel, 2 volumes.

* — Renaud (H.P.J.)
— Les pestes des XV et XVI siècles, in mélanges d'études, luso - Maroc, Paris, 1945.
* — Ricard (R.)
— Masagan et le Maroc sous le régne du sulan Moulay Zidan, Edit. Paul Geuthner, Paris, 1956.
— La place de Mazagan au début du XVII. siècle. Edit. Paul Geuthner, Paris, 1932.
* — Roland (L.)
— Le Maroc chez les auteurs anglais du XVI au XIX siècle, Edit. larose, Paris, 1939.
* — Rosenberger (B.) et Zriki (H.)
— Famines et épidémies au XVI et XVII siècles, Hesp. Vol. XIV, Fasc. Unique, pp. 109 — 175, 1973, pour 1 partie.
2 partie : Hesp. XV, Fasc. Unique, pp. 5 — 103, 1974.

* — Terrasse (H.)
— La grande mosquée des andalous à fès, Paris, 1968.
— Histoire du Maroc, Edit. Atlantides, Casablanca, 1951, 2 volumes.
— Les villes impériales du Maroc, Grenoble, 1937.
* — Tharand (J.)
— Fes ou les bourgeois de l'Islam, Paris 1939.
— Marrakech ou les seigneurs de l'Atlas, Paris, 1939.

* — Weir (T. H.)
— The chikhs of Morroco in the XVI century, Edimbourg, 1904.

Grandes Collections

A. Encyclopédie de l'Islam, G - P. Moisonneuve, Max Besson, Succr. 1960 - 1978, 4 volumes.

B. La grande Encyclopédie, Paris, S. D. en 31 Vol.

C. Les sources inédites de l'histoire du Maroc 1 série (les saâdides) :
- France, en 3 vol.
- Pay - Bas, en 6 vol.
- Engleterre, en 3 vol.
- Espagne, en 3 vol.
- Portugual, en 6 vol.
- Edit. Ernest lerousc, Paris, 1905 — 1953.

مطبعة المعارف الجديدة
الرباط 707-08.09.15.38 :☎

ثمن البيع 70 درهما

رقم الايداع القانوني
1986 / 228

